موسوعة

عصر سلاطين المماليك

ونتاجه العلمي والأدبي

للأستاذ الدكتور

محمود رزق سليم

المجلد الثاني

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا . ت: ٣٩٠٠٨٦٨

عصر سلاطين المماليك

ونتاجه العلمي والأدبي

تأليف

محمود رزق سليم

المدرس بكلية اللغة العربية

المجلد الثالث

وهو القسم الأول من الجزء الثاني

في الحركة العلمية

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لله الحمد من قبل ومن بعد ، العالم الفرد ، الذى ليس كمثله فى علمه أحد يهب من علمه لمن يشاء من خلقه ، ويرزق التوفيق إليه والعمل به . أغدق على محمد ابن عبد الله من فيضه ، فملأ الأرض نوراً وسنا . أنس به الآنس ، وقبس منه القابس ، واهتدى به من اهتدى ، وتزود منه من تزود فعليه أفضل الصلاة والسلام .

وبعد فقد هيأ الله الأسباب منذ أكثر من عام فأصدرنا الجزء الأول بقسميه من كتابنا « عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى » . واليوم نهدى إلى القراء هذا المجلد الجديد وهو القسم الأول من الجزء الثانى من هذا الكتاب ، على رجاء أن يتلوه على الأثر قسمه الثانى .

والجزء الثانى بقسميه يؤرخ الحركة العلمية فى العصر المملوكى ، وقد ضمناه البحث فى الأسباب والعوامل التى أدت إلى قيام هذه الحركة المباركة ، سواء منها ما كان من العوامل والأسباب الخارجية التى هيأتها الأقدار خارج الديار المصرية ، أو الداخلية التى جهد فيها أهلوها على اختلاف ظروفهم

وتحدثنا فيه عن الحركة التعليمية والتأليفية ، وبعد أن سردنا تاريخ عدد من المدارس والمساجد التى كانت دوراً للتعليم ومثابة للعلم ، وما كان فيها من نظم ومواد دراسية ، نوهنا بالمؤلفات والمؤلفين فى مختلف العلوم والفنون ، ما عدا ما كان من المؤلفات أدبا خالصاً ، أو من برع من المؤلفين فى لون من ألوان الأدب كتابة أو شعراً أو نحوها ، فهذا مدخر للجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب .

ثم ذكرنا جمهرة عظمى من المؤلفات تشعر بنباهة هذه الحركة ونشاطها وعظيم قدرها وكريم أثرها ، منوهين بالمودع منها فى دار الكتب المصرية بخاصة ، المطبوع منها والمخطوط ، مشيرين إلى أن من بين مخطوطاتها نفائس ذات قيمة ، من شأنها لو

فيض لها الطبع والذيوع أن تحدث أثراً جليلا فى تاريخ مصر وأدبها ، وتقلب بعض الأوضاع المستقرة ، والمعلومات الفجة المركزة فى نفوسنا عن هذا العصر .

وقد عنينا بالتعريف ببعض هذه المؤلفات عناية قد يعرض خلالها شئ من النقد، غير أن النقد ليس غرضاً أصيلا فى هذه العناية ، وإنما هو العرض فحسب ، العرض الذى نتوخى منه وضع صورة المؤلف كما تراءت فى نظرنا ؟ دون غلو أو تضخيم ، أو جرى وراء إظهار المحاسن أو المساوئ ، فهى صورة هادئة خالية من صخب النقد وحملاته ، أو الحمد وغاياته ، آملين أن نجد لنقدها الصحيح الصريح مجالا آخر غير هذا الكتاب. وحسبنا من الصورة الوضوح و بروز الخصائص الأصيلة .

وثنينا بالتعريف بالمؤلفين ، وترجمة حياتهم و بيان أعمالهم وعرض مؤلفاتهم ، وينقسم هذا التعريف إلى مبسوط مطول ، ومقتضب موجز ، والأول توخينا فيه أن نذكر الحوادث البارزة فى حياة المترجم له، وما أثرعنه من الأسفار جاهدين فى بيان المطبوع منها والمخطوط ومكان كل منها ، عارضين فى شئ من الاسهاب عددا من هذه المؤلفات النافعة لإبراز خصائصها كذلك . والثانى أجملنا فيه تراجم عدد ضخم من علماء العصر على اختلاف ماتخصصوا فيه من علوم وفنون . معنيين عند كل خطوة ونص وترجمة ونحوها ، بذكر المصدر والمرجع — على قدر مستطاعنا — وذلك كدأبنا فى الجزء الأول. وكما سنمضى فى الأجزاء التالية إذا شاء الله ، لنريح الباحث المنقب ، أوالمراجع والمعقب أو غيرهم ، من بعض مايلقون من عناء .

ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يهيئ بهذا الكتاب النفع للناس ، وأن يجعله أساسا لأسفار أخرى جديدة تتجه إلى إبراز محاسن مصر فى تاريخها وأدبها ، وتكون حسنة من حسنات جيل مصر فى عهد مليكها المحبوب فاروق الأول ، نصر الله أيامه ورفع أعلامه .

والله وحده — جلت قدرته — العليم بما نبذل من جهد ، وما نضمر من نية ، وما نرجو من ثواب وهو المستعان و به التوفيق ، والسلام ؟

المؤلفه

الباب الأول

تمهيد

١ – مدينة بغداد ومركزها العلمي والأدبي

قد يدهش القارىء حين نبدؤه في هذا الجزء من كتابنا بذكر مدينة بغداد ، ووصف مركزها العلمي والأدبي . ولكن الدهشة تزول إذا علم أن مصر ، وأن عاصمتها القاهرة ، يرتبط مركزهما العلمي والأدبي في عصر المماليك بمركز بغداد قبل سقوطها في يد التتار عام ٦٥٦ هـ ، ارتباطا وثيقا . فإذا عرضنا لمدينة بغداد ووصف مركزها قبل العام المذكور ، فإنما نعرض من باب التمهيد لشرح المركز العلمي والأدبي للقاهرة ، وفهمه.

ولعل أقرب الروابط بينهما ، مما يتبادر إلى الذهن ذكره ، أن القاهرة حملت بعد سقوط بغداد ، ما كانت بغداد تحمله من أعباء العلم والأدب ، وأن سيرة القاهرة في ميدانهما امتداد لسيرة بغداد في نفس الميدان ، وإن اختلفت الأشكال والألوان .

ونحن لا نطمع هنا إلا في عجالة يسيرة في هذا الموضوع ، نوردها لنبين الربط ، ونحكم الصلة فحسب ، فنقول :

اتخذ بنو العباس هذه المدينة الزاهرة عاصمة لملكهم العتيد ، ومقرا لعرشهم المجيد ، الذي امتد سلطانه طولا وعرضا ، وغربا وشرقا . وضم إلى رايته كثيراً من الأوطان المجاورة . ثم بدءوا فيها حركة علمية واسعة النطاق ، فدونوا العلوم العربية والشرعية ، وترجموا كثيرا من كتب العلوم الكونية كالطب والهندسة والفلك وسياسة

الملك والحكمة والفلسفة والمنطق . وجدّ أبوجعفر المنصور ثانى خلفاء العباسيين في تشجيع المشتغلين بهذه الحركة ، وتكليفهم القيام بها ، ودفعهم إلى العمل فيها . وسار على سنته هذه بعض الخلفاء ولا سيما الرشيد والمأمون .

وفى عهد المأمون كانت بغداد تموج بمن فيها من رجالات العلم والأدب ، وأعضاء البعثات العلمية التى وكل إليها اختيار الكتب المناسبة لترجمتها أو الزيادة عليها ، مع جمهرة كبيرة من الكتاب والشعراء .

وهكذا أصبحت بغداد دارة العلم وهالة الأدب ، وامتد نفوذها إلى الأوطان النائية ، فلونت آدابها بألوانها الخاصة ، ووجهت النابهين من أبنائها إلى التأدب بأدبها هى . فاتخذوها قبلة لهم فى تفكيرهم ، وسعوا إليها سعى الحاج إلى البيت الحرام ، وتوافدوا عليها من فارس والحجاز ومن مصر والشام ، ومن المغرب والأندلس . وتركزت فيها الحركات الأدبية والعلمية زمنا طويلا ، يعينها على ما هى بصدده علماء الأمصار العراقية وأدباؤها ، وكذلك الحجازية .

ومازال أمر بغداد على ما وصفنا ، حتى ضعف بنو العباس ، واستشرى خطر الأعاجم بها ، فانشق عن سلطانها كثير من عواصم الأقطار التابعة ، واستقلت بنفسها من الناحية السياسية . وتعددت عواصم المسلمين .

هنا ظهرت الدولة الفاطمية فى مصر ، وأسس الفاطميون مدينة القاهرة ، فاحتلت مركزها عاصمة كبرى لدار من أضخم الديار الإسلامية ، وهى مصر . وبدأت تكون محورا جديدا لحركات علمية وأدبية أخرى .

ومع ذلك بقيت بغداد — على بعدها — أستاذاً لأهل هذه الأقطار ، ومعينا فياضا سائغا ينهلون منه ويردون على الدوام حياضه ، ويقتفون أثره ويحملون رسالته ويتمون أداءها . ولبثت بغداد نفسها تجنى ثمار نهضتها العلمية الأولى . فزخرت بفحول العلماء

وكبار المؤلفين وأساطين الأدباء وبلغاء الشعراء ، والمبتكرين من أهل الفلسفة والكلام وغيرهم . واتضحت في رجالها روح التخصص في النواحي العلمية . كما ازدهرت التآليف الشائقة بها . وحج إليها في ذلك الحين عديد من أبناء الأوطان الأخرى ، يشهدون حلقاتها ودروس علمائها ومناظرات أدبائها ، ومحاورات ظرفائها ومسابقات شعرائها ، ومفاكهات أئمة المجالس فيها ، ومعابثات المجونيين من أبنائها .

وامتلأت كذلك ، في خلال هذه المدة ، بشتى الكتب طارفها وتليدها ، وتضخمت دور كتبها ، فأصبحت تراثا فكريا ثمينا ، وذخيرة عامية نفيسة ، ورمزا إنسانيا ساميا لمرحلة من مراحل العلم ، ودور من أدوار الحضارة والمدنية .

بذلك كله ظلت بغداد زهاء خمسة قرون ، العاصمة الروحية والفكرية للمسلمين قاطبة وللناطقين بالعربية ، بل ولغير هؤلاء وهؤلاء .

ثم آل بها ضعفها السياسي ، وخور ملوكها من بني العباس ، وتفاقم الخطب بأطماع الأمم المجاورة لها ، واعتدائهم عليها ، إلى سقوطها مرارا ، حتى لم يبق لخليفتها من أمر حكمها شيء . ثم أعقب هذا الانحلال ، الطامة الكبرى والداهية العظمى ، وهي سقوطها في يد التتار عام ٦٥٦ هـ .

٢ — كلمة موجزة عن التتار[١]

التتار أمم وثنية جاهلة من الجنس المغولي الأصفر ، منهم الياقوتية والجيرجيزية والساموية . مسا كنهم الأولى الأطراف الشمالية لبلاد الصين . ومنذ الأزمنة السحيقة كانوا يعيشون عيشة البداة ، ويخضعون لأحد ملوك الصين . ثم نجم فيهم رجل منهم قوي الشكيمة شديد البأس ، استطاع أن يتملك عليهم ، وأن يفوز بعرش الحكم

١ — في كتاب (ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري) لعبد الله عنان ص ٨١ ما يفهم منه أن ابن خلدون تكلم في كتابه (التعريف) عن نشأة التتار والسلاجقة .

فيهم ، ودانت له أمم التتار جميعها . وأخذ يقودهم من نصر إلى نصر ، حتى خضع لحكمهم كثير من الأمم المجاورة لهم . ذاك الرجل هو : جنكيزخان [1]

ثم ما لبث جنكيزخان حتى زحف بهم كالجراد على أواسط آسيا وغربها منذ عام ٦٠٦ هـ . فملكوا كثيرا من البلاد وقتلوا ما لا يحصى من أهلها ، حتى بلغوا خراسان . فانتزعوها من ملكها « خوارزم شاه محمد بن تكش » عام ٦١٧ هـ بعد أن أفنوا عددا ضخما من مسلميها .

تتابعت بعد جنكيزخان هجمات التتار على بلاد العراق ثم على بلاد الشام ، حتى كان ما كان بينهم وبين سلاطين المماليك المصريين — مما أشرنا إليه فى الجزء الأول — حيث أوقعوا بهم فى « عين جالوت » ثم فى « بيسان » وأجلوهم عن بلاد الشام وردوهم عنها داحرين فوقف تيارهم عند هذا الحد ، ولم يتعده من بعدُ إلا غرارا غرارا . ولم يستطيعوا قط ، أن يجتازوا إلى بلاد مصر . وتفرقت دولتهم من بعد ذاك دولا عاصرت بقايا السلاجقة ، ومماليك مصر ، وغيرهم .

ومن صفات التتار ، الشجاعة وشدة البأس وحب البطش . ومن أعظم ملوكهم بعد جنكيزخان : هولاكو ، وهو الذى نكبت بغداد على يده . وتيمورلنك [2] الذى خرب بلاد الشام من بعدُ ، وأذل أهل دمشق . ومنهم أولوغ بك وأرخان بك ، وغازان وأبو سعيد وغيرهم

ومما يذكر أن كثيرا منهم اعتنق الإسلام بعد غزو بغداد بأكثر من نصف قرن . وشرعوا يعوضون الدين والعلم ما فقداه من نفائسهما العلمية على يدهم من قبل ، وذاك بتشجيع العلماء .

---

١ — فى فوات الوفيات لابن شاكر فصل طويل عن جنكيزخان . ج ١ ص ١٣٩

٢ — ممن ترجم لتيمورلنك ، ابن عربشاه فى كتابه (عجائب المقدور فى أخبار تيمور) ، والسخاوى فى كتاب (الضوء اللامع) ج ٣ رقم ١٩٢

٣ — سقوط بغـــداد عام ٦٥٦ هـ

تتلخص هذه الحادثة فى أن التتار كانوا قد اقتربوا من العراق بجيوشهم الجرارة قبيل عام ٦٥٦ هـ. وكانت بغداد إذ ذاك تلتهب بالفتن والمؤامرات المشبوبة بين الرافضة وأهل السنة وكان الخليفة إذ ذاك ، المستعصم بالله العباسى . ووزيره مؤيد الدين العلقمى من الرافضة [1] . فخلاله أن يمهد لدخول التتار حتى تكون له النصرة على يدهم ، فيحكم بغداد وحده بإرشادهم فكاتبهم بما فى نفسه وأطمعهم فى دخول بغداد وانتزاع ملك العراق ، ومحو الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل على . ثم أعلمهم بنواحى الضعف فى البلاد ، و بصرهم بثغراتها التى يطعنونها منها .

اقترب التتار من بغداد ، فهاج أهلها وماجوا ، واجتمعوا صفا فى وجه العدو ، وهزموه وردوه على أعقابه . فحز ذلك فى نفس ابن العلقمى ، وعاد إلى مكاتبة التتار ، وقطع جسر دجلة على جنود بغداد ، وهم يستجمون ، فأغرق عددا منهم ، وأشاع الاضطراب فى صفوف الباقين ، فكر عليهم التتار كرة صادقة زلزلوا تحت تأثيرها زلزالا شديدا . ودخل التتار مدينة بغداد فى نحو مائتى ألف جندى بقيادة هولاكو . وتم ذلك فى عام ٦٥٦ هـ .

قيل : أشار الوزير ابن العلقمى بعدئذ على الخليفة المستعصم بمصانعة التتار . وقال له أخرجُ أنا إليهم لأقرر معهم شروط الصلح . ثم عاد من لدنهم وهو يقول للخليفة . « إن الملك هولاكو قد رغب فى أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبى بكر . . ويبقيك فى منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم فى سلطنته . . . ولا يريد إلا أن تكون له الطاعة منك ، كما كان أجدادك مع السلاطين السلاجقة . ثم ينصرف عنك بجيوشه . فليجب مولانا إلى هذا فإن فيه حقن دماء المسلمين » .

---

١ — فى فوات الوفيات ج ٢ ص ١٨٩ فصل عن ابن العلقمى .

فخرج الخليفة إليه فى جمع حاشد من كبار رجال دولته وأعيانها وعلمائها . فأنزله فى خيمة . ثم دعى الفقهاء والأعيان ليحضروا كتابة العقد . . . وقد خرج لاستدعائهم الوزير ابن العلقمى لتتم فصول الرواية على يديه . فتوافدوا من بغداد زمرا بعد زمر ، حتى صاروا بين يدى التتار فضربت رقابهم . . . واستدعيت طبقات العلماء والأمراء والحجاب والكبار طبقة إثر طبقة ، فقتلوا عن آخرهم .

بعد ذلك أبيحت المدينة للجند ، فاخترقوا فجاجها ، وجاسوا خلال سبلها ، يثخنون فى أهلها قتلا وتمثيلا . وظلوا على هذا العمل الاجرامى نحو أربعين يوما ، حتى ملئوا الطرقات دماء ، وجمعوا من جماجم السكان أهراما . وقيل بلغ عدد القتلى نحوا من ألفى ألف نسمة ، ولم يسلم من يدهم إلا من اختفى فى بئر أو قناة . ثم قتل الخليفة وجمع من أولاده وأعمامه . وأحرقت دور الكتب ، وأغرقت كتب لاتحصى فى نهر دجلة . وهدمت القصور وخربت الدور . وكانت نكبة لم يبل الإسلام ولا المسلمون بمثلها . ولم ينل ابن العلقمى شيئا من وراء ذلك ، بل استبد به التتار وأذلوا مكانته ، واستأثروا بالسلطة دونه حتى مات كمدا .(١)

٤ ــ انتقال النشاط العلمى إلى مصر والقاهرة

تلفت المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، يبحثون لأنفسهم عن ملجأ يلجئون إليه ، ومأوى يأوون فيه ، بعد كل هذه النكبات المتلاحقة ، وبعد سقوط أكبر دولهم سقوطاً نهائياً ، وأعنى بها الدولة العباسية ، وبعد زوال أهم رمز روحى كانت تجتمع القلوب حوله ، على الرغم من تشتتها ، وأعنى به الخلافة . فلم يجدوا أمامهم غير مصر

---

(١) (تراجم حوادث ٢٠١ فى: تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى . وبدائع الزهور لابن إياس الحنفى جـ١ ص ٣٢٧ . وطبقات السبكى جـ ٥ فى ترجمة عبد العظيم المنذري . والنجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٤٧ ودائرة معارف وجدى) .

و بلاد الشام ، حيث أسس المماليك لهم ملكا ، وأقاموا لأنفسهم سلطانا ، وكونوا لعرشهم جنداً ، يذود عنه و يدفع كيد الأعداء .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يقيم من دولة المماليك ، فى هذه الآونة العصيبة من تاريخ المسلمين ، حاجزاً منيعاً ، وسداً متينا ، يقف حجر عثرة فى سبيل تدفق سيل التتار الجارف على البلاد المصرية . فوقاهم شر يومهم ، وأبعد عنها مافى جعباتهم من نكبات يفيضون بها على الأمم المفتتحة ، ودفع عن القاهرة بوارا كالبوار الذى حاق ببغداد وطامة كالطامة التى أصابتها .

وما ذلك إلا لوقوف المماليك فى وجوههم من ناحية . وتفرق أمرهم من ناحية أخرى . وقد وقعت بين الفريقين وقائع عدة تناثرت فى خلال مدة حكمهم ، كانت ذات نتائج حاسمة فى ردطغيان التتار وعدوانهم ، و إن لم تسلم بلاد الشام جملة من هذا العدوان والطغيان .

وما وقف سلاطين المماليك وأمراؤهم مواقفهم تلك ، إلا لأنهم مسلمون معنيون بشئون دينهم ، مطالبون بدفع الأذى عنه ، ورد المعتدين عليه ، ومما شحذ همتهم لذلك ، وأثار ثائرتهم ، أن التتار عرفوا بالجهل واعتلال الدين ، كما أشرنا ، وعرفوا بحب البطش والفتك ، واشتهروا بما أذاقوا المسلمين من ويل ، وما اقترفوه فى أواسط آسيا من آثام لا قبل لأحد باحتماله . فكم أراقوا هناك من دماء ، وكم بعثروا من أشلاء وكم أبادوا من جماعات ، وكم شتتوا من أسر . أضف إلى ذلك ما اجترحوه فى بغداد وما ألحقوه بأهلها من ذل و بوار .

فالتتار إذاً كانوا أعداء الإسلام ، وخصوم المسلمين . أحس المماليك بهذه الحقيقة السافرة ، وشعروا بالخطر القريب الداهم ، و بالشر العاجل المستطير . فهبوا على بكرة أبيهم ، ذادة مدافعين عن دين اعتنقوه ، وملك أسسوه ، ومجد تسنموه ، وجاه بلغوه .

ثم لا ننسى أن المماليك قد ورثوا عن دولة بني أيوب ، نزعتها القوية الشديدة ، ووقفتها الرائعة الرشيدة ، فى مكافحة الصليبيين ، أعداء الدين والمسلمين ، فكما ورثوا عنها كثيراً من عاداتها وتقاليدها الرسمية وغير الرسمية ، حتى ليمكن القول إن دولتهم امتداد لدولة بنى أيوب . ورثوا عنها كذلك هذه النعرة الاسلامية ، وتلك العصبية الدينية لمعاداة كل من قصد بلاد المسلمين بشر ، أو أراد المسلمين بضر .

ولم ينس المماليك أنهم يحكمون أمماً أغلب أهلها من العرب ، ومن المسلمين الذين يبهرهم دائما كل ذائد عن حمى الدين ، ويروعهم كل مدافع عن بلاد المسلمين ، ويعجبهم الرجل الأغلب الصمصامة الذى يهب نفسه لله ، ويقاتل فى سبيل الله .

ومن حسن سياسة سلاطينهم أن أفسحوا فى مصر مكانا للخلافة جديداً ، بوءوا فيه أحد سلائل خلفاء بنى العباس ، بعد ثبوت نسبه ؛ و بذلك أعادوا للخلافة سيرتها ، وأنشئوها نشأ آخر ، بعد أن طوى بساطها وانتقض سامرها ، وزالت عنها الغضارة والنضارة ، فوجهوا بعملهم هذا أنظار المسلمين إلى مصر ، ولفتوا قلوبهم وأرواحهم إلى القاهرة باعتبارها عاصمتهم الجديدة ومتبوأ خلافتهم المجيدة .

وبذلك كله اكتسبت مصر مكانا فى الحياة جديداً ، وأصبحت عاصمتها مركزاً تطيف به قلوب المسلمين قاطبة ، وصار ملوكها الحصن الحصين والركن الركين ، الذى يلوذ بأكنافه ذوو الحاجات العليا السامية من أبناء البلاد الإسلامية .

ومصر — إلى ذلك الحين ، و بجوارها الشام كذلك — كثيرة الخيرات موفورة الثمرات ، لا ماؤها العذب ممنوع ، ولا جناها الرطب مقطوع . فطمع فيها أبناء البلاد الأخرى طمع الفقير العيى ، فى الكريم المحسن القوى . وفاء إلى حماها كثير منهم . تراموا على صعيدها الخصب ، من كل حدب وصوب ، وسقطوا عليها سقوط الطير حيث يلتقط الحب وهبوا يحيون من الإسلام مجده الدارس ، و يستضحكون وجهه العابس

و يجددون له وللعربية ذخائرها العلمية النفيسة . ونهموا فى التجديد حتى ضاق نطاق الزمان عن أشباع رغبتهم . وكأنما أرادوا الانتقام من هذا الزمن الخئون ، والأخذ بالثأر منه ، لما ساقه على المسلمين وتراثهم من هلكة وخسار ، وعبث ودمار .

بهذا كله انتقل النشاط العلمى من العراق و بغداده ، إلى مصر وقاهرتها . ونشرت القاهرة زعامتها العلمية وقيادتها الأدبية على البلاد الإسلامية تقريبا ، زهاء هذه القرون الثلاثة التى عاشت فيها دولة المماليك .

٥ — خاتمة

ولم تكن بلاد المغرب والأندلس فى هذه الظروف بأسعد حالا من العراق ، فقد أخذت تتفاقم فيها الفتن وتتجدد أنواع الخلاف وتزيد ضروب المحن وتطغى عليها الأعداء بما لا يدع للعلم سندا ولا للأدب موردا .

و يحسن فى هذا المقام أن نختتم هذا الباب الأول بمقتبسات يسيرة مما كتبه ابن خلدون (٨٠٨ هـ) فى مقدمته تحت عنوان «فصل فى أن التعليم للعلم من جملة الصنائع» فإنه عرض فى الفصل المذكور للموازنة بين علم أهل المشرق وأهل المغرب قبيل عهده و إلى عهده ، منوها بانتشار العلوم والصنائع فى المشرق و بخاصة فى القاهرة . قال :

«و بقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم ، من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ، ولم يتصل سند التعليم فيهم . فعسر عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم ، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية ، فهو الذى يقرب شأنها و يحصل مرامها ، فتجد طلاب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون . وعنايتهم بالحفظ

أ كثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم ، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل ، تجد ملكته قاصرة فى علمه إن فاوض أو ناظر أو علم . وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده ، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم ، لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية ، وليس كذلك .

ومما يشهد بذلك فى المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهى بتونس خمس سنين ، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هى أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها ، فطال أمدها فى المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة فى التعليم خاصة لا مما سوى ذلك .

وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم ، وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئين من السنين .

ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والأدب واقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمه بينهم ، فانحفظ بحفظه ، وأما الفقه بينهم فرسم خلو وأثر بعد عين، وأما العقليات فلا أثر ولا عين ، وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران ، وتغلب العدو على عامتها إلا قليلا بسيف البحر ، شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها والله غالب على أمره .

وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل أسواقه نافقة ، وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور ، واتصال السند فيه ، و إن كانت الأمصار العظيمة التى كانت معادن العلم قد خربت ، مثل بغداد والبصرة والكوفة ، إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك ، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من

المشرق ، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب ، فلم تزل موفورة ، وعمرانها متصلا ، وسند التعليم بها قائما .

فأهل المشرق على الجملة أرسخ فى صناعة تعليم العلم ، بل سائر الصنائع ، حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق فى طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب ، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيسا ، بفطرتهم الأولى وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتهم من نفوس أهل المغرب . ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم فى حقيقة الانسانية ، ويتشيعون لذلك ، ويولعون به ، لما يرون من كيسهم فى العلوم والصنائع ، وليس كذلك ، وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذى هو تفاوت فى الحقيقة الواحدة . . . » الخ .

الباب الثاني

عوامل نشاط الحركة العلمية

ألمعنا فيما سبق إلى قيام هذه الحركة العلمية فى مصر ، وأجملنا القول فى العوامل التى شجعت القائمين بها ، وأدت إلى نشاط أهلها . والآن نفصل القول تفصيلا فى بيان هذه العوامل . فنقول إنها تنقسم إلى قسمين : خارجية وداخلية . ونعنى بالعوامل الخارجية ، ما وقع منها فى خارج مصر ، ولم يكن لمصر ولا لأهلها يد فى تدبيرها ، غير أن هذه العوامل كان لها من الأثر العظيم داخل مصر ما أدى إلى تنشيط هذه الحركة . أما العوامل الداخلية فنعنى بها ما وقع منها داخل مصر ، وكان لأهلها يد فى تدبيرها ، وأثرت بدورها تأثيرها المباشر فى تنشيط الحركة العلمية .

ولم تكن الحركة العلمية خاملة بالديار المصرية على عهد الأيوبيين ، فقد كان لها هى الأخرى نشاطها الملحوظ ، ولكن العوامل المتعددة التى طرأت عليها فى العصر المملوكى ، والتى طرأت مجتمعة ، كان لها أثرها الواضح فى نشاطها فى العصر المذكور . ولا نغلو حين نذكر أنها كانت أكثر نشاطا وأدأب عملا وأضخم إنتاجا فى العصر المملوكى ، مما كانت فى العصر الأيوبى بل وما قبله من عصور مصر الإسلامية ، وأن مصر استطاعت أن تكوّن لنفسها ثقافة تحمل طابعها ، تأثرت بها البلاد الاسلامية الأخرى ، وبخاصة بلاد الشام .

الآن نوضح هذه العوامل فنقول :

العوامل الخارجية

١ — وقوع كثير من البلاد الإسلامية في يد المغول

طغى سيل التتار الجارف من أواسط آسيا إلى شمالها مكتسحاً ما أمامه من بلاد المسلمين . وأثخن في أرضهم ، وقتل كثيرا من أهلها . وأتى في خراسان ماتقشعر منه الأبدان ، وما تأباه النفوس السليمة . ثم واصل زحفه حتى بلاد العراق ؛ فمزق بغدادها شر ممزق . ثم عرج على بلاد الشام التي لبثت مسرحا للنزاع العنيف بين دول التتار والمماليك زمنا طويلا . فكان لابد للمسلمين من أن تلتف قلوبهم حول المدافعين عنهم من سلاطين المماليك ، ملتمسين فيهم الزعامة التي تدافع عنهم ، وأن يشدوا أزرهم ويدعموا ملكهم ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، إذ في تدعيمه إبقاء على دينهم وأنفسهم . ومن أهم وسائل تدعيم الملك إحياء العلوم والمعارف . فجهد في ذلك علماء المسلمين آنئذ ، وأتوا بما يعد فريدا في بابه ، عجيبا في صنعه .

٢ — قتل العلماء وإتلاف الكتب العلمية

قتل التتار كثيرا من علماء المسلمين ببغداد وغيرها . وممن قتل ببغداد الشيخ محيي الدين بن الجوزي وأولاده [١] . وكذلك أتلفوا كثيرا من دور الكتب . وقد أمر هولاكو وقت فتح بغداد بإلقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ؛ وعلى العلوم والآداب نفائسها وفقدت العربية إلى الأبد آلافا من مؤلفات بنيها .

فلما نبا المقام بمن فر من العلماء ، من وجه التتار ؛ أو أنف من الإقامة في ظلهم استقر بهم في كنف سلاطين مصر . ولقوا ، هم ومن لف لفهم من رجال الأمم الأخرى ، في جوار هؤلاء السلاطين : الأمن والدعة والسلامة والعيش المادي.

(١) عن مختصر أبي الفداء ج ٤ ص ١٩٠

كما وجدوا أنفسهم — بعد هذه الكارثة العلمية الرهيبة — مسئولين أمام الله عن دينه ، وأمام التاريخ عن إنهاض العلم وإقالة عثاره ، وأمام ضمائرهم عن معارفها ، وأمام أوطانهم عن تدعيمها . فدفعهم شعورهم العميق بهذه المسئولية وضخامتها إلى الجد فى العمل لملافاة مافات ، وبذل الجهد لإعادة هذا الصرح المنهار .

٣ — وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام

ولا شك أن مما عاون مصر على بلوغ إربتها ، وساعد على تزعم حركة الإحياء العلمية ، كثرة من أمها من بنى الأقطار الإسلامية الأخرى ، سواء أكانوا فارين من وجه الطغيان والظلم ، أم كانوا طامعين فى كرم مصر وحسن وفادتها . وبين هؤلاء وهؤلاء علماء فضلاء وأدباء أجلاء ولم يقتصر وفودهم إلى مصر على أوائل العصر المملوكى ، بل ظل متتابعا خلال العصر المذكور . ومنهم من ألف وكتب ، ودرس وخطب ، وتولى القضاء وحكم وأفتى ، وأفادت مصر والشام منهم الخير الكثير والنفع الجم بما نشروا وألفوا ، وبما علموا من ناشئين .

ومن هؤلاء ابن خلكان الإربلى ، وابن مالك الأندلسى ، وابن أبى حجلة المغربى ، وابن منظور الإفريقى ، وابن خلدون المغربى .(١) والحافظ رشيد الدين النابلسى ، والبكرى أبو على الحسن بن محمد النيسابورى الدمشقى . وسعد الدين العراقى . وممن فر إلى مصر كمال الدين بن العديم هجر مدينة حلب فارا من التتار إلى الناصر بن قلاوون وأقام بها حتى مات (٢) ودفن بها ومثله ابن الأستاذ كمال الدين المتوفى عام ٦٦٢ هـ . رحل إلى مصر لما أخذ التتار حلب (٣) .

وهاجر من حران إلى دمشق عام ٦٦٧ هـ والد ابن تيمية الحرانى ومعه ولده المشهور وكان حدثا صغيرا .

---

١ — راجع طبقات الحفاظ والأئمة فى حسن المحاضرة ج ١ — وراجع باب التراجم الموجزة فى كتابنا هذا .

٢ — راجع تاريخ آداب اللغة لجرجى زيدان ج ٣ ص ١٧٠

٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٣

وقد ذكر محمد جميل الشطى فى كتابه « طبقات الحنابلة » عددا من العلماء الذين هاجروا من بغداد فرارا من التتار حينما دهموها . ومما لا ريب فيه أن هؤلاء الفارين والمهاجرين عاونوا مع من نشأ فى مصر من علمائها وأدبائها ، ومن تربوا على أيديهم من ناشئتها على إنعاش الروح العلمية ، متجهين إلى إحياء علوم الدين واللغة ، ولم يستطيعوا أن يضيفوا إلى أعبائهم أعباء الإصلاح السياسى ورفع الظلم عن رقاب الناس ، وكف المعتدين من رجال الحكم ، إلا لماما لماما ، ذلك لأن منطق الظروف وسياق الحوادث يقف سدا منيعا دون ذلك . فقد ألقت الأقدار مصائر الأمور فى مصر إلى هذه الطبقة الحاكمة من أمراء المماليك وجنودهم فلم يجعلوا لأهل البلاد الأصليين قلامة ظفر فى الحكم ، وبخاصة فى المناصب العسكرية، ولم يتركوا المتعممين إلا مناصب القضاء والكتابة وما إليها ، وهم من نابتة البلاد فى الغالب . فلم يستطع العلماء مجاهدة هذه الطبقة لئلا يزيدوا عبئا إلى عبئهم أو ينحرفوا عما نصبوا أنفسهم له أولا، وهو إحياء علوم الدين والمحافظة عليها ووصل سندها . — ومهما يكن من شيء فقد عاونوا معاونة مذكورة على إنعاش الروح الفكرية ، ولو إلى حد ما . وفى محاكمات ابن تيمية الحرانى وما أذاعه بين الناس من آراء ، وما رد به عليه علماء عصره، صورة من صور هذا الانتعاش الفكرى .

٤ — زوال الخلافة العباسية

قتل التتار الخليفة العباسى المستعصم بالله ، وولى عهده ، وأزالوا الخلافة العباسية وعفوا أثرها . وقد كانت — على علاتها — محورا تطوف به قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ورمزا يرمز إلى تآلفهم وتآزرهم ، وعلما روحيا يستظلون به . وقد أصابها الوهن ونال منها الضعف ، ولكن المسلمين كانوا يتعللون بها ويأنسون بوجودها . فلما زالت دولتها جملة ، كبرت المسألة فى نفوس المسلمين ، وحمى الأمر ، واتقدت حماستهم ، وكأنهم أخذوا يتطلعون إلى خلافة جديدة ، تعيد السيرة فى جمع القلوب ، وفى الرمز إلى الصلة الدينية .

لم تكن هناك دولة حينئذ ، بين دول المسلمين أكثر جندا وأقوى عدة ، وأوسع كنفا ، وأشب حماسة ، من مصر . فكان طبيعيا أن تتطلع نفوس أهلها ـ على الأقل ـ إلى إعادة هذا الرمز الروحي الجليل ــ وأعنى به الخلافة . فأسسها الظاهر بيبرس ، كما بينا فى الجزء الأول من هذا الكتاب . ولولا زوال خلافة بغداد ما وُجد السبيل إلى تجديدها فى مصر . وتجديدها بمصر كان له أثره فى الحركة العلمية كما سنبينه بعد قليل .

العوامل الداخلية

١ ـ غيرة السلاطين والأمراء

أبدى السلاطين والأمراء غيرة دينية بارزة . وتعصبوا للدين تعصبا قوياً واضحاً . ورغبوا فى القيام برعايته مع رعاية أهله ، رغبة قوية . وأسبغوا على أعمالهم ثوباً دينيا سواء أكان ذلك فى الحكم أم الغزو أو غير ذلك .

ولا نبحث فى هذا المقام عن حقيقة هذه الغيرة ، وصدقها ، ومقدار هذا الصدق . وهل كانت عن عقيدة صحيحة حقا أم هى إيهام وخداع للعامة والناس ، حتى يبهروا أنظارهم ويضمنوا معونتهم ويأمنوا جانب فتنهم أو غير ذلك .

لا يهمنا أن نبحث فى ذلك كله أو بعضه ، وإنما يهمنا القول إن هؤلاء السلاطين والأمراء كانت فيهم غيرة على الدين واندفاع إلى الذود عنه ، ورغبة فى التمكين له وإن الإسلام أفاد من هذه الغيرة فوائد جمة ، إذ درأت عنه كثيراً من الأذى ، وردت عنه ضروباً من العدوان ، ومكنت له فى مصر والشام وغيرهما .

ولعل أهم ما دفعهم إلى هذه النزعة أنهم مسلمون ، وأنهم شعروا بعد زوال الأيوبيين ودولة الخلافة أنهم أصبحوا وحدهم فى الميدان حماة لهذا الدين ، وذادة عن بلاد المسلمين . وأن الأقدار نقلت إلى كواهلهم عبء الدفاع عنه . وأنهم إن قصروا

فى هذا المضمار كان ذلك سبة لهم أبد الدهر . وقد عاونهم على بلوغ مآربهم ما يتصف به جنسهم من شجاعة وثبات على الرأى وتعصب للعقيدة ، دون مبالاة بما يصيبهم فى سبيل ذلك من سوء .

وقد تجلت هذه الغيرة منهم فى كفاحهم للتتار ، ومحاربتهم للفرنجة ، حتى ردوا هؤلاء وهؤلاء عن مصر والشام والبلاد المقدسة . وتجلت فيما أفاضوا من معونة وما بذلوا من رعاية للبيت الحرام وسكان الحجاز ، ولغيرهم من أهل البلاد الإسلامية القريبة والبعيدة .(١)

هذه النزعة من دأبها أن توقظ أمثالها فى نفوس العلماء ، وتحفز أهل الدين إلى حياطته ورعايته . وتدفعهم إلى تجديد شبابه وبعث روحه ، ونشر رايته . وأداتهم إلى ذلك ، التعليم والتأليف ومواصلة البحث والاطلاع .

٢ ـ تعظيمهم لأهل العلم

نعنى بأهل العلم ، المتفقهين فى الدين . لأن « العلم » أطلق فى عرف هذا العصر على « الدين » ، والمتفقه فيه هو « العالم » . أما غيره من المتفقهين فى العلوم الأخرى فندر أن يطلق عليه لفظ « العالم » وكان الطبيب يقال له « الرئيس » ، أو « الحكيم » كما يقوله عامة زمننا . ويقال لطبيب العيون « الكحال » ، ولمهندس المبانى « الشاد » وأطلق على هذا الأخير لفظ « المهندس » أحيانا (٢) وهكذا .

ومما يذكر أن سلاطين العصر المملوكى وأمراءه أقاموا وزنا كبيرا لعلماء الدين وبجلوهم وقدموهم فى مسائل كثيرة ، وقد استشاروهم مرارا فى أمور الدولة العلياء

---

١ ـ راجع الجزء الأول من كتابنا هذا تحت عنوان حسنات العصر وسيئاته . وتحت عنوان السفارات .

٢ ـ قال المقريزى فى الخطط ج ٣ ص ٣٤٤ تحت عنوان (الدهيشة) أن الملك الصالح عماد الدين عمرها فى عام ٧٤٥ هـ بعد أن بعث الأمير أقبجا وأجيج (المهندس) لكشف دهيشة حماة . الخ . .

وسمعوا شكاياتهم إذا تقدموا إليهم بها ، وأجابوا ملتمساتهم ، بل توجسوا من بعضهم خيفة . وذلك لما كان لهؤلاء العلماء من سلطان على العامة ، ولما كان لهم بهم من صلة ، وقدرة على سرعة التفاهم معهم ، لأن أغلبيتهم تمت إلى هذه العامة بأوثق الصلات . فهم جميعاً أبناء شعب واحد ، ولغة واحدة .

وقد بلغ علماء الدين هذه المنزلة السنية عند الخاصة والعامة ، لسنن درجوا عليها ، وصفات اتصفوا بها ، فقد كان من بينهم من هو مضرب المثل فى الزهد والقناعة والورع ، والتمسك بما يراه حقا ، والثبات على رأيه إذا اعتقد فيه الصواب ، لا يتزحزح عنه قيد أنملة ، إذا شعر أنه موافق للشريعة . مالم يناضله مناضل ويجادله مجادل ويغلبه مناظر بالحجة والبرهان ، وإلا فهو عند رأيه ، ولو لوح له بالعذاب عزلا أو سجنا أو مصادرة أو غير ذلك من ألوان العقوبة .

وليس ذلك منهم عن عناد ومكابرة : بل عن تفقه فى الدين ، وتعمق فى العلم وتمسك بالحق ، وشغف بالبحث والدرس والاطلاع ، وصبر على حسن النظر . وجد فى التأليف والتصنيف .

ضرب العلماء بذلك كله أحسن الأمثال للناس ، ووضعوا لهم أفضل قدوة يقتدون بها ، فرغب كثير من أبناء الشعب فى طلب العلم ووهبوا له نفوسهم ، وسعوا فى تحصيله حتى يصل الأواخر منهم إلى مثل ماوصل إليه الأوائل .

وتصدى العلماء للفتيا العامة ، كل بمذهبه . وقد كانت أسئلة العامة وغير العامة تتهاوى إليهم من كل فج ، عارضة مايتراءى لهم من مشاكل ومعضلات ، وشبه وخلافات يطلبون فيها الأجابة والفتوى . وكثيرا ماتثير هذه الأستفتاءات خلافا بين العلماء أنفسهم فيتجادلون ويتحاورون بغير ملل أو سأم حتى يصلوا إلى قرار الحق ، وفى تاريخ عز الدين بن عبد السلام ، وتقى الدين بن تيمية الحرانى ، وتقى الدين السبكى وغيرهم أمثلة متعددة لذلك .

هذه كلها سنن وصفات درج عليها علماء العصر ، أسبلت عليهم من المهابة سترا ومن الجلال ثوبا ، وتوجت هامهم بتاج العزة والوقار ، وجعلت لهم عند العامة مكانة ، ولدى الخاصة جاها ، وبين الحكام رعاية وتعظيما ، وعناية وتكريما . حتى حسبوا حسابهم فى كثير من خطواتهم ، والتمسوا معونتهم ورأيهم فى عديد من أعمالهم .

وكان على رأس علماء العصر قضاة قضاته ، فهم المعتمدون فى الفتيا والرأى . وكثيرا ما تعقدت الأمور بسبب حرب أو نحوها ، ورام السلطان فرض ضريبة أو أخذ مال من أوقاف المسلمين ، فكان لا بد له من استشارة هؤلاء القضاة وأخذ رأى النابهين من العلماء البارزين . كما وقع فى عهد قايتباى وبرقوق [١] . وكثيرا ما خرج السلطان إلى الحرب وصحب معه قضاته ، تقوية للمعنوية بين العامة والجند .

ومما نذكره مدللين على تعظيم السلاطين والأمراء لأهل العلم : ما رُوى من أن الظاهر بيبرس كان متقمعا تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وأنه قال لما مات الشيخ : ما استقر ملكى إلا الآن [٢]

وروى السيوطى فى حسن المحاضرة ـ ج ٢ ص ٧٤ ـ أن الظاهر بيبرس حضر مرة إلى دار العدل فى قضية بينه وبين أحد الأمراء أمام القاضي ابن بنت الأعز ، فقام الناس له تعظيما ، إلا القاضى فقد أشار إليه السلطان بعدم القيام .

وقال أيضا ـ ج ٢ ص ١١٣ ـ إن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد حضر مرة عند السلطان لاجين ، فقام إليه السلطان ، وقبل يده . فلم يزد على قوله : « أرجو ها لك بين يدى الله » .

وقال أيضا ـ ج ٢ ص ١٦٣ ـ إن السلطان برقوقا لما أنشأ مسجده ، وقرر فيه شيوخا يتولون التدريس ، كان من بينهم الشيخ علاء الدين السيرامي مدرس الحنفية

(١) راجع ما كتب عن « فداحة الضرائب وتعدد أنواعها » فى قسم ٢ ج ١ من كتابنا هذا .

(٢) راجع ترجمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى هذا الجزء .

وشيخ الصوفية . وقد بالغ برقوق فى تعظيم هذا الشيخ حتى فرش له السجادة بيده.

وذكر المقريزى فى الخطط - ج٤ ص١٣٩ - أن السلطان المؤيد شيخا المحمودى لما أنشأ جامعه ، وقرر فيه عددا من المدرسين ، كان من بينهم شهاب الدين بن حجر العسقلانى ، مدرس الشافعية . فجاء إليه السلطان ليستمع درسه ، فلما أقبل ، هم ابن حجر بالقيام للسلطان فمنعه المؤيد من القيام فلم يقم .

وروى ابن إياس أيضا فى بدائعه - ج ٢ ص ٧ - أنه لما كملت عمارة الجامع المذكور - جامع المؤيد - واجتمع الطلبة للدرس ، خرج إليهم الشيخ شمس الدين الديرى من خلوته ، وأمامه ابن السلطان المؤيد ، وهو المقر الصارمى ابراهيم ، حاملا سجادة الشيخ حتى فرشها له فى المحراب .

وروى السخاوى فى الضوء - ج ٤ رقم ٤٥٢ - فى سياق ترجمته لزين الدين العراقى المتوفى عام ٨٠٦ ه ، فقال ما نصه : « وكان للأمراء فى أواخر ذلك القرن - يعنى القرن الثامن الهجرى — اعتناء بالعلماء فكان لكل أمير عالم بالحديث يسمع الناس ، ويدعو الناس للسماع » ثم ذكر أن العراقى كان أميره إماء إيتمش « صاحب المدرسة بباب الوزير ، أو « يشبك الناصرى الكبير » .

ومن طرائف الحوادث التى تروى فى هذا المقام ما قصه ابن حجر فى كتابه « الدرر » - ج ٣ رقم ٣٢١ - فى سياق ترجمته « لنور الدين على بن يعقوب بن جديل البكرى » الفقيه الشافعى المتوفى عام ٧٢٤ ه ، قال ما ملخصه : « إن البكرى بلغه فى منتصف المحرم عام ٧١٤ه — على عهد السلطان الناصر بن قلاوون — أن الأقباط استعاروا عددا من قناديل جامع عمرو بن العاص ، وعلقوه فى مجمع كان معقودا بالكنيسة المعلقة . فثار البكرى لهذا الحادث ، وجمع طائفة من الناس من الناقمين ودهموا الكنيسة ومن فيها من المجتمعين ونكلوا بهم ثم عاد إلى الجامع وأهان قومته ، وأكثر من الوقيعة فى خطبه . ثم إن البكرى ذهب إلى النائب أرغون ، واتهم كلا من كريم الدين الصغير ناظر النظار ، وكريم الدين ناظر الخاص ، وشنع عليهما ، ونسب إليهما أن الاستعارة تمت بأمرهما . وبلغت الحادثة

سمع السلطان ، فأمر بإحضار البكرى فى مجلس قضاة القضاة ومعهم ابن الوكيل . فلما دخل البكرى على السلطان والقضاة . تكلم ووعظ وتلا آيات من القرآن ، وجملة من الأحاديث النبوية ، وأغلظ فى عبارته للسلطان ، قائلا : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » فاشتد غضب السلطان وقال له : « أنا جائر » ؟ قال : « نعم ! أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقويت دينهم » . فلم يتمالك السلطان نفسه ، وتناول سيفه وهم بضربه . لولا أن بادره الأمير طغاى وأمسك يده . ثم التفت السلطان إلى القاضى ابن مخلوف ، وقال : يا قاضى يتجرأ علىّ هذا ! ما الذى يجب عليه ؟ . « قال : « لم يقل شيئا يوجب عقوبة ! » فصاح السلطان فى وجه البكرى أن « أخرج عنى » . ثم أمر بقطع لسانه فصرخ البكرى وارتاع لصرخته الأمراء . ثم توسط له ابن الوكيل قائلا للسلطان : « إن البكرى عالم صالح ، ولكنه ناشف الدماغ » . قال صدقت وسكن غضبه وأمر بإخراجه »

وبعد ، فهذه جملة من الحوادث أو المظاهر التى ترينا منزلة العلماء التى بلغوها بعلمهم وفضلهم ، ولا ريب أن تعظيم السلاطين والأمراء لهم ، له الأثر المباشر فى نفوسهم على أن يظلوا مجاهدين فى سبيل الدين ، حريصين على الشريعة مستزيدين من العلم والفضل ، باثين هذه الروح فى طلابهم وناشئتهم لينهجوا نهجهم ويلحبوا طريقهم وينسجوا على منوالهم .

٣ - شعور العلماء بواجبهم وتنافسهم فى أدائه

لما دالت دولة العلم فى بغداد والعراق . وأبيدت كتبه ومؤلفاته . وامتلك التتار هذه البلاد التى عاشت زمنا طويلا منارا للإسلام وكعبة للمسلمين ، واستشرى خطر الوثنية من ناحية ، والنصرانية من ناحية أخرى ، رأى العلماء أنهم إزاء مسئولية تاريخية كبرى ، تقتضيهم القيام بواجب نشر الدين وتجديد العلم ، وجمع شتات المعارف ، وتضمينها كتبا طارفة تكون عوضا عما أبيد ، وصدى لما فقد . ورأوا أنهم إذا لم يغذوا السير فى ميدان التدوين ، ولم يثبتوا بالتصنيف ما تعيه قرائحهم

وتحفظه صدورهم ، أثموا فى حق الدين والعلم إثما لا يغتفر ، وأحرجوا أمام التاريخ ؟ وألقيت على كاهلهم تبعة بتر السلسلة العلمية .

شعر العلماء بهذه المسئولية ورهبتها . فامتلأت قلوبهم حماسة ، وفاضت نفوسهم تحفزا إلى القيام بالواجب الذى هيأته لهم الأقدار ، والاضطلاع بالمسئولية التى اختارتهم العناية لأدائها . فقاموا بذلك قياما مشكورا ، وسعوا إليه سعيا حميدا ، وأشاعوا حركة إحياء علمية جليلة، على الرغم من كل الملابسات والعقبات التى تعوق النهوض وكان بينهم فى هذا المجال تنافس شديد كان له أثره المفيد فى هذا الإحياء ، وبخاصة فى ميدان التعليم والتأليف .

٤ ـ انصراف العناية إلى اللغة العربية

ولا شك أن مما عاون أهل العلم فى تلك الآونة عناية السلاطين باللغة العربية، عناية اضطرتهم الظروف إليها اضطرارا . فأطلقوها تجرى كما شاءت لها الأقدار فى ضبط أمور الملك والسياسة والقضاء والعلوم . وذلك لعجز لغتهم التركية أو الجركسية عن أداء ما يتطلبه هذا الملك الواسع من ضبط وأمن وربط ، ونشر تعليمات وبعث مراسلات ، وكتابة تقاليد وقضاء وتشريع . وما ذلك إلا لأنها لم تتخذ من قبل فى عصر ما ، أداة للعلوم وتدوينها ، أو التأليف فيها ، كما اتخذت العربية . فتقاصرت همتها عن أداء حاجة العصر ، لأنها لغة فقيرة . ولا سيما إذا قيست باللغة العربية الفنية بمفرداتها وتراكيبها وطرق الأداء فيها ، ومصطلحاتها . فلقد سايرت الحركات العلمية منذ نشوئها فى العصر العباسى ، وكابدت التدوين والتأليف والترجمة ، واكتسبت من وراء ذلك خبرة وقدرة ومرانة فى التعبير عن الحقائق العلمية والمعلومات والنظريات العقلية كأدق ما تؤديه لغة .

هذا إلى أن التركية لم تكن لغة الشعب المصرى ولا الشامى ، إذ ذاك ، وإن كانت لغة سلاطينه وحكامه والعربية لغة أهل العلم فيه بل وفى العالم الإسلامى أجمع تقريبا . فليس فى مكنة إنسان كائنا من كان ، أن يحول هذه الجموع الزاخرة عن

لسانها إلى لسان غيره ، إلا بإحدى الأعاجيب ، وهي التي لم يكن للماليك بها خبرة[١]

ولو راحوا يضبطون شئون ملكهم بلغتهم لأعوزتهم حيل جمة وسنين عدة، حتى ينهضوا هذه اللغة القعيدة ، ولاحتاجوا لبذل المستحيل حتى تسوى خلقا آخر جديدا يصلح لحياة العلم والأدب .

لهذا كله لووا عنان الحاجة إلى طائفة المتعممين الذين تخرجوا فى اللغة والدين ، وبرعوا فى الإنشاء والترسل ، فاتخذوا منهم بطانة ووليجة وسايروا الحالة التى سار عليها بنو أيوب من قبلهم ، فأفسحوا مجال العمل والترقى فى ديوان الإنشاء وأعمال الكتابة والضبط، للنابغين من هذه الطبقة السالفة الذكر ، حتى كانت بين أيديهم إلى حد ما ، أسرار الدولة وتسيير أحوالها والبت فى شئونها وفى ذلك كله ما فيه من التشجيع على الاشتغال باللغة وعلومها . وأكبر الظن أن السلاطين ما عنوا بفتح المدارس وإنشاء المساجد الجامعة وتقرير الدروس فيها إلا لضمان استمرار تخريج أفراد من هذه الطبقة العاملة ، التى يقع على كاهلها عبء كبير من أعباء الدولة وتصريف أمورها وضبط مشاكلها .

٥ ـ إنشاء دور التعليم ، ونظامها

لاشك أن إنشاء دور التعليم ، يعتبر سببا أساسيا وحيويا لتنشيط الحركة العلمية لما تضمه من مدرسين وطلاب . ولما يقرر فيها من دروس . وهى البيئات الطبيعية التى ينمو فيها العلم ويزدهر .

وتتمثل دور التعليم فى العصر المملوكى ، فيما أنشىء من مدارس ومساجد للمذاهب الأربعة ، وما شيد من خوانق وأربطة وزوايا للصوفية . وكان إلى جوار هذه المعاهد التعليمية مكاتب صغيرة متواضعة ملحقة بها ، تعنى بتعليم الصبية مبادىء القراءة والكتابة، وطرفا من العلوم الأولية وتحفيظ القرآن الكريم ، وتمهد للالتحاق بالمدارس الجامعة .

١ ـ اقتبسنا بعض هذه الفقرة من كتابنا : الأدب العربى من عهد الفاطميين إلى اليوم

ونشير هنا أولا إلى أن هذه المعاهد كانت بمثابة جامعات علمية عظيمة الشأن ، اعترف كثير من المستشرقين — كالسير وليم موير — أن الجامعات الأوربية الحديثة اقتبست منها نظمها . وفى رأيى أن جامعات أوربا وغيرها من جامعات العصر الحاضر ، كثيرا ما يجد طالب العلم فيها ضروبا من العقبات ، وألوانا من الصعوبات ، تقف حجر عثرة فى سبيل انتظامه فى سلكها . وتمنعه دون الأخذ بأسباب العلم الذى يشتاق إليه ويتطلع نحوه . وذلك كنفقات مالية أو رسوم معينة ، وشراء كتب ومؤلفات مرتفعة الثمن ، وكالشهادات الدراسية المشروطة ، وغير ذلك .

لكن الجامعات المصرية فى عهد المماليك لم تكن لتفرض على طلابها مثل هذه العقبات . بل كانت أبوابها مفتحة ، ومشايخها حضورا ، يفيء إليهم الجاهل والعالم على السواء ، والكبير والصغير ، ويلازمهم طالب العلم فى غدوهم ورواحهم ، ويطوف بهم ذو الرغبة فيه ، سواء المدمن العاكف ، والمتفكه المستطرف ، وهكذا . وليس هناك من غرم ولا نفقة ولا إرهاق . بل كان المشايخ والطلاب معا يجدون من صنوف البر ألوانا شتى تعينهم على طلب العلم وحبه والاستمرار فيه ، مما أوقف عليهم أو منح لهم وأهدى إليهم . وقد تزود المدارس بمساكن يأوى اليها شيوخها وطلابها[1] ونعترف أننا نشعر بما فى هذا النوع من التعليم من الفوضى والاضطراب ، وعدم النظام وقلة الدقة المطلوبة فى التعليم . كاختلاط الطلاب ، الكبير منهم مع الصغير ، والمجد مع الخامل ، وكانعدام الامتحانات التى تظهر الكفاءة ؛ وعدم التقسيم المدرسى الذى يقسم الطلاب إلى سنوات دراسية حسب كفايتهم العلمية . وغير ذلك مما يراعى فى نظم التعليم الحديث .

وكان قصارى الطالب أن يدأب على تحصيل العلم حتى يأنس فى نفسه القدرة على التصدى للفتيا أو التدريس أو الوعظ أو التأليف أو ما شاكل ذلك . فيتصدى لذلك لما أنس فى نفسه ، فإذا أجاد وأفاد ، ذاع ذكره وشاع وملأ البقاع . وأصبح

---

(١) انظر فى خطط المقريزى ج ٤ ص ٢٠٥ ما كتبه عن المدرسة النهائية

شيخا يشار إليه بالبنان ، وهذا على نحو ما كان متبعاً فى الأزهر قبل إنشاء الشهادات الدراسية والامتحانات السنوية حديثا .

ومن الحق علينا لأولئك العلماء من أهل ذلك العصر أن نذكر أن بعضهم تصدى للفتيا أو التدريس وهو فى سن العشرين أو أقل .

ومهما يكن من شيء فإن هذا الضرب من التعليم له مزايا لايستهان بها ، منها ترك الطالب لميله الخاص وقدرته الشخصية وكفاءته العلمية ، ليختار وحده شيخه وكتابه . فإذا سلك السبيل وبلغ الغاية ، سما قدره وبزغ نجمه ، وإلا نكص على عقبه فعاود طلب العلم أو انحرف إلى حرفة .

وكان ثمة مايشبه الشهادات الدراسية الحديثة . وأعنى بذلك ماسماه أهل العصر « الإجازات العلمية » ، وهى شهادات شخصية يمنحها أحد أعلام العلماء لأحد طلابه ويشهد فيها أن الطالب المذكور قرأ عليه كتاب « كذا » قراءة فهم وتدبر ومعرفة . أو أنه مهر فى الفقه مثلا وأصبح أهلا للفتيا ، وأنه أجازه بها . أى صرح له بمزاولتها . أو أنه برع فى الأدب وأصبح كفئا لرواية كتاب فيه أو ديوان . أو أنه سمع عنه جملة من أحاديث الرسول عليه السلام : ورواها عنه بسندها ، وحفظها بهذا السند ، وأنه أجاز له روايتها عنه ، باعتباره حافظا جديدا من حفاظها (١)

وقد كان يعين ـ عادة ـ لكل مادة مقررة ، شيخ ـ أستاذ ـ فيتعدد الأساتذة فى المسجد الواحد بتعدد ماقُرر فيه من المواد . وعرف بجوار ذلك نظام الاعادة ، فكان لبعض الأساتذة معيدون يعاونونهم فى عملهم الشاق . ويرقى المعيدُ من بعدُ فيصير أستاذا ، فهو أقل منزلة من الأستاذ . ومما يشعر بذلك مايلى :

قال التاج السبكى فى طبقاته ـ ج ٥ ص ٢ فى ترجمة علم الدين القمى المتوفى فى عام ٦٨٦ هـ بالقاهرة : « إنه كان معيدا بالمدرسة الظاهرية . »

وقال ابن دقاق فى كتابه « الانتصار » ج ٤ ص ٩٦ عند الكلام عن المدرسة

١ ـ انظر تراجم العلماء بعد ، واقرأ ترجمة السيوطى لنفسه فى حسن المحاضرة

الطيبرسية التى أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى عام٧٠٩ ﻫ مانصه :

« ثم وقفها مدرسة للفقهاء الشافعية والمالكية ، يُجلسون الشافعية فى الإيوان الغربى ، والمالكية فى الإيوان الشرق . ورتب من كل مذهب مدرساً ومعيدا وخمسة عشر طالبا . وقرن الإمامة لمعيد الشافعية ، والمنزلين علوها للمدرسين . وعمر مكتبا للسبيل وشرط لكل مدرس ستين درهما . ولمعيد الشافعية الإمام فى كل شهر أربعين درهما ، ولمعيد المالكية فى الشهر أربعين درهما » .. الخ.[١]

ونستطيع أن نفهم مما يذكره المؤرخون فى سياق حديثهم عن علماء هذا العصر أن ثمة نظاما فى إلقاء الدروس ، يشبه نظام المحاضرات المتبع فى الجامعات الحديثة ، فقد كان بعض العلماء « يملى مجالسه » على طلابه . قال السيوطى فى حسن المحاضرة — ج ١ ص ١٦٨ — عن الحافظ العراقى المتوفى عام ٨١٦ ﻫ : « إنه أحيا الله تعالى به سنة الإملاء . وإنه شرع فى إملاء الحديث . وإنه أملى أكثر من أربعمائة مجلس »

وقال أيضا — ج ٢ ص ١٧٠ — عن ابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ ﻫ : « إنه أملى ألف مجلس . »

ومعنى الإملاء بلغة عصرنا الحديث ، محاضرة الطلاب ومشافهتهم ، وهم يكتبون .

وعلينا أن نشير — وأشرنا[٢] من قبل — إلى أن سياسة التعليم وافتتاح المدارس لم تكن سياسة ثابتة للدولة . وإنما هى سياسة فردية مرتجلة مقيدة برغبة السلطان أو الأمير ، الرغبة العارضة الطارئة التى يدفع إليها — عادة — حب الظهور أو الزلفى إلى الله ، أو الإبقاء على بعض الممتلكات بوقفها على المدرسة المنشأة أو نحو ذلك . ومن المؤسف أن بعض المدارس كانت تعيش بعيشة منشئها يرعاها ويكفلها ويعنى بشئونها ، فإذا مات ، لحقها البوار ، ولعبت يد العبث فى أوقافها ، وانتابها الإهمال من كل مكان ، حتى يعفى أثرها ويزول خبرها .

(١) انظر أيضا ما كتبه المقريزى عن المدرسة الصالحية ، خطط ج ٤ ص٢٠٩

(٢) اقرأ ما كتبناه عن التعليم فى كتابنا هذا ج ١ قسم ٢ ص ٢٩٨

ويرجع الفضل فى تأسيس المدارس فى مصر إلى الفاطميين، فإنهم بنوا الجامع الأزهر، ثم جامع الحاكم، وأقاموا المجالس التى تدرس فيها مذاهبهم الدينية. وقفى على آثارهم صلاح الدين الأيوبى ورجال أسرته من بعده، فافتتحوا عددا كبيراً من المدارس، وإن أتوا على مذهب الفاطميين الشيعى، ومكنوا لمذاهب أهل السنة.

وقد اقتدى المماليك بهؤلاء وهؤلاء، فاستبقوا كثيراً مما أسسه أسلافهم، وأخذوا، جيلا بعد جيل، فى إنشاء عدد جديد من دور التعليم حتى امتلأت بها القاهرة على رحبها. وكذلك الأسكندرية. ومنها ما أنشأه السلاطين أو الأمراء أو العلماء والرؤساء.

ولم يقتصر إنشاء دور التعليم الجامعة على العاصمة والثغر، بل أنشىء عدد منها فى المدن المصرية الأخرى، فكانت كلها بيئات علمية جليلة تخرج فيها كثير من أفذاذ العلماء.

قال ابن دقاق فى كتابه « الانتصار » ـ ج ٥ ـ يذكر المدارس المصرية المنشأة فى غير القاهرة والإسكندرية، ما ملخصه:

« كان فى منية بنى خصيب مدارس للشافعية والمالكية. وفى مير و القوصية مدرستان. وفى منفلوط عدة مدارس. وفى أسيوط عدة مدارس، وفى بوتيج عدة مدارس. وفى إخميم عدة مدارس. وفى سوهاج عدة مدارس، وفى قوص ستة عشر مكانا للتدريس. وفى إسنا مدرستان. وفى الأقصرين مدرسة. وفى أسوان ثلاث مدارس. وفى بلبيس مدارس. وفى دمياط عدة مدارس. وفى المحلة عدة مدارس. وفى دمنهور عدة مدارس، وفى رشيد كتاب للأيتام ».

وإذا أضفنا إلى عدد هذه المدارس التى تدرس بها المذاهب الأربعة والحديث وغيرها من العلوم الشرعية والعربية، ما أنشىء من الزوايا والربط والخوانق التى كانت مباءات للصوفية وعلومها، وجدنا أمامنا عددا ضخما من المعاهد العلمية المختلفة الألوان.

قال أمين باشا سامى فى كتابه تقويم النيل : ج ١ ص ٢٠٢ ، « ومجموع ماشيده حكام مصر للتعليم من أول الفتح الإسلامى إلى عصر المقريزى وابن دقماق ، من مدارس وجوامع ومساجد وزوايا وربط وخوانق ١٥٥ » .

وقد توفى ابن دقماق فى عام ٨٠٨ هـ ، وتوفى المقريزى عام ٨٤٥ هـ ، وقد أنشىء من بعدهما عدد جديد من دور التعليم ، فقد أنشأ الغورى مثلا جامعه ومدرسته بالشرابشيين وأنشأ قايتباى من قبله مدرسة بالإسكندرية . غير مدارس كثيرة أخرى أنشأها فى أماكن متعددة كبيت المقدس ، ومكة ، ودمشق .

ولا ننسى بهذه المناسبة أن نذكر أن حكام مصر لم يتقصروا فى إنشاء المدارس والمساجد فى الأرجاء الأخرى من أمبراطوريتهم الواسعة كبلاد الشام والحجاز . وأن التعليم فيها كان يسير على نمط من التعليم فى مصر .

هذا . وقد جرت العادة بافتتاح المدارس باحتفال يتفاوت فى عظمته وأبهته بتفاوت أقدار المؤسسين . فيتقدم السلطان أو الأمير المنشىء مثلا ، فى ركب ، ويتصدر مجلسا بالدار المفتتحة ، ويشرع أحد شيوخها فى إلقاء درسه فقها أو حديثا . ثم تمنح المنح وتهدى الهدايا . وتمد الموائد وقد يلقى بعض الشعراء أبياتا مناسبة للمقام . وسنشير إلى شىء من ذلك بعد .[١]

وقد عنى ابن دقماق والمقريزى والسيوطى وابن إياس ، بذكر المساجد ودور التعليم من أول إنشائها إلى عهدهم ، على اختلاف بينهم فى طريقة العرض . ونحن هنا ننقل عنهم أخبار بعض هذه المدارس على سبيل المثال . وبخاصة مابنى منها فى العصر المملوكى ، أو ظل على ازدهار الدراسة فيه إلى العصر المذكور ، مهتمين بذكر أخبارها فى هذا العصر أكثر من سواه . معتمدين فى أكثر مانتقل على ما دونه المقريزى فى خططه[٢] . فنقول :

---

(١) انظر المدرسة الظاهرية والأنبغاوية والصرغتمشية ومدرسة الأمير جمال الدين

(٢) اعتمدنا فى أخبار هذه المدارس على الخطط المقريزية ج ٤ . لذلك اكتفينا بذكر أرقام الصفحات من هذا الجزء . وإذا نقلنا عن غيره نصصنا عليه .

١ — جامع عمرو:

أسسه عمرو بن العاص فاتح مصر، عام ٢١ هجرية فى الفسطاط . ولا يزال ماثلا فيها حتى اليوم . وعنى بأمره منذ تأسيسه كثيرون من ولاة مصر وقضاتها وأمرائها وسلاطينها . وهو أول مسجد أسس بالديار المصرية، ويقال له أيضا : الجامع العتيق .

ومن عنى به فى عصر المماليك : القاضى تاج الدين بن بنت الأعز ، فقد أصلح ما مال منه ، وهدم بعض غرفه وأبطل فسقيته التى كان الماء يصل إليها من النيل، بحجة أن ماءها المجلوب يضر بجدران المسجد . ومنهم السلطان الظاهر بيبرس ، فقد أمر بترميم ما تهدم منه وتجديد بعض أجزائه ومحتوياته وذلك فى رجب عام ٦٦٦ هـ . ومنهم السلطان المنصور قلاوون ، فقد جدده فى عام ٦٨٧ هـ . ومنهم الأمير سلار نائب السلطنة ، فقد جدده عقب زلزال عام ٧٠٢ هـ . وجدده كذلك رئيس التجار برهان الدين إبراهيم بن عمر عام ٨٠٤ هـ فى عهد الظاهر برقوق .

هذا ، وقد سعدت مصر منذ إنشاء هذا الجامع بضروب من الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وتخرج فيه كثير من البلغاء والأدباء .

وتجد حديثا ممتعا عنه فى الخطط ج ٤ ص ٤ ، وحسن المحاضرة ج ١ والانتصار ج ٤

٢ — جامع ابن طولون (١)

هو الجامع المشهور بالقاهرة ، فى طريق العابر بين حى السيدة زينب والقلعة بناه أحمد بن طولون بالقطائع عام ٢٦٣ هـ . وفرغ من بنائه عام ٢٦٦ هـ . وقد لبث هذا الجامع منارة كبرى تشع نور العلم والعرفان فى مصر زمنا طويلا .

ومن عنى به فى العصر المملوكى : السلطان لاجين ، فإنه قبل سلطنته عام ٦٩٦ هـ قتل الأشرف خليل بن قلاوون سلطان البلاد، ثم هرب واختفى فى منارة هذا الجامع،

---

١ ـ يوجد عن هذا الجامع كلام طويل فى كل من حسن المحاضرة والخطط المقريزية . وفصل ابن دقماق فى « الانتصار » ج ٤ ص ١٢٢ الحديث عنه وعن عمارته وللأستاذ محمود عكوش كتاب مطبوع سنة ١٣٤٦ هـ . ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ـ تكلم فيه عنه وعن ابن طولون وحروبه .

فنذر لله إن نجاه من هذه الفتنة ليعمرنه . فنجاه الله ، وآلت إليه سلطنة مصر . فأمر بتجديد هذا الجامع ، وفوض هذا الأمر إلى الأمير « علم الدين سنجر الزينى » فعمره . ووقف عليه لاچين أوقافا ثمينة . ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقة ، على المذاهب الأربعة ، والقراءات والطب والميقات .

قال ابن دقماق « إن لاچين وقف على هذا الجامع وقفا يختص بالديكة تكون على سطحه فى مكان مخصوص بها لتعين المؤذنين على الأوقات » . ونقل السيوطى عنه ذلك .

وممن قام فيه بتدريس الطب : شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصرى المتوفى عام ٧٧٦ هـ .

وممن تولى نظره بعد تجديده : الأمير علم الدين سنجر العادلى دوادار السلطان لاچين . ثم وكل أمره إلى القضاة . وممن تولاه منهم : بدر الدين بن جماعة ، آنا ، وعز الدين بن جماعة آنا آخر . وبعد مدة وكل أمره ثانية إلى الأمراء فتولاه : الأمير صرغتمش ، ثم الجاى اليوسفى ، ثم قطلوبغا الصفوى . ثم عادت وكالته إلى القضاة مرة أخرى .

(٣٦ — وحسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٦٢ - والانتصار ج ٤ ص ١٢٢)

٣ — الجامع الأزهر

هو ذلك الطود الأشم والحصن المنيع ، والركن المتين ، والعضو القوى الذى وجد فيه الدين الحنيف واللغة العربية أكبر معين على البقاء . وكما شاء الله أن تقوم القاهرة مقام بغداد بعد محنتها عام ٦٥٦ هـ ، فيحيا فى ربوعها العلم والدين واللغة ، شاء أيضا أن يقوم الأزهر وسطها ، ويبقى حقبا طويلة منارا للدين ، وحياة للغة ، حتى بعد محنة القاهرة عام ٩٢٣ هـ . وظل وصلة صالحة بين علم الماضين ، وعلم الحاضرين .

وقد بناه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، أثناء بناء القاهرة .

وبُدىء فى ذلك البناء فى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى عام ٣٥٩ هـ ، وتم بناؤه فى رمضان عام ٣٦١ هـ ، وصليت به أول جمعة لسبع خلون منه .

وقيل إن الفضل فى بنائه يعود إلى جوهر . فهو صاحب الاقتراح بذلك . أغرى به سيده المعز ليكون لهما أثرا خالدا يذكر الناس بهما أبد الدهر ، ولينافسا به جامع عمرو ، وجامع ابن طولون . وليكون مثابة يفد إليها المتشيعون يدرسون مذهبهم على علمائه ومباءة تنتشر منها جراثيم هذا المذهب فى أرجاء البلاد .

وظل الجامع الأزهر يقوم برسالته العلمية فى عهد الفاطميين ، وإن شابها مذهب التشيع ، حتى آل الأمر إلى الأيوبيين . فأبطل صلاح الدين خطبة الجمعة فيه اكتفاء بها فى جامع الحاكم ، وأبطل تدريس المذهب الشيعى ، وظل الجامع مفتوحا لما عدا ذلك من صلاة ودراسة .

والجامع الأزهر ثالث المساجد العظيمة التى بنيت بمصر بعد الفتح العربى . وقد عنى به كثير من خلفاء الفاطميين وسلاطين آل أيوب والمماليك وأمرائهم ، لما ناله فى عالم الدراسة من سمعة طيبة ، ولما حازه من مركز دينى عظيم . وقد أكسبه موقعه وسط القاهرة وعلى مقربة من مساكن الأمراء والرؤساء حينذاك أهمية كبرى ، إذ صرفوا إليه كثيرا من عنايتهم . وله فى التاريخ الحديث مكانة حافلة إذ تحول إلى جامعة دينية علمية إسلامية كبرى . ومن مظاهر العناية به فى العصر المملوكى ما يلى :

١ — فى سنة ٦٦٥ هـ جدده الأمير عز الدين إيدمر الحلى ، بعد استئذان السلطان الظاهر بيبرس ، فاكتتبا واكتتب معهما كثير من الأعيان بطائفة من المال . فأقيمت جدره الواهية ، وأعلى سقفه وطلى وفرش . وبنيت به مقصورة ، ورتب بعض الدروس الدينية . وأعيدت إليه صلاة الجمعة وخطبتها ، بناء على رغبة من السلطان ، وفتوى من قاضى قضاة الحنفية ، بعد عطله من الخطبة نحوا من مائة عام ، بناء على أمر صلاح الدين الأيوبى ، وفتوى قاضيه الشافعى صدر الدين بن درباس .

٢ — وفى سنة ٧٠٢ هـ . أصاب مصر زلزال شديد تهدم على أثره بعض المساجد

فهب الأمراء يتقاسمون إصلاحها . فكان إصلاح الأزهر من نصيب الأمير سيف الدين سلار ، فجدد مبانيه .

٣ — وفى سنة ٧٦١ هـ ، فى عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، استأذنه الأمير سعد الدين بشير الجمدار الناصرى فى إصلاح الأزهر ، فنزع كثيرا من مقاصيره التى كانت قد ضيقت من سعته ، وأقام جدرانه وسقفه و بيضه وبلطه، حتى عاد جديدا . وأنشأ ببابه القبلى موردا ومكتبا يحفظ به الأيتام القرآن الكريم. وخصص طعاما يوميا لفقراء المجاورين به ، وأقام شيخا يدرس فقه الأحناف للطلاب . ثم أوقف على ذلك كله أوقافا واسعة .

٤ — ومنذ عام ٨٠٠ هـ ، فى عهد السلطان برقوق وابنه فرج ، أقيمت منارته عدة مرات . وبنى له صهريج للمياه وميضأة .

٥ — وفى عام ٩٠١ هـ ، أنشأ الأشرف قايتباى ميضأة جديدة فى وسطها حوض بديع وموردا للماء ومكتبا .

٦ — وفى عام ٩٠٢ هـ أنشأ الأشرف الغورى منارته ذات الرأسين ، ومنحه كل سنة ٦٧٠ دينارا و ١٠٠ قنطار من العسل و ٥٠٠ إردب من القمح .

وقد ازدهرت الدراسة فى الجامع الأزهر فى عصر المماليك أيما ازدهار ، لما وهبوا له من عناية ، وما أغدقوا عليه من أرزاق . لذلك أمه كثير من الطلاب على اختلاف أوطانهم . وكانوا عنه لسان صدق، ورسل حق، إذا عادوا إلى بلادهم ذكروا بالخير مصر وسلاطينها ، وكسب الجامع شهرة عظيمة من وراء ذلك ، ينعم بالتمتع بها حتى اليوم ، ويجهد فى المزيد منها .

وأهم ما كان يدرس به علوم الدين ومذاهبه الأربعة والحديث واللغة والأدب والوعظ . وتخرج فيه كثير من الفطاحل . ومما يذكر أن السلاطين كانوا يلون أمره بأنفسهم ، ويعنون بانتقاء شيوخه ومدرسيه وخطبائه ، وكثيرا ما كانوا يؤمونه لأداء صلاة الجمعة .

ولا بأس من إيراد بعض ما رواه المقريزى عنه ، قال ما يفهم منه أنه حتى عام ٨١٨ هـ كان بهذا الجامع عدد كبير من الفقراء المنقطعين لطلب العلم يبلغ عددهم ٧٥٠ رجلا ، وهم ما بين عجم وزيالعة ، ومن أهل ريف مصر ومغاربة . ولكل طائفة رواق يعرف بهم .

وقال : « فلا يزال هذا الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه . والاشتغال بأنواع الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر » .

وقال : « يجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله والارتياح وترويح النفس مالا يجده فى غيره . وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى . وكل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات ، لاسيما فى المواسم » .

(٤٩ ـ حسن المحاضرة . ج ٢ ص ١٥٤)

٤ ـ جامع الحاكم :

أسسه العزيز بالله الفاطمى ، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله . وتمت عمارته فى عام ٣٩٣ هـ ، وأوقف عليه الحاكم بأمر الله أوقافا واسعة وأسواقا .

ولما تهدم إثر زلزلة عام ٧٠٢ هـ جدده الأمير « بيبرس الجاشنكير » ورتب فيه دروسا على المذاهب الأربعة . ودرسا فى الحديث ، ودرسا فى النحو ، ودرسا فى القراءات . ووقف عليه أوقافا عدة وكان بجانبه مكتب لتعليم الأيتام وتحفيظهم القرآن الكريم . ص ٥٥

٥ ـ المدرسة الصلاحية :

أنشأها صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٢ هـ بجوار قبة الشافعى . وجعل بها مدرسين ومعيدين . وبلغ عدد المعيدين بها أحيانا عشرة . وقد عاشت هذه المدرسة فى العصر المملوكى مدة طويلة . (حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٧)

٦ ـ المدرسة القمحية :

أنشأها صلاح الدين الأيوبى بجوار جامع عمرو ، عام ٥٦٦ هـ ، وخصصت

لفقهاء المالكية وهى أفضل مدارسهم . وعرفت بالقمحية نسبة إلى ما كان يرسل من القمح إلى فقهائها ، من ضيعتها الموقوفة عليها بالفيوم . وعند إنشائها أوقفت عليها الأوقاف ، ورتب عليها المدرسون . قال المقريزى : «وقد أحاط بها الخراب ، ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدثرت .» وفى شعبان عام ٨٢٥ هـ أخرج السلطان الأشرف برسباى بعض أوقافها عنها .

(ص ١٩٣ ـ الانتصار ج ٤ ص ٩٥)

٧ ـ مدرسة العادل أو مدرسة ابن شاس :

أنشأها الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، أخو صلاح الدين الأيوبى . وهى من مدارس المالكية . وممن درس بها قاضى القضاة تقى الدين بن شاس ، قال المقريزى «فعرفت به . وقيل لها مدرسة ابن شاس إلى اليوم . وهى عامرة» .

ص ١٩٥

٨ ـ المدرسة السيوفية :

أسسها صلاح الدين الأيوبى ، وتقع بالقاهرة بجوار سوق السيوفيين ، فعرفت بالسيوفية : «قال المقريزى : «وهذه المدرسة هى أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر ، وهى باقية بأيديهم» ص ١٩٧

٩ ـ المدرسة الفاضلية :

أنشأها بدرب ملوخيا بالقاهرة ، القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى ، الكاتب المنشىء المشهور ، بجوار داره ، عام ٥٨٠ هـ . ورتب فيها دروسا للقراءات وفقه الشافعية والمالكية . وأوقف عليها نحو مائة ألف مجلد فى مختلف العلوم . وظلت مفتحة الأبواب فى عصر المماليك ، حتى وقع الغلاء عام ٦٩٤ هـ فى عهد السلطان كتبغا المنصورى . فعبث طلابها ومدرسوها بما أوقف عليها من الكتب ، دفعا للحاجة . قال المقريزى «وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها . وقد تلاشت لخراب ما حولها .» .

ص ١٩٧

١٠ ـ المدرسة الصالحية :

كانت تقع بخط بين القصرين [1] بالقاهرة . أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ابتداء من سنة ٦٣٩ هـ . وتتكون من أربع مدارس معا ، واحدة لكل مذهب من المذاهب الأربعة . وهى أول مدرسة أنشئت على هذا النمط . وأوقف عليها منشؤها أوقافا .

وقد اهتم بشأنها فى العصر المملوكى الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الظاهر بيبرس ، وأضاف إليها أوقافا جديدة بنواحى متعددة ، منها أماكن بالقاهرة والمحلة بالغربية ، وبالجيزة . ورتب بها أربعة من المدرسين ، لكل مدرس معيدان وعدة طلبة . وعين له جميع من يحتاج إليهم من خدم دائمة ومؤذنين وذلك فى عام ٦٧٧ هـ . قال المقريزى : وهى جارية فى وقفها إلى اليوم »

وممن اهتم بها الأمير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك . إذ رتب لها جمال الدين الغزاوى خطيبا بقسم الشافعية وجعل له فى كل شهر خمسين درهما . وأضاف إليها أوقافا جديدة وذلك فى عام ٧٣٠ هـ . قال المقريزى : « فاستمرت الخطبة هناك إلى يومنا هذا » . .

والسيوطى (٩١١ هـ) قال عن هذه المدرسة نقلا عن المقريزى : « وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة إلا أنها قد تقادم عهدها فرثت » . ولم نجد العبارة المذكورة فيما رواه المقريزى . ونعتقد أن السيوطى نقلها عنه فيما رواه فى الخطط عن المدرسة الظاهرية ، التى نذكرها بعد . كما نقل عنه فى أخبار تلك المدرسة « الصالحية » أنباء افتتاح « الظاهرية » وما أنشد فيه من الشعر ، على اعتبار أنه قيل فى افتتاح الصالحية . والمقريزى هنا أوثق وأصدق لسبقة على السيوطى ولأن السيوطى ينقل عنه . ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ـ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩

(١) كتب المقريزى فصلا ممتعا عن هذا الخط فى الخطط ج ٣ ص ٤٤ ، وذكر عنه أنه كان ملهى من ملاهى القاهرة يكثر فيه الزحام كثرة مضنية للمارة وأن الناس كانوا يسيرون فيه إلى يسارهم دائما تلافيا للاصطدام ، وظل زمنا على هذا الحال إلى عصر المؤلف .

١١ ـ المدرسة الكاملية :

كانت منشأة بخط بين القصرين كذلك . أسسها الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن العادل الأيوبي في سنة ٦٢٢ هـ . وتعرف بدار الحديث ، وهي ثانية الدور التي بنيت لرجال الحديث بخاصة . والأولى بناها العادل نور الدين بن زنكي بدمشق .

وقد أوقف الملك الكامل على هذه المدرسة أوقافا عدة وظلت عامرة برجالها وبطائفة من المدرسين المشتغلين بالحديث حتى عام ٨٠٦ هـ . ومنذ ذلك العام ولي أمرها من لم يحسن القيام به ، فأخذت في الزوال .

ص ٢١١

١٢ ـ المدرسة المعزية : عمرها السلطان عز الدين بن أيبك الجاشنكير أول ملوك الدولة البحرية وذلك عام ٦٥٤ هـ ، ودرس بها الصاحب برهان الدين السنجاري ثم شمس الدين الجزري ثم نجم الدين أحمد بن الرفعة ثم جمال الدين بن الزرعي .

الانتصار ج ٤ ص ٩٢

١٣ ـ المدرسة الظاهرية :

كانت منشأة بخط بين القصرين أيضا . ومنشؤها الملك الظاهر بيبرس البندقداري . قال المقريزي : « ابتدئ في عمارتها في ٢ ربيع الآخر سنة ٦٦٠ هـ . وقال السيوطي في سنة ٦٦١ هـ . واتفقا على أن بناءها قد تم في سنة ٦٦٢ هـ .

ويسميها السيوطي « المدرسة الظاهرية القديمة » تمييزا لها عن « المدرسة الظاهرية » التي أنشأها الملك الظاهر برقوق عام ٧٨٦ هـ .

وقد عني الظاهر بيبرس بهذه المدرسة أكبر عناية . وأوقف عليها أوقافا كثيرة وألحق بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم . وبنى بجانبها مكتبا لتعليم الأيتام القرآن الكريم وأجرى عليهم الطعام والشراب . ورتب بها دروسا في المذاهب الأربعة والقراءات .

وعندما تم تشييدها افتتحها بيبرس باحتفال شائق ، تناظر فيه العلماء ، وتبارى الشعراء ، ومدت الموائد الحافلة . وكان شعراؤها ثلاثة : أبو الحسين الجزار ، والسراج الوراق . وجمال الدين يوسف بن الخشاب .

فقال الجزار :

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك همة بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنى
تجمع فيها كل حسن مفرق فراقت قلوبا للأنام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه النقية منهـا فى سرور وفى هنا
وما هى إلا جنة الخلد أزلفت له فى غد فاختار تعجيلها هنا

ومن أبيات الوراق :

مليك له فى العلم حب وأهله فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا عراق إليها شيق وشآم
ولاتذكرن يوما نظامية[1] لها فليس يضاهى ذا النظام نظام
ولا تذكرن ملكا فبيبرس مالك وكل مليك فى يديه غلام
ولما بناها زعزعت كل بيعة متى لاح صبح فاستقر ظلام ؟
وقد برزت كالروض فى الحسن أنبأت بأن يديه فى النوال غمام
ألم تر محراباً كأن أزاهرا تفتح عنهن الغداة كمام

وقال جمال الدين يوسف بن الخشاب :

قصد الملوك حماك والخلفاء فافخر فإن محلك الجوزاء
أنت الذى أمراؤه بين الورى مثل الملوك وجنده أمراء
ملك تزينت الممالك باسمه وتجملت بمديحه الفصحاء
وترفعت لعلاه خير مدارس حلت بها العلماء والفضلاء
يبقى كما يبقى الزمان وملكه باق له ولحاسديه فناء
كم للفرنج وللتتار ببابه رسل مناها العفو والإعفاء

---

١ — يشير الشاعر إلى المدرسة النظامية المشهورة ببغداد .

وطريقة لبلادهم موطوءة　　وطريقهم لبلاده عذراء
دامت له الدنيا ودام مخـــلدا　　ما أقبل الإصباح والإمساء

فلما فرغوا من إنشادهم أفيضت عليهم الخلع .

قال المقريزى : « وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة ، إلا إنها قد تقادم عهدها فرثت : وبها إلى الآن بقية صالحة ونظرها تارة يكون بيد الحنفية ، وأحيانا بيد الشافعية . وينازع فى نظرها أولاد الظاهر فيدفعون عنه ولله عاقبة الأمور »

ص ٢١٦ — حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠

١٤ — المدرسة المنصورية :

كانت بخط بين القصرين أيضا . أنشأها تجاه المارستان داخل بابه ، الملك المنصور قلاوون ، على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى . ورتب بها دروسا فى المذاهب الأربعة ، ودرسا فى الطب ، كما رتب بقبته المجاورة لهذه المدرسة درسا فى الحديث ، ودرسا فى تفسير القرآن الكريم ، وميعادا للوعظ . وعُنى باختيار مدرسيها عناية تامة . وزودت بخزانة كتب .

قال السيوطى : « وقد مدحه الشرف البوصيرى لذلك بقصيدة أولها :

أنشأت مدرسة ومارستانا　　لتصحح الأديان والأبدانا

ويبدو أنها كانت فى أيام المقريزى على غير مايُرجى لها وتولى أمرها من ليس قمينا به قال :

وكانت هذه التداريس لايليها إلا أجل الفقهاء المعتبرين . ثم هى اليوم كما قيل :

تصدر للتدريس كل مهوس　　بليد يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا　　ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها　　كلاها وحتى سامها كل مفلس

ومما يذكر أن الأمير أرغون العلائى زوج أم الملك الصالح اسماعيل بن الناصر

ابن قلاوون ، رتب بالعتبة المنصورية أيضاً دروسا فى المذاهب الأربعة ، عرفت بدروس وقف الصالح . وذلك أن الصالح المذكور أراد بناء مدرسة فمات قبل أن يبلغ مأربه . فاستبدل بها زوج أمه الأمير أرغون ، هذه الدروس فى القبة . وأوقف عليها أوقافا . وزاول قضاة القضاة تدريس هذه الدروس زمنا ، ثم زاوله غيرهم .

ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠

١٥ — المدرسة الصاحبية البهائية :

كانت بزقاق القناديل بمصر قرب جامع عمرو بن العاص . أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حِنَّا عام ٦٥٤ هـ . وكان زقاق القناديل إذ ذاك أكثر أحياء مصر عمرانا وسكانا ، وكان يسكنه الأشراف ويعلقون القناديل على أبواب منازلهم . وقد توفى هذا الوزير فى مستهل ذى الحجة عام ٦٧٧ هـ بعد أن وقف على مدرسته جملة أوقاف . وخصص لها خزانة كتب ثمينة .

وأول من درس بهذه المدرسة الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير بهاء الدين ، وعدد آخر من أبنائه ، ووليها أبناؤه أيضاً بالنظر ابنا بعد آخر حتى عام ٨١٣ هـ . وفى العام المذكور توفى آخر من وليها منهم وهو شمس الدين محمد بن بهاء الدين ، فاستولى بعض نواب القضاة على ما بقى لها من وقف ، ولم ترع مصالحها فعطلت الدراسة بها ، وبعثرت خزانة كتبها ، وأخذ أمرها فى الزوال .

قال المقريزى : « وكانت من أجل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر ، يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول إليها ، ويتشاحنون فى سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ، ثم تلاشى أمرها »

ص ٢٠٥

١٦ — القبة المنصورية .

كانت تجاه المدرسة المنصورية السالف ذكرها ، داخل المارستان المنصورى بخط بين القصرين بالقاهرة . بناها المنصور قلاوون وجعلها خاصة لنفسه ، وأبدع ما شاء فى زخرفتها . وقد أعدت لتكون مقبرة له . ودفن بها هو وبعض أبنائه . وكان ابتداء عمارة المارستان والقبة والمدرسة عام ٦٨٢ هـ

وقد رتبت فى هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة ، ودرس فى الحديث ، وآخر فى التفسير ، ودروس فى الوعظ ، وعدة من المدرسين والمعيدين والقراء ، وزودت بخزانة كتب عظيمة الشأن . وأسس بجوارها مكتب لتحفيظ القرآن الكريم . وأوقفت على ذلك كله أوقاف عدة مختلفة ، وأجريت المرتبات على موظفيها . وكذلك عنى بتزويدها بما تحتاج إليه من أدوات وأثاث وماإلى ذلك

٤ خطط ص ٢١٨ ، ٢٦١

١٧ ـ المارستان المنصورى :

كان يقع بين القصرين . بناه المنصور قلاوون عام ٦٨٢ هـ . وهو بناء ضخم فسيح الأرجاء يحتوى على مستشفى للمرضى ومدرسة للطب . وهو من أعظم المؤسسات التى خلدت ذكر المنصور ، ومن أهم دور التعليم بمصر حينذاك . ويندر أن تجد له نظيرا فى تلك العصور الخالية .

وقد أنفق المنصور فى سبيل انشائه هو والمدرسة والقبة أموالا طائلة . وأوقف عليها نحو ألف ألف درهم سنويا .

ويقال فى سبب إقدام المنصور على بنائه ، أنه توهم مرة أن العامة خالفت أمره ، فأطلق فيهم مماليكه ، فأثخنوا فيهم وقتلوا وجرحوا ماشاءوا ثلاثة أيام . ثم كف عنهم بشفاعة بعض العلماء . وعاد فندم وقدم ، هذا المارستان قربانا لله تكفيرا عن ذنبه . ويقال إنه لما مرض فى بلاد الشام حينما كان أميرا بها على عهد الظاهر بيبرس ، عولج بأدوية جلبت من مستشفى نور الدين ، ثم شفى . فنذر لله إن آتاه الملك أن يبنى مارستانا .

وكان هذا المارستان ينقسم إلى جملة أقسام : منها قسم للحميات ، وآخر للرمد ، وآخر للجراحة ، وآخر للأمراض النسوية ، وآخر للإسهال . وجهز بصيدلية تطبخ فيها أنواع الأدوية . وزود بما يحتاج إليه من أدوات وأسرة وموظفين . وأسست به قاعة تلقى بها دروس الطب ، وضمت إليه خزانة كتب قيمة .

٤ خطط ص ٢٥٩

١٨ ـ المدرسة الناصرية :

تقع بخط بين القصرين شرق القبة المنصورية. بدأ بناءها الملك العادل كتبغا المنصوري. ثم خُلع قبل تمامها. وتولى مكانه الناصر محمد بن قلاوون، فأكمل بناءها عام ٧٠٣ هـ: وقد عني بزخرفتها وتزويدها بالرخام البديع. ووضع لها باب منه دقيق الصناعة. أصله باب إحدى كنائس عكا: نقل إلى مصر بعد أن هدم الأشرف خليل بن قلاوون أسوارها.

وقد أوقف لها الناصر بن قلاوون ماشؤها أوقافا عـــدة، ونظم بها حركة التدريس. فقرر درسا يلق لكل من المذاهب الأربعة. وأجرى على مدرسيها وطلبتها الأرزاق الوفيرة. ورتب بها إماما يؤم الناس في الصلوات الخمس: وزودها بدار كتب جليلة.

قال المقريزي: «وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة إلى الغاية، يجلس بدهليزها عدة من الطواشية، ولا يمكن غريبا أن يصعد إليها. وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر في كل شهر، لكل واحد منهم نصيب. ويفرق عليهم لحوم الأضاحي في كل سنة. وقد بطل ذلك، وذهب ما كان لها من الناموس. وهي اليوم عامرة من أجل المدارس».

وهذه المدرسة غير «المدرسة الناصرية» التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي بجوار الجامع العتيق عام ٥٦٦ هـ وجعلها وقفا على الشافعية والتي تعرف «بالمدرسة الشريفية» أيضاً، نسبة إلى الشريف القاضي شمس الدين الأرموي الذي اشتغل بالتدريس فيها زمنا

وهي أيضا غير «المدرسة الناصرية» التي أنشأها صلاح الدين كذلك بجوار قبة الشافعي، وسيأتي ذكرها.

ص ١٩٣، ٢٢١، ٢٥١ ـ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠

١٩ ـ المدرسة القطبية :

في أول حارة زويلة. أنشأتها السيدة عصمة الدين مؤنسة خاتون المولودة عام ٦٠٣ هـ: والمتوفاة عام ٦٩٣ هـ ونسبت إلى الملك الأفضل قطب الدين أحمد: شقيق

مؤسستها هذه، التي كانت مولعة بحب الحديث وروايته ، فأسستها وأوقفت عليها أوقافا ، وجعلتها مدرسة للشافعية والحنفية . قال المقريزي « وهي إلى اليوم عامرة » . وقال « وكان وقفها في سنة ٦٠٥ » هـ وفيه نظر ، فلعلها سنة ٦٥٠ هـ .

ص ٢٠٠ ، ٢٣٧

٢٠ ـ المدرسة الخروبية :

كانت تقع في مدينة مصر [١] ـ مصر القديمة ـ على شاطىء النيل . أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين الخروبي المتوفى عام ٧٨٥ هـ ، وأوقف عليها أوقافا ، ورتب بها مدرسا للحديث .

ص ٢٠١

٢١ — المدرسة الفارقانية :

كانت تقع في القاهرة بجوار سويقة حارة الوزيرية . أنشأها الأمير « شمس الدين آق سنقر الفارقاني السلحدار » وفُتحت في يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ ، وخصص فيها درس للشافعية وآخر للحنفية .

وهذه المدرسة غير المدرسة الفارقانية التي أسسها الأمير « ركن الدين بيبرس الفارقاني » خارج باب زويله بين حدوة البقر وصليبة جامع ابن طولون .

ص ٢٠١ ، ٢٤٨

٢٢ — المدرسة الخروبية :

هي غير المدرسة الخروبية السالفة الذكر — رقم ٢٠ — كانت واقعة في ظاهر مدينة مصر ، تجاه المقياس بخط كرسي الجسر . أنشأها بعد عام ٨٥٠ هـ بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي التاجر المتوفى عام ٧٦٢ هـ . ورتب بها مدرسا للفقه ، ومعيدا له . وشرط ألا يلي وظائفها أحد من الأعاجم بل من العرب .

ص ٢٠٢

ملحوظة : هناك ثلاث مدارس تعرف « بالخروبية » الأولى أنشأها تاج الدين الخروبي ، والثانية أنشأها بدر الدين الخروبي ـ وقد ذكرناهما ـ والثالثة أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين الخروبي المتوفى في عام ٧٧٦ هـ ، قبل تمامها .

ص ٢٠٣

---

(١) يقصد بمصر في هذه المواقع ، مصر القديمة حيث بنى عمرو بن العاص فسطاطه وجامعه الشهير

٢٣ — المدرسة الحجازية

أنشئت برحبة باب العيد [1] بالقاهرة بجوار قصر الحجازية ، وهى السيدة خوندتتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر بن قلاوون وهى زوجة الأمير بكتمر الحجازى . وكان إنشاؤها عام ٧٦١ هـ ورتبت بها درسا للشافعية ، ودرسا للمالكية ، وإماما . وزودتها بخزانة كتب . وبنت لنفسها بجوار هذه المدرسة قبة رتبت بها عدة من القراء يتلون القرآن الكريم . وألحقت بها مكتبا يتعلم فيه الأيتام القرآن الكريم على معلم خاص . وأجريت عليهم الأطعمة والأكسية فى مناسبات كثيرة . وأوقفت المؤسسة على ذلك كله أوقافا كبيرة . وكان يلى أمرها أكابر الأمراء ثم أثقلها الزمان بمن وليها من الخدم .

قال المقريزى : « إن الأمير جمال الدين يوسف البجاسى أستادار السلطان الناصر فرج بن برقوق اتخذ هذه المدرسة سجنا لمن يصادره ويعاقبه . واقتدى به غيره من بعده . فزالت عن المدرسة أبهتها . ومع ذلك فهى من أبهج مدارس القاهرة إلى الآن » .

ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

٢٤ — المدرسة الطيبرسية

كانت تقع بجوار الجامع الأزهر من الناحية الغربية . أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى الذى كان نقيب الجيوش فى عهد السلطان لاجين المنصورى والذى توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٧١٩ هـ . وقد جملها وزينها بأبدع زينة وأنفق فى سبيلها مالا كثيرا ، وانتهت عمارتها فى سنة ٧٠٩ هـ . وقرر بها درسا للشافعية . ووقف عليها أوقافا عدة .

قال المقريزى : « وقد تداولت أيدى نظار السوء على أوقاف طيبرس هذا ، فخرب أكثرها ، وخرب الجامع والخانقاه — وكانا من منشآته — وبقيت هذه المدرسة . عمرها الله بذكره » .

---

١ — باب العيد أحد أبواب قصر الخلافة الفاطمية ، يخرج منه الخليفة لصلاة العيد . وقد كتب المقريزى عن هذه الرحبة فى الخطط ج ٣ ص ٧٥ .

وقد ذكر ابن دقماق هذه المدرسة فى كتابه « الانتصار » وذكر تاريخ مكانها حتى انتقل ملكه إلى الأمير علاء الدين طيبرس . وقد قال ما نصه : « ثم وقفها مدرسة للفقهاء الشافعية والمالكية يجلسون الشافعية فى الإيوان الغربى . والمالكية فى الإيوان الشرقى . ورتب من كل مذهب مدرسا ومعيدا وخمسة عشر طالبا . وقرن الإمامة لمعيد الشافعية ، والمنزلين علوها للمدرسين ، وعمر مكتبا للسبيل ، وشرط لكل مدرس ستين درهما ولمعيد الشافعية الإمام فى كل شهر أربعين درهما ، ولمعيد المالكية فى الشهر أربعين درهما . . . » الخ .

ثم ذكر ابن دقماق بعض من تولوا التدريس فى هذه المدرسة . وتثبتهم فيما يلى (رقم ٨ بعنوان العناية باختيار العلماء ..) .

ج ؛ خطط ص ٢٢٣ ـ الانتصار ج ٤ ص ٩٦

٢٥ — المدرسة الحسامية :

كانت تقع بخط المسطاح بالقاهرة قريبا من حارة الوزيرية . بناها الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى نائب السلطنة فى عهد الملك المنصور قلاوون . وقد توفى فى يوم الاثنين ١٥ من ذى القعدة عام ٦٨٩ هـ . وقد خصصت هذه المدرسة لفقهاء الشافعية . قال المقريزى : « وهى فى وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق » .

ع خطط ص ٢٢٨

٢٦ ـ المدرسة المنكوتمرية :

كانت تقع بحارة بهاء الدين بالقاهرة . بناها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة فى عهد السلطان لاچين المنصورى . وقد قتل هذا الأمير فى ليلة الجمعة ١٠ ربيع الأول سنة ٦٩٨ هـ . وقد بنى هذه المدرسة بجوار داره ، وانتهى بناؤها فى صفر عام ٦٩٨ هـ ورتب بها درس للمالكية ، ودرس للحنفية . وزودت بخزانة كتب . وأوقفت عليها أوقاف ببلاد الشام . قال المقريزى : « وهى اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وأمرها متلاش وهى من المدارس الحسنة » .

ع خطط ص ٢٣٠

٢٦ ـ المدرسة الجمالية :

كانت بجوار درب راشد بالقاهرة على باب درب سيف الدولة نادر . بناها الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى الذى كان وزيرا فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وقد توفى عام ٧٣٢ هـ بعد أن بنى هذه المدرسة عام ٧٣٠ هـ . وأوقف عليها عدة أوقاف بالقاهرة وبالشام ، ورتب بها درسا للحنفية ، وجعلها خانقاه للصوفية . وتداول العمل فيها أكابر العلماء .

قال المقريزى : « وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية . وتعد من أجل مدارس القاهرة . ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها ، وفى البلاد الشامية . وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاة أمرها . وتخريبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف . وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه . وقرب الخراب منها » . ﴿ خطط ص ٢٣٨ ﴾

٢٧ ـ المدرسة القراسنقرية :

كانت تقع تجاه خانقاه سعيد السعداء بين رحبة باب العيد وباب النصر . أنشأها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة فى عهد السلطان لاجين المنصورى قبل النائب منكوتمر . وقد توفى هذا الأمير بمدينة المراغة من أعمال أذربيجان وهو منضم إلى التتار . وذلك فى يوم السبت ٢٧ شوال عام ٧٢٨ هـ فى عهد الناصر محمد ، وكان يطارده .

ولما بنى هذه المدرسة بنى بجوارها مكتبا لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز . وجعل بها درسا للفقهاء . ووقف عليها داره وغيرها .

قال المقريزى : « ولم يزل نظر هذه المدرسة بيد ذرية الواقف إلى سنة ٨١٥ هـ ثم انقرضوا . وهى من المدارس المليحة . وكنا نعهد البريدية إذا قدموا من الشام وغيرها ، لا ينزلون إلا فى هذه المدرسة ، حتى يتهيأ سفرهم . وقد بطل ذلك من سنة ٧٨٠ هـ » ﴿ خطط ص ٢٣٢ ﴾

٢٨ - المدرسة البوبكرية .

أنشأها الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى . بجوار الدرب العباسى قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة ، فى سنة ٧٧٢ هـ وبنى بجانبها حوضا الماء وسبيلا وسقاية . ومكتبا للايتام . ووقفها على الحنفية .
٤ خطط ص ٢٣٥

٢٩ - المدرسة البقرية :

أنشأها الرئيس القاضى شمس الدين شاكر بن غزيل المعروف بابن البقرى المتوفى عام ٧٧٦ هـ . وتقع فى الزقاق المواجه لباب الجامع الحاكمى المجاور لمنبره . وكان ابن البقرى ناظرا للذخيرة والأوقاف وغيرهما فى عهد السلطان الناصر حسن . وقد جعل مدرسته هذه ونظم بها درسا للشافعية وميعادا للوعظ ، ووظف بها عدة من كبار الفقهاء . ٤ خطط ص ٢٣٦

٣٠ - المدرسة الملكية :

بناها بخط المشهد الحسينى ، الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار . ورتب بها درسا للشافعية وزودها بخزانة كتب جليلة وأوقف عليها أوقافا . قال المقريزى « وهى الآن من المدارس المشهورة » . ٤ خطط ص ٢٣٧

٣١ - المدرسة السابقية .

كانت داخل قصر الخلفاء الفاطميين قريبا من خط بين القصرين بالقاهرة . بناها الطواشى الأمير سابق الدين مثقال الآنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية . وقد توفى عام ٧٧٦ هـ . ولما بناها بنى بجوارها حوض ماء للسبيل ومكتبا يحفظ فيها الأيتام القرآن الكريم وزودها بخزانة كتب . وقرر بها درسا للشافعية وقراءات .
٤ خطط ص ٢٤٠

٣٢ - المدرسة الزمامية .

كانت بخط رأس البندقانيين من القاهرة على مقربة من المدرسة الصاحبية . بناها الأمير الطواشى زين الدين مقبل الرومى الزمام فى عهد برقوق ، وذلك عام ٧٩٧ هـ . ورتب بها درسا للصوفية . ٤ خطط ص ٢٤١

٣٣ - المدرسة المحمودية:

كانت بخط الموازينيين خارج باب زويلة . أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار فى سنة ٧٩٧ هـ . ورتب بها درسا ، وزودها بدار كتب جليلة الشأن . قال المقريزى « وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر » . وقد مات هذا الأمير محبوسا ومريضا عام ٧٩٩ بعد أن ذاق أهوالا كثيرة . ٤ خطط ص ٢٤٢

٣٤ — المدرسة المهذبية:

كانت بحارة حلب خارج القاهرة . بناها الطبيب مهذب الدين بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حايقة رئيس الأطباء بمصر ومدرس الطب بالمارستان المنصورى .

٤ خطط ص ٢٤٥

٣٥ — المدرسة الجاولية:

كانت بجوار قلعة الكبش فيما بين القاهرة ومصر . أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى عام ٧٢٣ هـ . وأوقف عليها ورتب لها دروسا وصوفية . وقد مات هذا الأمير فى ٩ رمضان سنة ٧٤٥ هـ . ودفن بمدرسته هذه .

٤ خطط ص ٢٤٧

٣٦ — المدرسة البشيرية:

كانت خارج القاهرة قرب بركة الفيل . بناها الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجدار الناصرى فى سنة ٧٦١ هـ . وزودها بخزانة كتب .

٤ خطط ص ٢٤٨

٣٧ — المدرسة المهمندارية:

كانت خارج باب زويلة بخط المارداني . بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار عام ٧٢٥ هـ . مدرسة وخانقاه . ورتب بها دروسا للحنفية .

٤ خطط ص ٢٤٨

٣٨— مدرسة الجاى :

كانت خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل . أنشأها الأمير سيف الدين

الجاى عام ٧٦٨ هـ . وجعل بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وزودها بخزانة كتب. وقد توفى هذا الأمير غرقا فى المحرم سنة ٧٧٥ هـ .

٤ خطط ص ٢٤٨

٣٩ — مدرسة أم السلطان :

كانت خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل . أنشأتها السيدة بركة أم السلطان الأشرف شعبان عام ٧٧١ هـ وقررت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية قال المقريزى « وهى من المدارس الجليلة » . وقد توفيت هذه السيدة عام ٧٧٤ هـ .

٤ خطط ص ٢٥٠

٤٠ — المدرسة الايتمشية :

كانت خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل . أنشأها الأمير سيف الدين ايتمش البجاسى الظاهرى فى سنة ٧٨٥ هـ وقرر بها درسا فى فقه الحنفية . قال المقريزى « وهى مدرسة ظريفة » .

٤ خطط ص ٣٥٠

٤١ — المدرسة المجدية الخليلية :

كانت بمصر بدرب البلاد — مصر العتيقة — عمرها الشيخ الإمام محي الدين أبو محمد عبد العزيز الخليلى الدارى . فتحت فى ذى الحجة سنة ٦٦٣ هـ . وقرر بها مدرسا للشافعية ، ومعيدين وعدة من الموظفين لخدمتها . وجملها ووقف عليها أوقافا عدة . وقد تولى التدريس بها زمنا ابن مؤسسها وهو الصاحب الوزير فخر الدين عمر . وتوفى مؤسسها بدمشق فى ١٣ ربيع الثانى عام ٦٨٠ هـ .

٤ خطط ص ٢٥٠

٤٢ — المدرسة الناصرية بالقرافة :

كانت بجوار قبة الشافعى . وهى غير الناصرية الشريفية ، وغير الناصرية التى بدأها كتبغا وأكملها الناصر محمد . وقد مر ذكرها . أما هذه فقد أسسها صلاح الدين الأيوبى . ووقف عليها عدة أوقاف . وأقام فيها دروسا للشافعية وأجرى

الأرزاق على علمائها وطلابها . وقد ظلت هذه المدرسة مزدهرة زمنا كبيرا فى عهد المماليك . وولى التدريس بها عدد من أعاظم علماء ذلك العهد .

٤ خطط ص ٢٠١

٤٣ — المدرسة المسلّمية:

كانت بمدينة مصر فى خط السيوريين . أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلّم البالسى . ومات عام ٧٧٦ هـ ، قبل تمامها فأوصى بتكملتها وخصص لها مالا وأوقافا عدة . وشرط أن يكون فيها مدرس للمالكية ، ومدرس للشافعية ، ومؤدب أطفال . وغير ذلك . فأكملت . قال المقريزى « وهى الآن عامرة » .

٤ خطط ص ٢٠١

٤٤ — مدرسة إينال :

كانت خارج باب زويلة بالقرب من باب حارة الهلالية بخط القماحين . أوصى بعمارتها الأمير الأتابكى سيف الدين إينال اليوسفى ، أحد المماليك اليلبغاوية . فابتدأت عمارتها عام ٧٩٤ هـ . وفرغت فى العام التالى . وكان الأمير قد مات فدفن من بعدُ فيها .

٤ خطط ص ٢٠٢

٤٥ مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار :

هذه المدرسة كانت تقع برحبة باب العيد من القاهرة . أنشأها الأمير جمال الدين محمود الأستادار الذى اعدمه السلطان عام ٨١٢ هـ . ويفهم من سياق ماأورده المقريزى أنه الأستادار محمود صاحب المدرسة المحمودية التى مر ذكرها . والذى قيل إنه توفى عام ٧٩٩ هـ . أما هذه المدرسة التى نحن بصددها ، فقد جملها منشئوها أبدع تجميل ، وزخرفها ، واشترى لها جملة قيمة من الكتب النفيسة فى الفقه والحديث وغيرهما ، وبينها مؤلفات مخطوطة عظيمة القيمة . وعشرة مصاحف كبيرة الحجم أحدها بخط ياقوت ، وآخر بخط ابن البواب ، هى مجلدة تجليدا أنيقا بالجلد . وقد اشتراها من مكتبة الملك الأشرف شعبان ودفع قيمة ثمنها إلى الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف .

وقد تم بناؤها عام ٨١١ هـ . فاحتفل الأمير جمال الدين بافتتاحها فى يوم الخميس ٣ رجب عام ٨١١ هـ . ومد سماطا جليلا للمحتفلين وملأ البركة بوسط المدرسة سكرا مذابا مخلوطا بعصير الليمون . ورتب بها ستة من كبار المدرسين، واحد لكل مذهب ، وواحد للحديث ، وواحد للتفسير ، ووظف بها عددا من الرجال الآخرين لخدمتها فى كل ناحية . وأوقف عليها أوقافا كثيرة جداً ، وأجرى الرواتب والأرزاق على موظفيها وطلبتها . وأنشأ قسما بها لتحفيظ القرآن وتأديب الصغار .

ولما بطش الملك الناصر فرج بن برقوق بمنشىء هذه المدرسة وهو جمال الدين الأستادار وقتله عام ٨١٢ هـ ، هم بهدم مدرسته كذلك والاستئثار بأوقافها فأقعده عن ذلك كاتب سره فتح الدين فتح الله وكرّه إليه هذا العمل . ثم تحيّل وعاونه فى تحيله بعض الفقهاء والقضاة، حتى غير معالم هذه المدرسة وأزال منها كل ما يُعرف بمنشئها وكتب مكانه اسمه ووضع علاماته الخاصة ، حتى اسم المدرسة غير ، وأطلق عليها اسم « الناصرية »، ولكن لما ذهبت دولة هذا السلطان استطاع ورثة الأمير جمال، بمعاونة الملك المؤيد شيخ وبعض القضاة من رد بعض ما سلبه منهم السلطان فرج . والخلاصة أن المسألة كانت على حد قول المقريزى « كانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به فى تناقض القضاة وحكمهم بإبطال ما صححوه ثم حكمهم بتصحيح ما أبطلوه .. كل ذلك ميلا مع الجاه ، وحرصا على بقاء رياستهم .. ستكتب شهادتهم ويسألون » . ٤ خطط ص ٢٥٢

٤٦ — مدرسة السلطان حسن :

واقعة تجاه القلعة . أنشأها السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ابتداء من سنة ٧٥٧ هـ ؛ واستمر العمل فيها نحو ثلاث سنوات . وقد أنفق عليها من الأموال الشيء الكثير ، فجاءت ضخمة البناء بديعة الرواء . وهى فى الواقع عبارة عن مسجد عظيم أنشئت فيه ثلاث مآذن . وهم السلطان بإنشاء رابعة ، لولا أن تهدمت واحدة من الثلاث . فعدل عن إعادتها مكتفيا بالاثنتين . ويضم المسجد

فى قاعته أربع مدارس معا وبجوارها مكتب لأبناء السبيل والأيتام ، كان يضم أكثر من ثلثمائة طفل وكانت تدرس بها المذاهب الأربعة .

وشهد هذا المسجد ضروبا من الصراع العنيف الذى كان ينشب بين القينة والفينة بين زعماء المماليك ، وكان بعضهم يتخذه حصنا يرى من ورائه أعداءه . وقد عبث السلطان برقوق — لهذا السبب — بأجزاء من بناء المسجد .

ويبدو لنا أن الدراسة لم تزدهر طويلا بهذه المدرسة ، فقدمات بانيها بعد سقوط إحـــدى مناراتها الثلاث بثلاثة وثلاثين يوما . وعبث العابثون من بعده فى أوقافها .

ومما يذكر أنه لما تهدمت منارتها المذكورة وذلك بعد تمام بناء المدرسة بنحو عامين ، لهجت العامة بمصر والقاهرة بقرب زوال الناصر حسن بانيها . فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن محمد السبكى يعلل سقوطها ، وكأنه يُطمئن السلطان :

أبشر فسعدك ياسلطان مصر أتى	بشيره بمقال سار كالمثل
إن المنارة لم تسقط لمنقصة	لـكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرىء القرآن فاستمعت	فالوجد فى الحال أداها إلى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل	تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت	من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت	بنفسها لجوى فى القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما	قد كان قدره الرحمن فى الأزل
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة	شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت	علما فليس بمصر غير مشتغل

خطط ٤ ص ١١٧ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٢ بدائع ج ١ ص

٤٧ — المدرسة الصرغتمشية :

كانت تقع خارج القاهرة بجوار جامع ابن طولون ، بينه وبين قلعة الجبل .

أنشأها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة النوب . بدأ فى عمارتها فى رمضان عام ٧٥٦ هـ وانتهت فى جمادى الأول سنة ٧٥٧ هـ وكانت من أجمل المبانى . وقد رتب فيها درس للحنفية أسند إلى الشيخ قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر ، العميد بن العميد أمير غازى الإتقانى . ودرس آخر فى الحديث .

وقد افتتحت هذه المدرسة يوم الثلاثاء ٩ من جمادى الأولى عام ٧٥٧هـ بحضور مؤسسها الأمير صرغتمش ، ومدبر الدولة الأمير سيف الدين شيخو وغيرهما من كبار الأمراء ، وقضاة القضاة ومشايخ العلم فألقى أستاذ الحنفية قوام الدين الإتقانى درسا ، وألقى قصيدة منها هذه الأبيات الغثة :

أرأيتم من حاز الرتبا وأتى قربا ونفى ريبا
فبدا علما وسما كرما ونما قدما ولقد غلبا
بتقى وهدى وندى وجدى فعدا وسدى وجبى وحبا
. . . . الخ . .

والأبيات واحد وعشرون .

قال المقريزى « وخلع — أى صرغتمش — فى هذا اليوم على القوام خلعة سنية ، وأركبه بغلة رائعة وأجازه بعشرة آلاف درهم على أبيات مدحه بها فى غاية السماجة » .

وقال فيه العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى :

ليهنك ياصرغتمش مابنيته لأخراك فى دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الترخيم كالزهر بهجة فلله من زهر ولله من بانى

وقد مدت فى هذه الحفلة مائدة حافلة ، وملئت بركة المدرسة بالسكر المذاب فأكل المدعون ماشاءوا وشربوا ، وأبيح الباقى للعامة فانتهبوه .

خطط ٤ ص ٢٥٦ — حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٢

٤٨ — المدرسة الظاهرية :

وهى غير الظاهرية التى أسسها الظاهر بيبرس . أما هذه فقد أسسها الظاهر

برقوق بين القصرين ابتداء من عام ٧٨٦ هـ إلى عام ٧٨٨ هـ. وقد افتتحها السلطان برقوق باحتفال عظيم شهده الأمراء والقضاة والقراء ومدلهم مائدة حافلة وشربوا السكر والليمون وفرق منه على العامة بالطاسات : وخلع السلطان خلعا ثمينة على المهندسين وجميع الفنانين والعمال الذين اشتركوا فى بنائها مع قدر من المال ،

وقد أسند مشيختها إلى العلامة علاء الدين السيرامى مدرس الحنفية . وفى يوم الافتتاح بالغ السلطان فى تعظيم هذا الشيخ حتى فرش له سجادة بيده .

ورتب بها دروسا فى المذاهب الأربعة ودرسا فى الحديث ودرسا فى القراءات .

وقد كثر شعر الشعراء فى افتتاحها ، ومن ذلك قول بعضهم :

الظاهر الملك السلطان همته كادت لرفعته تسمو على زحل
وبعض خدامه طوعا لخدمته يدعو الجبال فتأتيه على عجل

وقال الشاعر بن العطار :

وقد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على إرم مع سرعة العمل
يكفى الخليلى أن جاءت لخدمته شم الجبال لها تأتى على عجل

حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٣ — البدائع ج ١ ص ٢٦٤

٤٩ — جامع آق سنقر:

كان قريبا من قلعة الجبل ، أنشأه الأمير آق سنقر السلارى المتوفى فى نحو عام ٧٤٤ هـ. وأنشأ بجانبه مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم وقرر به عدة من الدروس.

٤ خطط ص ١٠٧

٥٠ — جامع الخطيرى:

كان بناحية بولاق . أسسه الأمير عز الدين الخطيرى المتوفى عام ٧٣٧ هـ . وقد كملت عمارة المسجد قبيل وفاته بقليل عام ٧٣٧ هـ وقرر فيه درسا لفقهاء الشافعية . ووقف عليه عدة أوقاف .

٤ خطط ص ١١١

٥١ — جامع القلعة :

كان بقلعة الجبل . أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٨ هـ . وجعل فيه درسا وقراء .

٤ خطط ص ١٣٢

٥٢ — جامع ابن المغربي:

كان بالقرب من بركة قرموط مطلا على الخليج المصرى ، أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الأطباء بديار مصر ، ورتب به درسا وقراء . وخرب بعد حين .

٤ خطط ص ١٣٦

٥٣ — جامع الفخرى:

كان بجهة باب السورين . أنشأه الأمير فخر الدين عبد الغنى بن الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الأستادار فى سنة ٨٢١ هـ ورتب فيه عدة دروس فى المذاهب ، وقد توفى هذا الأمير فى نصف شوال من تلك السنة .

٤ خطط ص ١٣٦

٥٤ — المدرسة المؤيدية:

هى الجامع المعروف بجوار باب زويلة . أسسها الملك المؤيد شيخ المحمودى . وانتهت عمارتها سنة ٨١٩ هـ وأنفق عليها أربعون ألف دينار ، وكان مكانها السجن المشهور إذ ذاك بخزانة شمايل ، وقد حبس به المؤيد مرة ونذر أن يبنيه جامعاً لله إذا أطلق سراحه وآلت إليه السلطنة ، فكان كذلك . ونقل إليها باب مدرسة السلطان حسن بعد أن اشتراه بخمسمائة دينار ، ومما يذكر أن مالت مئذنة هذه المدرسة بعد نحو عام من بنائها ، وقد اتخذ بعض أدباء العصر هذا الميل موضوعا لدعابات شعرية طريفة .

وقد احتفل المؤيد بفتح هذه الدار احتفالا شائقا اجتمع فيه كثير من عظماء الدولة على اختلاف طبقاتهم وقدمت إليهم الأسمطة الفاخرة ، ووزع على الناس

السكر المذاب والحلوى . ومنحت الخلع ، وألقيت الدروس ، وقد رتبت بها عدة دروس دينية فى كل مذهب .

خطط ج ٤ ص ١٣٦ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٧

الخوانق والربط والزوايا :

لم نشر فيما سبق إلى الخوانق والربط والزوايا باعتبارها دورا تعليمية إلا إشارات عابرة . وإنما عنينا بذكر المساجد والمدارس لأنها بنيت من أول أمرها ، والتعليم أحد الأغراض الرئيسة من بنائها ، ولأنها كانت دورا عامة مفتحة الأبواب لطلاب العلم على اختلاف ألوانهم ، فى كل آن ، ولأن الاشتغال بالتعليم فيها كان الحركة الدائبة البارزة فى حياتها . ولأنها كثيرة العدد قريبة المنال ، وتخرج فيها فحول علماء مصر فى عصرها المملوكى .

أما الخوانق والربط والزوايا فهى أقرب إلى أن تكون ملاجىء منها إلى أن تكون دورا للتعليم المنتظم . فقد أنشئت فى أول أمرها لكى تكون منزلا للغرباء والفقراء والمحتاجين ، لا أن تكون دورا تلقى فيها دروس العلم على اختلاف موادها .

وليس هناك من فارق كبير بين هذه الأسماء الثلاثة وماترمى إليه من المعانى ، غير أنه يبدو لنا أن الخوانق امتازت باتساعها ، وبكثرة من أوى إليها من غرباء الصوفية وفقرائهم ، وقد يكون بعض منهم على علم وبصيرة وفقه بالدين وما يتصل به ، فيكون وجوده مؤذنا بنشر العلم وبث أحكام الشريعة . وفى أحايين كثيرة كان نظر الخوانق يسند إلى أحد علماء الدين الفضلاء كالسيوطى مثلا ، فيكون وجوده جرثومة من جراثيم التعليم ونواة لدروس العلم . وبعض هذه الخوانق رتبت فيه الدروس فى المذاهب الأربعة وفى الحديث ، فشابهت بذلك غيرها من المساجد والمدارس . غير أن الخوانق كان منقطعا ينقطع فيه هؤلاء اللاجئون للعبادة والتأمل ، أى للتصوف العملى لا العلمى ، وللتهذيب الروحى لا العقلى . ولعل هذا أهم الفوارق بين الخوانق والمدارس ولا يمنع هذا الوضع أن ينجب بعض هذه الخوانق

علماء أجلاء يجمعون بين التصوف العملى والعلمى . ويكونون ذوى خبرة وبصر بأحكام الشريعة ، بل وبغيرها .

ونظرا إلى هذا الانقطاع ، كان السلاطين أو الأمراء أو غيرهم ، يفيضون عليهم بضروب من البر والإحسان والمعونة فيوقفون عليهم الأوقاف أرضا أو دورا أو نحوهما ، ويقدمون إليهم الطعام والشراب والكسى ، فضلا عما ينعمون به من الأثاث . فكانت حياتهم فى داخل خوانقهم ، أحفل من حياة الفقراء فى خارجها، وأقرب إلى التمتع والترف . ويعتقد بعض صوفيتها أن الأموال الموقوفة عليها حق خالص لهم لا ينبغى المساس به ، ولو كانت حقوقا لم ينص عليها شرط الواقف ، بل كانت حقوقا مكتسبة .

ومهما يكن من أمر فالخوانق وماشابهها من ربط وزوايا تعتبر إلى حد ما دورا من دور التعليم ، وبيئة من بيئات العلم ، ومنشأ من منائشىء العلماء . وكان التصوف ضربا من ضروب الحياة النفسية والعقلية معا . فى هذا العصر ، وهى نزعة نعتبرها امتدادا للنزعة التصوفية التى برزت فى عصر بنى أيوب .

وقد فصّل المقريزى فى الخطط ، الحديث عن الخوانق والربط والزوايا ، ونوه السيوطى فى حسن المحاضرة ببعضها — ونكتفى هنا بالإشارة الوجيزة إلى ثلاث منها ، وذكر طرف من أخبارها لبروز المظهر التعليمى فيها أكثر من سواها ؛ فمنها :

١ — خانقاه سعيد السعداء :

سعيد السعداء ، هو أحد الأساتذة المحنكين الذين كانوا يخدمون فى قصور الفاطميين ، واسمه الأستاذ قنبر ، أو عنبر . وكانت داره بخط رحبة باب العيد بالقاهرة ، فلما آلت سلطنة مصر إلى صلاح الدين الأيوبى ، رأى أن يجعل هذه الدار ملجأ يأوى إليه فقراء الصوفية الغرباء فجعلها موقوفة عليهم ، وذلك عام ٥٦٩هـ ووهب لها أوقافا أخرى واسعة للإنفاق عليها . ورتب لساكنيها الطعام واللحم

والخبز يوميا . وهى أول خانقاه بديار مصر ، ولقب شيخها دون غيرها بشيخ الشيوخ ثم شاركه شيوخ غيرها فى ذلك . وقد ولى مشيختها أجلاء العلماء . ونزل بها فضلاء الصوفية . واستمرت العناية بها فى العصر المملوكى ، وبلغت عدة نزلائها نحو ثلثمائة صوفى ، لهم فى كل يوم خبز ولحم . وفى كل شهر صابون وحلوى ، وفى كل سنة كسوة بأربعين درهما لكل منهم . غير أن ذلك لم يسلم جملة من عبث العابثين.

وممن ولى مشيختها فى العصر المذكور . تاج الدين بن بنت الأعز ، وبدر الدين ابن جماعة ، وعلاء الدين القونوى . ومنهم أيضا الشيخ محمد البلالى أحد القادمين من الشام ، بلغت عقيدة الأمير سودون الشيخونى نائب السلطنة به حداً كبيراً ، فسعى له فى مشيختها . ووليها بعده كثيرون .

حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٨ - الخطط ج ٤ ص ٢٧٣

٢ ـ الخانقاه البيبرسية :

أنشأها السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى ، قبل أن يلى سلطنة مصر . تم إنشاؤها بموضع دار الوزارة تجاه رحبة باب العيد ، فى عام ٧٠٩ هـ [1] .
قال المقريزى : « وهى أجل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة » وأنشأ بها أيضاً رباطا وقبة .

وقال : « ولما كملت فى سنة تسع وسبعمائة ، قرر بالخانقاه أربعمائة صوفى ، وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت . وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم فى كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر ، وجعل لهم الحلوى » .

وقال : « ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى له مدرس ، وعنده عدة من المحدثين . ورتب القراء بالشباك الكبير ، يتناوبون القراءة فيه ليلا ونهاراً » .

وقال : « ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماة ومنية المخاص بالجيزة من أرض مصر ، وبالصعيد والوجه البحرى والربع والقيسارية بالقاهرة » .

---

(١) قال السيوطى : سنة ٧٠٧ هـ .

ولما خلع بيبرس من السلطنة ، فوليها الناصر بن قلاوون ، أغلق هذه الخانقاه فلبثت نحو عشرين عاما معطلة . ثم فتحها ثانية وأعاد إليها ما كان موقوفا عليها .

غير أنها من بعدُ ، عانت كثيرا من الاضطراب . وضعف أمرها .

وكانت لهذه الخانقاه مهابة فى نفوس الناس وكان لا يسمح لأحدهم بدخولها ، وذلك فى أوائل أمرها .

حسن المحاضرة ج ٢ س ١٦٠ — الخطط ج ٤ ص ٢٧٦

٣ — خانقاه شيخو :

أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمرى فى حى الصليبة تجاه جامعه ، فى سنة ٧٥٦ هـ . ورتب بها دروسا عدة ، منها أربعة دروس فى المذاهب الدينية ، ودرس فى الحديث ، ودرس فى القراءات بالروايات السبع . وجعل لكل درس من هذه الدروس الستة مدرسا ، وعنده عدد من الطلبة مقيد بالحضور والاستماع إليه، مع الاشتراك فيما يقوم به الصوفية من ضروب العبادات.

ووكل مشيختها إلى الشيخ العلامة أكمل الدين محمد بن محمود البابرتى الحنفى ووكل إليه كذلك درس الحنفية ، ونظر أوقاف الخانقاه . ووكل درس الشافعية إلى الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى . ودرس المالكية إلى الشيخ خليل . . ودرس الحنابلة إلى موفق الدين الحنبلى .

وقد أجرى على كل طالب مقدارا من الطعام واللحم والخبز والحلوى والزيت والصابون ووقف عليها أوقافا واسعة . قال المقريزى . « فعظم قدرها واشتهر فى الأقطار ذكرها ، وتخرج بها كثير من أهل العلم » .

وقد ذكر السيوطى عددا من أفاضل العلماء الذين تولوا مشيخة هذه الخانقاه بعد وفاة البابرتى عام ٧٨٦ هـ . ومنهم عز الدين الرازى ، وجمال الدين بن العجمى وسيف الدين السيرامى ، وبدر الدين الكلستانى ، وجمال الدين بن العديم ، وزين الدين التفهنى ، وغيرهم .

حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦١ ـ الخطط ج ٤ ص ٢٨٣

٦ - رصد الأوقاف على هذه المدارس والإحسان إلى اهلها

أما وقد انتهينا من ذكر بعض المساجد والمدارس ودور التعليم ، فلنشر فى هذا الفصل إلى أوقافها بعض الإشارة ذاكرين أنه لا يمكن لعمل من الأعمال الخيرية ، أو منشأة من المنشآت العامة . أن تبقى وتؤدى واجبها كاملا ، دون أن توجه إليها عناية ورعاية ، ودون أن ترصد عليها أوقاف ، أو تربط لها مبالغ خاصة بها ، تهيء لها استمرار حياتها وبخاصة فى عصر كعصر المماليك ، لم تتخذ فيه للتعليم سياسة عامة عليا، تكفلت الدولة بتنفيذها ، والإنفاق عليها من أموالها العامة . بل كانت سياسة التعليم فردية شخصية موكولة إلى همم الأمراء وضمائر السلاطين ورغبات الرؤساء ، كل منهم على حدة ، يكيفها حسبما تملى عليه أهواؤه وظروف حياته ومقدرته المادية . وقصارى هذه السياسة أنها كانت إلى باب الجود والإحسان أقرب منها إلى باب التعليم الذى هو حق للشعب واجب أداؤه .

وقد كانت هذه السياسة التعليمية الفردية — لحسن الحظ — مجالا للمنافسة وحب الظهور بين السلاطين والأمراء ، ومن إليهم ، وسبيلا إلى تخليد الذكر ، وطريقا إلى حفظ بعض الأموال المقطعة ، فى ذرية الواقف ، قبل عودها إلى السلطان بموته أو بشيء آخر . لذلك كان السلطان أو الأمير يلجأ إلى إنشاء مسجد أو مدرسة أو نحوهما ، ثم يهب لها الأرض والدور والرباع والمال ، وقفا خيريا لوجه الله ، للإنفاق من ريعها على مرافقها المختلفة ؛ ويشترط أن يكون له نظر الوقف ، أو لأحد من أعقابه . كما أن بعضهم قد يوقف أوقافا على منشآت غيره .

وقد قلنا « لحسن الحظ » ، لأن هذه النزعة كانت سببا فى إسعاد البلاد ، بتأسيس عدد ضخم من دور التعليم . ولا ندرى إلى أى مدى كانت تصل الطامة ، لو لم توجد هذه النزعة ، فلم تؤسس تلك الدور . .

وقد كان أكثر هذه الدور مؤسسا بمدينة القاهرة ، فكانت هذه المدينة منها ذات حظ عظيم ، بالقياس إلى غيرها من مدن البلاد . وهذا أمر لا بد منه ، إذ كانت القاهرة مقر السلطان ، ومهد الجند . ومرتبع الأمراء ، ومهوى الرؤساء ، ومثابة

الطامعين ، ومسرح الظهور ، ومراح الجاه . فهى لذلك أنسب المدن لهذه المؤسسات.

غير أن كثيرا من هذه الدور كانت أوقافها خارج القاهرة و بعيدا عنها فى النواحى الأخرى من البلاد ، بل قد تكون أوقافها خارج القطر كله . كأن تكون ببلاد الشام مثلا .

وكثيرا ما لعبت الأيدى بأوقافها ، وعبث العابثون بريعها . بعد وفاة مؤسسها، فكان ذلك وبالا عليها ، قد يصيبها فى الصميم ، فيكون مآلها إلى الزوال .

وإلى جانب هذه الأوقاف كانت تجرى الرواتب أحيانا على العلماء والطلاب على حد سواء ، وتقدم لهم الأطعمة والكسى والعطايا المختلفة فى مناسبات شتى ، كما كانت لبعضهم أماكن للنوم فى نوافذ المدرسة وخرجاتها العريضة ، أو جوارها الواسع .

كل ذلك عون من المؤسسين وغيرهم ، لهؤلاء المشتغلين بالعلم وتشجيع لهم على الانتساب إليه ، ودفع إلى الدأب والتحصيل .

وإليك بعضا من الأمثلة من أخبار هذه الأعمال الخيرية من وقف وغيره نقلا عما رواه المقريزى فى الخطط ج ٤ :

١ — لما جدد الأمير عز الدين إيدمر الحلى ، بناء الجامع الأزهر عام ٦٦٥ﻫ وجمله وزاد فيه ، ورتب به الدروس المختلفة — قال المقريزى — « ووقف على ذلك الأوقاف الدارة » .

ولما جدده كذلك الأمير سعد الدين بشير الجمدار عام ٧٦١ ﻫ وأنشأ فوقه « مكتب سبيل » لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ، قال المقريزى : « ورتب للفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم ، وأنزل إليه قدورا من نحاس جعلها فيه ، ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية ، يجلس مدرسهم لإلقاء الفقه فى المحراب الكبير ، ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية إلى يومنا هذا » .

ص ٥٢ ، ٥٣

٢ - فى عام ٧٠٢ ﻫ أصيبت البلاد بزلزال أحست القاهرة وما قاربها بشدته . وتهدم بسببه بعض الأبنية وفى جملتها جامع الحاكم بأمر الله ، فتعهد الأمير

ركن الدين بيبرس الجاشنكير بتجديده . ثم أوقف عليه أوقافا بالجيزة وبعض بلاد الصعيد ، والإسكندرية ، ذات ريع عظيم .

وقد زاد الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون عام ٧٦٠ هـ في مخصصات هذا الجامع وفي أوقافه ، ويقال إنه أوقف عليه نحو ٥٦٠ فدانا بجهة طندتا .

ص ٥٧ ، ٥٨

٣ ـ وقد أوصت السيدة عصمة الدين مؤنسة خاتون المتوفاة عام ٦٩٣هـ بإنشاء مدرستها المعروفة بالمدرسة القطبية واشتُرى لها بأمرها وقفٌ لينفق من دخله عليها وعلى ما قُرر فيها من الدروس . ص ٢٠٠ ، ٢٣٧

٤ ـ وقد أوقف تاج الدين محمد بن صلاح الخروبي المتوفى عام ٧٨٥ هـ على مدرسته الخروبية جملة من الأوقاف . ص ٢٠١

٥ ـ وقد أوقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون على مدرسته الناصرية المنشأة عام ٧٠٣ هـ ، قيسارية أمير علي بخط الشرابشيين بالقاهرة ، والربع الذي يعلوها ، وكان يعرف بالدهيشة ، ووقف عليها أيضا حوانيت بخط باب الزهومة بالقاهرة أيضا ، ودار الطعم خارج مدينة دمشق .

ولما مات ابنه « أنوك » عام ٧٤١ هـ دفنه بقبة هذه المدرسة وخصص لها وقفا جديدا . قال المقريزي عنه « وهو باق إلى اليوم يصرف لقراء وغير ذلك » .

ولما رتب الناصر الدروس بهذه المدرسة خصص لكل مدرس عددا من الطلبة ينقطعون لطلب العلم وأجرى عليهم « المعاليم » أي الرواتب . وكان يُفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها ، السكر في كل شهر لكل أحد منهم نصيب ، ويفرق عليهم لحوم الأضاحي في كل سنة . قال المقريزي في أعقاب ذلك : « وقد بطل ذلك وذهب ما كان لها من الناموس ، وهي اليوم عامرة من أجل المدارس » . ص ٢٢٢

٦ ـ وقال المقريزي في سياق حديثه عن المدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب منذ سنة ٦٣٩ هـ :

« ثم إن الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس ، وقف — أي على هذه المدرسة — الصاغة التي تجاهها وأماكن بالقاهرة وبمدينة

المحلة الغربية ، وقطع أراضي جزائر بالأعمال الجيزية والإطفيحية على مدرسين أربعة ، عند كل مدرس معيدان وعدة طلبة ، وما يحتاج إليه من أئمة ومؤذنين وقومة ، وغير ذلك . وثبت وقف ذلك على يد قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ، ونفذه قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله بن شكر المالكي ، وذلك في سنة ٦٧٧هـ ، وهي جارية في وقفها إلى اليوم . »
— وقد رددنا بعض هذا الحديث في أخبارها السالفة . ص ٢١٠

٧ ـ ولما أنشأت الست خوند تتر ، بنت الناصر محمد بن قلاوون ، مدرستها الحجازية عام ٧٦١ هـ أوقفت عليها عدة أوقاف واسعة يعطى منها أرباب وظائفها معلوماتهم . وأجرى على الأيتام الذين يحفظون القرآن بجوارها خبزا يوميا لكل واحد خمسة أرغفة ومبلغا من المال ، وأردية صيفية وشتوية . وكان يوزع عليهم في كل سنة ، أيام عيد الفطر الكعك والخشكنان « بعض الفطائر » . وفي عيد الأضحى يعطون اللحوم ، ويطهى لهم الطعام في رمضان ، قال المقريزي : «وقد بطل ذلك ، ولم يبق غير المعلوم في كل شهر » ص ٢٢٣

٨ ـ وقد أوقف الأمير سيف الدين منكو تمر الحسامي نائب السلطنة على مدرسته المنكوتمرية المنشأة عام ٦٩٨ هـ ، أوقافا ببلاد الشام . ص ٢٣٠

٩ ـ وقد أوقف الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري على مدرسته التي بناها عام ٧٥٧ هـ وقفا ينفق منه على مشايخها وفقهائها. ص ٢٥٦

١٠ ـ وقد قال المقريزي عن الأمير جمال الدين الأستادار بعد ما أنشأ مدرسته برحبة باب العيد ، والتي افتتحها في ٣ رجب عام ٨١١ هـ وقرر بها عـــددا من المدرسين ، قال « وقرر عند كل من المدرسين الستة طائفة من الطلبة ، وأجرى لكل واحد ثلاثة أرطال من الخبز في كل يوم ، وثلاثين درهما فلوسا في كل شهر . وجعل لكل مدرس ثلثمائة درهم في كل شهر . ورتب بها إماما وقومة ومؤذنين ، وفراشين ومباشرين ، وأكثر من وقف الدور عليها ، وجعل فائض وقفها مصروفا لذريته . » الخ . ص ٢٥١

٧ - إنشاء دور الكتب

ومما هو جدير بالذكر أنك قل أن تجد مدرسة أو مسجدا أو دارا تعليمية ، أنشئت فى ذلك العصر ، دون أن تزود بخزانة كتب نافعة تعين المدرسين والطلاب فيها ، والهاوين إليها . وظل الأمر يزداد بطول الأيام حتى غصت البلاد بذخائر علمية نفيسة من هذه المؤلفات ، فوق ما خلفه العصر الأيوبى .

وكان بعض السلاطين مغرما باقتناء الكتب النفيسة ، فكان لذلك أثر صالح . كالسلطان الملك الناصر حسن ابن الناصر ابن قلاوون .

وكذلك كان كثير من الأمراء والعلماء ، وقد روى ابن إياس فى البدائع . ج ٢ ص ٢١٨ ما نصه :

« وفيه - أى فى ربيع الأول سنة ٨٨٨ هـ - توفى القاضى نجم الدين يحيى بن حجى ، وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد الحسبانى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى . وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ، وعُد من العلماء وكان كريما سخيا . ولى نظارة الجيش بمصر ، وكان من أعيان الرؤساء بمصر والشام فلما مات وجد عنده زيادة عن ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة » .

ولا ريب أن هذا العدد له قيمته، فى عصر كان اعتماد التدوين فيه على الكتابة الخطية ، ولا ريب أيضا فى أن وجود دور الكتب العامة أو الخاصة له أثره المحمود فى النهوض العلمى ، ونشاط الحركة التأليفية .

ونذكر فيما يلى بعض دور الكتب التى عرفت فى العصر المملوكى وأخبارها ، نقلا عن المقريزى فى الجزء الرابع من خططه . فمنها :

١ - خزانة الكتب بجامع الحاكم بأمر الله ، وهى التى زوده بها الأمير بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٣ هـ ، لما رممه أثر زلزلة عام ٧٠٢ هـ .

ص ٥٧

٢ - خزانة الكتب بجامع الخطيرى ببولاق ، زوده بها منشؤه الأمير عز الدين

إيدمر الخطيرى عام ٧٣٧ هـ .

ص ١١١

٣ — خزانة الكتب بجامع المؤيد . قال المقريزى عنه : « نزل السلطان — أى المؤيد — فى ٢٠ المحرم — أى عام ٨١٩ — إلى هذه العمارة ، ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك . وقد حمل إليها كتبا كثيرة فى أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل . وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر خمسمائة مجلد قيمتها ألف دينار ، فأقر ذلك بالخزانة ، وأنعم على ابن البارزى بأن يكون خطيبا ، وخازن الكتب هو ومن بعده من ذريته » .

ص ١٣٢

٤ — خزانة الكتب بالقبة المنصورية ، التى أنشأها المنصور قلاوون . قال المقريزى : « وبهذه القبة خزانة كتب جليلة ، كان فيها عدة أحمال من الكتب فى أنواع العلوم ، مما وقفه الملك المنصور وغيره . وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرق فى أيدى الناس » .

ص ٢١٩ ، ٢٦١

٥ — خزانة الكتب بالمدرسة الناصرية التى بدأها كتبغا ، وأكملها الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٠٣ هـ .

ص ٢٢١ ، ٢٢٢

٦ — خزانة الكتب بالمدرسة الحجازية المنشأة فى عام ٧٦١ هـ .

ص ٢٢٣

٧ — خزانة كتب المدرسة المنكوتمرية المنشأة عام ٦٩٨ هـ .

ص ٢٣٠

٨ — خزانة الكتب بالمدرسة السابقية التى أنشأها الأمير سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية ، المتوفى عام ٧٧٦ هـ .

ص ٢٤٠

٩ — خزانة المدرسة المحمودية التى بناها الأستادار جمال الدين محمود عام ٧٩٧هـ .

قال المقريزى: «وعمل فيها خزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها . وهى باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون فى المدرسة . وبهذه الخزانة كتب الإسلام فى كل فن» .

ويفهم من حديث المقريزى المذكور أنه كان ثمة نظام للاستعارات الخارجية والداخلية فى دور الكتب ، غير أن دار الكتب بالمدرسة المحمودية كانت لا تسمح بالاستعارات الخارجية .

ص ٢٤٢

١٠ — خزانة الكتب بالمدرسة البشيرية التى بناها الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجدار الناصرى فى عام ٧٦١ هـ

ص ٢٤٨

١١ — خزانة كتب مدرسة الجاى وهى من بناء الأمير سيف الدين الجاى ، أسسها عام ٧٦٨ هـ .

ص ٢٤٩

١٢ — خزانة الكتب بمدرسة الأمير جمال الدين الاستادار — ولعلها غير الخزانة السابقة — راجع المدارس أيضاً .

قال المقريزى بصدد الحديث عن المدرسة المذكورة .

«كان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بقية من داخلها ، فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة ، وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت . ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة . فاشترى ذلك — أى الأمير جمال الدين الأستادار — من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف شعبان بمبلغ ستمائة دينار . وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك . ونقلها إلى داره ، وكان مما فيها عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة ، فى عرض يقرب من ذلك ، أحدها بخط ياقوت ، وآخر بخط البواب .

وباقيها خطوط منسوبة . ولها جلود في غاية الحسن معمولة في أكياس الحرير الأطلس . ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال . » .

هذا ، ولما بطش الملك الناصر فرج بن برقوق ، بالأمير جمال الدين الأستادار وقتله عام ٨١٢ هـ ، غير معالم مدرسته ، وعبث بمكتبة ، ونقل كثيرا من كتبها ، إلى قلعة الجبل .

ص ٢٥٢ ، ٢٥٤

١٣ - خزانة الكتب بالمدرسة الملكية التي أنشأها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار .

ص ٢٣٧

١٤ - خزانة كتب المدرسة الظاهرية البيبرسية التي أنشأها الظاهر بيبرس عام ٦٦٢ هـ ، وكانت تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم .

ص ٢١٨

٨- العناية باختيار العلماء

وقد عني السلاطين والأمراء ومنشئو المدارس باختيار علمائها الذين يشرفون على أمورها . وأساتذتها الذين يتولون التدريس فيها وغير التدريس . فانتخبوهم من بين الأفذاذ ذوي الشهرة المعروفين بالعلم والفضل . منهم من يزاول التدريس في أحد المذاهب الدينية . ومنهم من يلي الإمامة والخطابة ، ومنهم من يلقي دروس الوعظ . أو يتولى غير ذلك من الوظائف بها .

ولا نريد الآن أن نستوعب الكلام عن هؤلاء المدرسين أو ذكر آثارهم أو مؤلفاتها . لا . فسيرد لذلك باب خاص متشعب النواحي مفصل الجهات . وحسبنا أن نسوق مجرد ثبت موجز ، لنستبين منه جانبا من هؤلاء العلماء الأفاضل الذين حملوا أعباء النهوض العلمي ، وحافظوا على التراث الديني واللغوي ، في هذه الحقبة القاسية من تاريخ مصر . فأسدوا إليها يدا بيضاء لا تنسى . فمنهم .

١ - ممن تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية في عصور مختلفة وولي أمرها : تقي

الدين بن رزين . تقي الدين بن دقيق العيد . برهان الدين الخضر السنجاري . شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه الجويني وكان يدرس مذهب الشافعي . تاج الدين بن بنت الأعز . تقي الدين بن بنت الأعز . عز الدين محمد ابن محمد بن الحرث بن مسكين . ضياء الدين عبد الله بن أحمد ابن منصور النسائي . مجد الدين حرمي بن قاسم بن يوسف الفاقوسي . شمس الدين بن القماح . ضياء الدين محمد ابن ابراهيم المناوي . شمس الدين بن اللبان . شمس الدين محمد بن أحمد بن خطيب بيروت الدمشقي . بهاء الدين بن تقي الدين السبكي ثم أخوه تاج الدين . بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي . ثم ولده بدر الدين محمد . ثم برهان الدين بن جماعة . سراج الدين البلقيني . عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي . ومنهم ابن حجر والقاياتي والسفطي والسراج الحمصي وغيرهم .

حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٧

٢ ـ وممن تولى الدراسة في المدرسة الكاملية وهي دار الحديث : ابن دقيق العيد ، أبو عمرو بن سيد الناس . البدر بن جماعة عماد الدين الدمياطي الجمال بن التركماني . الحافظ زين الدين العراقي . سراج الدين بن الملقن .

حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩

٣ ـ وممن تولى التدريس في المدرسة الظاهرية القديمة : تقي الدين بن رزين للشافعية . ومحب الدين عبد الرحمن بن الكمال عمر بن العديم للحنفية . والحافظ شرف الدين الدمياطي للحديث . وكمال الدين القرشي للقراءات .

حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠

٤ ـ وممن تولى التدريس بالمدرسة الخروبية المنشأة بعـــد عام ٧٥٠ هـ . الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل مدرسا للفقه . والشيخ سراج الدين عمر البلقيني معيدا له .

الخطط ج ٤ ص ٢٠٢

٥ ـــ وممن تولى التدريس بالمدرسة الصاحبية البهائية المنشأة عام ٦٥٤ هـ ، بزقاق القناديل : الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، باني

هذه المدرسة . ثم ابنه محيي الدين أحمد بن محمد . ثم الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين . ثم ولده الصاحب شرف الدين . وما زال أبناء المؤسس وأحفاده يتوارثون التدريس بهذه المدرسة حتى وليها الصاحب الرئيس شمس الدين محمد بن أحمد ، بعد أبيه عز الدين ، وكلاهما من نفس الأسرة ، فلما مات الصاحب شمس الدين عام ٨١٣ هـ . وانتقل أمر المدرسة إلى بعض نواب الحكم بدأ الخراب يدب إليها واضمحلت الدراسة فيها .

الخطط ج ٤ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٦ — وممن ولى التدريس بالمدرسة الناصرية التى أنشأها العادل وأكملها الناصر ابن قلاوون : القاضى زين الدين على بن مخلوف المالكى لتدريس فقه المالكية . وشرف الدين عبد الغنى الحرانى لتدريس فقه الحنابلة . وأحمد بن السروجي الحنفى لتدريس فقه الحنفية . وصدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الوكيل الشافعى لتدريس فقه الشافعية .

الخطط ج ٤ ص ٢٢٢

٧ — وممن درّس بالمدرسة البقرية : سراج الدين عمر بن على الأنصارى المعروف بابن الملقن ، وكان يدرس فقه الشافعية وكمال الدين بن موسى الدميرى الشافعى للميعاد « الوعظ » . وزين الدين أبو بكر بن الشهاب أحمد النحوى للقراءة .

الخطط ج ٤ ص ٢٣٦

٨ — وممن تصدى للتدريس فى المدرسة الجمالية : علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى وتولى فيها مشيخة الصوفية ودراسة فقه الحنفية . ثم ابنه جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى . ثم ابنه صدر الدين محمد بن عبد الله بن على التركمانى الحنفى . ثم قريبهم حميد الدين حماد .

الخطط ٤ ج ص ٢٣٨

٩ — وممن درس فى المدرسة السابقية سراج الدين عمر بن على الأنصارى المعروف بابن الملقن ، الذى مر ذكره فى المدرسة البقرية وكان يدرس فقه الشافعية .

الخطط ج ٤ ص ٢٤٠

١٠ — وممن ولى تدريس الشافعية بالمدرسة الناصرية بالقرافة تقى الدين بن رزين الحموى ثم تقى الدين بن دقيق العيد . والصاحب برهان الدين الخضر السنجارى .

الخطط ج ٤ ص ٢٥١

١١ - وممن تصدى للتدريس بمدرسة الأمير جمال الدين الأستادار المؤسسة عام ٨١٠ هـ ، ٨١١ هـ : الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى ، وقد تولى مشيختها وتدريس فقه الشافعية بها . وبدر الدين محمود بن محمد المعروف بالشيخ زاده الخرزيانى وقد تولى تدريس فقه الحنفية . وشمس الدين محمد بن البساطى ، وقد تولى تدريس المالكية . وفتح الدين أبو الفتح محمد بن نجم الدين محمد بن الباهلى وقد تولى تدريس فقه الحنابلة . وشهاب الدين أحمد بن على بن حجر ، وقد تولى تدريس الحديث . وشيخ الإسلام القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى وقد تولى تدريس التفسير .

الخطط ج ٤ ص ٢٥٣

١٢ - وممن درّس فقه الحنفية بالمدرسة الصرغتمشية : قوام الدين أمير كاتب ابن أمير عمر العميد ابن العميد أمير غازى الإتقانى ، وكان شاعرا كذلك .

الخطط ج ٤ ص ٢٥٦

١٣ - وممن درس فى المدرسة الظاهرية « مدرسة برقوق » المنشأة عام ٧٨٨ هـ : علاء الدين السيرامى وقد ولى مشيخة المدرسة ، وتدريس فقه الحنفية . وأوحد الدين الرومى وتولى تدريس فقه الشافعية . وشمس الدين بن مكين وتولى تدريس فقه المالكية . وصلاح الدين بن الأعمى ، وتولى تدريس فقه الحنابلة . وأحمد زاده العجمى وتولى تدريس الحديث . وفخر الدين الضرير الذى كان إماما للجامع الأزهر ، وتولى تدريس القراءات . ثم سراج الدين البلقينى وتولى التفسير والميعاد « الوعظ » .

حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٣

١٤ - وممن درس فى جامع الفخرى : شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى ، ودرّس فقه الشافعية وأضيفت إليه مشيخة التصوف بهذا الجامع . وشمس الدين

محمد الديرى المقدسى الحنفى، ودرّس فقه الحنفية . وجمال الدين عبد الله بن المقداد المالكى ودرّس فقه المالكية .

خطط جـ ٤ ص ١٣٦

١٥ ـ وممن درس فى الجامع المؤيدى : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر، وقد درس فقه الشافعية ، ويحى بن محمد بن أحمد العجيسى البجائى المغربى، وقد درس فقه المالكية . وعز الدين عبد العزيز بن على بن الفخر البغدادى، وقد درس فقه الحنابلة . وبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيلتابى، وقد ولى تدريس الحديث . وشمس الدين محمد بن يحيى، وقد ولى تدريس القراءات . وشمس الدين محمد بن سعد الديرى، وقد ولى تدريس فقه الحنفية ومشيخة الصوفية بالجامع .

خطط ج ٤ ص ١٣٩

١٦ ـ وممن درس بالمدرسة المعزية « نسبة إلى المعز أيبك رأس الدولة التركية » : الصاحب برهان الدين السنجارى وهو الخضر بن الحسن، إلى أن توفى، فدرس الفقيه شمس الدين الجزرى ، ثم عزل ودرس بها الفقيه نجم الدين بن الرفعة إلى أن توفى، فدرس بها الفقيه شمس الدين الجزرى المشهور بالخطيب ، وكان يومئذ خطيب الجامع الطولونى، إلى أن توفى، فدرس بها قاضى القضاة جمال الدين الزرعى .

(الانتصار لابن دقماق ج ٤ ص ٩٢)

١٧ ـ وممن درس بالمدرسة القمحية « المالكية » : ولى الدين أبو زيد عبد الله بن خلدون والشيخ جمال الدين بن الشيخ صفى الدين ابن أبى المنصور ، والقاضى أبو البركات المتطيب، وقاضى القضاة شمس الدين الركراكى .

(ذكره ابن دقماق فى ج ٤ من الانتصار ص ٩٥)

١٨ ـ وممن درس بالمدرسة الطيبرسية : قال ابن دقماق فى ج ٤ ص ٩٧ من كتابه « الانتصار » : « وأول من درس بها الشيخ الإمام شرف الدين قاضى الكرك كان ، إلى أن توفى . ثم درس بها الفقيه أقضى القضاة جمال الدين المشهور بابن السقطى، إلى أن تعفف عن جميع ما كان بيده، وعزل نفسه من الحكم ولزم بيته إلى حين وفاته.

ثم وليها الفقيه نجم الدين بن الرفعة ثم نزل عنها للشيخ نجم الدين البالسى - وأول من درس بها من المالكية الشيخ الإمام شهاب الدين القرافى . ثم نجم الدين القاياتى ثم القاضى بهاء الدين بن أبى المنصور، ثم زين الدين أبو الحسن على البوشى » .

هذه عجالة يسيرة نثبت بها صورة موجزة لهيئات تدريسية متعددة فى هذا العصر وليس غرضنا هنا الاستيعاب كما ذكرنا فى أول الفصل وللاستيعاب محل آخر سيجىء عما قريب بعون الله .

٩ ـ الدروس المقررة وأثرها

أعتقد أننا إذا تصفحنا صفحات هذا الكتاب السالفة يمكن بسهولة أن نستنبط أى الدروس تقررت دراستها وتقرر إلقاؤها فى هذا العصر .

لقد مهدت الحوادث التى سبقت هذا العصر كنكبة العباسيين ، وكالحروب الصليبية ، وغير ذلك مما كرث المسلمين ، لحدوث رد فعل فى نفوسهم ، دفعهم إلى التعصب للإسلام ومن ثم إلى التعصب لعلومه ولعلوم لغته . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، عُنى عظماء العصر بافتتاح المساجد والمدارس ونحوها تقربا إلى الله وزلفى. فلا يمكن - والحالة هذه - أن تتقرر فيها دروس غير دينية. وإذا كان ثمة دروس أخرى فلتكن لغوية لمتاتها إلى الأولى بصلة . ثم تأتى بعد ذلك العناية بالدروس الكونية . وليس بمستساغ عادة أن يدرس الطب والفلك مثلا فى أحد مساجد الله ، وتُهمل علوم الدين أو علوم اللغة المرتبطة بها .

لهذا كانت الدروس الدينية فى مقدمة الدروس المقررة . أو قل إنها أهم ماعنوا بتقريره من الدروس . ونخص بالذكر من بينها فقه المذاهب الأربعة وأصولها . ويليها فى الأهمية دروس الحديث . ثم دروس التفسير ثم دروس الوعظ والكلام والتصوف . ثم دروس النحو والصرف . وقد عنى بغير تلك الدروس عناية فرعية كدروس الأدب والطب والفلك والهندسة والتاريخ والتقويم والرياضة . ولعل الهندسة كانت أحظاها بالعناية للحاجة إليها فى البناء

وأغلب الظن أن الذين نبغوا فى أحدى المواد الفرعية المذكورة إنما كان نبوغهم لفرط ذكاء وقوة ميل ولاشتغال شخصى فردى .

وقد لحظنا عند سرد تاريخ بعض المدارس أن الدروس المقررة بها، ليست متشابهة فى كل حالة. ونعنى بالدروس «المواد الدراسية» فقد كان بعضها يقرر فيه درس للشافعية، وبعضها درس للحنفية، وهكذا، وبعضها درس فى الحديث، ونحو ذلك. فكأنما كان لكل مذهب مدرسة أو مدارس. غير أن بعضها اجتمعت فيه دروس المذاهب الأربعة كلها، ويذكر المقريزى فى الخطط ج٤ ص ٢٠٩، أن الملك الصالح الأيوبى أول من جمع المذاهب الأربعة فى مكان.

ومما يذكر أنه لم تكن فى دور التعليم برامج معينة مقررة تحدد للناشئين سبيل الدراسة وتلزمهم باستيعابها، كما نشاهد فى النظم الحديثة. بل ثمة كتب فى الفقه أو الحديث أو الأصول أو المنطق أو النحو أو القراءات، ونحو ذلك، يدرسها الشيوخ فى دور التعليم. يختار كل شيخ منها مايروقه ويزاول تدريسه للناس، فيسمعه منه من يشاء من الطلاب وغير الطلاب.

فإذا لازمه أحدهم ملازمة نافعة ودرس عليه كتابا معينا منحه شهادة بذلك، وتسمى «إجازة» يشهد له فيها أنه درس الكتاب المذكور.

وكان الطلاب أو النابغون منهم يعنون عناية تامة بحفظ عدد من الكتب المذكورة المشهورة عن ظهر قلب. ويبدو أنه كانت هناك عناية كبرى بتقوية ملكة الحفظ ولعل الرغبة فى حفظ أحاديث الرسول عليه السلام، كان لها دخل فى توجيه هذه العناية وجهتها تلك.

وإنك لتقرأ جليا فى كتب تراجم الأعلام وسيرهم مايدل دلالة قوية على هذه العناية. فيقال مثلا إن فلانا حفظ كتاب كذا وكذا وكذا. الخ.

وليس الحفظ مقصوراً على علم دون آخر، بل يتناول كتب الحديث والفقه والنحو والمنطق ونحوها، ولعله كان أكثر انصرافا إلى المتون والمختصرات منه إلى المطولات.

يقول السخاوى فى ترجمة الزين العراقى «فى الضوء ج ٤ رقم ٤٥٢» إنه حفظ القرآن وهو ابن ثمان وحفظ التنبيه والحاوى، والإلمام لابن دقيق العيد.

ومما قيل عن ابن حجر العسقلانى إنه حفظ مختصر ابن الحاجب ، والعمدة والحاوى الصغير ، والملحة وألفية العراقى .

وهناك كتب جليلة سعدت بهذا الحفظ ، وظفرت بعناية الطلاب والشيوخ دون غيرها ، فكانت قوام التعليم ، ومنهاجه وسراجه فى تلك الحقبة . ومنها عن الضوء كما نستقرىء فى تراجم رجاله مايلى :

التنبيه . المنهاج الأصلى للنووى . والمنهاج الفرعى ، والشاطبيتان فى القراءات والعمدة لحافظ الدين النسفى فى أصول الدين . والكافية لابن الحاجب فى العربية ومختصر القدورى فى الفقه، وجمع الجوامع ، والأربعون حديثا النووية ، وتلخيص المفتاح فى البلاغة ، والجعبرية فى الفرائض ، والخزرجية ، والهداية لابن الجزرى والكنز فى فقه الحنفية ، والمنارة فى الأصول ، وألفية ابن مالك فى النحو ، والملحة ، ومختصر أبى شجاع ، والرحبية ، والمختار والمنظومة كلاهما للنسفى فى الفقه ، ونظم قواعد الإعراب لابن الهائم ، وإيساغوجى فى المنطق ، وفصيح ثعلب فى اللغة ، وألفية العراقى ، والحاوى والإلمام . وكتب الحديث وفى مقدمتها موطأ مالك ، وصحيح البخارى وصحيح مسلم . والمجمع ، والمغنى فى أصول الفقه الحنفى .

هذا وقد كان للاتجاه التعليمى المذكور أثره البالغ فى نوع الإنتاج العلمى ، سواء أكان ذلك فى طبقات العلماء ، أم فى أنواع المؤلفات .

أما العلماء :

فقد زخر العصر بصنوف منهم شتى من علماء المذاهب الأربعة وما يتصل بها . ومنهم من بلغ حد الاجتهاد ، أو لم يقل عن الأئمة المجتهدين السابقين كفاءة وقدرة على الاستنباط ، وعلما بأحكام الشريعة ، وتصرفاً فى الوقائع ، بالفتيا الدقيقة المحكمة ، مع قوة استدلال ، ووضوح حجة ، وتمسك تام بالحق ، كل هذا فى ورع وتقوى وزهد فى الدنيا . ومن هؤلاء :

عز الدين بن عبد السلام . وابن المنير الاسكندرانى . وابن الرفعة . وتقى الدين السبكى . وسراج الدين البلقينى . وتاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز . وابن

دقيق العيد القشيرى . وابن تيمية الحرانى . وابن قيم الجوزية ، والأقصرائى . والسيوطى ، والأنصارى . وغيرهم كثيرون .

حسن المحاضرة ج ١ ص ١٣٢

وزخر العصر كذلك بعلماء الحديث وحفاظه ، وعارفى مصطلحاته ورواته . وهم ممن يشار إليهم بالبنان ، ومنهم :

تقى الدين السبكى . وابن دقيق العيد القشيرى ، والمنذرى ، والرشيد العطار ، وابن العماد ، والأبيوردى ، والإسعردى ، وشرف الدين الدمياطى ، وقطب الدين الحلبى ، وفتح الدين بن سيد الناس ، وأحمد بن أيبك الحسامى الدمياطى ، وجمال الدين الزيلعى ، وعز الدين بن جماعة ، وزين الدين العراقى . وولى الدين أبو زرعة. وابن حجر العسقلانى ، والقسطلانى ، وغيرهم .

حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦١ ـ طبقات الحفاظ للذهبى ،

وأمتلأ العصر بعدد من علماء الأصول والصوفية والنحويين وأهل البلاغة وحفاظ اللغة ومنهم على سبيل المثال :

أمين الدين المحلى ، والرضى الشاطبى ، وابن مكرم الإفريقى ، وأثير الدين أبو حيان الأندلسى ، وابن هشام المصرى ، والسمين شهاب الدين أحمد الحلبى ، وابن عقيل العقيلى ، وناظر الجيش محب الدين محمد الحلبى ؛ وشمس الدين الغمارى ، وشمس الدين الأسيوطى ، وشمس الدين الشنطوفى ، وبدر الدين الدمامينى ، وجلال الدين السيوطى ، وغيرهم .

حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٤

ومن بينهم علماء القراءات ، فمنهم :

ابن وثيق توفى عام « ٦٥٤ هـ » . والناشرى « ٦٦١هـ » ، والكمال الضرير « ٦٦١ هـ » ، وأبو الحسن الدهان « ٦٦٢ هـ » وعبد الله بن محمد الاسكندرانى « ٦٨٣ هـ » ، والراشدى « ٦٨٥ هـ » ، والجرائدى « ٦٨٩ هـ » ، وسحنون « ٦٩٥هـ» وابراهيم بن فلاح الجذامى الإسكندرانى « مات بعد سنة ٧٠٠ هـ » ، الشنطوفى

« ٧١٣ هـ » وأبو العلاء السلامى « ٧١٨ هـ » والتقى الصائغ « ٧٢٩ هـ » وأبو حيان المعروف بابن السراج « ٧٤٧ هـ » وعثمان بن عبد الرحمن المخزومى البلبيسى «٨٠٤هـ»
حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٠

وقد نبغ عدد أقل من هؤلاء وهؤلاء فى المواد الأخرى كالطب والهندسة والفلك والكلام والحكمة والمنطق . وما إلى ذلك . هذه القلة على الرغم من أن العصر كان من العصور الذهبية فى تاريخ الفن الهندسى العربى وما امتزج به . وذلك لعناية السلاطين والأمراء بإنشاء ما يخلد ذكرهم من مساجد ومدارس وقناطر ورُبُط وخوانق ونحو ذلك ويغالون فى إنشائها غلوا يخرج ببعضهم أحيانا إلى حد السرف ثم إلى حد العجز عن التمام . وقد كان السلطان حسن الناصر يقول وهو ينشىء مسجده الشهير ، ما مؤداه : إنه عاجز عن إتمامه لكثرة ما أنفق عليه ، ولا تساع العمل فيه ، ولولا رميه بالعجز لكف عن إكماله .

ولكن لا ننسى فى هذا المقام أن نشير بوجه خاص إلى أن مادة التاريخ بأنواعه ومادة التقويم والمعلومات العامة قد وجدت فى هذا العصر رجالا هاموا بها هياماً ، وأغرموا بها غراماً ، فوضعوا فيها من المؤلفات ما يُعد — إلى وقتنا هذا — فى مقدمة الأسانيد والمراجع ، وما يُعد مفخرة للعلم ومأثرة لمصر . — ومن هؤلاء جميعا من ولى التدريس .

فنهم : ابن النفيس الطبيب . والأصبهانى الأصولى المنطقى . والتقى شبيب بن حمدان الحرانى الطبيب الكحال وعلاء الدين الباجى فى الأصول والمنطق . والصفى الهندى فى الكلام . صلاح الدين المعروف بابن الدهان فى الطب . شمس الدين محمد بن عبدالله المصرى مدرس الأطباء بجامع ابن طولون . صلاح الدين المعروف بابن المغربى فى الطب . العلاء على ابن أحمد فى المعقولات . ضياء الدين القرمى فى المعقولات . ابن صغير فى الطب . قنبر بن عبد الله الشروانى فى المعقولات . باكير زين الدين الكختاوى فى البلاغة . الكافيجى فى المعقولات .
(راجع حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٨)

ومنهم : ابن خلكان المؤرخ صاحب وفيات الأعيان . وركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار المؤرخ صاحب زبدة الفكرة . وابن المتوج المؤرخ صاحب كتاب إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل فى تاريخ مصر . والأدفوى المؤرخ صاحب الطالع السعيد . والنويرى المؤرخ والمقوم صاحب نهاية الأرب وابن دقاق مؤرخ مصر، وله عدة كتب منها الانتصار وشهاب الدين الأوحدى وله كتاب فى خطط مصر والقاهرة . والمقريزى صاحب الخطط وغيرها، والقلقشندى صاحب صبح الأعشى. وابن حجر صاحب الدرر الكامنة . وصلاح الدين الصفدى صاحب كتاب الوافى بالوفيات فى تاريخ الرجال وابن شاكر مؤلف فوات الوفيات فى تاريخ الأعلام وابن خلدون صاحب تاريخه المسمى بالعبر . وابن الوردى صاحب تاريخه . والسخاوى المؤرخ صاحب الضوء اللامع . والسيوطى مؤلف تاريخه المسمى حسن المحاضرة . وابن إياس صاحب تاريخه المشهور ببدائع الزهور . وابن تغرى بردى صاحب مؤلفه الأشهر فى التاريخ وهو النجوم الزاهرة . وابن عبد الظاهر صاحب الروضة البهية فى التاريخ والتقويم . وابن فضل الله صاحب مسالك الأبصار فى التاريخ والتقويم والأدب . ويضاف إلى هؤلاء وهؤلاء عدد ضخم من الأدباء سنذكره فى الجزء الخاص بالشعر أو الكتابة .

راجع حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥

هذا ولا ننسى — ونحن ننوه بهؤلاء العلماء الأفاضل والمدرسين الأماثل — أن نذكر أن كثيرا منهم أجنبي عن مصر وعن القاهرة . ولد هو أو أبوه أو أحد أجداده فى بلد آخر ونسب إليه . ثم كانت خاتمة مطاف أحدهم مصر ، قدم إليها ، ونعم بخيراتها واتخذها وطنا له ثانيا . ولذلك فيها المقام وسواء فى ذلك هى أو الشام .

وسنعود إلى هذا الموضوع بالكلام المفصل والحديث الطويل ، ونعرض تراجم عدة لبعض هؤلاء الأعلام . ووصفا لجهودهم العلمية .

أما المؤلفات فسنتناول الحديث عنها كذلك .

١٠ ـ تشجيع المؤلفين

أشعر بأن العلماء الذين وجدوا كل ضرب من ضروب التشجيع على المضى قدما فى الناحية العلمية ، ففتحت لهم المدارس ، وعنى باختيارهم لتولى الدراسة فيها ، وسعى إلى استشارتهم وسمع لشكاياتهم ، وقد أجريت عليهم المرتبـــات القيمة ، وأغدقت عليهم النعم الوفيرة ، ورفعت منازلهم . . . إلى غير ذلك . أشعر أن هؤلاء العلماء قد وجدوا فى كل هذا ما يشجعهم كذلك على المضى قدما فى التأليف والتدوين والتصنيف ، وإن كنا لا نجد تشجيعا صريحا مباشرا فى هذه الناحية ، تشجيعا ينصب على ناحية التأليف . وتنشيط حركته ؛ وإغراء المؤلفين بالأقدام على عملهم وإتقانه .

وربما وجدنا بعض الحوادث فى هذا الباب ، ولكنها فى نظرنا حوادث فردية ، وليست سياسة عامة أو اتجاها شاملا . ومن هنا لا نستطيع اتخاذ مثل هذه الحوادث تكأة نعتمد عليها فى اعتبار هذا العامل — وهو عامل التشجيع — كان ذا خطر كبير وذا تأثير خطير فى حفزهم العلماء ودفعهم إلى ميدان التأليف ، كما دفع نظراءهم تشجيع خلفاء بنى العباس — مثلا — ووزرائهم وغيرهم من رؤساء دولتهم لعلماء عصرهم وأدبائه .

ومن هنا نشعر شعورا قويا بجلال هذا الإقدام العجيب الذى أقدمه علماء العصر المملوكى على اقتحام ميدان التأليف والاضطلاع بحمل أعبائه . فأية قوة نفسية تلك التى كانوا يدخرونها بين ضلوعهم ، وأية شجاعة قلبية تلك التى كانوا يحتازونها بين حناياهم ! إن بعضهم ، بل كثيرا منهم — يعتبر هاويا من هواة التأليف ، قد تعددت مؤلفاته فى شتى العلوم ، حتى عدت بالمئات .

على أننا ، وقد اعترفنا بضعف هذا العامل باعتباره حافزا من حوافز الاشتغال بالعلم والتأليف ، لا نرى مناصا ، للعصر إنصافا ، من ذكر ما قرأناه عن حوادث التشجيع الفردية فنها :

ما ذكره ابن أبي حجلة المغربي عن كتابه « ديوان الصبابة » ، فقد قال في مقدمته إنه احتفظ لنفسه بهذا الكتاب بعد تأليفه حتى برزله مرسوم شريف من الملك الناصر حسن بطلبه ، فقدمه إليه .

وكذلك قال عن كتابه « سكردان السلطان » فإنه ألفه للسلطان الناصر حسن المذكور . ولعل هذا يرجع إلى المزاج الأدبي لهذا السلطان ، ويبدو أنه كان كثيرا ما يشجع الأدباء، فإنه كذلك طلب إلى الشاعر ابن نباتة المصرى ، أن يقدم إليه ديوانه الشعرى، فقدمه . وقد وظفه السلطان بديوان الإنشاء بالقاهرة ؛ فلعل ذلك كان إحدى جوائزه على ديوان شعره .

وذكر السيوطى فى حسن المحاضرة « ج ٢ ص ٧٢ » أنه ألف للخليفة المتوكل على الله أبي العز عبد العزيز المتوفى عام ٩٠٣ ه كتابين أولهما : « كتاب الأساس فى فضل بنى العباس » ، وثانيهما « كتاب رفع الباس عن بنى العباس » .

وقيل إن المؤرخ أبا بكر بن أيبك ، ألف كتابه « كنز الدرر وجامع الغرر » للسلطان الناصر محمد بن قلاوون — راجع تاريخ آداب العربية لجورجى زيدان ج ٣ ص ١٩٢ .

كما عرف أن السلطان الغورى، ألفت له كتب منها كتاب « نفائس المجالس السلطانية فى حقائق الأسرار القرآنية » من تأليف حسين بن محمد الحسينى . ومنها كتاب « الكوكب الدرى فى مسائل الغورى » وقد نشرا أخيرا ملخصين عام ١٩٤١ م .

وقال جورجى زيدان أيضا — ج ٣ ص ٢٥٤ أن محمدا القوصوى الطبيب ألف للغورى بإشارة منه كتابه الطبى « كمال الفرحة » .

وقال أيضا — ج ٣ ص ٢٥٤ — إن عماد الدين موسى بن محمد اليوسفى المصرى المتوفى عام ٧٥٩ه ألف للسلطان جقمق كتابه « كشف الكروب فى معرفة الحروب » وهو فى الفنون العسكرية .

وقال أيضا فى ص ٢٥٧ إن محمد بن لاچين الحسامى الطرابلسى الرماح ، ألف

كتابه فى الفروسية ، وهو « بغية القاصدين فى العمل بالميادين » للأمير سيف الدين الماردينى صاحب حلب .

وقال أيضا فى ص ٢٥٩ إن حسن بن عبد الله العباسى ألف كتابه « آثار الأول فى تدبير الدول » للسلطان المظفر بيبرس المنصورى .

وقال أيضا فى نفس الصفحة إن محمود بن اسماعيل الجيزى ألف كتابه « الدرة الغراء فى نصائح الملوك والولاة والوزراء » للملك الظاهر أبى سعيد جقمق العلائى .

وقال فى ص ١٨٢ إن شهاب الدين الأشرفى ألف كتابه « البرهان فى فصل السلطان » للسلطان الملك الظاهر خشقرم .

وذكر ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب ص ٨٠ ، أن شمس الدين بن ناهض الفقاعى كتب سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى سلطان مصر ما بين نظم ونثر ، وقدمها إليه فى عام ٨١٨ هـ .

وفى فهرس دار الكتب المصرية ج ٥ ص ٢٠٥ ، أن كتاب « روض المناظر » ألفه قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة المتوفى عام ٨١٥ هـ ، إجابة لرغبة الأمير عماد الدين محمد نائب السلطان بقلعة حلب . وبهذا الكتاب حديث عن المخلوقات والمشاهير وغير ذلك .

وفى ص ١٣٣ منه أيضا أن كتاب « تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك » ألفه أحد العلماء الأفاضل برسم السلطان الأشرف الغورى . وبهذا الكتاب سير ملوك ووزراء وقضاة .

١١ — تنافس العلماء

لا أعنى بتنافس العلماء هنا، تنافسهم فى سبيل العلم وفى سبيل التأليف ومباراتهم بالمناظرات والمحاورات، وما إليها مما يكون ذا أثر بعيد وبديع فى الحركة العلمية. لا، وإنما أقصد تنافسهم فى سبيل بلوغ هذه المراكز العالية التى خصصت لهم فى القضاء وفروعه وفى مشيخة الإسلام وفى مشيخة المساجد والمدارس، وفى تولى التدريس بها وفى مشيخة الخوانق كذلك وسواء فى ذلك أكان مغريهم الرواتب المادية أم المنزلة الأدبية التى يصلون إليها بمصاحبة السلطان والأمراء وأعيان الدولة، وفى التقدم فى الصفوف الأمامية، وفى دعوتهم للاستشارة، وفى دعوتهم للفتيا، وهكذا. — كان هذا كله ميدانا لتسابق علماء العصر، وتنافسهم. وهذا التسابق والتنافس له أثره غير المباشر فى تقدم الحركة العلمية. فإن العلم هو أهم سلاح يتقلده كل منافس.

لذلك كان على كل طامع فى جاه أو منصب أو مال أو شهرة أو نحو ذلك من علماء العصر، أن يسعى إلى مطمعه من ناحية العلم أولا، فعليه أن يتتلمذ ويتنقل من شيخ إلى شيخ وأن يدأب على الدرس والمطالعة وأن يلم بشتات من علوم عدة ثم عليه بعد ذلك أن يجرب نفسه فى التصدى للتدريس والفتيا والتأليف، وأن يبنى بيديه أساس مستقبله، وأن يتصدى للنفع العام، وتفقيه الطلاب والعامة، فإذا أفلح فى ذلك ذاع صيته واشتهر، وعرف خبره وكثر ذكره، وسما اسمه إلى مسامع الملوك والأمراء، وتولدت لديهم الثقة به، والركون إليه فيدعى حينئذاك إلى تربع فى منصب، أو جلوس فى دست، أو استشارة فى أمر. وهكذا. لذلك نقول إن تنافس العلماء من هذه الناحية كان من وسائل تشجيع الحركة العلمية.

وحسبك أن تقرأ ما كتبناه فى الجزء الأول من هذا الكتاب عن القضاء والقضاة لتدرك بعض ما أشرنا إليه هنا.

١٣ ـ تجديد الخلافة

فصلنا فى الجزء الأول [١] من هذا الكتاب ، حديث الخلافة وتجديدها فى مصر ، بعد زوالها من بغداد ، بنحو ثلاث سنوات . ونوهنا بالجهود التى بذلها السلطان الظاهر بيبرس فى سبيل إنشائها . وهى فرصة انتهزها بيبرس ليدعم مجده بعمل دينى عظيم ، يلفت إليه أنظار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويبهر أبصارهم ، ويجمع من حوله قلوبهم ، ويبرز سلطنته بين دولهم باعتبارها حاضنة الخلافة ورافعة علم الإسلام . ولكى يكسب سلطنته صفتها الشرعية ، إذ يضفيها عليه خليفة مبايع يملك التولية والعزل ولو من الناحية الشكلية .

وقد عاشت هذه الخلافة — على علاتها — فى مصر ، إلى آخر عصر المماليك ، ثم زالت بزواله . ولبث سلاطين مصر طيلته يستمدون سلطتهم الشرعية من الخلفاء . وكذلك فعل بعض ملوك المسلمين غيرهم .

ولا ريب أن وجودها كان له أثره المعنوى العظيم فى جعل البلاد المصرية محورا إسلاميا ومركزا دينيا هاما ، وعشا للعلماء ينشئون فيه أو يفدون إليه ، ويستمدون منه الإلهام والتوجيه ، فى جهادهم العلمى ، والسعى سعيا غير شعورى ، فى سبيل تدعيمه . إذ فى بقائه بقاؤهم ، وفى زواله طامة عليهم .

وهكذا استكملت القاهرة كل العناصر اللازمة للنشاط العلمى ، فإنها لم يكن ينقصها قبل إنشاء الخلافة بها إلا هذه الخلافة ، لكى يتم لها وجوه الشبه بينها وبين بغداد .

---

(١) القسم الثانى منه ص ٧

خاتمة

ويحسن بنا أن نختتم هذا الباب بما قاله ابن خلدون «٨٠٨ ﻫ» فى مقدمته عن مبلغ تقدم العـــلوم والفنون ، ومبلغ العناية بهما فى البلاد المصرية مع التعليل لذلك . قال :

« ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم ، إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر ، لما أن عمرانها مستبحر ، وحضارتها مستحكمة ، منذ آلاف من السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع ، وتفننت . ومن جملتها تعلم العلم . وأكد ذلك وحفظه ، ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين فى دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب ، وهلم جرا .

وذلك أن أمراء الترك فى دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم ، لما له عليهم من الرق أو الولاء ، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته . فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة ، يجعلون فيها شركا لولدهم ، بنظر عليها أو نصيب منها ، مع مافيهم غالبا من الجنوح إلى الخير ، والتماس الأجور فى المقاصد والأفعال . فكثرت الأوقاف لذلك ، وعظمت الغلات والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلمه ، بكثرة جرايتهم وارتحل إليها الناس فى طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها أسواق العلوم ، وزخرت بحارها . والله يخلق ما يشاء » . (١)

(١) راجع تقويم النيل ج ١ ص ٢٠٢ ، ومصر والنيل ص ١٥ ، كلاهما لأمين سامى باشا .

الباب الثالث

نتائج نشاط الحركة العلمية

تكاد تنحصر نتائج هذا النشاط العلمى فى ثلاثة أمور هى: أولا : وفود الطلاب إلى دور التعليم . ثانيا : كثرة العلماء والأدباء . ثالثا : نشاط الحركة التأليفية .

١ ـ وفود الطلاب إلى دور التعليم

لا ريب أن افتتاح المدارس، وتعيين العلماء فيها للتدريس ، والعناية باختيارهم ورصد الأوقاف للإنفاق عليها ، وإجراء الرواتب على طلابها ، وتهيئة المساكن لنومهم ، وتزويدهم بالطعام والكسوة وما إلى ذلك مما فصلناه فيما سبق ، من شأنه أن يجذب إليها قلوب الطلاب ، ويحببهم فى الانتظام فى سلكها ، بل وإلى الانقطاع إلى طلب العلم فيها .

وليس لدينا ثبت نرجع إليه فى معرفة عدد الطلاب المنتظمين فى كل مدرسة، وفى كل جيل ، حتى نستطيع أن ندرك بالضبط إلى أى مدى وصلت هذه الحركة التعليمية .

غير أنه قد نُص فى سياق بعض الحوادث والأخبار ، على أن عدد الطلبة كان يحدده منشىء المدرسة ، وبخاصة عند كتابة شروط وقفها . وهذه نصوص فردية ، لا عامة .

والمفهوم أن هذا التحديد ــ إن كان ــ منشؤه أن الوقف محدود ، وفى طاقة ريعه أن ينفق على عدد محدود من الطلاب .

وكان بعض الواقفين يحدد عدد طلاب مدرسته بعشرة . وبلغ العدد

أحيانا ثلاثين . وهذا يدلنا على قلة من انتظم فى سلك الطلبة انتظاما ثابتا مستمرا. زد على ذلك ما كان يصيب الأوقاف المدرسية ، بعد وفاة الواقف ، من عبث وضياع ، كان لهما أثرهما بلا ريب فى نقص عدد الطلاب المنتظمين .

ومع ذلك كله ، فقد كانت أبواب المدارس مفتحة يلجها من شاء من الطلاب، منتظمين وغير منتظمين على السواء ، فى أى وقت ، لسماع دروسها ، والاغتراف من مناهلها . وفى ذلك ما فيه من الحرية التعليمية ، التى تعين كثيرا من العامة والراغبين فى العلم ، غير المنقطعين إليه ، ممن لا يتقيدون برواتب أو جرايات، يعطونها من الأوقاف، لقاء حضورهم الدروس ، نقول تعينهم بل تستهويهم إلى طلب العلم ، فيترددون على هذه الدور الفينة بعد الفينة طلبا للثقافة .

وبهؤلاء وهؤلاء زخرت دورا لتعليم وماجت بطلاب العلم ، لا من البلاد المصرية وحدها ، بل ، ومن كل إسلامى آخر . إذ أصبحت مصر أهم كعبة علمية إسلامية يحج إليها محبو العلم وطلابه بلد وقد قيل إن الجامع الأزهر انتظم فى سلك طلابه أحيانا ما يزيد على سبعمائة وخمسين طالبا فى آن واحد ، وأنه ضاق عن أن يتسع لمثل هذا العدد الضخم ، فخرج الطلاب منه إلى العراء بجواره بين الهواء الطلق ، يتناولون هناك ما يحلو لهم من أطايب العلم والأدب. وكان من بينهم أحيانا، العجم والزيالعة والمغاربة ، وغيرهم من الطلاب الغرباء . (١)

٢ — كثرة العلماء والأدباء

وهذه من أهم نتائج النشاط العلمى ، إذ زخر العصر بالعدد الوافر من علماء المذاهب الأربعة والعلماء المجتهدين، وكثير من المتصوفة وأهل الكلام، والأصوليين، والنحويين واللغويين والأدباء والأطباء والمنجمين والفلكيين والمؤرخين ، إلى غير هؤلاء وهؤلاء .

---

(١) راجع ما كتبه المقريزى عن الأزهر ج ٤ من الخطط

وحسبك العودة لما ترجمناه فى باب القضاء والقضاة فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، ولمن نوهنا بذكرهم فى باب الدورس المقررة وأثرها ، ومن سننوه به منهم فى باب المؤلفين الآتى :

وقد نشط كثير من هؤلاء العلماء إلى التأليف والفتوى والتدريس والوعظ ، وشغلوا مناصب القضاء والكتابة وما إليهما ، وشغفوا بالمحاورات والمناظرات فى علوم الدين وعقائده ، فكان من وراء ذلك كله حركة فكرية نافعة ممتعة .

ومن المناظرات ما ذكره السبكى فى طبقاته (١) فى سياق ترجمة أبيه تقى الدين السبكى ، أن عددا من العلماء اجتمع معه وناظره كل منهم ، حتى أبطل حجة كل ومقالته ، ثم عاد فدعمها ، ثم عاد فاختار مذهب الشافعى ودعمه .

وقال صاحب الدرر الكامنة (٢) ، فى سياق ترجمة تاج الدين محمد المراكشى الشافعى المولود بالقاهرة إنه تناظر هو والفخرى ، فكان من حضر لا يفهم ما يقولانه لسرعة عبارتهما .

ومن المناظرات ماجرى بين ابن تيمية الحرانى وأنصاره من جانب ، وبين معارضيه من جانب ، وما جرى له فى مجالس التحقيق فيما أدعوه عليه .

وسنعود إلى توضيح هذا الموضوع فيما بعد .

٣ ـــ نشاط الحركة التاليفية

هذه الحركة هى أهم نتائج النشاط العلمى ، وهى أهم ما نعنى بوصفه فى هذا الجزء من كتابتنا ، إذ هى الثمرة الخالدة والأثر الباقى ، والوصلة الصالحة بين الماضى والحاضر . وهى بما أنجبت من مؤلفات ، سلسلة ذهبية وثقى ، سرى بها العلم وروحه من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة . وكان لمصر بسببها مفخرة أى مفخرة .

---

(١) الطبقات جـ ٦ ص ١٧١ ، ١٧٢

(٢) جـ ٣ رقم ٨٠٣

إذ ماجت صفحاتها بهذه الأمواج الكثر من المؤلفين ، وبهذا الجم الغفير من المؤلفات .

وهى، فيما بين هذا وذاك، رحبة الصدر كثيرة الخير ، تحمل للإنسانية والعلم ما ألقاه الزمان على كاهلها من أعباء النهوض بهما ، فجهدت فى القيام على ذلك ، وحملت الأمانة فأحسنت حملها وأداءها .

ونتناول هنا بالكلام، العلوم المختلفة ، مشيرين إلى ماهيتها فى هذا العصر ، والاتجاهات التى اتجهت فيها ، والنواحى التى سلكتها . مع ذكر طائفة من المؤلفين والمؤلفات فى كل مادة على حدة . ثم نترجم لعدد من هؤلاء النوابغ ، مابين إيجاز وتفصيل .

ولم نعن فى هذا المقام إلا بالمؤلفين الذين اتصلوا بمصر والشام فى ذلك العصر ايصالا ما ، مثل الاستيطان ، أو الزيارة والمرور ، أو الوظيفة أو نحو ذلك . ولولم يكن أحدهم مصريا خالصا صميما . وعوامل اكتساب المصرية كثيرة . . . ثم أغضينا عمن عدا هؤلاء لضعف صلتهم بمصر أو الشام ، فنقول والله المستعان :

المؤلفـــات[1]

لا نبالغ إذا قلنا إن مؤلفات علماء مصر فى خلال العصر المملوكى، وهو أقل من ثلثمائة عام ، تبلغ عدة آلاف ، وحسبنا دليلا على ما نقول أن بعضهم عُرف

١ — اعتمدنا فى هذا الباب على كتب كثيرة ومراجع عدة ومنها :
حسن المحاضرة للسيوطى ورمزنا إليه بحرف «س» ، وطبقات الشافعية للتاج السبكى ورمزنا إليه بحرف « طش » وطبقات الحنفية ورمزنا إليه بحرف « طح » ، وطبقات الحنابلة لمحمد جميل الشطى ورمزنا إليه بحرف « طن » وفوات الوفيات لابن شاكر ورمزنا إليه بحرف « ف » والطالع السعيد للادفوى ورمزنا إليه بحرف «طس» والجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ورمزنا إليه بحرف « ج » - وورد الكتب ورمزنا إليه بحرف « م ».

عنه أنه وحده ألف مئات من الكتب والرسائل ، كالسيوطى فقد قيل إن مؤلفاته أربت على ستمائة ، وكابن تيمية الحرانى فقد قيل إن مؤلفاته أربت على خمسمائة ، وكابن حجر العسقلانى فقد قيل إن مؤلفاته أربت على مائة وخمسين ، وهكذا .

وبلا ريب، كانت هذه المؤلفات تملأ دور الكتب المصرية فى العصر المذكور بجوار دور التعليم ، عدا ما كان منها فى خزائن الكتب بدور بعض الأمراء أو الرؤساء والعلماء . وكانت تحتل مكانها بجانب غيرها من ثمار القرائح فى العصور الأدبية السابقة .

فلما فتح العثمانيون مصر عام ٩٢٣ ه ، وأزالوا حكم سلاطين المماليك ، نهبوا ذخائر البلاد ونفائسها ، وفى مقدمتها تلك المؤلفات . فحملوها فيما حملوا إلى عاصمة بلادهم ، وجملوا بها دور كتبهم ؛ ولم تبق فى مصر إلا صبابة من تلك الكأس المليئة، مبعثرة هنا وهناك ؛ وقد كانت هذه الصبابة نواة لإنشاء دار الكتب المصرية بالقاهرة، فى عهد عاهل مصر العظيم الخديو إسماعيل .

وتسرب كثير من هذه المؤلفات كذلك إلى مكاتب أوربا ، فازدانت بها هذه المكاتب .

ولا تزال هذه وتلك ، تنادى المصريين وتهيب بالكرماء منهم والغيورين على تراث مصر ومجدها ، والحريصين على كنوزها العلمية ، أن يردوا عليها غربتها ، ويعيدوها هى أو صورة منها إلى الوطن العزيز .

إن هذه المؤلفات بلاريب ، أعانت هى وأمثالها كثيرا من المستشرقين على ما هم بصدده من البحوث الإسلامية والمشرقية . ونحن أولى بأن تكون قريبة منا لتقدم إلينا مثل هذه المعونة .

على أن عددا ضخما من هذه البقية الباقية من المؤلفات المصرية ، التى كان من نصيبها السلامة من عبث العثمانين ، وتزدان بها الآن دور الكتب، بالقاهرة وغيرها، لا يزال مخطوطا ، لم يزل عنه غبار النسيان ، فى عصر اكتملت فيه كل أدوات الطباعة ووسائلها . ومست حاجة النهضة إلى طبعها .

وحقا ، أخرجت مطبعة بولاق وغيرها بعضا من هذه الأسفار المجفوة ، وكذلك عُنى بها بعض كرام الأدباء ، وسهر على إخراجها إلى النور ، فكان لذلك كله أثر بارز فى النهوض العلمى والثقافة الحديثة ، غير أن هذا لم يعدُ قطرة من بحر ، ونشقة من زهر .

وبعد ، فلنعد إلى هذه المؤلفات المصرية ، وعصر تأليفها ، وهى العصر المملوكى. فنقول إنها قد تنوعت صنوفها ، واختلفت ضروبها ، وكان لكل علم نصيب منها . وها نحن أولاء ننوه ببعض منها . فمن ذلك :

كتب التاريخ

التاريخ فى مقدمة الفنون التى سعدت بالعناية ، ورزقت الرعاية فى هذا العصر . فقد تضافرت الجهود ، وتضاعفت الهمم ، وتنافست العقول والأيدى على إخراج كتب تاريخية حافلة . فامتلأت بها خزانات الكتب ، وتعددت أنواعها وتكاثرت مزاياها ، حتى أصبحت ذخيرة نفيسة عظيمة القيمة ، لا غنى عنها للإنسانية والتاريخ فى حلقاتها الحافلة . ولو لم توجد هذه الكتب التاريخية التى ألفها رجال العصر المملوكى ، لأصيب تاريخ مصر وتاريخ الإنسانية معها ، بنقص ذريع . ولبانت فيه ثغرة فاغرة واسعة لا يستطيع أحد من بعدُ سدها .

ولعلنا نعرف مزايا هذه النهضة التاريخية العجيبة — أكثر مما عرفنا — إذا علمنا أن هذه المؤلفات تضم بين ثناياها ضروبا أخرى من أقوال تاريخية وأنباء ، تتوارد فى سياق الموضوعات الرئيسية التى تكلفت الحديث عنها ، كذكر مؤلفات العلماء ، وحوادث الأعلام ، وأخبار المناظرات والمجادلات ، وما وضع بسببها من الرسائل والمقالات والبحوث الفقهية وغيرها ، وتدوين نصوص عدة من منثور الكلام ومنظومه ، وتسجيل الطرف الأدبية ، والحوادث الفكاهية وما إلى ذلك . مما يوقف الباحث على الاتجاهات الأدبية ، ويعينه على فهم النزعات

الاجتماعية ، والعادات والتقاليد المرعية . ولا يزال ميدان البحث فى هذه الأمور وما شاكلها، خلوا لم يخترقه من الجياد إلا قلائل . ولا يزال فى حاجة قصوى إلى الكر والتجوال . وفيه للمنقب الخبير الجامع للشعث ، اللام للشتات، المتعمق المستنبط، مدى فسيح ، وأفق رحب وعمل بارع مجيد، عظيم القيمة جميل العاقبة .

وإننا مع إعجابنا الشديد بهذه اللمحات البارقة ، وبمن تهدّى إليها من المؤرخين، لا ننكر أن فيها خلطا بين العناصر التاريخية، وتقطيعا للبحوث الرئيسية ، وإجهادا للقارىء أو الباحث المعني بناحية ما وحدها ، وإضاعة لزمنه . ولكن هكذا كانوا يؤلفون. كأنما أرادوا أن يقدموا للباحثين من بعدهم بذورا يستولدون عليها نباتهم، وإن اختلطت حباتها ، أو فسائل يستنبتون عليها غراسهم ، وإن تداخلت أصولها.

لذلك نرى ضرورة تجديد هذه الكتب ، وطبعها، لبعثها بأثواب قشيبة تجاب إليها أنظار الناشئة والهواة ، بما لها من طبع جميل ، وما بها من نظم تيسر سبيل الاستفادة منها ، وأبسطها ترتيب فهارسها وتنوعها بتنوع الأعلام والحوادث والموضوعات ونحوها .

ومن مزايا بعض هذه الكتب ظهور روح النقد فيها ، مع حسن الضبط وتحرى الصواب ، وتغلغل النظر فى بواطن الحوادث والنزوع إلى استنباط القضايا العامة . وعلى رأس القائمة مقدمة ابن خلدون وتكاد تكون نسيج وحدها فى هذا العصر وفيها ما فيها من كثرة القضايا ، وعمق النظر ، وحسن الاستنباط ، وشمول الحكم ، وصوابه فى كثير مما ذهب إليه .

ومن المؤلفات التاريخية المشهورة كذلك : وفيات الأعيان لابن خلكان، واشتهر بحسن الضبط ودقة النقل وإيراد الروايات .

وخطط المقريزى وسلوكه وغيرهما من كتب هذا العلامة الذى اشتهر بطرافة موضوعاته مع الحرص على الاستيعاب وكشف الخفى الدقيق من اجتماعيات ونظم إدارية .

والضوء اللامع للسخاوى ، فقد شاعت فيه روح النقد ، مع العناية بأخبار معاصريه وأنداده منهم بخاصة .

وكتاب الوافى بالوفيات لصلاح الدين بن أيبك الصفدى، وقد عُرف بضخامته وسعته.

ومن يقرأ كتاب ابن إياس فى تاريخ مصر، وهو بدائع الزهور، يشعر فى ثناياه بروح نقد قوية تتجلى، وبصراحة واضحة لا هوادة فيها، تتراءى.

فلكل مؤلف خصوصيات ترسم شخصيته، وسنعود إلى هذا الحديث بتفصيل وتمثيل فيما بعد.

ولعل ظهور روح النقد فى كتب المؤلفين، كان من أسبابها: استعجام ملوك العصر، وبعدهم عن فهم مايدونه المؤرخون فى بطون أسفارهم، وكذلك عدم سيطرتهم المادية عليهم، هذا إلى تلك الشدائد التى قاساها العصر، والمحن التى شغلت ملوكه وأمراءه بالحروب الخارجية والفتن الداخلية. فأتاحت لهؤلاء غفلة من حكامهم القساة، نعموا فيها بطيب النقد، والاسترواح إليه بين الفينة والفينة.

على أن العصر كان عصر تزويق وتنميق ومداهنة، بدت هذه الظاهرة فى أمور كثيرة، وهى بدورها تولد روح النقد وتنميها، وتمدها بمادة ثرية للحديث. كما أن هؤلاء المؤرخين، هم فى أصالة أمرهم، رجال دين وعلماء شرع، الحق فى أغلب أمرهم ضالتهم. فلا يبالون فى سبيله بشىء.

هذا، على أن منهم من خرج إلى ميدان من النقد فسيح آمن، بعيداً عن عنت الملوك والأمراء وكيد الرؤساء، فتناول بالنقد غيره من العلماء والأدباء، فكان من نقده مادة طريفة من مواد البحث.

ومن لطيف مانظفر به فى مؤلفاتهم ما كتبوه عن معاصريهم وأهل جيلهم مما رأوه بعيونهم، واشتركوا أحيانا فى حوادثه. وفى كثير منه استيعاب ودقة وصدق.

ولم يقصروا موضوعاتهم الرئيسية على ضرب من التاريخ دون ضرب. بل طرقوا صنوفه المتعددة وأبوابه المختلفة. فتباينت أسفاره وتعددت أنواعه.

بهذا كله نراهم قد استجابوا لذلك النداء المدوى فى أرجاء الضمائر الإسلامية

داعيا إلى تعويض الإسلام وتاريخه ، عما فقده من ذخائره فى بغداد بالتتار ، وفى الشام الصليبيين ، وفى الأندلس بالفرنجة .

وإننا لنسوق هنا ثبتا ، نذكر فيه عددا من الكتب التاريخية فى كل نوع حسبما وسعته المقدرة ، وبلغه جهد الاطلاع ، ذكرا فيه سرد وإيجاز ، أما التفصيل فله موضع آخر.

١ — كتب تراجم الاعلام

إنما قدمنا ذكر هذا النوع من الكتب التاريخية لأنه أكثرها عددا وأوفرها عناية ، وأفضلها ضبطا وأكثرها سعة ، وأضخمها استيعابا وأعمها نفعا ، وأوسعها تناولا .

وقد لاتجد فى عصر ما من العصور السابقة ولا اللاحقة ، مجموعات من كتب التراجم شبيهة بما وضع منها فى هذا العصر — وأجمل مايلفت النظر فيها ، عناية المؤرخين بترجمة أعلام العصر نفسه ، المعاصرين لهم وغير المعاصرين . فتركوا بين يدينا بذلك حلقات متتابعة ، كل حلقة منها حسنة الصلة بالأخرى . ويتكون من كل عدة حلقات منها سلسلة متماسكة وثيقة ، يقرأ المرء فيها حياة رجال هذا العصر من أوله إلى آخره . ولا يقرأ المرء فيها حياة هؤلاء الرجال فحسب ، بل يجد كثيراً من نواحي العصر الروحية والخلقية والاجتماعية والسياسية والعلمية وما إلى ذلك ، كما نوهنا

وإليك مثلا لذلك : كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى عام ٦٨١ هـ وبه أكثر من ثمانمائة ترجمة . بينها عشرات التراجم لبعض أهل القرن السابع . وقد وضع ابن شاكر الكتبي المتوفى عام ٧٦٤ هـ ملحقا لهذا الكتاب سماه « فوات الوفيات » ضمنه عشرات التراجم لبعض أهل القرن الثامن . وقد اقتدى بهما الصلاح الصفدى المتوفى عام ٧٦٤ هـ أيضا فى كتابه الجامع المسمى « الوافى بالوفيات »

ضمنه ـ على مايقال ـ مئات من تراجم أهل القرنين السابع والثامن .

وإليك مثلا آخر : كتب البرزالى المتوفى عام ٧٣٩ هـ كتابه « مختصر المائة السابعة » به تراجم كثيرين ممن عاشوا فيها . وكذلك صنع الأدفوى المتوفى عام ٧٤٨هـ فكتب كتابه «البدر السافر وتحفة المسافر» فى تراجم مشاهير القرن السابع .

ثم وضع ابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢هـ كتابه « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » ترجم فيه مشاهير القرن الثامن . ومن قبله وضع الصفدى صلاح الدين المتوفى عام ٧٦٤ هـ كتابه « أعيان العصر وأعوان النصر » وهو فى تراجم مشاهير القرن الثامن الهجرى .

ثم وضع السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ كتابه « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » ترجم فيه لمشاهير هذا القرن .

وقد أتم هذه السلسلة من الكتب ، كتب أخرى كطبقات الشافعية للسبكى ، وطبقات الشافعية للاسنوى وغيرهما .

ويجب أن يكون مفهوما أن بين ثنايا تراجم الكتب المذكورة تراجم كثيرين ممن لم يعيشوا فى مصر ، ولا يعنينا أمرهم فى عصرنا الذى نحن بصدده .

هذا وقد اعتبرنا كتب الأنساب الخاصة برجال الحديث داخلة ضمن كتب هذا الباب .

كما أنه من ظرف هذه الكتب أن تراجمها مرتبة ترتيبا هجائيا حسب أسماء الأعلام . وهذا مما يسهل تناولها فكأنها تحمل فى طياتها فهارسها . — وإليك ثبتا ببيان بعض هذه الكتب .

١ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان : مؤلفه

شمس الدين بن خلكان المتوفى عام ٦٨١ هـ . وهو معجم تاريخى به أكثر من ثمانمائة ترجمة مرتبة ترتيبا أبجديا . وبه أعلام من عصور مختلفة وطبقات مختلفة . ويمتاز بالضبط والدقة وتحرى الصواب . وهو جزءان كبيران .

٢ — الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد : مؤلفه كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوى المتوفى عام ٧٤٨ هـ. وهو معجم حافل بهأكثر من ٥٩٠ ترجمة لأعلام الصعيد من معاصرى المؤلف وممن سبقهم كذلك وهو مرتب على حروف المعجم .

٣ — البدر السافر وتحفة المسافر : مؤلفه الأدفوى السابق ذكره أيضا . وهو فى تراجم مشاهير القرن السابع الهجرى .

٤ — الوافى بالوفيات : وهو لصلاح الدين الصفدى المتوفى عام ٧٦٤ هـ . وهو فى نحو خمسين مجلدا ، ولا يوجد مجتمعا فى مكتبة واحدة . وهو موسوعة جامعة فى تراجم الأعلام اقتدى فيها بابن خلكان فى وفيات الأعيان . ذكره السيوطى فى خطبة كتابه « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » وأنه أطلع عليه بخط الصفدى فى أكثر من خمسين مجلدا .

٥ — أعيان العصر وأعوان النصر . مؤلفه صلاح الدين الصفدى كذلك . وهو مجموع تراجم مشاهير القرن الثامن الهجرى إلى أيام المؤلف ، من النساء والرجال.

٦ — فوات الوفيات : مؤلفه محمد بن شاكر الكتبى المتوفى عام ٧٦٤ هـ . وهو تذييل على كتاب وفيات الأعيان . ومرتب على حروف المعجم . وبه نحو خمسمائة وخمسين ترجمة لأعلام من عصور مختلفة على نمط كتاب الوفيات . وهو جزءان .

٧ — عيون التواريخ : مؤلفه ابن شاكر أيضا . وهو مجموع تراجم مرتب السنين ، انتهى فيه إلى سنة ٧٦٠ هـ فى ستة مجلدات .

٨ — الإصابة فى تمييز الصحابة : كتاب مشهور لابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ ، وهو مرتب على الحروف .

٩ — المجمع المؤسس للمعجم المفهرس : مؤلفه ابن حجر العسقلانى أيضا . ذكر فيه أسماء شيوخه ورتبه على الحروف .

١٠ — الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : كتاب نفيس لابن حجر العسقلانى أيضا . وهو أربعة أجزاء تحتوى على أكثر من ألف ترجمة لأعلام هذه المائة مرتبة حسب الحروف .

١١ — رفع الإصر عن قضاة مصر : مؤلفه ابن حجر العسقلانى أيضا . ذكر فيه قضاة مصر من أول فتحها إلى آخر المائة الثامنة.

١٢ — تقريب التهذيب فى رجال الكتب الستة : وهو لابن حجر العسقلانى أيضا

١٣ — تاج التراجم : وهو فى طبقات الحنفية ، ومؤلفه أبو الفضل بن قُطْلُوبُغا المتوفى عام ٨٧٩ هـ، مرتب على الحروف .

١٤ — عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران : مؤلفه برهان الدين البقاعى المتوفى عام ٨٨٥ هـ . جمع فيه تراجم شيوخه وأساتذته ومعاصريه وتلاميذه على حروف المعجم . ج ٣ — ص ١٦٨

١٥ — عنوان العنوان : وهو مختصر الكتاب السابق . ألفه البقاعى كذلك.

١٦ — الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع : من أنفس كتب التراجم ، ومؤلفه شمس الدين السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ . وهو كتاب جامع لأعلام القرن التاسع الهجرى فى ١٢ جزءا

١٧ — ذيل رفع الإصر عن قضاة مصر ، مؤلفه شمس الدين السخاوى أيضاً . استدرك فيه وذيل لكتاب شيخه ابن حجر .

١٨ — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، مؤلفه شمس الدين السخاوى أيضا . عرف فيه التاريخ وما ألف فيه . وأسماء المؤرخين على حروف الهجاء .

١٩ — طبقات الشافعية ، مؤلفه الإسنوى المتوفى عام ٧٧٢ هـ، وهو فى رجال المذهب الشافعى [1]

---

(١) هذا ما ذكره جورجى زيدان ج٣ص ١٧٠ — وذكر السيوطى فى حسن المحاضرة « باب فقهاء الشافعية » ما يفهم منه أن محيى الدين بن جعفر الإسنوى المتوفى عام ٧٥٦ هـ له طبقات للشافعية وأن جمال الدين بن عبد الرحيم الإسنوى المتوفى عام ٧٧٢ هـ له طبقات للشافعية.

٢٠ — مختصر المـــائة السابعة : مؤلفه القاسم علم الدين البرزالى المتوفى عام ٧٢٩ﻫ وهو مرتب حسب الوفيات .

٢١ — درة الأسلاك فى ملك الأتراك : مؤلفه بدر الدين بن حبيب الحلبي الدمشق المتوفى عام ٧٧٩ ﻫ . وهو فى تاريخ السلاطين المماليك المصرية، ومرتب حسب السنين من سنة ٦٤٨ ﻫ إلى ٧٧٧ ﻫ . وفى أثناء ذلك أورد تراجم من مات من العلماء والأعيان فى تلك الفترة .

٢٢ — نظم الجمان فى طبقات أصحاب إمامنا النعمان : مؤلفه صارم الدين بن دُقماق المصرى المتوفى عام ٨٠٩ ﻫ . ثلاثة مجلدات الأول فى مناقب أبى حنيفة .

٢٣ — كتاب المقفى : مؤلفه تقى الدين المقريزى المتوفى عام ٨٤٥ ﻫ ، وصف فيه عيشة الأمراء والمشاهير الذين أقاموا بمصر . مرتب ترتيبا أبجديا أراده ثمانين مجلدا فأخرج منها ١٦ مجلدا .

٢٤ — درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة : ومؤلفه المقريزى كذلك . وهو معجم فى ثلاثة مجلدات ، لتراجم الأعيان من معاصرى المؤلف .

٢٥ — إمتاع الأسماع فيمن للنبى من الحفدة والأتباع : وهو للمقريزى كذلك فى ستة مجلدات . فى تاريخ أقرباء النبى وأصحابه كتبه وحدث به .

٢٦ — الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك : مؤلفه المقريزى أيضا . ذكر فيه ترجمة ٢٦ علما منهم النبى عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدون ومن بعدهم إلى أيام المؤلف . وهو خمسة أجزاء .

٢٧ — مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة : مؤلفه أبو المحاسن بن تغرى بردى المتوفى عام ٨٧٤ ﻫ . وابتدأ فيه بالنبى عليه الصلاة والسلام ثم الخلفاء الراشدين ، وهكذا إلى القائم بأمر الله الفاطمى . وعقب على ذلك بذكر العبيدين ومن بعدهم إلى أيامه .

٢٨ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : مؤلفه أبو المحاسن أيضاً . وهو كتذييل للوافى بالوفيات تأليف الصفدى . وهو معجم لمشاهير الرجال من سنة

٦٥٠ هـ [1] إلى آخر أيام المؤلف . وهو ثلاثة مجلدات كبيرة .

٢٩ ــ الإعلام فى وفيات الأعلام : مؤلفه اسماعيل الذهبي المتوفى عام ٧٨٠ هـ . وهو غير شمس الدين الذهبي

٣٠ ــ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام : مؤلفه شمس الدين محمد الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وهو تاريخ كبير فى نحو ١٢ مجلدا رتبه على السنين من أول الإسلام إلى سنة ٧٠٠ هـ . وجمع فيه بين الحوادث والوفيات .

٣١ ــ تهذيب تهذيب الكمال : مؤلفة شمس الدين محمد الذهبي أيضا . أما « الكمال » فهو معجم فى ثلاثة مجلدات لرجال الحديث وضعه أبو محمد المقدسى الجماعيلى. وقد وضع له جمال الدين أبو الحجاج المزى المتوفى عام ٧٤٢ هـ « تهذيبا »، ووضع الذهبي « تهذيبا » لهذا التهذيب هو المذكور هنا وهو فى خمسة مجلدات .

١٢ ــ التجريد فى أسماء الصحابة : وهو معجم كبير فى أربعة مجلدات لشمس الدين الذهبي أيضاً .

٣٣ ــ العبر فى أخبار البشر ممن غبر : وهو مختصر من تاريخ الإسلام . وكلاهما للذهبي شمس الدين أيضا .

٣٤ ــ طبقات الحفاظ : وهو لشمس الدين الذهبي أيضاً ، واقتطفه من كتابه الكبير « تاريخ الإسلام » .

٣٥ ــ طبقات القراء : وهو لشمس الدين الذهبي كذلك . اقتطفه من كتابه الكبير أيضاً « تاريخ الإسلام» .

٣٦ ــ تاريخ النبلاء : استخرجه الذهبي أيضاً من تاريخه الكبير .

٣٧ ــ معجم الأشياخ : وهو لشمس الدين الذهبي أيضا ترجم فيه لنحو ١٣٠٠ من أشياخه على حروف الهجاء .

---

١ ــ ذكر فى الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٦٩ ، ٧٠ فى سياق ترجمة المقريزى أن معجم « المنهل الصافى » لأبي المحاسن يبتدىء بترجمة الرجال من سنة ٦٥٠ هـ .

٣٨ ــ المشتبه فى الأسماء والأنساب : وهو لشمس الدين الذهبي أيضا . وفيه تراجم لكثير من الرجال والنساء الذين تشابهت ألفاظ أسمائهم أو كناهم أو أنسابهم. مرتب ترتيبا أبجديا.

٣٩ ــ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : تأليف شمس الدين الذهبي أيضاً . جمع فيه أسماء الرواة من كتب الحديث الستة وزاد عليهم . وهو فى نحو ثلاثة مجلدات.

٤٠ ــ جامع المسانيد والسنن الهادى لأقدم السنن : مؤلفه أبو الفداء اسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٤٨ ه . ترجم فيه رواة الحديث نقلا عن كتب الحديث الستة. مرتب على حروف المعجم .

٤١ ــ طبقات الشافعية . مؤلفه أبو بكر تقى الدين بن قاضى شُهبة الأسدى الدمشقى المتوفى عام ٨٥١ ه . وفيه تراجم مشاهير الشافعية إلى سنة ٨٤٠ ه . مرتب حسب الطبقات فى ٢٩ بابا . وكل باب مرتب حسب الحروف .

٤٢ ــ طبقات النحويين واللغويين : هناك ثلاثة كتب للسيوطى «٩١١ ه» فى طبقات النحاة مختلفة الحجم أصغرها يسمى « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » . . وقد ضاعت كبراها .

٤٣ ــ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : وهو للسيوطى كما قلنا . ترجم فيه لكثير من أهل اللغة وعلماء النحو . وهو منقطع النظير . ترجم فيه للمحمدين أولا ثم للأحمدين، ثم رتب البقية ترتيبا هجائيا من الهمزة إلى الياء .

٤٤ ــ تاريخ الخلفاء : وهو لجلال الدين السيوطى أيضاً . ترجم فيه للخلفاء من عهد أبى بكر إلى الأشرف قايتباى المتوفى سنة ٩٠١ ه .

٤٥ ــ طبقات الحفاظ : وهو لجلال الدين السيوطى أيضا . لخصه من طبقات الحفاظ لشمس الدين الذهبي .

٤٦ ــ طبقات المفسرين : وهو لجلال الدين السيوطى كذلك . وهو معجم أبجدى للمفسرين على اختلاف طبقاتهم .

٤٧ ـ الدرارى فى أبناء السرارى : وهو للسيوطى أيضا . ذكر فيه أسماء أبناء الخلفاء المولودين من الجوارى .

٤٨ ـ المنجم فى المعجم : وهو للسيوطى أيضاً . ذكر فيه أعيان شيوخه الذين سمع منهم .

٤٩ ـ عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : ومؤلفه موفق الدين بن أبى أصيبعة المتوفى عام ٦٦٨ هـ . وهو فريد فى بابه ومن خيرة كتب التراجم .

٥٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى : مؤلفها تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب السبكى المتوفى عام ٧٧١ هـ ، وهى ستة أجزاء أورد فيها رجال المذهب الشافعى مرتبين أولا حسب قرونهم، أى رجال كل مائة على حدة . ثم رتب رجال كل مائة ترتيبا أبجديا .

٥١ ـ الكوكب المضىء : مؤلفة شمس الدين السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ . ترجم فيه لكثير من العلماء المعاصرين له .

٥٢ ـ تذكرة الحفاظ : مؤلفه شمس الدين الذهبى المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وهو معجم كبير فى أربعة مجلدات .

٥٣ ـ الإعلام بتاريخ الإسلام : مؤلفه أبو بكر بن قاضى شهبة المتوفى عام ٨٥١ هـ وهو مختصر لتاريخ الذهبى « تاريخ الإسلام » .

٥٤ ـ المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد : مؤلفه أبو اليمن العليمى المتوفى عام ٩٢٧ هـ . وهو فى أصحاب ابن حنبل .

٥٥ ـ عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب : مؤلفه أحمد بن على بن عنبة المتوفى عام ٨٢٨ هـ أو عام ٨٢٥ هـ . وهو فى نسب العلويين وتراجمهم .

٥٦ ـ بحر الأنساب : مؤلفه ابن عنبة أيضا . وهو فى نسب بنى هاشم .

٥٧ ـ الكاشف : مؤلفه شمس الدين الذهبى المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وهو فى معرفة رجال الحديث .

٥٨ ـ إسعاف المبطأ فى رجال الموطأ . مؤلفه السيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ .

٥٩ ـ در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة : مؤلفه السيوطى أيضا.

٦٠ ـ نكتُ الهميان ونكتُ العميان : مؤلفه صلاح الدين الصفدى المتوفى عام ٧٦٤ ﻫ وهو فى تراجم مشاهير العميان .

٦١ تهذيب الأسماء . مؤلفه محي الدين أبو زكريا يحيي النووى المتوفى عام ١٢٧٧م وهو فى تراجم مشاهير رجال الشافعية مرتبا على حروف المعجم ، ما عدا الذين اسمهم محمد فقد أوردهم مستقلين أول الكتاب .

٦٢ ـ كتاب التمييز فى طبقات المحدثين المتقدمين والمتأخرين : مؤلفه جمال الدين يوسف بن عبد الهادى المتوفى عام ٩١٠ ﻫ . وهو فى سبع مجلدات .

ط

٦٣ ـ الرياض اليانعة فى أعيان المائة التاسعة : مؤلفه جمال الدين يوسف بن عبد الهادى أيضا .

ط

٦٤ ـ معجم الشيوخ : مؤلفه الإمام الحافظ وجيه الدين بن العماد المتوفى عام ٦٧٣ﻫ وهو معجم شيوخه .

س

٦٥ ـ إسعاف المبطأ برجال الموطأ : لجلال الدين السيوطى المتوفى عام ٩١١ ﻫ

س

٦٦ ـ عين الإصابة فى معرفة الصحابة : لجلال الدين السيوطى أيضاً .

س

٦٧ ـ معجم فى رجال الصحيحين : مؤلفه الحافظ شهاب الدين أبو الحسين أحمد بن أحمد الهكارى المتوفى عام ٧٦٣ ﻫ .

س

٦٨ ـ طبقات الحنفية : مؤلفه عبد القادر بن محمد بن محمد بن أبي الوفاء القرشى المتوفى عام ٧٧٥ ﻫ

س ١ ص ٢٢٢

٦٩ ـ طبقات الحنفية : مؤلفه بدر الدين محمود العينى المتوفى عام ٨٥٥ ﻫ .

س ١ ص ٢٢٤

٧٠ ـ تراجم العلماء : مؤلفه عبد الرحمن البسطامى الحنفى المتوفى عام ٨٥٨ ﻫ ، عاش زمنا فى القاهرة .

ج ص ٢٤٩

٧١ ـ طبقات شعراء العرب : للسيوطى المتوفى عام ٩١١ ﻫ .

س ١ ص ١٦٠

٧٢ ـ حاطب ليل وجارف سيل : للسيوطى كذلك . وهو معجم شيوخه .

س ١ ص ١٦١

٧٣ ـ تاريخ النحاة : مؤلفة تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر بن محمد بن مكتوم المتوفى عام ٧٤٩ ﻫ

س ١ ص ٢٢٢

٧٤ ـ طبقات الفقهاء : مؤلفه جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوى المتوفى عام ٧٧٧ ﻫ

س ١ ص ٢٠١

٧٥ ـ سجع المطوق : لجمال الدين بن نباتة المصرى الشاعر المتوفى عام ٧٦٨ ﻫ ، وهو يشتمل على تراجم من قرظوا كتابه « مطلع الفوائد »

ج ص ١٢٢

٧٦ ـ نزهة الألباب فى الألقاب : لابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ ﻫ ، وهو فى ألقاب المحدثين مرتبة ترتيبا أبجديا .

ج ص ١٦٧

٧٧ ـ تهذيب الكمال : أو مختصر تهذيب الكمال ، لابن حجر أيضا ، اختصر فيه كتاب ابن النجار ، فى معرفة المحدثين .

ج ص ١٦٧

٧٨ ـ مختصر أخبار النحويين لا بن القفطى : مؤلفه شمس الدين الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ

ج ص ١٩١

٧٩ ـ مختصر درة الأسلاك للذهبي : اختصره تقى الدين بن قاضى شهبة المتوفى عام ٨٥١ هـ . وهو فى سير ملوك مصر المماليك من عام ٦٤٨ هـ إلى عام ٧٧٧ هـ .

ج ص ١٩٥

٨٠ ـ طبقات الشافعية الوسطى والصغرى لتاج الدين السبكى المتوفى عام ٧٧١ هـ

ج ص ٢٤٣

٨١ ـ غاية النهاية فى رجال القراءات أولى الرواية والدراية : لشمس الدين بن الجزرى الدمشقى المتوفى عام ٨٣٣ هـ

ج ص ٢٤٧

٨٢ ـ تراجم الحنابلة : واضعه الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب البغدادى الدمشقى الحنبلى المتوفى عام ٧٩٥ هـ ، وهو تذييل لمن سبقه .

طن ٦٤

٨٣ ـ طبقات الأصحاب : واضعه برهان الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلى المتوفى عام ٨٨٤ هـ ، وهو فى تراجم الحنابلة .

طن ٦٧ ، ج ١٨٣

٢ ـ كتب السيرة النبوية

ونعنى بها هنا الكتب التى تحدثت عن حياة النبى عليه السلام ، وما كان له من وقائع وغزوات ، وما عرف له من مواقف ، وما جرى منه من حوادث ، وتتضمن كثيرا من أقواله وأفعاله وأقوال بعض صحابته . والغالب أن مؤلفى هذه الكتب هنا إنما جروا فى الميدان الذى جرى فيه أسلافهم وساروا على غبارهم واستقوا من معينهم . وليس بينهم من مجدد مبتكر ، كتب السيرة على نمط حديث . ومن مؤلفاتهم :

١ ـ عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير فى غزوات سيد ربيعة ومضر ، وفى شمائله إذ هى أشرف شمائل البشر : مؤلفه فتح الدين اليعمرى الأندلسى المشهور بابن سيّد الناس المتوفى عام ٧٣٤ هـ . وهو مجلدان مطولان فى السيرة النبوية .

٢ ـ نور العيون فى تلخيص سيرة الأمين والمأمون : ومؤلفه ابن سيد الناس أيضا وقد اختصره عن كتابه السابق « عيون الأثر » .

٣ ـ المواهب اللدنية فى المنح المحمدية : مؤلفه شهاب الدين القسطلانى المتوفى عام ٩٢٣ هـ وبه بحوث عدة فى نسب النبي عليه السلام وولادته ورضاعه وحروبه وأسمائه وأولاده وأزواجه إلى آخره وقد طبع فى ثمانية أجزاء .

المفصل ٢٦

٤ ـ مختصر سيرة النبي وثلاثة من الخلفاء الراشدين : لمؤلفه برهان الدين بن عمر البقاعي المتوفى عام ٨٨٥ هـ .

٥ ـ المقتفى فى ذكر فضائل المصطفى : وهو مختصر السيرة النبوية لمؤلفه ابن حبيب الحلبي الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .

٦ ـ النجم الثاقب فى أشرف المناقب : مؤلفه ابن حبيب الحلبي الدمشقى أيضا . وهو مرتب على ثلاثين فصلا

٧ ـ الزهر الباسم فى سيرة أبي القاسم : مؤلفه أبو عبد الله مُغْلطاى المتوفى عام ٧٦٢ هـ

٨ ـ الخبر عن البشر : مؤلفه تقى الدين المقريزى المتوفى عام ٨٤٥ هـ ، وهو ستة أجزاء فى نسب القبائل ونسب النبي عليه السلام .

٩ ـ تصنيف فى السيرة : مصنفه محب الدين أبو الوليد بن الشحنة المتوفى عام ٨١٧ هـ .

١٠ ـ مختصر السيرة النبوية . واضعه عز الدين بن جماعة الكنانى المتوفى عام ٧٦٧ هـ

ج ٣ ص ٢٤٠

١١ - بشرى اللبيب فى ذكرى الحبيب منظومة شعرية فى مدح النبي عليه السلام لابن سيد الناس المتوفى عام ٧٣٤ هـ

ج ٣ ص ١٠٥

١٢ - الصارم المسلول على شاتم الرسول : لتقى الدين بن تيمية الحرانى المتوفى عام ٧٢٨ هـ .

ج ص ٢٤٠

١٣ - المنهج السوى والمنهل الروى، فى الطب النبوى : للجلال السيوطى :

ج ص ٢٣٣

١٤ - طب النبي « عليه السلام » : لمؤلفه شمس الدين الذهبي .

ج ص ١٩١

١٥ - الخصائص النبوية وهو فى المعجزات وما اختص به النبي عليه السلام ، للجلال السيوطى .

ج ص ٢٣٣

٣ - كتب تاريخ مصر والقاهرة

فى مقدمة ما عنى به مؤرخو هذا العصر، الكتابة عن تاريخ مصر عامة، وتاريخ القاهرة خاصة . وذكر ما جرى فيهما من أحداث : ومن حكمهما من سلاطين وأمراء ، ومن عاش فيهما من أعلام مشاهير .

وقد ظهرت العناية بهذا الجانب التاريخى منذ بدأت مصر تسترد استقلالها بعد الاحتلال العربى ، أى منذ العهد الطولونى . — وقبل ذلك قلّ أن تجد عن مصر كلاما تاريخيا مستقلا . — وبعده أخذت العناية بها تتضح وتستقل، ونشطت هذه العناية فى العصور المتوالية حتى العصر الذى نحن بصدده .

فى هذا العصر :وهو عصر المماليك ، يمكن القول إن فكرة الكتابة المستقلة عن تاريخ مصر وقاهرتها ؛ قد اختمرت وتحورت إلى مشروعات تأليفية ضخمة، تفصل القول تفصيلا لا مجال للزيادة عليه . وبدت على المؤرخين المصريين أعراض هذا الحب الخالد الذى تثيره مصر دائما فى قلوب أبنائها ، بدوا رائعا ،

حتى لكأنهم آلوا على أنفسهم أن ينقذوا تاريخها من يد النسيان ، وأن يشبعوه شرحا وبيانا ، وأن يدونوا منه كل ما بطن أو ظهر ، وبان أو استتر . ، وأصيبوا بما يعد تهيجاً تأليفياً . . .

فكان من أثر ذلك وضع هذه الموسوعات التاريخية الضخمة الجامعة لتاريخ مصر وتاريخ قاهرتها . واعتمد المؤرخون على ما دونه أسلافهم من حوادث هذه البلاد حتى أيامهم . وأشاروا إلى ذلك فى مقدمات كتبهم . ولم يعنوا العناية كلها التى كان يبذلها أسلافهم فى النص على السند والرواية فى كل مناسبة ، فأعفوا كتبهم من ذلك كله فى كثير من أخبارها .

ونذكر القارىء ـ فى هذا المقام ـ بما كتبناه فى صدر الكلام عن كتب التاريخ ، من أن هذه المؤلفات ذات طرافة وإمتاع يبدوان فيما كتبه واضعوها عن الأحداث والملوك والأعلام المعاصرة ، وفيما لذلك من صدق وصراحة ودقة ، ونقد .

غير أننا نعترف أن روح النظام والتعليل والتعقيب المثمر بذكر النتائج ، وما إلى ذلك مما شاع فى المؤلفات التاريخية الحديثة ، قليلة الوجود فى مؤلفات هذا العصر .

ونذكر الآن بعض هذه المؤلفات فنقول :

١ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك : مؤلفه المقريزى تقى الدين المتوفى عام ٨٤٥ هـ .
وهو تاريخ مصر من عام ٥٧٧ هـ إلى سنة ٨٤٤ هـ ، مرتبا حسب السنين . وقد بدىء فى طبعه منذ أكثر من عام . ـ وهو أربعة أجزاء .

٢ ـ التبر المسبوك فى ذيل السلوك : مؤلفه شمس الدين السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ .
وهو يوميات فى تاريخ مصر دون فيه مؤلفه حوادث عصره اليومية واعتبره تكملة لسلوك المقريزى .

٣ ـ جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور : مؤلفه ابرهيم بن وصيف شاه المصرى المتوفى أواخر القرن السابع ، وهو موجز فى أخبار مصر من أقدم أزمانها إلى سنة ٦٨٨ هـ .

٤ — نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام : مؤلفه ابن دقاق المصرى المتوفى عام ٨٠٩ﻫ وأكثره عن مصر إلى سنة ٧٧٩ ﻫ فى ١٢ مجلدا .

٥ — الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والسلاطين : مؤلفه ابن دقاق أيضا . وهو تاريخ مصر إلى سقوط السلطان برقوق .

٦ — عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط : مؤلفه تقى الدين المقريزى أيضا . وهو فى تاريخ مصر من الفتح العربى إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية .

٧ — اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء : مؤلفه تقى الدين المقريزى أيضا . وهو فى تاريخ الدول الفاطمية بمصر .

٨ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : مؤلفه أبو المحاسن بن تغرى بردى المتوفى عام ٨٧٤ ﻫ . وهو جملة مجلدات فى تاريخ مصر والقاهرة وأعلامهما وفيضان النيل من الفتح الإسلامى إلى سنة ٨٥٧ ﻫ، ويعتبر من خير الكتب المؤلفة فى تاريخ مصر . ويطبع الآن طبعا أنيقا .

٩ — منشأ اللطافة فى ذكر من ولى الخلافة : مؤلفه أبو المحاسن أيضا . وهو تاريخ مصر من أقدم أزمانها حتى سنة ٧١٩ ﻫ

١٠ — حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور : مؤلفه أبو المحاسن أيضا . وجعله ذيلا لكتاب سلوك المقريزى فبدأ به حيث انتهى المقريزى فى سلوكه حتى سنة ٨٥٦ ﻫ . وبه تاريخ مصر فى مدة ١٢ عاما مع كثير من التراجم .

١١ — التحفة الملوكية فى الدولة التركية : مؤلفه بيبرس المنصورى ركن الدين الدوادار المتوفى عام ٧٢٥ ﻫ . وهو تاريخ السلاطين المماليك إلى عام ٧٢١ ﻫ

١٢ — العقود الدرية فى الأمراء المصرية : مؤلفه محمد بن الحسن البنبى المتوفى عام ٨٢٦ ﻫ . وهو إلى عصر برسباى .

١٣ — الدر الثمين المنظوم فيما ورد عن مصر وأعمالها بالخصوص والعموم : للخطيب الجوهري بن داود المتوفى عام ٨٩٠ هـ

١٤ — الإعلام فيمن ولى مصر فى الإسلام : مؤلفه ابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ فى ثلاث مجلدات .

١٥ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : مؤلفه جلال الدين السيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ وهو جزءان . وبه تراجم موجزة لكثير من الأعلام . ومختصرات عن حوادث مصر من قديم الزمان حتى عهد المؤلف .

١٦ — بدائع الزهور فى وقائع الدهور : مؤلفه أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس المصرى الحنفى المتوفى فى نحو عام ٩٣٠ هـ . وهو أربعة أجزاء كبار فى تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٩٢٨ هـ . وهو بديع ممتع . ونحن نعتبر هذا الرجل من رجال عصر المماليك لأنه لم يعش فى العصر العثمانى إلا قرابة ثمانية أعوام .

١٧ — مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب : مؤلفه جمال الدين بن واصل المتوفى عام ٦٩٧ هـ . وهو تاريخ الدولة الأيوبية فى ثلاث مجلدات .

١٨ — تاريخ مصر : مؤلفه الحافظ القطب الحلبى أبو على عبد الكريم بن عبد النور الحنفى المتوفى عام ٧٣٥ هـ وهو فى بضع عشرة مجلدا .

١٩ — كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : مؤلفه شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة المتوفى عام ٦٦٥ هـ ، وهو كتاب جليل فى أخبار دولة صلاح الدين الأيوبى ودولة نور الدين بن زنكى . وإنما اعتبرناه من رجال هذا العصر لأنه عاش فى مصر زمنا ، وتوفى بعد بدء هذا العصر بنحو سبع عشرة سنة .

٤ ـ كتب تاريخ المدن والأمصار الأخرى

نقصد بها تلك الكتب التي عنيت بذكر حوادث المدن أو وفياتها ، كل مدينة على حدة في مؤلف خاص . أو التي عنيت بوصف حوادث الأقطار الأخرى غير مصر . وقد وضعت كتب من هذا النوع في عصر المماليك لا بأس بها . نذكر بعضها .

١ ـ أنباء الغمر بأبناء العمر : مؤلفه ابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢ هـ . وهو تاريخ مصر والشام معا من الناحية السياسية والأدبية من ولادة المؤلف حتى عام ٨٥٠ هـ . مرتبا حسب السنين . وبه ذكر الأحداث والوفيات .

٢ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب : مؤلفه كمال الدين بن العديم المتوفى عام ٦٦٠ هـ . تقريبا . وفيه تراجم علمائها مرتبة ترتيباً أبجديا في عشرة أجزاء . ـ ولم يتم تبييضه في حياته .

٣ ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب : مؤلفه كمال الدين بن العديم كذلك ، وقد اختصره عن كتابه بغية الطلب . ورتبه على السنين حتى عام ٦٤١ هـ .

٤ ـ تاريخ مصر ودمشق : ومؤلفه علم الدين البرزالي المتوفى عام ٧٣٩ هـ . وهو تاريخهما حتى عام ٧٣٨ هـ . واعتبره تذييلا لتاريخ دمشق لأبي شامة .

٥ ـ الدرة المضيئة في فضل مصر والاسكندرية : مؤلفه ابن دقماق المصري المتوفى عام ٨٠٩ هـ . وهو مقتطف من كتابه الانتصار بواسطة عقد الأمصار الآتي ذكره في باب تقويم البلدان .

٦ ـ الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب مملكة : مؤلفه علاء الدين بن خطيب الناصرية المتوفى عام ٨٤٣ هـ . وهو مختصر لكتاب ابن العديم . السابق ذكره « بغية الطلب » . ويبدو أنه تكملة أيضاً لهذا الكتاب .

٧ ـ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب : مؤلفة محب الدين بن الشحنة المتوفى عام ٨٩٠ هـ .

٨ — مختصر تاريخ بغداد : مؤلفه شمس الدين الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ . اختصره عن كتاب ابن الدبيثى ، مع زيادات .

٩ — تراجم ملوك الغرب : لتقى الدين المقريزى المتوفى عام ٨٤٥ هـ . فيه أخبار أبو حمو ومن خلفه على تلمسان.

١٠ — الأنيس الجليل فى تاريخ القدس والخليل : مؤلفه أبو اليمن العليمى المتوفى عام ٩٢٧ هـ . وهو فى وصف مدينتى القدس والخليل وذكر أخبارهما وآثارهما وما جرى فيهما من وقائع حربية .

طن ٧٤ ، ج ١٨٣

١١ — الطرفة الغريبة فى أخبار حضر موت العجيبة : لتقى الدين المقريزى المتوفى عام ٨٤٥ هـ . وبها إرشاد للحاج بطريق مكة .

١٢ — الإعلام بفضائل الشام : مؤلفه برهان الدين الفزارى المتوفى عام ٧٢٩ هـ وهو مختصر كتاب فضائل الشام ودمشق للربعى المتوفى عام ٤٣٥ هـ .

١٣ — تاريخ الاسكندرية : للامام الحافظ وجيه الدين بن العماد المتوفى عام ٦٧٣ هـ

س

١٤ — مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، واضعه ابن منظور الإفريقى المتوفى عام ٧١١ هـ .

ج ص ١٤٢

١٥ — مختصر تاريخ بغداد للسمعانى : واضعه ابن منظور الإفريقى أيضا .

ج ص ١٤٢

١٦ — الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام : لتقى الدين المقريزى

٥ – كتب التاريخ العام

ونعنى بكتب التاريخ العام تلك التى تناولت تاريخ الدول الأخرى وأحداثها السياسية وذكر ملوكها إسلامية أو غير إسلامية . عربية أو غير عربية ، سواء أكان فيها ذكر مصر أم لم يكن . وقد وضعت فى ذلك كتب عدة .

غير أن الغالب عليها سرد الحوادث فى السنين ، متتابعة كل سنة على حدة ، فى جميع الأمصار : فيصبح المطالع عليها بين مشرق ومغرب ، مضطرا إلى بذل مجهود حتى يجمع فى ذهنه أشتات حادثة معينة وقعت فى سنين متفرقة ، أو يجمع حوادث مصر ما فى عدة سنين . ومهما يكن من شيء فبعضها موسوعات تاريخية واسعة النطاق من أخذ نفسه بتنظيم التاريخ حسب الطرق الحديثة ، يجد لجهوده فى هذه الموسوعات مراحا طيبا ومرعى خصيبا . وإليك بعضا منها .

١ — وجيز الكلام فى ذيل تاريخ دول الإسلام : مؤلفه شمس الدين السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ وهو تذييل على كتاب تاريخ دول الإسلام للذهبى الآتى ذكره .

٢ — جهينة الأخبار فى ملوك الأمصار : مؤلفه بدر الدين بن حبيب الحلبى الدمشقى المتوفى عام ٧٧٩هـ يشتمل على نبذ تاريخية موجزة مرتبة حسب العصور والدول ، عن الأنبياء واليهود والفرس واليونان والقبط والعرب والمسلمين والمغول وغيرهم .

٣ — البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر : لأبى المحاسن بن تغرى بردى المتوفى عام ٨٧٤ هـ . وهو مطول فى التاريخ مرتب بالسنين .

٤ — المجموع المبارك : لجرجيس المكين بن العميد المتوفى عام ٦٧٢ هـ . وهو جزءان فى التاريخ العام من بدء الخليقة إلى ظهور الإسلام فى جزء . ومن ظهور الإسلام إلى سنة ٦٥٨ هـ ، فى جزء ثان . وقد ذيل له ابن أبى الفضائل فى النهج السديد .

٥ — كتاب التاريخ العام : ألفه أبو شكر بطرس بن الراهب القبطى المتوفى عام ٦٨١ هـ . وبدأ بذكر آدم إلى قضاة بنى إسرائيل فلوك الروم إلى مجىء المسيح . وذكر سير البطاركة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى أيامه .

٦ — زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة : ألفه ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار المتوفى عام ٧٢٥ هـ . وهو تاريخ عام للدول الاسلامية من بدئها حتى عام ٧٢٤ هـ فى أحد عشر مجلدا . مرتب على السنين .

٧ — المختصر فى أخبار البشر : ألفه السلطان الملك المؤيد إسماعيل المعروف بأبى الفداء المتوفى عام ٧٣٢ هـ . وهو مشهور متداول بين أيدى محبي التاريخ العام منذ بدء الجاهلية ثم الإسلام حتى عام ٧٢٩ هـ . فى أربعة أجزاء .

٨ — الدول الإسلامية : أو دول الإسلام لمؤلفه شمس الدين الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وهو مختصر فى التاريخ العام للدول الإسلامية من الهجرة حتى عام ٧٤٠ هـ . ومرتب على أحرف الهجاء .

٩ — تتمة المختصر فى أخبار البشر : مؤلفه زين الدين عمر بن الوردى المتوفى عام ٧٤٩ هـ . وهو تكملة وتذييل لكتاب أبى الفداء السابق ذكره . كتب فيه التاريخ العام بإيجاز حتى سنة ٧٤٩ هـ . فى جزئين .

١٠ — كنز الدرر وجامع الغرر : مؤلفه أبو بكر بن أيبك المتوفى فى أواسط القرن الثامن . وهو فى تسعة أجزاء تكلم فيه عن بدء الخلق والأمم القديمة وسيرة النبى عليه السلام والخلفاء الراشدين والدولة الأموية فالعباسية ، وهكذا حتى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون . ورتب الحوادث حسب الأعوام .

١١ — درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان : مؤلفه ابن أيبك أيضا ورتبه حسب السنين . وذكر فيه الخليقة فى بدئها والجاهلية وشعراءها والسيرة النبوية والخلفاء وذكر فيضان النيل . وذلك حتى عام ٧١٠ هـ .

١٢ — البداية والنهاية : ألفه اسماعيل أبو الفداء المعروف بابن كثير المتوفى عام ٧٧٤ هـ . وهو مطول فى التاريخ العام يبلغ عشرة أجزاء . وفيه حديث طويل عن النبي عليه السلام وحياته .

١٣ — الاجتهاد فى طلب الجهاد : ألفه ابن كثير أيضا ، وذكر فيه جانبا من الحروب الصليبية وحروب صلاح الدين .

١٤ ـ روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر : مؤلفه زين الدين بن الشحنة المتوفى عام ٧١٥ هـ . وهو مطول فى التاريخ العـــام من بدء الخليقة حتى عام ٧٠٦ هـ .

١٥ ـ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان : مؤلفه بدر الدين العينى المتوفى عام ٨٧٥ هـ وهو تاريخ عام للخليقة من بدئها حتى سنة ٨٥٠ هـ . مرتب حسب العصور والأمم . وهو فى أكثر من عشرين مجلدا .

١٦ ـ تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر : مؤلفه بدر الدين العينى أيضاً ، وهو تاريخ كبير مرتب حسب السنين منذ البدء إلى أيام مؤلفه .

١٧ ـ مختصر سير الأوائل والملوك ووسيلة العبـــد والمملوك : مؤلفه ابن بركات الحموى فى أواخر القرن السابع . وهو فى تاريخ الجاهلية والإسلام حتى الخليفة المهدى أى عام ٢٥٥ هـ

١٨ ـ روضة الأعيان فى أخبار مشاهير الزمان : مؤلفه محمد بن أبى بكر الموصلى المعروف بابن حماد المتوفى عام ٨٥٠ هـ بدأ بسيرة النبى إلى الفاطميين . وفيه تراجم كثيرة .

١٩ ـ تاريخ الدول والملوك : مؤلفه ناصر الدين بن الفرات المتوفى عام ٧٠٧ هـ . من الهجرة حتى سنة ٧٩٩ هـ

٢٠ ـ النجوم الزواهر فى الأواخر : ألفه اللبودى الدمشقى من أهل القرن التاسع .

٢١ ـ بهجة السالك : مؤلفه نصر الدين الجعفرى من أهل القرن التاسع . وهو فى تاريخ الخلفاء والسلطان والملوك من ظهور الإسلام إلى عام ٨٨٦ هـ .

٢٢ ـ نهج الطرائق والمناهج والسلوك إلى تواريخ الأنبياء والخلفاء والملوك : مؤلفه نصر الدين الجعفرى أيضاً .

٢٣ ـ مخدرات القصور فى تاريخ أهل العصور : لابن قطرى المتوفى عام ٨٩٨ هـ وهو مختصر فى التاريخ العام .

٢٤ ـ درر الأبكار فى وصف الصفوة الأخيار : لأبى الفتح بن صدقة السرمينى من أهل القرن التاسع فيه أخبار عن الصحابة والأئمة .

٢٥ ـ تاج المعارف وتاج الخلائف : مؤلفه أبو السعادات بن أبي الجود السلمونى، من آدم إلى سلطنة قايتباى . وبه تراجم لقضاة مصر وأعيانها .

٢٦ ـ الجمان فى أخبار الزمان : مؤلفه محمد الشطيبى المغربى من أهل القرن التاسع . وهو تاريخ عام من أول الخليقة إلى عهد النبى عليه السلام ، ثم إلى أيام المؤلف وعهد خشقدم .

٢٧ ـ الدرر المضية فى تاريخ الدولة الإسلامية : مؤلفه تقى الدين المقريزى المتوفى عام ٨٤٥ هـ . وهو من مقتل عثمان إلى المستعصم آخر خلفاء بنى العباس .

٢٨ ـ نزهة الرأى فى التاريخ . مؤلفه أبو المحاسن بن تغرى بردى المتوفى عام ٨٧٤ هـ . وهو مفصل فى التاريخ مرتب على السنين والشهور والأيام فى عدة مجلدات.

٢٩ ـ مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة : لأبى المحاسن كذلك . ذكر فيه الخلفاء والسلاطين .

٣٠ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاشرهم من ذوى السلطان الأكبر : مؤلفه ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المشهور المتوفى عام ٨٠٨ هـ وموضوعه واضح من عنوانه . ونحن نعتبر هذا الكتاب ومقدمته بخاصة من مفاخر التراث العربى ، وهو سبعة مجلدات . وقد عاش ابن خلدون زمنا طويلا فى مصر ، كما سنفصله فى ترجمته .

٣١ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان : مؤلفه أبو محمد عبد الله اليافعى المصرى من رجال القرن الثامن الهجرى . المتوفى عام ١٣٦٤ م وهو فى التاريخ العام إلى سنة ١٣٤٩ م .

٣٢ ـ كتاب فى التاريخ العام : لمؤلفه العلامة عبد الرحمن بن محمد العليمى المتوفى فى أوائل القرن العاشر . وهو فى التاريخ العام من لدن سيدنا آدم إلى سنة ٨٩٦ هـ مرتبا حسب السنين .

٣٣ ـ الدرر فى الحوادث والسير : لعبد الرحمن البسطامى الحنفى المتوفى عام ٨٥٨ هـ

وهو مختصر مرتب على السنين من لدن وفاة النبي عليه السلام إلى سنة ٧٠٠ هـ .
وقد عاش مؤلفه زمنا طويلا فى القاهرة وتوفى بها .

ج ص ٢٤٩

٣٤ ـ كتاب فى التاريخ العام : لمحب الدين أبى الوليد بن الشحنة المتوفى عام ٨١٨هـ
تكلم فيه من ابتداء خلق السموات والأرض حتى آخر عام ٧٠٦ هـ

٣٥ ـ النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد : مؤلفه ابن أبى الفضائل القبطى المصرى . وهو تذييل على كتاب المجموع المبارك للمكين بن العميد السابق ذكره . وفى كتاب النهج السديد تراجم سلاطين مصر من لدن الظاهر بيبرس إلى الناصر محمد بن قلاوون من عام ٦٥٨ هـ إلى عام ٧٤١ هـ

ج ص ١٨٥

٣٦ ـ العبر فى أخبار البشر ممن غبر : لشمس الدين الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ
وهو تاريخ عام فى مجلدين مقتطف من كتابه الكبير « تاريخ الإسلام » وهو مرتب حسب السنين ، وفيه أشهر الحوادث والوفيات من أول الهجرة حتى عام ٧٤٠هـ

ج ص ١٨١

٣٧ ـ مختصر كتاب العبر للذهبي ، السابق ذكره : مؤلفه تقى الدين بن قاضى شهبة المتوفى عام ٨٥١ هـ

٦ ـــ كتب السير

وهى الكتب التى يستقل كل منها بالترجمة لأحد الأعلام ، سواء أكان سلطانا أم غير سلطان . يكون الحديث فيها دائرا حول هذا الشخص .

ولعل السبب فى كثرة ما ألف من هذا النوع تعدد الدول وكثرة السلاطين فيها ، وانتماء كل سلطان إلى أسرة ، وتشعب الأسر المالكة وحب السلاطين ومن لف لفهم إلى إخلاد ذكرهم بتدوين سيرة حياتهم ، كما حاولوا إخلادها بطرق أخرى . وبدهى أن ظهور كثير من الشخصيات البارزة فى ميدان السياسة أو العلم كان له أثره كذلك فى نماء هذا الضرب من كتب التاريخ .

ومن بينها سير مستوعبة وافية ، وبعضها مكتوب بأسلوب أدبي بديع . وإليك بعضها منها .

١ ـ عجائب المقدور فى أخبار تيمور : مؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى الرومى المعروف بابن عربشاه المتوفى عام ٨٤٥ هـ وهو فى تاريخ تيمورلنك ملك التتار المشهور . مكتوب بعبارات أدبية مسجوعة فى مجلد واحد

٢ ـ الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية : لمؤلفه محي الدين ابن عبد الظاهر . وهو تاريخ مصر فى عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون . ألفه فى أيامه مرتبا على السنين .

٣ ـ التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر : مؤلفه ابن عربشاه السابق الذكر . وهو جزءان فى سيرة السلطان جقمق .

٤ ـ سبك النضاد وكسب المفاخر ، ونثر الدرر ونظم الجواهر : كتبه عبد الله بن محمد بن عبد الله التركى الغزى ، فى سيرة السيفى أقباى .

٥ ـ تاريخ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيه . مؤلفه شمس الدين الشجاعى . وهو جزءان .

٦ ـ الدر النضيد فى مناقب الملك الظاهر أبى سعيد : مؤلفه محمد بن عقيل . وهو تاريخ السلطان خشقدم

٧ ـ الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية : مؤلفه محمد بن صرصراء ، وهو تاريخ السلطان برقوق . كتب فى نحو عام ٨٠٠٨ هـ

٨ ـ الدر الثمين فى سيرة نور الدين زنكى : مؤلفه بدر الدين محمد بن الشهيد الدمشقى كتبه عام ٨٧٤هـ .

٩ ـ إيضاح الظلم وبيان العدوان ، فى تاريخ النابلسى الخارج الخوان : مؤلفه الحسن بن شهاب الدين أحمد المعروف بابن عربشاه مؤلف عجائب المقدور وهو تاريخ ابراهيم النابلسى المتغلب على دمشق فى القرن التاسع والمستبد بها والظالم أهلها .

١٠ـ ترجمة أحمد السيد البدوى : مؤلفه ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

١١ ـ محاسن المساعى فى مناقب الأوزاعى : مؤلفه ابن حجر العسقلانى أيضاً وهو ترجمة الأوزاعى المحدث .

١٢ غبطة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر : مؤلفه ابن حجر أيضاً وهو ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلانى [1] .

ج ٣ – ١٦٨

١٣ ـ الجواهر والدرر فى ترجمة ابن حجر : مؤلفه شمس الدين السخاوى المتوفى عام ٩٠٢ هـ وهو ترجمة شيخه ابن حجر العسقلانى المحدث المؤرخ .

١٤ ـ تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه : مؤلفه ابن حبيب الحلبي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٩ هـ . وهو فى أخبار السلطان المنصور قلاوون وبنيه .

١٥ ـ القول المستظرف فى سفر الملك الأشرف : مؤلفه أبو البقاء بن يحيى بن الجيعان المتوفى عام ٩٠٠ هـ . وهو وصف لسفر الملك الأشرف قايتباى عام ٨٨٢ هـ .

١٦ ـ مناقب الإمام الشافعى : مؤلفه ابن قاضى شهبة المتوفى عام ٨٥١ هـ .

١٧ ـ السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد : مؤلفه بدر الدين القينى المتوفى عام ٨٥٥ هـ

١٨ ـ تزيين الممالك فى مناقب مالك : مؤلفه السيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ .

١٩ ـ المنهاج السوى فى ترجمة النووى : مؤلفه السيوطى أيضاً .

٢٠ ـ ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى : مؤلفه المقريزى تقى الدين المتوفى عام ٨٤٥ هـ .

٢١ ـ تاريخ ومناقب مالك : مؤلفه عيسى بن مسعود أبو الروح الزواوى المتوفى عام ٧٤٣ هـ فى تاريخ سيدنا مالك .

---

١ ـ عبد القادر الجيلانى أحد رجال الصوفية الحنبلية ويعتبر من الأولياء الصالحين والعلماء الراسخين : توفى عام ٥٦١ هـ وله ترجمة فى فوات الوفيات ج ٢ وترجم له كذلك جميل الشطى فى طبقات الحنابلة .

٢٢ — لطائف المنن : مؤلفه تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى الشاذلى المتوفى عام ٧٠٩ هـ . وهو فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن الشاذلى وبه بحوث صوفية . ع ٣ ص ٢٤٨

٢٣ — ترجمة البلقينى : وهو للسيوطى كذلك . س ١ ص ١٦١

٢٤ — تبييض الصحيفة فى مناقب أبى حنيفة ، لمؤلفه السيوطى أيضاً . ج ص ٢٣١

٢٥ — الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية ، فى تاريخ الإمام الليث : لمؤلفه ابن حجر العسقلانى . م

٢٦ — توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس : فى تاريخ الإمام الشافعى ، لمؤلفه ابن حجر العسقلانى أيضاً . م

٢٧ — سيرة الملك المؤيد شيخ : كتبها شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعى المتوفى عام ٨١٨ هـ . (خزانة الادب لابن حجة ص ٨٠)

٧ ـ تاريخ الخطط والآثار [1]

نقصد بذلك ، المؤلفات التى تحدثت عن البلاد والمدن والمواضع فوصفت بناءها وتاريخ هذا البناء وما اعتوره من زيادة أو نقص على مر العصور. فكلاهما عبارة عن جغرافية تاريخية . وهو ممتع جداً يجد فيه المؤرخ الأثرى لذة لا يجدها فى سواه .

وقد نشط مؤرخو الخطط فى عصر المماليك نشاطا محمودا ، وأكثر ما اهتدوا به وبوصفه خطط مصر والقاهرة. وقد وُجد من بينهم رجال هم مضرب الأمثال فى تاريخ الخطط ، وعلى رأسهم المؤرخ القدير تقى الدين المقريزى صاحب الشهرة الذائعة فى هذا المضمار .

---

١ — للأستاذ عبد الله عنان كتاب مستقل فى هذا الموضوع ، غير مستقل بعصر دون غيره.

وهى تتحدث عادة عن المدن وأنهارها ومبانيها الشهيرة وشوارعها ومساجدها ومدارسها وكنائسها ودياراتها وجبالها وجزائرها وبحيراتها وبركها وبساتينها وما إلى ذلك . وما تقلبت هذه الأشياء فيه من أحداث ، وما صاحبها من وقائع. ومن لطائفها أن يستطرد كاتبوها إلى ذكر الحوادث الأدبية يوردونها بمناسباتها عند الكلام عن أثر ما . ويذكرون ما صحب هذه الحوادث من فكاهات وأشعار ورسائل . ويترجمون عادة للأعلام الذين يرد ذكرهم فى هذه المناسبات ولا سيما منشئو هذه الخطط . فهى بذلك كتب تاريخ وتقويم وأدب واجتماع .

ومن كتاب المقريزى وغيره من كتب الخطط المؤلفة فى عصر المماليك استقى على مبارك باشا مؤرخ الخطط التوفيقية فى عصرنا الحديث أكثر معلوماته . — وإليك بعضاً منها :

١ — الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة : مؤلفها محيى الدين بن عبد الظاهر المتوفى عام ٦٩٢ ه . ويظهر أنها موسوعة نفيسة نقل عنها ابن فضل الله والمقريزى ولكنها الآن مفقودة .

٢ — الانتصار بواسطة عقد الأمصار : مؤلفه ابن دقماق المصرى المتوفى عام ٨٠٩ ه . وهو كتاب عظيم الأهمية فى عشرة مجلدات . وصف المؤلف فيها الفسطاط وأسواقها وجوامعها ومدارسها وأبنيتها وشوارعها . والاسكندرية وبعض قرى مصر . ونقل عنه كثيرون .

٣ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : مؤلفه تقى الدين المقريزى المتوفى عام ٨٤٥ ه . وهو أربعة أجزاء فى وصف الخطط المصرية. وبه تراجم عدة. واشتهر بالدقة والصدق وحسن العبارة . وهو عمدة كثيرين من الباحثين فى تاريخ مصر .

٤ — جنى الأزهار من الروض المعطار : للمقريزى أيضاً . وصف به أقاليم عدة . ويقال إنه لمقريزى آخر غير تقى الدين .

٨ - كتب تاريخية أخرى فى موضوعات شتى

كتبت فى هذا العصر مؤلفات عدة فى موضوعات تاريخية مختلفة رأينا إثباتها فيما يلى :

١ — نبذة العقود فى أمور النقود : للمقريزى تقى الدين المتوفى عام ٨٤٥ هـ . وهو تاريخ للنقود عند الفرس والروم وعرب الجاهلية والإسلام . ونقود مصر .

٢ — المكاييل والموازين الشرعية : للمقريزى أيضاً . وهى رسالة فى المكاييل والموازين العربية وتطبيق الشرع عليها .

٣ — البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب : للمقريزى أيضا .

٤ — الإلمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الاسلام : كتاب صغير للمقريزى أيضاً .

٥ — النزاع والتخاصم بين بنى أمية وهاشم : للمقريزى كذلك .

٦ — إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء : للمقريزى أيضاً .

٧ — ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال : للمقريزى أيضاً .

٨ — إغاثة الأمة بكشف الغمة : للمقريزى كذلك . وهو كتاب صغير طبع حديثا، وبه موضوعات كثيرة طريفة منها ذكر ما حل بمصر من غلاء، والحوادث الهامة التى صحبت هذا . وكلام عن التعامل والنقد . وفصل فى أقسام الناس وأصنافهم وفصل عن الأسعار زمن المؤلف . وهكذا .

٩ — ممالك عباد الصليب : مؤلفه شهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وصف فيه ملك فرنسا وملك ألمانيا وأحوالها السياسية والاجتماعية .

١٠ — نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب : مؤلفه شهاب الدين القلقشندى المتوفى عام ٨٢١ هـ ، صاحب صبح الأعشى . وهو معجم فى الأنساب رتب فيه أسماء القبائل والبطون على أحرف الهجاء .

ع

١١ — قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان : مؤلفه شهاب الدين القلقشندى أيضاً . وهو فى أنساب عرب زمانه المقيمين بمصر .

تقويم البلدان وما يتصل به

عنى بعض علماء هذا العصر بالقيام برحلات فى نواحى الأقطار المختلفة ، وتدوين ما يشاهدونه فيها أو يسمعونه من بنيها . وعنى البعض بوضع تقاويم تصف الأرض وأقطارها ، ومنهم من تكلم فى طبقاتها ومنهم من تكلم عن التقويم البشرى وهكذا .

وقصارى الكاتبين هنا الأخذ عن أسلافهم والاقتداء بهم والاقتباس منهم وللوقوف عند نظرياتهم. ولكن هذا لا يدعنا ألا نذكر لهم بالخير والشكر مؤلفاتهم الحافلة وموسوعاتهم الضخمة التى يربى بعضها على الثلاثين مجلدا . — وهو يدل على سعة الاطلاع والصبر على التأليف والرغبة الجدية فى خدمة العلم . ولا ننسى لهم تلك المزية التى ذكرناها للمؤرخين عند الكلام على التاريخ . وذلك أن مزجوا التقويم بغيره من المواد المختلفة فتجد أحياناً تاريخا وأحيانا كلاما عن النبات أو الحيوان، مثلا . ولكن هذا كله وإن أوخذوا به واعتبروا من أجله مجهدين للمطلع ومتعبين للقارىء الذى لا يحب الاستطراد، معين فياض للباحث فى إحدى هذه المواد يجد فيه مددا أيما مدد.

ومهما يكن من شىء فإن لرجال هذا العصر بصفة عامة أو لبعضهم، جهودا موفقة ونظريات جديدة محمودة لا يتسع للجرى وراءها والتنقيب عنها هذا البحث الجامع لذلك نكتفى بأن نذكر هنا على سبيل المثال ما قيل فى مقدمة الجزء الأول من مسالك الأبصار من أن الشيخ أبا الثناء محمود بن أبى القاسم الأصفهانى المتوفى عام ٧٤٩ ﻫ . (١٣٤٨ م) نزيل مصر تنبأ بوجود أمريكا قبل أن يكشفها خرستوف كولمبس، أو بالأحرى يفتح الطريق إلى كشفها بنحو قرن ونصف . هذا هو قوله بالنص :

« لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا . منكشفا من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى » .

هذا والآن نسوق جدولا بأسماء بعض المؤلفات فى هذا الموضوع . فمنها .

١ ـــ تقويم البلدان : مؤلفه أبو الفداء اسماعيل وهو الملك المؤيد صاحب حماة المتوفى عام ٧٣٢ هـ . وهو فى الجغرافيا العامة . وفيه تصحيح لبعض الأسماء والأنساب . وكلام عن الأطوال والعروض . ووصف للأرض والأقاليم، وهكذا . وهو صاحب المختصر فى التاريخ العام . م

٢ ـــ نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : مؤلفه شمس الدين الدمشقى المتوفى عام ٧٢٧ هـ . وهو يشتمل على العلم بهيئة الأرض وأقاليمها واختلاف القدماء فى ذلك . وما فيها من بحار وجزر وجبال وطرق وآثار وعمائر وحيوان نادر ونبات غريب . وأحجار كريمة . ومساحات الأرض ومسافاتها . وكذلك أنساب الأمم واختلاف طبائعهم إلى آخره . وهو كتاب هام . ج

٣ ـــ التحفة السنية فى أسماء البلدان المصرية : مؤلفه شرف الدين يحي بن الجيعان كتبه عام ٧٧٧ هـ . وهو يشتمل على إحصاءات إدارية وخراجية عن الأرض فى أيام الملك الأشرف شعبان . وبدأه بالوجه البحرى ج

٤ ـــ خريدة العجائب وفريدة الغرائب : مؤلفه سراج الدين بن الوردى المتوفى فى نحو عام ٨٥٠ هـ . وبه رسم لدائرة الأرض ووصف لأقاليمها وما فيها من العجائب . ووصف لمدنها . م

٥ ـــ الفضائل فى محاسن مصر والقاهرة : مؤلفه أبو حامد القدسى المصرى المتوفى عام ٨٨٨ هـ . فى وصف جغرافيتهما وتاريخهما . ج

٦ ـــ التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطط القاهرة : مؤلفه أقبغا الخاصكى وزير السلطان قانصوه الغورى المتوفى عام ٩١٥ هـ . ج

٧ ـــ فضائل الشام : مؤلفه عماد الدين الحنفى المتوفى عام ٩٢٠ هـ . ج

٨ ـــ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار : مؤلفه شهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وهو موسوعة ضخمة ، فى أكثر من عشرين مجلدا . وهو عمدة بين الكتب استمد منه كثيرون وخصوصا كتاب الخطط . م

وفيه موضوعات شتى منها وصف الأرض وسكانها وحيوانها . وأقطارها ومسالكها وما فيها من أنهار وجبال وجزر وبحار وبرك ومبانى وديارات وكنائس إلى آخر ما هنالك . واستطرادات تاريخية وأدبية ممتعة جداً ، قليلة الوجود فى سواه . وكثير من تراجم الأعلام وقد طبع منه حديثا جزؤه الأول وسنعود إلى وصفه قريبا بعون الله .

م

٩ — نهاية الأرب فى فنون الأدب : مؤلفه أبو العباس شهاب الدين المعروف بالنويرى المتوفى عام ٧٣٢ ه . وهو فى أكثر من ثلاثين مجلدا . وهو فى فنون مختلفة . ويعتبر أحد الكتب الجامعة الهامة ذات المواد العامة . وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين والأدباء قديماً وحديثا . وفيه فصول عن الأسماء والأجرام والسحاب والمطر والثلج والصواعق والنيازك والفصول . ووصف الأرض وما فيها من جبال وأنهار وبحار . ووصف لطبائع الإنسان والحيوان والأسماك والنبات وغير ذلك . ويطبع الآن طبعة حديثة صدرت منها عدة أجزاء . وسنعود إلى وصفه بعون الله فى ترجمة النويرى .

م

١٠ — مباهج الفكر ومناهج العبر : مؤلفه جمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط المتوفى عام ٧١٨ ه . وهو ضخم فى أربعة أجزاء تكلم فيها عن علم الهيئة ووصف الأرض والحيوان والنبات .

ع

١١ — سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : مؤلفه ابن منظور الافريقى المتوفى عام ٧١١ ه . وهو تهذيب لكتاب شرف الدين التيفاشى . وهو جزءان فى وصف الليل والنهار والهلال والفجر والشمس والكواكب والمطر والبرق وغير ذلك . ممتزج بالروح الأدبية .

ج ٣ ص ١٤٢

١٢ — مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام : واضعه شهاب الدين أبو محمود أحمد القدسى المتوفى عام ٧٦٥ ه .

ج ٣ ص ٢١٩

المؤلفات الدينية

سبق أن بيّنا تلك النزعة الدينية والروح الإسلامية التى سرت فى أرجاء البلاد المصرية والشامية فى عصر المماليك، بعد حوادث التتار ببغداد ثم بالشام، وبعد حوادث الحروب الصليبية، وما أصاب الكتب والعلماء من جرائهما. فكانت هذه النزعة وتلك الروح، بمثابة رد الفعل.

وقد غذاها سلاطين المماليك بظهورهم بمظهر حماة الإسلام، وذادة الدين، لأنهم مسلمون ويحكمون شعباً أغلبيته من المسلمين. هذا فضلا عن أن مصلحتهم السياسية تقتضيهم الظهور بهذا المظهر. فنحوا نحوا دينيا فى معظم تصرفاتهم. فأقاموا الشعائر وقربوا علماء الدين ورفعوا منزلتهم، وجالسوهم وناظروهم. واهتموا فى مجالسهم بتحقيق المسائل الدينية. وأقاموا قضاة الشرع يحكمون بين الناس بما أنزل الله. واستشاروا القضاة والعلماء فى كثير من معضلات الدولة — وعززوا نفوذهم فى الشعب بإنشاء المساجد ودور التعليم ليتلى فيها كتاب الله، ويقرأ حديث نبيه. وتدرس شريعته. كما أنشئوا الربط والخوانق والزوايا للصوفية ومن لف لفهم. وأوقفوا على ذلك كله الأوقاف. وأجروا المال والزاد على المنقطعين للعمل فيها. وعينوا فى كل منها المشايخ والمدرسين والأئمة، وصنعوا غير ذلك مما سبقت إليه الاشارة.

لهذا كله كان طبيعيا أن تنشط روح التأليف فى النواحى الدينية وأن تثمر خير الثمار. — وكان مما زادها نشاطا منافسة محمودة بين علماء مصر والشام، وطمع فى المنافسة من علماء غيرهما من الأقطار الإسلامية فى ميادين العـلم والأدب. ولا سيما أن كثيرا من الوظائف السنية فى الدولة كان يناط بها النابغون النابهون من هؤلاء المتنافسين ذوى الأثر العلمى المعروف بين الناس.

إذن: عُنى أهل العلم والدين بنشره بمختلف الطرق، وفى مقدمتها التأليف

فيه . ولكن إلى أية ناحية نحوا فى تأليفهم ؟ لقد كان نشاطهم هذا بعد عهود سبق أن عاش فيها أئمة محققون مجتهدون اعتنق الناس مذاهبهم . ولا سيما الأئمة الأربعة . وانتشرت مذاهبهم فى جميع بلاد المسلمين تقريبا . وكاد يختص كل مذهب ببلد منها . ثم قفى على آثارهم تلاميذهم وأتباعهم ، فنشر كلٌ مذهب إمامه ، واحتج له ، ودلل عليه ، وشرح مرماه ، حتى استتب لكل مذهب سلطانه ، ورضى الناس عامة عن هذه المذاهب ، حتى وقر فى النفس أنه لم يعد فى الإمكان أفضل مما كان . وأنه لم تعد طاقة على النظر الجديد وأنه لم تعد قدرة على الاجتهاد . فسد بابه ، وأوصد وصرف بوابه . . .

كل هذا مع أن الدين سمح . ودائرة مرنة ، ودستور مطاط ، يتسع لكل قبيل وجيل ؛ ويصلح لكل زمان ومكان تستنبط منه باستدرار الأحكام الصائبة المناسبة لكل حادثة ومشكلة . ويضاف إليه كل قانون يحقق العدالة ويجمع عليه .

لم يجد علماء هذا العصر أمام هذه النزعة العامة والفكرة السائدة خصوصا فى ذلك الزمان الذى استعجم أهله ؛ سوى أن يتجهوا وجهة أخرى بها ييسر العلم وتُضبط مسائله ، وتسرى الدقة فى صوغ عباراته ، ويُحكم التعبير عن معانيه . فكانت وسيلتهم إلى ذلك ، وضع المتون التى تجمع مسائله وتلم شعثها فى صعيد واحد . وهى موجزة العبارة جامعة الإشارة ، حتى يستطيع طالب العلم أن يستوعبها كلها بأيسر طريق وفى أقل زمن . — وغلا بعضهم فى الإيجاز وفى ضغط العبارة فى هذه المتون حتى بلغت حد الرموز ، فاستغلق بسبب ذلك على الطلاب فهمها ، واحتاج الأمر إلى شرحها . فوضعت لها كتب شارحة . مفسرة بل ووضعت كتب أخرى شارحة لهذه الكتب الشارحة وكذلك صنعوا فى كتب متقدميهم ، فهى فى يديهم بين اختصار وشرح . وهكذا حتى عج العصر بالمتون والشروح وشروح الشروح ، بل واختصار الشروح ، أو التحشية عليها وتهميشها والتنبيه على ما فات واضعيها . فبقيت مسائل العلم عودا على بدء ، وبدءا على عود ... وترجحت لذلك فيها أساليب الاحتجاج والاعتراض والتدليل والقياس ، وسرت الروح المنطقية فى عباراتها .

وزيدت مصطلحاتها وتنوعت وتفاوتت . وإن تكن فى مؤلفات مصر والشام أيسر منها فى مؤلفات غيرهما .

فشوهت بكل هذه القيود تلك المؤلفات الدسمة السمينة ، حتى صعب على العقول ازدرادها . . . بل وكان لها من العواقب السيئة من بعدُ مالا نزال نشهد آثاره حتى اليوم . . . إذ صرفت عقول الطلاب عن التفكير والاستنباط والابتكار والتجديد إلى حفظ المتون واستظهارها ، وإلى مقارنة الشروح بعضها بالبعض الآخر ، ونقد عبارتها وموازنة ألفاظ هذه بألفاظ تلك . . . وهكذا انحدر طالب العلم من جمع المعانى وفهمها وتوليدها ، إلى مناقشة اللفظ واستيعابه ، والتحيل المتعب فى ترجيحه، فوقف بذلك تقدمه وشح فى مسائله الابتكار . مع أن حوادث الزمان اليوم كموج البحر الجارف يسوق الناس أمامه سوقا . . .

واستساغ العلماء إذ ذاك طعم الوقوف ، واستلانوا هذا التراخى ، واكتفوا بمقارنة أسلافهم بعضهم بالبعض والتقايب فى صفحات مؤلفات هؤلاء الأسلاف حتى يعثروا على ضالتهم فيها . وأصبح حسبهم من العلم أن عرفوا ما دُوّن منه ، واقتنوا فى صدورهم ماألف فيه . وحسبوا علما أن يقولوا : قال فلان وقال فلان . . ولا سيما أن مستمعيهم قد بهرهم منهم هذا النحو من العلم . وأن الوظائف والتطاحن على بلوغها كان شغل الكثيرين منهم . . . لهذا كله وقف العلم ، أو كاد يقف حيث كان .

ولسنا بذكر هذه الحقائق ، نريد أن نغمط حق هؤلاء العلماء أو ننتقص من قيمتهم أو نتجنَّى عليهم . فإن بعضهم كملت له أدوات الاجتهاد من ورع وزهد وتقوى . ومن عقل وحدة ذهن . ومن معرفة بالعربية وطرق أدائها وأسرار بلاغتها . ومن فهم دقيق لكتاب الله . وسعة علم بحديث الرسول والصحابة وسيرتهم . كل هذا مع دقة فهم للظروف الطارئة وملابساتها . وهكذا . وإن بعضهم بلغ فعلا حد الاجتهاد ، وله من الفتاوى والآراء ما يضعه فى مصاف الأئمة المقتدى بهم .

ومن الأمثلة لذلك : تقى الدين بن دقيق العيد القشيرى المتوفى عام ٧٠٢ هـ . وهو شافعى

المذهب . قال عنه تاج الدين السبكي فى طبقات الشافعية الكبرى « لم ندرك أحدا من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه فى الحديث المصطفوى النبوى صلى الله عليه وسلم ، وأنه أستاذ زمانه علما ودينا » .

والشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء المتوفى عام ٦٦٠ ﻫ ، الشافعى المذهب وأستاذ ابن دقيق العيد قال عنه الذهبى فى العبر : « انتهت إليه معرفة المذهب مع الزهد والورع وبلغ رتبة الاجتهاد » . وقال عنه ابن كثير فى تاريخه « انتهت إليه رياسة المذهب وقصد بالفتوى من سائر الآفاق . ثم كان فى آخر عمره لا يتعبد بالمذهب بل اتسع نطاقه بما أدى إليه اجتهاده »[١]

والشيخ سراج الدين البلقينى المتوفى عام ٨٠٥ ﻫ والشافعى المذهب أيضا ، قال عنه السيوطى فى حسن المحاضرة ما ملخصه « مجتهد عصره وعالم المائة الثامنة . انتهت إليه رياسة المذهب والإفتاء وبلغ رتبة الاجتهاد . وله ترجيحات فى المذهب خلاف ما رجحه النووى . وله اختيارات خارجة عن المذهب » .

ولا ننس الشيخ ابن تيمية الحرانى ، المتوفى عام ٧٢٨ ﻫ . وهو حنبلى المذهب وقد عرف عنه الاجتهاد والفتوى بما يراه ، ولو خالف فى ذلك ما أجمع عليه معاصروه . ولقى من وراء ذلك كثيرا من العنت . وأهم ما اختلف فيه مع علماء عصره ، زيارة القبور ، والطلاق . وسنفصل ذلك فى ترجمته إن شاء الله .

وتلميذه ابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥٢ ﻫ ، وقد قال عنه صاحب الشذرات هو المجتهد المطلق . وله آراء اجتهادية كثيرة كأستاذه ابن تيمية .

ومنهم تقى الدين السبكى العالم المجتهد المتوفى عام ٧٥٦ ﻫ ، قيل عنه فى حسن المحاضرة نقلا عن ابنه فى الترشيح ما ملخصه : « قال الشيخ شهاب الدين بن النقيب جلست بمكة بين طائفة من العلماء . وقلنا : لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة

---

١ — نقله السيوطى فى حسن المحاضرة .

فى هذا الزمان مجتهدا عارفا بمذاهبهم أجمعين، يركب لنفسه مذهبا من الأربعة بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها، لازدان الزمان به، وانقاد الناس له. فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقى الدين السبكى، ولا ينتهى لها سواه ».

ومنهم ولده تاج الدين السبكى صاحب طبقات الشافعية الكبرى. قال عنه السيوطى إنه كتب مرة عن نفسه ورقة إلى نائب الشام يقول فيها : « وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق ». قال السيوطى بعدها : « وهو مقبول فيما قال عن نفسه ». (١)

وأمامنا جلال الدين السيوطى، فقد قال عن نفسه فى ترجمته بكتابه حسن المحاضرة « وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى. أقول تحدثا بنعمة الله تعالى لا لأفخر، وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر، وقد أزف الرحيل وبدا الشيب وذهب أطيب العمر ».

والسيوطى بما وصف نفسه جدير. فإن رجلا ألف الإتقان فى علوم القرآن، والمزهر فى علوم اللغة، وحسن المحاضرة فى التاريخ، والأشباه والنظائر فى النحو. والدر المنثور فى التفسير المأثور فى سبعة مجلدات. والجامع الكبير فى الحديث وبلغت مؤلفاته نحو ستمائة كتاب ورسالة فى علوم شتى، لجديرا بأن تكون أدوات الاجتهاد قد كملت له، وأن يعد من الأئمة المجتهدين.

على أننا لا نستطيع أن ندعى أن من بين هؤلاء الأعلام من بلغ به اجتهاده إلى استنباط مذهب جديد كامل تام الأحكام فى جميع نواحى الحياة كما أرادتها الشريعة، على نمط من مذاهب الأئمة المتقدمين الذين هم القدوة والإمام. — ولو كان اجتهاده فى استنباط مذهبه بطريق التلفيق من المذاهب المعتبرة.

ومهما يكن من شىء، فإننا نحمد لرجال العصر وقف جهودهم على نشر العلم، والمحافظة على الدين، ووضع المؤلفات الممتعة فى مسائله، فوصلوا الماضى بالحاضر.

---

١ — ج ١ ص ١٥٠ من حسن المحاضرة.

وقد عقد السيوطى فصلا فى كتابه « حسن المحاضرة » خاصا بذكر الأئمة المجتهدين الذين كانو بمصر وسنعود إليه فى مناسبة أخرى

والآن نسوق شواهد من مؤلفاتهم على سبيل التمثيل ، فمنها :

كتب الشافعية فى الفقه والأصول

١ — الروضة : مؤلفه محيي الدين النووى المتوفى عام ٦٧٦ هـ وله أيضاً « المجموع » فى شرح المهذب للرافعى ، لم يتمه .

٢ — الفتاوى الموصلية : مؤلفه عز الدين بن عبد السلام المتوفى عام ٦٦١ هـ وله أيضاً : مختصر النهاية . والقواعد الكبرى . والقواعد الصغرى .

س

٣ — منهاج الطالبين : مؤلفه أبو زكريا محيي الدين النووى المتوفى عام ٦٧٦ هـ وهو مختصر كتاب المحرر تأليف عبد الكريم أبي القاسم القزوينى المعروف بالرافعى صاحب الشرح الكبير المسمى بالفتح العزيز والمتوفى عام ٦٢٣ هـ

ع

٤ — تصحيح التنبيه : مؤلفه أبو زكريا محيي الدين النووى أيضاً . وهو تهذيب الكتاب المذكور .

ع

٥ — شرح العنوان : مؤلفه ابن دقيق العيد القشيرى المتوفى عام ٧٠٢ هـ وهو فى أصول الفقه .

س

٦ — الكفاية : مؤلفه نجم الدين أحمد الأنصارى المعروف بابن الرفعة المتوفى عام ٧١٠ هـ . وهو عشرون مجلداً .

س

٧ — المطلب : مؤلفه نجم الدين بن الرفعة أيضا . وهو ستون مجلدا .

س

٨ — الابتهاج فى شرح المنهاج : مؤلفه تقى الدين السبكى المتوفى عام ٧٥٦هـ ، وهو شرح لمنهاج النووى وصل فيه إلى باب الطلاق . س

٩ — تكملة المجموع فى شرح المهذب : مؤلفه تقى الدين السبكى كذلك . وهو بناء على ما هذبه النووى ، وذلك من باب الربا إلى التفليس ، فى خمسة مجلدات
س

١٠ — جمع الجوامع ومنع الموانع : مؤلفه تاج الدين السبكى المتوفى عام ٧٧١ هـ صاحب طبقات الشافعية الكبرى . وهذا الكتاب فى أصول الفقه الشافعى ويعتبر من أمهات كتب هذا المذهب . ج ٢ — ٢٤٢ ، س

١١ — توشيح التصحيح : مؤلفه تاج الدين السبكى أيضا . وهو فى أصول الفقه الشافعى كذلك . ج ٣ — ٢٤٣ ، س

١٢ — حواشى الروضة : مؤلفه سراج الدين البلقينى المتوفى عام ٨٠٥ هـ
س

١٣ — الأزهار الفضة فى حواشى الروضة : مؤلفه جلال الدين السيوطى المتوفى عام ٩١١هـ . وله أيضاً : « مختصر الروضة » .
س

١٤ — الوافى فى شرح التنبيه : لجلال الدين السيوطى . وله أيضا : الأشباه والنظائر فى الفقه . واللوامع والبوارق فى الجوامع والفوارق . ورفع الخصاصة ، وهو شرح الخلاصة . والخلاصة نظم كتاب الروضة وكلها من تأليفه ، وله أيضا : الجامع فى الفرائض . وشرح الرحبية فى الفرائض أيضا . س

١٥ — شرح التنبيه : لجلال الدين أحمد بن عبد الرحمن الدشناوى « ٧٢٢هـ »
س

١٦ — شرح مشكل الوسيط : لظهير الدين جعفر بن يحيى التزمنتى « ٦٨٢ هـ »
س

١٧ — المغنى : لسراج الدين بن موسى بن دقيق العيد « ٦٨٥ هـ » وهو أخو الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد . س

١٨ — شرح التنبيه : للكمال أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبى « ٧٢٥ هـ »
س

١٩ — جامع المختصرات : لكمال الدين أبى العباس أحمد النشائى « ٧٥٧ هـ »
وله أيضا شرحه .
س

٢٠ — مختصر الروضة : لمحيي الدين يحيى بن عبد الرحيم بن زكير الفرضى
« ٧١٨ هـ » .
س

٢١ — تصحيح التحبير : لقطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى
« ٧٢٢ هـ »
س

٢٢ — مختصر الوسيط : لنور الدين ابراهيم بن هبة الله الإسنائى « ٧٢١ هـ » وله
أيضا : مختصر الوجيز . وشرح المنتخب وهو فى الأصول .
س

٢٣ — الجمع والفرق والمسائل المهمة فى اختلاف الأئمة : لسراج الدين يونس بن
عبد المجيد الأرمنتى « ٧٢٥ هـ » .
س

٢٤ — البحر المحيط فى شرح الوسيط : لنجم الدين أبى العباس أحمد القمولى
« ٧٢٧ هـ » . وله أيضا كتاب الجواهر ، وهو تلخيص لكتاب « البحر » .
س

٢٥ — التنجيز فى تصحيح التعجيز : لفخر الدين محمد بن محمد المعروف بابن
الصقلى « ٧٢٧ هـ » .
س

٢٦ — شرح التنبيه : لنجم الدين محمد بن عقيل بن الحسن المحاسنى « ٧٢٩ هـ » . س

٢٧ — شرح التنبيه : لمجد الدين أبى بكر بن اسماعيل الزنكلونى « ٧٤٠ » هـ
وله أيضا : شرح المنهاج .
س

٢٨ — شرح التنبيه : لضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى « ٧٦٥ هـ » وله أيضا
شرح فرائض الوسيط .
س

٢٩ — شرح المنهاج : لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن على الإسنوى « ٧٧٧ هـ »
صاحب طبقات الشافعية . وله أيضا : شرح التنبيه ، كتب منه مجلداً .
وله الهداية إلى أوهام الكفاية .
س

٣٠ — مختصر الكفاية : لشهاب الدين بن النقيب أبى العباس أحمد بن لؤلؤ «٧٦٩ هـ»
وله أيضا : كتاب نكت التنبيه . وتصحيح التهذيب .
س
٣١ — شرح الحاوى : لبهاء الدين حامد بن أحمد بن تقى الدين السبكى «٧٧٣ هـ» .
وله أيضا تكملة شرح المنهاج . وهو تكملة لشرح أبيه تقى الدين ، على
كتاب المنهاج .
س
٣٢ — الخادم على الرافعى . لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى
« ٧٩٤ هـ » . وله أيضا . شرح المنهاج . وشرح التنبيه .
س
٣٣ — شرحان على المنهاج والتنبيه : لسراج الدين بن الملقن « ٨٠٤ هـ » .
س
٣٤ — شرح المنهاج : لكمال الدين الدميرى « ٨٠٨ هـ » .
س
٣٥ — شرح المنهاج : لشهاب الدين بن العماد الاقفهسى « ٨٠٨ هـ » .
س
٣٦ — شرح مختصر المزنى . لشرف الدين يحيى المناوى « ٨٧١ هـ » .
س
٣٧ — بلوغ المرام من أدلة الأحكام : لشهاب الدين بن حجر العسقلانى «٨٥٢ هـ»
فى الفقه والحديث وله أيضا : مناسك الحج .
م
٣٨ — منية الباحث عن حكم دين الوارث : للتقى السبكى «٧٥٦ هـ» وله أيضا : السهم
الصائب فى قبض دين الغائب . والغيث المغرق فى ميراث ابن المعتق وضرورة
التقدير فى تقويم الخنزير . والفتاوى جمعها ولده تاج الدين .
س
٣٩ — القواعد : لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى المتوفى عام ٧٩٤ هـ
فى الفقه . وله أيضا : البحر . وسلاسل الذهب فى الأصول .
س ١ ص ٢٠٦
٤٠ — شرح منهاج البيضاوى . لسراج الدين بن الملقن المتوفى عام ٨٠٤ هـ ، فى
الأصول .
س ١ ص ٢٠٦
٤١ — منهج الطلاب . لزين الدين زكريا الأنصارى المتوفى عام ٩٢٦ هـ ، فى الفقه .

وله أيضاً : تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب . وفتح الرحمن ، فى الفقه والأصول. م

٤٢ ـ فرائد الفوائد ومقاصد القواعد : لكمال الدين الادفوى صاحب الطالع السعيد ، المتوفى عام ٧٤٨ هـ ، وهو فى الفروض . ع ، ص ١٦٠

٤٣ ـ شرح منهاج النووى . لكمال الدين الدميرى المتوفى عام ٨٠٨ هـ ع ، ص ٢٥٤

٤٤ ـ نظم الحاوى . للملك المؤيد أبى الفداء اسماعيل صاحب حماة المتوفى عام ٧٣٢هـ ف ١ ص ٣٠

٤٥ ـ قيام الليل ، وقيام رمضان ، والوتر . ثلاث كتب وضعها أبو عبد الله محمد ابن نصر المروزى المتوفى عام ٢٩٤ هـ وقد اختصرها جميعا تقى الدين المقريزى . م

٤٦ ـ منظومة فى الأصول : وضعها شمس الدين محمد البرماوى المتوفى عام ٨٣١ هـ

٤٧ ـ طرح التثريب فى شرح التقريب : لزين الدين العراقى « ٧٢٥هـ » وولده ولى الدين أبى زرعة « ٨٠٦ هـ » والتقريب هو « تقريب الأسانيد » لزين الدين العراقى .

كتب الحنفية فى الفقه وأصوله

١ ـ شرح الجامع الكبير : لعلاء الدين على بن بليان الفارسى المصرى المتوفى عام ٧٣١هـ. س

٢ ـ شرح الهداية : لبرهان الدين بن على بن أحمد الواسطى المتوفى عام ٧٤٤ هـ س

٣ ـ شرح الجامع الكبير : لفخر الدين عثمان بن ابراهيم بن مصطفى الماردينى المشهور بابن التركمانى المتوفى عام ٧٣١ هـ س

٤ ـ شرح الهداية [1] : لتاج الدين بن فخر الدين الماردينى المشهور بابن التركمانى — توفى عام ٧٤٤ هـ . وله أيضاً شرح الجامع الكبير . س

(١) الهداية : من أهم كتب الحنفية ، وهو عبارة من شرح لمختصر اسمه «بداية المشترى» والكتابان مما من تأليف شيخ الاسلام برهان الدين أبى الحسن على المرغينانى المتوفى عام ١١٩٦ م ، وكتاب « البداية مأخوذ باختصار من كتاب « مختصر القدورى » المتوفى عام ١٠٣٧ م ، ومن كتاب « الجامع الصغير » للشيبانى المتوفى عام ٨٠٤ م. وجميع هؤلاء الرجال من جلة علماء الحنفية . — المنتخب .

٥ ـ مختصر الهداية : لعلاء الدين بن فخر الدين الماردينى المتوفى عام ٧٤٥ هـ .

س

٦ ـ شرح متن الكنز : لفخر الدين عثمان بن على بن محجن البارعى المشهور بالزيلعى ، المتوفى عام ٧٤٣ هـ . ويسمى هذا الشرح : « تبيين الحقائق على كنز الدقائق » . (١)

س

٧ ـ شرح الهداية : مؤلفه أمير كاتب بن أمير عمر الإتقانى المتوفى عام ٧٥٨ هـ .

س

٨ ـ شرح الهداية : للسراج الهندى عمر بن اسحق بن أحمد الغزنوى المتوفى عام ٧٧٣ هـ .

س

٩ ـ التحرير : مؤلفه أحمد بن على بن منصور بن شرف الدين أبو العباس الدمشقى المتوفى عام ٧٨٢ هـ . وهو مختصر كتاب المختار فى الفقه . وله عليه تعليق .

س ٢٠٢٣

١٠ ـ شرح الهداية : لأكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتى المتوفى عام ٧٨٦ هـ.

س

١١ ـ البناية فى شرح الهداية . لبدر الدين محمود العينى المتوفى عام ٨٥٥ هـ وله أيضاً رمز الحقائق : وهو شرح متن الكنز للنسفى . وشرح المجمع . وله أيضاً « درر البحار» .

س

١٢ ـ شرح التحرير : مؤلفه ابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيراشى السكندى المتوفى عام ٨٦١ هـ .

س

١٣ ـ شرح النقاية : مؤلفه تقى الدين أبو العباس أحمد الشُمُنّى المتوفى عام ٨٧٢ هـ

س

١٤ ـ فتح القدير . مؤلفه ابن الهمام السالف الذكر المتوفى عام ٨٦١ هـ. وهو شرح الهداية ، كتب فيه إلى باب الوكالة . وله أيضاً . زاد الفقير ، وهو فى مسائل الصلاة .

س

---

(١) كتاب « كنز الدقائق » من أهم كتب الحنفية ، مؤلفه أبو البركات حافظ الدين النسفى المتوفى عام ٧١٠ هـ .

ج

كتب المالكية فى الفقه وأصوله

١ — الذخيرة : للعلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد القرافى المتوفى عام ٦٨٤هـ .
س

٢ — شرح مختصر ابن الحاجب : مؤلفه عيسى بن مسعود أبو الروح الزواوى المتوفى عام ٧٤٣ هـ . وله أيضاً شرح المدونة [1] والرد على ابن تيمية ، وهو خاص بمسألة الطلاق .
س

٣ — شرح مختصر ابن الحاجب: [2] مؤلفه خليل بن اسحق الجندى المتوفى عام ٧٦٧ هـ ، وله أيضاً : « المختصر » وقد اشتهر به ـ وله أيضاً « مناسك الحج » .
ج ٣ ص ١ ، ٢٠٤ س

٤ — شرح مختصر ابن الحاجب : مؤلفه ناصر الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله الزبيرى الاسكندرانى المتوفى عام ٨٠١ هـ .
س

٥ — الشامل : مؤلفه بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز المتوفى عام ٨٠٥ هـ . وله أيضاً : شرح أصول ابن الحاجب .
س

٦ — شرح المختصر : مؤلفه بهرام بن عبد الله كذلك . والمختصر المذكور هو مؤلف خليل بن اسحق السابق ذكره .
س

كتب الحنابلة فى الفقه وأصوله

١ — الرعاية الكبيرة : لنجم الدين أبى عبد الله أحمد بن حمدان الحرانى المتوفى عام ٦٩٥ هـ .
س

---

١ — المدونة : من أهم كتب المالكية وهى آراء لأبى عبد الله القاسم المتقى المتوفى عام ٨٠٦ ميلادية . نقحها تلميذه أبو سعيد عبد السلام التنوخى المعروف بسحنون المتوفى عام ٨٥٤م ٢٤٠ هـ . — منتخب ص ١٠٨

٢ — ابن الحاجب من أبرع علماء المالكية ، ألف المختصر فى الأصول . والمختصر فى الفقه . والكافية فى النحو . والشافية فى الصرف والخط وغير ذلك . ومات بالاسكندرية عام ٦٤٦ هـ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٥ .

٢ — مختصر تهذيب الكمال : لعماد الدين أبى بكر بن أبى المجد ماجد السعد الحنبلى المتوفى عام ٨٥٤ هـ . س

٣ — الفتاوى المصرية : لتقى الدين بن تيمية الحرانى المتوفى عام ٧٢٨ هـ ، وهو سبع مجلدات . ولابن تيمية مؤلفات أخرى منها : تحقيق الفرقان بين الطلاق والايمان . مجموعة من الرسائل فى مسائل فقهية ، الدرة المضية . رسالة فى معنى القياس . رسالة فى حكم السماع والرقص . رسالة فى الكلام على القصاص : مناسك الحج . خلاف الأئمة فى العبادات . زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور . النية فى العبادات . معارج الوصول ، وهو فى أصول الدين وفروعه . شرح العمدة وهو فى الفقه والأصول والكلام . طن ، م

٤ — كتاب الكبائر : وهو مجلد ، ألفه شمس الدين بن القيم ، المتوفى عام ٧٥١ هـ ولابن القيم مؤلفات أخرى ، منها : رفع اليدين فى الصلاة . نكاح المحرم . إغمام هلال رمضان . زاد المعاد فى حج خير للعباد . وهو أربعة أجزاء فى الفقه والتصوف . الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، وهو فى « هل يصح الحكم بالفراسة والقرائن ، إذا لم تتوفر الأدلة الشرعية » وبه فوائد تاريخية واجتماعية . طن . م . ج ص٢٤٥

٥ — الفروع : مؤلفه شمس الدين بن مفلح المقدسى الصالحى المتوفى عام ٧٦٣ هـ . ولابن مفلح مؤلفات أخرى منها : كتاب فى أصول الفقه . شرح المقنع لابن قدامه[1] ، وهذا الشرح فى ثلاثين مجلدا . طن . م

---

١ — ابن قدامة هو الشيخ موفق الدين . وهو من رؤوس الحنابلة ، توفى عام ٦٢٠ هـ . وقد ترجمه الشطى فى طبقاته — والكتبى فى فواته ج ١ ص ٢٦٠ — وتعتبر مؤلفات ابن قدامه من أمهات كتب الحنابلة . وله كتاب : المقنع ، وكتاب : العمدة . — وله أيضا كتاب المغنى فى عشرة مجلدات ، وشرح فيه كتاب « المختصر » فى فقه الحنابلة لأبى القاسم عمر ابن الحسين الخرقى المتوفى عام ٩٤٥ م — من المنتخب .

٦ — مغنى ذوى الأفهام عن الكتب الكثيرة فى الأحكام : لجمال الدين يوسف بن عبد الهادى المتوفى عام ٩١٠ هـ ، ويحتوى على مهمات مسائل الدين فى المذاهب الأربعة . طن

٧ — شرح المقنع : مؤلفه برهان الدين ابرهيم بن مفلح المتوفى عام ٨٨٤ هـ . وله أيضا ، كتاب فى الأصول . طن ٦٧

٨ — الإنصاف : وهو شرح آخر للمقنع : كتبه علاء الدين على بن سليمان السعدى المتوفى عام ٨٨٥ هـ ، وله أيضاً كتاب : التنقيح المشبع فى تحرير أحكام المقنع . وهو مختصر لكتابه « الأنصاف » المذكور ، وله أيضاً كتاب « التحرير فى أصول الفقه . طن ٦٨

تفسير القرآن الكريم وما يتصل به

لم يقصر علماء هذا العصر فى مضمار التفسير ، وكيف يكون التقصير ، والتفسير كان وما زال فى مقدمة علوم الدين ، وهم رجاله وحفظته . ثم إن التفسير كان من بين المواد الدراسية المقررة . واشتهر بإلقاء دروس التفسير طائفة من العلماء جليلة ، لهذا نال التفسير نصيباً محمودا من عناية المؤلفين .

ومنهم من فسر القرآن كله ، ومنهم من فسر بعضاً منه . كما أن منهم من شرح وأسهب ، ومنهم من أوجز واقتضب ، ومنهم من اقتصر على الشرح بطريق ذكر المرادفات . ومنهم من خلط التفسير ببحوث أخرى . أو تكلم عما فى القرآن من الغريب أو المبهم ، أو المشكل . وهكذا . وبعضهم تحدث عن أسباب النزول ، وتكلم فى تاريخ القرآن . إلى غير ذلك .

وأفضل ما تصفحته من تفاسيرهم ، تلك التى امتزج فيها التفسير بالحديث وشرحه وبالفقه والتصوف والحديث عن العقائد . وتتراءى لك خلاله دروس قيمة فى الأخلاق الإسلامية ، والتربية النفسية ، مع توضيح تام لروح الإسلام وسموه .

هذا إلى ضروب من الوعظ نافعة . وفى مقدمة رجال التفسير : ابن تيمية الحرانى وتلميذه ابن القيم ، والجـــلال السيوطى ، والتقى السبكى والكافيجى والزركشى والأنصارى والعليمى .

وإليك بعضا من مؤلفاتهم .

١ ـ تفسير القرآن : للعلامة ناصر الدين الجذامى الإسكندرانى المعروف بابن المنير المتوفى عام ٦٨٣ هـ. ف ١ ص ٩٢ ، س

٢ ـ الدر النظيم فى تفسير القرآن العظيم : للعلامة تقى الدين السبكى المتوفى عام ٧٥٦هـ . س

٣ ـ الدر المنثور فى التفسير المأثور : للجلال السيوطى . وله أيضاً مؤلفات أخرى فى التفسير منها . ترجمان القرآن . الاتقان فى علوم القرآن . مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن . المهذب [١]. فيما وقع فى القرآن من المعرب . وقطف الأزهار ولباب [٢] النقول فى أسباب النزول . تفسير الجلالين . ألف بعضه الجلال المحلى ثم أتمه السيوطى . التحبير . تناسق الدرر فى تناسب السور . مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع . مجمع البحرين ومطلع البدرين . معترك الأقران فى مشترك القرآن [٣] .

س ، ج

٤ ـ تفسير القرآن : لبهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل القفطى المتوفى عام ٦٩٧ هـ

س

٥ ـ تفسير القرآن : لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى المتوفى عام ٦٩٤ هـ وصل فيه إلى سورة مريم . س ١ ص ٢٠٦

٦ ـ تفسير القرآن : لعلم الدين صالح البلقينى بن سراج الدين ، وهو المتوفى عام ٨٦٨ هـ . س

---

(١) المهذب : هكذا ذكره السيوطى فى حسن محاضرته . وسماه جورجى زيدان : المذهب فيما وقع فى القرآن من المعرب . »

(٢) اللباب : هكذا ذكره السيوطى فى حسن محاضرته . وسماه جورجى زيدان : لباب المقول .

(٣) للسيوطى كتب اخرى فى التفسير كثيرة .

٧ ـ تفسير القرآن : لجمال الدين أبي عبد الله محمد البلخي بن الملقن المفسر العلامة الكبير المتوفى عام ٦٩٨ هـ . وهو كتاب ضخم . ١س،ص ٢٢٠

٨ ـ تفسير سورة الإخلاص : للتقى بن تيمية الحرانى . وله أيضاً تفاسير أخرى منها : تفسير سورة النور . تفسير المعوزتين ، فتوى فى أن القرآن أنزل على سبعة أحرف . التبيان فى أسباب نزول القرآن . العبودية وهى رسالة فى تفسير قوله تعالى « يأيها الناس اعبدوا ربكم » . الاكليل فى المتشابه والتأويل . تفسير البسملة . تفسير قوله تعالى « إياك نعبدو إياك نستعين » . تفسير آية الكرسى . تفسير سورة المائدة . تفسير سورة يوسف . سورة القلم . بعض آى سورة البقرة . قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بنى آدم . » (٤)
ط ، م

٩ ـ أمثال القرآن : لشمس الدين بن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ . وله أيضاً رسائل كبيرة فى التفسير ، منها : إيمان القرآن . تفسير المعوزتين . تفسير قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا » . الكلام عن لفظ « غير » فى قوله تعالى . « غير المغضوب عليهم » . (٥) م

١٠ ـ المنة فى تفسير قوله تعالى : لتؤمن بالله ولتنصرنه . لتقى الدين السبكى المتوفى عام ٧٥٦ هـ . وله أيضاً : الحكم والاناة فى إعراب قوله تعالى « غير ناظرين إناه » . تفسير قوله تعالى « يأيها الرسل كلوا من الطيبات » س

١١ ـ إتحاف الأريب بما فى القرآن من الغريب . لأثير الدين بن حيان المتوفى عام ٧٤٥ هـ . ج ، نكت الهميان ص ٢٨٠ ، م

١٢ ـ البحر المحيط : وهو لأثير الدين أبى حيان أيضاً. ع

١٣ ـ التيسير فى علم التفسير : لمحيى الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيجى المتوفى عام ٨٧٩ هـ . وله أيضاً كتاب تفسير آيات متشابهات .
ج ٢٤٩ ، س ٢٦٤١

---

(٤) لابن تيمية رسائل أخرى فى التفسير كثيرة.
(٥) هذه البحوث الثلاثة الأخيرة ضمن مجموعة لابن القيم فى علوم شتى ـ راجع فهرس دار الكتب المصرية .

١٤ - تفسير القرآن : لشهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي السمين المتوفى عام ٧٥٦ هـ . س ١ ص ٢٥٧

١٥ — تفسير القرآن : مؤلفه عبد العزيز أحمد بن سعيد الديريني المتوفى عام ٦٩٧ هـ
س ١ ص ١٩٧

١٦ — البرهان فى علوم القرآن : لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى المتوفى عام ٧٩٤ هـ س ١ ص ٢٠٦

١٧ — شرح البسملة والحمدلة : لزين الدين زكريا الأنصارى « ٩٢٦ هـ » .

١٨ — تفسير القرآن : لعبد الواحد بن شرف الدين بن المنير المتوفى عام ٧٣٦ هـ فى عشر مجلدات . س ١ ص ٢١٦

١٩ — تفسير القرآن : لأبى الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى عام ٧٧٤ هـ
ع ص ١٩٣

٢٠ — تفسير القرآن : للعلامة مجير الدين عبد الرحمن العليمى المتوفى عام ٩٢٧ هـ
طن ٧٣

الحديث ومصطلحه وشرحه ونقده

يمكن القول إن عصر المماليك من العصور الذهبية ، فى تاريخ الحديث ومصطلحه وشرحه ونقده . فقد تكاثر فيه الحفاظ ، وعنوا بالرواية عناية تامة ، على الرغم من انتشار الخط وكثرة الخطاطين ، مما كان يكون له شأن فى التقليل من العناية بالحفظ والرواية .

ولكن علماء العصر ، كأنما وجدوا أنه لا بقاء لعلمهم فى صدورهم ، ما لم تعاونه ذخيرة من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام . فحفظوه كما حفظوا كتاب الله واهتموا به أى اهتمام . واشترطوا على رواته الحصول على الإجازة ، بالرواية من عالم حافظ راوية مجاز من شيخه . والإجازات بمثابة شهادة دراسية ، يجتهد

الطالب فى الحصول عليها من أستاذه ، بعد ملازمة له طويلة ، وحفظ الحديث ومعرفته برجاله . فيجيزه شيخه بعد تأكده من حفظه وروايته ومعرفته ، يجيزه برواية حديث عنه ، أو عدة من الأحاديث . وينضم بذلك الراوية الجديد إلى سلسلة رواة هذا الحديث أو تلك الأحاديث .

وسمت العناية بالحديث — كما أشرنا — سموا كبيرا . حتى كان قصارى كثير من طلاب العلم الحصول على الإجازات ليصيروا فى زمرة « الحفاظ » . وكانت هذه العناية سببا فى شحذ الهمة وتنبيه الحافظة والذاكرة ، أعنى قوة الحفظ والذكر حتى أصبح بعضهم مضرب المثل فيهما . ويذكر فى تاريخه وأوصافه أنه « سريع الاستحضار للأحاديث فى مناسباتها » وأن بعضهم يحفظ حديثا أو عدة أحاديث بجمع أسانيدها ورواياتها المتغايرة ، مع علم برجال كل سلسلة من سلاسل هذه الأسانيد من ناحية ضبط الأعلام والكنى والنسبة ، وتاريخ كل علم منها ، وكل ما قيل فيه من تجريح أو تعديل أو نحو ذلك . وقد أشرنا إلى شىء من هذا فيما سبق .

فكان طبيعيا أن يكون لهذه العناية أثر بارز فى ميدان التأليف . فانصرفت العناية إلى وضع مؤلفات فى الحديث ورجاله وفى مصطلحه ونقده وشرح كتبه واختصارها كذلك . فظفر العصر بجملة بارعة نافعة فى هذه الأبواب ، وحسبك منها كتب الذهبى والعينى والسيوطى ، والقسطلانى ، والعسقلانى الذى قال السخاوى عن كتابه فى شرح البخارى إن الأمة به وفت دينها .

وقد عقد السيوطى بابا فى حسن محاضرته ألم فيه بالحفاظ وسنشير إليه فيما بعد ونقتبس منه .

وقد نوهنا فى كتب تاريخ الأعلام ببعض كتب رجال الحديث . وإليك عددا من كتب الحديث أو نقده ومصطلحه و شرحه ، فمنها :

١ — الاقتراح : فى المصطلح لتقى الدين بن دقيق العيد القشيرى « ٧٠٢ هـ » وله أيضا كتاب « الإلمام » وقد قال السيوطى عنه إنه لم يؤلف فى الحديث كتاب أعظم .

٢ ـ شرح البخارى للعلامة سراج الدين البلقيني « ٨٠٥ ه » وله أيضا شرح الترمذى.

س

٣ ـ كشف المغطى فى شرح الموطا . للجلال السيوطى . وله أيضا التوشيح على الجامع الصحيح . الديباج على صحيح مسلم بن . الحجاج . مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود . شرح سنن ابن ماجه . نظم الدرر فى علم الأثر ، وشرحه المسمى : قطر الدرر . اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة . جمع الجوامع ويسمى الجامع الكبير . وغير ذلك

س

٤ ـ شرح سنن أبى داوود : لسعد الدين أبى محمد مسعود بن أحمد العراقى المصرى الحنبلى المعروف بالحارثى « ٧١١ ه »

س

٥ ـ شرح البخارى : مؤلفه القطب الحلبى أبو على بن عبد النور بن منير الحنفى « ٧٣٥ ه » .

س

٦ ـ شرح الترمذى لفتح الدين بن سيد الناس « ٧٣٤ ه » مؤلف السيرة النبوية . وقد أتم هذا الشرح الحافظ العراقى « ٨٠٦ ه »

س

٧ ـ تخريج أحاديث الهداية وأحاديث الكشاف : لجمال الدين الزيلعى « ٧٦٢ ه » وهو أحد الحفاظ وقد أخذ عن فخر الدين الزيلعى شارح الكنز فى فقه الحنفية

س

٨ ـ تخريج أحاديث الرافعى . لعز الدين أبى عمر بن جماعة « ٧٦٧ ه » وهو ابن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة .

س

٩ ـ شرح البخارى : للحافظ مغلطاى بن قليج الحنفى « ٧٦٢ ه » . وله أيضا : شرح سنن ابن ماجة .

ج ص ١٩٣ ، س

١٠ ـ تخريج أحاديث الاحياء : للحافظ العراقى « ٨٠٦ ه » والإحياء للغزالى .

س

١١ ـ فتح البارى بشرح البخارى : لشهاب الدين بن حجر العسقلانى « ٨٥٢ ه » ويقع هذا الكتاب فى عشرة أجزاء ضخام . وله مقدمة ثمينة هى « هدى

الساري ، ولابن حجر مؤلفات أخرى منها . نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، وهو في مصطلح الحديث وقد شرحه المؤلف في كتابه « شرح نخبة الفكر ، ومن كتبه . الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف . المعجم المفهرس ، رتب فيه الاحاديث ترتيبا أبجديا مع حذف الأسانيد . نزهة السامعين نصب الراية . هداية الرواة توالي التأسيس ، ذكر فيه لأحاديث المروية عن طريق الشافعي .

م ، س ١ ج ١٦٦

١٢ — شرح البخاري : لبدر الدين الزركشي ، ٧٩٤ هـ ، . وله أيضا التنقيح تخريج أحاديث الرافعي .

س ١ ص ٢٠٦

١٣ — شرح البخاري : لسراج الدين بن الملقن ، ٨٠٤ هـ ، »

١٤ — شرح مسلم : لعيسى بن مسعود أبي الروح الزواري ، ٧٤٣ هـ ، . »

١٥ — مختصر سنن البيهقي : لبرهان الدين بن علي بن أحمد ، ٧٤٤ هـ ، . »

١٦ — مختصر علوم الحديث لابن الصلاح : لفخر الدين عثمان بن ابراهيم الماردينى المعروف بابن التركاني ، ٧٤٥ هـ ، .

س ١ ص٢٠٦٠

١٧ — تخريج أحاديث الهداية : لعبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي ، ٧٧٥ هـ ،

س ١ ص ٢٢٢

١٨ — عمدة القاري في شرح البخاري : لبدر الدين العيني ، ٨٥٥ هـ ، .

ج ص ١٩٦ — س ١ ص ٢٢٤

١٩ — شرح حديث النزول : لتقي الدين بن تيمية الحراني . م

٢٠ — إرشاد الساري إلى شرح البخاري : للشهاب أبي العباس القسطلاني ، ٩٢٣ هـ ،

ج ص ١٥٦

٢١ — جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام : لشمس الدين بن القيم . وفيه بحث عن جميع الأحاديث التي وردت في الصلاة والسلام على النبي الكريم . وله أيضاً شرح سنن أبي داود

م

٢٢ — رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : لمحي الدين النووى « ٦٧٦ هـ » .
وله أيضا : الأربعون حديثا . وشرح صحيح مسلم . م

٢٣ — فتح البارى فى شرح البخارى : للحافظ زين الدين بن رجب البغدادى الحنبلى « ٧٩٥ هـ » . وصل فيه إلى الجنائز . وله أيضا شرح جامع الترمذى .
طن ٦٤

٢٤ — نظم علوم الحديث لابن الصلاح : ناظمه شهاب الدين الخوبى « ٦٩٣ هـ » .
س ١ ص ٢٦٠

٢٥ — شرح البخارى : لبدر الدين الدمامينى « ٨٢٧ هـ » . س ١ ص ٢٥٨

التصرف والعقائد

من الطبيعى أن يزدهى التصوف ويكثر المتصوفون فى هذا العصر ، ويتردد الحديث عن العقائد ، ويكثر الأخذ والرد فى مسائله ، وتظل بين إثبات ونفى ، وقبول ورفض ، وتراخ وشد ، وهكذا . وتقع بسبب ذلك الحوادث أحياناً ، الحوادث المفكِّهة المسلية ، أو الحوادث الآزمة القاسية .

أقول : إن هذا كان من الطبيعى ، لأن الروح السارية روح إسلامية ، غذاها السلاطين ، ورفع العلماء لواءها ، وانقاد لها العامة . وأدى التطرف إلى إنشاء الزوايا والربط والخوانق لإيواء « الفقراء » أى أهل الطريق الذين يزعمون التصوف ويدعون القرب لله . ونحن طبعا لا ندرى مبلغ صدقهم ، فعلم ذلك عند علام الغيوب ! ولكن عددهم تكاثر وازداد ، وعجت القاهرة بصنوفهم . وامتلأت بهم المؤسسات المنشأة لهم خاصة ، بل وكانت تنشأ لهم المدارس أيضا لإلقاء وعظهم للناس وإرشادهم ، وتجرى عليهم الأرزاق شتى مختلفة الأنواع كما بينا فيما سبق — ولا شك أن ذلك من أهم ما أطمعهم فى السير فى طريقهم ، وشحذ همتهم إلى التشبث بمكانتهم المكتسبة .

والصوفية هم أهل الباطن ، يدعون الصلة والكشف ، ويحبون أن يعبروا عما يقع لنفوسهم من الرؤية ، فلا تسعفهم اللغة ، ولا تجودهم ألفاظها ، ويضيق نطاق عباراتها عن أن تحمل معانيهم ، فيضطرون إلى التجوز فى التعبير ، والانتقال بالألفاظ والعبارات من معانيها الحقيقية إلى معانيهم هم التى تجول بخواطرهم . وقد تكون كناياتهم خفية واستعاراتهم بعيدة العلاقة . وقد لا يحسنون هذا الانتقال، فيقع بسبب ذلك الاضطراب فى حديثهم ، والارتباك فى كلامهم ، ويستشعر منه أهل اللغة ، وذوو الذوق الأدبى ، وأهل الظاهر من العلماء ، شذوذا وبعدا عن الحقيقة ، وتلبيسا وخلطا ، واضطرابا فى الذوق ، وإبهاما ، وأخيرا يستشعرون منهم خلافا لصريح الكتاب والسنة وظاهر الدين . فيقع بسبب ذلك الحوادث التى أشرنا إليها ، والمحاجات والردود والمناظرات ، لذلك ترى شدة ارتباط علم الكلام بحديث التصوف .

على أن عامة المصريين ، كانوا ولا يزالون يعتقدون فى أهل الطريق ، قد يكون من بينهم من بلغ مرتبة الولاية ـ وإن كنا لا نستطيع أن نشير إليه ، ولا يستطيع غيرنا أيضا أن يشير إليه ـ إلا أنهم لا يخلو أمرهم من أن يكون بينهم الرجل الصالح الجدير بهذه المرتبة .

وقد اشتهر كثير من الأشياخ فى هذا العصر ، من أهل التصوف الرسميين وغيرهم بكرامات وأحوال كشف متعدده . عرفوا بها وروتها عنهم كتب التاريخ . ولا غرابة، فقد كان بعض السلاطين والأمراء يعتقدون فى بعض هؤلاء اعتقادا راسخا، أنهم أولياء ، وأنهم إلى الله مقربون ، وأنهم من الممكن أن يستشفعوا بهم إلى الله .

وعلى القارىء الكريم ، أن يعود إلى الجزء الأول من كتابنا هذا ، ويتصفح الفصل الخاص بالقصص والنوادر ، يجد من بينها ما يدعم ما ذكرناه هنا . ومنها: حكاية الشيخ أبى العباس الشاطر الدمنهورى ، الذي قال إنه لا يحجبه عن أصحابه

التراب . فطلب منه الشيخ تاج الدين الفاكهانى ، طلبات عند قبر ، فتحققت

ومنها حكاية انشقاق العلماء بسبب عقيدتهم فى عمر بن الفارض الشاعر المتصوف المشهور .

ومنها حكاية السلطان قايتباى وتقبيله رجل الشيخ الدشطوطى .

ومنها حكاية طومان باى آخر سلاطين مصر فى العصر المملوكى ، وعدم قبوله السلطنة إلا بعد أن ذهب مع الأمراء إلى الشيخ أبى السعود الجارحى ، أحد المتصوفة بكوم الجارح . . .

ولا ننس أن بجوار الصالحين منهم قوما زائفين ، يتجرون بالتصوف ، ويتكسبون بدعوى الصلاح . وتصدر منهم تحت الستار شرور كثيرة . وهناك فى باب القصص بالجزء الأول ، قصة الشيخ سنطباى المتصوف الذى كان يزيف الدراهم والدنانير فى عهد السلطان الغورى .

ومهما يكن من أمر ، فإن لصلحاء هذه الطائفة ، ومن نهج منهم منهج العلم ، أثرا محمودا فى تقويم الناس ، بالوعظ والقص ونحوه ، وبالقدوة الطيبة .

وقد عقد السيوطى فى حسن محاضرته ، فصلا ، ترجم فيه لعدد من الصوفية ، منوها ببعض مآثرهم .

وقد وضع بعض علماء العصر ، كتبا فى التصوف ، وفى العقائد ، هى من أفضل ما تخلفه حركة كحركة الصوفية . ويبدو لنا أن كثيرا من أهل هذا العصر ، ومن عامته ، شغلت أذهانهم ببعض المذاهب فى العقائد . ينظرون فيها ، ويوازنون بينها وينقدونها ، ويوجهونها وينقادون لها ، أو يردون عليها ويتعصبون ضدها . وذلك كمذهب الأشاعرة والصفاتية ، والجهمية والمعطلة ، وغير ذلك . فكان هذا مثارا لعلماء الدين ، ودافعا لهم إلى وضع رسائل فى هذه الموضوعات ، يفصح كل منهم فيها عن حقيقة عقيدته ، ويدلل على مبلغ صحتها ، ويزيف ما عداها ، ويرد على الخارجين عليها ، والمنحرفين عنها . ولذلك أثره الدولة وطوائفها وجمعهم أو تفريقهم .

وكثيرا ما ترى مؤلفاتهم مزيجا من العقائد والأخلاق والتفسير والحديث والفقه والأخبار ، ونحو ذلك مما يدفع إليه الاستشهاد والاستطراد .

وننوه ببعض هذه المؤلفات فنها .

١ — الحكم العطائية : لتاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى الشاذلى « ٧٠٩ هـ »
ج ص ٢٤٨

٢ — الفوائح المسكية فى الفواتح المكية : لعبد الرحمن البسطامى الحنفى « ٨٥٨ هـ » وهو فى علوم عدة . وقد عاش مؤلفه فى القاهرة زمنا .

ج ص ٢٤٩

٣ — شرح العمدة : لتقى الدين بن دقيق العيد القشيرى « ٧٠٢ هـ » وكتاب العمدة يسمى « عمدة عقيدة أهـــل السنة والجماعة » للحافظ النسفى فى علم الكلام .
س ١ ص ١٠٣

٤ — تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية : للجلال السيوطى . وله أيضاً كتب أخرى منها : تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان . ودرج المعالى فى نصرة الغزالى والخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال . والمعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة .

س ١ ص ١٦٠

٥ — شرح العمدة : لسراج الدين بن الملقن « ٨٠٤ هـ » .

س ١ ص ٢٠٦

٦ — شرح العمدة . لشمس الدين البرماوى « ٨٣١ هـ » س ١ ص ٢٠٧

٧ — شرح العمدة : لتاج الدين الفكهانى « ٨٣٤ هـ » س ١ ص ٢١٦

٨ — الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : لتقى الدين بن تيميه الحرانى « ٧٢٨ هـ » وله كتب أخرى منها : التحفة العراقية فى الأعمال القلبية . الفرقان بين الحق والباطل . رسالة فى القضاء والقدر . الدين والدنيا . الواسطة بين الخلق والحق . والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، فى أربعة

أجزاء . إثبات المعاد والرد على ابن سينا . تقارض العقل والنقل . ثبوت النبوات عقلا ونقلا ، وفيه حديث عن المعجزات والكرامات . منهاج السنة النبوية فى نقض الشيعة القدرية . الإيمان . منهاج الاستقامة . الرد على الفلاسفة

ف ١ ص ٥٤ — ج ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ — م

٩ — مدارج السالكين : لشمس الدين بن القيم « ٧٥١ هـ » . وهو كتاب كبير فى شرح كتاب « منازل السائرين » للشيخ أبى اسماعيل الهروى المتوفى عام ٤٨١ هـ . — ولابن القيم كتب أخرى منها : الفوائد فى التصوف والأخلاق وبه فصول عن البعث والجنة والنار وغيرهما . وكتاب مفتاح دار السعادة وبه فصول فى حكم المخلوقات ودعوى إلى الإيمان وحسن العبادة وردود على الفلاسفة . وشفاء الغليل فى مسائل القضاء والقدر والحكم والتعليل . وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المرجئة والجهمية .

ج ص ٢٤٦ ، م

١٠ — البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد : لتقى الدين المقريزى «٨٤٥هـ» وله أيضاً : تجريد التوحيد .

القراءات

إن العناية التى وجهت إلى علوم القرآن الكريم ، وما يتصل به ، دعت القوم إلى أن يعنوا كذلك ، بطرق قراءته وحسن أدائه ، وتأثر رسمه . ولم يخرجوا فيما صنعوا عما رسم القدماء .

ومن أهم الدعائم التى استند إليها علم القراءات بمصر ، مانظم الشاطبى المشهور المتوفى عام ٥٩٠ هـ ، لقد أصبحت منظوماته متنا ، يتناوله الشراح بالشرح وللشاطبى قصيدتان فى القراءات ورسم المصحف . وهو من جالية الأندلس بمصر ، وفد إليها واشتغل بالتدريس فيها ، وبذلك أصبح للأندلس الفضل فى نشر هذا العلم بالمشرق ، كما لها الفضل كذلك فى اشتغال أهله بعلوم النحو والصرف .

وكثر علماء فن القراءات بمصر، حتى عقد لهم السيوطي فصلا في حسن محاضرته ذكر فيه النابهين منهم . وأكب كثير منهم على تدريسه بدور التعليم ، ومنحوا لطلابهم النابغين فيه « الإجازة » بالرواية ، على نظام إجازات الحديث وغيره من العلوم .

وأكب بعضهم أيضاً على التأليف فيه ، وتوضيح مسائله ، ودارت هذه المؤلفات في أغلب أمرها على شرح الشاطبية كما نوهنا ، أو النظم على غرارها . وكتب بعضهم في تاريخ أعلامه . ومن كتب هذا الفن :

١ — كتاب القراءات : لمعين الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله أبي بكر النكراوي الاسكندراني المتوفى في عام ٦٨٣ هـ :

س ١ ص ٢٣٩

٢ — قصيدة في القراءات : لنور الدين علي بن محمد بن الناصح المقري « ٨٠١ هـ »

س ١ ص ٢٤٢

٣ — شرح الشاطبية : لشهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي السمين « ٧٥٦ هـ »

س ١ ص ٢٥٧

٤ — شرح الشاطبية : لجلال الدين السيوطي « ٩١١ هـ »

س ١ ص ١٥٨

٥ — المقصد لتلخيص ما في المرشد : لزين الدين زكريا الأنصاري « ٩٢٦ هـ » وله أيضاً كتاب « الدقائق المحكمة » وهو في شرح المقدمة الجزرية .

م

٦ — المقدمة الجزرية : وهي منظومة في التجويد وضعها شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري الدمشقي القرشي المتوفى عام ٨٣٣ هـ . وله أيضاً كتاب « النشر في القراءات العشر » . وله أيضاً « غاية النهاية في رجال القراءات » .

ج ص ٢٤٧

٧ — شرح الشاطبية : لشهاب الدين أبي شامة « ٦٦٥ هـ »

ج ص ٦٤ ، ف ١ ص ٣٢٢

٨ ـ شرح الشاطبية : لشهاب الدين القسطلانى « ٩٢٣ هـ »

المفصل ص ٢٦٠

مؤلفات العربية

بنفس الروح التى أثارت الجد فى نفوس علماء الدين ، ثار الجد فى نفوس علماء العربية بجميع فنونها . ونبغ فيها علماء أجلاء ، منهم من يعتبر إماما فى فنه ، وقدوة فى مادته .

والعربية كانت ـ ولا تزال ، وستبقى ـ أهم الأدوات لفهم الدين وتوضيح مسائله ، بينهما من الوشائج ما لا تستطيع الأيام فصمه .

ولقد كان الاشتغال بها وبفنونها ، منذ صدر الإسلام ، وليدا للعناية بالدين والاشتغال بعلومه . وهذا هو نفس ما حدث فى العصر المملوكى . إذ اهتم بها العلماء اهتماما دعا إليه لانصراف العناية إلى إحياء علوم الدين .

غير أن ولوع أهل العصر بإحياء علوم الدين ، جعل اللغة وفنونها فى المرتبة الثانية بالنسبة إليها . ومن ثم ، لم تكن لعلماء اللغة تلك المنازل المرموقة التى سما إليها علماء الدين . لذلك لم يكن غريبا أن يحرص العلماء على أن ينبغوا أولا فى علوم الشريعة ، ثم يفيئوا إلى اللغة وفنونها فيتعهدوها بالعناية .

على أن هناك بعضاً من العلماء ، غلب عليه الاشتغال باللغة وفنونها ، لرغبة فيها ، وولوع بها ، فأجاد وأفاد ، وسجل لنفسه بما ألفه ودونه من مسائلها ، سجلا خالدا

كتب النحو والصرف

ولعل النحو والصرف فى مقدمة فنون العربية ، التى حظيت من العناية بنصيب أوفر . فقد وضعت فيهما أسفار قيمة ، وعُرف بهما رجال أفذاذ .

ونحن لا ننكر أن نحويى هذا العصر ، لم يأتوا بجديد ممتع ، ولا بمبتكر رائع ،

وقصارى جهودهم بذلت فى توضيح مسائل النحو ، وتوجيه قواعده ، والاستدلال لها ، مع عرض الآراء المتناقضة ، أحيانا ، والموازنة بينها وترجيح أحدها .

ونحا بعضهم إلى وضـــع المتون ، ثم إلى شرحها ، ثم إلى شرح هذا الشرح ، أو اختصاره ، وذلك على نمط مما كان يفعل علماء الدين بكتب الفقه . وزادت التحشية على المؤلفات ، والاستدراك عليها ، ونحوه . حتى نتج من ذلك كله نتاج وفير ، فى هاتين المادتين : النحو والصرف .

غير أننا لا نرى مناصا من التنويه بأن بعضهم كانت له فى بحوثه شخصية وقوة تشعرنا بأنه كان حسن التذوق لمادته ، عميق الفهم ، كامل الإلمام ، دقيق الملاحظة والموازنة ، جديد التوجيه والتعليل . وأفضل الأمثلة لذلك . ابن هشام المصرى ، ذلك العلامة الذى قال فيه ابن خلدون . « مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر ، عالم بالعربية ، يقال له : ابن هشام ، أنحى من سيبويه » .

ونشير فى هذا المقام إلى جالية علماء الأندلس ، بالمشرق ؛ وعلى رأسها جمال الدين بن مالك الأندلسى الذى وفد إلى بلاد الشام فى عهد الملك الظاهر بيبرس ، وتتلمذ له كثيرون من أبنائها ، وانتشرت بينهم كتبه ومنظوماته . كالألفية والتسهيل ، وكلاهما فى مقدمة الكتب التى اتخذت محورا للتأليف .

وكذلك أبو حيان الأندلسى ، فقد وفد على مصر ، وتتلمذ لبعض رجالها ، وتتلمذ له بعض رجالها . وأفادوا منه كما أفاد منهم .

وإليك بعضا من المؤلفات والرسائل فى هذين الفنين :

١ — البهجة المضية فى شرح الألفية . للجلال السيوطى « ٩١١ هـ » . وله أيضا . الأشباه والنظائر فى النحو . والفريدة فى النحو والصرف والخط . والنكت على الألفية . والفتح القريب وهو شرح على مغنى ابن هشام . والاقتراح فى أصول النحو . وجمع الجوامع ؛ وهو مختصر فى النحو ، شرحه بمؤلف

آخر هو همع الهوامع . شرح شواهد المغنى . شرح القصيدة الكافية فى التصريف . وللسيوطى كتب أخرى غير ذلك .

ج ص ٢٣٢ س ، ١ ص ١٦٠

٢ — مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : لجمال الدين بن هشام المصرى « ٧٦١هـ » وله أيضا : شذور الذهب . وقطر الندى وبل الصدى . والجامع الصغير والروضة الأدبية . وموقد الأذهان . والإعراب عن قواعد الاعراب .

م ، س ١ ص ٢٥٧

٣ — الألفية : وهى المنظومة المشهورة لجمال الدين بن مالك الأندلسى « ٦٧٢ هـ » . وله أيضا : التسهيل والكافية الشافية وهى أرجوزة فى أكثر من ٢٧٥٠ بيتا لخص منها الفيته . وسبك المنظوم وفض المختوم ولامية الأفعال . وإيجاز التعريف . وشواهد التوضيح . م ، ج ص ١٤١

٤ — شرح القواعد لابن هشام : مؤلفه جلال الدين المحلى « ٨٦٤ هـ » . وله أيضا شرح التسهيل ، كتب بعضه . س ١ ص ٢٠٦

٥ — شرح ألفية ابن مالك : لشمس الدين بن الصائغ محمد بن عبد الرحمن بن على الزمردى « ٧٧٧ هـ » س ١ ص ٢٢٠

٦ — شرح ألفية ابن مالك : لأكمل الدين البابرتى « ٧٨٦ هـ »

س ١ ص ٢٢٢

٧ — شرح التسهيل : لبدر الدين المرادى ، وهو ابن أم قاسم ، حسن بن قاسم « ٧٤٩ هـ » وله أيضا شرح الألفية . س ١ ص ٢٥٧

٨ — شرح التسهيل : لشهاب الدين السمين ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبى نزيل القاهرة « ٧٥٦ » . س ١

٩ — شرح الألفية : لناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبى « ٧٧٨ هـ » وله أيضا شرح التسهيل .

ج ، م

١٠ — حاشية على مغنى اللبيب : لبدر الدين الدمامينى المتوفى بالهند عام « ٨٢٧ هـ » وله أيضا شرح على التسهيل .
ج ، س

١١ — الكناش : للملك المؤيد إسماعيل أبى الفداء صاحب حماة « ٧٣٢ هـ » فى عدة مجلدات .
ف٢ ص٢٠ — ج ص ١٨٩

١٢ — مفتاح الإعراب : لأمين الدين المحلى « ٦٧٣ هـ » .
ج ص ١٢٤

١٣ — شرح الألفية : لجمال الدين عبدالرحيم الأسنوى « ٧٧٧ هـ » كتب بعضا منه . وله أيضا شرح التسهيل .
س ص ٢٠١

١٤ — المساعد فى شرح التسهيل : لبهاء الدين بن عقيل « ٧٦٩ هـ » وله شرح الألفية أيضا .
س١ ص ٢٥٧

١٥ — قصيدة فى المقصور و الممدود : لشمس الدين الهوارى الشاعر « ٧٨٠ هـ »
ج ص ١٢٤

١٦ — الألغاز النحوية . لخالد الأزهرى الجرجاوى « ٩٠٥ هـ » .
ج ص ١٤٤

١٧ — بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب : لزين الدين زكريا الأنصارى « ٩٢٦ هـ » وله أيضا . المناهج الكافية فى شرح الشافية .
م

بقية فنون العربية

أما علوم البلاغة ، فالمعروف أنها نضجت قبل هذا العصر ، نضوجا محمودا ، فقد هذب عبدالقاهر الجرجانى — المتوفى سنة « ٤٧١ هـ » — مسائلها ، ووجه أنواعها ، ورتب قواعدها فى كتابيه ، « أسرار البلاغة » و « دلائل الأعجاز » ، بعد تلك المحاولات التى سبقه بها غيره من علماء العصر العباسى وأدبائه . ثم جاء السكاكى وهو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر المتوفى عام « ٦٢٦ هـ » ، فوضع علوم البلاغة فى قالبها العلمى الأخير ، على ضوء ما صنع الجرجانى . وذلك فى كتابه الشهير « مفتاح العلوم » .

وجاء العصر المملوكى ، فاشتغل علماؤه بالشرح والتفصيل ، أو الاختصار . وعلى رأسهم جلال الدين القزوينى ، وهـو محمد بن عبد الرحمن بن عمر المتوفى عام ٧٣٩ هـ الذى تولى قضاء الشافعية بمصر زمنا ، فوضع كتابا لخص به جزءا من كتاب السكاكى . « مفتاح العلوم » وسماه « تلخيص المفتاح » حازفا من المفتاح ما فيه من حشو أو تطويل أو تعقيد . وزاده ما يحتاج إليه من أمثلة وشواهد ، وأزال ما فيه من عقادة . ثم عاد القزوينى، فوضع لهـذا الكتاب شرحا سماه : « التوضيح » .

وقد اتخذ الكتابان المذكوران محورا للتأليف فى علوم البلاغة فى العصر المملوكى ، وأساسا للحديث فيها . لذلك جاءت كتب المؤلفين شروحا لها أو تلخيصا أو نحو ذلك . ثم لا ننكر أن كثيرا منهـا ذو عبارة جافة تسودها المماظلات ، وتثقلها مصطلحات اللفظ والأسلوب .

على أنه كان بجوار هؤلاء العلماء الذين اشتغلوا بالبلاغة باعتبارها علما ذا قوانين وتعاريف ، علماء آخرون أو قل أدباء ، كان لهم ذوق أدبى خاص ، فأخضعوا — ما استطاعوا — علوم البلاغة وقواعدها لهذا الذوق، ومزجوا مباحثها بالروح الأدبية ، وإن طغت عليهم نزعة البديع . ووضعوا على هذا الأساس كتبا محمودة قيمة فى بابها ، وعلى رأسها « خزانة الأدب » لابن حجة الحموى أحد كبار النقاد فى العصر المملوكى .

لذلك لا نغلو إذا قلنا إن النقد انقسم إلى شطرين . نقد بلاغى ، ونقد أدبى . وسنعنى فى الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب ، بالحديث عن هذين النقدين لاتصالهما بالثقافة الأدبية ، أكثر من اتصالهما بالثقافة العلمية البحت .

وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء ، عدد من المؤلفين ، وجهوا عنايتهم إلى فنون اللغة الأخرى ، كوضع المعجمات ، والحديث فى العروض والقافية . ونحن نذكر هنا بعضاً من مؤلفاتهم جميعاً فنها .

١ — كتاب العروض : لابن مالك النحوى الأندلسى « ٦٧٢ هـ » . وله أيضا : تحفة المودود فى المقصور والممدود ، وهى منظومة همزية ، كأنها معجم للألفاظ المنتهية بألف ، فتشتبه بالمقصور أو الممدود . وله أيضاً : الألفاظ المختلفة ، وهو فى المترادفات . والاعتقاد ، فى الفرق بين الصاد والضاد . والإعلام بمثلث الكلام وهو منظومة فى ثلاثة آلاف بيت ، ذكر فيها الألفاظ التى تختلف معانيها باختلاف حركات حروفها .

٢ — المصباح المنير : وهو معجم لغوى مشهور لمؤلفه أحمد بن على المقرى الفيومى « ٧٧٠ هـ » ، فرغ من تأليفه عام « ٧٣٤ هـ » .

٣ — المسترجل فى الكنى : لشمس الدين الذهبى « ٧٤٨ هـ » . وله أيضاً : المقتنى فى سرد الكنى .

٤ — ملخص تلخيص المفتاح : لزين الدين زكريا الأنصارى « ٩٢٦ هـ » . وله أيضا : فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية للشيخ ضياء الدين أبى عبد الله الخزرجى الأندلسى ، فى العروض والقافية . وله أيضا : فتح منزل المثانى لشرح أقصى الأمانى ، وهو فى البلاغة ، شبيه بكتابه « ملخص التلخيص » م

٥ — الإفصاح : للجلال السيوطى « ٩١١ هـ » ، وهو نكت على التلخيص فى البلاغة . وله أيضا : عقود الجمان فى المعانى والبيان وشرح أبيات تلخيص المفتاح ، وهو فى البلاغة كذلك . وله أيضاً : المزهر ، وهو كتاب جليل فى مجلد واحد وموضوعه علم اللغة وفقهها . وله أيضا : جناس الجناس .
س . ج

٦ — عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح : لبهاء الدين أبى حامد السبكى « ٧٧٣ هـ » . س ١ ص ٢٠٤

٧ — شرح تلخيص المعانى والبيان : لأكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتى « ٧٨٦ هـ » . س ١ ص ٢٢٣

٨ — خزانة الأدب وغاية الأرب : لتقى الدن بن حجة الحموى « ٨٣٧ هـ » وضعه شرحا لبديعيته ، فضمنه الحديث عن البديع والبلاغة . وسنتحدث عنه فى الأجزاء القادمة . — ولابن حجة أيضا : كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام .

٩ — لسان العرب . لابن منظور الإفريقى « ٧١١ » وهو معجم لغوى مشهور نافع ، ومن مفاخر هذا العصر .

١٠ — كتاب القوافى . لبدر الدين الدمامينى « ٨٢٧ هـ » وهو فى علم القوافى . وله أيضا . جواهر البحور ، فى العروض .
ج ص ١٤٤

١١ — شفاء العليل فى علم الخليل . لأمين الدين المحلى « ٦٧٣ هـ » . وله أيضا : العنوان فى معرفة الأوزان .
ج ص ١٤٤

١٢ — جلوة الأمداح الجمالية ، فى حلى العروض العربية : قصيدة فى العروض لشهاب الدين بن عريشاه « ٨٥٤ هـ » .
ج ص ١٥٦

١٣ — جنان الجناس : لصلاح الدين الصفدى « ٧٦٤ هـ » فى البديع والأدب . وله أيضاً : فض الختام فى التورية والاستخدام وهو فى البيان والأدب . واختراع الخراع : فى اللغة والعروض . ونفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهرى من الوهم ، وهو انتقادى على كتاب الصحاح للجوهرى فى اللغة .
ج ص ١٦٤

١٤ — مختصر أساس البلاغة للزمخشرى : لشهاب الدين بن حجر العسقلانى « ٨٥٢ هـ » .
ج ص ١٦٧

العلوم الكونية ومؤلفاتها

نقصد بالعلوم الكونية ، كل ماعدا العلوم الشرعية واللسانية ، وما عدا التاريخ كذلك . ومنها : التقويم والسياسة والاجتماع والطب والهندسة ، وعلم الحيوان

والنبات ،والرياضيات، والمنطق والفلك والنجوم والفلسفة والطبيعيات والصناعات . وما إلى ذلك .

ولم ينصرف إلى هذه العلوم ، اهتمام بالغ ، كما انصرف إلى علوم الدين ، فعلوم اللغة . وما ذلك إلا لأن منطق العصر ، ومنطق ظروفه ، اتجه بالعلماء نحو تجديد علوم الدين واللغة ، أكثر من سواها . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، فى أكثر من مناسبة . وكان لهذا الاتجاه أثره فى ضعف الإنتاج التأليفى فى العلوم الكونية . وبخاصة إذا قيس بالإنتاج فى علوم الدين واللغة .

وإذا أخرجنا التاريخ من عداد العلوم اللسانية ، وجدناه الوحيد المقدم من بين العلوم الكونية ، الذى حظى بعناية ملحوظة . ويبدو أن هذا كان نتيجة للعناية بعلوم الدين . فإن كثيراً من كتب التاريخ — كما رأينا — كان فى تراجم علماء المذاهب ورجال الحديث .

على أنه كانت هناك بلا ريب ، عناية بالهندسة ، نتيجة لحاجة العصر إلى فن البناء ، لاهتمام سلاطينه ورؤسائه بتشييد العمائر من مدارس ومساجد ، وقباب ، وخوانق ، وقصور ، وقلاع ، ونحو ذلك . ولم يكن البناء مجرد استجابة لنداء الحاجة العامة فحسب ، بل كان مجالا للتفاخر والظهور ، ولهذا كان مليئا بألوان من الزخرف والزينة . فكان طبيعيا بجوار هذا ، أن ينبغ عدد كبير من المهندسين وشادّى العمائر وأهل الفن وأرباب الصناعات ممن خلفوا لنا آثارا قيمة ، لاتزال ماثلة للعيان، تشهد بعلم غزير ، ودقة كاملة وذوق سام ، وفن دقيق . هذا فضلاً عما خلفوه خارج البلاد المصرية من آثار .

وكان يطلق على أهل فن البناء « الشادّين » أو شادّى العمائر ، وعرفت أحيانا كلمة « مهندس » مرادفة للشاد . — كما أشرنا فى موضع سابق .

وممن اشتهر من المهندسين ، على سبيل المثال . المعلم شمس الدين الطولونى . هو وابنه شهاب الدين أحمد وقد عاشا فى عصر برقوق ، وقد ذكرهما شمس الدين السخاوى فى الضوء — ١ ص ٢٢١ — فقال ما مؤداه .

« المعلم شمس الدين الطولونى ، كبير المهندسين كان هو وأبوه ، عليهما المعول فى العمائر السلطانية وإليهما تقدمة الحجارين والبنائين بديار مصر . وتزوج برقوق ابنته ، وتزوج ابنه — أى ابن الطولونى — واسمه شهاب الدين أحمد ، ابنة برقوق — أى السلطان الظاهر برقوق —

ومن أعماله أن قام بعمارة المسجد الحرام ، وشهد أيام عز فى عهد برقوق .

وكان بجوار مهندس البناء ، عدد من خبراء الرى ، الذين كانوا يراقبون فيضان النيل وتصريف مائه ، وحفر خلجانه وبناء قناطره ، ونحو ذلك .

وكانت هناك عناية لا بأس بها بعلوم الطب . وقد ذكر فى تاريخ بعض المدارس أن الطب كان يدرس فيها ومن الأمثلة لذلك جامع ابن طولون . فقد نقلنا من قبل ، فى تاريخه ، ما رواه المقريزى عن السلطان لاجين . أنه عنى بهذا الجامع ، ووسع فى أوقافه ورتب فيه دروسا منها درس فى الطب .

وقال السيوطى فى حسن المحاضرة عن شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصرى المتوفى عام ٧٧٦ هـ ، أنه كان مدرسا للأطباء بالجامع الطولونى .

ونذكر بالفخر ، المارستان المنصورى الذى أسسه السلطان المنصور قلاوون ، فقد كان بجوار أنه مستشفى لعلاج المرضى ، كان مدرسة عظيمة للطب . وأسست به قاعة خاصة لإلقاء دروس الطب على الطلاب .

وعرف عدد من أفذاذ الأطباء بمصر ، قيل فى تاريخهم عبارات تدل على نبوغهم ، ورسوخ قدمهم فى صناعتهم . ويلقب كل منهم « بالرئيس » ومنهم على سبيل المثال : الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن محمد ، المشهور بابن صغير . قال عنه السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٢ :

« كان أعجوبة الدهر فى الفن ، ولى رياسة الطب دهرا طويلا ؛ وله فيه المعرفة التامة ، كان يصف الدواء الواحد للمريض الواحد ، بما يساوى ألفا ، وبما يساوى درهما وكان الشيخ عز الدين بن جماعة ، يثنى على فضائله . مات فى ذى الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة » .

ومنهم أيضاً : ابن المغربى الطبيب ، قال عنه السيوطى : « رئيس الأطباء بالقاهرة ، مات فى عام ٧٧٦ هـ . وسنردد ذكر هؤلاء وغيرهم فى مناسبات آتية .

ومما نحب أن ننوه به فى هذا المقام ما رواه ابن إياس فى البدائع — ج ١ ص ٣٠٠ — ، قال : « إنه فى عام ٧٩٥ هـ ، حضر رسول إلى السلطان الظاهر برقوق ، من قبل السلطان بايزيد بن مراد ، سلطان العثمانيين ، يطلب إليه أن يرسل له طبيبا فى أمراض المفاصل ، لأنه مريض بهذا الداء . فأرسل إليه السلطان برقوق : الرئيس شمس الدين بن صغير ، ومعه أدوية كثيرة . »

على أنك تقرأ فى تاريخ المارستان المنصورى المتقدم ذكره ، أنه كان يحتوى على جملة أقسام منها : قسم للحميات ، وآخر للرمد ، وآخر للجراحة ، وآخر للأمراض النسوية . وآخر للإسهال . وتقرأ فى تاريخ بعض العلماء أو الأدباء أنه كان « كحالا » أى طبيب عيون .

من هذا وذاك ، نشعر بمقدار النباهة التى كان عليها فن الطب فى الديار المصرية خلال العصر المملوكى . وأنها حازت به شهرة عظيمة طارت إلى الآفاق . وأن هذا الفن لم يقتصر على إحدى نواحيه ، بل امتد أفقه ، واتسع مداه ، وتعددت اتجاهاته .

إلى جانب هذا عُنى بعضهم بعلم التقويم — وقد نوهنا به فيما سبق — ونذكر فى هذا المقام ، الملك المؤيد أبا الفداء اسماعيل صاحب حماة المتوفى عام ٧٣٢ هـ . صاحب كتاب « تقويم البلدان » نظم فيه معلومات الجغرافيين المتقدمين ، مع عناية ودقة وتحقيقات لا بأس بها تتناسب مع عصره .

كما نذكر أيضاً أبا الثناء محمودا الأصفهانى نزيل مصر ، وهو الذى تنبأ بوجود الأمريكتين ، قبل كشفهما بنحو قرن ونصف . وقال ما ملخصه إنه لا يمنع وجود يابس فى الجزء المقابل لهذه البلاد ، من وجه الأرض ، روى ذلك ابن فضل الله فى مسالك الأبصار ج ١ . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

ثم إن مصر بموقعها الجغرافى ، كانت ممرا تجاريا بين الشرق والغرب ، لذلك

لا غرابة إذا رأينا عددا من المصريين، يشتغلون بالملاحة فى البحرين . ولا سيما أنهم يرون أمامهم ملاحى البندقية وجنوة وبيزا وغيرهم، يروحون فى البحر الأبيض ويغدون . والملاحة تتطلب - بلاريب - علما بالبحرين ومسالكهما وظروف الملاحة فيهما . ولقد اشتغل بعض المصريين بنقل المتاجر عبر البحار . وبلغوا بسفينهم مرافىء المحيط الهندى . وقد استطاع بعض السلاطين أن ينشىء لمصر أسطولا بحريا، يغزو باسمها فيما وراء البحار . كأسطول الأشرف برسباى، الذى غزا جزيرة قبرص وهزم ملكها، وأسر عددا من جنوده . وكأسطول الغورى، الذى أرسله لاستئصال شأفة البرتغاليين من سواحل المحيط الهندى . - هذا كله يستدعى خبرة بالملاحة وصناعة السفن .

وبهذه المناسبة نشير إلى أن الطبقة الحاكمة عاشت معظم حياتها - كما بينا - معيشة جندية، فبرع فى فنون القتال، وصناعة الأسلحة، عدد من الصناع .

وبعدُ فلا أدل على وفرة أهل الفنون والصناعات فى تلك البلاد، من هذا العدد الضخم العظيم الذى جمعه منهم السلطان سليم العثمانى . بعد تمام الفتح، وشحنه شحنا فى سفن شراعية إلى عاصمة ملكه (١) .

ثم نعود فنقول . إنه يبدو لنا، أن تعاطى هذه العلوم والحرف والصناعات، كان فى أغلب أمره مبنيا على التقليد، والتجارب الشخصية أكثر من بنائه على أسس تعليمية دقيقة منظمة . وكانت حقائقها فردية جزئية متفرقة، أكثر من كونها عامة مجموعة، مؤسسة على قواعد علمية ثابتة . وعلى أقل تقدير، لم تكن متقنة منظمة يستطاع إلقاؤها فى دروس مرتبة، كما كان الشأن فى العلوم الدينية، كما لم تكن دروسها واسعة المجال، منتشرة ميسورة، كتلك الدروس .

ولعل مما يناسب ذكره فى هذا المقـــام أن بعض الناس كان يشتغل بعلم الكيمياء، ومعناه وموضوعه تحويل الزئبق إلى ذهب . وتعددت حوادث

---

(١) راجع بدائع الزهور لابن إياس الحنفى ج ٣ حوادث سنة ٩٢٣ هـ .

المشتغلين بهذا العلم. حتى خدع أحد السلاطين وهو الظاهر چقمق العلائى، بواحد منهم، اسمه «الشيخ أسد الدين»، فأنفق عليه نحوا من عشرة آلاف دينار ثم ظهر زيفه.[١]

وكان الناس ينظرون بريبة إلى كل مشتغل بالكيمياء، ويرجفون حوله بالأحاديث. ويذهبون فى هذا الاشتغال مذاهب شتى. فمنهم من يحرمه، ومنهم من يحله.

ومهما يكن من شىء، فإن العصر لم يكن بالمسرح الصالح لظهور رجال المنطق والفلسفة، المجددمنهم والمبتكر. ولا رجال الحكمة والنظرفيماوراء الطبيعة. ولعل ضعف الثقافة بعامة، والعناية بعلوم الدين بخاصة، كان لهمادخل فى ذلك. وربما كان للحروب والفتن الداخلية التى شغلت العصر وأهله، وضعف وسائل التشجيع فى هذا الباب، دخل آخر.

أما مقدمة ابن خلدون، فى فلسفة التاريخ، وقوانين الاجتماع، فحدث فذ فى العصر، لم ينتجه سياقه ومنطقه، وإن هى إلا ذكاء المؤلف وعبقريته.

وكانت الروح الدينية سائدة إلى حد بعيد، وإلى جانبها النزعة الأدبية، حتى إنك لتراها طاغية السمات على المؤلفات. ومن اشتغل بالنظر فى الإلهيات، تناولها تناولا إسلاميا، على نحو ما وصفنا عند الحديث عن التصوف والعقائد. فلم يقيض الاشتغال الحر بهذا النظر. وكان لذلك أثره فى تفاهة النتاج التأليفى فى هذا الباب. إذ كان التأليف فى الفقه والحديث والتفسير ونحوهما يستهوى قلوب العلماء المؤلفين أكثر من سواه. وقد قال جلال السيوطى فى سياق ترجمته لنفسه فى حسن المحاضرة.. ما يلى بالنص: «وقد كنت فى مبادى الطلب، قرأت شيئا فى علم المنطق، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى. وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه. فتركته لذلك فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم».

---

(١) راجع القصة فى الجزء الأول من هذا الكتاب، قسم ٢ ص ٤١٢.

ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن شعور السيوطى ، هو شعور علماء العصر كله .

ولنذكر الآن بعض المؤلفات فى هذه الموضوعات فمنها (١) .

١ ـ المختار من الأغذية : مؤلفه علاء الدين بن النفيس المتوفى عام ٦٩٦ هـ . فى الطب والنبات . وله أيضاً : موجز القانون وهو فى الطب .

ج ص ٥٠ ، ص ٢٦٠

٢ ـ كمال الفرحة فى دفع السموم وحفظ الصحة : لمحمد القوصوى الطبيب . قدمه لقانصوه الغورى بإشارة منه . وبه تفاصيل مفيدة عن معالجة السموم .

ج ٣ ص ٢٥٠ ص

٣ ـ مطالع الأنوار : لسراج الدين أبو الثناء الأرموى المتوفى عام ٦٨٢ هـ . وهو فى الحكمة والمنطق .

ج ص ٢٥٠

٤ ـ زيج ابن الشاطر : لا بن الشاطر الموقت فى الجامع الأموى والمتوفى عام ٧٧٧ هـ وهو فى النجوم .

ج ص ٢٥١

٥ ـ خلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤية الهلال : لشهاب الدين بن طيبوغا القاهرى المتوفى عام ٨٥٠ هـ

ج ٣ ـ ٢٥١

٦ ـ حياة الحيوان الكبرى : مؤلفه كمال الدين بن عيسى الدميرى المتوفى عام ٨٠٨ هـ وهو فى علم الحيوان واللغة والأدب والتاريخ .

ج ص ٢٥٢

٧ ـ عين الحياة : وهو مختصر حياة الحيوان للدميرى . اختصره الدماميني .

ج ص ٢٥٤

٨ ـ ديوان الحيوان : وهو للسيوطى جلال الدين المتوفى عام ٩١١ هـ . وهو مختصر آخر لحياة الحيوان للدميرى

ج ص ٢٥٤

٩ ـ حاوى الحسان : وهو لمحمد بن عبد القادر الدميرى . وهو مختصر حياة الحيوان للدميرى كمال الدين .

ج ص ٢٥٤

---

(١) اعتمدنا فى هذه المؤلفات على كتاب جورجى زيدان ج ٣ ، وعلى حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ، وعلى فهرس دار الكتب المصرية . ـ ولم نذكر شيئا فى كتب التاريخ والتراجم فقد سبق لنا ذكرها .

١٠ ـ تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين : مؤلفه الأمير لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامى الطرابلسى المتوفى عام ٧٣٨ هـ وهو فى الحركات العسكرية . ـ وينسب لابنه محمد . جـ ص ٢٠٤

١١ ــ كشف المكروب فى معرفة الحروب : لعماد الدين موسى بن محمد اليوسفى المصرى المتوفى عام ٧٥٩ هـ وهو فى فن الحرب ونظام الجند مرتب على عشرة أبواب . جـ ص ٢٠٤

١٢ ــ كتاب الفروسية : لبدر الدين بكتوت الرماح الخازندارى نائب الأسكندرية سنة ٧٧١ هـ . جـ ص ٢٠٤

١٣ ــ الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية : مؤلفه محمد بن منكلى نقيب الجيش فى زمن الأشرف شعبان . وهو فى فن القتال وجميع آلاته وحركاته وله أيضاً . التدبيرات السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية . ألفه للسلطان الأشرف شعبان . وله أيضاً : أنس الملا بوحش الفلا .

جـ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥

١٤ ــ بغية القاصدين فى العمل بالميـــادين . مؤلفه محمد بن لاجين الحسامى الطرابلسى الرماح المتوفى عام ٧٨٠ هـ . وهو فى الفروسية ألفه للأمير سيف الدين الماردينى صاحب حلب . وله أيضاً . غاية المقصود من العلم والعمل بالبنود . وله أيضاً : كتاب فى الرماح .

جـ ص ٢٠٧

٢٥ ــ الأنيق فى المجانيق . مؤلفه . . . ارنبغا الزردكاش المتوفى سنة ٨٦٧ هـ

جـ ص ٢٠٧

٢٦ ــ الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان . مؤلفه صفى الدين أدريس ابن بيدكين بن عبد الله التركمانى . . وهو من تلاميذ ابن تيمية الحرانى ، وفى هذه الرسالة ينتقد شبان زمانه . جـ ص ٢٠٨

٢٧ ــ بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية : فى

السياسة والإدارة وهو بحث شرعى فى واجبات السلطان والولاة والرعية،
مؤلفه نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة المصرى محتسب القاهرة المتوفى
عام ٧١٠ هـ — ج ص ٢٥٨

١٨ — آثار الأول فى تدبير الدول : وهو فى السياسة أيضاً ألفه حسن بن عبدالله العباسى ، للملك المظفر بيبرس المنصورى . وبه كلام عن قواعد المملكة وأحوال الملك مع خواصه وخدمه والأمور المختصة بماشيته والحروب وشروطها برا وبحرا . وغير ذلك — ج ص ٢٥٩

١٩ — محاسن الملوك : كتبه أحد أدباء القرن الثامن الهجرى للسلطان برقوق وبه بحوث عن الآداب السلطانية وواجبات السلطان نحو الرعية .

ج ص ٢٥٩

٢٠ — الدرة الغراء فى نصائح الملوك والولاة والوزراء : وهو فى السياسة ، ألفه محمود بن اسماعيل الجيزى المتوفى نحو عام ٨٤٥ هـ ، وقد ألفه للسلطان أبى سعيد جقمق . وهو فى عشرة أبواب — ج ص ٢٥٩

٢١ — زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك : وهو فى السياسة ، ألفه غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى المتوفى عام ٨٤٠ هـ ، وبه بحوث شتى منها قسم فى تاريخ بعض الخطط بمصر ، ومنها فى وصف السلطان ومحاسنه ومواكبه وملابسه ، وكذلك الحنفية والقضاة ، وكبار الرجال فى الدولة ، وأبناء الملوك ونظام الملك والأمراء والخزانة والأسلحة والمطابخ والاسطبلات والممالك التابعة لمصر ، فهو كتاب سياسى اجتماعى إدارى .

ج ٣ ص ٢٦٠

٢٢ — البرهان فى فضل السلطان : فى السياسة أيضاً . مؤلفه شهاب الدين توغان المحمدى الأشرفى المتوفى عام ٨٨٠ هـ . ألفه للسلطان خشقدم . وله أيضاً منهج السلوك فى سيرة الملوك . فى السياسة أيضاً . وله كذلك : المقدمة السلطانية فى السياسة الشرعية : فى السياسة أيضاً .

ع ص ٢٦٠ ، ض ١٨٢

٢٣ — هدية العبد الناصر إلى السلطان الملك الناصر : فى السياسة . ألفه عبد الله محمد ابن يحي بن أحمد بن يحي الصالحى قدمه للملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قايتباى . ذكر فيه مآثره وبه بحوث عن أحوال الرعية والشكاوى وواجبات الولاة والعمال إلى غير ذلك
ج ص ٢٦٠

٢٤ — نيل الرائد فى النيل الزائد : ألفه أبو الطيب شهاب الدين الحجازى الأنصارى المتوفى عام ٨٧٤ هـ . وهو عبارة عن جداول لزيادات النيل حسب الزمان
ج ص ١٢٦

٢٥ — طوالع البدور فى تحويل السنين والشهور : مؤلفه أبو الفداء بن يحي بن الجيعان المتوفى عام ٩٠٠ هـ . وهو فى علم الميقات
ج ص ١٨٣

٢٦ — بهجة الخلد فى نصح الولد : وهى أرجوزة فى التربية نظمها بهاء الدين محمد بن يوسف الباعونى الدمشقى المتوفى عام ٩١٠ هـ .
ج ص ١٩٧

٢٧ — مقدمة ابن خلدون : واضعها ولى الدين بن خلدون الشهير المتوفى عام ٨٠٨ هـ وهى مقدمة تاريخه العبر . وقد أثبتناها هنا لما بها من فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع .
ج ص ٢١٢

٢٨ — كتاب السياسة فى علم الفراسة : مؤلفه شمس الدين أبو عبد الله الدمشقى . المتوفى عام ٧٢٧ هـ
ج ص ٢١٥

٢٩ — المنائح لطالب الصيد والذبائح : مؤلفه برهان الدين الفزارى المتوفى عام ٧٢٩ هـ .
ج ص ٢١٩

٣٠ — اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم : مؤلفه زين الدين أبو يحي زكريا الأنصارى المتوفى عام ٩٢٦ هـ . ذكر فيه أصناف العلوم وحدودها .
ج ص ٢٤٣

٣١ — أخبار النساء : واضعه شمس الدين بن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ . ويشتمل على أخبار النساء وأوصافهن وما يقال فى التحذير منهن ومن غدرهن . وهو فى وصف إحدى نواحى المجتمع .
ج ص ٢٤٦

٣٢ ــ المدخل : لأبى عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج ، المتوفى بالقاهرة عام ٧٣٧ هـ . وهو فى أربعة أجزاء ، وفيه نقد لحالة البلاد الاجتماعية والخلقية ، وعاداتها وتقاليدها المرعية عند العوام وغيرهم ، وعلاج ذلك علاجا شرعيا . م

٣٣ ــ القواعد : صنفه شمس الدين محمد بن محمود الاصبهانى المتوفى بالقاهرة عام ٦٨٨ هـ . وهو فى الجدل والمنطق . س ص ٢٦٠

٣٤ ــ كتاب الترياق : للمفضل بن هبة الله الحميرى الإسنائى « ٧٦٩ هـ »

س ص ٢٦١

٣٥ ــ إغاثة الأمة بكشف الغمة : لتقى الدين المقريزى « ٨٤٥ هـ » وهو فى وصف المجاعات وحوادث الغلاء التى وقعت مصر فى . وبه وصف لعاداتها وطوائفها وقد تولى الأستاذان محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال نشر هذا الكتاب عام ١٩٤٠ م .

٣٦ ــ نفائس المجالس السلطانية : ألفه حسين محمد الحسينى للسلطان الغورى . وفيه وصف لمجالس هذا السلطان وبحوثه ومناقشاته مع علمائه فى الفقه وغيره . وقد نشر هو وكتاب « الكوكب الدرى فى مسائل الغورى » مختصرين ، عام ١٩٤١ هـ . تولى نشرهما الدكتور عبد الوهاب عزام .

٤٠ ــ تقويم البلدان : لأبى الفداء اسماعيل وهو الملك المؤيد صاحب حماة المتوفى عام ٧٣٢ هـ .

٤١ ــ التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : لشرف الدين يحيى بن المقر المعروف بابن الجيعان الذى كان موجودا عام ٧٧٧ هـ . ذكر فيه بلدان مصر ، ومساحة كل منها بالفدان ، كما كانت حالتها عام ٧٧٧ هـ . أى فى عهد الأشرف شعبان . م

٤٢ ــ خريدة العجائب وفريدة الغرائب : لزين الدين بن الوردى « ٧٤٩ هـ » تكلم فيه عن الأقاليم ومعادنها إلى غير ذلك من محتوياتها . م

٤٣ — مبدأ النيل على التحرير : للجلال المحلى « ٨٦٤ هـ » وهو فصل فى مبدأ النيل ومنتهاه . ويليه نبذة فى النيل للسيوطى جلال الدين . م

٤٥ — الخضراوات السبعة : للجلال السيوطى « ٩١١ هـ » فى الزراعة م

٤٦ — مباهج الفكر ومناهج العبر : لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الوراق المعروف بالوطواط المتوفى عام ٨١٨ هـ وهو فى الزراعة . م

٤٧ — اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم : لزكريا الأنصارى « ٩٢٦ هـ ». م

الكتب الجـــامعة

من مميزات عصر المماليك : وضع كتب جامعة واسعة النطاق ، تحدثت فى مواد علمية وأدبية كثيرة . يُستطرد فيها إلى هذه المواد حسب المناسبات . فترى فيها أحيانا : التقويم ومرة التاريخ أو الأدب شعرا أو نثرا ، أو الفكاهات الطريفة أو الاشارة إلى الحوادث السالفة ، أو مزايا نوع من النبات أو الحيوان ، أو الحديث عن قوم حديثا يفصح عن عاداتهم ، أو الكلام عن خلق أو الإشارة إلى سياسة أو النزوع إلى طب . . وهكذا . فهى موسوعات علمية أو دوائر معارف جليلة النفع عظيمة الأثر .

وقد ضممنا فيما سبق ، كل موسوعة إلى باب من أبواب المواد العلمية ، واعتبرنا فى ذلك المادة الأساسية التى وضعت الموسوعة لأجلها ، لا المواد الفرعية التى استطرد إليها .

وتدلنا هذه الكتب الجامعة على سعة جعبة واضعيها ، ومقدار اطلاعهم البعيد المدى ، ومقدار كرمهم بما تعى صدورهم من معلومات مفيدة . ضنوا بها على النسيان ، فسطروها أو قل سجلوها فى هذه الكتب الخالدة ، وتحيلوا فى إيجاد مناسباتها التى تخول لهم ذكرها . وصبروا العمر الطويل على تدوينها مما يدخل فى حيز الخيال ويبعد عما يطيقه الجهد .

ونحن وإن آخذناهم بالخلط بين هذه المواد ، وبعدم العناية بوحدة الموضوع واستقلال الفكرة ، وبسعة الاستطراد حتى ليضيع الزمن على الباحث بسببه ، نثبت لهم يدهم الطولى فى تدوين هذه المعلومات ولا سيما التاريخية والأدبية منها ، فهى ذخيرة ثمينة . بل وبقية المعلومات الأخرى ، لأنها على الأقل ترينا مقدار ما كان يفهمه أهل هذه العصور فى مسائل العلم المختلفة ونظرياته . . ونشكر لهم مبادرتهم بتعويض العلم عما فقده فى حوادث التتار والصليبيين والفرنجة امة .

ثم نتجى على أنفسنا بعد ذلك بالملام ، ونؤاخذها بما قصرت فيه من طبع هذه المؤلفات فى وقت مبكر ، وفى تزويدها بالفهارس النافعة المنظمة للاستفادة منها ، وفى تهذيبها هى وتفريغها فى قالب جديد ، وفى البحث فى أبوابها المختلفة واستخلاص النواحى المؤتلفة فيها المتفرقة بين صفحاتها ، وحشدها فى صعيد واحد ، تيسر العلم على طالبه ، وتسهل سبيل الأدب على مجتازه . وما تلك البحوث التى نقرؤها فى الصحف والمجلات أحيانا يكتبها المتعالمون إلا قشور من ذلك اللباب . وهكذا .

ولا أريد أن أقصر هذه الموسوعات على ما قصرها عليه مؤرخو الأدب فى العصر الحديث ، بل أدخل فى عدادها عددا آخر من المؤلفات فى التراجم والتاريخ والتقويم والحديث والتفسير والفقه والأدب ، فى كثير منها استطرادات قيمة جدا فى بحوث شتى .

وقد جدّت الهمة منذ أعوام لطبع هذه المؤلفات طبعاً نافعاً مع العناية بفهارسها . ولكن أقول والأسى يملأ الفؤاد إن العمل فى هذه الناحية بطىء بطئا يدخل اليأس على الأمل . ولا تزال مؤلفات قيمة مقيمة على خطيئتها بلا طبع حتى اليوم ، ولا يدرى أهل عصرنا عن أمرها شيئا . وبعضها طبع طبعا سقيما كثير الأخطاء . وبعضها مشتت فى مكاتب الأمم الأخرى لم تبذل إلا عناية جزئية لرد بعضها أو نقله مصورا .

ومن الموسوعات ذات الأهمية مما سبق بيانه أو سيأتى ذكره ما يلى :

١ — لسان العرب : وهو المعجم اللغوى المشهور . مؤلفه ابن منظور الإفريقى

المتوفى عام ٧١١ هـ ، وفيه غير اللغة ومفرداتها أدب وتاريخ وتفسير وحديث . وهو فى أكثر من عشرين جزءا .

٢ — طبقات الشافعية الكبرى : وهو فى تراجم أعلام الشافعية مؤلفه تاج الدين السبكى المتوفى عام ٧٧١ هـ ، وهو ملىء بالآثار الأدبية ذات القيمة التاريخية وملىء بالنوادر الطريفة ، وملىء بمسائل الفقه الكثيرة العدد . وهو فى ستة أجزاء .

٣ — تاريخ ابن إياس : وهو المعروف ببدائع الزهور فى وقائع الدهور . أو تاريخ مصر . مؤلفه ابن إياس الحنفى المتوفى عام ٩٣٠ هـ وهو كتاب تاريخى جامع ترى فى تضاعيفه عادات وتقاليد ونظم إدارة وسياسة .

٤ — إرشاد السارى إلى شرح البخارى : وهو مؤلف جليل الشأن فى الحديث . مؤلفه شهاب الدين القسطلانى المتوفى عام ٩٢٣ هـ وفى ثناياه بحوث تاريخية وفقهية . وهو فى عشرة مجلدات .

٥ — فتح البارى بشرح البخارى : وهو مؤلف قيم فى الحديث . وضعه ابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ . وفى ثناياه بحوث فقهية وتاريخية . وهو فى عشرة مجلدات ضخام . ومقدمته ثمينة جدا .

٦ — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار : كتاب كبير فى أكثر من عشرين مجلدا ، وبه بحوث فى التقويم والتاريخ وتاريخ الخطط وتراجم الأعلام وبه النوادر الطريفة والنظريات العلمية فى الجغرافيا والتاريخ الطبيعى . مؤلفه شهاب الدين ابن فضل الله العمرى المتوفى عام ٧٤٨ هـ . وقد طبع منه حديثا جزء واحد .

٧ — صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : مؤلفه شهاب الدين القلقشندى المتوفى عام ٨٢١ هـ وهو فى نحو عشرين مجلدا . وفيه استطرادات تاريخية نادرة ، وتراجم ، ونصوص أدبية ثمينة ، ودراسة للعادات والتقاليد الديوانية ، هذا فوق

موضوعه الأصلى وهو الكلام فى صناعة الإنشاء وما يتصل بها من علم وأدب وخط ورسم .

٨ — نهاية الأرب فى فنون الأدب : مؤلفه شهاب الدين أحمد النويرى المتوفى عام ٧٣٢ هـ . وهو فى نحو ثلاثين جزءا كبيرا .

٩ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : لأبى المحاسن بن تغرى بردى المتوفى عام ٨٧٤ هـ وهو مجلدات عدة . وقد طبع منه نحو تسعة أجزاء بدار الكتب المصرية ، وهو فى التقويم والتاريخ والأدب والنبات والحيوان والطب والفلك والسياسة وغير ذلك .

١٠ — النقاية : للسيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ وهو فى التفسير والحديث والفقه وأصول الدين والطب والتشريح والتصرف والنحو والبلاغة وغير ذلك وتسمى الأصول المهمة فى علوم جمة.

ج

وهذا قل من كثر ، ذكرناه على سبيل المثال مما بين أيدينا من الكتب التى تناولها الطبع . فما بالك بما لم يطبع وهو موجود مخطوطا بدور الكتب ويعرفه المطلعون . ثم ما بالك بما لا يعرفه المطلعون منه .؟ ثم ما بالك بما يقال عنه إنه مفقود كالروضة البهية لمحي الدين بن عبد الظاهر . أو مشتت كالوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى — ولقد كان مسالك الأبصار غير معروف إلى عهد قريب، ثم نقله أحمد زكى باشا مصورا إلى مصر .

والمسألة فى نظرنا تحتاج إلى تأليف لجنة علمية كبيرة يكون عملها البحث عن هذه المؤلفات النفيسة ثم طبعها طبعاً حديثاً مزودا بالفهارس . على أن يكون لها مال خاص .

ثم تكوين لجنة أخرى يكون همها النشاط العلمى التأليفى ولاسيما التأليف فى تاريخ مصر . فإنه على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلت وتبذل فى هذا السبيل ، لا يزال تاريخ مصر مبتورا ناقصا . وأعنى بتاريخ مصر تاريخ أحداثها السياسية

وأحوالها الاجتماعية ووصف قوانينها وتقاليدها وعاداتها واتجاهاتها الأدبية وجهودها العلمية وتراجم رجالها فى كل دور من أدوار حياتها .

خاتمـــة

أثبتنا فيما سبق ، عددا من مؤلفات العصر ، فى كل مادة من المواد العلمية . أثبتناه على سبيل المثال ، لا على سبيل الاستقصاء . أما الاستقصاء فلا مقدرة لنا عليه الآن ، ولا نستطيع ادعاءه اليوم . غير أنه كان بودنا ، لو وفقنا إليه وتغلبنا عليه ، ووجدنا بين صفحات كتابنا هذا متسعاً له ، إذاً لتمت لنا أمنية عزيزة ، وتحققت رغبة غالية . لأننا إنما نقصد من حشد هذه المعلومات فى هذا السفر ، وترتيبها وتبويبها ، أن نبرز فيه مفاخر العصر ، ونظهر مآثره ، حتى تكون ماثلة للعيان ، غنية عن الإشارة بالبنان . وبذلك يكون هذا السفر سجلا لها ، يجد فيه كل ذى حاجة حاجته وكل صاحب ضالة ضالته . ويجد البانى الجديد ، أساسا راسخا واضح المعالم ، يبنى عليه ، و « خامة » معدة يتخذ منها غزله ونسيجه . غير أننا خشينا أن نُرمى بأننا حولنا بعض الكتاب إلى فهارس مكتبية .

وفى الحق ، إنه لأمل أن نعود إلى مراجع هذه الأسفار ، ككتب تراجم الأعلام ، وفهارس دور الكتب بالقاهرة وغيرها ، وكشف الظنون ، وكتب الفهارس الحديثة ، وما إلى ذلك ، فنستخلص منها ما يختص بالعصر المملوكى ، من مؤلفات أبنائه . مع التعريف الموجز المناسب ، بكل مؤلَّف منها ، ومحتوياته ، والإشارة إلى الموجود منها والمفقود ، وإلى المطبوع منها والمخطوط ، وإلى المغترب منها والمتوطن .

وفى تحقيق هذا الأمل ، نفع — لا ريب — عظيم . فلعل الظروف تسعد ، والأيام تواتى ، والزمان يجود .

وكنا قد استخلصنا من دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ما فى فهارسها من مؤلفات هذا العصر . وكنا على وشك إثباته فى هذه الصفحات لولا أن عنَّ لنا الاكتفاء بما أثبتناه فيما مضى من الصفحات ، وما سنذكره فى الصفحات التالية بعون الله ، وفى ذلك كله كفاء وغنية .

غير أننا لا نترك هذا المقام ، دون إبداء ملاحظات :

فمنها أن كثيرا من مؤلفات العصر ، مما ورد فى تراجم أعلامه ، وأثبتنا بعضه فيما سبق ، مفقود ، لا وجود له فى فهارس دور الكتب المصرية — على مقدار اطلاعنا — ، ولا فى فهارس دور الكتب الأخرى خارج مصر ، على ضوء مارواه جورجى زيدان فى كتابه : تاريخ آداب اللغة العربية . وكتب الفهارس الحديثة الأخرى ، كفهرس سركيس .

ومنها أن كثيرا من هذه المؤلفات مغترب عن مصر ، يقاسى ألم الاغتراب ، فى دور الكتب الأجنبية . ولم تؤهل غربته حتى اليوم .

ومنها أن كثيرا من هذه المؤلفات — وإن كان موجودا بدار الكتب المصرية مثلا — لايزال مخطوطا لم يقدم للطبع ، يعيش فى القرن الرابع عشر الهجرى ، كما كان يعيش قبل ذلك فى القرن الثامن أو التاسع مثلاً .

ولقد أحصينا منها نحوا من ألف وخمسمائة مؤلف فى علوم مختلفة ، بالدار المذكورة ، من بينها نحو ألف مؤلف مخطوط .

وبين هذه الأسفار المغتربة أو المخطوطة ، ما يلقى أضواء ساطعة على تاريخ مصر وآدابها . فلعل الأيام تسعد الغريب بالإياب . والمخطوط بجديد الثياب .

الفصل الرابع

تراجم تفصيلية

يضيق نطاق هذا الكتاب ، مهما اتسع ، عن أن نسطر فيه كل ما يعن لنا من الحديث عن علماء العصر ، ومؤلفاتهم . لننوه بآثارهم ، ونصف جهودهم ، وننشر تاريخهم ، وهم بذلك كله — وأكثر منه — حريون .

ولو أننا ذهبنا نفصل الحديث عنهم جميعاً ، تفصيلا ، مدونين خوادثهم ، واصفين نشاطهم فى نشر العلم والتأليف فيه ، معترفين بآثارهم العلمية ، لما أسعفتنا فى ذلك جملة أسفار ضخام .

ولو أننا ذهبنا نوجز الحديث عنهم ، وكان حسبنا منه الأثارة الدالة ، والإشارة المقتضبة ، لضاعت من تاريخهم معالم ، ولخفيت من أعمالهم آثار . ولتضاءل أمام القارىء ، ذلك الجمال والجلال الذى نشعر به لمؤلفاتهم .

لهذا كله قسمنا الحديث عنهم إلى ثلاثة أبواب : باب للتراجم التفصيلية ، تتاح لنا فيه الفرصة للتعريف ببعض الرجال وعرض مؤلفاتهم عرضا مناسبا . وباب للتراجم الموجزة ، نجمل فيه الحديث عن المئات منهم ، قانعين فى هذا المقام بالتسجيل. وباب للتعريف ببعض المؤلفات النافعة ، التى لم تسعفنا التراجم التفصيلية بعرضها ، مع أهميتها . وبذلك نستطيع بلوغ مأربنا ، مع الإحاطة المناسبة .

فهذا الباب الرابع ، هو باب الحديث المسهب عن بعض العلماء المؤلفين ذوى الأثر البارز فى حياة معاصريهم ، أو فى حياة العلم ، ممن زادوا الإنسانية تراثا ، وأضافوا إلى الزمان مجدا ، وخلدوا على صفحاته مآثر .

فيما يلى ، إذاً ، توضيح لحياة رجال العصر ، وعرض لمؤلفاتهم ، مع ذكر

المراجع التى اعتمدنا عليها ، فى أعقاب كل ترجمة .

وسنصف هذه المؤلفات ، وصفا ، اعتمدنا فى تقريره ، على اطلاعنا ودراستنا إذ ناجينا أصحابها فيها ، فناجونا ، وسامرناهم فسامرونا ، واستوحيناهم فأوحوا إلينا. لذلك لانغلوا إذا قلنا إن القارىء الكريم سيجد خلال حديثنا شيئا جديدا ممتعاً .

ونحب مع هذا كله — وعلى الرغم من هذا كله — أن نذكّر القارىء أنه ليس من غرضنا الاستيعاب والاستقصاء ، ولا النقد بشتى نوازعه واتجاهاته وعمقه وتحليله وتعليله . وهذه مسألة نوهنا بها فى مقدمة الكتاب . ولو أردنا الاستيعاب والنقد ، لاحتاج كل رجل من رجال العصر ، إلى سفر خاص ، وهو بذلك قمين .

ومع هذا فسيجد محبو الاستيعاب ، ومحبو النقد ، شيئا منهما يروقهما .

وقد أغفلنا تراجم بعض الأفذاذ ، ممن نبغوا فى الشعر أو الكتابة ، مدخرين الحديث عنها ، إلى الجزء الثالث والرابع من كتابنا هذا . والله الموفق والمعين .

والتراجم الآتية مرتبة حسب الوفيات .

---

١ - عزالدين بن عبد السلام ٥٧٧ هـ - ٦٦٠ هـ

هو الإمام المجتهد القدوة ، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن حسين ابن محمد بن مهذب السلمى . سماه تلميذه ، تقى الدين بن دقيق العيد القشيرى ، بسلطان العلماء ، لعلمه الغزير ، واطلاعه الواسع ، وإيمانه القوى ، وحجته البالغة ، وزهده وحبه للحق . وكان شافعى المذهب .

مولده ووفاته :

ولد سنة ٥٧٧ هـ ، وقيل سنة ٥٧٨ هـ . ببلاد الشام — وتوفى فى ٩ جمادى الأولى عام ٦٦٠ هـ [١] . وقد عاش نحوا من ٨٣ سنة .

---

١ — روى السبكى فى طبقاته ج ٦ ص ١٠٢ ، أن وفاته كانت فى يوم ٩ جمادى الأولى ، وعاد فذكر فى ص ١٠٣ أنها كانت يوم ١٠ منها ، وروى السيوطى وفاته يوم ١٠ . .

وقد حكى ابن حجة الحموى فى كتابه « ثمرات الأوراق ص ٢٢ » : أن شخصا جاء إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعى ، سلطان العلماء ، فقال : رأيتك فى المنام تنشد :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

فسكت الشيخ عز الدين ، ثم قال : أعيش ثلاثا وثمانين سنة ... فإن هذا الشعر ، لكثير عزة ، وقد نظرت ، فلم أجد بينى وبينه نسبة ، فإنى سنّى ، وهو شيعى . وطويل وهو قصير . وهو شاعر ، ولست بشاعر . وأنا سلمى ، وهو خزاعى . وشامى وهو حجازى . فلم يبق إلا السن ، فأعيش مثله ، قال : فكان كذلك .

بعض شيوخه :

وقد أغرم بالعلم منذ صغره ، ويفهم من سيرته أنه ولد ببلاد الشام ، وتتلمذ لكثير من أفذاذها ، ومن شيوخه : فخر الدين بن عساكر[1] . وسيف الدين الآمدى والحافظ أبو محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم بن عساكر . وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن اسماعيل بن أبى سعد البغدادى ، وعمر بن محمد بن طبرزد ، وحنبل ابن عبد الله الرصافى . والقاضى عبد الصمد بن محمد الحرستانى ، وبركات بن ابراهيم الخشوعى .

طرف من حياته :

عاش الشيخ عز الدين ، زمنا طويلا . فى أيام حكم الأيوبيين . وطلب العلم حيث كان منشؤه . وقيل إنه سمع هاتفا يقول له : « يا ابن عبد السلام ، أتريد العلم أم العمل ؟ » فقال : « العلم ، لأنه يهدى إلى العمل » .

وقد فتح الله عليه ، وهداه إلى العلم ، وعبد له طريقه ، وذلل سبله . فحفظ منه الشىء الكثير ، فى زمن وجيز . وقد أقبل على عبادة الله ، حتى صار أعبد أهل

١ — لفخر الدين بن عساكر ترجمة فى طبقات السبكى ج ، من ٦٦ ، وقد توفى عام ٦٢٠

زمانه ، وأحد متصوفيه، الذين يعبدون الله على علم وهدى وبصيرة وحسن معرفة ، وأصبح علما يشار إليه بالبنان .

ولقد برع فى الفقه والأصول ، والحديث والتفسير والتوحيد . وتولى كثيرا من المناصب الهامة ، خدمة للعلم ، ورغبة فى النفع العام . ومن المناصب : التدريس فى الزاوية الغزالية وغيرها بدمشق والخطابة بالجامع الأموى ، والإمامة به كذلك

قال عنه شهاب الدين أبوشامة ، وهو أحد تلاميذه : « وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة » .

ولما خرج من الشام إلى مصر ، عام٦٣٩ ﻫ تقريبا ، ولاه سلطان مصر ، الصالح نجم الدين الأيوبى الخطابة بجامع عمرو بن العاص ، والقضاء بمصر والوجه القبلى . فلبث فى دست القضاء زمنا . ثم ولاه هذا السلطان تدريس فقه الشافعية بمدرسته الصالحية ، التى بناها بين القصرين بالقاهرة . وفوض إليه كذلك ، عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة .

ومما يذكر أنه عزل نفسه مرارا من القضاء ، والسلطان الصالح يعمل على إعادته إليه . وهو بين هذا وذاك ، لا ينى ينشر العلم ، ويستكثر من تلاميذه .

واتصل الشيخ عزالدين بعدد من سلاطين عصره ، وعظمت مهابته فى نفوسهم ولم يرتفعوا فى نظره إلا بمقدار حرصهم على مصالح المسلمين ومحافظتهم على الدين . مع شدة منه فى معاملتهم ، وقسوة فى إسداء النصيحة إليهم .

حادثة خروجه من دمشق إلى مصر :

وممن اتصل بهم ، سلطان دمشق ، الملك الصالح اسماعيل ، المعروف بأبى الجيش وهو من سلائل الأيوبيين. وكان هذا السلطان قد استعان بالفرنجة من الصليبيين ، على منازعيه فى الملك من بنى أيوب . كما كان يتوجس خيفة من ملك مصر ، الصالح نجم الدين الأيوبى فاتفق معهم على أن يعاونوه على عدوه . ويسلم إليهم لقاء هذا ،

مدينتى صيدا والقشيف ، وغيرهما من حصون المسلمين . وسهل لهم دخول دمشق لابتياع السلاح .

شق هذا الاتفاق والتسليم والتفريط ، على الشيخ عزالدين ، وحز فى نفسه أن يتعاون سلطان دمشق المسلم ، مع أعداء الدين ، على إخوانه المسلمين ، مهما يكن سبب الخلاف بينهم .

فما يصنع عزالدين ؟ لقد أهمل الدعاء لهذا السلطان ، على المنبر . وجهد معه فى هذا الأمر رأس مالكية زمانه ، أبو عمر بن الحاجب . فكان هذا منهما إيذانا بالعصيان ، وتحريضا للناس . فغضب السلطان عليهما واعتقل الشيخ زمنا ، ثم أطلق سراحه ، خوفا من استشراء الفتنة .

عول الشيخ عز الدين على الرحيل من دمشق إلى القاهرة . وكان ذلك فى عام ٦٣٩ هـ تقريبا . وخرجت معه دمشق تودعه .

وقد قيل إن ملك دمشق أرسل رسولا خلف الشيخ ، يراوده على العودة . فأدركه وهو ببيت المقدس فقال له الرسول : « بينك وبين أن تعود إلى مناصبك ، وما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير » . فقال له الشيخ : « والله مسكين ما أرضاه أن يقبل يدى ، فضلا عن أن أقبل يده . ياقوم أنتم فى واد ، وأنا فى واد . والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم » . قيل ، فاعتقله الرسول . وكانت هناك حرب بين جيوش مصر ودمشق ، فانهزمت جيوش دمشق ، فأطلق سراح الشيخ وسار إلى مصر فى عودة جنودها . وهناك تلقاه صديقه سلطان مصر الصالح نجم الدين الأيوبى . وولاه التدريس والقضاء ، وعاش بهذه البلاد مرموق المكانة مهيب المنزلة ، معترفا له بالفضل .

النزاع بينه وبين مبتدعة الحنابلة :

وممن اتصل بهم ، الملك الأشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب ، ملك دمشق ، قبل الصالح أسماعيل . وكان هذا الملك — موسى — يجل الشيخ ويعظمه

ويضمر له فى نفسه مكانة سامية . غير أنه كان ميالا إلى جماعة من مبتدعة الحنابلة الذين يقولون بأن لله سبحانه وتعالى ، حرفا وصوتا ، ويعتقد معتقدهم . وهذا المذهب غير مذهب الأشاعرة . مع أن المبتدعين أفهموه أن مذهبهم هو مذهب السلف الصالح ، وأنه رأى ابن حنبل .

وقد هال جماعة المبتدعين من الحنابلة ، ماللشيخ عز الدين ، من منزلة لدى السلطان الأشرف . فحقدوا عليه ، وخشوا على منزلتهم منه . فسعوا لديه بالوشاية ، وقالوا للسلطان الأشرف : إن الشيخ أشعرى العقيدة ، يخطىء من يعتقد الحرف والصوت ، ويعده مبتدعا . وأنه يقول كما يقول الأشعرى : إن الخبز لا يشبع ، والماء لا يروى ، والنار لا تحرق

وانتهى الأمر بهذه الوشاية ، أن كتبت فتيا فى هذه المسائل ، ودفعت إلى الشيخ ليبدى فيها رأيه . فكتب الشيخ رأيه فى هذه المسألة ، ببيان واضح ، وأسلوب جميل ، مقررا مذهب السلف وابن حنبل والأشاعرة ، وبين أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة . وقد حمل فى بيانه هذا ، حملة شعواء على المبتدعين .

وقد أثبت تاج الدين السبكى فى طبقاته ، نص هذا البيان .

فلما اطلع عليه السلطان ، هاله الأمر . ووقعت بينه وبين الشيخ مشادات ومراسلات ، أدت إلى أن أصدر أمره بمنع الشيخ من الفتيا ، وعدم الاجتماع بالناس ، وأن يلزم بيته .

وقد فرح الشيخ بهذا الأمر ، وقال لرسول السلطان :

« إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة علىّ ، الموجبة للشكر لله تعالى ، على الدوام . أما الفتيا فإنى كنت والله متبرما منها ، وأكرهها . وأعتقد أن المفتى على سفير جهنم . ولو لا أنى أعتقد أن الله أوجبها علىّ ، لتعيّنها علىّ فى هذا الزمان ، لما كنت تلوثت بها . والآن ، فقد عذرنى الحق ، وسقط عنى الوجوب ، وتخلصت ذمتى ، ولله الحمد والمنة .

وأما ترك اجتماعى بالناس، ولزومى لبيتى، فما أنا فى بيتى الآن، وإنما أنا فى بستان».

وكان الشيخ فى تلك السنة، قد استأجر بستانا متطرفا عن البساتين ..

ثم قال الشيخ :

« من سعادتى لزومى لبيتى، وتفرغى لعبادة ربى. والسعيد من لزم بيته، وبكى على خطيئته، واشتغل بطاعة الله تعالى. وهذا تسلية من الحق، وهدية من الله تعالى، إلىّ أجراها، على يد السلطان، وهو غضبان، وأنا بها فرحان.»

ثم قال للرسول : « والله ياغرز لو كانت عندى خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة، لخلعت عليك، ونحن على الفتوح. خذ هذه السجادة صل عليها».

وما زال أمر الشيخ أو السلطان على هذه الحال، حتى أصلح بينهما العلامة جمال الدين الحضيرى شيخ الحنفية فى زمانه . وأفهم السلطان أن عقيدة الشيخ، هى عقيدة السلف وأهل السنة والجماعة. ومن ذلك الحين عادت صلة الشيخ بالسلطان إلى ما كانت عليه . وأخذ السلطان فى استرضائه، تكفيرا عما اقترف فى حقه فيما سبق وأخذ نفسه بقراءة مؤلف للشيخ اسمه « مقاصد الصلاة ».

ولما مرض السلطان مرض الموت، استقدم الشيخ إليه ليسدى إليه النصح الأخير . فكان مما نصحه به أن يصلح ما بينه وبين أخيه الكامل ملك مصر، حينذاك، وأن يبطل المفاسد المنتشرة فى عهده من زنا وشرب خمر، فرسم بإبطال ذلك.

وبعودة المياه إلى مجاريها بين الشيخ والسلطان، انخذل المبتدعة وأهل الضلال ممن يدعون الحنبلية.

موقفه من السلطان الظاهر بيبرس :

وممن اتصل بهم الشيخ ، السلطان الظاهر بيبرس ، ملك مصر . وكان بيبرس يهاب الشيخ ، ويجله ويخشاه ، ويستشيره فى أموره . ولم يبايع خليفة من الخليفتين اللذين بايعهما من بنى العباس ، قبل أن يبايعه الشيخ عز الدين .

ومن مواقفه الرائعة مع بيبرس أنه حينما أراد أن يأخذ البيعة لنفسه بالسلطنة، جمع الناس من الأمراء والقضاة والعلية ، وكادت البيعة تنعقد له ، لولا أن امتنع الشيخ عز الدين عن مبايعته . لأنه لم يثبت لديه عتق بيبرس وحريته . وقال له : « ياركن الدين ! أنا أعرفك مملوك البندقدار . . . » .

فاستحضر بيبرس شهودا شهدوا بخروجه من ملك البندقدار ، وأنه صار حرا فبايعه الشيخ . . . قيل : إن الشيخ لما توفى ، ومرت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق فيها ، قال لبعض خواصه : « اليوم استقر أمرى فى الملك ، لأن هذا الشيخ ، لو كان يقول للناس : اخرجوا عليه . لانتزع الملك منى » .

أمثلة من قسوته فى الحق :

فى سيرة الشيخ حوادث ، تنبىء بما كان عليه من قسوة فى التمسك بالحق ، وحرص على تنفيذ رأيه ما دام صوابا وعدلا ، فمنها .

بيع الأمراء :

لعل هذه القصة من أبدع قصصه وأروعها . وبخاصة لأنها وقعت فى ذلك العصر الذى طغى فيه الأمراء الحاكمون ، فتصدى الشيخ عز الدين ، وهو المجرم الأعزل إلا من قوة إيمانه ، وأشهر بعض كبار هؤلاء الأمراء فى مزاد علنى . . .

لقد ثبت له أن هؤلاء الأمراء ، لم يعتقوا ، وأنهم بذلك من حق بيت مال المسلمين . . وجهر بذلك بين الأمراء وأعلن أن حكم الرق لا يزال مصاحبا لهم ، وينبغى — إذا أرادوا العتق — أن يشهر بيعهم ويحصل ثمنهم ويضم إلى بيت المال ثم أفتى أن تصرفاتهم من بيع وشراء وعقود نكاح ، ونحو ذلك ، لا تنعقد .

فافسدت هذه الفتوى على الأمراء حياتهم . فقد توقف الناس عن التعامل معهم ، فعطلت مصالحهم . وكان فى جملتهم نائب السلطنة فاستشاط النائب غضبا ، وملأ الحنق نفسه ، وعجب من جرأة هذا الشيخ على الحاكمين بأمرهم . وأقسم ليشجن رأسه ، وليقدن هامته بحد حسامه وليلقين عليه درسا فى معاملة الأمراء . . وقال : « كيف ينادى علينا هذا الشيخ ، ويبيعنا ، ونحن ملوك الأرض . والله لأضربنه بسيفى هذا » .

أسرع الأمير إلى دار الشيخ ، ممتطيا صهوة فرسه ، قابضا على قائم سيفه ، وشرر الغضب يتطاير من عينيه . وطرق الباب ...

نزل الشيخ للقاء الأمير . وابنه يرتعد فرقا على أبيه . وأبوه يقول له : « ياولدى ! أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله . » .

بهذا الإيمان الراسخ ، وبتلك العزيمة الثابتة ، لقى الشيخ هذا الأمير الثائر .

هنا ، وقعت المعجزة ، وظهرت كرامة الشيخ ! فقد يبست يد الأمير ، وسقط السيف منها وارتعدت مفاصله . . . فبكى ، وسأل الشيخ أن يدعو له . . . واستطلعه رأيه فى مسألتهم . . .

فطلب الشيخ أن يباعوا ويُضم ثمنهم إلى بيت المال ، فكان له ما أراد ، وأشهروا فى مزاد علنى ، وقف الشيخ فيه ، وغالى فى ثمنهم ، وأضاف الثمن إلى بيت المال .

وسواء أكانت يد الأمير قد يبست رهبة من الشيخ وهيبة ، أم هى كرامة من كراماته أيدتها ، فإنما يعنينا تخاذل الأمير وجبنه عن أن يلحق أى أذى بالشيخ ، كما يعنينا ثبات الشيخ وقوة نفسه التى أذلت له هؤلاء الطغاة .

يروى السبكى فى طبقاته هذه القصة رواية الواثق بما يروى ، الحريص على تفاصيلها ، بما لا يدع لإنسان مجالا للشك فى صحتها .

وقد قيل بصددها إن الشيخ سمع أن السلطان أنكر عليه تدخله فيما لا يعنيه . فعول الشيخ على الرحيل من مصر ، عائدا إلى بلاد الشام ، فلحق به كثير من

المسلمين ، حتى خشى السلطان مغبة الأمر ، وأسرع باسترضائه فعاد .

إسقاط الأستادار فخر الدين[1] عثمان :

وهذا الأستادار ، كان ذا حول وطول فى عهد الملك الصالح نجم الدين الأيوبى وكان الشيخ حينذاك ، قاضيا بمصر والوجه القبلى . فعلم أن فخر الدين هذا ، قد بنى « طبلخاناه » — مكانا للموسيقا — فوق سطح أحد المساجد بمصر . فحكم بهدم هذا البناء ، ومضى بنفسه ومعه أولاده ، وهدمه . وعزل نفسه من القضاء ، بعد أن أفتى بإسقاط فخر الدين الأستادار ، — أى أنه أصبح غير عدل .

وقد قيل إن السلطان الصالح أرسل بعد ذلك ، رسولا إلى خليفة بغداد ، فى أمر ما ، فسئل الرسول عمن شافهه فى هذا الأمر ، فقال : إنه الأستادار فخر الدين عثمان . « فقيل له: إن رسالته لا تقبل ، لأن المذكور أسقطه ابن عبد السلام ، فلا تقبل روايته . .

عظته للسلطان :

وكان ذلك فى يوم عيد وأبهة . قيل : دخل الشيخ على السلطان الصالح أيوب ، فى يوم عيد بالقلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة حافل ، والسلطان قد خرج على القوم فى زينته ، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض بين يديه

والتفت الشيخ إليه وناداه : يا أيوب ! ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ؟ ثم تبيح الخمور ؟ » فقال : « هل جرى هذا » فقال : نعم ! الحانة الفلانية ، يباع فيها الخمور ، وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة » . . . وكان الشيخ يناديه بهذا بأعلى صوته ، والعساكر واقفون .

فقال السلطان : « ياسيدى ؛ هذا ما أنا عملته . هذا من زمان أبى » . فقال الشيخ : « أنت من الذين يقولون « إنا وجدنا آباءنا على أمة » ؟ فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة .

---

(١) فى السلوك جـ ١ ص ٣١٢ ، أن اسمه «معين الدين» وأنه كان وزير الصالح نجم الدين

قيل إن أحد تلاميذ الشيخ سأله عن هذه الحادثه وقال : كيف الحال ؟ فقال له الشيخ : يابنى ! رأيته فى تلك العظمة ، فأردت أن أهينه ، لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه . فقال : « يا سيدى أما خفته » فقال : « والله يابنى ، استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان قدامى كالقط » .

آثاره وأقوال المؤرخين فيه :

للشيخ مواقف عدة على غرار ما سبق . وتنسب إليه كرامات كثيرة . ويقال إنه لبس خلعة التصوف . وكان يستثيره الوجد فى مجلس أبى العباس المرسى الصوفى المشهور .

واشتغل بالتدريس زمنا طويلا وتتلمذ له جماعة بيضوا من الزمان صفحته ، وجددوا للعلم بردته ، وكانوا من بعده أمناء على الدين . وعلى رأسهم : تقى الدين ابن دقيق العيد القشيرى .

ولما يمم شطر مصر ، هاجرا بلاد الشام ، أكرمه حافظها الكبير ، وزاهدها ، الشيخ عبد العظيم المنذرى ، وامتنع عن الفتيا ، تعظيما له . قائلا : « كنا نفتى قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره ، فمنصب الفتيا متعين فيه » .

وقال عنه السبكى فى طبقاته : « شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر المعروف ، والنهى عن المنكر فى زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ، ولا رأى من رآه ، مثله علما وورعا ، وقياما فى الحق ، وشجاعة ، وقوة جنان وسلاطة لسان » .

وقال فيه الذهبى فى كتابه : العبر : « انتهت إليه معرفة المذهب مع الزهد والورع ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقدم مصر ، فأقام بها أكثر من عشرين سنة ، ناشرا للعلم ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر . »

وقال فيه ابن كثير فى تاريخه : « انتهت إليه رياسة المذهب ، وقصد بالفتوى من سائر الآفاق ، ثم كان فى آخر عمره لا يتعبد بالمذهب ، بل اتسع نطاقه ، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده » .

وقال تلميذه ابن دقيق : « كان ابن عبد السلام أحد سلاطين العلماء » وابن دقيق هو الذى أطلق عليه : سلطان العلماء .

وقال عنه جمال الدين بن الحاجب : « ابن عبد السلام أفقه من الغزالى » .

هذا وللشيخ عز الدين جملة من الفتاوى والمؤلفات . ومن محاسنه أنه كان إذا أفتى برأى مرة ، ثم تبين له فساده ، نادى على نفسه فى مصر والقاهرة بألا يعمل أحد بفتواه .

من مؤلفاته ورسائله :[1]

١ — الفتاوى الموصلية . ٢ — مختصر النهاية واسمه « الغاية » . ٣ — شجرة المعارف . ٤ — القواعد الكبرى فى الشريعة . ٥ — القواعد الصغرى وهى مختصر الكبرى . ٦ — كتاب مجاز القرآن ، فى الشريعة . ٧ — الدلائل المتعلقة بالملائكة والنبيين . ٨ — تفسير القرآن فى مجلد مختصر . ٩ — مختصر صحيح مسلم . ١٠ — مختصر الرعاية « والرعاية للمحاسبى » ١١ — بداية السول فى تفضيل الرسول . ١٢ — الفرق بين الإيمان والإسلام . ١٣ — فوائد البلوى والمحن . ١٤ — الجمع بين الحاوى والنهاية . يبدو أنه لم يتمه . ١٥ — الإمام فى أدلة الأحكام . ١٦ — بيان أحوال الناس يوم القيامة . ١٧ — الفتاوى المصرية . ١٨ — مقالة فى الرد على الحشوية والمبتدعة من مدعى الحنبلية . ١٩ — مقاصد الصلاة . ٢٠ — مسائل الطريقة فى علم الحقيقة ويعرف « بالستين » ٢١ — حل الرموز ومفاتيح الكنوز .

---

١ - دوينا هنا ما أورده تاج الدين السبكى ، فى ترجمة ابن عبد السلام .

بعض هذه الرسائل موجود بدار الكتب . منه مخطوط كالفتاوى الموصلية . والغاية والقواعد الكبرى . ومطبوع مثل حل الرموز ومسائل الطريقة ، ومجاز القرآن واسم الاشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز .

التعريف ببعض هذه الرسائل :

١ — مقالته فى الرد على الحشوية ومبتدعة الحنابلة :

قد بينا فيما سبق ، ملخص النزاع بينه وبين الحنابلة المبتدعة ، ورده عليهم ، مما أدى إلى وقوع النفرة بينه وبين الملك الأشرف موسى. ونلخص هنا ما قال فى رده.

تقول الحشوية ومبتدعة الحنابلة أن كلام الله سبحانه وتعالى ، بحرف وصوت، وأن الأشياء لها فعل مؤثر فى غيرها بنفسها ، كالنار فهى محرقة ، وكالماء فهو مزيل للعطش ، وكالخبز فهو مزيل للجوع . وهكذا . وينكرون أن الإحراق والرى والشبع ، وما ماثلها ، من الله سبحانه وتعالى .

وقد فند الشيخ عز الدين فى هذا المقال مزاعم هذه الفئة ، وقرر مذهب الأشاعرة .

بدأ فى مقاله ، بحمد الله وتنزيهه عن الولد ، وعن مماثلة الحوادث ، وتعاليه عن الزمان والمكان ، وعن الاستواء الحسى على العرش ، وبيّن أنه مطلع على هواجس الضمائر ، محيط بكل شىء علما ، قديم متكلم ، لا بصوت ولا بحرف .

وبيّن أن أسماءه مندرجة فى أربع كلمات هن الباقيات الصالحات ، وهن :

« سبحان الله » . اندرج تحتها نحو القدوس والسلام ، وهى تتضمن تنزيهه سبحانه عن كل نقص وعيب .

« والحمد لله » : ويندرج تحتها نحو العليم والقدير والسميع والبصير ، وتتضمن إثبات كل كمال له وكل جلال .

و « الله أكبر » : بمعنى أنه أجل مما نُفى عنه ، ومما أثبت له . ويندرج تحتها نحو الأعلى والمتعالى .

و « لا إله إلا الله » . وهى تدل على أن من كان فى الوجود هذا شأنه ، فلا يوجد من يشاكله أو يناظره ، فهو مستحق للعبودية . ويندرج تحتها نحو الواحد والأحد وذى الجلال والإكرام .

ثم قال : « فسبحان من عظم شأنه وعز سلطانه ، يسأله من فى السموات والأرض لافتقارهم إليه . كل يوم هو فى شأن ، لاقتداره عليه ، له الخلق والأمر ، والسلطان والقهر . فالخلائق مقهورون فى قبضته ، والسموات مطويات بيمينه . يعذب من يشاء ، ويرحم من يشاء ، وإليه تقلبون . فسبحان أزلى الذات والصفات ، ومحيي الأموات ، وجامع الرفات ، العالم بما كان وما هو آت » .

وبين بعد ذلك ، ما يجب على العلماء عمله ، وأن السلف لم يقصروا فى الدعوة ، والنهى عن المنكر . ومن أفضل المعروف التوحيد والتنزيه .

وتطرق إلى التفرقة بين كلام الله القديم ، والكلام المدون فى المصاحف بالمداد وقال إن كل شيء مصدره الله سبحانه وتعالى ، وهو الخالق المسبب ، وما الماء والنار وأمثالها إلا أسباب . وقد قال تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . وقال : « وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا » .

هذا وقد كتبت المقالة بأسلوب سهل لطيف واضح كثير الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية المناسبة . وقد استغرقت نحو ثلاث ورقات متوسطة الحجم .

٢ — مسائل الطريقة فى علم الحقيقة المشهور بالستين :

تصفحت مجموعة محتوية على ما يأتى :

١ — تحفة الأخوان فى آداب الطريق : تأليف العارف بالله أحمد بن محمد الدردير .

٢ — مسائل الطريقة فى علم الحقيقة ، وهو المشهور بالستين . تأليف عز الدين ابن عبد السلام .

(٣) منظومة فى آداب الطريق للعارف بالله أبى يزيد البسطامى .

ويهمنا هنا الكلام عن «مسائل الطريقة» لعز الدين بن عبد السلام فنقول:

مسائل الطريقة أو الستون ، عبارة عن ستين مسألة أوسؤال فى أمور تصوفية خلقية ، مع جواب كل منها . والأسئلة والأجوبة كلاهما مختصر موجز . والأجوبة طريفة كأسئلتها . ومنها سؤال فى الإيمان . وسؤال فى تأويل « لاحول ولا قوة إلا بالله » وسؤال فى الفرق بين الإسلام والإيمان . وهكذا . ولم يزد هذا الكتيب عن ثلاث ورقات .

ومن أمثلة ذلك قوله :

١ — « مسألة » : إذا قيل لك : « ما الإيمان . وما رأس الإيمان . وما وسط الإيمان . وما شجرة الإيمان ، وما ماء الإيمان . وما نهر الإيمان »

« فالجواب » : أن تقول : « الإيمان هو الصدق . ورأسه التقوى . ووسطه الطاعة واليقين . وعروقه الصلاة والإخلاص . وشجرته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وغصنه التوحيد . وثمرته الزكاة . وأرضه المؤمنون . وماؤه كلام الله . ونهره العلم . »

٢ — « مسألة » : إن قيل لك : « لكل شىء جوهرة ، وجوهرة الإنسان العقل . وما جوهرة العقل » . فقل : « جوهرة العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب عند مطالعة الغيوب . وأصل الطاعة الورع . وأصل الورع التقوى . وأصل التقوى محاسبة النفس بالخوف والرجاء من الله تعالى . »

هذا وكثير من الأجوبة — على طرافته — فى حاجة إلى شرح وإبانة . ولعل هذا نتيجة للإيجاز الشديد ووجود ألفاظ اصطلاحية صوفية فى عبارته . ومثال ذلك :

١ — « مسألة » : إن قيل لك : « ما الذى يجب على الشيخ فى حق المريد . وما الذى يجب على المريد فى حق الشيخ » .

« فالجواب » : أن تقول : « على الشيخ ثلاثة أشياء : التسليك فى البداية ، والتبليغ فى النهاية والحفظ فى الرعاية ـ والمريد يجب عليه ثلاثة أشياء : « امتثال أمره وكتمان سره وتعظيم قدره » .

٢ ـ « مسألة » : إن قيل لك : « الجهل على كم قسم » . فقل : « على قسمين: جهل مركب وجهل بسيط . فالجهل المركب هو اعتقاد أمر على خلاف ما هو عليه والجهل البسيط هو عدم إدراك أمر من الأمور بخلاف المركب . وهكذا » .

٣ ـ حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

للشيخ عز الدين كتاب فى التصوف بهذا الاسم ، مطبوع مع كتاب للشيخ زكريا الأنصارى اسمه « فتح الرحمن بشرح رسالة الولى رسلان » ، بمطبعة جريدة الإسلام بمصر عام ١٣١٧ هـ . وقد جُلدا فى مجلد واحد وهو تحت رقم ١٨٤ باب التصوف والأخلاق بدار الكتب بالمنصورة .

وكتاب «حل الرموز ومفاتيح الكنوز » لعزالدين بن عبد السلام يقع فى نحو ٨٦ صفحة من القطع المتوسط .

وقد تصفحت هذا الكتاب . وموضوعه تصوفى خلقى إسلامى . وقد دفع المؤلف إلى تأليفه ما رآه من بعض المعترضين على الصوفية ، وعلى من تأخذهم أحوالها ، فيتفوهون بعبارات غريبة المجازخفية الكناية بعيدة التأويل،أو يظهرون بمظهر مضطرب يأباه الذوق وترفضه الكياسة ، أوقد يناقض الشريعة وظاهرها .

ـ فأحب أن يبين لهؤلاء المعترضين سبب هذا التجوز أوالاضطراب أو التناقض وأن يفصح لهم عن كنه هذه الرموز ويجلّى لهم حلها حتى لا يتورطوا فى شىء لا يعلمون حقيقته ، وينزلقوا إلى حكم جائرعلى مظاهر لايدركون سره ، ولايسبرون غوره ، ولم يطلعوا على باطنه .

وقد قال فى المقدمة فى معرض الاستدلال ، الحكاية التالية :

« وقد بلغنى عن « قضيب البان » بالموصل ، وكان عظيم الشأن ، وكان قد برز للناس بالوله والاختلال وترك الصلاة لا يأوى إلا المزابل ، ولا يتوقى النجاسة .

والناس متحيرون فى حاله مختلفون فى أمره . فقوم يقولون : زنديق . وقوم يقولون صدّيق . فبينما يوم من الأيام ، كان قاضى المدينة مارا إذ رآه على مزبلة ، وقد بال على ساقيه . فقال القاضى فى نفسه . وتبا لمن جعلك صديقا ، وما أنت إلا زنديق، فما استتم الخاطر ، حتى قال قضيب البان: « يا قاضى ! قد أحطت بجميع علم الله » ؟ قال له : « لا والله » قال « فأنا من ذلك العلم الذى لا تعلمه ، وما عليك إن كنتُ صديقا أو زنديقا » .

فلهذه الحالة وأشباهها ، وما يكتنفها عادة من غموض وما يلابسها من عبارات مبهمة على أهل الظاهر ألف الشيخ عز الدين كتابه هذا . وقد قال بعد أن سرد القصة السالفة :

« فلما رأيت هذه الأقوال الصادرة عن أهل الأحوال ، وقد أشكل على الأفهام تعليلها ، وعزب عن الأوهام تأويلها ، أحببت أن أشرح منها ما انشرح له صدرى ، وسنح به فكرى ، وبلغ إليه قدرى . وذكرت فيه من العبارة ماليس فيه استعارة ، وقدمت ذكر هذه الأحاديث وما معها من الألفاظ المأثورة عن الرجال ، وجعلتها أسا للكلام وبينة لثبوت الأحكام لتكون منوالا أنسج عليها ما كان حالا لا محالا ، وسميتها « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » وإنما سميتها بهذه التسمية لأنها تشير إلى المقام الأشرف المعروف منه « كنت كنزا لا أعرف » .

ويشتمل الكتاب على عدة فصول مكتوبة بأسلوب جذاب واضح وضوحا نسبيا ، على الرغم من خطورة موضوعاته وصعوبتها على أهل الظاهر أمثالنا . . . وهو يسجع أحيانا إذا صفا له السجع ، ويسترسل إذا طاوعه اللفظ ، وسهل به توضيح المعنى . ويستشهد بآى القرآن أو كلام النبى عليه السلام ، ويفسر ويشرح أحيانا، ويستنبط أحيانا أخرى، كما يستشهد ببعض العبارات والأشعار المأثورة وقد يسوقه وجد ما هو بصدد شرحه من معانى فيأدُب ويخف ويظرف ، ويسوق لنفسه الأبيات الشعرية الطريفة من باب الاستشهاد والتدليل . وهو ـ مع ذلك ـ بعض الأحيان تغلبه العبارات المنطقية .

وأهم ما تناول الكلام عنه فى الفصل الأول : بيان الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان . وشرح معنى التوبة وأقسامها .

وتكلم فى فصل عن العقبات الستة التى لا بد من قطعها حتى يصل المرء إلى منازل القربات . وبيّن ما يترتب على تخطى كل عقبة من فتوح . . وهى على التوالى: فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية ، وفطم النفس عن المألوفات العادية ، وفطم القلب عن الرعونات البشرية ، وفطم السر عن الكدورات الطبيعية ، وفطم الروح عن التجارات الجسية ، وفطم العقل عن الخيالات الوهمية . .

وتكلم فى فصل عن فناء المحب فى المحبوب وطريقة ذلك وعما تبعه من فيض ، مفسرا قول النبى عليه السلام . مخبرا عن الله سبحانه « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا وفؤادا » .

وقد سار فى بقية الفصول موضحا ضروبا من عقائد الصوفية . وكلها تدور على تحليل الصلة بين العبد وربه وبيان حقيقتها وكيفيتها — ولا يمكننا تفصيل كل ذلك فى هذا المقام .

مختارات مما قاله فى هذا الكتاب :

١ — فى بيان الفرق بين العلم والعمل والحال :

اعلم أن العلم مقدمة، نتيجتها العمل . والعمل مقدمة نتيجتها الحال . . فالعلم والعمل كسبى ، والحال وهبى . قال الله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » فالمجاهدات بالعلم والعمل . والهداية مواهب الله تعالى فى الأحوال . وهذا معنى قوله عليه السلام . « من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالا يعلم» . فالذى أورثه الله لعبده لم يكن من كسبه ، بل بفضل الله وبرحمته . وبذلك منّ الله على نبيه عليه السلام ، فقال : « وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » .

٢ — فى بيان الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان .

« ثم اعلم أن مراتب السلوك إلى منازل الملوك ثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان . فالإسلام أو مراتب الدين لعامة المؤمنين . ثم الإيمان أول مدارج

القلب لخاصة المؤمنين . ثم الإحسان أول معارج الروح لخاصة المقربين . »

وقد أورد بعد هذه العبارة، تدليلا عليها ، حديث عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما أتاه جبريل على هيئة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر . . . وجلس إليه يسأل عن الإسلام فقال له النبي عليه السلام : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلا » . . ثم سأله عن الإيمان فقال النبي عليه السلام : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره » : ثم سأله عن الإحسان فقال له عليه السلام : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ثم قال فى موضع آخر : « فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أن أدب السلوك فى خدم الملوك ثلاثة ، فالإسلام قيام البدن بوظائف الأحكام . والإيمان قيام القلب بوظائف الاستسلام . والإحسان قيام الروح بمشاهدة الملك العلام . » .

٣ — وقال من فصل يوضح بعض الحالات عند من تخطى العقبات الست :

« هنا لك تغيب بما تشاهد من اللطائف الأنسية عن الكثائف الحسية . فإذا أرادك لخصوصية الاصطفائية ، سقاك بكأس محبته شربة تزداد بذلك ظمأ ، وبالذوق شوقا وبالقرب طلبا وبالسكون قلقا . » — وبعد أن روى أبياتا شعرية مناسبة قال — وعباراته هنا تحتاج إلى روية فى فهمها — « فإذا تمكن منك هذا السكر أدهشك . فإذا أدهشك حيرك . فأنت ههنا مُريد . فإذا أدام لك تحيرك أخذك منك وسلبك عنك . فتبقى ثم مسلوبا مجذوبا ، فأنت حينئذ مُراد . إذ أنت معه بلا أنت وعنده بلا أين . مشاهدُه بلا كيف . فإذا فنيت ذاتك وذهبت صفاتك قام بصفاته عن صفاتك ، وببقائه عن فنائك . وخلع عليك خلعة « فبي يسمع وبي يبصر » . فيكون هو متوليك ومواليك . فإن نطقت فبأذكاره ، وإن نظرت فبأنواره ، وإن تحركت فبأقداره . فهنا لك ذهبت الاثنينية ، واستحالت

البينية . فإذا رسخ قدمك وتمكن سرك ، وحار سكرك قلت: « هو » . وإن غلب وجدك وتجاوز بك سكرك عن حد الثبوت قلت . « أنا » . فأنت فى الأول متمكن وفى الثانى متلون . ومن هنا أشكل على الأفهام حل رمز هذا الكلام . فقائل يقول: « زنديق فيقتل » . وقائل يقول : صدّيق فيحمل « وقائل يقول » مغلوب عليه فيهمل . فهو من حيث تحقيق حاله محقق فى عمله . والذى حكم فى قتله مصيب فى حكمه . إذ الشريعة لها حدود ، من تعداها أقيمت عليه الحدود . قال الله تعالى « تلك حدود الله فلا تعتدوها » والحقيقة لها شهود خارج عن طور هذا الوجود » إلى آخره . . — وفى هذا ما يكفى .

قبل أن نترك الكلام عن هذا العالم الجليل نذكر أن الروح الأدبية تبدو من خلال عباراته ، وإن كان ذلك بمقدار يسير . غير أن له نفس الأديب وطرب الأديب . ألا ترى أنه كان يسجع ويطابق ويجانس فى كلامه ويستشهد بالأشعار .. ثم ألا تسمع ما قاله فيه القطب البونى :

« وكان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار يحضر السماع ويرقص فيه »

هذا مع أنه صوفى ومؤلف فى التصوف وكان يحضر مجالس علماء الصوفية ويستمع من أبى العباس المرسى وأبى الحسن الشاذلى . ثم لعل الصوفى الخالص هو الأديب فى أسمى مراتبه . .

ولقد قال فيه ابن كثير أيضا : « كان لطيفا ظريفا يستشهد بالأشعار » .

هذا ، وقد ذكر السبكى فى طبقاته فى سياق ترجمة هذا الرجل أنه أنشد لنفسه بيتا على تلاميذه وطلب إليهم أن يجيزوه . وهو :

لو كان فيهم من عراه غرام ما عنفونى فى هواه ولاموا

فأجازه شمس الدين عمر بن عبدالعزيز بن الفضل الأسوانى قاضى أسوان فقال أبياتا منها .

لكنهم جهلوا لذاذة حسنه وعلمتها ولذا سهرت وناموا
لو يعلمون كما علمت حقيقة جنحوا إلى ذاك الجناب وهاموا

إلى آخـــرها . —

وقد قال السبكي بصدد البيت المذكور ، ولم يكن له من النظم غيره ، ولا أدرى هل نفهم من هذه العبارة أن ليس له شعر غيره مطلقا ، أو إلى ذلك الحين فقط أى حين إنشاد البيت لتلاميذه . . نقول ذلك لأن للشيخ عز الدين شعرا كثيرا فى كتابه « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » . ومنه قوله فى ص ١٦ بعد أن شرح كيفية اتصال النار بالماء فيصبح حارا مع بقاء حقيقته السائلة . قال « ولقد أشرت إلى ذلك فقلت » :

نار المحبة أحـرقت أحشائى ومـدامعى تنهل كالأنواء
فأنا الحـريق بأضلعى وأنا الغـــريق بأدمعى يا منقذ الغرقاء
ومن العجائب أن نار تحرقى تزداد وقدا عند فرط بكائى
فالنار والمــــاء القراح تآلفا هذا لعمرى أعجب الأشياء

وله فى الكتاب المذكور أشعار كثيرة على هذا النمط وهى متوسطة الجودة وكلها فى التصوف ، ولذلك تراها كثيرة المجازات خفية الكنايات كثيرة الزمور والاشارات .

للشيخ ابن اسمه « عبد اللطيف » ذكره السبكى فى طبقاته ج ٥ ص ١٣١ — توفى عام ٦٩٥ هـ .

« ترجمته فى طبقات السبكى الكبرى ج ٥ ص ٨٠ ، فوات الوافيات ج ١ ص ٣٦٦ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٤١ ، ٢٠١ ، ٢٤١ ، ١٩٢ ، و ج ٢ ص ١٠٩ ، ج ١ من ابن اياس ص ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١١٢ وسلوك المقريزى فى موضع عدة »

٢ — محيي الدين النووي ٦٣١هـ - ٦٧٦هـ

وهذا قطب آخر من أقطاب العلم، ومثل عال من أمثلة الورع والزهد، والدأب في سبيل إحياء مآثر الدين وعلوم الإسلام، والعكوف على الدرس والتحصيل، والبحث والاستقصاء، والانكباب على التصنيف والتدوين.

وهو ممن وهبوا النفس للعمل الصالح، ووقفوا الجهد على خير الناس، حتى أصبح قدوة يقتدى بها، وسراجا يستضاء به، ورأسا متبعا في جيله، وما بعد جيله.

اسمه: محيي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن حزام ابن محمد بن جمعة الحراني النووي، شيخ الإسلام.

مولده ووفاته: ولد بنوى إحدى قرى الشام، قرب دمشق. في المحرم سنة ٦٣١هـ وتوفى بها كذلك في ٢٤ رجب سنة ٦٧٦ هـ ودفن بها.

طرف من حياته:

يستخلص من سيرته، أن أباه كان مستوطنا بنوى. فولد محيي الدين بها. وقيل إنه لما بلغ السابعة، انتبه من رقدته في إحدى ليالي رمضان — وكان نائما بجوار أبيه — فقال. يا أبت! ماهذا الضوء الذي ملأ الدار؟ فأدرك والده أنها ليلة القدر، واستيقظ أهله جميعا، ولم يروا من الضوء شيئا..

لعل أبسط ما ندرك من قصة الضوء، أن النووي كان مبروك الطالع ميمون الحظ، موفقا، منذ صغره.

ويفهم من سيرته كذلك، أنه وهو صبي، كان عازفا عن ملاهي الصبيان،

أبيا على مشاركتهم فى مسلياتهم ، عيوفا عن أن ينغمر فى لغوهم ، مفضلا جانب الهدوء والسكينة ، على اللجاج معهم فى ألعابهم ، حتى كانوا يضطرون إزاء صمته وجموده ، إلى إكراهه على اللعب معهم . . . فكان يفر منهم باكيا . . . ولكن إلى أى شيء كان يفر ؟ كان يفر إلى قراءة القرآن . . .

هذه حالة تدعو — بلاريب — إلى الإعجاب بهذا الطفل الصغير . وتسوق المشاهدين إلى أن يتوسموا فيه الخير ، ويتوقعوا له المستقبل الكريم . فكان منهم من يتقدم إلى أبيه ، فيبشره ويوصيه به خيرا .

وهكذا حرص أبوه على العناية به ، حتى حفظ القرآن الكريم ، وختمه وقد ناهز البلوغ . فكان ذلك معينا له — بلا ريب — فى حياته الدينية الجليلة .

أخذ نفسه بالدرس والاطلاع ، والمواظبة على مجالس العلم ، والقعود إلى الأساتذة . مع رغبة ملحة فى التحصيل والفهم . غير مبال فى سبيل ذلك بتعب أو إجهاد. قيل إنه كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسا على مشايخه شرحا وتصحيحاً ، درسين فى الوسيط ودرسا فى المهـــذب ، ودرسا فى الجمع بين الصحيحين ، ودرسا فى صحيح مسلم ، ودرسا فى اللمع لابن جنى ، ودرسا فى إصلاح المنطق ، درسا فى التصريف ودرسا فى أصـــول الفقه ، ودرساً فى أسماء الرجال ، ودرسا فى أصول الدين [١] وقد قال عن نفسه . « وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ، ووضوح عبارة ، وضبط لغة ، وبارك الله فى وقتى »

لم يجد النووى عناء وجهدا فى توجيه نفسه هذه الوجهة ، وفى انتحائه هذا المسلك بل كان يجد لذة وسعادة ، لاتفاق هذا النهج مع ميوله وآماله .

وكان يستعين على نفسه وادخار وقته ، بالإقلال من الطعام ، والقناعة بالضئيل الخشن منه ومن الثياب . لا يثقلها بالترف ، أو يشغلها بمضاعفاته . .

---

(١) [illegible]

ثم كان لا بد له من الطواف والرحيل من مكان إلى مكان ، طلباً للحديث والفقه — وقد كان شافعي المذهب — فقدم إلى دمشق عام ٦٤٩ هـ ، وهو ابن ثماني عشرة سنة ، فسكن في الرواحية ، واكتفى بخبز المدرسة . وحفظ كتاب التنبيه في أربعة أشهر ونصف . وربع كتاب المهذب ، في بقية السنة ، وقرأه على شيخه كمال الدين بن أحمد . ثم يمم شطر الحجاز مع أبيه ، فأقام بالمدينة شهرا ونصفا ، مرض خلالها زمنا ، ثم عاد إلى الشام . وقد ولي عدة مناصب ، منها مشيخة دار الحديث عام ٦٦٥ هـ ، فلبث بها حتى توفي .

وقبل وفاته زار بيت المقدس ، وعاد إلى نوى ، فمرض عند والده ، وحضرته منيته في ٢٤ رجب عام ٦٧٦ هـ ، وهو في نحو الخامسة والأربعين من عمره .

قال الذهبي نقلا عن بعضهم : إن قبره ظاهر بنوى يزار . ـ كان ذلك على عهد الذهبي .

بعض صفاته وعلمه :

تطالعنا من سيرته بجملة صفات ، تحلى بها ، منها : الورع والزهد ، والعيوف عن الدنيا وملاذها ، والصبر على مشقات الحياة ، وما يتطلبه طلب العلم من ريث وجهد ورغبة جامحة في التزود للدار الآخرة بالعلم والعمل .

ولقد امتلأ رأسه بمعارف عصره من حديث وفقه وغيرهما ، فكان حافظ عصره وفقيه جيله ، ورأسا من شافعية زمانه .

وكان جريئا في الحق ، وفي الدعوة إليه ، سريعا إلى إرشاد الظالم ولو كان غشوما ، وقيل إنه أرسل إلى الملك الظاهر بيبرس ، شكوى ، يصف له فيها ما يعانيه أهل الشام من ضيق وضنك ، وفيها يطلب إليه الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . واشتط في نصيحته له ، حتى اضطر بيبرس إلى نفيه زمنا . وحكي عن الظاهر أنه قال : « أنا أفزع منه » .

هذا ، مع دأب في العبادة ، والتزام للذكر والحمد ، واشتغال بالتصنيف والتدوين ،

وقد نبه — كما أشرنا — فى الحديث والفقه ، وأضاف إليهما اللغة والمنطق والأصول . وخطر له الاشتغال بالطب وغيره من الكونيات ، فلم يجد فى نفسه إقبالا عليه ، فهجره إلى ما شغف به من علوم الدين واللغة . فسمع وتفقه ، حتى حدث وروى وأفتى ، وصنف وجمع وشرح . فكان آية فى كل خطوة يخطوها ، وقدوة فى كل مرحلة يرتحل إليها . حتى أحبه الناس ، وتبركوا به .

قال الذهبي ما مؤداه : « إن شيخه ابن فرح ، قال مرة : « إن الشيخ محي الدين قد صار إلى ثلاث مراتب ، كل مرتبة لو كانت لشخص ، لشدت إليه الرحال : العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » » .

وروى تاج الدين السبكى فى الطبقات ، أن أباه تقى الدين السبكى ، لما سكن فى قاعة الحديث الأشرفية ، كان يخرج فى الليل إلى إيوانها ، فيتهجد تجاه الأثر الشريف ، ويمرغ وجهه على بساطه ، حيث كان يجلس النواوى وقت درسه . وأنشد لنفسه :

وفى دار الحديث لطيف معنى … على بسط لها أصبو وآوى
عسى أنى أمس بحر وجهى … مكانا مسه قدم النواوى

بعض شيوخه :

سمع الحديث من الرضى بن البرهان ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصارى ، وزين الدين بن عبد الدايم ، وعماد الدين بن عبد الكريم . وشرح أحاديث الصحيحين على المحدث أبى إسحق إبراهيم المرادى . وأخذ الأصول عن القاضى التفليسى ، وتفقه على الكمال إسحق المعرى ، وشمس الدين عبد الرحمن الإربلى . وقرأ اللغة على الشيخ أحمد المصرى . وقرأ على ابن مالك النحوى كتابا من تصنيفه .

بعض تلاميذه :

تخرج به تلاميذ فضلاء ، كانوا علماء عصرهم ، منهم : الخطيب صدر الدين سليمان

الجعفرى ، وشهاب الدين أحمد بن جعوان ، وعلاء الدين بن العطار . وحدث عنه ابن أبى الفتح ، والمزى ، وابن العطار .

أقوال المؤرخين فيه :

قال الذهبى : « قال الشيخ قطب الدين اليونينى : كان أوحد زمانه فى العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش — وقال الشيخ شمس الدين بن الفخر الحنبلى : كان إماماً بارعاً حافظاً متقناً ، أتقن علوماً جمة وصنف التصانيف الجمة ، وكان شديد الورع والزهد » . وقال ابن العطار : ذكر لى شيخنا — رحمه الله تعالى — يعنى النواوى — أنه كان لا يضيع له وقتا ، لا فى ليل ولا نهار ، حتى فى الطريق . وأنه داوم ست سنين ، ثم أخذ فى التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق . قلت : مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه ، والعمل بدقائق الورع ، والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ، ومحقها من أغراضها . »

وقال التاج السبكى عنه : « الشيخ العلامة شيخ الإسلام ، أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين ، والداعى إلى سبيل السالفين »

استدراك على السبكى :

قال تاج الدين السبكى فى طبقاته يصف النواوى ومؤلفاته ، فى سياق ترجمته له ، فقال بالنص :

« لا يخفى على ذى بصيرة ، أن لله تبارك وتعالى ، عناية بالنووى وبمصنفاته . ويستدل على ذلك بما يقع فى ضمنه من فوائد حتى لا تخلو ترجمته من فوائد . فنقول : « وربما غيّر لفظا من ألفاظ الرافعى ، إذا تأمله المتأمل ، استدركه عليه . وقال : لم يف بالاختصار ولا جاء بالمراد » . ثم نجده عند التنقيب قد وافق الصواب ونطق بفصل الخطاب . وما يكون من ذلك عن قصد منه ، لا يعجب منه ، فإن المختصر ربما غير كلام من يختصر كلامه لمثل ذلك . وإنما العجب من تغيير يشهد النقل بأن لم يقصد إليه . ثم يقع فيه على الصواب » .

ثم ضرب السبكي لذلك مثلا ، ما قاله الرافعي فى كتاب « الشهادات » فى فصل « التوبة عن المعاصى الفعلية فى التائب » قال الرافعي : « وإنه يُختبر مدة يغلب على الظن فيها أنه أصلح عمله وسريرته ، وأنه صادق فى توبته » ثم قال : « وهل تتقدر تلك المدة » ؟ . ثم أورد خلافا بين أصحاب المذهب على ذلك . فمنهم من لا يقدرها والمُعتبر فيها غلبة الظن بصدق التائب فتختلف باختلاف الأشخاص والظروف ومنهم من يقدرها ، وأكثر هؤلاء يقدرونها بستة أشهر .

ثم أورد السبكي كلام النواوى فى هذه المسألة ، فى كتابه « الروضة » حيث قال: « إن الأكثرين على تقدير المدة بسنة » . وواضح أن هناك خلافا بين تقريرى الرافعي والنووى .

ثم أورد السبكي جملة من آراء أهل المذهب ، خلص منها بأن أكثرهم على تقدير المدة بسنة . وهو مطابق لما قرره النواوى . ثم عقب السبكي على ذلك بقوله: فظهر حسن صنع النووى ، وإن لم يقصده ، عناية من الله تعالى به . . . .

اعتقادنا أن السبكي لم يوفق تماما فى عباراته التى وصف بها النواوى . وعناية الله غاية ما يتمناه المرء لنفسه ، ولكن ذكرها فى مقام البحث العلمى الذى مرجعه إلى ذهن الباحث وإحاطته بمتفرقات بحثه ، ودقة جمعها وملاءمته بينها ، وصواب استنباطه منها ، ودقة التعبير عن رأيه فيها ، يستر تحته غضا من هذا الذكاء .

ولعل كثيرين من الشافعية ، وكثيرين من غيرهم أيضاً ، يدفعهم إلى مثل هذا الضرب من التقدير — وهم بصدد الحديث عن النووى — كثرة مؤلفاته ، وسعة محيطه ، وعمق نظرته ، وحضور بديهته ، وتوفيقه فى تعبيره . وهى مزايا لا يتسع لها مثل هذا العمر القصير ، الذى عاشه النووى ، وهو خمس وأربعون سنة .

مؤلفاته :

للنووى جملة من المؤلفات ، تعتبر فى طليعة المؤلفات الدينية فى الفقه والحديث وهى أسس ودعائم فى فقه الشافعية ، بنى عليها أئمة المذهب من بعده . فتناولها كثيرون منهم بالشرح والتفصيل ، أو الاختصار ، وبخاصة كتاباه : المنهاج والروضة

وقد عنى هو نفسه ، بكتب المتقدمين من أئمة مذهبه ، فتناول بعضها ، تصحيحا أو شرحا أو اختصارا ، مثل كتب الرافعى وأبى إسحق الشيرازى .

هذا عدا ما كتبه فى التصوف ونحوه .

وفى دار الكتب المصرية عدد من مؤلفات النووى ، منها مخطوطات طبعت ، ومخطوطات لا تزال بدون طبع . فمن المطبوع ، اعتمادا على فهرس الدار ، ومعجم سركيس ، ما يلى :

١ — الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار فى التصوف . ٢ — الأربعون حديثاً النووية ٣ — الإيضاح فى المناسك ٤ — التبيان فى آداب حملة القرآن فى التصوف ٥ — الترخيص والقيام لذوى الفضل والمزية من أهل السلام ، ٦ — تصحيح التنبيه ، ويسمى « عمدة المفتى والطالب النبيه فى تصحيح التنبيه » . والتنبيه كتاب لأبى اسحق الشيرازى فى الفقه ٧ — التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ، فى أصول الحديث ، لخص به كتابه الذى اختصره من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح . ٨ — تهذيب الأسماء واللغات . ٩ — حلية الأبرار وشعار الأخيار فى تلخيص الدعوات والأذكار ، ويعرف بأذكار النواوى فى التصوف. ١٠ — روضة الطالبين وعمدة المفتين : فى الفقه . ١١ — رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : أحاديث صحيحة فى الترغيب والترهيب والزهد ورياضة النفس . ١٢ — مقاصد النووى : فى التصوف ونحوه ١٣ — منهاج الطالبين وعمدة المفتين: مختصر لكتاب المحرر فى فقه الشافعى . ومعه كتاب « الدقائق » للمؤلف فى شرح منهاجه . ١٤ — المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج : فى الحديث وهو مطبوع على هامش شرح البخارى للقسطلانى . ١٥ — المجموع وهو فى شرح مهذب الشيرازى الرافعى ، فى الفقه ، لم يتمه . « سنشير إليه عند ترجمة التقى السبكى »

ومن المخطوط .

١ — بستان العارفين : فى التصوف ، ٢ — حزب النووى : فى التصوف — ولعله حلية الأبرار . ٣ — التحرير : فى الفقه ، وشرح فيه ألفاظ كتاب « التنبيه »

لأبي إسحق الشيرازي — ولعله «تصحيح التنبيه». ٤ — شرح المهذب: في الفقه. والمهذب لأبي إسحق الشيرازي. ٥ — فتـــاوى النووي: في الفقه. ٦ — المنثورات وعيون المسائل المهمات: في الفقه — لعلها الفتاوى المذكورة. ٧ — مقدمة شرح المهذب للشيرازي. ٨ — خلاصة الإحكام من مهمات السنة وقواعد الإسلام: في الحديث.

وذكر له الذهبي جملة من المؤلفات، لم يرد ذكرها فيما سبق، وهي:

١ — الإرشاد في علوم الحـــديث. ٢ — التقريب مختصر الإرشاد ٣ — المبهمات ٤ — المناسك؛ وله ثلاثة كتب في المناسك، غير كتابه الأول المسمى «الإيضاح في المناسك» ٥ — شرح قطعة من صحيح البخاري ٦ - شرح قطعة من الوسيط ٧ — قطعة في الأحكام. لعلها «خلاصة الإحكام» المذكورة فيما سبق: ٨ — مسودة في طبقات الفقهاء.

ملحوظة: توجد مؤلفات كثيرة تتصل بمؤلفات النواوي، شرحا لها أو اختصارا أو تعليقا أو نحو ذلك. وضعها علماء أفاضل منهم التقي السبكي والبدر الغزي وابن قاضي شهبة والسيوطي. فنلفت إليها النظر. وكثير منها مطبوع، وموجود بدار الكتب المصرية، «راجع الفهرس، باب الحديث والفقه والتصوف».

التعريف ببعض مؤلفاته:

١ — رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين:

تصفحت نسخة من هذا الكتاب، بمكتبة معهد الاسكندرية الديني؛ وهي مطبوعة بمكة عام ١٣٠٢ هـ، في حجم كبير وورق أصفر تبلغ صفحاته نحو ٢٣٩.

أما موضوع هذا الكتاب، فكما ذكره النواوي في مقدمته إذ قال: «رأيت أن أجمع مختصرا من الأحاديث الصحيحة، مشتملا على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة، ومحصلا لآدابه الباطنة والظاهرة، جامعاً للترغيب والترهيب، وسائر أنواع آداب السالكين، من أحاديث الزهد، ورياضات النفوس، وتهذيب

الأخلاق ، وطهارات القلوب ، وصيانة الجوارح وإزالة اعوجاجها ، وغير ذلك من مقاصد العارفين . . . الخ».

فهو كتاب جامع لكثير من أحاديث الرسول عليه السلام ، فى موضوعات مختلفة يجمعها كلها أنها تروض النفوس وتهذب الأخلاق وتبصر المرء بخير مسالك الحياة وأبرها وأشرفها ، حتى ينجو من شرورها ، ويحظى بالنعيم فى آخرته .

وقد التزم المؤلف ، ألا يذكر فيه ، إلا حديثاً صحيحاً منسوباً إلى مصدره من كتب الحديث الصحيحة . ولم يُعن بتدوين الإسناد ، وذكر الرواة ، إلا الأقربين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد أكثر من النقل من صحيحى البخارى ومسلم.

وكثيرا ما يفتتح الفصل بذكر ما اتصل به من آيات قرآنية ، فيروى آية أو أكثر ، ثم يثنى برواية الأحاديث المتصلة بهذا الفصل ، وكثيرا مايخلل ذلك بشروح قيمة من عنده فى الموضوع .

والرجل بجانب أنه محدث ، فقيه وزاهد . لهذا ظهرت خصوصياته الثلاث فى كتاب « رياض الصالحين » ولعل امرأ يظن أنه يرسم للناس طريق الزهادة ، على نهج الصوفية . والواقع أنه كان فى كتابه هذا ، محدثا أولا فالكتاب ، لهذا ، كتاب حديث . يخلله بشروح شتى تفصل مسائل عدة من الأحكام الشرعية . فهو بعدُ ، كتاب فقه . وإذا نظرنا إلى موضوعه ، وهو الحديث فى الزهد عن الدنيا والعزوف عن مباهجها ومتاعها ، رأيناه فى النهاية كتاب تصوف ولكنه تصوف من النوع الشرعى السهل الانسانى ، الذى لا تعقيد فيه .

وأسلوب الكتاب سهل لطيف واضح المعانى ، يحلو للقارىء أن يخلو بنفسه حينا ، ويقرأ فصوله للعظة المسلية ، والتعليم المحبوب .

وفيه فصول كثيرة ، منها فصول فى العبادات والأخلاق : كالتوبة والصبر ، والصدق ، والتعاون على البر والتقوى ، والوصية بالنساء ، وحق الزوج على امرأته ، والنفقة على الأولاد ، وحق الجار ، وبر الوالدين ، والخوف والرجاء ، والزهد والقناعة والكرم ، واستحباب العزلة . ومنها فصول فى الطعام وتناوله ، والثياب وما يتصل بها ، وآداب السفر ، والاستئذان . إلى غير ذلك .

٢ — الأربعون حديثا النووية :

من الكتب المشهورة طبع ، ومنه نسخ مخطوطة بدار الكتب .

وقد ألفه النووي استجابة لقول الرسول صلوات الله عليه : « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها ، بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء » . فدوّن أربعين حديثا من الأحاديث النبوية الشريفة التي يحفظها .

وقد استجاب لهذه الدعوة كثير من العلماء غير النووي ، ولهذا ترى عددا محمودا من كتب « الأربعين حديثا » ، تزدان بها مكتبة الحديث . وفي مقدمتها كتاب النووي ، وليس أول كتاب من نوعه . فقد تقدمته كتب عدة .

غير أن النووي خالف من تقدموه فيما سجّله من الأحاديث . فقد رأى بعضهم جمع أحاديثه في الأصول ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، إلى غير ذلك . أما هو فقد رأى أن تكون أحاديثه عامة شاملة لأنواع كثيرة . وكل حديث منها قاعدة جليلة من قواعد الدين .

وقد التزم النواوي في أحاديثه الأربعين أن تكون صحيحة ، معظمها مما رواه البخاري ومسلم ، ذكرها بلا أسانيد ، إلا راويها الأول عن الرسول عليه السلام . وأول هذه الأربعين قول الرسول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » .

٣ — منهاج الطالبين وعمدة المفتين :

توجد من هذا الكتاب ، في دار الكتب المصرية عدة نسخ مخطوطة ، وأخرى مطبوعة ، منها المطبوع في مصر ، والمطبوع في غيرها .

تصفحت نسخة مطبوعة في بتيفيا عام ١٨٨٢ م ، ٨٣ ، ٨٤ ، في ثلاثة مجلدات ، كل مجلد في سنة ، على التوالي ، بإشراف أحد الإفرنج وهو « فاندنبرج » وحروفها العربية ضخمة . وبها ترجمتها وتعليقات عليها باللغة الفرنسية .

والكتاب – كما قال مؤلفه – مختصر لكتاب آخر هو « المحرّر » للإمام أبي القاسم الرافعي ، في فقه الشافعية . وقد رأى النواوي أن كتاب الرافعي المذكور ، على أهميته العظيمة ، ضخم الحجم يحتاج إلى الاختصار . فاختصره ، ولكنه راعى في اختصاره جملة أمور ، منها أنه ضم إليه بعض النفائس المستجادة ، التي لا توجد في الأصل ، ومنها التنبيه على قيود في بعض المسائل ، وكانت هذه القيود محذوفة من الأصل . ومنها النص على بعض مواضع ذكرها الرافعي في محرره ، مخالفا فيها المختار من المذهب . ومنها إبدال بعض ألفاظ « المحرر » مما يُعد غريباً أو موهما غير الصواب . ووضع مكانها ألفاظا وعبارات ، أكثر وضوحا ، وأشد اختصارا . وقد وضع النووي بجوار هذا جملة من الألفاظ الاصلاحية التي تعبّر عن وجهات النظر المختلفة في الأحكام .

وقد سار في كتابه وفق المعهود في كتب الفقه ترتيبا للأبواب والفصول ، فأولها مثلا : كتاب الطهارة وأسباب الحدث ، فباب الوضوء فالمسح على الخفين ، فالغسل . . . الخ .

وأسلوب الكتاب سهل ميسور الفهم ، وإن كان محتاجا إلى شيء من المرانة والمعالجة ، من بعض القراء ، لما فيه من مصطلحات في اللفظ والأسلوب .

٤ – كتاب الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار :

ويعرف « بالأذكار النووية » ، وهو كتاب في حديث رسول الله عليه السلام ، مما يتعبد به أحيانا ، أو مما يستحسن قوله ، أو عمله في مناسبات الحياة ، غير العبادات المفروضة . كاستقبال النوم أو الذهاب إلى دار الخلاء ، أو التطهر أو الإملاك ، أو الدخول بالزوجة أو نحو ذلك من الشئون الخاصة . يصف النواوي ماينبغي انتهاجه من العمل ، أو التفوه به من القول ، في كل مناسبة من هذه المناسبات . ثم يتبع هذا الوصف بالمأثور عن الرسول من قول أو عمل ، في مثلها .

وقد اعتمد النواوى على كتب الحديث الخمسة : البخارى ومسلم وأبى داود ، والترمذى والنسائى ، فاستخرج من صحيحها أحاديثه المختارة فى كل مقام .

وهذا الكتاب مطبوع على ورق أصفر، وهوكثير الأبواب لطيف الأسلوب جم النفع جليل الإرشاد .

٥ — بستان العارفين

هذا كتاب لا يزال مخطوطا ، وهو موجود بدار الكتب المصرية . ولكنه قليل الحجم .

أما موضوعه ، فيخيل لقارىء العنوان أنه فى التصوف ، يرشد إلى طريقه ، وينبه إلى أحواله ، ويسير به إلى الشهود . والحق أنه كتاب يمتزج فيه تفسير القرآن الكريم مدعما بالحديث النبوى وشرحه .

وقد رأى المؤلف أن الدنيا دار فناء لا بقاء ، ومرحلة نفاد لا اخلاد . فالعاقل من تزود منها إلى آخرته ، وزهد فى متاعها ورغب عن زخارفها الخادعة .

وأراد أن يرسم للعابد الزاهد طريق السلوك . ويدله على سبيل التخلق بالأخلاق الجميلة الفاضلة . ويزوده بجمل من نفائس اللطائف وحقائق المعارف ، تعينه على بلوغ أربته ، والوصول إلى طلبته .

وقد سلك المؤلف بأسلوبه سـبيل الوضوح ، فلا معاظلة ولا تعقيد ولا مصطلحات . ويسوق الآيات القرآنية فى مناسباتها مصحوبة بتفسيرها، والأحاديث النبوية فى معناها ، مرفقة بأقاويل السلف والمأثور عن الأخيار من حكايات وأشعار . وعُنى فى السياق عناية خاصة بالأحاديث يبين صحيحها وحسنها وأحوال رواتها والخفى من مراميها ، والمشكل من معانيها ، إلى غير ذلك . على أنه لم يلتزم ذكر الإسناد فى كل حال . ويستطرد إلى مسائل ومشاكل كلامية يوضحها مثل مسألة كسب العبد .

فهو كتاب يهدى إلى الطاعة ، ويعالج أدواء النفس، ويسمو بها مستعملا التعاليم الشرعية . ومن أبوابه على سبيل المثال : « ١ » باب فى الاخلاص وإحضار النية فى جميع الأعمال الظاهرة والباطنة . « ٢ » باب فى كرامات الأولياء .

« ترجمته فى : (١) طبقات السبكى ج ٥ (٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٤ (٣) صدر كتابه « رياض الصالحين » (٤) فى ذيل الروضتين لأبى شامة « مخطوط بدار الكتب المصرية » (٥) المنهاج السوى فى ترجمة النووى للجلال السيوطى « لم نطلع عليه » (٦) طبقات الأسدى (٧) الفوائد البهية . (٨) مفتاح السعادة ج ١ . »

٣ـ تقي الدين بن دقيق العيد[1] ٦٢٥هـ-٧٠٢هـ

هو أحد رجال العصر البارزين الممتازين فى نواحى متعددة ، علمية وأدبية . ويعتبر أحد الأئمة المجتهدين .

وهو قاضى القضاة العالم العامل الراوية الخطيب الأديب ، الكاتب الشاعر المؤلف الفقيه ، الورع الزاهد العف ، أبو الفتح تقى الدين محمد بن على بن وهب ابن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى ، المعروف بابن دقيق العيد .

ولد بجهة ينبع يوم السبت ٢٥ شعبان عام ٦٢٥ هـ ، وتوفى يوم الجمعة ١١ صفر عام ٧٠٢ هـ .

ولد من أبوين كريمين . وأبوه الشيخ العالم مجد الدين بن دقيق العيد ، كان أحد فقهاء قوص . وقد توفى فى عهد الظاهر بيبرس .

نذر والده هذا من قوص بلده إلى الحجاز ، ليؤدى فريضة الحج ، فولد له ابنه تقى الدين فى طريقه بجهة ينبع . ولما بلغ مكة . حمله وطاف به حول الكعبة داعيا له الله أن يجعله من العلماء العاملين . فاستجاب الله دعاءه .

نشأ تقى الدين بمدينة قوص ، ببلاد الصعيد . وكانت ذات صيت علمى ذائع فى تلك السنين . نشأ جم العفاف ورعا مواظبا على الدرس والتحصيل ، دقيقا فى فهم القول وأداء العمل . وتفقه على مذهب مالك ، وكان مذهب أبيه . ثم عدل عنه إلى مذهب الشافعى ، حتى أصبح فيه حجة يقتدى به .

لم يقتصر نبوغ ابن دقيق العيد ، على الفقه فحسب ، بل تناول الحديث والأصول والنحو . وكذلك كان شاعرا محمود الشعر ، وكاتبا حسن الكتابة ، وواعظا بليغ العظة . كما يعتبر أحد فقهاء المؤلفين فى عصره . وكان كثير الاطلاع والتلاوة والتهجد ، يبلى فى ذلك ، جدة لياليه .

ولشدة ورعه وعفته ، طلب إليه تولى منصب قاضى قضاة الشافعية ، بعد وفاة

(١) كتبنا عنه كلمة فى باب القضاء ، بالجزء الأول من هذا الكتاب .

قاضيها تقى الدين بن بنت الأعز عام ٦٩٥ هـ ، فأبى إباء شديدا ، فهدد بأن يولى القضاء من لا يحسنه ولا يصلح له ، فرأى حينئذ أن العدالة تقضى عليه بأن يتقدم لحمايتها وولايتها . غير أنه عزل نفسه من القضاء مرات عدة ثم يعاد إليه . فلبث على ذلك زمنا ، حتى توفى عام ٧٠٢ هـ . (١)

وقد تثقف ابن دقيق العيد ، على عدد من كبار العلماء ، منهم أبوه ، ومنهم ابن المقير ، وابن رواح ، وابن الجيزى ، والسبط ، وابن عبد الدائم ، والزين المنذرى وقد سمع الحديث من هؤلاء .

وفى مقدمة شيوخه : عز الدين بن عبد السلام ، الفقيه المجتهد . واشتهر أن ابن دقيق ، كان أنبه تلاميذ الشيخ ، ووارث علمه واجتهاده وتقواه . ويعتبره بعضهم « العالم المبعوث على رأس السبعمائة » . وينسبون إليه كرامات كثيرة ، ذكر السبكى بعضها فى طبقاته .

وتخرج بابن دقيق كثير من الأئمة .

أقوال المؤرخين فيه :

قال فيه صاحب الطبقات : « الإمام شيخ الإسلام ، الحافظ الزاهد ، الورع الناسك ، المجتهد المطلق ، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل السادة الأقدمين ، أكمل المتأخرين ، وبحر العلم الذى لا تكدره الدلاء ، ومعدن الفضل الذى لقاصده منه ما يشاء . وإمام المتـــأخرين ، كلمة لا يجحدونها ، وشهادة على أنفسهم يؤدونها ، مع وقار عليه سيما الجلال ، وهيبة لا يقوم الضرغام عندها لنزال . هذا مع ما أضيف إليه من أدب أزهى من الأزهار . وألعب بالعقول — لا أدرى بين يدى هذا الشيخ ما أقول ، أستغفر الله — من العقار » .

وقال عنه أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى ما ملخصه : « لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجل منه فيما رأيت ورويت . وكان للعلوم جامعا ، وفى

(١) ذكر ابن إياس أنه توفى عام ٧٠٤ هـ .

فنونها بارعا مقدما فى معرفة علل الحديث على أقرانه ، منفردا بهذا الفن النفيس فى زمانه ، لا يشق له غبار ، ولا يجرى معه سواه فى مضمار . إذا قال لم يترك مقالا لقائل . وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من السنة والكتاب ، مبرزا فى العلوم النقلية والعقلية ، والمسالك الأثرية والمدارك النظرية » .

وقال عنه الشهاب محمود الحلبي : « لم ترعينى آدب منه »

ومدحه العلامة ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن التونسى المعروف بابن القوبع بقصيدة قال فيها :

صبا للعلم صبا فى صباه ... فأعلِ بهمة الصب الصبى
وأتقن والشباب له لباس ... أدلة مالك والشافعى

هذا . ومما يذكر فى سيرته أنه لما ولى القضاء ، امتنع عن أن يلبس الخلعة الحريرية التى اعتاد القضاة ارتداءها بهذه المناسبة ، وأمر بتغييرها إلى الصوف ، فاستمر ذلك تقليدا من بعده فى القضاء

كان الرؤساء يعظمونه . حضر مرة عند السلطان لاجين ، فقام إليه السلطان وقبل يده . . فلم يزد ابن دقيق عن قوله له : أرجوها لك بين يدى الله » .

وكان ابن دقيق معنيا بشئون منصبه ، وبنواب حكمه فى الأقاليم . وكان يكتب إليهم الرسائل المطولة يعظهم ويوصيهم بالعدل بين الناس ومراعاة الشريعة .

وكان كثير السكينة يفضل الصمت على الكلام ، حتى إنه لم يتصد لابن تيمية إيثارا للصمت على مناظرته ، وأنفةً من اللجاج فى الحجاج .

ولما مات ابن دقيق ، رثاه الشريف محمد بن محمد بن عيسى القوصى ، بقصيدة طويلة ، مطلعها :

سيطول بعدك فى الطلول وقوفى ... أروى الثرى من مدمعى المذروف

ومن أبياتها :

لو كان يقبل فيك حتفك فدية ... لفديت من علمائنا بألوف
أو كان من حمر المنايا مانع ... منعتك سمر قنا وبيض سيوف

ومنها :

يا مرشد النتيا إذا ما أشكلت طرق الصواب ، ومنجد الملهوف
من للضعيف يعينه أنى أتى مستصرخا يا غوث كل ضعيف
من لليتامى والأرامل كافل يرجونه فى شتوة ومصيف

هذا ، وللتقى بن دقيق العيد ، ولد يسمى « محب الدين » توفى عام ٧١٦ هـ ، كان مشتغلا بالعلم ، ودرس ببعض مدارس القاهرة [١]

مؤلفاته . « كما ذكرها السبكى وغيره » ويبدو لنا أن أغلبها مفقود . ومنها .

(١) الإمام : كتاب جليل فى الحديث . (٢) الإلمام ، وقد شرحه ولم يتم شرحه . (٣) إحكام الأحكام . وهو شرح لكتاب (عمدة الأحكام) تأليف عبد الغنى المقدسى . فى الحديث والفقه . (٤) شرح كتاب العنوان . فى أصول الفقه ، (٥) شرح مختصر ابن الحاجب فى فقه المالكية ، ولم يتمه . (٦) شرح مختصر التبريزى . فى فقه الشافعية . (٧) علوم الحديث . (٨) شرح مقدمة المطرزى . فى أصول الفقه . (٩) كتاب الأربعين فى الرواية عن رب العالمين (١٠) ديوان خطبه .

التعريف ببعض مؤلفاته :

١ - إحكام الأحكام :

هذا الكتاب شرح لكتاب آخر هو « عمدة الأحكام » لمؤلفه العلامة الحافظ عبد الغنى بن على بن مسرور المقدسى الجماعيلى الدمشقى الشافعى ، المتوفى عام ٦٠٠ هـ.

و « العمدة » يحتوى على مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة ، مذكورة رواتها . مبوبة أبواب الفقه . مثل باب الطهارة ، وباب الوضوء ، وباب التيمم . وقد تناوله كثير من الشراح بالشرح والبيان . ومنهم ابن دقيق العيد .

١ - ذكره السبكى فى الطبقات جـ ٦ ص ٢٤١ ، والسيوطى فى حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٧

وقد شرحه ابن دقيق فى كتابه « الإحكام » المذكور بأسلوب سهل واضح ، حسن التقسيم لطيف الترتيب . إذا تصدى لحديث ، أوضح ألفاظه ومعانيها ، وتكلم عن ضروب البيان فيه ، وما يستنبط منه من الأحكام . وذكر أقوال الفقهاء فيه ، واتفاقاتهم أو اختلافاتهم حياله ، واتجاهاتهم فى الاستنباط منه . وهكذا .

وعند إبداء رأيه فى مسألة ما ، يستشهد بكثير من الأدلة ولا سيما آيات القرآن الكريم وتفاسيرها ، وما فهمه منها رجال السلف الصالح .

وأسلوب الكتاب مرسل لا قيود فيه، سوى ألفاظ اصطلاحية قليلة، لم تخرجه عن وضوحه وسهولة تناوله .

وقد أملى ابن دقيق العيد ، هذا الكتاب على تلميذه الشيخ عماد الدين بن الأثير الحلبي الشافعى ، بطلب منه .

ويقع فى أربعة أجزاء ، عنى بنشره للمرة الأولى إدارة الطباعة المنيرية بمصر عام ١٣٤٢ هـ . وعلق عليه « محمد منير عبده » أغا النقلى الدمشقى الأزهرى .

٢ — فتاوى ابن دقيق :

لابن دقيق جملة من الفتاوى والمباحث ، والفوائد القصيرة ، ولكنها على ما يبدو ليست بالكثرة التى تنهض بها مذهبا ، أو حتى تجتمع فى كتاب مبوب فى أبواب فقهية كاملة على نمط فتاوى ابن تيمية مثلا ، فهى لا تعدو أن تكون آراء فى الفقه والأصول والحديث ، أكثر فيها من إيراد آراء الفقهاء ، والترجيح بينها ، والأدلاء برأى فيها .

وقد أورد السبكى فى طبقاته نموذجا لها ، بعضها فى مسائل الطلاق . وقد قال فى أولها : « فوائد الشيخ تقى الدين ومباحثه أكثر من أن تحصى ، ولكنها غالبا متعلقة بالعلم من حيث هو حديثا وأصولا وقواعد كلية »

ابن دقيق الأديب :

من يقرأ عن ابن دقيق ، ويسمع عن شهرته فى عالم الفقه والقضاء ، وفى عالم

الزهد والنسك ، تروعه هذه الشهرة عن أن يمى أن لابن دقيق الفقيه الشافعى الضليع ، نشاطا محمودا فى عالم الأدب والكتابة ، والشعر . ولو لم يتجه ابن دقيق هذا الاتجاه العلمى الدينى ، وينفق فيه جل مجهوده ، لجرفه الأدب فى تياره ولأصبح رأسا من رءوس الأدب شعراً وكتابة فى عصره . وما ذلك إلا لأن فيه روح الأديب وظرفه وكياسته ، وخفته ورقته وحساسيته وإنتاجه .

ولعل أظهر ضروب أدبه ، خطابته فقد كان خطيباً منشئاً ينزع فى خطابته إلى العبارات المؤثرة التى تثير فى النفس حماسة وعاطفة . وطبيعى أن يكون متجها فى هذه الخطابة إلى الناحية الدينية ، لذلك يعتبر واعظا دينيا ممتازا . فإذا ارتقى منبرا فى يوم جمعة ، مثلا سمعت منه العظة البالغة والمثل الأخاذ والحكمة العالية ، مع توجيه النظر إلى المساوىء العامة وبيان طرق تلافيها ، والدعوة إلى الله واتباع دينه الكريم والإشادة بما يلقاه العبد المؤمن من مولاه من حسن الثواب وجمال العاقبة ، وما يلقاه العاصى من عذاب وسوء مصير وقد ذكر السبكى أن لابن دقيق ديوان خطب معروفا .

ومن مظاهر نزعته الخطابية تلك الرسائل البليغة التى كان يدبجها إلى نواب حكمه بالأقاليم حينما كان قاضيا يعظهم فيها ويدعوهم إلى مراعاة العدل وتلافى الظلم ، ومراقبة الله فى الأحكام ، والفصل بين الناس بالحسنى .

وقد قلنا إنه نزاع إلى اللهجة الخطابية المثيرة للعاطفة ، وكان إلى جانب ذلك يعتمد على الأسلوب الأدبى الكتابى المرعى فى عصره ذى السجع المقصود والفقار الطويلة ، والذى يكثر فيه الاستشهاد والاقتباس والتضمين وما إلى ذلك من بديع . ومع ذلك لم أجد فيه إلا مايشوق غير مستشمر مللا لبدو الإيمان منه والإخلاص .

ومن مظاهر نزعته الخطابية أيضاً وحبه لبث العظة والعبرة للناس ، ما كتبه فى صدور مؤلفاته من خطب عظيمة القيمة جليلة النفع يبين فيها مزايا العلم ومنزلة الرسول عليه السلام ومزايا الدين ، ثم الحاجة التى دعته إلى التأليف . . وإليك بعض نماذج من نثره تدل على هذا كله .

١ — ذكر السيوطى فى حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٣ ابن دقيق العيد وقال مما ذكره : « ومن لطائفه ما كتب إلى نائبه باخميم :

صدرت هذه المكاتبة إلى مجلس مخلص الدين ، وفقه الله تعالى لقبول النصيحة ، وأتاه لما يقربه إليه قصدا صحيحا ، ونية صحيحة : أصدرناه إليه بعد حمد الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويمهل حتى لا يلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور . ونذكره بأيام الله . وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون . ونحذره صفقة من باع الآخرة بالدنيا فما أحد سواه مغبون . عسى الله أن يرشده بهذا التذكار وينفعه ، وتأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار فإنى أخاف أن يتردى فيخرّ من ولاه معه والعياذ بالله . والمقتضى لإصدارها ماحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب ، ومن تقاعد الهمم مما يجب للرب على المربوب . ومن أنسهم بهذه الدار وهم يزعجون عنها ، وعلمهم بما بين أيديهم من عقبة كئود وهم يتخففون منها . ولا سيما القضاة الذين تحملوا أعباء الأمانة على كواهل ضعيفة ، وظهروا بصور كبار وهمم نحيفة . ووالله إن الأمر عظيم ، والخطب جسيم ولا أرى مع ذلك أمنا ولا إقرارا ، ولا راحة ولا استمرارا . اللهم إلا رجلا نبذ الآخرة وراه ، واتخذ إلهه هواه ، وقصر همه وهمته على حظ نفسه ودنياه » إلى آخر ما قال ·

« وسنوردها بتمامها فى باب الوعظ بعون الله فى الجزء الرابع

٢ — وذكر السبكى فى طبقاته ج ٦ ص ١٣ ، خطبة ابن دقيق فى صدر كتابه شرح مختصر ابن الحاجب . فمنها :

« الحمد لله منزل الكتاب ، ومفصل الخطاب وفاتح أبواب الصواب . ومانح أسباب الثواب . أحمده وهبنا بره بغير حساب . وأعبده وإليه المرجع والمآب . وأرجوه وأخافه فبيده الثواب والعقاب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقدمات دلائلها مبينة الأسباب . ونتيجة اعتقادها جنة مفتحة الأبواب . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله ، وقد طال زمن الفترة ونسيت الآداب . وبعُد عهد النبوة فزال الحق وانجاب . فمنازل الهدى خراب ومعاهده لا تعتاد

ولا تنتاب . وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب . حتى أفرد النظار بالدنيا وادعى تعدد الأرباب . فاختار الله محمدا فى أشرف الأنساب وخيرة الأحساب . نذيرا بين يدى العذاب . وبشيرا لمن أطاع الحق وأجاب . وأيده بمعجزات تدفع عارض الارتياب . وتكشف أنوار اليقين ليس دونها حجاب . وتدع القلوب مطمئنة لا ترتاع من جانب الشبهات ولا ترتاب . فصلى الله على سيدنا محمد صلاة وسلاما يدخل فيهما الآل والأصحاب . » إلى آخرها وهى طويلة .

شعره :

ولِمَ لا يكون ابن دقيق شاعرا ، أليس له نفس الأديب وطرب الأديب . إن إيغاله فى أحراج العلم لم يمنع خياله من السراح ، ولم يقف دون عاطفته أن تمتد إلى ما وراء الأفق . . ولم تقف خشونة ما أخذ به نفسه من العلم ووعورة ماراض نفسه عليه من النسك، عقبة فى سبيل ظهور شاعريته . فكان شاعرا لا بأس بشعره وشعره إلى الملاحة والطلاوة أقرب .

وأهم أغراضه مدح النبي عليه الصلاة والسلام . والغزل والتذكر والفخر والشكوى ، وهو أحد الذين تمنوا الشيب وأنسوا به لما فيه من جلال ووقار . وله أشعار فى العظة وذم الخمر ، وإن كانت معانيه تقليدية .

وأسلوبه الشعرى وسط بين الجودة والركاكة . وفيه أثارة من البديع ولوثة من المصطلحات التعليمية وألفاظ الفقهاء . وله المقطوعات والمطولات والموشحات والدوبيت وله شعر كثير فى طبقات الشافعية ج ٦ .

ومن نماذجه :

١ — قال يذكر النبي عليه السلام ويمدحه :

يا سائرا نحو الحجــاز مشمرا أجهدْ فديتك فى المسير وفى السرى
وإذا سهرت الليل فى طلب العلا فحذارِ ثم حذارِ من خدع الكرى
فالقصد حيث النور يشرق ساطعا والطرف حيث ترى الثرى متعطرا

قف بالمنازل والمناهل من لدن   وادى قباء إلى حمى أم القرى
وتوخ آثار النبي فضع بها   متشرفا خديك فى عفر الثرى
وإذا رأيت مهابط الوحى التى   نشرت على الآفاق نورا أنورا
فاعلم بأنك ما رأيت شبيهها   مذ كنت فى ماضى الزمان ولا ترى
ولقد أقول إذا الكواكب أشرقت   وترفعت فى منتهى شرف الذرا
لا تفخرى زهوا فإن محمدا   أعلى علا منها وأشرف جوهرا
نلنا به ما قد رأينا من علا   مع ما نؤمل فى القيامة أن نرى

« الفوات ج ٢ ص ٣٠٥ »

---

٢ — وقال يتغزل :

بالذى استعبد أروا   ح المحبين لذاتك
وبلطف من معانيـ   ـك يرى من حركاتك
وبنور الحسن إذ يحـ   ـويك من كل جهاتك
وبسر فوق ما يد   رك طرفى (١) من صفاتك
لا تذقنى الموت فى صـ   ـدك عنى بحياتك

« الطبقات ج ٦ ص ١٠ »

٣ — وقال يتذكر :

دقت معانى حسنكم فى الملاح   عن نظر الواشى وفهم اللواح
لله أيام مضت لى بكم   بين ربا نجد وتلك البطاح
أيام وصل نلت فيها الذى   أهوى وأكثرت من الإقتراح
وقد بقيت اليوم من بعدها   كطائر قد قص منه الجناح

ومنها :

أبيت أرعى من نجوم الدجى   أسير ليل ماله من براح
علمت يا ظالم بعد اللقا   وقسوة القلب حال الصباح

« الطبقات ج ٦ ص ٩ »

---

(١) فى الأصل ، ينقص البيت كلمة « طرفى » فأضفناها للوزن والمعنى .

٤ — وقال يتغزل ويشكو فى صدر قصيدة لعلها من مدائحه النبوية ، قال :

لقد بعدت ليلى وعز وصالها   كما عز بين العالمين مثالها
فمن لى بنوق لا تزال تمدها   قواها ولا يدنو إلىّ كلالها
ولكنها جسم يذوب وصبره   يحول وأرواح يخاف زوالها
لعمرى لقد كلفتها فى مسيرها   بلوغ مدى قد قل فيه احتمالها
وتسألنى رفقا بها وبضعفها   ولو خف من شوقى أجبت سؤالها
وللعيش آمال بليلى تعلقت   أخاف المنايا قبل كونى أنالها
يقرب لى من وصلها حسن لطفها   ويبعدها استغناؤها ودلالها
وإنى لأرضى اليوم بعد تشوقى   إلى أن أراها أن يزور خيالها

الخ (الطبقات ج ٦ س ١١)

٥ — وقال يتمنى الشيب ويعلل لذلك :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى   وقرب منى فى صباى مزاره
فآخذ من عصر الشباب نشاطه   وآخذ من عصر المشيب وقاره

(الفوات ج ٢ س ٣٠٦)

٦ — وقال يشكو الحياة :

أفكر فى حالى وقرب منيتى   وسيرى حثيثا فى مصيرى إلى القبر
فينشىء لى فكرى سحائب للأسى   تسح هموما دونها وابل القطر
إلى الله أشكو من وجودى فإننى   تعبت به مذ كنت فى مُبتدا العمر
نروح ونغدو والمنايا لجسائع   تكدره والموت خاتمة العمر ..

٧ — وقال يذكر عهد شبابه « وهو من الدوبيت » :

يا عصر شبيبتى ولهوى أرأيت   ما أسرع ما انقضيت عنى ومضيت
قد كنت مساعدى على كيت وكيت   واليوم فلو رأيت حالى لبكيت

(الفوات ج ٢ س ٣٠٧)

٨ - ومن جناسه قوله :

تهيم نفسي طربا عندما أستملح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد عقلي وقد لبست أثواب الحجا زيا
يا هل أقضي حاجتي من منى وأنحر البزل المهاريا
وأرتوي من زمزم فهي لي أرق من ريق المها ريا

« الفوات ج ٢ ص ٣٠٦ »

« ترجمته في «١» طبقات الشافعية للسبكي ج ٦ ص ٢ ، «٢» فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٠٥ . «٣» حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٣ ، ١٦٧ - ج ٢ ص ١١٣ «٤» بدائع الزهور لابن إياس ج ١ ص ١١٢ . «٥» تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ رقم ٩ في الطبقة العشرين . «٦» الطالع السعيد للإدفوي رقم ٤٦٢ »

تقى الدين بن تيمية الحرانى ٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ

نتصدى الآن للحديث عن علم بعيد الغور ، وجهبذ فى مقدمة الفحول ورجل من ذوى الآراء الحرة ، والنزعات المستقلة . سما إلى مرتبة الإمامة بعد أن ذاد عنها وشاكس ، ودافع ونافس ، بقوة شكيمة ، وحدة عزيمة . فشق إليها سبيله وقدم حجته ودليله . لا رائد له إلا الحق ، ولا سائق إلا الإيمان والصدق . رجل قوى النفس عظيم الروح ، امتلأ صدره بالعلم ، وماجت فيه الآمال ، أن يصلح بالعلم قومه ، وأن يهديهم سبيل الرشاد ، وأن يبلغ بهم طريق الدين الحق ، وأن يبصرهم بمواطن السعادة ، وأن يكون لهم عونا على ما يصلحهم فى الدارين . ليس له من وراء ذلك ، هم فى الدنيا يصيبه ، ولا نزوة نفس يتلمس إليها ، إلا أن يرى قومه على حال من التوفيق ، تهدأ له نفسه وتقر بها عينه . فهو رجل من أهل الرسالات فى الناس . تزوده الأقدار بثقوب بصرها و بعيد نظرها ، بأدوات الجهاد من علم راسخ وأدب جم وخلق كريم وذكاء وفطنة . ثم تنفث فى نفسه ، أشبه ما يكون الوحى أو الإلهام ، فتنطلق شعلة متقدة لا تهدأ حتى ينزل الناس عليها ، يقبسون من نورها ، ويسيرون على سراجها ، بعد أن ينفى عنهم الزيف ، ويجنبهم مهاوى الباطل .

ذلك الرجل ، هو ابن تيمية الحرانى ، الذى شغل الناس فى عصره ، وانقسموا فيه إلى فريقين : متعصب له ، ومتعصب عليه . وأوقد بوجوده حركة فكرية جليلة كان له فيها الأنصار الأخيار ، والأعداء الألداء . وهو لا يبالى وسط ذلك كله إلا بالحق الذى يعتقده ، والرأى الذى يدين به ، ولو أوذى فى سبيله أشد الأذى ، وجوهد من أجله أشق الجهاد . غير عابىء بالكائدين يكيدون له ، ولا بالحاقدين يتآمرون عليه ، ولا بالحرمان يُصب فوقه ، ولا بالسجن يقذف فيه ، فهذه كلها من أوضار الجهاد ، لا ينجو مجاهد من خبثها ، ولا يفر مجالد من عبثها وعبئها .

اسمه ونسبه :

وهو تقي الدين أبو العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي .

مولده ووفاته :

ولد ابن تيمية في حران قرب دمشق ، يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول عام ٦٦١هـ — وقيل في ١٢ منه — وعاش نحوا من سبع وستين سنة ، وتوفى في سجنه بدمشق ليلة الاثنين ٢٠ من ذى القعدة عام ٧٢٨ هـ .

أسرته :

ولد ابن تيمية في أسرة مليئة بعلمائها ، غنية برجالها وفضلائها . فمنهم الفقيه الجليل ، والواعظ القدير ، والزاهد العيوف الأبى . وتصدّر منهم من تصدّر ، للدرس والفتوى والتأليف والتصنيف .

فهذا فخر الدين بن تيمية : كان عالما زاهدا خطيباً مفسراً ، ومات عام ٦٣٩هـ .

وهذا مجد الدين بن تيمية : ابن أخى فخر الدين ، وهو أيضاً جد تقي الدين بن تيمية صاحب الترجمة . كان مجد الدين عبد السلام ، عالما فقيها مؤلفا . قال عنه جمال الدين بن مالك النحوى : « أُلين الفقه للشيخ المجد ، كما أُلين الحديد لداود » وقد توفى عام ٦٥٣ هـ .

وهذا شهاب الدين بن تيمية : وهو عبد الحليم بن عبد السلام ، والد تقي الدين ابن تيمية ، ولد بحران عام ٦٢٧ هـ ، وسمع حديث الرسول عليه السلام ، من والده ومن غيره . ودرس الفقه وعالج الأدب ، وكان شيخ حران وخطيبها ، وله يد طولى في علم الفرائض والحساب والهيئة . مع دين وتواضع ودماثة خلق . قال عنه شمس الدين الذهبي : « وكان شهاب الدين من أنجم الهدى . وإنما اختفى بين نور القمر وضوء الشمس » . يشير بذلك إلى أبيه مجد الدين ، وإلى ابنه تقي الدين

وقد هاجر شهاب الدين من حران إلى دمشق عام ٦٦٧ هـ . واتخذها موطنا له ولأولاده . وكانت هذه الهجرة فرارا من وجه التتار الذين اجترحوا ما اجترحوا في العراق ، وأخذوا يهومون نحو الشام من أطرافها . فلما استقر شهاب الدين بدمشق، باشر مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وكان يسكن بها ،وخصص له بالجامع كرسي يلقى عليه دروسه للناس في أيام الجمع . وقد توفى عام ٦٨٢ هـ . بعد أن سجل لنفسه عدة تعاليق ومصنفات في جملة علوم .

وهذا شرف الدين بن تيمية : وهو أخو تقي الدين . ولد بحران عام ٦٦٦ هـ وتوفى عام ٧٢٧ هـ ، وبرع في فقه الحنابلة ، وفي الفرائض والحساب والهيئة وعلوم العربية والحديث .

وبعد فهذه أسرة ابن تيمية ، له أن يباهي بها الزمان ، ويزهو بها على الأقران وينافس بجليل علمهم وجميل فضلهم ، ويقول لمن يفاخره : أولئك آبائي فجئني بمثلهم .

كلمة تيمية :

هي نسبة إلى تيماء . وتيماء موضع قرب تبوك . وقد قيل إن أحد أجداد تقي الدين ، ذهب للحج ، وكانت امرأته حاملا . فلما كان بتيماء ، رأى جارية حسنة الوجه . فلما وضعت امرأته ، وضعت أنثى جميلة ذكرته بجارية تيماء . فقال لها : يا تيمية يا تيمية . . تشبيها لها بها . ثم كان من نسلها آباء تقي الدين .

وقيل إن أم جده هذا ، كانت تسمى « تيمية » ، وكانت واعظة ،فنسب أبناؤها إليها .

عصره وبيئته ، وطرف من حياته :

ولد ابن تيمية — كما رأينا — في أسرة كريمة ، اتخذت الدين هداية، والعلم غاية . حتى صار ذلك في بيتها سنة متبعة وخلة موروثة . فلو لم يكن لتقي الدين ، ما كان له من ذكاء نفس ورهافة حس ، وكبير قلب ، وعظيم لب ، مما شغله بالعلم شغلا ،

و حمله إلى المجد حملا ، لكان حسبه ما تُعْقدُ من دوافع الوراثة والبيئة المنزلية معاً .

عاش تقى الدين نحوا من ثلاثين سنة ، فى القرن السابع الهجرى ، ونحوا من ثلاثين أخرى فى القرن الثامن . أما الثلاثين الأولى فنستطيع أن نقول إنه جعلها سنى درس وتحصيل . قضى منها عهد طفولته فى حران أولا ، ثم فى دمشق ثانياً ، حيث هاجر مع أبيه ، وهو فى نحو السادسة من عمره . فشب فى دمشق، وهو يشعر بما للتتار من خطر ، وبما ابتلى به المسلمون على يديهم من فزع وسوء .

أكب تقى الدين على طلب العلم ، تمذهب بمذهب أبيه وأسرته ، وهو مذهب الإمام ابن حنبل . وتعلم على أبيه ، وعلى أكابر علماء عصره ، ومنهم : شمس الدين ابن قدامة . وزين الدين بن المنجا . ومجد الدين بن عساكر . كما أخذ علوم العربية عن ابن عبد القوى . وقرأ كتاب سيبويه ، وكتب الحديث الستة . وأقبل على التفسير والأصول والفرائض والحساب والجبر والمقابلة . وقرأ كتبا فى المذاهب كلها ، حتى أصبح ملما بمسائلها وضروب الخلاف بينها . ونظر فى كتب الفلاسفة وقرأ ما ترجم منها عن اليونانية، وطالع كتب الطبقات وغير ذلك .

وهو فى كل ما يدرس ، يسلط منظار ذكائه ، ومجهر عقله ، ليستبين وجه الحق ويستوضح جانب الصواب . وسواء فى ذلك ، درسه تلقينا عن شيخ ، أو قراءة فى كتاب ، أم مشافهة وتجربة .

وكان العالم الإسلامى حينذاك يموج موجا بما فيه من طوائف تختلف فى عقائدها اختلافا أدى بها إلى التحاقد والتنابذ والتفرق . فمن شيعة ذات شعب وفرق . وجهمية ومعطلة ومن أشاعرة وصفاتية ، ومن مبتدعة حنابلة وصوفية ، إلى غير هؤلاء وهؤلاء ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

وأمام هؤلاء عدوان لدودان ، يكيدان للدين ، ويتربصان بالمسلمين ، هما التتار الوثنيون بالمشرق ، والفرنجة المسيحيون المتعصبون بالمغرب .

ولكى تعرف مقدار الخطر على المسلمين من جراء هذا التفرق فى العقيدة ،

والتخاذل عن دره الأعداء ، نقول إن هذه الخلافات المذهبية كان لها فى ذلك الحين أثرها الكبير فى توجيه الأفكار فى الشعوب ، وتلوين اتجاهاتها . ومن ثم كان تعصب كل فريق لعقيدته ، قائما على قدم وساق . فالعقائد المذهبية والاختلافات الدينية فى تلك العصور الوسطى ، شبيهة بما لدينا اليوم من عقائد سياسية ومبادىء حزبية ، ومذاهب اقتصادية واجتماعية ، لها أثرها الهام فى صبغ الأفكار والعقول، والأخذ بناصية النفوس وتوجيهها وجهات خاصة . ومن ثم ، أصبح لهذه العقائد والمذاهب أثرها الأول البارز فى سياسة الشعوب وعلاقات بعضها ببعض ، وعلاقة كل طائفة فى الشعب الواحد بغيرها من الطوائف .

رأى ابن تيمية ما رأى من حال قومه : جهل وضلال ، وأهواء وتفرق ، وخور وتخاذل . فهاله ما رأى . فأقسم أو كأنما أقسم ، بينه وبين ربه ، أن يبذل قصاراه فى رأب الصدع ، ونفى الزيف ، ونشر الحق ، لا يهمه من دنياه إلا زاده لآخرته . وإلا كلمة ينطلق بها فمه ، أو يخطها قلمه ، فيرضى عنها ربه ومولاه .

قضى تقى الدين الثلاثين سنة الأولى فى تحصيل العلم ، وكأنما كان يعبىء فيها قواه ، ويستجمع جنده . ومع هذا فقد روى أنه تصدى للفتوى فى سن السابعة عشرة ، وللتدريس فى الحادية والعشرين .

ثم حج عام ٦٩١ هـ ، وسنه ثلاثون سنة وكأنما أراد بذلك أن يستكمل قوى نفسه ويحتفل بسنى تحصيله . ثم عاد وهو مشروع الفتاة ، مسنون الشباة . ففتح من سجل حياته ، صفحته الخالدة ، صفحة الجهاد والجلاد . وأخذ فى التعرض لأرباب المذاهب والمعتقدات الدينية ، ممن يرى فيهم الانحراف عن عقيدة السلف ، يرجو من وراء ذلك أن يهديهم الله سواء السبيل ، غير عابىء بما لهم من حول وطول ، وجاه وسلطان ، لدى العامة وبين الأمراء الحاكمين . — وشرع كذلك يضع الفتاوى فى الأحكام الشرعية ، لا يبالى فى ذلك بما تقرر منها فى المذاهب الأربعة ، وما تواضع عليه الأئمة ، وكل همه أن تكون فتاواه مناسبة لحاجات عصره متمشية

مع عقول الناس فيه ، مادامت موافقة للعدل ، غير خارجة عن أقوال السلف ، متمشية مع روح الكتاب والسنة . حتى لا يشق على الناس فى حياتهم ، وييسر لهم سبيل الحلال ، ويجنبهم سبيل الباطل .

بهذا ألّب تقى الدين على نفسه ، كثيرا من الطوائف ، من الكلاميين والصوفية حتى فقهاء المذاهب . وكان لا بد له ، وقد وضع نفسه هذا الموضع ، أن يستعد للنضال والمصاولة ، والنزال والمطاولة ، والمناظرة والمحاورة . لذلك كانت حياته فى الثلاثين سنة الأخيرة ، صورة رائعة من صور الجهاد ، عقد له فيها علم الظفر والانتصــــار .

غير أنه لم يكن فى نضال سلبى فكرى فحسب . فمن شأن رجل مثله ، أن يكثر حساده ، والناقمون عليه ، والكائدون له ، والمؤتمرون به ، والزاعمون فيه . فلقى من ذلك كله كثيرا من الأذى والعذاب ، ولكنه كان فى كل حالة ، الرجل يستعذب الأذى فى نضاله ، والبطل يستحلى العذاب فى نزاله . لقد حوكم تقى الدين وشرد ، وسجن . فماذا قال ؟ قال : « ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا بستانى فى صدرى ، أين رحت فهو معى . أنا حبسى خلوة وقتلى شهادة وإخراجى من بلدى سياحة . »

صور من كفاحه :

ولتقى الدين بن تيمية آراء فى العقيدة ، وأحكام فى الشريعة ، متعددة . سنعرض لذكر بعضها فيما بعد . غير أننا نشير هنا إلى أهمها ، مما كان سببا مباشرا لاستشراء النضال بينه وبين مخالفيه ، وسببا مباشرا لمحاكماته وسجنه .

١ — فمنها حديثه عن صفات الله سبحانه وتعالى مثل الاستواء ، والنزول وإثبات الصورة والعين واليد وحديثه عن القرآن وأنه قديم ، إلى غير ذلك من المسائل والمشاكل ، التى تدور عليها كلاميات علماء العقائد من المسلمين .

وقد تكلم عن هذه الموضوعات ، بما لا يخرج عن نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومعتقد السلف الصالح الأولين . فأثبت لله سبحانه وتعالى ،

الاستواء والنزول والصورة والعين واليد إلى غير ذلك، كما وصف الله نفسه به في القرآن، وكما وصفه به رسوله الكريم، ولكن بدون كيفية ولا تمثيل ولا تشبيه بالمخلوقات. فلم يجنح ابن تيمية إلى التجسيم كما جنح بعض مبتدعة الحنابلة أو متأخري الأشاعرة، أو غيرهم، إذ في ذلك تشبيه له بمخلوقاته، كما أنه لم يعطل الصفات، فإن الله قد أثبتها لنفسه في قرآنه المنزل؛ وكذلك لم يؤول في فهم الآيات كما أول المعتزلة ومن لف لفهم، ممن قالوا في الاستواء: الاستيلاء. وفي اليد: القدرة، وفي العين: الرعاية، ونحو ذلك. إذ لا يصح صرف ظاهر الآيات القرآنية ومدلولاتها اللفظية، إلى معاني أخرى، لغير حاجة وبدون دليل، فإن الله سبحانه وتعالى خاطب الناس بما يفهمونه من مدلولات لفظية، دون تعمية أو تعمد إبهام.

هذه المسائل ونحوها مما يسمى في علم الكلام: المتشابهات، كانت مثار الجدال بين ابن تيمية وخصومه. فهو — كما يقول الثقات — إنما كان يقرر مذهب السلف الصالح في فهم القرآن والحديث.

وقد اتضحت آراؤه هذه واحتجاجاته لها في كثير من كتبه ورسائله، كرسالته «العقيدة الحموية الكبرى».

كتب ابن تيمية هذه الرسالة، إجابة على سؤال ورد عليه من حماة — وكانت الرسائل والاستفتاءات ترد عليه تباعا من بلاد المسلمين تستوضحه وتستهديه في المعتقدات والأحكام — كتب ابن تيمية رسالته الحموية. بين الظهر والعصر في ست كراريس. فرجح مذهب السلف — كما قلنا — واحتج له وبين أن السلف أثبت قولا وأصدق فعلا وأرجح نظرا وأعلم خبرا. وبالمقالة موازنات عدة بين المذاهب المختلفة في الصفات، ودحض للمخالف لرأى السلف منها. وقد صدرت منه هذه المقالة الحموية في ربيع الأول عام ٦٩٨ هـ.

وكأنه كان يرمى من وراء ذلك — فضلا عن أنه الحق الذى يراه — إلى جمع فرق المسلمين على كلمة واحدة في عقائدهم. ومذهب السلف — في الواقع —

صريح ومريح فى الوقت نفسه ، وحسبه أنه يثبت الصفات لله سبحانه وتعالى كما أثبتها الله ورسوله ، ويعفى المرء من الوقوع فى التجسيم ، أو الجنوح إلى التأويل . وأحسب من السهل — إذا تصافت القلوب وخلصت النوايا — أن يتلاقى المختلفون فى هذا المعتقد السليم .

ثارت ثائرة الكلاميين والفقهاء ، وأولوا فى كلام ابن تيمية ، ونسبوه إلى القول بالتجسيم ، كسائر المبتدعة من الحنابلة ، وهو من ذلك براء . وتحزب قوم عليه وأرادوا إيذاءه . فعاونهم على ذلك قاضى الحنفية بدمشق آنئذ وهو جلال الدين الحنفى ، ومشى مع المتآمرين إلى دار الحديث الأشرفية ، وطلب إليه المثول بين يديه ، — باعتباره قاضيا — ليحاكمه على مقاله . فرفض ابن تيمية المثول والجلوس للمحاكمة ، وقال للقاضى : « إن العقائد ليس أمرها إليك . وإن السلطان إنما ولاك لتحكم بين الناس . وإن إنكار المنكرات ليس مما يختص به القاضى » فزاد حنق القاضى عليه . وأمر بالنداء على بطلان عقيدته فى المدينة . فنودى . ثم تصدى للمنادين بعض أعوان الشيخ تقى الدين ، فاختفوا .

وقيل بخصوص هذه الحادثة : إن بعضهم حمل الشيخ تقى الدين وطافوا به فى المدينة ينادون الناس بألا يستفتوه . . .

وقيل أيضا إن ابن تيمية قرأ رسالته الحموية بعد قليل فى شهر كتابتها ، أمام جمع حاشد ، بينهم القاضى « إمام الدين الشافعى » . وظل فى قراءتها يومين ، وهو يوضح للناس ما أشكل عليهم من مراميها . حتى اقتنعوا بصحة رأيه وصواب معتقده ، وقال القاضى إمام الدين : « كل من تكلم فى الشيخ ، فأنا خصمه » .

٢ — ومنها تعرضه للصوفية الذين ينتمون إلى ابن عربى وابن سبعين ، ممن يقولون بوحدة الوجود ، والاتحاد ، وهى أقوال تشعر بأن العبد يصل من وراء عبادته إلى مرحلة تتجلى فيها به الذات الإلهية ، ويزول العبد ولا يبقى إلا الذات ، أو يصير العبد والذات شيئا واحدا . وهذا كله معناه الحلول والتجسيم والتشبيه .

وكان بمصر حينذاك رجل من الصوفية ذو سطوة وجاه لدى الأمراء، وبخاصة الأمير «ركن الدين بيبرس الجاشنكير» الذى كان أتابكا، ثم ملك البلاد سنة ٧٠٨هـ وتلقب بالظافر. هذا الرجل اسمه «الشيخ نصر المنبجى»، وقد علم ابن تيمية، وهو بدمشق، أن المنبجى هذا وأتباعه يدينون بمعتقد ابن عربى وابن سبعين، فكتب إليه مقالا فى ثلثمائة سطر، أنكر فيها مذهبه وأوضح له خطأه. وكان ذلك عام ٧٠٥هـ. فى عهد الناصر محمد بن قلاوون.

حنق المنبجى على ابن تيمية وجرأته، وأذاع القالة عنه إنه مبتدع مجسد يخشى منه على الناس. واستعان فى ذلك بالأمير بيبرس المذكور. وأقنعوا قضاة مصر بهذا الاتهام، فكتب السلطان الناصر أمراً إلى نائبه على الشام، بامتحان الشيخ تقى الدين وسؤاله عن معتقده. فجمع له النائب مجلسا من القضاة والعلماء بدمشق فى رجب عام ٧٠٥هـ، وقرئت فيه رسالته «العقيدة الواسطية» ونوقش فيها، وناظره فيها بعض مخالفيه فى الرأى ومنهم الشيخ صفى الدين الهندى وقاضى قضاة الشافعية كمال الدين بن الزملكانى. وانتهى المجلس على أن معتقد الشيخ صحيح، ولم يخرج عن مذاهب السلف.

ويبدو أن ذلك الحكم الذى وصل إليه المجلس، لم يصادف ارتياحا من أعداء الشيخ بمصر، وكأنهم أرادوا من وراء محاكمته إيذاءه وكبته، فلما لم يظفروا بذلك فى دمشق، أكثروا من الدعوى عليه والقالة، فى مصر، وكان فى مقدمة الضالعين ضده قاضى المالكية بمصر، ابن مخلوف، فأرسل السلطان الناصر إلى دمشق فى رمضان عام ٧٠٥هـ، باستحضار الشيخ إلى مصر لسؤاله ثانية عن معتقده ومحاكمته فأبى نائب الشام، ثم رضخ فى النهاية، وأرسل الشيخ إلى مصر. وخرجت دمشق فودعته وداعا حارا، مقدرة فيه الجرأة والحرية والذود عن العقيدة الصحيحة، ومناوئة أهل الضلال والفساد.

دُفع الشيخ إلى مجلس القضاء حيث تصدر القاضى ابن مخلوف. وندب لرفع الدعوى عليه «شمس الدين بن عدلان»، فادعى أن الشيخ يقول: إن الله فوق

العرش حقيقة » . وأنه يتكلم بحرف وصوت ، وأنه يشار إليه إشارة حسية ، وطلب إلى المجلس عقابه . فسأله القاضى عما يقول فى ذلك فبدأ ابن تيمية فى الإجابة ، فحمد الله وأثنى عليه . فقال له القاضى : « ما جئنا بك لتخطب » . فقال : «ومن الحاكم فىّ ؟» . فقيل له : « القاضى المالكى » . قال : « كيف يحكم فىّ وهو خصمى ؟ » . وغضب غضبا شديدا . وبدا عليه الانزعاج والفزع والثورة . فا قتيد إلى البرج فحبس به أياما ، ثم نُقل إلى « الجب » فحبس به ومعه أخواه شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحيم . .

وظلوا يستحضرونه للإجابة مرة بعد مرة ، وهو فى كل مرة يناظر وينتصر على على خصومه . غير أن ذلك لم يكن شافعا له فى إطلاق سراحه . فلبث فى سجنه نحو ثمانية عشر شهرا . ثم أطلق سراحه فى ربيع الأول عام ٧٠٧ هـ بشفاعة الأمير العربى « حسام الدين بن مهنا » .

ومما يذكر أنه عقدت مناظرة بينه وبين فئة من العلماء ، قبيل خروجه من سجنه وذلك فى صفر عام ٧٠٧ هـ . فناظره منهم : بدر الدين جماعة ، ونجم الدين بن الرفعة وعلاء الدين الباجى ، وفخر الدين بن بنت أبى سعد ، وعز الدين النمراوى ، وشمس الدين بن عدلان .

ثم أخذ بعد خروجه من السجن ، ينشر العلم بمصر ويفتى النـاس ويعظهم . ويفسر لهم كتاب الله . قيل إنه صلى يوم جمعة فى مسجد الحاكم ، فطلب إليه الناس بعد الصلاة ، أن يعظهم . فأخذ فى تفسير قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » حتى جاءت صلاة العصر ، والناس يزدحمون على سماعه .

٣ — لم يهدأ ابن تيمية . وأخذ يتنقص الحلوليين والاتحاديين القائلين بوحدة الوجود كابن عربى وابن سبعين والقونوى وغيرهم من أرباب الطرق ، ومدعى الصوفية ، وعاب عليهم كثيرا من الحيل التى يحتالون بها على الناس مدعين أنهـا كرامات . وشدد النـكير فيما خالف ظاهر الـكتاب والسنة . فشكاه الصوفية إلى السلطان فى نفس عام ٧٠٧ هـ ، الذى أطلق سراحه فيه . وكان على رأس الشاكين

« كريم الدين الآملي » شيخ الصوفية بالقاهرة . فخيّر ابن تيمية بين السفر إلى دمشق أو الإسكندرية ، حتى تهدأ فتنته ، أو السجن . . فاختار السجن . غير أنه حُمل إلى دمشق ، ثم أعيد من الطريق ، وسُجن فى سجن القضاة بحارة الديلم بالقاهرة . — فلعلهم خشوا فتنته على بلاد الشام . .

لم يجرؤ أحد من القضاة فى هذه المرة أن يحكم عليه ، بل هو الذى اختار السجن من تلقاء نفسه . وقعد فيه يعظ الناس ويشرح لهم أمور دينهم ومعتقداته الصحيحة . فقصد الناس السجن من مختلف النواحى لسماع عظاته ، وتحول السجن بفضله إلى جامعة علمية كبرى . . ولعل ذلك كان سببا فى نقله بعـــد مدة ، إلى سجن الاسكندرية .

فى هذه الأثناء كان السلطان الناصر محمد ، قد خلع من عرشه ، ووثب على السلطنة « بيبرس الجاشنكير » ، فلبث ابن تيمية فى سجنه ، حتى عاد الناصر إلى عرشه عودته الثانية عام ٧٠٩ هـ . فاستقدم الشيخ من السجن ، وتلطف به ، وأكرمه ، وأطلعه على بعض ما تقدم به إليه أعداؤه من الشكاية رغبة منهم فى استعدائه عليه . ولعل الناصر كان يرمى من وراء ذلك إلى تصريح من الشيخ بالبطش بهؤلاء ، حتى يبطش بهم . ويبدو أنهم ضاعوا مع الجاشنكير ضد الناصر إبان خلعه . فلم يزدْ ابن تيمية على أن هدّأ ثائرة الناصر عليهم ، وتلطف به حتى عفا عنهم . وهكذا تـكون أخلاق الرجال . . وقد عجب ابن مخلوف نفسه وقال: « ما رأينا أعفى من ابن تيمية ، لم نبق ممكنا فى السعى عليه . ولما قدر علينا عفا »

٤ — ظل ابن تيمية مطلق السراح بمصر حتى عام ٧١٢ هـ ، فعاد إلى دمشق فى ذلك العام ، فسر الناس بمقدمه . وظل على سجيته ينشر العلم ويعلم الناس . ويؤلف رسائله ويكتب مقالاته . ظل كذلك حتى عام ٧١٨ هـ وكان قد أفتى بأن الطلاق بالثلاث يقع واحدة فقط . [1] فهاج عليه الفقهاء ، حتى أمر الناصر بن قلاوون بمنعه من الفتوى . وكان بعض أنصاره قد نصحه بترك الفتوى بذلك ،

(١) أصبح مقتضى هذه الفتوى أخيرا قانونا رسميا تقضى به المحاكم الشرعية فى مصر .

فلم ينتصح قائلا : لا يسعنى كتمان العلم . ويبدو أن ابن تيمية راعى فى ذلك، منطق أهل عصر ، إذ هم يطلقون بالثلاث لفظا ، ولا يقصدون منها غير طلقة واحدة . وذلك لجريان الثلاث على اللسان ، وأكثر الناس من العامة والدهماء، لا يفرقون ولا يميزون . والدين يسر لا عسر ، غايته الكبرى سعادة الناس فيما لا معصية لربهم فيه . والفتوى بواحدة خير على كل حال من اللجوء إلى المحلل . وابن تيمية فى فتواه — كما يقول الثقات أيضاً — لم يخرج عن روح الكتاب والسنة ، وآراء بعض السلف ، غير أنه رجح رأى هـذا البعض — ولو لم يأخذ به الأئمة — لظروف العصر وحاجة الناس .

وقد عقد لابن تيمية مجلس جديد لمحاكمته وسؤاله عن فتواه فى الطلاق عام ٧٢٠ هـ . وعلى إثره سجن ، فلبث خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ، ثم أطلق سراحه يوم عاشوراء عام ٧٢١ هـ .

٥ — وبعد زمن ، صدرت فتواه بتحريم السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين قصدا فى زيارتها . وقد تكلم بهذه المناسبة فى مسألة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، وله رسالة قيمة فى هذا الموضوع . وهو يرمى من وراء ذلك إلى رد المسلمين إلى روح الشريعة الصحيحة ، وتعليمهم أنه لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد . ويريد أن يقف حجر عثرة دون الانحدار نحو الوثنية ، فإن من مظاهر الوثنية تقديس القبور والتمسح بها ، والاعتقاد فى الصالحاء والقديسين أن لهم من الأمر شيئا . وهكذا أراد ابن تيمية من فتواه تطهير العقيدة من أوضارها وشياتها .

غير أن القضاة لم تعجبهم هذه الفتوى ، فأفتوا بحبس ابن تيمية بسببها ، فأمر السلطان الناصر بذلك ، فى شعبان عام ٧٢٦ هـ بعد أن سعى أعداؤه لديه بقتله .

كان هذا السجن آخر عهد ابن تيمية بالحرية وبالناس . فقد أقام فى قلعة دمشق من عام ٧٢٦ هـ إلى ليلة الاثنين ٢٠ من ذى القعدة عام ٧٢٨ هـ مسجونا ، ومعه تلميذه الوفى شمس الدين بن القيم . وقد مرض قبل ذلك بنحو عشرين يوما .. ثم

وافاه أجله المحتوم فى تلك الليلة المذكورة ، بعد حياة حافلة بالجهاد فى سبيل الله ودينه وكلمته .

وكان فى سجنه مداوما على الكتابة والتأليف . ثم خيف مما يكتبه فنزعوا عنه أدوات الكتابة ، فعكف على الذكر والتلاوة والعبادة والتهجد .

ومات ابن تيمية بعد شغل الناس فى عصره بفتاواه وآرائه ورسائله ومحاكماته. وانبرى للرد عليه علماء أجلاء كتقى الدين بن السبكى .

.. ومات ابن تيمية ، ولكن هل وضع الموت حدا بينه وبين منازعيه . كلا ! فلم يزل يأتى فى الناس من بعده من يتنقصه ويحمل عليه . كما أنه لم يعدم فى كل جيل عددا من التلاميذ والأتباع ، وهكذا شأن العظماء وقادة الأفكار .

وفاته :

مات عام ٧٢٨ هـ — كما أشرنا — فاجتمع فى جنازته خلق كثير ، وأغلقت حوانيت دمشق ، وصلى عليه عدة مرات . وبكاه الناس باحتفال رهيب ، ودفن بمدافن الصوفية ، أولئك الذين ناوأهم فى حياته .

وقد رثاه بعض أحبابه وعارفى فضله فى الشام ومصر والحجاز والعراق والغرب منهم ابن فضل الله العمرى ، ومحمود بن الأثير الحلبى . وابن الحصرى — ومنهم زين الدين بن الوردى حيث يقول :

عثا فى عرضه قوم سلاط　　لهم من نثر جوهره التقاط
تقى الدين أحمد خير حبر　　خروق المعضلات به تخاط
توفى وهو محبوس فريد　　وليس له إلى الدنيا انبساط

بعض أخلاقه :

كان ابن تيمية مناضلا من الطراز الأول ، وفيا للحق ، صبورا على الأذى ما دام فى سبيل الله . متعففا ، لا مطلب له فى الدنيا ، ولذلك لم يعرف المحاباة ولا المجاملة ، ولا السعى إلى أبواب الرؤساء ، ولا التطلع إلى منصب . ولو أراد لسعت إليه الدنيا ، وأغدقت عليه الأموال .

ويبدو لنا أنه كانت به حدة . ونزوع أصيل إلى الهجوم ، لا يبالى فى سبيل ذلك ، وفى سبيل بلوغ غايته ، بأن يجامل صديقا ، أو يداهن رفيقا . ومن كان هذا شأنه ، ولد الهيبة لنفسه فى نفوس الناس ، ولكن ولد بجوارها شيئا من الحقد والبغضة .

قيل إنه فى رجب عام ٧٠٤ ﻫ ذهب فى جمع من تلاميذه إلى مسجد التاريخ بدمشق . وقطعوا بأيدهم صخرة هناك كانت تزار وينذر لها . فأراح الناس من أحد مظاهر الشرك .

وكان أبو حيان النحوى الأندلسى يحبه ، فلما وفد ابن تيمية على مصر ، تلاقيا وعقدت الصداقة أواصرها بين الرجلين ، حتى لقد امتدحه أبو حيان بأبيات شعرية . ثم تناظرا فى مسائل نحوية ، فاختلفا ، فاحتج عليه أبو حيان بكتاب سيبويه فقال له ابن تيمية : « ما كان سيبويه نبى النحو ، ولا معصوما . بل أخطأ فى « الكتاب » فى ثمانين موضعا لا تفهمها أنت » . فكان هذا الهجوم العنيف سببا فى الفرقة بينهما . حتى إن أبا حيان حمل حملة شعواء على ابن تيمية وعلى آرائه فى تفسير « البحر » ، وفى مختصر « النهر » .

هذا وقد قيل عنه إنه كان قليل المأكل خشن الملبس بلا شذوذ ، كأنه من أواسط الناس حتى لا يلفتهم إليه بملبسه يعود المريض ، ويغيث الملهوف . جريئاً على الملوك ، دخل على غازان ملك التتار ، حينما ظهر بدمشق ووعظه ألا يريق دماء الناس . وقد أطلق غازان بسببه عددا من الأسرى .

وهو على جرأته هذه ، كان جم التأدب فى حضرة من يعترف لهم بالعلم . وقد روى السبكى فى طبقاته — ج ٦ ص ٢٢٨ — فى ترجمة العلاء الباجى ، وهو عالم زمانه . قال : « إن ابن تيمية جلس مرة فى حضرته ، ولم يتكلم بلفظ . والشيخ يقول له تكلم نبحث معك . وابن تيمية يقول له : مثلى لا يتكلم بين يديك . أنا وظيفتى الاستفادة منك . » .

أقوال بعض العلماء فيه :

قال عنه ابن الوردى : «كان لابن تيمية خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة فنون الحديث مع حفظه لمتونه حفظا انفرد به . وهو عجيب فى استحضاره ، واستخراج الحجج منه — وكان يكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو الفقه أو من الأصلين ، أو من الرد على الفلاسفة ، نحوا من أربعة كراريس — وله الباع الطويل فى معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قلّ أن يتكلم فى مسألة ، إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة فى مسائل معروفة ، وصنف فيها ، واحتج لها بالكتاب والسنة وبقى سنين يفتى بما قام الدليل عليه عنده . »

وقال عنه تقى الدين بن دقيق العيد : «رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه ، يأخذ ماشاء منها . ويترك ما شاء ، فقيل له : لم لا تتناظران ؟ . فقال : «لأنه يحب الكلام وأحب السكوت . »

وقال العلامة كمال الدين بن الزملكانى : «كان إذا سئل عن فن من الفنون ، ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحداً لا يعرف مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف ، إذا جلسوا معه ، استفادوا فى سائر مذاهبهم منه ، ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك . ولا يعرف أنه ناظر أحداً ، فانقطع معه ، ولا تكلم فى علم من العلوم ، سواء كان من علوم الشرع أو غيرها ، إلا فاق فيه أهله ، والمنسوب إليه . وكانت له اليد الطولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين . »

وقال الذهبى : «له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالى وبالنازل ، وبالصحيح وبالسقيم ، مع حفظه لمتونه التى انفرد بها . فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته ، ولا يقاربه . وهو عجيب فى استحضاره واستخراج الحجج منه ، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة ، والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ولكن الإحاطة لله . غير أنه يغترف فيه من بحر ، وغيره يغترف من السواقى . »

وبعد فابن تيمية الكاتب القدير، والخطيب الموهوب، وله بجانب هذا شيء من الشعر سنشير إلى شيء منه في الجزء الثالث .

بعض فتاواه وآرائه ومؤلفاته :

رأينا ابن تيمية عالما حرا مجتهداً . فهو وإن كان مقلدا لمذهب الإمام بن حنبل، لم يتقيد به في بعض آرائه وفتاواه، كما أنه لم يتقيد برأي غيره من الأئمة. فقد رأى — وقد كملت له أدوات الاجتهاد — أنه حر في أن يبدى من الرأى مايشاء، مما يراه مناسبا وضروريا لحاجة عصره . مادام غير خارج فيما يذهب إليه عن كتاب الله وسنة نبيه، ورأى السلف الصالح .

ولم يألف الناس، منذ زمن بعيد، عالما حرا جريئاً مجدداً صريحا صارم الحجة، كابن تيمية، ولم تشهد الطوائف معارضا مناضلا ملحا في نضاله ومعارضته قوى البرهان، لا يعرف المهادنة ولا المصابرة، كابن تيمية. فكان طبيعياً أن يُرمى من أعدائه بكل كبيرة وصغيرة، وأقرب ما اتهموه به، الكفر والزندقة . وهي تهمة الجهلاء يوجهونها جزافا إلى العلماء . وكان طبيعياً أن هذا الرجل الذى ملأ آذان الناس بآرائه وفتاواه، وشغلهم بما جدد من الأفكار . وشغل العلماء بمناظراته ومحاوراته، أن يكون له عدد ضخم من الرسائل والمؤلفات، ولا سيما أنه عُرف بطواعية قلمه وخاطره . فسجل في مؤلفاته هذه ما ذهب إليه من رأى، وما أبرزه من فتوى مدعما بحججه وبراهينه .

وقد كتب ابن تيمية أكثر ما كتب في المعتقدات ومسائل علم الكلام . وفي حديث رسول الله، وفي تفسير كتاب الله . وأحكام شريعته الغراء، وذلك على مذهب ابن حنبل، وإن كان قد خالفه في بعض آرائه، وخالف المذاهب الثلاثة الأخرى .

فمن فتاواه التي خالف فيها الأئمة الأربعة :

١ — توريث المسلم من الكافر ٢ — المفطر في رمضان عمدا، أو تارك الصلاة

بلا عذر ، لاقضاء عليه ٣ ـ سجود التلاوة لا يشترط فيه وضوء ٤ ـ تقصر الصلاة فى السفر مطلقا ، طويلا كان أو قصيرا ٥ ـ جواز بيع الفضة بالفضة مع التفاضل ، والفضل نظير الصناعة ٦ ـ من أكل فى رمضان معتقدا وجود الليل ، ثم بان أنه النهار ، لاقضاء عليه ٧ ـ إباحة وطء الوثنيات بملك اليمين ٨ ـ الحلف بالطلاق يصح التكفير عنه ٩ ـ طلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة وهى إحدى فتاواه التى جرت علية المحن . وقد ألف فيها كتابه « الفرق المبين بين الطلاق واليمين » . ١٠ ـ تحريم تعمد السفر لزيارة قبور الموتى، وأن الرحال لاتشد إلا لثلاثة مساجد وهى إحدى فتاواه أيضاً التى جرته إلى السجن .

أما مؤلفاته :

فقد روى منها « جميل العظم » فى كتابه « عقود الجوهر » ، أكثر من مائتى كتاب وفتوى ورسالة وقاعدة . وذكر له كل من جورجى زيدان ومحمد جميل الشطى ، عددا منها . وكذلك كتب تراجمه ، وفى دور الكتب بالقاهرة والمنصورة ودمنهور ، لحسن الحظ عدد كبير منها . وكثير منها مطبوع . ونذكر للقارىء عددا منها على سبيل المثال لا الحصر . فمن ذلك :

فتاوى ابن تيمية : وهو خمسة مجلدات . منتقى الأخبار فى ثمانى مجلدات . الإيمان : وهو من أهم كتبه . الجمع بين العقل والنقل . منهاج السنة النبوية فى نقض الشيعة القدرية . الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان . الواسطة بين الحق والخلق وفى أوله ترجمة للمؤلف . الصارم المسلول على شاتم الرسول . مجموع الرسائل الكبرى . التحفة العراقية فى الأعمال القلبية . تفسير سورة الإخلاص . تفسير سورة النور . معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ، ومعه رسالة له فى « المظالم المشتركة » . قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة . تفسير المعوذتين . رسالة فى معنى القياس . رسالة فى الكلام على الفطرة. رسالة فى حكم السماع والرقص . رسالة فى القصاص . رسالة فى مناسك الحج . التبيان فى نزول القرآن . فتوى فى قوله عليه السلام : أنزل القرآن على سبعة

أحرف . العبودية . زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور . الرسالة البعلبكية . الرد على النصيرية . تنوع العبادات . رفع الملام عن لائمة الأعلام . رسالة فى توحيد الله والشرائع وتنوعها وتوحيد الدين الملى دون الشرعى . رسالة فى خلاف الأمة فى العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة . الوصية الصغرى فى الدين والدنيا . النية فى العبادات . الرسالة العرشية . الإرادة والأمر. الوصية الكبرى بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان فضل أمته على سائر الأمم . رسالة فى قوله عليه السلام : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد . الاستقامة . مراتب الإرادة . رسالة القضاء والقدر . بيان العقود المحرمة . رسالة فى سنة الجمعة . العقيدة الحموية الكبرى وهى من بواعث محنه . العقيدة الواسطية وكانت أيضاً محل نقاش ومناظرة . الأكاليل المتشابهة والتأويل . المناظرة فى العقيدة . رسالة فى الجواب عن قول القائل : أكل الحلال متعذر لايمكن وجوده فى هذا الزمان . رسالة تتضمن السؤال عن الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم . الإيمان . الحسبة فى الإسلام . شرح حديث النزول . اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم . بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية وتعرف «بالسبعينية» بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، وهو فى نقض كلام الشيعة والقدرية ، فى أربعة أجزاء . شرح حديث أبى ذر . شرح العقيدة الاصفهانية . الفتاوى الحديثة . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . تعارض العقل والنقل فى أربع مجلدات . شرح العمدة لا بن قدامة ، فى الفقه . جواب الاعتراضات على الفتاوى الحموية فى أربع مجلدات . بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية ، فى ست مجلدات ضخمة . المحنة المصرية . المسائل الاسكندرية . الفتاوى المصرية ، فى سبع مجلدات . بيان الدليل على بطلان التحليل ، فى مجلد . تحقيق الفرقان بين الطلاق والأيمان . . . إلى غير ذلك

التعريف ببعض مؤلفاته :

١ — فتاوى ابن تيمية :

من أهم كتب ابن تيمية . تصفحت منه نسخة مطبوعة فى عام ١٣٢٦ ﻫ ، بمطبعة كردستان بمصر . ويقع فى خمسة أجزاء كبار . ويحتوى على مئات من الفتاوى فى موضوعات مختلفة ، بعضها فى الفقه ، وبعضها فى الأصول ، أو الحديث ، أو التفسير ، أو العقائد ، أو التاريخ أو غير ذلك ، فهو موسوعة علمية عظيمة القدر .

وهذه الفتاوى هى ردود ابن تيمية على بعض ما ورد إليه من الأسئلة فى الدين . جمعها بعض فضلاء العلماء . وقد وضع كل سؤال فى مقدمة الجواب عنه . وأيدت الإجابة — على عادة ابن تيمية — بآيات القرآن والحديث ، وما أثر عن الصحابة والتابعين .

ومن الفتاوى ما هو فى الطهارة والوضوء والتيمم والصلاة وقراءة القرآن . وفى العقائد والأدعية . ومنها فى الحلف والطلاق ، وفى المعاملات . ومنها فى الوقف ، واللقطة ، والوصية ، وأبواب النكاح ، والولاء ، والطلاق ، والعدة ، والرضاع ، إلى غير ذلك .

وقد تخلل الجزء الثالث كتاب مستقل اعتبر ملحقا له ، وهو كتابه « إقامة الدليل على إبطال التحليل » كما أن الجزء الخامس يحتوى على ثلاثة كتب مختلفة فى الفتاوى .

وبعد فهذا الكتاب من أهم كتبه كما ذكرنا ، ويستطيع المطالع الباحث فيه ، أن يكون لابن تيمية منه — بالإضافة إلى ما عُرف من المذهب — مذهبا خاصا .

٢ — اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم :

كتاب مطبوع كذلك فى عام ١٣٢٦ ﻫ يتحدث عن موضوعات دينية عدة ، أهمها النهى عن التشبه بالكفار . ويحتوى على جملة فصول منها : فصل فيما دل من الكتاب والسنة والإجماع ، على الأمر بمخالفة الكفار ، والنهى عن مشابهتهم

فى الجملة ، ومنها . فصل فى أن ما يشبه الأمر بمخالفة الكفار ، الأمر بمخالفة الشياطين . ومنها : فصل فى دحض الأدلة التى تقول إن شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم يرد شرعنا بخلافه . اعتمادا على قوله تعالى . « فبهداهم اقتده » وقوله « واتبع ملة ابراهيم حنيفا » . . . الخ .

وقد بين المؤلف فى فصول عدة كيفية المشابهة للكفار وموضعها وزمنها .

والكتاب فى فصوله ، غزير المادة قوى الحجة واضح المنطق جلى الأسلوب ، يدل على علم راسخ وعقل سليم . وقد زوده مؤلفه — على عادته — بالمناسب من الآيات القرآن والأحاديث النبوية ، يستنبط منهما ويستشهد بهما ، وابن تيمية فى هذا الضرب من الحديث فياض العبارة يتدفق تدفق السيل الغامر ، تواتيه حججه أرسالا دون جهد .

٣ — الإيمان :

كتاب مطبوع فى مجلد ، مع كتابه السابق . وموضوعه الحديث عن : الايمان وقد وفى المؤلف الكلام عن كل ما يتصل بمعنى الإيمان فى عدة فصول . منها فى الفرق بين الإسلام والإيمان . الفرق بين الحقيقة والمجاز . مذهب الأشعرى فى الإيمان . الإيمان عند الجهمية وحجج من نصرهم . معنى الإيمان إذا ما قرن بالاسلام والعمل الصالح . معنى الإيمان إذا أطلق فى القرآن والسنة . غلط الجهمية فى الايمان . . . الخ .

وأسلوب الكتاب من الوضوح والقوة والحجة والاستشهاد بالآيات والأحاديث ، على نمط من كتابه السابق . مع تفسير مستشهداته وشرحها .

٤ — الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :

كتاب صغير ، ولكنه ممتع . خاص بالتفرقة بين أولياء الشيطان ، وتمييز كل فريق عن الآخر . وقد عُنى المؤلف فى مقدمة كتابه بإيراد الآيات القرآنية الدالة على وجود كل نوع منهما . كقوله تعالى : إلا إن أولياء الله لاخوف

عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » . وكقوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون . »

وقد بسط فى الفصل الأول ، صفات أولياء الرحمن فمنها : التقوى والايمان الكامل بمحمد عليه السلام . وبما جاء به . وبأنه الوساطة بين الله وخلقه فى تمييز حلاله من حرامه . . . إلى غير ذلك .

ودعم ما بسطه بأسلوبه الواضح وحجته المتينة المستمدة من القرآن والحديث . متعرضا لتزييف بعض الأحاديث غير الصحيحة ، مبينا بطلان مزاعم من يدعون الولاية ولا يتبعون محمدا عليه السلام . ودال على أن أسمى الأولياء هم الرسل والأنبياء : محمد وابراهيم ونوح وموسى وعيسى ، وهم الرسل أهل العزم ، وأسماهم جميعا محمد صلى الله عليه وسلم .

وزيّف من يزعم ولاية أهل الصُّفَّة ، ولو لم يتبعوا الرسول ، بدعوى أنهم فى غنى عن رسالته ، وأنه لم يرسل إليهم . وبين أن أهل الصفة أنفسهم ، كان منهم حقا المؤمن الحسن الإيمان مثل سعد بن أبى وقاص وأبى هريرة . ولكن كان منهم غير ذلك بل كان منهم من ارتد وقتله النبي عليه السلام .

وأنكر الأحاديث التى يدعي فيها واضعوها أن الأولياء بالشام . وما قيل فى الأبدال والنقباء والنجباء والأوتار والأقطاب وهلم جرا من مدعيات الصوفية . وأبطل قول القائلين بأن النبي له شريعتان : ظاهرة وباطنة .

وتحدث عن أنواع شتى من الإيمان وقال « فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى » الخ

وقد نفى فى بعض فصوله ، أن يكون المجنون وليالله وأن يكون للولى لباس

مخصوص ، أو مظهر مخصوص . ونفى أن يكون الولى معصوما ، وجوّز أن يكون جاهلا ببعض أمور الشريعة .

وأخذ فى بعض الفصول يعرف « الحقيقة » ، وقال إنها شريعة الله رب العالمين ، وأنها دين محمد عليه السلام .

وبعد ، فهذا كتاب ملىء بالحديث عن المسائل الكلامية كالإرادة والأمر والقضاء والإذن ، وفيه تسفيه كثير لمن أدعى الولاية ولا يملك أداءها من علم أو دين أو استقامة أو خلق ، وفيه حملة على الصوفية ومدعى الوصول . ودحض اشبه الملاحدة والمتفلسفة . إلى غير ذلك .

٥ — الواسطة بين الخلق والحق :

هذه رسالة قيمة ، وإن تكن صغيرة موضوعها « الوساطة » بين الله والناس . وهى من الموضوعات الهامة التى لاتزال تشغل بال الناس حتى اليوم . كتب ابن تيمية رسالته فيها ردا على مسألة فى هذا الموضوع . ويتلخص رده فيما يأتى :

ا — أثبت أنّ الوساطة بين الله والناس موجودة ، إذا كان المراد منها هذه المخلوقات من الرسل أو الملائكة الذين يبلغون رسالته . وقد قال تعالى : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » ، إلى غير ذلك .

ب — أما الوساطة بمعنى الأشياء التى تجلب النفع وتدفع الضر ، فالاعتقاد بها شرك بالله . فقد قال تعالى : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا . أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون . » . إلى غير ذلك .

جـ — وهذا لا يمنع اعتقاد الشفاعة ، لمن أذن الله له تعالى ، لقوله « لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن » . . إلى غير ذلك من الآيات .

د — وإن كان المراد بالواسطة أو الوسائط ، أنهم بالنسبة لله كالحجاب بالنسبة للملوك ، يتقرب الناس إليهم بهم ، لأنهم أقرب الناس إلى الملوك . . فهو كفر بالله

وشرك . والله يرزق الخلق ويقضي الحوائج بغير حاجة إلى هذا الضرب من الوساطة . ومن قال بذلك فهو مشبّه كافر يجب أن يستتاب ، وإلا قُتل .

وقد نزه ابن تيمية الله سبحانه وتعالى عن هذه الوساطة . إذ يُفهم منها أن الله لايدرى من أمر خلقه إلا ما تقدمه له وسائطه . وأنه لايستطيع تدبير خلقه إلا بهم ، وأنه لا يرحم عباده ولا يرزقهم إلا إذا دعوه إلى ذلك . فتعالى الله عن ذلك كله علوا كبيراً .

وقد تكلم ابن تيمية عن شفاعة الرسول عليه السلام ، كلاما مسهبا فأثبتها وبين الفارق بينها وبين الوساطة كما يفهمها العامة وأشباه العامة .

نكتفي إلى هنا بهذا القدر من الحديث عن ابن تيمية وحياته وعلمه . ونقول للمرة الثانية إن من حسن الحظ أن كثيرا من رسائله موجود ومطبوع . والله أعلم .

« ترجمته في (١) الدرر الكامنة ، (٢) تاريخ ابن الوردى ، (٣) فوات الوفيات ج ١ ص ٤٤ و ٣٥٠ ، (٤) طبقات ابن مفلح ، (د) شذرات الذهبي وتذكرة حفاظه أيضا ، (٦) مقدمة رسالته « الواسطة بين الخلق والحق » ، (٧) مختصر طبقات الحنابلة للشطى ص ٥٤ ، (٨) جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٤٣ (٩) عقود الجوهر الجيل المظم ج ١ ص ١٦٦ ، (١٠) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٣٤ (١١) تحفة الأحباب للسخاوى على هامش نفح الطيب ص ٣٢ (١٢) الرد الوافر لشمس الدين الشافعي المتوفى عام ٨٤٢ هـ ، (١٣) القول الجلى للسيد صفى الدين الحنفى (١٤) الكواكب الدرية للشيخ مرعى بن يوسف الكرمى . وذكر فيه أن ابن فضل العمرى ترجم لابن تيمية في مسالك الأبصار . وأن الشيخ سراج الدين أبا حفص البزاز ترجم له أيضا في كتابه « الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية » ، (١٤) ذكره السبكي في طبقاته في أكثر من موضع منها في سياق ترجمته لوالده ج ٦ ص ١٥٦ وما بعدها ، وفى ترجمة املاء الباجى ج ٦ ص ٢٢٨ ، (١٥) جلاء العينين بقضاء الدين فى محاكمة الأحمدين : لمؤلفه السيد نعمان خير الدين بن الآلوسي من علماء القرن الثالث عشر الهجرى . »

٥ - أبو الفداء «الملك المؤيد» صاحب حماة ٦٧٢ هـ - ٧٣٢ هـ

مدينة حماة :

بمناسبة الكلام عن هذا الرجل الجليل الشأن، وأعنى به الملك المؤيد أبا الفداء اسماعيل العالم المؤلف، الذى اقترن اسمه باسم مدينة حماة، حتى أصبح معروفا بصاحب حماة، نلخص كلمة هنا عن هذه المدينة وتاريخها استطرادا للفائدة (١) . فنقول :

يقال : إن هذه المدينة قديمة، يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح بنحو ألفين وخمسمائة عام . إذ سكنها قوم من الكنعانيين الآتين من ناحية الخليج الفارسى يسمون «الحثيين» . وكان الكنعانيون المذكورون أربع فرق هم : الإسرائيليون والفينيقيون والعمالقة والحثيون، تغلبوا على الآراميين سكان سوريا الأصليين وتوطنوها . وكان الحثيون أعظم هذه الفرق . وهم الذين أسسوا «حماة» على نهر العاصى، وكذلك مدينة صور وإرواد وقادس وحمص وكركميش «ايرابوليس»، وذلك فى الناحية الشمالية من الشام . وإليها تنسب التوراة جميع هذه البلاد إذ تسميها «حمث» .

ودخلت «حماة» فى حكم المصريين مع سائر بلاد الشام، فى عهد تحتمس الأول قبل الميلاد بنحو ١٨٠٠ سنة . ولما نما مُلك الآشوريين، خضعت «حماة» لسيطرتهم مرارا . وتغلب الآشوريون على الحثيين، وأبادوهم حوالى سنة ٧١٧ ق . م . وانتشر فى حماة من بعدهم، عدد من الآراميين سكان دمشق الأولين المنسوبين إلى سام . فتكون جيل جديد فى حماة من بقايا الحثيين ومن الآراميين والآشوريين، الممتزجين جميعا معا . وخضعت حماة من بعدُ، لحكم الاسرائيليين ثم المصريين . وهكذا، حتى ملكها الأسكندر المقدونى قبل الميلاد بنحو ٣٣٢ سنة . ثم ملكها ملك سوريا «سلوقس»، حوالى سنة ٣١٢ ق . م . وبنى قلعتها .

---

(١) راجع كتاب «تاريخ حماة» لأحمد بن ابراهيم الصابونى .

ثم استولى عليها الرومان سنة ٦٤ ميلادية . ثم ملكها العرب ودخلها الإسلام سنة ١٨ هجرية . ثم تداولتها حكومات العرب . ودخلت فى حكم السلاجقة من بعد . ثم تبعت ملك دمشق « طغتكين » . وصارت بين هذين حتى حكمها « نور الدين محمود ابن زنكى » عام ٥٤١ هـ . فجددها . ثم حكمها فى جملة بلاد الشام صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٠ هـ ، فأصبحت تابعة لمصر من ذلك الحين . وولى أمرها أحد أمراء الأيوبيين وهو ابن أخى صلاح الدين ، وسمى « الملك المظفر » . ثم ورثه فيها أبناؤه ، واتسع نطاقها الإدارى . ولما آل الحكم إلى سلاطين المماليك المصريين ، انضوت تحت لوائهم ، وجعلوها نيابة من نياباتهم ، وبعثوا إليها بأمرائهم : الأمير تلو الأمير ، نوابا عنهم . وصارت لها إدارة مستقلة ، كأنها مملكة تابعة . ومن بين نوابها فى ذلك الحين عدد من أبناء المظفر الأيوبى ومنهم « الملك المؤيد أبو الفداء اسماعيل » .

وظلت حماة تابعة لمصر كبقية نيابات الشام ، حتى دخلت الشام ومصر فى حكم العثمانيين . ثم آل حكم الشام إلى الفرنسيين على ما هو معروف .

وحماة كثيرة الخيرات جمة المبانى والمؤسسات ، أنجبت كثيرا من المبرزين فى أدوار حياتها المختلفة . منهم : أبو الفداء . ومنهم بدر الدين بن جماعة . وشيخ الشيوخ عبد الله بن الأنصارى . وتقى الدين بن حجة الحموى . وأفراد أسرة البارزى . وغيرهم .

الملك المؤيد أبو الفداء اسماعيل :

هو عماد الدين صاحب حماة . ابن السلطان الأفضل نور الدين أبى الحسن على ابن السلطان الملك المظفر تقى الدين أبى الفتح محمود ، ابن السلطان المنصور محمد ، ابن السلطان المظفر تقى الدين عمر ، ابن شاهنشاه بن أيوب بن شادى ، وأيوب هذا هو والد السلطان صلاح الدين الأيوبى .

لما ملك صلاح الدين الأيوبى بلاد الشام ، أناب عنه فى مملكة حماة ابن أخيه ، وهو المظفر عمر بن شاهنشاه . وتلقب بالملك . وورث مملكته من بعده على التوالى

ابنه الملك المنصور محمد بن عمر ثم ابن المنصور هذا ، وهو الملك الناصر قليج أرسلان بن محمد ثم الابن الثانى للمنصور ، وهو أخو الناصر . واسمه الملك المظفر محمود بن محمد . ثم ابن المظفر محمود ، وهو الملك المنصور محمد . بدأ حكمه صغيرا عام ٦٤٢ هـ . وفى عهده خرّب هولاكو ، التترى بلاد الشام ، واستسلم له أهل حماة . ففر ملكها المنصور محمد إلى مصر ، وكان الحكم فيها قد انتقل إلى سلاطين المماليك . وكان ملكها إذ ذاك المظفر قطز . فأعد العدة للقاء التتار . وسار إليهم ومعه المنصور محمد فهزمهم فى بلاد الشام ، وأعاد المنصورَ محمدا إلى مملكته حماة . وجعله نائبا عليها من قبله . فظل فى منصبه نحو إحدى وأربعين سنة حتى عام ٦٨٣ هـ . فأقام المنصورُ قلاوون ملكُ مصر ، ابنَ المتوفىَّ ، ملكا على حماة مكان أبيه ، وهو الملك المظفر محمود . فلبث حتى توفى عام ٦٩٨ هـ . فرأى سلطان مصر أن يُعين أحد أمرائه نائبا على حماة . وبذلك انقطع ملك هؤلاء الأيوبيين عن حماة . وتولاها أمراء من المصريين حتى كانت سنة ٧١٠ هـ ، فى هذه السنة مات نائب حلب الأمير سيف الدين قبجق . وكان نائب حماة الأمير استدمر ، ولم تكن له رغبة فى الانتقال منها . ولكن سلطان مصر إذ ذاك ، الناصر محمد بن قلاوون ، نقله إلى حلب ، وعين مكانه فى حماة ، أبا الفداء اسماعيل مترجمنا ، وهو من بقايا الأيوبيين .

كان أبو الفداء ، قبيل هذا ، مقيما بدمشق . ثم انضم إلى الملك الناصر محمد وقت مُقامه فى الكرك معزولا ، وبالغ فى العناية به وخدمته . فوعده الناصر بنيابة حماة ، إذا عاد إلى الملك . فلما عاد وفى له بذلك ، وعينه نائبا عنه بها ، وذلك عام ٧١٠ هـ . ومنحه لقب سلطان وملك ، وجعلها مملكة له ، كما كانت فى عهد أسلافه . وهكذا عادت حماة إلى سلالة الأيوبيين ، بعد ما قبضت عنهم قرابة اثنى عشر عاما .

قيل : « وجعله سلطانا يفعل فيها ما يشاء ، من إقطاع وغيره . وليس لأحد من الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم . وأركبه فى القاهرة بشعار الملك وأبهة السلطنة ، ومشى الأمراء والناس فى خدمته ، حتى الأمير سيف الدين أرغون

النائب . وقام له القاضى كريم الدين بكل ما يحتاج إليه فى ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم . ولقبوه الملك الصالح ثم بعد قليل لقبه الملك بالمؤيد .

وكان كل سنة يتوجه إلى مصر بأنواع من الخيل والرقيق والجواهر وسائر الأصناف الغريبة . هذا إلى ماهو مستمر طول السنة بما يهديه من التحف والطرف .

وتقدم السلطان الملك الناصر إلى نوابه ، بأن يكتبوا إليه : « يقبل الأرض » . وكان الأمير سيف الدين يشكر ، رحمه الله تعالى يكتب إليه « يقبل الأرض » و « بالمقام العالى الشريف المؤيدى السلطانى الملكى المولوى العمادى » . وفى العنوان « صاحب حماة » . ويكتب إليه السلطان الناصر « أخوه محمد بن قلاوون » و « أعز الله أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى — بلا مولوى » .

وهذه المخاطبات كلها تدل على تعظيمه ، وعلى ماله من الحرمة فى نفوسهم . وقد لبث فى منصبه هذا حتى مات عام ٧٣٢ هـ فى سن الستين تقريبا . وخلفه ابنه الأفضل فى ملكه . وبقيت مملكة حماة فى عقبه زمنا ، ثم تقلص ظلها عنهم وعادت نيابة كما كانت .

بعض أخباره :

أبو الفداء — كما شهدنا — من بقايا الأيوبيين حكام حماة . ولما أخذ سيل التتار يتدفق على هذه المملكة ، فر أهله إلى دمشق . وفى هذه المدينة ولد أبو الفداء فى شهر جمادى الاولى عام ٦٧٢ هـ ، بدار النجيلى .

ولما عاد مُلك حماة إلى أسرته ، عاد معها ، وترقى فى سلك الإمارة حتى صار أمير عشرة عام ٦٩٠ هـ فى عهد ملكها المظفر محمود . واشترك مع الجنود المجتمعة لفتح عكا ، يوم أن حاصرها سلطان مصر الأشرف خليل بن قلاوون وفى عام ٦٩٢ هـ ، ترقى أمير طبلخاناة « أمير أربعين فارسا » . واشترك عام ٦٩٧ هـ ، مع جنود المظفر ، فى فتح بلاد الأرمن زمن المنصور لاجين ، سلطان مصر .

ولما انقطعت نيابة حماة عن بقايا الأيوبيين أجداد المؤيد ، ظل هو فى خدمة

نائبها الجديد الأمير ، قرا سنقر ، ، ومع ذلك لقى من هذا الأمير بعض الحيف ، ثم آل أمره أخيراً إلى أن صار نائباً للناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر ، على حماة ، عام ٧١٠ هـ

ولما عُين فى نيابة حماة ، نزل منها نائبها ، استدمر ، ، وكان ذلك على الرغم منه ، ورفض الانتقال منها ، وكادت الحرب تقع بين الأميرين بسببها . لولا أن قدمت نصيحة إلى استدمر بالإقلاع عن هذه المنافسة ، والانصياع لأوامر السلطان — على أن استدمر حاول ، من بعد ، أن يكيد المؤيد ، فلم يفلح .

استقل المؤيد بنيابته ، فطلب إلى الناصر بن قلاوون ، أن يفد عليه فى مصر ، فأذن له .

خرج المؤيد من حماة فى مستهل شوال عام ٧١٠ هـ ، فبلغ القاهرة ولقى السلطان ، فى أول القعدة ، وقدم إليه الهدايا الحافلة ، ولبث مدة فى جواره ، ثم عاد من لدنه مكرما . فبلغ حماة فى الثلاثاء السابع من ذى الحجة من نفس العام .

وفى عام ٧١٢ هـ ، وفد ثانية على مصر . فخرج من حماة يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول ، فلقى السلطان فى ١٠ ربيع الآخر ، وقدم هداياه إليه فأكرمه السلطان وخلع عليه وأعطاه ثلاثين ألف درهم وقطع أقمشة وفرسا مطهمة . وكتب له تقليداً بولاية حماة والمعرة وبارين . ثم خرج من القاهرة يوم الثلاثاء ٢ جمادى الأولى عام ٧١٢ هـ ماراً بدمشق ، فبلغ حماة فى نفس الشهر وقرىء تقليده على الناس .

وبعد قليل خرجت المعرة من إدارته ، وضمت إلى حلب ، بسبب طمع أمرائها فى المعرة ، بل وفى حماة نفسها . وثار نزاع بسبب ذلك . فتنزل المؤيد عن المعرة حسما له . وذلك عام ٧١٣ هـ .

وفى نفس العام استأذن المؤيدُ سلطانَ مصر الناصر فى الذهاب إلى الحج . فأذن له وأهدى إليه ألف دينار . فخرج من حماة فى ١٤ شوال على الخيل والبغال حتى الكرك . ثم ركب الجمال منها إلى المدينة سابقا ركب المحمل الشامى . فزار ثم

يمم مكة وأدى فريضة الحج وعاد إلى حماة فى ١١ المحرم عام ٧١٤ هـ ، وزار فى طريقه مدنا عدة . وهذه هى حجته الثانية . — أما حجته الأولى فكانت عام ٧٠٣ هـ أيام أن كان أميرا .

وقد سافر إلى مصر مرة أخرى عام ٧١٥ هـ فبلغ القاهرة مساء الأحد ١٨ جمادى الأولى ، فلقى السلطان ولقى لديه ما تطيب له نفسه من الإكرام . وأعاد إليه مدينة المعرة ، وكتب له تقليد آبذلك . ومدحه بهذه المناسبة كاتب الإنشاء شهاب الدين الحلبى بقصيدة ذكر فيها كرم السلطان ، وعود المعرة إلى المؤيد ومن هذه القصيدة :

بك تزهى مواكب وأسرة ولك الشمس والقواضب أسرة

وبأيامك التى هى روض الأمانى تجنى ثمار المسرة

بك كل الدنيا تهنى ويضحى قدرها عاليا وكيف المعرة

ثم عاد إلى حماة ويداه مملوءتان بالأعطيات الوفيرة والمنح الكثيرة عام ٧١٥ هـ . ولكن مالبثت المعرة أن خرجت من يده مرة أخرى فى ذى القعدة من العام المذكور .

وخرج فى عام ٧١٩ هـ صحبة سلطان مصر الناصر إلى الحج . فقدم أولا إلى مصر فى أواخر شوال ، وظل بها حتى خرج فى ركب السلطان . ثم عاد معه إلى مصر . وحينئذ منحه السلطان الناصر لقب « سلطان » ، وأركبه بشعار السلطنة . ويفهم من هذا أنه كان إلى عام ٧١٩ هـ نائبا فقط . ثم عاد إلى حماة ودخلها صباح السبت ٢٦ المحرم عام ٧٢٠ هـ

وقد زار مصر زورة أخرى عام ٧٢١ هـ ثم عاد إلى حماة . وزارها مرة عام ٧٢٢ هـ وزار الأهرام بصحبة السلطان وعاد عام ٧٢٣ هـ وزارها مرة أخرى عام ٧٢٤ هـ وعاد عام ٧٢٥ هـ وزارها مرة أخرى فى عام ٧٢٧ هـ ليشترك فى الصيد مع السلطان .

وقد تردد المؤيد على مصر مرارا . وكان فى كل مرة يجد ما تطيب له نفسه من إكرام السلطان واحتفائه به وهداياه له . كما كان يقدم إلى السلطان هدايا عدة ثمينة فى كل مرة . وكان يشترك بجنوده فى الحروب حسب أمر الناصر محمد .

ومما يذكر هنا أن المؤيد حينما كان يتناول سيرة الملك الناصر محمد ويذكر حروبه وتنقلاته ، وذلك فى كتاب تاريخه « المختصر » كان يعبر عنه بأرق الألفاظ وأعذبها وأكثرها إشعارا بالحب والتعظيم .

علمه وأخلاقه :

يتضح من سيرة هذا الرجل أنه كان وديع الأخلاق جم التواضع . ولذلك أحبه من حوله وكرّمه عارفوه ، وعلى رأسهم سلطان مصر العظيم الشأن الناصر ابن قلاوون . ولا يخلو مثله من دهاء وتحيل ، لحفظ هذه المنزلة العظيمة التى بلغها وفضل بها سائر نواب الدولة ، حتى صار سلطانا وملكا . وهذه الحالة كان من الطبيعى أن تخلق له بعض الأعداء الغيورين الحاسدين . غير أن ثقة الناصر به وحبه له لسابقة يده عنده ، كانت تدرأ عنه نتائج الغيرة وعواقب الحسد .

ويظهر أن وداعته وتواضعه ، ودهاءه وتحيله فى هـــذه الدولة الشاسعة الأطراف التى تعج بالطامعين المتنابذين من الأمراء ، حتى استطاع أن يستديم لنفسه منصبه قرابة ثلاثين وعشرين سنة ، وهى مدة قل أن ترى أميراً من هؤلاء الأمراء احتفظ بمركزه الممتاز فى مدة تساويها . — أقول إن هذه الأخلاق لابد أن اكتسبها من ممارسته للعلم ومن حبه للاطلاع ومن ولعه بالأدب . فقد اشتهر هذا الرجل بحبه للعلم والأدب ، وعطفه على العلماء والأدباء ، وإحاطة نفسه بعدد منهم يشجعهم ويعينهم ، وإنه ليعيد إلى الذاكرة فى هذا العصر الكردى التركى صورا من أمراء العرب فى العصور الماضية ، ممن يُراحون للشعر ، ويهتزون للأدب ، ويهيمون بالنوادر الطريفة ومجالس العلم .

ومما يذكر أنه آوى إليه « أمين الدين الأبهرى [1] » فأقام عنده ورتب له ما يكفيه . وأقام فى كنفه ردحا طويلا أمير شعراء عصره جمال الدين بن نباتة المصرى ورتب له كذلك ما يكفيه . ولما أقام ابن نباتة فى دمشق رتب له كل سنة ستمائة درهم غير ما يتحفه به من الهدايا . وكان ابن نباتة يخرج معه أحيانا للصيد . وله فيه وفى ابنه الأفضل قصائد مدح طنانة خالدة أبقت ذكرى هذا الملك عاطرة مؤرجة . — وكذلك فعل مع الشاعر صفى الدين الحلى فقد رتب له مثل مارتب لابن نباته . ولصفى الدين فيه أمداح أخرى وتجد هـــذه القصائد فى ديوانى الشاعرين : [2]

ومما شغل به تعمير مدينة حماة وإنشاء الرباع والحمامات والمؤسسات المختلفة بها . وبنى بظاهرها « جامع الدهيشة » وزوده بمكتبة حافلة .

واشتغل الملك المؤيد بعلوم عدة . وله فيها مؤلفات ذات أثر وقيمة . كما اشتغل بالأدب ونظم الشعر وله فيه أبيات رائقة . كما كان ولوعا بالرحلات والطواف ، زار مصر مرارا وطوف كثيرا فى آفاق بلاد الشام وزار القدس وبارين وبعلبك والكرك وبيروت وغيرها .

قيل : « وكان الملك المؤيد فيه مكارم وفضيلة تامة من فقه وطب وحكمة وغير ذلك . وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة لأنه أتقنه وإن كان قد شارك فى سائر العلوم مشاركة جيدة » .

ويفهم من سيرته أنه كان مشاركا فى الفقه الشافعى ، وإن لم يبرز فيه تبريزا يعده من فقهائه . وكان مشاركا كذلك فى النحو والأدب ونظم الشعر . وكان كثير النظر فى كتب التاريخ محبا له ، ولذلك ألف كتابه النافع « المختصر » . وكان ذا علم

(١) أمين الدين الأبهرى ذكره ابن حجر فى الدرر . رحل بعد موت أبى الفداء إلى حلب ومات بها عام ٧٣٣ هـ . وذكر بعض المراجع أنه أثير الدين الأبهرى ولكن أثير الدين هذا توفى عام ٦٦٣ هـ وهو مؤلف إيساغوجى وهداية الحكمة ، راجع جورجى زيدان ج٣ ص١٠٥ .

(٢) انظر ترجمة الحلى وابن نباتة . وشعرهما فى المؤيد ، فى الجزء الثالث من كتابنا هذا .

محمود بتقويم البلدان ، فألف كتابه فيه هذا كله فوق ما عرف عنه من ميله إلى الطب ومعاطاته . ويحكى عنه أنه : « توجه فى بعض السنين إلى مصر ومعه ابنه الملك الأفضل محمد . فمرض ولده وجهز إليه السلطان الناصر ، الطبيب ، جمال الدين ابن المغربى ، رئيس الأطباء . فكان يجىء إليه بكرة وعشية فيراه ، ويبحث عنه فى مرضه ، ويقدر الدواء ويطبخ الشراب بيده فى دست فضه — أى المؤيد يصنع هذا — فقال له ابن المغربى : ياخوند ! والله ما تحتاج إلىّ وما أجىء إلا امتثالا لأمر السلطان . ولما عوفى ، أعطاه بغلة بسرج وكنبوش مزركش وأقمشة وعشرة آلاف درهم والدست الفضة وقال يا مولاى ! اعذرنى فإنى لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الابن » .

وهكذا كان الرجل خيرا محسنا بجانب علمه وأدبه وقد قيل إنه لما حانت منيته فرّق بعضا من كتبه على أصحابه ووقف البعض الآخر

ولما مات المؤيد رثاه الشعراء وفى طليعتهم ابن نباتة والصفى الحلى . ومطلع قصيدة ابن نباتة .

ما للندى لا يلبي صوت داعيه أظن أن ابن شادى قام ناعيه
ما للرجاء قد استدت مذاهبه ما للزمان قد اسودت نواحيه

شعره :

قلنا إنه كان شاعرا ، سماعا للشعر ، مثيبا للشعراء ، فيه أريحية أدبية كانه سيف الدولة بن حمدان العربى وشعره متوسط الجودة رقيق اللفظ واضح المعنى قليل التكلف تشوبه أحيانا أخطاء لغوية أرضرورات شعرية . يقوله فى أغراض نفسية كغزل أو شكوى ومنه قوله فى التشوق :

اقرأ على طيب الحيـــا ة سلام صب مات حزنا
واعـــلم بذاك أحبة بخل الزمان بهم وضنا
لو كان يشرى قربهم بالمال والأرواح جـــدنا
متجرعا كأس الفرا ق يبيت للأشواق رهنا

صب قضى وجدا ولا يقضى له ما قـــد تمنى

* * *

ومن موشحة له يعارض بها موشحة ابن سناء الملك .

عسى ويا قلما تفيد عسى أرى لنفسى من الهوى نفسا
مذبان عنى من قد كلفت به قلبى قــد لج فى تقلبه
وبى أذى . شوق عاتى ومـــدمعى يوم شاتى
لا أترك اللهو والهوى أبدا وإن أطلت الغرام والفندا
إن شئت فاعذل فلست أستمع أنا الذى فى الغرام أتبع
وتحتـــذى . صباباتى وتدعينى . عاداتى
بى مالك فى الجمال لا بشر يُظلم إن قيل إنه قمر
بحسن فيه الولوع والوله وعز قلبى فى أن أذل له
خذى حذا . أن يأتى ويرتمى حشـــاشانى

مؤلفاته :

له مؤلفات هامة تعتبر مراجع فى بابها ولا سيما « المختصر » و « التقويم » وقد اهتم بها الأجانب وترجموهما إلى عدة لغات . فمن مؤلفاته :

١ — المختصر فى أخبار البشر : وهو فى التاريخ العام . وهو المعروف بتاريخ أبى الفداء . ٢ — تقويم البلدان : وهو فى الجغرافيا ووصف الأقاليم . ٣ — الكناش : وهو فى النحو ، فى عدة مجلدات ٤ — نظم الحاوى : وهو فى فقه الشافعية . ٥ — كتاب الموازين . ٦ — التبر المسبوك فى تواريخ الملوك : به أخبار عن السلاجقة وسلاطين المماليك فى مصر والشام . ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية . ولنتكلم الآن عن بعض هذه المؤلفات

١ — المختصر فى أخبار البشر :

كتاب مشهور متداول بين رواة التاريخ ومحبيه . طبع منذ أمد . تصفحته وهو

فى أربعة أجزاء مختصرة . وهو فى التاريخ العام من بدء الخليقة إلى عام ٧٢٩ هـ . — وقد ألحق به تذييل فى الجزء الرابع نقلا عن كتاب زين الدين عمر بن الوردى المعروف « بتتمة المختصر » وهذا التذييل من سنة ٧٣٠ هـ إلى سنة ٧٤٩ هـ . أما « التتمة » نفسها فمن سنة ٧٠٩ هـ .

وكتاب المختصر شبيه بكتاب بدائع الزهور لابن إياس وشبيه ببعض كتب التاريخ الأخرى التى وُضعت فى هذا العصر ، من ناحية سرد حوادث كل عام على حدة ، مع ذكر ما يتصل بهذا العام ، من تعيين ولاة أو عزل عمال أو تنصيب قضاة أو نحو ذلك . وكذلك وصف حالة النيل أحيانا ، ووصف النواحى الاجتماعية أحيانا أخرى .

وقد عُنى المؤلف بإيراد حوادث مصر ، وحوادث الدول المعاصرة لها كل عام متتابعة ، وكل حادث منها تحت عنوان خاص . وكتاب « العبر » لابن خلدون شبيه بكتاب « المختصر » من هذه الناحية .

وقد صرح المؤلف فى مقدمة كتابه أنه رتب حوادثه على السنين حسب تأليف « الكامل » لابن الأثير . — واعتمد كذلك على كتب كثيرة نقل عنها . ولكنه قل أن نسب إليها فى صلب كتابه شيئا ، بل أغفلها مكتفيا بالنص عليها فى مقدمة الكتاب . ومنها : الكامل لابن الأثير الجزرى . تجاريب الأمم لابن مسكويه . وكتاب البيان لأبى عيسى أحمد بن على المنجم . والتاريخ المظفرى للقاضى شهاب الدين بن أبى الدم الحموى . ووفيات الأعيان لابن خلكان . وتاريخ اليمن لعمارة اليمنى وغير ذلك .

وقد قسمه إلى مقدمة وخمسة فصول .

أما المقدمة فتتضمن ثلاثة أمور : تكلم فى الأمر الأول عن اختلاف التواريخ القديمة وضرب الأمثلة لذلك . وتكلم فى الأمر الثانى عن معرفة نسخ التوراة الثلاث وهى السامرية والعبرانية واليونانية . وبين ما فى تواريخها من متناقضات . وقد اعتمد

المؤلف التوراة اليونانية ، وقال إنها هي التي اختارها المؤرخون . وليس فيها مايقتضى الإنكار من جهة الماضى من عمر الزمان .

وعرض فى الأمر الثالث، جدولا طريفا ، يتضمن التواريخ المشهورة ، والمدة بين كل تاريخ منها وآخر . وبين فيه الفروق الزمنية بين الأحداث التاريخية العظمى ، كهبوط آدم ، والطوفان ، ومولد ابراهيم ، ووفاة موسى ، وابتداء ملك بختنصر ، وغلبة الأسكندر المقدونى ، وظهور أغسطس على كليوبترا ، وحكم دقلديانوس ، ثم الهجرة .

وقد حقق هذه الأمور تحقيقا نافعا ، يدل على خبرة وروية ودراية وحسن نظر . ونحن وإن أهمتنا النتائج التى وصل إليها ، يهمنا فيها حبه للبحث والموازنة ، وتحرى الدقة ، وبغية الوصول إلى الصواب .

أما الفصول : فالأول فى التواريخ القديمة وذكر الأنبياء ، وحكام بنى اسرائيل ، والثانى فى ملوك الفرس وما يتصل بهم . والثالث فى فراعنة مصر وملوك اليونان والروم والقياصرة . والرابع فى ملوك العرب قبل الإسلام فى الحيرة واليمن أو الشام أو غيرها . والخامس فى ذكر أمم العالم ، وهو أوسع فصوله استغرق أكثر الجزء الأول والأجزاء الثلاثة الأخرى .

وقد أورد المؤرخ حوادث السيرة النبوية فى الفصل الخامس ، وسلسلة حوادث دول العرب منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى نهاية الدول العباسية . متتبعا أخبار مصر ودولها ودول التتار والمماليك لعهده حتى سنة ٧٢٩ هـ . كما ذكرنا . وذكر فى سياق حديثه تواريخ الدول المعاصرة كبلاد اليمن والمغرب والأندلس وغيرها .

ولا ريب أن ما أورده المؤرخ من حديث عن العصور القديمة البائدة ، اعتمد فيه على كتب التاريخ السالفة الذكر . أما الجزء الأخير الذى عاش فيه ، فإنه أرخه تأريخ شاهد سامع مبصر مشترك فى حوادثه . لذلك يعد فى هذا الجزء مرجعا من خير المراجع وأدقها .

ولا ننس أن نذكر أنه أورد فى سياق الحوادث ميلاد كثير من العلماء والأفذاذ ووفاتهم ، ويعتبر أحد المراجع فى ذلك أيضاً . وقد اهتم كثير من المؤرخين بهذا الكتاب . وقال عنه جورجى زيدان : « ولهذا الكتاب منزلة رفيعة عند علماء أوربا وهو من أقدم كتب التاريخ الإسلامى التى اهتموا بنشرها وترجمتها . »

أسلوبه :

أسلوب المختصر سهل لطيف رقيق واضح قليل الاستطراد قريب المأخذ ، متوسط الجودة نادر العامية ، قليل الابتذال ، حديث مسرود لا تكلف فيه ، قل أن سقط إلى مستوى العامية ، كما سقط من بعده بعض المؤرخين . لا يلتزم البديع إلا لماما . وقد يستطرد إلى ذكر حوادث أدبية طريفة يروى فيها بعض المنثور أو المنظوم . وهكذا ترى ما لهذا الكتاب من أهمية فى التاريخ والأدب .

هذا وقد ألف أبو الفداء كتابه « المختصر » ، وذكر فيه الحوادث حتى أواخر عام ٧٢٩ هـ ، ولبث يتحدث فيه عن نفسه وعن تنقلاته وأعماله . ويقول مثلا : وصلتُ إلى . وسافرتُ ، وتوجهتُ . الخ

وقد طبع الكتاب ، وزيدت عليه حوادث أواخر عام ٧٢٩ هـ إلى أواخر عام ٧٤٩ هـ ، نقلا عن كتاب « تتمة المختصر » لابن الوردى ، الذى اختصر فيه كتاب أبى الفداء ، وذيّل له .

وقد صرّح ابن الوردى فى « التتمة » أن أبا الفداء وقف فى « مختصره » عند أواخر سنة ٧٠٩ هـ ، — فيما علم — ، ولهذا وضع تتمته على المختصر ، من أواخر سنة ٧٠٩ هـ ، إلى أواخر عام ٧٤٩ هـ .

ويبدو أن أبا الفداء أكمل مختصره حتى عام ٧٢٩ هـ ، ولم يطلع عليه ابن الوردى ، وعثر عليه الناشرون فأضافوه ؛ فأصبح كتاب المختصر كاملا .

٢ — تقويم البلدان :

طبع هذا الكتاب بإشراف المستشرق رينود ، والبارون ماك كوكين دى سلان فى باريس عام ١٨٤٠ م

تصفحت منه نسخة بمكتبة بلدية الإسكندرية، على ورق جيد وبحروف واضحة، وإن كانت من النوع القديم .

وقد قدمه المؤلف بمقدمة وجيزة بين فيها الدافع له على تأليفه، فقال: « لما طالعت الكتب المؤلفة فى البلاد ونواحى الأرض من الجبال والبحار وغيرها لم أجد فيها كتابا موفيا بغرضى » ثم تعرض لذكر عدة من هذه المؤلفات وبين نواحى النقص فيها . ومنها ما لم يذكر الطول والعرض ومنها ما لم يضبط الأسماء ولم يبين الطول والعرض . ومن بين هذه الكتب : كتاب ابن حوقل وفيه صفات البلاد ولم يضبط فيه الأسماء ولم يذكر الأطوال ولا العروض ومنها كتاب الشريف الإدريسى فى الممالك والمسالك ، وكتاب ابن خرداذبة ، وهما مثل ابن حوقل فى كتابه . ومنها كتاب الأنساب للسمعانى . والمشترك لياقوت الحموى . وكتاب مزيل الارتياب عن مشتبه الأنساب، وكتاب الفيصل ، كلاهما لأبى المجد اسماعيل ابن هبة الله الموصلى ولم يتعرض لتحقيق الأطوال والعروض . الخ . . فأحب المؤلف أن يجمع فى كتابه هذا ما تفرق فى الكتب المختلفة مع ضبط الأسماء وذكر الأطوال والعروض . ولم يدع الإحاطة .

وقارىء الكتاب يشعر شعوراً جليا بعدة أمور، منها : دقة المؤلف فى التعبير عن الحقائق العلمية المعروفة فى عهده ، دقة تُشعر أيضاً بالحُنكة وحسن الفهم واكتمال الملكة العلمية . ثم يشعر بإحاطة المؤلف بكل ما يختص بموضوعه مع عنايته بالتحقيق والضبط . هذا إلى أنه بغير شك ، قد تقدم علم التقويم فى زماننا تقدماً كبيراً جداً وأحاط بالكثير من المجهولات ، ووصل إلى الكثير من القوانين ، فأحدث ذلك تغيراً فى النظريات القديمة . فإذا كان المؤلف أورد ضروبا من هذه النظريات والقوانين والتقاسيم ، فليس ثمت ما يؤخذ به ، ولا غبار عليه ، فهو لسان عصره ، وكتابه مرآة له، وأحد الحدود التى بلغها علم التقويم فيه من تقدم ورقى . ومع هذا كله ، فلا يزال عدد كبير من نظرياته صحيحا . فمن النظريات الصحيحة كروية الأرض

والبراهين عليها . ونقص أيام السائر نحو المغرب عن أيام السائر نحو المشرق ، وحديثه عن خط الاستواء والجهات المسكونة من الأرض فى حينه . وبلوغ الشمس منزلة الأوج وهى عمودية على مدار الجدى ، ومنزلة الحضيض وهى عمودية على مدار السرطان . وكلامه عن البحر المحيط إلى حدٍ ما وغير ذلك . ومن النظريات التى تطرق إليها الوهن، قصر العمار على الأقاليم السبعة ، لأن أمريكا لم تكن كشفت إلى ذلك الحين . كما قد تغيرت أسماء كثير من الأماكن ، مدنا وبحارا وخلجانا الخ . وكذلك تغيرت طريقة التحديد وقياس الأطوال الآن عنها فى الزمن القديم . والمعلومات الجغرافية إلى ذلك الحين ، كان ينتابها — إلى حد ما — الحدس والتخمين . فلم تكن كلها وليدة المشاهدة والرحلة . ومما تغير بلاشك، ما كان يُزعم عن منابع النيل وفيضانه . وهنا نقول إن المؤلف قال عنه « ومبتداه وأوله الخراب الذى هو جنوب خط الاستواء، ولذلك تعسر الوقوف عليه ، ولم يتصل بنا من أخباره إلا ما نقل عن اليونان ونسب إلى بطليموس، أنه ينحدر من جبل القمر من عشرة مسيلات منه ، بين كل نهر منها والآخر درجة فى الطول » الخ . ويعجبنا من المؤلف أنه لم يتورط بكثرة الكلام عن النيل، واعترف بقلة ما اتصل به من أخباره، إلا ماروى عن اليونان . ثم إن ما رواه عن النيل قليل، وهو دليل على قصر المعلومات عن هذا النهر الكبير فى ذلك الحين — هذا كله فى المقدمة . ثم تحدث المؤلف عن بعض النواحى المعمورة واصفا وصفا إقليميا فيذكر الحدود والبلاد المتاخمة ، والأنهار والجبال والمدن والنواحى المختلفة ، والأجناس واللغات أحياناً ، إلى غير ذلك، ضابطا الأسماء ضبط اللغويين، مستطرداً أحياناً إلى بعض الطرائف التاريخية، معقبا على شروحه واستطراداته ، بجداول مقسمة ، يذكر فيها أسماء الجهات والمدن، وأمامها عروضها وأطوالها ، وضبطها بالحروف على نمط ضبط ابن خلكان فى وفياته ، ثم أوصافها وأخبارها العامة ، كلٌّ فى نهر خاص من الجدول المذكور . ناقلا عن كثير من الكتب السالفة . ذاكرا لكل من نقل عنه. ومن الديار التى تكلم عنها · جزيرة العرب ، ومصر ، والشام ، والمغرب، والسودان

والأندلس ، والعراق ، وفارس ، والهند ، والصين ، وبلاد الروم ، وأرمينية ، وخراسان ، وما والاها إلى بلاد ما وراء الهند .

ومهما يكن من شيء ، فكتاب التقويم يعد مفخرة من مفاخر مصر فى العصر المملوكى ، وعمدة من عمد التقويم فى العصور الوسطى .

وحسبنا هذا فى التنويه بقدر أبى الفداء .



* توجد ترجمته فى فوات الوفيات ج ١ ص ٢٠ - وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٦ ص ٨٤ - وتاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ١٨٧ - وتاريخ حماة للصابونى وابن اياس ج ١ ص ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ - والدرر الكامنة ج ١ - وفى كتابه « المختصر » فى أوله وفى الجزء الرابع منه فى مواضع كثيرة . - وذكره ابن حجة فى ثمرات الأوراق وتأهيل الغريب » .

٦- شمس الدين بن قيم الجوزية ٦٩١هـ - ٧٥١هـ

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، أحد العلماء الأعلام، الذين كشف الله عن بصيرتهم، وآتاهم من العلم حظا عظيما. وليس فى علماء هذا العصر من هو أقرب شبها بابن تيمية، من تلميذه ابن القيم، الذى تأدب على ما ندته، وتناول كأس العلم من يده. ولازمه زمنا طويلا، وابتلى مثله بكثير من الأعداء كما ابتلى، وسجن مرارا كما سجن. ومن بينها مرة سجن فيها بسببه، وهى آخر مرة سجن فيها ابن تيمية بقلعة دمشق. فسجن كذلك ابن القيم فى ناحية بعيدة عن أستاذه، ولم يطلق سراحه إلا بعد وفاة ابن تيمية.

فابن القيم شبيه أستاذه فى العلم والمذهب وحوادث الحياة. وحتى فى الأسلوب الكتابى، ترى كلا منهما فياضا كالسيل، واضح الآراء، ثبت اللفظ كثير الاستشهاد بالآيات والأحاديث وأقوال السلف، حاضر البديهة، وحتى فى الاتجاه العلمى، فقد كان كل منهما بحرا زخارا فى الفقه الحنبلى، كثير التعرض للفرق الخارجة ذات المذاهب الملتوية غير المستقيمة، كالرافضة والجهمية والحلولية، يفند مذاهبهم ويكذب مزاعمهم، ويفرى براهينهم ويقطع حججهم، ويوضح مذهب أهل الكتاب والسنة بحجة فارعة وبرهان قوى.

وكثيرا ما وافق ابن القيم أستاذه ابن تيمية، فى مسائل عدة مما أفتى بها، كتحريم السفر إلى زيارة بعض القبور. كما أن بين الاثنين شبها كبيرا فى الورع والتقوى وزهادة الدنيا، والميل الطبيعى إلى التقشف والصلابة فى الحق. وبين الاثنين شبه فى الشغف بالعلم وحب التأليف فيه، فكما ترك لنا ابن تيمية بضع مئات من المصنفات ترك لنا تلميذه ابن القيم، الكثير منها فى فروع دينية عدة.

ولعل من الفروق بينهما، أن ابن تيمية — وهو فى مظهره ومخبره متصوف حقيقة — لم يَلِجْ فى الطريق كما يلج الصوفية، ولم يدع الأحوال كما يدعون، ولم يتحيل

كما يتحيلون . بل حمل عليهم أحيانا فى عداد من حمل عليه . وفند بعض ما يقولون وما يصنعون . وقد عرفنا ما أصابه من جراء تصديه للشيخ نصر المبنجى ولغيره من رجال الطرق .

أما ابن القيم — وهو على غرار أستاذه علما وتصوفا ومعرفة وإيمانا — فقد خاض فى التصوف وكتب بعض المؤلفات فيه وشرحها . وعرف مصطلحاته معرفة الخبير بها ، وكتب عنها كتابة أهل العلم ، ولكنه لم يحد قط عما يسنه القرآن والحديث . ومما تناوله من هذا القبيل كتاب « منازل السائرين » للهروى المتصوف ، فقد شرحه ابن القيم شرحا جليلا ، فى ثلاثة مجلدات سماه : « مدارج السالكين » . وهو فى ذلك طراز من حجة الإسلام الغزالى .

اسمه وشىء من حياته :

هو العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى ثم الدمشقى الفقيه الحنبلى المفسر النحوى الأصولى المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية . —

قال الآلوسى فى كتابه « جلاء العينين » ما يلى : « قال ابن رجب : ولد شيخنا سنة إحدى وتسعين وستمائة . ولازم الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وأخذ عنه ، وتفنن فى كافة علوم الإسلام . وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى . وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق فى ذلك . وبالفقه والعربية ، وله فيها اليد الطولى وبعلم الكلام والتصوف .

حُبس مرة لإنكاره شد الرحيل إلى قبر الخليل . وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى . ولم أشاهد مثله فى عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان . وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر فى معناه مثله .

وقد امتحن وأوذى مرات ، وحبس مع شيخه شيخ الإسلام تقى الدين فى المرة الأخيرة بالقلعة ـ أى قلعة دمشق ـ منفردا عنه . ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ . وكان فى مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن ، وبالتدبر والتفكر ، ففُتح

عليه من ذلك خير كثير . وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة. وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف ، والخوض فى غوامضهم . وتصانيفه ممتلئة بذلك . وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة . وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته . وسمعت عليه قصيدته النونية فى السنة ، وأشياء من تصانيفه غيرها . وأخذ عنه العلم خلق كثير فى حياة شيخه ، وإلى أن مات ، فانتفعوا به .

قال القاضى برهان الدين الزرعى : « وما تحت أديم السماء أوسع علما منه » . ودرس بالصدرية ، وأمّ بالجوزية ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة . وصنف تصانيف كثيرة جدا فى أنواع العلوم ، وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره . »

وقال السيد رشيد رضا — من علماء العصر الحديث — وناشر كتاب « مدارج السالكين » فى تقديمه ، بعد أن تحدث عن أهل الحق : « وأجدر هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذى يزيل الخلاف من كان جامعا بين المنقول والمعقول ، غير متعصب لمذهب من المذاهب التى تعزى إلى أفراد العلماء . ولم نر فى هذا الصنف أوسع علما وأنهض حجة وأقوى عارضة من شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، وتلميذه الإمام المحقق محمد بن أبى بكر الشهير بابن القيم أو ابن قيم الجوزية . فقد جمع الله لكل منهما بين الرسوخ فى علوم السنة حفظا وفهما واستحضارا واستنباطا ، وبين التمكن من سائر العلوم التى دونت بالعربية ومذاهب الفرق وأدلتها ، فبينا فى كتبهما الممتعة، ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب . وقد كان ابن تيمية السابق إلى تحرير تلك المسائل ، وتلاه ابن القيم ، فكان الموضح المكمل لها ، والمستدرك المدرك لما فاته منها . وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلمه الإطالة بتحرير علوم الصوفية ، ووضع الموازين القسط لمعارفهم ، وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم ، بشرحه لكتاب « منازل السائرين » لشيخ الإسلام أبى إسماعيل الهروى . »

وقال ابن كثير : كان يقصد للإفتاء بمسألة الطلاق ، حتى جرت له بسببها ، أمور يطول بسطها ، مع ابن السبكى ، وغيره .

وكان جماعا للكتب . فحصل له منها ما لا يحصر ، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرا طويلا ، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم .

وهو طويل النفس فى مصنفاته يتعانى الإيضاح جهده ، فيسهب جدا ، وله فى ذلك ملكة قوية . وكان كثير العبادة ، لا أعرف فى زماننا من أهل العلم من هو أكثر عبادة منه . » . ونوّه ابن حجر أيضاً بحبه للكتب .

وقال عنه ابن حجر كذلك : « كان جرىء الجنان واسع العلم ، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف : وغلب عليه حب ابن تيمية ، حتى كان لا يخرج عن شىء من أقواله ، بل ينتصر له فى جميع ذلك . وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه » .

شيوخه :

تتلمذ ابن القيم لكثيرين من جلة علماء جيله ، وعلى رأسهم شيخه الأول تقى الدين بن تيمية ، وقد لازمه منذ عودته من مصر إلى دمشق عام ٧١٢ هـ . وقد سمع الحديث من التقى سليمان ، وأبى بكر بن عبد الدائم ، وابن الشيرازى ، والمطعم ، واسماعيل بن مكتوم . ودرس العربية على ابن أبى الفتح ، والمجد التونسى . وقرأ الفقه على المجد الحرانى ، والتقى بن تيمية . وقرأ فى الأصول على الصفى الهندى ، وابن تيمية أيضاً .

عمله وتلاميذه :

اشتغل ابن القيم بتحصيل العلم ، ثم قام بنشره فصنف المصنفات النافعة فى جدال الكلاميين ، والمنحرفين فى نظره عن مذهب السلف وعقيدتهم . وفى تفسير كلام الله وحديث رسوله الكريم . واشتغل بالتدريس والإمامة والفتوى . وتخرج به تلاميذ أجلاء ، منهم : الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، صاحب طبقات الحنابلة ، — وقد نقلنا كلمته فى شيخه ، فيما سبق —

ومنهم شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي صاحب مختصر طبقات الحنابلة ، لأبي يعلى . ومنهم والده الحافظ ابراهيم ، وعبد الله ، وغيرهم .

وله في حياته جهاد وكفاح شبيهان بجهاد شيخه ابن تيمية وكفاحه . فقد أفتى وصودر في فتاواه ، وسجن بسببها ، وبسبب فتاوى ابن تيمية . واعتقل معه في قلعة دمشق . — قال ابن حجر عنه : « اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل ، مضروبا بالدرة » . وتعتبر حركة ابن القيم تتمة لحركة شيخه ، في تحرير الفكر والرأى ، وفى الدعوة إلى عقيدة السلف . وفى توضيح مذهب ابن حنبل .

مولده ووفاته :

ولد ابن القيم فى دمشق عام ٦٩١ هـ ، ويبدو أنه أقام بها معظم حياته ، كما قيل إنه صحب ابن تيمية حين وفد على مصر ، وقد توفى فى ٢٣ رجب عام ٧٥١ هـ [١] . ودفن بجنازة حافلة ، بمقبرة الباب الصغير ، عند والديه ، بعد أن صُلى عليه فى مواضع عدة ، منها الجامع الأموى .

مؤلفاته :

تدور مؤلفات ابن القيم — كما أشرنا — حول الرد على المبتدعين والكلاميين والمنحرفين فى العقيدة عن مذهب السلف . وكذلك ألف فى التصوف ، تأليف العارفين — وفى هذا يفارق شيخه ابن تيمية . وكتب فى تفسير القرآن . وشرح الحديث ، وصنف فى فقه الحنابلة . وقد يمتاز ابن القيم عن شيخه بطول نفسه ، وإسهابه فى بعض مصنفاته ، على أنه فيض من بحره وقبس من نوره . وتعد مؤلفاته بالعشرات . ومنها كثير موجود ، وكثير مطبوع ومتداول . ومنها :

١ — تهذيب سنن أبى داود وإيضاح مشكلاته . ٢ — سفر الهجرتين وباب السعادتين ٣ — مراحل السائرين ٤ — الكلم الطيب والعمل الصالح ٥ — زاد المسافرين ٦ — زاد المعاد فى هدى خير العباد ٧ — نقد المنقول ،

---

(١) روى ابن حجر أن وفاته كانت فى ١٣ رجب عام ٧٥١ هـ ، وذكر ابن إياس أن وفاته كانت سنة ٧٥٢ هـ .

فى مجلد ٨ — نزهة المشتاقين : فى مجلد .[1] ٩ — أعلام الموقعين عن رب العالمين فى ثلاثة مجلدات . ١٠ — بدائع الفوائد ، فى مجلدين ١١ — الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١٢ — حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح . ١٣ — كتاب الداء والدواء ، فى مجلد ١٤ — مفتاح دار السعادة ، فى مجلد كبير . ١٥ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية ، فى مجلد . ١٦ — كتاب الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، ١٧ — عدة الصابرين ١٨ — إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان . ١٩ — كتاب الروح ٢٠ — الصراط المستقيم فى أحكام أهل الجحيم . ٢١ — الفتح القدسى . ٢٢ — التحفة المكية ٢٣ — الفتاوى ٢٤ — هداية الحيارى فى الرد على اليهود والنصارى . ٢٥ — تحفة الودود فى أحكام المولود ، فى مجلد . ٢٦ — القصيدة النونية ، الشهيرة بالشافية الكافية فى الانتصار للفرقة الناجية وتبلغ نحو ستة آلاف بيت ، وقيل سبعة آلاف . ذكرها ابن حجر فى الدرر . ٢٧ — رفع اليدين فى الصلاة وهو مجلد واحد . ٢٨ — تفضيل مكة على المدينة فى مجلد واحد . ٢٩ — فضل العلم وهو فى مجلد واحد . ٣٠ — كتاب الكبائر وهو فى مجلد . ٣١ — حكم تارك الصلاة وهو مجلد واحد . ٣٢ — موت المؤمن وحياته وهو فى مجلد واحد . ٣٣ — التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير . ٣٤ — جوابات عابدى الصلبان . ٣٥ — بطلان الكيمياء من أربعين وجها .

---

(١) يوجد لابن القيم كتاب اسمه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » مطبوع فى دمشق ومنه نسخة بدار الكتب المصرية « فهرس الآداب » . تكلم فيه عن لغة الحب وفلسفته ومذاهب الناس فيه ، ولغة الشريعة وحكمها وأدبها ، وبه مزايا خلقية وفقهية وأدبية ولغوية . — فلعله هو كتابه « نزهة المشتاقين » .

٣٦ — الفرق بين الخلة والمحبة . ٣٧ — أمثال القرآن . ٣٨ — إيمان القرآن . ٣٩ — المسائل الطرابلسية . ٤٠ — كتاب الطاعون . ٤١ — جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام . ٤٢ — عقد الإخاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى السماء . ٤٣ — بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل . ٤٤ — نكاح المحرم . ٤٥ — إغمام الهلال فى رمضان . ٤٦ — شرح على الأسماء الحسنى . ٤٧ — شرح على ألفية ابن مالك . ٤٨ — أخبار النساء ويشتمل على أخبارهن وأوصافهن وما قيل فى التحذير منهن وغدرهن . ٤٩ — شفاء الغليل فى مسائل القضاء والقدر والحكم والتعليل . ٥٠ — مدارج السالكين . وهو فى التصوف، شرح لكتاب « منازل السائرين » ٥١ — الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى . ٥٢ — الفوائد [1] . ٥٣ — الفروسية . ٥٤ — تفسير الفاتحة ٥٥ — تفسير المعوذتين .

التعريف ببعض هذه الكتب :

١ — مدارج السالكين :

أطلعت على نسخة منه مطبوعة بمطبعة المنار عام ١٣٣١ هـ ، فى حجم كبير ،

---

(١) فى دار الكتب المصرية كتاب لابن القيم اسمه كتاب « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » فى فهرس البلاغة — مطبوع ؛ فلعله كتاب الفوائد المذكور .

وفى ثلاثة أجزاء . واسمه الكامل « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » . وهو شرح لكتاب « منازل السائرين » للهروى .

وقد عُنى بطبعه ونشره المرحوم السيد رشيد رضا صاحب المنار المعروف . وجمع لذلك عدة نسخ خطية ، بعضها من الكويت ، وبعضها مكتوب بأيدى نساخ نجديين . وجهد فى التصحيح حتى أخرجه محمود المظهر .

وقد وضع السيد رشيد مقدمة لهذا الكتاب ، طريفة ممتعة ، تحدث فيها بعض الحديث عن مؤلفه ابن القيم ، وتحدث فيه بعض الحديث عن التصوف الصحيح وأهله ، ومركز ابن القيم منه ومنهم . وقد نقلنا بعض هذه المقدمة فى صدر الكلام السالف عن ابن القيم .

أما كتاب « منازل السائرين » فهو عبارة عن متن مختصر اختصارا شديدا ، وضعه شيخ الإسلام ، أبو اسماعيل الأنصارى الحنبلى وهو عبدالله بن محمد بن على الهروى الصوفى المتوفى عام ٤٨١ هـ فى ذى الحجة . (١)

ويقع هذا الكتاب فى ثمانى صفحات . وموضوعه التصوف الإسلامى والعقائد الإسلامية . وصفها وذكرها بغير كثير جدال ، ولا رد لغيرها من المذاهب . وهو فوق اختصاره ، مملوء بالعبارات المبهمة والجمل الغامضة والمفردات المصطلح عليها عند الصوفية ، بما له معانى خاصة عرفية لديهم ، لا يُعين على فهمها عادةً ، معرفةٌ بمتن ولا تذوق لتجوّز . وقد يضيق بفهمها غير العارفين .

أما كتاب ابن القيم « مدارج السالكين » فهو شرح لكتاب الهروى . وإن لم يشر ابن القيم إلى ذلك فى مقدمته . وهو شرح مستفيض جامع بين السنة والعقل والفقه ، أو بين المنقول والمعقول . فلا هو إلى جماعة أهل الأثر ، ولا هو إلى غلاة المتصوفة والمتأولين . فهو بينهما وسط صالح . وهذا الكتاب لا ستفاضة بحوثه وترامى أطرافها ، لا يشعر المرء معه بوجود المتن الذى تصدى لشرحه . ويقع فى ثلاثة أجزاء :

(١) ترجمة الهروى بتفصيل فى تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٣ الطبقة ٤ .

اما الجزء الأول، فقد بذل المؤلف مجهودا فيه ضخما . إذ تناول فاتحة القرآن الكريم ،وطفق يفسر آياتها تفسيرا شائقا ، ساق فى خلاله مسائل خلقية كثيرة، فصل فيها الكلام تفصيلا وبيّن ما تحويه الفاتحة من أنواع التوحيد ومن المعانى الكثيرة المنثورة فى القرآن الكريم، والتى اكتنزت فى هذه الفاتحة . وتكلم كذلك عن الهداية والوحى والرقية بالفاتحة . ورد على كثير من أهل الفرق المبتدعة . وتحدث عن الذنب والمعصية والتوبة والاستغفار وغير ذلك .

أما الجزء الثانى، فقد شرح فيه معنى الإخبات والورع والزهد والتبتل والرغبة والرعاية والمراقبة والاعتراض والإخلاص والتوكل المحمود والمذموم ، والاستقامة والشكر والإيثار والبخل والجود والمروءة وغير ذلك .

وفى الجزء الثالث، عرّف بالهمة والمحبة والغيرة والشوق والوجد والأمل والذوق والاغتراب والغيبة والمشاهدة ، والمعاينة والحياة والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والمعرفة والفناء والبقاء وغير ذلك .

وهكذا ترى أن الكتاب كتاب خلقى نفسى عظيم الشأن جليل الأثر . ويظهر أن ابن القيم أراد — كما أراد صاحب المتن — أن يتدرج بالسالك من حالته الأولى إلى الحالة العليا . فرفق به فى الجزء الأول مبينا له كيفية رياضة النفس . ثم بين له فى الجزء الثانى المقامات الحسنى والأخلاق النافعة التى إن ثبت عليها وثابر ، بلغ المرتبة الثالثة ، وهى الأخيرة التى يعى فيها أشياء ، ويتذوق أشياء ، ما كان يعيها ولا يتذوقها من قبل ، ولا يستطيع أن يعيها ولا أن يتذوقها رجل آخر سلك فى حياته السبيل العادية .

وأهم مادار حوله كلامه ، ما تتضمنه الآية الكريمة « إياك نعبد وإياك نستعين» وبين بروح إسلامية ما فيها من الحقائق الرائعة والمعارف الجامعة .

وقد بين ابن القيم غرضه من تأليف هذا الكتاب فى خطبته . ونقتبس منها ما يلى . قال :

« ونحن بعون الله ننبه على هذا بالكلام على فاتحة الكتاب ، وهى أم القرآن ،

وعلى بعض ما تضمنته هذه السورة من هذه المطالب . وما تضمنته من الرد على جميع طوائف أهل البدع والضلال وما تضمنته من منازل السائرين ، ومقامات العارفين . والفرق بين وسائلها وغاياتها ، ومواهبها وكسبياتها . وبيان أنه لا يقوم غير هذه السورة مقامها ولا يسد مسدها . ولذلك لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها . والله المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . »

أسلوب هذا الكتاب :

لابن القيم فيه أسلوبان أدبى وعلمى . ويتمثل الأدبى فى خطبة الكتاب وقليل من فصوله . ويتمثل العلمى فى معظم فصوله . ولنتكلم عن كل منهما .

أسلوبه الأدبى :

كأنما أراد ابن القيم فى خطبة الكتاب أن يتابع رجال عصره الأدباء . لذلك تقيد بالسجع وبالفقرات الطويلة والاقتباس والتضمين وضروب أخرى من البديع مع حسن عبارة وجودة رصف ، ودقة تناسق وغزارة معنى وكثرة علم . وإنك لترى فيه هنا النزعة الخطابية والروح العاطفية . — ومن قوله فى تلك الخطبة يُعَرِض ببعض الذين لم يفهموا كتاب الله حق الفهم ، ويتهكم بهم تهكما مرا :

« أنزلوا النصوص منزلة الخليفة فى هذا الزمان ، له السكة والخطبة ، وما له حكم نافذ ولا سلطان . المتمسك عندهم بالكتاب والسنة ، صاحب ظواهر مبخوس حظه من المعقول ، والمقلد للآراء المتناقضة المتعارضة ، والأفكار المتهافتة لديهم هو الفاضل المقبول . وأهل الكتاب والسنة المقدّمون لنصوصها على غيرها ، جهال لديهم منقوصون . « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » . حُرموا — والله — الوصول ، بعدولهم عن منهج الوحى وتضييعهم الأصول . وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها . فخانتهم أحرص ما كانوا عليها . وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها . حتى إذا بُعثر

ما فى القبور ، وحصل ما فى الصدور . وتميز لكل قوم حاصلهم الذى حصلوه ، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه ، وقدموا على ما قدموه . « وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » . وسقط فى أيديهم عند الحصاد ،لما عاينوا غلة مابذروه . فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباء منثورا . ويا عظم المصيبة عندما يتبين بوارق أمانيه خلبا ، وآماله كاذبة غرورا . فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء، بربه يوم تُبلى السرائر . وما عذر من نبذ الوحيين وراء ظهره فى يوم لاتنفع الظالمين فيه المعاذر » . إلى آخره .

أسلوبه العلمى :

أكثر فصول الكتاب كتب بهذا الأسلوب . وقد انقسم الكلام فيه إلى فصول كثير منها موجز يقع فى سطور . ويُعنى المؤلف بتوضيح المعنى فى كل فصل ، وبيان الحقائق العلمية ، ولكن دون جفاف ، وفى كثير من التقسيم ، والإجمال ثم التفصيل ، والتقديم ثم الاستنباط ، والاستشهاد بالآيات والأحاديث والأقوال المأثورة . كل ذلك فى جمل هينة لينة قليلة اللبس نادرة الغموض ، تشوبها أحيانا عبارات ومفردات مصطلح عليها ، وأكثر ما تبدو عند رده على الكلاميين ، كما ترى فيها الأقيسة المنطقية على نمط يسير مما كان يكتب به ابن تيمية والعلامة الغزالى ،

هذا وقد يعرض الغموض لعبارته، وقد يتعمد السجع أحيانا ويتكلفه . وأكثر ما يبدو منه إذا غلبه الوجد ونال منه التحنان ، فيهتز متكلما عن عاطفة ، ويهزج كما يهزج المشتاق ، فيسجع طورا ويشعر طورا آخر .

ويضع المؤلف أحيانا عبارة المتن بين قوسين ، ثم يأخذ فى شرحها ويفيض . ومن محاسنه أن يستطرد إلى تفسيرات لغوية نافعة ، وذكر شروح طريفة منقولة ومنسوبة إلى قائليها ، وتدوين أدبيات مأثورة قيمة . وتاريخيات ثمينة .

ومما أخذه به الناشر ، عدم إرجاع ما استشهد به من الأحاديث النبوية إلى دواوينها

فى كتب الحديث ، تثبيتاً للقول وتمكيناً للحجة كما هو شأن ابن تيمية . ثم عقب الناشر بعد ذلك بأن نفى عنه أن ينزل إلى الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة أو المنكرة لأنه من حفاظ الحديث . — أقول ومع ذلك أراه ذكر فى كثير من الأحاديث عددا من رواتها .

ومما يجدر ذكره أن المؤلف كثيرا ما استشهد بأقوال أستاذه ابن تيمية ، وهذه النزعة فيها معنى الوفاء ، فوق ما فيها من الأمانة العلمية . وبهذه المناسبة نقول إن الذى يدرس أحد الرجلين لاغنى له عن دراسة الآخر .

وإلى القارىء نموذجا من كتابته العلمية : كتب فصلا حينما تكلم بصدد سورة الفاتحة ومزاياها وما اشتملت عليه، فقال منه « ص ٢٣ ج أول »يرد على من يقول بوحدة الوجود .

« ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهرُ للعقول والفطر من وجود النهار . ومن لم ير ذلك فى عقله وفطرته ، فليتهمهما . وإذا بطل قول هؤلاء ، بطل قول أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم وجود قديم خالق ، ووجود حادث مخلوق . بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله ، وهو حقيقة هذا العالم . فليس عند القوم رب وعبد ، ولا مالك ولا مملوك ، ولا راحم ولا مرحوم ، ولا عابد ولا معبود ، ولا مستعين ومستعان به . ولا هادى ولا مهدى ، ولا منعم ولا منعم عليه . ولا غضبان ومغضوب عليه . بل الرب هو نفس العبد وحقيقته ، والمالك هو عين المملوك ، والراحم هو عين المرحوم والعابد نفس المعبود . وإنما التغاير أمر اعتبارى بحسب مظاهر الذات وتجلياتها . فتظهر تارة فى صورة معبود كما ظهرت فى صورة فرعون . وفى عبد كما ظهرت فى صورة العبيد . وفى صورة هاد كما ظهرت فى صورة الأنبياء والرسل والعلماء ، والكل من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة. فحقيقة العابد ووجوده ، أو أينيته هى حقيقة المعبود ، ووجوده وأينيته .

والفاتحة من أولها إلى آخرها ، تبين بطلان قول هؤلاء الملاحدة وضلالهم » .

وبعد ، فيضيق نطاق القول عن إيفاء هذا الكتاب قدره من الوصف .

٢. — كتاب الفروسية :

طبع هذا الكتاب عام ١٣٦٠ هـ بمطبعة الأنوار ، وموضوعه ينطق به عنوانه، فهو فى « الفروسية » ، ويُقصد بها ضروب الألعاب والرياضة البدنية ، التى اشتهر بها الرسول عليه السلام .

وقد عقد المؤلف لذلك جملة فصول ، تكلم فى كل منها عن نوع من هذه الألعاب ، كالسباق والمصارعة ، راويا ما ورد فى كل نوع من الأحاديث التى تثبت مزاولة الرسول عليه السلام ، له . أو مشاركته فيه مشاركة ما .

وقد أشار فى فاتحة كتابه إلى هذه الأنواع حيث قال : ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سابق بالأقدام، وثبت عنه أنه سابق بين الإبل، وثبت عنه أنه سابق بين الخيل ، وثبت عنه أنه حضر نضال السهام ، وصار مع إحدى الطائفتين ، فأمسكت الأخرى ، وصار مع الطائفتين كلتيهما ، وثبت عنه أنه رمى بالقوس،وثبت عن الصدّيق أنه راهن كفار مكة على غلبة الروم للفرس، وراهنوه على ألا يكون ذلك، ووضعوا الحظ بين الجانبين ، وكان ذلك بعلم النبي عليه السلام وإذنه . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه طعن بالرمح وركب الخيل مسرجة ومعراة ، وتقلد السيف ، الخ .

وأخذ يذكر كل نوع ويؤيده بالأحاديث التى تدل على مشاركة النبي عليه السلام فيه وكثيرا ما رواها بأسانيدها . ولم يخل الكتاب من استطرادات نافعة وأدبيات وأشعار طريفة .

وكثيراً ما أيد كلامه بالحوادث التاريخية والآيات القرآنية وأقوال العلماء . ونرى من هذا كله أن الكتاب شاهد بفضل ابن القيم وغزارة علمه ،وإحاطته بمثل هذه الموضوعات الفريدة .

والدراسة هذا الموضوع ، ومثله ، أهمية كبرى لبيان روح الإسلام ، ومبلغ رقيه ومدنيته . واتجاهه فى التربية والتعليم .

٢ — جلاء الأفهام :

واسمه الكامل : « جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام ، على خير الأنام » وحجمه صغير ، ويقع فى أكثر من ٤٠٠ صفحة . ومطبوع فى « أمرتسار » .

تصفحت نسخة منه بدار الكتب بالمنصورة ، وقد وضع بفهرس التصوف ؛ ولكنه فى الحديث ورجال الحديث . وموضوع من الموضوعات الشائقة ، التى فطن لها ذهن ابن القيم ، فهو من هذه الناحية شبيه بالكتاب السابق : « الفروسية » أما هذا الموضوع فهو التكلم فى « الصلاة والسلام على النبى » وما يتصل بها ، وذكر الأحاديث المروية فيها . وقد روى المؤلف كل حديث منها ، برواياته العدة المختلفة موازنا بين كل رواية ورواية ، مجرحا الرجال أو معدلا ، مستشهدا على ما يقول بما ورد عنهم ، من كلام ثقات الرواة والحفاظ والفقهاء وعلماء الحديث .

وهذا الكتاب منقطع النظير فى بابه — فيما أعلم[1] — إذ خصصه المؤلف فى نوع واحد من الأحاديث دون سواه ، وأعنى به بابا واحدا من باب الحديث ، وهو باب الصلاة على النبى عليه السلام . ووفاه حقه ، من إيراد أحاديثه ، وتاريخ رجاله .

وبين فى أحد أبوابه ، من روى أحاديث الصلاة على النبى . وفى باب آخر ، أحاديثها المرسلة والموقوفة ، وفى باب ثالث : معنى الصلاة على النبى ، والصلاة على آله . وتفسير الآل . ووجه الشبه بين الصلاة على النبى ، والصلاة على ابرهيم وآله من بين سائر الأنبياء . « وهو ما يقرأ فى التشهد » . ومعنى ختام الصلاة بالحميد المجيد . إلى غير ذلك .

---

(١) جمع تقى الدين السبكى كتابه « شفاء السقام » بجملة من أحاديث الصلاة على النبى . وذكر فى مقدمتها أن أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن النميرى ، جمع تلك الأحاديث والروايات فى كتابه المسمى : « كتاب الاعلام بفضل الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام » .

وفى الكتاب بحوث فى اللغة ونحوها، وبخاصة مادار حول كلمة «الإثم» مستطردا منها إلى مسائل صوفية، وضروب من الرياضة النفسية، مع استشهادات وتحقيقات تاريخية. وقد ذكر خصائص سامية لآل النبي عليه السلام. فهو كتاب ممتع لعشاق الرسول عليه الصلاة والسلام، وآله الكرام.

٤ — الفوائد :

هذا كتاب آخر لابن القيم تصفحت نسخة منه مطبوعة فى حجم متوسط يقع فى أكثر من مائتى صفحة، طبعة حسنة، بإدارة الطباعة المنيرية بمصر بالكحكيين عام ١٣٤٤ ﻫ نقلا عن نسخة خطية.

ويحتوى على جملة فصول متنوعة، يحتوى كل منها على الكلام عن مسألة من المسائل الدينية الخاصة بالعقائد. وذلك كمسألة البعث وصفات أهل الجنة. وقرب الله سبحانه وتعالى إلى كل نفس «وهو أقرب إليكم من حبل الوريد». والسعادة والشقاء. والقدر والظلم والعدل.

وبه فصول جليلة تحدث فيها عن الأخلاق فوصفها وبين الطريق الموصل إلى الحسن منها. وبه فصول أخرى قيمة معقودة لتفسير بعض آيات الذكر الحكيم، وشرح بعض الأحاديث النبوية. ومن ذلك تفسير الفاتحة، وتفسير قوله تعالى «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد». وكلام عن سورة «ق». وغير ذلك مع استنباطات كثيرة مفيدة منقولة عن السلف.

وتبدو الروح الصوفية الصحيحة فى خلال الكتاب فهو كتاب تصوف وأخلاق وتفسير وشرح حديث، وتربية وتهذيب عال. ولننقل منه فصلا فى الأخلاق المذمومة والفاضلة لنتبين منه ما نقول. قال فى ص ١٤٣ ما يلى :

«أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة. وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة. فالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغى والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والإعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرياسة. وأن يحمد بما لم يفعل. وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفزع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله ، واستبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ونحو ذلك ، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس .

وأما الأخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجود والحلم والعفو والصفح ، والاحتمال والإيثار وعزة النفس عن الدناءات ، والتواضع والقناعة والصدق والأخلاق والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل ، والتغافل عن زلات الناس ، وترك الاشتغال بما لا يعنيه ، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك . فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة . والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو ، وتأخذ زينتها وبهجتها . فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق .

أما النار فطبعها العلو والإفساد ثم تخمد فتصير أصغر شيء وأرذله . . . وكذلك المخلوق منها . فهى دائماً بين العلو إذا هاجت واضطربت ، وبين الخسة والدناءة إذا خمدت وسكنت .

والأخلاق المذمومة تابعة للنار والمخلوق منها . والأخـــلاق الفاضلة تابعة للأرض والمخلوق منها . فمن علت همته وخشعت نفسه اتصفت بكل خلق جميل . ومن دنت همته وطغت نفسه اتصفت بكل خلق رذيل . »

٥ — مفتاح دار السعادة :

اسمه الكامل : « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة » صفحت منه نسخة مطبوعة فى حجم متوسط بمطبعة السعادة من عام ١٣٢٣ هـ إلى عام ١٣٢٥ هـ ، بعد تصحيحه عن نسختين خطيتين . وهذه طبعته الأولى وهو جزآن فى مجلد واحد يقع كل منهما فى نحو ٣٠٠ صفحة .

وهو كتاب ذو عبارة مرسلة ومعانٍ واضحة ومفردات مفهومة ، وتراكيب سهلة جيدة ، تتخللها أحياناً روح منطقية ومفردات اصطلاحية واستقصاء للجزئيات . وسير خلف المعانى حتى يستوفيها ، إذا عرض لتفسير آية أو شرح حديث ، أو رد على

أهل مذهب . ويدور الكتاب — فى رأينا — حول موضوع كلى واحد ، هو توجيه نظر الإنسان إلى كثير من الحكم التى اتضحت فيما خلقه الله وما قدره وما نظمه ، اتبدو من وراء ظهورها قدرة الله العلى ، وإرادته وحسن صنعه وتمام سيطرته وجمال تقديره ، وهذا حرى بأن يدفع الإنسان اليقظ البصير المتدبر إلى عبادة الله سبحانه وتعالى عبادة نقية صافية لا تشوبها شائبة . ولا يحوم حولها ريب . وفى هذا سعادة لا تحد .

هذا الموضوع الكلى هو أساس الكتاب . والكلام فيه متشعب النواحى . وقد يظهر للمطلع عليه أنه لا جامع فيه يجمع بين فصوله ويخيل إليه أنها فصول منثورة فى موضوعات شتى تختلف طولا وقصرا فحسب . فمن بينها فصل فى « بيان الأسرار التى بدت فى هبوط آدم من الجنة » ومن بينها فصل فى « وصف الجبال وبيان مزاياها » . ومن بينها فصل فى « علم المنطق واختلاف العلماء فيه » . ومن بينها فصل فى « بيان الحكمة فى كثرة بكاء الأطفال » . وفصل فى « بيان حاجة الناس إلى الشريعة » . وفصل فى « المنجمين » وهكذا .

من أجل ذلك يشعر من يتصفح الكتاب لأول وهلة أن فصوله متناثرة لا رابطة بينها ولا جامع يجمعها — والحقيقة أن بينها ارتباطا تاما وصلة وثيقة . وهو ما أشرنا إليه من أن المؤلف يتوخى أن يبدى للناس الحكمة ووجه الصواب فيما خلق الله ، وما شرع لخلقه ، وما قدر عليهم . مع بيان قدرته وسيطرته . حتى إذا ما تبصروا وتذكروا ، كان فى ذلك عبرة لهم تهديهم إلى العبادة الحقة والخضوع التام لله سبحانه وتعالى .

ومن العبث أن نحصى المواضع التى تعرض المؤلف للكلام عنها فى مؤلفه هذا لأنها كثيرة جدا . وإذا قلنا إننا قل أن نجد مظهرا من مظاهر الكون لم يتناوله المؤلف بالبحث والبيان ، لم نكن مبالغين . وهو يدعم كلامه عادة بآى الذكر الحكيم والحديث الشريف مستطردا إلى تفسير ما يذكر من ذلك .

وفى الكتاب كلام عن الجنة ، وعن العلم وشرفه . وعن الإنسان وما أودعه

الله فيه من مميزات . وعن الأجرام السماوية . وعن مظاهر الطبيعة من ريح وزلزال وغيرهما . وعن التضاريس الأرضية ومزاياها وما فى الأرض من المعادن والنبات والماء والحيوان والإنسان . وعن الفروق بين الرجل والمرأة . وفيه حديث عن الصوت وغيره فى الإنسان . وعن بعض الأخلاق والصفات فيه . وعن علم الساعة واستئثار الله سبحانه به وفائدة ذلك للإنسان . وفيه تتبع لكلام المنجمين مع الرد عليهم وتزييفهم . وهكذا .

فالقارىء يرى أن الكتاب به فقه وتشريع وتفسير وشرح حديث وتاريخ وكلام عن العقائد ، وتصوف . وهو كتاب تحليلى نفسى وكتاب تربية وأخلاق فوق ما به من استطرادات أدبية نافعة يروى فيها بعض المأثور من الشعر أو النثر .

وقد لا يُعجب علماء التقويم اليوم بما كتبه ابن القيم فى كتابه هذا عن الأرض والجبال وغيرهما مما يدخل فى علم التقويم ، لأنها ليست بذات دقة علمية يرتضيها العلماء الآن ، ولا تتلاقى مع جدة العبارات وحنكتها فى وصف خواص الأشياء فى عصرنا الحديث . والمؤلف على كل حال له عذره فى ذلك .

وبعد فحسبنا ما أثبتنا تعريفاً بهذا الرجل ومؤلفاته .

« ترجمته فى : (١) جورجى زيدان ج ٣ ، (٢) طبقات الحنابلة للشطى ص ٦١ — (٣) الدرر الكامنة ج ٣ رقم ١٠٦٧ — (٤) جلاء العينين للسيد نعمان الآلوسى — (٥) بدائع ابن إياس ج ١ ص ١٩٥ — (٦) فى صدر كتبه : مدارج السالكين ، وحادى الأرواح ، والفروسية . »

٧- تقى الدين السبكى ٦٨٣ هـ — ٧٥٦ هـ

علم من أعلام مصر، وأحد أئمة العصر. جهبذ فقيه، وفاضل نبيه اجتمع فيه الذكاء والزهادة، والورع والعبادة، كما اجتمع العلم والأدب. وقد ترجم له ابنه تاج الدين السبكى فى طبقاته الكبرى ترجمة مستفيضة اقتبسنا منها واعتمدنا عليها.

اسمه :

على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى ابن عمر بن عثمان بن على بن مسوار بن سوار بن سليم السبكى.

مولده ووفاته :

ولد بمصر فى قرية « سبك العبد »[1]، فى صفر عام ٦٨٣ هـ وتوفى فى ليلة الاثنين ٤ جمادى الآخرة عام ٧٥٦ هـ.[2]، بجزيرة الفيل على شاطىء النيل بظاهر القاهرة. ودفن بباب النصر.

طرف من حياته :

شب تقى الدين زاهدا بفطرته، عفا، مكبوح النفس عن لذات الحياة، خالص القلب لله. لم يكن يشغله شاغل عن عبادته سبحانه، وعن طلب العلم. قيل إنه تزوج فى مبكر شبابه، فلم تدم هذه الزيجة بسبب انصرافه إلى العلم.

رضى تقى الدين من الدنيا بالكفاف، فكان ذلك خير معين له على الاحتفاظ بعزة نفسه وكرامته، فزادت مهابته فى العيون. وسمت منزلته فى القلوب وكان متقللا من أكل اللحم، ندر أن صام إلا فى رمضان والأيام الستة. ويعزو ولده ذلك، إلى ضعف جسمه عن مجالدة الصوم، لاشتغال ذهنه بتحصيل العلم.

---

١ — هذه رواية ابن حجر فى الدرر الكامنة.

٢ — وقيل توفى عام ٧٥٥ هـ.

وكان ذا حياء جم، وتواضع وكرم. عكف على طلب العلم بالقاهرة أولا، ثم رحل إلى الاسكندرية، وزار بلادا عدة منها: دمشق والقدس والخليل، كما حج إلى مكة.

وسعد تقى الدين فى مطلع حياته العلمية بعدد من جلة العلماء. تثقف بثقافهم وتهذب بأدبهم وتخرج بعلمهم وفتحوا أمام ذهنه الوقاد فجاج المعرفة، حتى بلغ منها حدا لم يبلغوه، ووصل إلى مدى لم يخطوا إليه. حتى أصبح إمام الشافعية فى زمانه، كما كان من قبله. العز بن عبد السلام، والتقى بن دقيق العيد.

ولم يقتصر نبوغه على الفقه، بل تناول كثيراً من علوم زمانه، كالأصول والحديث شرحا ورواية، والتفسير والكلام والجدال، والنحو واللغة والمنطق والكتابة والشعر.

ومن أساتذته:

أبوه القاضى زين الدين، تفقه عليه. ثم تفقه على فقيه زمانه نجم الدين بن الرفعة. وأخذ الأصول والمعقولات عن علاء الدين الباجى. والمنطق عن شرف الدين البغدادى. والتفسير عن علم الدين العراقى. والقراءات عن تقى الدين بن الصائغ. والفرائض عن عبدالله الغمارى المالكى. والحديث عن الحافظ شرف الدين الدمياطى، وسعد الدين الحارثى وغيرهما. وأخذ النحو عن أبى حيان، والتصوف عن تاج الدين بن عطاء الله. وكثيرون غيرهم.

ولما استوى عوده، واعتدل منطقه، واتزن فكره، وعذب لسانه، وانطلق جنانه، انبرى للفتيا والتدريس والإفادة، وجنح للتأليف والتصنيف. وازدحم الطلاب على دروسه.

وقد ربطت الصداقة أواصرها بينه وبين كثير من أفذاذ عصره، وقرّبه تواضعه إلى قلوب الناس، فاتسع جاهه، ونفذت كلمته. وقل أن تجد من وقعت

بينه وبين هذا الشيخ ، عداوة أو ملاحاة . وإن تكن ، فبسبب من العلم وثيق . أو بسبب وظيفة فى يد الشيخ ، امتدت إليها الأبصار .

وممن وقعت بينه وبين الشيخ ، الوقائع ، الشهاب بن فضل الله العمرى ، الكاتب المشهور — ولم يذكر ابنه سببها — ومنهم التقى بن تيمية ، وقد كانت بينهما مناظرات ، بسبب رأى ابن تيمية فى الطلاق وزيارة القبور ، وقد قرر فيها السبكى مذهب الشافعية .

وقال ولده فى الطبقات [١] فى ترجمة عمر بن أبى الحمراء الكنتانى ، وكانت بينهما مجادلات : « وكان ابن الكنتانى أسن من الشيخ الإمام . ثم حصل للشيخ الإمام من الرواج والشهرة والعظمة فى أنفس الناس . ما هو جدير بأضعافه . فصار بهذا السبب عند الثلاثة : ابن الكنتانى وابن عدلان وابن الأنصارى ، ما يكون بين أهل العصر . ولم يكن فيهم إلا من هو أعلى سنا من الشيخ الإمام رحمهم الله . »

وبهذه المناسبة نذكر أن حياة تقى الدين السبكى كانت موزعة بين مصر والشام . ويفهم مما كتبه عنه ولده أنه دخل القاهرة قادما من بلده قرب وفاة الشيخ ابن دقيق العيد أى فى نحو عام ٧٠٢ هـ أى وسنه فى نحو العشرين . وكانت هذه هى المرة الثانية . أما المرة الأولى فقبل هذه بزمن طويل . ثم رحل إلى الشام عام ٧٠٦ هـ . طلبا للحديث وعاد إلى القاهرة عام ٧٠٧ هـ . وذهب إلى الحجاز حاجا عام ٧١٦ هـ ثم عاد واستقر بمصر زمنا طويلا زاول فيه الإفتاء والتدريس والتأليف ، وازدهر فيه بصفة خاصة تأليفه ، ورد فى تلك الحقبة على ابن تيمية . وكان بيده من الوظائف فى ذلك الحين مشيخة جامع ابن طولون . ثم نزعت منه عام ٧١٩ هـ . ثم عادت إليه عام ٧٢٧ هـ فاستمرت فى يده إلى سنة ٧٣٩ هـ . ثم ولى قضاء الشام وذلك فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . طلبه السلطان المذكور فى تلك السنة بعد وفاة قاضى الشام جلال الدين القزوينى وأراده على ولاية منصبه ، فأبى . فمازال به السلطان حتى ألزمه قبوله . فظل به حتى عام ٧٥٦ هـ : وهناك فى الشام جلس فى دار للحديث

١ ـ الطبقات ج ٦ ص ٢٤٥

تدعى « الكلاسة » وطفق يقرأ الحديث فيهـــا . وولى دار الحديث الأشرفية بعد وفاة شيخها الحافظ المزى . ثم ولى التدريس بالمدرسة الشامية البرانية ، لما مات مدرسها الشيخ شمس الدين بن النقيب . ووكل إليه أيضاً تدريس المدرسة المنصورية بعد عزل شيخها قاضى القضاة جمال الدين الزرعى . وبسبب هذه المدرسة وقعت الأحقاد بين الشيخ وبين نائب الشام الأمير أرغون فإنه كان صديقاً للزرعى - وكان وقت تولية الشيخ بالحجاز يحج - فلما عاد عزم على إعادة الزرعى إليها ولكنه فوجىء بمؤامرات ضده لم تمكنه من تنفيذ عزمه .

ظل القاضى تقى الدين السبكى زمنا طويلا ببلاد الشام - وكان يفضلها عن مصر نظرا لتوافق هوائها ومزاجه الجسمانى . حتى وافت سنة ٧٥٥ هـ فضعف جسده ولحقه هزال الكبر ، فأعد العدة للرحيل إلى الديار المصرية فسار عام ٧٥٦ هـ فلبث بها أياماً انتابه بعدها الموت المحتوم [1] . فدفن بجنازة حافلة قال ابنه تاج الدين يصفها مانصه :

« أجمع من شاهد جنازته على أنه لم ير جنازة أكثر جمعاً منها ، قالوا إنه لما مات ليلا بالجزيرة ، ما انفلق الفجر إلا وقد ملأ الخلق ما بين الجزيرة إلى باب النصر . ونادت المنادية : « مات آخر المجتهدين ، مات حجة الله فى الأرض . مات عالم الزمان . وهكذا . ثم حمل العلماء نعشه وازدحم الخلق بحيث كان أولهم على باب منزل وفاته وآخرهم فى باب النصر . وقيل لم يحك ما يقال على جنازة الإمام أحمد ابن حنبل سوى جنازة الشيخ الإمام فى كثرة اجتماع الناس تغمده الله برحمته » .

ولما مات رثاه كثيرون من أدباء زمانه ومنهم الأديب ابن نباتة ، وصلاح الدين الصفدى وكانا صديقين له . ومنهم برهان الدين القيراطى :

فمن قصيدة ابن نباتة جمال الدين فى المطلع :

نعاه للفضل والعليـاء والنسب ناعيه للأرض والأفلاك والشهب

---

(١) روى جورجى زيدان قال إن تقى الدين انقطع فى آخر حياته بقرية على شاطىء النيل ، بسبب حزن أصابه على موت ابنه ، حتى دفن سنة ٧٥٦ هـ

وكما رثاه الشعراء فى وفاته ، مدحه الكثيرون منهم فى حياته ، وفى هذا دلالة على ماله من سمو المنزلة وعلو الجاه .

أقوال المؤرخين فيه (١) :

١ — ذكره شمس الدين الذهبى فى معجمه المختصر ، وفى معجم شيوخه ، وفى تذكرة الحفاظ . ومما قاله عنه وهو ممن شهده : « القاضى الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء . . . وكان صادقا ثبتا خيرا دينا متواضعا حسن السمت من أوعية العلم يدرى الفقه ويقرره ، وعلم الحديث ويحرره . والأصول ويقررها . والعربية ويحققها . ثم قرأ بالروايات على تقى الدين بن الصائغ ، وصنف التصانيف المتقنة ، وقد بقى فى زمانه الملحوظ إليه بالتحقيق والفضل . سمعت منه وسمع منى وحكم بالشام وحمدت أحكامه . فالله يؤيده ويسدده . سمعنا معجمه بالكلاسة . »

٢ — وذكره ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار . وكانت بينهما وحشة فمما قال :

« حجة المذاهب ، مفتى الفرق ، قدوة الحفاظ آخر المجتهدين ، قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن صاحب التصانيف التقى البر العلى القدر ، سمى على كرم الله وجهه الذى هو باب العلم ، ولا غرو إن كان هذا المدخل إلى ذلك الباب . والمستخرج من دقيق ذلك الفضل هذا اللباب . والمستدير من تلك المدينة إلى ذلك الباب . » وكلمته فيه مطولة مكتوبة بأسلوبه الأدبى المسجوع . وقال فى آخرها : « وانتهت إليه رياسة العلم فى القرآن والحديث والأصلين والفقه . » .

٣ — وذكره صلاح الدين الصفدى خليل بن أيبك فى كتابه أعيان العصر وكانت بينهما مودة . ومما قاله : « الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع البارع العلامة ، شيخ الإسلام حبر الأمة مفتى الفرق المقرىء المحدث الرُّحلة المفسر الفقيه الأصولى البليغ الأديب المنطقى الجدلى النظار جامع الفنون علامة

(١) نقلا من طبقات السبكى وحسن المحاضرة .

الزمان قاضي القضاة أوحد المجتهدين » ، وكلامه فيه مطولة أيضاً على أسلوبه الكتابي الفاضلي وعلى نمط كتابة ابن فضل الله .

ومما قال له فيه الصفدي أيضاً « الناس يقولون : ما جاء بعد الغزالي مثله ، وعندي أنهم يظلمونه بهذا وما هو عندي إلا مثل سفيان الثوري » .

٤ — وقال عنه شهاب الدين بن النقيب صاحب مختصر الكفاية :

« جلست بمكة بين طائفة من العلماء ، وقعدنا نقول : لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة في هذا الزمان مجتهداً عارفاً بمذاهبهم أجمعين ، يركب لنفسه مذهباً من الأربعة ، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها ، لازدان الزمان به ، وانقاد الناس له . فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة ، لا تعدو الشيخ تقي الدين السبكي ولا يلتهي لها سواه . »

بحوثه ومؤلفاته :

لتقي الدين السبكي بحوث كثيرة العدد ، وفتاوى لا تحصى في مسائل شرعية وغير شرعية ، وقد أثبت ابنه تاج الدين في طبقاته كثيراً من مقالاته وفتاويه . ومن بين فتاويه الشرعية ما وافق مذهب الشافعية ، ومنها ما صدر عنه باجتهاده .

وله عدد من المؤلفات والرسائل ضخم ، في التفسير والحديث والفقه والنحو والأصول وغير ذلك وكثير منها لم يكمله ، كما أن منها رسائل صغيرة في ورقات . وعُني — كعناية علماء عصره ومنطق اتجاههم — بشرح الكتب المتقدمة أو اختصارها .

ومما ذكره ولده من مؤلفاته ما يلي :

١ — الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم ، لم يكمل . ٢ — تكملة المجموع في شرح المهذب . وهو تكملة لشرح الكتاب المذكور مبنيا على ما شرحه منه النووي. وصل فيه السبكي من باب الربا إلى أثناء التفليس : في خمس مجلدات . ٣ — التحبير المذهب في تحرير المذهب ، وهو شرح مبسوط على المنهاج . كتب بعضه . ٤ — الابتهاج في شرح منهاج النووي ، وصل فيه إلى أوائل الطلاق . ٥ — الابهاج

فى شرح المنهاج فى أصول الفقه • كتب بعضه ، وأكمله ابنه تاج الدين ٦ — رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب : كتب بعضه ، ولم يعثر ابنه له على أثر . فوضع من عنده كتابا جديدا سماه نفس الاسم ، وكتاب تاج الدين موجود بدار الكتب المصرية . فى أصول الفقه . ٧ — كتاب التحقيق فى مسألة التعليق : وهو رد على ابن تيمية فى مسألة الطلاق . ٨ — شفاء السقام فى زيارة خير الأنام ، وهو رد على ابن تيمية فى إنكار السفر للزيارة . ٩ — السيف المسلول على من سب الرسول صلى الله عليه وسلم . ١٠ — التعظيم والمنة فى «لتؤمنن به ولتنصرنه» . ١١ — نور الربيع من كتاب الربيع ، وهو حافل ، وضعه على كتاب الأم للشافعى : كتب بعضه . ١٢ — الإقناع فى الكلام على أن «لو» للامتناع . ١٣ — وشى الحلى فى تأكيد النفى بلا وهو رد على ابن الكتنانى . ١٤ — الاعتبار ببقاء الجنة والنار . ١٥ — ضرورة التقدير فى تقويم الخمر والخنزير . ١٦ — السهم الصائب فى قبض دين الغائب . ١٧ — فصل المقال فى هدايا العمال . ١٨ — إبراز الحكم من حديث رفع القلم . ١٩ — القول الصحيح فى تعيين الذبيح . ٢٠ — الاقناع فى تفسير قوله تعالى «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» . ٢١ — الإغريض فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض . ٢٢ — المواهب الضرورية فى المواريث الصفدية . ٢٣ — الطريقة النافعة فى المساقاة والمخابرة والمزارعة ٢٤ — الغيث المغدق فى ميراث ابن المعتق ٢٦ — نور المصابيح فى صلاة التراويح ٢٧ — الكلام على حديث: «إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله إلا من ثلاث» . ٢٨ — القول المحمود فى تنزيه داود . ٢٩ — عقود الجمان فى عقود الرهان والضمان . ٣٠ — تفسير قوله تعالى : «يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا» . ٣١ — كشف الدسائس فى هدم الكنائس . ٣٢ — معنى قول الإمام المطلبى : «إذا صح الحديث فهو مذهبى» . وله غير ذلك .

وكثير من رسائله ومصنفاته مفقود ، والموجود منها أكثره مخطوط . ومما له فى دار الكتب المصرية : إبراز الحكم من حديث رفع القلم ، وشرح قول الشافعى

« إذا صح الحديث فهو مذهبي » . وهما في الحديث . وشفاء السقام في زيارة خير الأنام . وهو في علم الكلام : ورسالة في العام المخصوص ، والعام الذى أريد به الخصوص ، وهو في أصول الفقه . والقول المحمود في تبرئة سيدنا داود : في الحديث . وأحكام كُلّ وما تدل عليه : في النحو . وكنز الذخائر وهدية المسافر .

التعريف ببعض مؤلفاته :

١ — إذا صح الحديث فهو مذهبي :

هذه العبارة مأثورة عن الإمام الشافعي رضى الله عنه . وقد كتب تقي الدين السبكي رسالة تقع في نحو ثماني صفحات ، في توضيحها وبيان مراد الإمام منها . وذلك ردا على سائل سأله في هذا الموضوع .

قرأت هذه الرسالة مطبوعة ، بدار الكتب بالمنصورة . وهى مجلدة مع عدة رسائل أخرى لعلماء آخرين ، منهم التقي بن تيمية .

وقد بدأ الرسالة بذكر جميع الروايات — أو كثير من الروايات — التي رُوى بها هذا القول المأثور ، عن الإمام الشافعي ، على نمط من ذكر روايات الأحاديث النبوية .

وقد بدأ الحديث بقوله مخاطباً من سأله : « سألت وفقك الله عن قول إمامنا الشافعي رضى الله عنه : « إذا صح الحديث فهو مذهبي » . وهو قول مشهور عنه ، لم يختلف الناس في أنه قاله . ورُوى عنه معناه أيضاً بألفاظ مختلفة » .

وطفق الشيخ بعد ذلك . يذكر روايات هذا القول بأسانيدها .

ثم عقد فصلا أورد فيه كيفية العمل بقول الشافعي المذكور . وأنه قد يعمل تابع الشافعي بحديث صح عنده ، ويترك رأى الشافعي في مسألته ، إذا كان مخالفا للحديث . وبيّن أن الشافعي قد يكون لديه من الأسباب ما منعه من الأخذ بهذا الحديث فتركه . وهكذا . وأخذ يضرب لذلك أمثالا عدة بأحاديث وحوادث معينة ذكرها برجالها .

وقد عقد بعد هـذا الفصل ، فصولا أخرى تدور على ما دار عليه الفصل الأول ، مع استشهادات جديدة ، ومع استطرادات موضحة .

٢ — تكملة المجموع [١] :

يعتبر رجال الفقه الشافعي ، كتابي « الوسيط » للإمام أبي حامد الغزالي ، المتوفى عام « ٥٠٥ هـ » و « المهذب » لأبي إسحق الشيرازي المتوفى عام « ٤٧٦ هـ » من أمهات كتب مذهبهم . وقد حظي الكتابان بعناية الشافعية دراسة وشرحا ، وما إلى ذلك .

وقد كان من نصيب « المهذب » أن تناوله فيمن تناول ، رجلان من رءوس الشافعية في العصر المملوكي ، هما : محي الدين النووي ؛ وتقي الدين السبكي . فشرح كل واحد منهما جانبا من كتاب المهذب . أما النووي فهو أسبق من السبكي في الشرح ، وقد سمي شرحه « المجموع » ، وهو في شرح المهذب من أول أبوابه إلى الربا . وفي دار الكتب المصرية ، يوجد هذا الشرح مخطوطا في خمسة مجلدات .

أما السبكي فقد بنى على ما شرحه النووي ، وأراد أن يكمل على نمطه شرح المهذب ، فبدأ حيث انتهى النووي ، من باب الربا . غير أنه وصل إلى أثناء التفليس . ولم يتم شرحه إلى نهاية المهذب . ويسمى شرح السبكي « تكملة المجموع » وفي دار الكتب المصرية ، يوجد من هذا الشرح أربعة مجلدات مخطوطة .

وقد تكونت في عام ١٩٢٥ م لجنة كبيرة من أفاضل علماء الأزهر ، وبذلوا الهمة في طبع المجموع والتكملة . وهو مجهود مشكور — ويا حبذا لو بذلوا الهمة في إكمال شرح المهذب إلى نهايته ، على نمط من شرح النووي والسبكي ؛ إذن لتم للشافعية كتاب ضخم قيم في فقه مذهبهم . ونرجو أن يوفقوا في القريب

وقد بدءوا في طبع « المجموع » للنووي ، فبلغ تسعة أجزاء ضخمة . ثم بالتكملة

---

(١) استدراك هام : وعدنا في ص ٢٠٢ ، في سياق ترجمة النووي أننا سنشير إلى كتابه (المجموع) عند ترجمة التقي السبكي ، وها نحن أولاء نشير إليه . وبهذه المناسبة نقول إننا روينا بالصفحة المذكورة أن المجموع هو شرح تهذيب الرافعي . والصواب أنه شرح مهذب أبي إسحق الشيرازي . وقلنا في ص ٢٠٢ ، أن شرح التهذيب للنووي لم يطبع . والصواب أنه مطبوع ، كما بينا في أصل هذا الكلام .

فبلغت ثلاثة أجزاء على نمطها . وقد جعلوا شرحى هذين الفاضلين فى أعلى الصفحات أما أسفلها فقد طبع فيه كتاب « فتح العزيز فى شرح الوجيز » وهو لأبى القاسم الرافعى المتوفى عام ٦٢٣ هـ . ويليه كتاب « التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير » وهو لابن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ .

ويعتبر كتابا المجموع والتكملة مجتمعا لزبد آراء أصحاب المذهب . فهما لذلك عمدة فيه . وعبارة الكتابين سهلة واضحة ، وإن احتاجت إلى مرانة للانسياب وقت مطالعتها مع أساليب الفقهاء .

وبدهى أن الشارحين الجليلين اعتمدا على عشرات من كتب أصحاب المذهب المتقدمين ، وما اتصل بهما من كتب الحديث والتاريخ والطبقات ونحو ذلك ، للإفادة منها . وقد ذكر بعض هذه المؤلفات فى التقديم .

ونحن وإن شدنا هنا بمجهود تقى الدين السبكى ، لا ننسى فضل النووى وتوفيقه السريع فى شرحه وضبط عباراته ودقة ألفاظه ، حتى عبرت – كما قال التاج السبكى – عن خلاصة آراء أصحاب المذهب ، حتى كأنه ألهم معرفتها عن غير قصد . . .

٣ – شفاء السقام فى زيارة خير الأنام :

وهذا كتاب قيم لطيف للتقى السبكى ، دفعه إلى تأليفه ، ما أثاره تقى الدين ابن تيمية ، بشأن تحريم زيارة القبور فهو كأنه رد على بعض ما ذهب إليه ابن تيمية . وقد أورد فيه المؤلف كثيرا من الأحاديث المروية فى زيارة قبر الرسول عليه السلام ، واستحبابها ، سواء أكانت مروية عن الرسول أم عن غيره من فضلاء الصحابة ، ذاكرا نصوص العلماء الأجلاء القاطعة باستحباب زيارة قبر الرسول عليه السلام . مبينا أن الزيارة والسفر إليها قربة من القربات ؛ داحضا أقوال المنكرين المحرمين للزيارة الذين يدعون أن أحاديث الزيارة موضوعة ، وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة . وتناول بالحديث عدة موضوعات منها التوسل والاستعانة والشفاعة .

واختتم كتابه بخاتمة فى الصلاة والسلام على النبى الكريم . وصلى عليه بجملة من الأحاديث المروية فى طريقة الصلاة عليه .

والكتاب سهل بين الأسلوب واضح المعانى تفتتح فصوله غالبا بآيات من القرآن الكريم مناسبة لموضوع الفصل . ويأخذ المؤلف فى شرحها ، مستنبطا منها الحجج والأدلة على صدق ما ذهب إليه من الرأى . ويدعم ذلك بالمناسب أيضا من الحديث النبوى ، والمأثور من أقوال العلماء ، وآراء السلف الصالح .

وقد افتتح أحد فصوله بالآية الشريفة : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما » . والظاهر من الآية أن الكلام ، فيمن يجيئون إلى النبى عليه السلام ، وهو حى . فيستغفرون لديه الله سبحانه وتعالى . ويستغفر لهم الرسول . حينذاك يجدون الله توابا رحيما . وهذه منزلة للنبى عليه السلام لا تنتهى بموته بل تبقى له بعد وفاته ، تكريما له وإعلاء لشأنه . ومن هنا يتضح استحباب زيارة قبره الشريف . وعلى نسق من هذا سار السبكى فى هذا الكتاب النافع . وقد طبع منذ أمد بمطبعة بولاق الأميرية .

فتاواه :

للتقى السبكى فتاوى كثيرة ، أورد ابنه تاج الدين فى طبقاته ، كثيرا منها . وقد ذهب ابنه ، إلى أن الفتاوى التى اجتهد فيها الشيخ ، ولو خالف فيها النووى — وهو المعمول برأيه — يلزم المقلد فى المذهب ، العمل بها ، ولا ينبغى له الخروج عنها ، ما لم يصل إلى رتبة الاجتهاد . وعلل ابنه رأيه هذا بقوله فى أبيه « لأنه إمام مطلع على مآخذ الرافعى والنووى ، ونصوص الشافعى ، وكلام الأصحاب . وكانت له القدرة التامة على الترجيح . فمن لم يصل إلى رتبته . وحسبه من الفتيا النقل المحض ، حق عليه أن يتقيد بما قاله ... » الخ .

ونورد هنا بعض هذه الفتاوى التى خالف فيها النووى ، وقد يخالف فيها الرافعى نوردها باختصار فمنها : (١) أن المنى ينقض الوضوء (٢) أن فضلات النبى عليه السلام طاهرة . (٣) أن تحلية الكعبة وسائر المساجد بالذهب والفضة حلال

(٤) أن العاصى بسفره ، لا يتيمم ، لأن سفره معصية ، فلا يتعلق به رخصة . فعليه أن يعود ، لا سيما إذا أمكنه الرجوع والصلاة بالماء ، قبل خروج الوقت . (٥) أن الحائض والجنب لا يجيبان المؤذن إذا سمعاه . (٦) أن وقت الأذان الأول للصبح قبل طلوع الفجر — قال وهو وقت السحر . (٧) أن العبد الفقيه فى إمامة الصلاة ، أولى من غير الفقيه ، وإن كان حرا . (٨) أنه لا يجوز جمعتان فى بلد واحد ، وإن عظم وعسر اجتماع أهله فى جامع واحد . الخ .

أدبه :

كان تقى الدين السبكى أديباً على مثال ابن دقيق العيد . فيه روح الأديب ، وإن غلبت عليه النزعة العلمية . وحسبنا ما دبجته براعته من المؤلفات العلمية دليلا على كتابته . وله فضلا عن ذلك شعر رائق . روى منه ابنه فى طبقاته شيئا ، وتدور أغراضه الشعرية حول : الحكمة وإسداء النصيحة ، وإظهار الزهد ، وإعلان التوكل على الله، وشىء من التصوف ومن الفخر والمدح والتهكم والغزل . وله أراجيز علمية ، وقصائد علمية كثيرة ، فى النحو ، وعلم الكلام ونحوهما . وقد مدح النبى عليه السلام بقصيدة لطيفة تائية تزيد على مائتى بيت تعرف بكنز الذخائر . وهى مخطوطة بدار الكتب . ولها شرح مخطوط جليل منسوب إلى الجلال المحلى ، بالدار أيضاً .

وترى الروح الدينية سارية فى أشعاره ، ولفظه سهل لطيف واضح المعانى ، وإن خالطته مصطلحات وأقيسة منطقية وتقاسيم علمية . ومن شعره مما روى فى الطبقات :

١ — قال فى وصف الرافضة [١] ، وكان قد وقف على كتاب لابن تيمية فى الرد على ابن المطهر الرافضى : فذكرهم وذكره معهم :

---

(١) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ، ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين (أبى بكر وعمر) ، فأبى وقال : كانا وزيرى جدى ، فتركوه — المحيط .

فقال :

إن الروافض قوم لا خلاق لهم   من أجهل الخلق فى علم وأكذبه
والناس فى غنية عن رد إفكهم   لهجنة الرفض واستقباح مذهبه
وابن المطهر لم تطهر خلائقه   داع إلى الرفض غال فى تعصبه
لقد تقول فى الصحب الكرام ولم   يستحى مما افتراه غير منجبه
ولابن تيمية رد عليه وما   بمقصد الرد واستيفاء أضربه
لكنه خلط الحق المبين بما   يشوبه كدرا فى صفو مشربه ... الخ

٢ — وقال فى الغزل :

قلبي ملكت فما به   مرمى لواش أو رقيب
قد حزت من أعشاره   سهم المعلى والرقيب
يحييه قربك إن منـ   ـنت ولو بمقدار تغيب
يا متلفى   بيعاده   عنى أما خفت الرقيب

٣ — وقال فى الحكمة والدعوة إلى طلب العلم :

كمال الفتى بالعلم لا بالمناصب   ورتبة أهل العلم أسنى المراتب
هم ورثوا علم النبيين فاهتدى   بهم كل سار فى الظلام وسارب
ولا فخر إلا إرث شرعة أحمد   ولا فضل إلا باكتساب المناقب
وبحث وتدقيق وإيضاح مشكل   وتحرير برهان وقطع مغالب ... الخ

هذا وقد بارك الله سبحانه وتعالى فى أسرة السبكى ، فمنها الإمام تقى الدين ، وابناه تاج الدين صاحب الطبقات ، وبهاء الدين أبو حامد . وقد طبع حديثا أحد الفضلاء كتابا فى تاريخ هذه الأسرة ، ورجالها .

(ترجمته فى (١) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى ج ٦ ص ١٤٦ ، وفى مواضع كثيرة من هذا الجزء ، وبخاصة فى تراجم المعاصرين . (٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٥ ، ١٦٧ (٣) عقود الجوهر لجميل العظم ج ١ ص ١٨١ (٤) جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٤٠ (٥) الدرر الكامنة ج ٣ رقم ١٤٨ . (٦) وفى دار الكتب مخطوط مستقل فى ترجمته ، جمعه ابنه تاج الدين من طبقاته (تاريخ ١٦٣٢)

٧ـ ولى الدين بن خلدون ٧٣٢هـ ٨٠٨هـ

لم يطاوعنى ضميرى فى أن أترك ترجمة هذا الرجل الفذ النادر المثال، دون أن أبرزها بين تراجم رجال مصر وجهابذتها، فى العصر المملوكى، ودون أن أضيف مجده إلى مجدها.

وحقا يضاف هذا الرجل إلى بلاد المغرب، حيث موطنه وموطن أجداده، وحيث ملشؤه، ومرابعه ومراتعه فى شبابه وصباه. تلك البلاد التى تناول رحيق العلم من ينابيعها، وكئوس الأدب من مناهلها. ولابس أهلها وعاشرهم، واتصل بدولها وملوكها ورجالها، وتربع فى كثير من مناصبها الرفيعة.

ولكن للرجل بمصر صلة وثيقة، تؤهله لأن يكون رجلا من رجالها، وبطلا من أبطالها. فقد وفد عليها، وتوطنها نحو ثلاث وعشرين سنة. وتقلد منصب قضاء المالكية فيها عدة مرات. وخرج مع سلطانها مرة، فى حربه مع التتار ببلاد الشام، وأسره التتار فيمن أسروا من علماء مصر. وأخيرا مات ودفن فى أرضها.

اسمه:

هو ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر ابن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون التونسى الحضرمى الاشبيلى المالكى.

مولده ووفاته:

ولد ابن خلدون فى تونس، فى أول رمضان عام ٧٣٢ هـ، وتوفى بمصر فى ٢٦ رمضان عام ٨٠٨ هـ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر.

أسرته:

ولد ابن خلدون من أسرة عريقة فى المجد، اشترك كثير من أفرادها فى العلم والسياسة. ووصلوا إلى الرياسة فى بعض الأحيان.

ويرجع نسبها إلى أصل عربى، فهم ينتسبون إلى وائل بن حجر، من عرب

اليمانية المقيمين فى حضر موت فى الزمن القديم . وكان قيلا من أقيالها ، وفد على النبي عليه السلام ، فبسط له رداءه ، ودعا لولده .

ولما فتح العرب بلاد الأندلس ، وجلت إليها قبائل عدة ، كان فيمن جلا إليها فى القرن الثالث الهجرى ، خلدون بن عثمان بن الخطاب ، من نسل وائل المذكور . وهو أول جد لهذه الأسرة ، نزل ببلاد الأندلس . وقد وفد إليها فى عداد جنود اليمانية . فنزل فى مدينة « قرمونة » ، واستقر بها حينا ، ثم نزح إلى « أشبيلية » وهناك عرفت أسرته واشتهر أمرها . وعلا جدها . واشترك منهم رجال ذوو همة فى سياسة الدولة وقيادة الجند ، وما إلى ذلك ، فى أيام حكم بنى أمية ، أواخر القرن الثالث الهجرى .

وقد اطردت مشاركتهم هذه ، وارتقى بعضهم إلى مرتبة الوزارة فى عهد بنى عباد ملوك أشبيلية ، زمن الطوائف ؛ ثم فى عهد المرابطين والموحدين من ملوك البربر . وحظوا — بخاصة — لدى أبى حفص زعيم هنتانة ، ووالى أشبيلية من قِبَل الموحدين .

ولما ضعف أمر الموحدين بالأندلس ، واشتد أزر الفرنجة ، ولم يستطع بنو الأحمر ، أن يحتفظوا بأشبيلية ، فاضطرب الأمر فيها ، وساء العيش فى رحابها ، رحل بنو خلدون منها إلى سبتة . ثم نزح كبيرهم ، وهو الحسن بن محمد بن خلدون — الجد الرابع للمترجم — إلى مدينة بونة مقيما فى كنف أبى زكريا الحفصى أمير افريقية « تونس » ، وأسس بيتاً جديداً لبنى خلدون ، وذلك فى القرن السابع الهجرى وتمتع بنو خلدون فى دولة الحفصيين ، بنفوذ وجاه عريض .

ومن بنى خلدون : أبو بكر ، الجد الثانى للمترجَم . وقد ولى أمور الدولة الحفصية فى عهد سلطانها أبى اسحق ، ثم اعتقل فى بعض الحوادث . ثم هجر الاشتغال بالشئون العامة .

ومنهم ابنه ، وهو الجد الأول المترجم ، وقد ولى منصب الحجابة فى ولاية بجاية ، لأبى فارس الحفصى بن أبى اسحق ، وكان مستقلا بهذه الولاية ، ثم مازال ، حتى هجر الحياة العامة كذلك .

ومنهم والد المؤرخ ، وهو محمد ، وقد غيّر نهج أجداده ، وعاف الاشتغال بالسياسة والإدارة ، وعكف على تحصيل العلم ، حتى صار أحد فقهاء زمانه ، وأدبائه، وقد توفى عام ٧٤٩ ﻫ .

وهكذا ترى أن ابن خلدون انحدر من أسرة عريقة فى العلم والسياسة ، وهما قوام ما يتمنى المرء لنفسه من شرف ، فلا غرابة أن برز فيهما ابن خلدون ، ونزع منزع أهله ، إلى طلب المجد والسيادة . وعاونه على بلوغهما ذكاء فطرى ، وميل طبعى إلى العلم والأدب .

تعلمه وشيوخه :

ولد ابن خلدون بتونس ، وكانت حينذاك تموج بجلة من العلماء ، ممن نشئوا فيها ، أو جلوا إليها من المغرب الأقصى والأندلس لكثرة ما كان فيهما من ثورات وفتن . فانتفع بهم ابن خلدون . وأول ما تعلم على أبيه ، وحفظ القرآن الكريم ، ومبادىء اللغة ودرس الأدب والفقه ، وحفظ المعلقات وديوان الحماسة ، وأتقن القراءات السبع ، وأجاد النحو والأصول ، وتمذهب بمذهب مالك. وقرأ كتب الحديث والتفسير ، ودرس المنطق والفلسفة والكلام على مذهب الأشاعرة ، وغير ذلك من العلوم .

ومن أجل شيوخه : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحيانى ، وأبو القسم محمد بن القصير ، وأبو سعيد البراذعى ، وقاضى الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ، وأبو عبد الله الوادياشى ، وأبو البركات البلقينى ، وأبو عبد الله محمد بن سعد بن بزال الأنصاري وغيرهم كثيرون .

طرف من حياته :

١ ــ ابن خلدون فى تونس :

ظل ابن خلدون فى تونس يطلب العلم ، ويجد فى التحصيل ، حتى أصيبت بلاده ــ كما أصيب غيرها ــ بذلك الطاعون الجارف عام ٧٤٩ هـ . فهلك فيه أبوه وكثير من شيوخه وذوى قرابته ، فامتلأ حزنا عليهم . ولعل هذا الحادث قد عجّل به إلى الاندماج فى سلك الوظائف الإدارية ، يجرب فيها حظه ، ويدرج فيها نحو آماله .

وكان أول عمل تولاه هو كتابة « العلامة » لسلطان تونس أبى اسحق الحفصى . وهى « الحمد لله والشكر لله » ، وكانت تكتب بالخط الغليظ بين البسملة وما بعدها . ولما كان هذا العمل تافها بالنسبة لمواهب ابن خلدون الممتازة ، وآماله الواسعة فقد تطلع إلى عمل سواه .

٢ ــ ابن خلدون فى المغرب الأقصى:

وكان المغرب الأقصى حينذاك يحكمه أبو عنان المرينى ، الذى انتهز فرصة ، فأغار على تونس ، فتسلل إليه ابن خلدون فاحتفل أبو عنان بقدومه . واستدعاه من لدن أمير بجاية الخاضع له ، فوفد عليه بحاضرته فاس عام ٧٥٥ هـ . وكان أبو عنان مولعا بالعلم والعلماء ، وحشدهم فى بلاطه . فضم ابن خلدون عضوا بمجلسه العلمى ووكلت إليه بعض المناصب الإنشائية .

انتهز ابن خلدون فرصة لقائه بفضلاء علماء المغرب ، وأخذ يتلقى عنهم العلم تارة ، ويناظرهم فيه تارة أخرى ، فقضى بذلك مرحلة علمية هامة ، كان لها أكبر الأثر فى ثقافته ، كما كانت سببا فى تقدم منزلته لدى أبى عنان .

غير أنه أثار بذلك ثائرة الحقد والحسد ، فى نفوس بعضهم . فغيّروا خاطر السلطان عليه . ولا سيما أنه علم بتآمره ضده ، مع أمير بجاية فوضعه فى السجن وأخذ ابن خلدون يستعطفه بشعره ، حتى وعد بإطلاقه غير أن المنية عاجلت

أبا عنان ، وتولى السلطنة بعده ابنه الطفل ؛ فاستبد بدولته وزيره الحسن بن عمر . فأطلق سراح ابن خلدون ، ورد عليه وظائفه .

ثار أبو سالم المرينى أخو أبى عنان ، على ابن أخيه ووزيره . فانضم ابن خلدون إلى الثائر ، وعاونه حتى بايعت البلاد أبا سالم سلطانا عليها . فاتخذ ابن خلدون كاتبا لسره ، ومنشئا لرسائله ، ومستشارا . وبعد عامين ولاه خطة المظالم وهى منصب قضائى جليل الشأن .

أخذ الحقد والحسد يدب دبيبهما من جديد ، فى نفوس نظرائه ، فوشوا به إلى السلطان أبى سالم . حتى تغيرت عليه نفسه . فشعر بذلك ابن خلدون فسارع بالتآمر ضده ، مع الناقمين عليه . ونجح فى خلعه ، وتولية أخيه « تاشفين » المرينى . غير أن ابن خلدون لم يجد فى هذا الانقلاب الجديد ما يحقق مآربه ، وخشى على نفسه مغبة مغامراته ، فرحل عن البلاد بعد مشقة ، ويمم شطر الأندلس .

٣ ـ ابن خلدون فى بلاد الأندلس :

كان السلطان أبو عبد الله محمد بن الأحمر ملك غرناطة ؛ ووزيره لسان الدين ابن الخطيب ، قد فرا إلى المغرب الأقصى ، عقب ثورة جامحة استولى بسببها أخو السلطان ، وهو إسماعيل ، على سلطنة غرناطة . وهناك فى بلاد المغرب تعرف بهما ابن خلدون ، وعاونهما على حياتهما .

فلما نبا به المقام ببلاد المغرب ـ كما تقدم ـ وكان أبو عبد الله محمد بن الأحمر قد استرد عرشه ، ولحق به وزيره ابن الخطيب ، رأى ابن خلدون أن يقصدهما فى غرناطة . فقوبل هناك بحفاوة نادرة واستخدمه ابن الأحمر لبعض شئونه ، وضمه إلى حاشيته ، وبعثه سفيرا بينه وبين « بيدرو » ملك قشتالة ، فنجح فى سفارته ، وأعجب به بيدرو ، حتى عرض عليه البقاء معه ، فأبى .

غير أنه ما لبث أن شعر بتغير السلطان عليه ، وكان يخشى ابن الخطيب ، بينه وبين نفسه ، ويعلم أن ابن الخطيب ممن يحبون الانفراد بالمجد . وفعلا أحس بتدبير

ابن الخطيب ضده ، على الرغم من أنهما صديقان .. فتعجل ابن خلدون ، مستأذنا فى الرحيل . ويمم شطر بجاية مكرما ، فى منتصف عام ٧٦٦ هـ .

٤ — ابن خلدون بين إمارة بجاية ومملكة فاس :

كان أمير بجاية قد استرد إمارته ، بعد أن خلص من سجنه ، فاستدعى صديقه ابن خلدون من الأندلس ، ولقيه خير لقاء ، ووكل إليه أمر حجابته ، فأصبح المتصرف فى شئون الإمارة . غير أنه لعب لعبة خاسرة ، إذ أنه تراخى عن نصرة أميره وصديقه ، حينما ثار عليه ابن عمه أمير قسنطينة وانتزع منه إمارته وقتله . وكان ابن خلدون يأمل فى أن يجد مركزا أرفع وجاها أوسع فى عهد الأمير المعتدى الجديد ، غير أنه ما لبث أن رأى أمله سرابا ، وأيقن بالشر ، ففر . فقبض الأمير على أخى ابن خلدون ، وصادر ممتلكات أسرتهما .

ثم اتصل ابن خلدون بأبى حمو سلطان تلمسان ، واتفقا على الانتقام من أبى العباس مغتصب بجاية ، فلم يفلحا . وسرعان ما تحول ابن خلدون تحولا جديدا إذ انضم إلى السلطان عبد العزيز المرينى ملك المغرب الأقصى ، وعدو سلطان تلمسان ـ وكانت قد خرجت من يده ـ

غير أن عبد العزيز توفى ، ووثب أبو حمو ، فاستعاد تلمسان ، ففر ابن خلدون من وجهه إلى مدينة فاس ، فلبث بها مكرما ، فى عهد سلطانها « السعيد » ، ووزيرها ابن غازى .

وكانت الأمور قد تحرجت بين حكومة فاس بالمغرب ، وحكومة غرناطة بالأندلس ، بسبب لسان الدين بن الخطيب . حتى أدى ذلك إلى انقلاب جديد فى حكومة فاس ، فتولى أمرها سلطان جديد ووزير جديد . فسلما ابن الخطيب لحكومة غرناطة ، وسجنا ابن خلدون . ثم أطلق سراحه بعد حين .

٥ — ابن خلدون فى عزلته :

إن الظروف الشائكة والمواقف الحرجة التى مرت بابن خلدون ، وطول

كفاحه ومغامراته، ونجاحه طوراً، وإخفاقه طوراً آخر، قد دفعته إلى طلب الراحة والاستجمام. وكثيرا ماتدعو مثل هذه الظروف إلى لون من ألوان اليأس والملل، يوجه المرء وجهة فى الحياة جديدة. وهذا هو ما وقع لابن خلدون، فقد طفر فى هذه اللحظة، حبه للعلم ورغبته فى مزاولته والانقطاع إليه، على أنقاض تلك الحياة السياسية البالية. فجنح إلى العزلة والتأمل، على الرغم من أن الدنيا حوله كانت صاخبة، تدعوه إلى معاودة مغامراته.

اتصل ابن خلدون حينذاك، ببعض أصدقائه من بنى عريف بقلعة سلامة فى غرب تونس. وانتحى ناحية بأحد قصورهم، ناجيا من دنيا السياسة إلى دنيا العلم. وأخذ يبحث ويقرأ ويتأمل، وينظر فى حوادث التاريخ، ويطوف بين قبائل المغرب يتحسس أخبارها ويستطلع عاداتها وتقاليدها. ويستنبط من كل أولئك — بمعونة تجاربه الماضية — ما لاح لناظره من قوانين اجتماعية شاملة.

هنا دون ابن خلدون كتابه الخالد فى التاريخ، ومقدمته الفريدة فى فلسفة التاريخ. وهُمَا له وللناس، خير من حياته السياسية ومغامراته وسط عواصفها.

وقد تحول بكتابه من أن يخصصه على تاريخ دول المغرب، إلى تعميمه وجعله فى التاريخ العام، يتكلم فيه على جميع الأمم المعاصرة له، من مغربية وعربية وغيرهما.

وبعد أن لبث ابن خلدون فى عزلته أربع سنوات من ٧٧٦ هـ إلى ٧٨٠ هـ، عاد إلى تونس ليستكمل بحوثه، ويستتم مراجعاته فى كتب التاريخ بمكتباتها.

٦ — ابن خلدون فى تونس:

عاد ابن خلدون إلى مسقط رأسه تونس، بعد أن زايلها زمنا طويلا. وكانت قد دخلت فى طاعة أبى العباس الحفصى أمير قسنطينة وبجاية، ذلك الذى فر ابن خلدون من وجهه. فاستعاد ابن خلدون رضاه، ووفد عليه فرحب بمقدمه وما إن علم بما يقوم به، حتى بادر بتشجيعه ومعونته.

جنح ابن خلدون إلى الاطلاع ، وتردد على مجالس العلماء . ووجد فيه أبو العباس مستشارا نافعاً فى بعض أموره وفى وسط هذه البيئة زادت شهرته ، ووفد عليه الطلاب من الآفاق يتزودون من علمه ويقطفون من ثمار معارفه .

والزمان الذى دأب على محاربة ابن خلدون ، أخذ ينثر الأشواك من جديد فى طريقه . فغصت به نفوس ، وشرقت به حلوق ، وبدأت السعايات تزحف زحف الرقطاء . وكان ابن خلدون قد قصر فى زياراته للسلطان ، لاهيا فى مراجعاته ومدارسته ، فوجد الواشون سبيلهم معبدة مذللة .

شعر ابن خلدون بما يدبر له ، أو يراد به . فعجّل بالإفلات قبل الإطباق ، ولاذ بعد القرب ، بأسباب الفراق مدعياً أنه يخرج من تونس إلى حج بيت الله الحرام . فودعه محبوه وداعا حارا . وركب منها البحر عام ٧٨٤ هـ .

٧ — ابن خلدون فى مصر :

يمم ابن خلدون فى هذه المرة ، البلاد المصرية . وكانت شهرته قد سبقته إليها وكان برقوق سلطانها . وهى تموج فى عهده بنوابغ العلماء والأدباء ، وبينهم الوافدون منهم من أبناء الأمم الإسلامية . فما بلغها ابن خلدون حتى بهرته محاسنها وجذبته مفاتنها ، فحببت له الإقامة فى ربوعها .

تصدى ابن خلدون للتدريس بالجامع الأزهر ، وأقبل عليه الطلاب والعلماء من كل فج ، فاتسعت معرفته بالناس ، وزادت مكانتهم لديه . وتتلمذ له من أبناء مصر ، فحول نابهون ، منهم ابن حجر العسقلانى ، وتقى الدين المقريزى .

واتصل برجال مصر ، وعلى رأسهم سلطانها برقوق . فأكرم مثواه ، وأرغد عيشه ، وأسند إليه الوظائف الجليلة . ومنها التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص . ثم أسند إليه منصب قاضى المالكية فى جمادى الآخرة عام ٧٨٦ هـ . ثم عزل فى جمادى الأولى عام ٧٨٧ هـ . ثم أسند إليه التدريس فى المدرسة الظاهرية التى أنشأها برقوق . ثم انتقل منها إلى المدرسة الصرغتمشية

فدرّس فيها موطأ مالك . ثم أسندت إليه مشيخة الخانقاه البيبرسية . ثم عاد إلى تولى قضاء المالكية ولبث أمره فى القضاء بين تولية وعزل ، حتى تولاه ست مرات .

وشهد ابن خلدون عصر السلطان فرج بن برقوق . وخرج معه فى جملة القضاة ، لمحاربة تيمور لنك التترى ، ببلاد الشام . ولكن الخلف دب دبيبه فى صفوف المصريين — ويا للأسف — فخشى السلطان مغبة الأمر ، وأسرع بالعودة إلى مصر ، تاركا معظم جيشه بالشام . فغامر ابن خلدون مغامرة جديدة وسعى إلى لقاء تيمور لنك . فلقيه هذا بحفاوة وإعجاب . وتوسط ابن خلدون لديه فيمن توسط ، أن يدخل دمشق دون إراقة دماء . ولكن — ويا للأسف أيضاً — بعد أن سلمت المدينة لجنوده عاثوا فيها فسادا ، وأتوا بها من الشر ما تقشعر منه الأبدان .

تحيل ابن خلدون على تيمور لنك ، مستأذنا منه فى العودة لمصر ، ليستحضر مؤلفه وماله ، ثم يعود . فأذن له فسار وهو يحمد الله على النجاة . وكان ذلك عام ٨٠٣ هـ .

أرسل ابن خلدون إلى أسرته ، أثناء إقامته بمصر ، يستقدمها من تونس . فركبت إليه البحر ، فغرقت بها السفينة ، فكان ذلك مثارا لهمه وألمه .

ولم يسلم ابن خلدون فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته ، من حساد يحسدونه على ما آتاه الله من فضل ، وعذال يشيعون حوله الأراجيف . وقد ذهب بعض الكاتبين إلى أن ذلك كان بسبب أنه مغربى . وهذه تهمة — فى الواقع — موجهة إلى مصر ، أكثر من توجيهها إلى شيء آخر . ومصر بريئة منها ، فمصر التى رحبت بأبناء الأمم الإسلامية ، فى ذلك الوقت العسير ، ووطأت لهم من كنفها ، ومهدت لهم فى خيراتها — والأدلة كثيرة على ذلك كما تقدم — لم تضق بابن خلدون قط . أما الحساد العذال فلقد لقيهم ابن خلدون فى كل مكان حل فيها ، وجدهم فى تونس وفى الأندلس ، وفى المغرب الأقصى . وهو نفسه سبب ذلك ، فليس بمحسود فتى وله ند .

لبث ابن خلدون فى مصر قرابة ثلاث وعشرين سنة ، يحاضر ويناظر ويُولى ويعزل ، حتى وافته منيته — وكان فى دست القضاء — فى ٢٦ رمضان عام ٨٠٨هـ. فدفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة .

أخلاقه وعلمه :

ابن خلدون أحد أفذاذ العالم ، الذين تزدهى بهم الإنسانية ، وتفخر ، يوم تسأل عمن أنجبت . وقد أخذ يتعلم منذ فجر حياته ، علوم زمانه ، من فقه وحديث وتفسير ، وأصول ، وكلام ، وقراءات ، وأشعار ، ولغة . ويدرس كتب الأولين فى المنطق والفلسفة والتاريخ . وقد وهب الله له ذكاء خارقا ، ولسانا ناطقا ، فأحسن فهم هذه العلوم ، كما أحسن التعبير عن آثارها فى نفسه .

وكان لذكائه وعلمه وبيئته ، أثر فى علو نفسه وسمو همته . فاندفع يفسح لهذه النفس ، المنزلة اللائقة بها ، والمكانة التى تصبو إليها . ويخترق طريق المجد ، وإن حفت بالأشواك . وينافس فى سبيل السؤدد وإن امتلأت بالمكاره . وانساق إلى الكيد ليصل إلى الظفر ، واندفع إلى الائتمار ليبلغ الانتصار وكان طبيعيا أن يَبغُض ويُبغَض ، وأن يطمئن به العيش والمقام طورا ، وينبو به طورا آخر . وقد اتضحت لنا هذه الظاهرة جلية فى ثنايا الحديث عن قصة حياته .

ومما لاريب فيه أنه كان يتغلب على مشاقه بسلاح علمه ، ويفتتح آفاقه بسنان قلمه . حتى وصل بعلمه وأدبه ومغامراته ، إلى الصفوف الأولى من صفوف رجال عصره . واستطاع أن يخلد اسمه فى أهم سجلات ما يشرف به الرجل ، وأعنى به سجل السياسة والعلم .

ومهما يكن من أمر ، فإن ابن خلدون قد ترك للعلم ولتاريخ التفكير والإنسانية ، ما تفخر به ، ترك مقدمته المشهورة التى سما بها ، وبطريقة وضعها ، وبموضوعها ، على أقرانه . وابتكر بها من العلم مالم يسبق إليه : ونظر فى المجتمع وأخبار الدول وتقاليدها ونشوئها وتحولها ، حتى استخلص منها قوانين كاملة . واستدرج جزئياتها حتى لاحت له كلياتها . فسجل كل ذلك ، وأنشأ علم الاجتماع .

هذا فضلا عما دونه فى تاريخه الكبير من سير البربر وغيرهم مما ندر أن نجد له مرجعاً سواه . وفضلا عما له من رسائل وشعر .

عناية المؤرخين به .

أبدى كثير من المؤرخين قديما وحديثا آراءهم فى ابن خلدون . فمن القدماء : الجمال البشبيشى ، ولسان الدين بن الخطيب ، وابن حجر العسقلانى ، والركراكى ، وابن عمار ، والعينى والمقريزى ، وغيرهم . وقد لخص السخاوى فى كتابه « الضوء اللامع » آراء كثير منهم .

وقد حظى ابن خلدون فى عصرنا الحديث ، بعناية ملحوظة من بعض الفضلاء ودرس فى بعض دور التعليم دراسة موفقة . وممن كتب فى تاريخه وأدبه وفلسفته : أستاذى المرحوم الشيخ أحمد الاسكندرى . والشيخ محمد الخضر حسين . والدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الله عنان .

وألهم ابن خلدون كثيراً من الباحثين والدارسين ، وترجمت مقدمته إلى اللغات الأجنبية فكان لها أثر محمود فى تفكير الأوربيين .

ومن مساوئه فى نظر بعضهم ، ما نُسب إليه من محبة الأحداث ، ولينه وتواضعه خلال عزله عن المناصب وبعده عن الوظيفة ، ثم شموخه وصلفه إذا عاد إليها . وما ينسبه له البعض من كراهيته لآل علىّ . ولهذا جهد فى نسبة الفاطميين إليهم . لا حبا فى الفاطميين ، وإنما ليضيف مساوئهم إلى آل علىّ . وما ينسبه له بعضهم من ضعف فى الفقه ، ولهذا كان لا يستحق — فى نظرهم — ولاية القضاء . وقد قال الفقيه ابن عرفة المالكى مفتى تونس — وكان من أعداء ابن خلدون — حينما بلغه أن ابن خلدون قد ولى منصب القضاء بمصر ، قال : « كنا نعد خطة القضاء أعظم المناصب ، فلما بلغنا أن ابن خلدون ولى القضاء ، عدنا بالضد من ذلك . »

ومن محاسنه فى نظر بعضهم : أنه ولى القضاء بعفة ونزاهة ، وكان جم الفضائل فصيحاً مفوها كثير الحفظ ، قوى البأس متقدما فى الفنون العقلية والنقلية جيد

النقل . وأن له مؤلفات قيمة ، وأنه كان يسلك فى إقراء الأصول مسلك الأقدمين كالغزالى والفخر الرازى . وينعى على طريقة المتأخرين التى تعنى بمناقشة الألفاظ، والوقوف طويلا فى التعاريف عند الحد والرسم . هذا . وقد أعجب المقريزى بابن خلدون كل الإعجاب ، لأنه أثبت نسب الفاطميين - والمقريزى ينسب نفسه إليهم . فقال عن مقدمة ابن خلدون : إنه لم يُعمل مثلها .

وأحب أن أختتم هذه الكلمة بما قاله أستاذى المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى عن ابن خلدون فى إحدى مذكراته لطلاب دار العلوم . قال :

« كان ابن خلدون أحد نوابغ العالم الذين عاشوا أفذاذا فى عصور مظلمة ، لم يعضدهم فيها مشاكل . أو تعرف قدرهم أمتهم . فكانت حياتهم بين الأمة التى عاشوا فيها ، كلها شقاء ومحنة . فقد أداه نفوذ خاطره وصدق نظره ، إلى الاهتداء إلى كثير من علل الحوادث ، التى تنتاب الاجتماع البشرى . وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه ، حتى وقرت فى نفسه بصور قوانين عامة وأقيسة مطردة . سال بها قلمه دون أن يفطن لها أهل قرنه . ولم ينكشف سرها ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع ، إلا بعد انقضاء عدة قرون .

وهذا الذكاء الفائق فى ابن خلدون ، مراتب الذكاء المعتاد ، فيمن نشأ على نظام التربية والتعليم المتبع فى عصره ، هو الذى جعل تفكيره يتسامى إلى أفق أعلى من أفق التفكير عند أهل عصره . فبعدت الشقة بينه وبينهم . فزالت المؤالفة والتراضى وحسن الاغتباط بالصحبة . وإلى هذا يرجع شقاء كثير من أذكياء العالم ، على أيدى أهل القرن الذى نشئوا بين ظهرانيهم ، فلم تثمر أعمالهم فى عصرهم ، وقد يحفظها التاريخ لمن يفطن لها ممن يأتى بعدهم ، ويقتبسون من نورها فى حياتهم وآرائهم ، كما فطن هو بثاقب نظره إلى آراء كثير من فحول التفكير الذين سبقوه بقرون ، وباحوا بما جاشت به نفوسهم من قوانين وحقائق ، لم يشعر بها أهل زمانهم . فمخضها واستخرج منها زبدة من آراء لم يعرفها العلماء إلا بعد تهذيب العلوم وترقية

شئون التعليم والتثقيف . فكان وجوده سابقا بذكائه المتوقد ، للعصر الذى يلائم تفكيره بنحو أربعة قرون . »

مؤلفاته :

تبين من سيرته أنه ألف فى عدة علوم منها : الفقه والأصول وعلم الكلام والتاريخ وفلسفته ، والاجتماع . ومن مؤلفاته :

(١) تاريخه الكبير ومقدمته المشهورة . (٢) التعريف : وهو ترجمة كتبها بنفسه وصف فيها ما عاناه فى حياته . ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية . (٣) شرح بردة البوصيرى . (٤) تلخيص بعض كتب ابن رشد (٥) تعليق فى المنطق رفعه إلى السلطان محمد بن الأحمر ملك غرناطة . (٦) تلخيص كتاب « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » للإمام الرازى فى علم الكلام على طريقة الأشاعرة . (٧) كتاب فى الحساب (٨) شرح رجز ابن الخطيب فى أصول الفقه . (٩) كتيب فى تاريخ المغرب ودوله ، رفعه إلى تيمورلنك بأمر منه . (١٠) شعره ورسائله .

التعريف بتاريخه وبمقدمته:

ذكر ابن خلدون فى خطبة كتابه ما نصه :

« ورتبته على مقدمة وثلاث كتب :

المقدمة : فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، والإلماع بمغالط المؤرخين .

الكتاب الأول : فى العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع ، والعلوم ، وما لذلك من العلل والأسباب .

الكتاب الثانى : فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ، منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد ، وفيه الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ، ودولهم ، مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط ويونان والروم والترك والإفرنجة .

الـكتاب الثالث : فى أخبار البربر ومن إليهم زناتة ، وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول . » . الخ .

وقد سمى كتابه : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذى السلطان الأكبر » .

أما المقدمة التى يشير إليها ، فهى فصل إجمالى شائق ، بيّن فيه مزايا علم التاريخ وفوائده . وأشار فيه إلى مسلك المؤرخين القدامى فى تدوين حوادثه ، وقص رواياته وأخباره . ومايعترى نقلهم من نقص ، وعدم تحرٍ للحقيقة ، ودون فحص للمعلومات بعقل ناقد بصير يميز الغث من السمين ، والصحيح من الفاسد . ونقد بعض الأخبار على سبيل المثال . فنها ما نقله المسعودى وغيره من أن عدد جيوش بنى إسرائيل الذى أحصاه موسى ؛ بعد خروجهم من مصر ، ستمائة ألف أو يزيدون . وبين أن هذا وهم وغلط ، لذهول المؤرخين عن تقدير مصر والشام ، وسعتهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة . واستبعاد أن يقع بين مثل هذا العدد ، زحف أو قتال ، لضيق مساحة الأرض ، وبعد ما بين طرفى الجيش والمتحاربين . وله أدلة أخرى — ومنها ما ذكره بعضهم من أن قبائل صنهاجة وكتامة البربريتين أصلهما من العرب الحميريين ، تخلفوا ببلاد المغرب ، بعد أن استعمرها اليمنيون زمنا . وأبطلها ابن خلدون ذلك معللا بصعوبة الطريق بين اليمن والمغرب ، وأن الآتى من اليمن إلى المغرب لابد من أن يهبط إلى السويس ، ويمر بأعمال مصر ، وأن تصبح هذه الممرات تابعة له ، قبل أن يغزو بلاد المغرب . ليضمن الميرة والأذودة إلى غير ذلك . — ومنها ما فسر به المفسرون لفظ « إرم » فى قوله تعالى : « ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد » فقالوا إنها مدينة عظيمة الصنع بناها شداد بن عاد . وقد أبطل ذلك التفسير ، مبينا أن عاد إرم من باب إضافة الفصيلة إلى القبيلة ، كما تقول قريش كنانة ، وإلياس مضر . أو أن العماد هى عماد الأخبية بل الخيام . أو العماد الأساطين للدلالة على قوة عاد ، وأنهم أهل بناء وأساطين .

ومنها ما نقله المؤرخون عن نكبة البرامكة ، وما قالوه فى سببها ، من أنه حنق الرشيد على جعفر البرمكى ، لاتصاله بأخته العباسة . وقد دافع ابن خلدون عن العباسة دفاعا حارا معززا ذلك بمكانها من الدين والأبوة ، واستبعد أن يصهر الرشيد إلى العجم ، مع بعد همته وعظم إبائه . وعال نكبة البرامكة باستبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية ، إلى غير ذلك . ثم تكلم عن نسب العبيديين « الفاطميين » ، وأبطل الروايات التى تزيف نسبهم إلى على ، وأثبت صحة هذا النسب .

وعلى هذا النحو سار ابن خلدون فى نقد كثير من المغالط التاريخية ، وأوهام المؤرخين . بأدلة قوية وحجج منطقية . ثم ختم مقدمته هذه ، بنبذ يسيرة فى الحروف وتكوينها ورسمها ، واختلاف ذلك فى لغة عن لغة . ثم أشار إلى طريقته فى كتابة ما يعرض له من كلمات بربرية ، فيها حروف لا نظير لها فى العربية . وذلك بأن استعان على كتابة الحرف البربرى ، بحرفين عربيين يكتنفانه ، أى يكون نطقه وسطا بين نطقيهما . فيرسم بأحدهما . ثم يضع عليه ما يشير إلى الحرف الثانى ، كالنقط ، أو رسم الحرف نفسه . وبذلك يفطن القارىء إلى أن الحرف البربرى المراد وسط بين هذين الحرفين العربيين . وذلك كالكاف البربرية ، التى ينطق بها وسطا بين الكاف والجيم العربيتين . فإنها يرسمها كافا ، ويضع تحتها نقطة الجيم . وهكذا .

أما الكتاب الأول : فهو أول الكتب الثلاثة ، التى يتكون منها مؤلفه العظيم « العبر » . وهذا الكتاب هو المشهور « بالمقدمة » . وهو غير المقدمة السابقة التى هى بمثابة خطبة للكتاب . أما هذه ، فهى التى بنت مجد ابن خلدون وهى التى ضمنها فصوله ونظرياته عن العمران البشرى . وهو بلا ريب ، قد استفاد مما قرأه من كتب المتقدمين ، حين كتبها وحرر فصولها . واعتمد فى النقل على بعض منها . وكما قال أستاذى الإسكندرى ، إنه اعتمد فى كلامه عن العمران البشرى ، على رسائل إخوان الصفا وكتب الجغرافيين العرب ، الذين نقلوا عن بطليموس . وفى كلامه عن إدراك البشر للغيب ، على كتب التصوف وعلم الكلام والفلسفة . وفى كلامه

عن الخلافة والإمامة والمذاهب ، على كتب الكلام والملل والنحل للشهرستانى وابن حزم ، وكتاب الفرق بين الفرق ، والكامل للمبرد ، والعقد لابن عبد ربه . وفى كلامه فى تاريخ العلوم والصناعات ، على أمثال كتاب الفهرست لابن النديم . وهكذا .

ومهما يكن من شيء ، فالمقدمة دالة على حدة ذهنه وشمول نظرته ، ووحدة تفكيره . وهذه سمات ضرب من العقلية العربية نادر الوجود .

وهو بلا ريب ، استفاد بجوار ما استفاد منه ، من تجاربه ، ومزاولته للأعمال العليا ، وصلاته ببلاط الحاكمين ، مما مكن له من الاطلاع المباشر ، على كثير من أسرار الاجتماع .

وتحتوى « المقدمة » أو الكتاب الأول على ستة فصول كبار :

الفصل الأول : موضوعه « العمران البشرى » ، وقد كتب فيه ست مقدمات ، بيّن فيها أن الاجتماع الإنسانى ضرورى ، وأن الإنسان مدنى بالطبع ، وأن بعض بنى الإنسان محتاج إلى البعض الآخر ، لاختلاف الصناعات والحاصلات ، فى بيئة عن الأخرى ، ولاحتياج أصحاب البيئة الواحدة إلى ما لدى أصحاب الأخرى من صناعات وحاصلات . ثم تكلم عن جغرافية الأرض وأن شكلها كروى ، وأشار إلى ما فيها من أشجار وأنهار وأقاليم ، وإلى أيها أكثر سكانا ، وفصّل الكلام على أقاليمها السبعة حسب الجغرافية القديمة وتقاسيمها واصطلاحاتها ، وتحدث عن الهواء وتأثيره فى لون الإنسان وخلقه ، ومظاهر الحياة وأسباب اختلافها فى ناحية عن أخرى ، وما ينشأ عن ذلك فى الأبدان والأخلاق . واختتم هذا الفصل بمقدمته السادسة ، فى أصناف المدركين للغيب من البشر . وهنا تناول الكلام عن الوحى والرؤيا والنبوة والكهانة والعرافة والولاية والتصوف وما إلى ذلك .

الفصل الثانى : موضوعه : « العمران فى البادية والأمم المتوحشة والقبائل » . ويحتوى هذا الفصل على نحو تسعة وعشرين فصلا ، قصيرة غالبا ، أبدع فى كتابتها

إعا إبداع . تناول فيها نشوء العمران فى البوادى، وعلى أى أساس يقوم ،وأنه طبيعى ويقوم على العصبية ، وبيّن أخلاق أهل البادية ، واستطرد فى هذه الفصول إلى أمور كثيرة ، وإلى حقائق واقعة، منها :أن الصراع من النسب إنما يوجد للدوحشين، وأن الرياسة تكون لأهل العصبية ، وأن الأمم الوحشية أقدر على التغلب بمن سواها ، وأن من عوائق الملك الترف والنعيم والمذلة ، ومن علاماته التنافس فى الخلال الحميدة ، وأن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب ، وأن الأمة إذا غلبت وصارت فى ملك غيرها أسرع إليها الفناء . وقد حمل فى بعض هذه الفصول على العرب ، وقال إنهم لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية . وأنهم أبعد الأمم عن سياسة الملك .

الفصل الثالث: موضوعه: «الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية». تكلم فيه عن صلة الملك والدولة بالعصبية ، والقبيل والدعوة الدينية ، وصلة كل من هذه بالأخرى . ويحتوى هذا الفصل على زهاء ستين فصلا ، منها: فصل فى أن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد ، وفصل فى أن من طبيعة الملك الترف . وهكذا . ومنها فصل فى أنه إذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة ، أقبلت الدولة على الهرم . ومنها فصل فى أن الدولة لها أعمال طبيعية كما للأشخاص . وفصل فى انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة .

وهكذا تكلم عن الدولة ، وكل مايمت إليها بصلة من طبيعة تكوينها، وأسباب بقائها وزوالها وأعمالها ، ومراتبها وشاراتها وحروبها وأخلاق أهلها . وفى عداد هذه الفصول، عقد فصلا فى معنى الخلافة والإمامة ، وفصولا فى اختلاف الأمة فى حكم هذا المنصب وشروطه ، وبين رأى المذاهب المختلفة فيها ومعنى البيعة وولاية العهد ، وغير ذلك مما يمت إلى الخلافة بصلة كالألقاب والأعمال والمشابهة ، كاسم البابا والبطرك والكوهن .

الفصل الرابع موضوعه : « البلدان والأمصار وسائر العمران ومايعرض فى

ذلك من الأحوال ، ويحتوى على نحو ٢٢ فصلا منها الموجز والمطول . تناول فيها الكلام عن نشأة المدن والأمصار، وصلة ذلك بوجود المُلْك . ومنها فصل فيما يجب مراعاته فى أوضاع المدن ، وما يحدث إذا تُغفل عن تلك المراعاة » ، وذلك كإقامة الأسوار، أو إقامتها فوق هضبة أو فى حماية جبل أو باستدارة بحر أو نهر . وكانتقاء بقعتها طيبة الهواء صالحة لحياة الإنسان والحيوان . وكقربها من الماء الصالح للشرب ومن المرعى . وهكذا .

ومن بينها : فصل فى المساجد والبيوت العظيمة فى العالم . تكلم فيه عن المدينة المنورة ، وعن مكة وبيت المقدس ملمحا إلى طرف من تاريخ كل منها .

وتكلم عما يتصل بالمدن والأمصار من أسباب الازدهار أو الدمار، واختلاف أحوال سكانها وما لديهم من الصنائع ، وما لهم من العصبية وما بينهم من اللغات وغير ذلك .

الفصل الخامس : موضوعه : « فى المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال » وبه نحو ثلاثة وثلاثين فصلا . بين فى أولها حقيقة الرزق والكسب ، وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية .

وقد تناول فيها الكلام عن طبيعة كثير من الصناعات المعروفة . وتحدث عن المال والجاه والتجارة والاحتكار وغير ذلك . ومن الصناعات التى تكلم عنها : التجارة والحياكة والخياطة والتوليد والطب والخط والوراقة والغناء .

ومن نظرياته فى هذا الباب : أن الجاه مفيد للمال وأن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتملق، وأن هذا الخلق من أسباب السعادة . وأن القائمين بالأمور الدينية كالقضاء والفتيا والتدريس وغيرها ، لا تعظم ثروتهم فى الغالب . وأن خلق التجار نازل عن خلق الأشراف والملوك وأن العرب أبعد الناس عن الصنائع . وغير ذلك .

الفصل السادس: موضوعه: « العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه»

وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال » . وفصوله أكثر من خمسين . وقد استغرقت نحو مائة وخمسين صفحة من المقدمة، أى ما يقرب من ثلثها . تكلم فيها عن أن العلم والتعليم فى العمران البشرى طبيعى . وفرّق بين العلم وبين صناعة التعليم، وكيف تختلف هذه الصناعة، بدليل اختلاف مصطلحاتها فى كل بيئة . وأشار فى الفصل الثانى إشارة إجمالية إلى مبلغ العلم فى بلاد المغرب، ونصيب هذه البلاد من صناعة التعليم مبيناً أسباب ذلك . مشيراً أيضاً إلى الصلات العلمية إذ ذاك بين دول المغرب والأندلس والمشرق، ومدها، ووازن بينها جملة . متكلما خلال ذلك عن كيفية تكوين الملكة العلمية التى بها يستطيع المرء حذق العلم والإحاطة بمبادئه وقواعده . مع القدرة على استنباط فروعه من أصوله . وله نقدات طريفة على التعليم فى عصره، تتراءى الفينة بعد الفينة فى خلال كلامه هذا .

ومن لطيف ما ذهب إليه ابن خلدون فى الفصل المذكور، قضيتان : الأولى أن هناك فرقا بين صاحب الملكة العلمية وبين غيره، ولو تساويا فى فهم مسألة ما، من مسائل العلم ووعيها . الثانية : أن مستوى الذكاء فى الحضر والبادية واحد . وأنه لا تفاوت فى الإنسانية بين حضرى وبدوى ولا تفاوت بينهما فى الفهم والذكاء، إلا بالنظر والعلم والدأب على التفكير والتزام ضروب من العوائد والتقاليد والآداب الحسنة .

وقد تكلم عن العلوم المعروفة فى عصره، وعقد لكل منها فصلا، ذكر فيها تعريف كل علم وأنواعه وطرق التأليف فيه : منوها برجاله وأعمالهم، وهكذا ومنها : التفسير والحديث وعلومه والفرائض والفقه والجدل والتصوف والعلوم العقلية والعددية واللغوية والسيمياء والتنجيم والكيمياء وغير ذلك . وقد اختلط هنا الكلام عن هذه العلوم وتاريخها بالأدب وتاريخ الأدب والتاريخ والنقد والتربية . ومما عقده : فصل فى النظم والنثر، وفصل فى صناعة الشعر، وفصول أخرى فيما يتصل بذلك . وبها نظريات تدل على خبرة واضطلاع وحسن نظر وصدق حس . وبها كثير من الأمثلة التى لاتزال معينا المؤرخين والأدباء فى عصرنا الحديث فى باب الاستشهاد .

وبعد ، فالقارئ يرى فى هذه المقدمة روضة كريمة متنوعة الأزهار كثيرة الثمار، ذات علوم جمة ومعارف شتى . ولسنا هنا بصدد نقد المقدمة ، والتعرض لآرائها بالبحث والتمحيص والتعقيب . وإنما هو التعريف بها والتنويه بنفاستها ومحتوياتها .

على أن كثيرا من أدباء الحديث ، تعرضوا لآراء ابن خلدون ونظرياته وهم ما بين معلل ومدلل ، وناقد ومبطل . وجماع رأيهم : أن لابن خلدون ، نظريات لا تزال سليمة صادقة ، يسير العمران وفق ما قررته ، وأن له نظريات فاسدة ، أو برهن الزمان على فسادها . غير أن له عذرا أو شبه عذر فى ذلك ، لأنه استوحى نظرياته من ملابسات زمانه .

فمن نظرياته السليمة : أن الاجتماع البشرى لا يخلو من بداوة وحضارة . وأن البداوة والاخشيشان أصل لكل حضارة، وأن نشوء الحضارة أو اضمحلالها ، لا يكون طفرة ، بل يقتضى انقضاء نصف قرن ، أو أربعين سنة على أقل تقدير ، حتى يكون تأثير كلٌ ، قد شمل النشء والشبان والكهول . وأن تأسيس الدول أو غلبة أمة على أمة ، لا يكون إلا بدافع دينى أو سياسى . وأن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب ، فى شعاره وزيه ونحلته وعاداته . وأن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب، قل أن تحكم فيها دولة . . إلى غير ذلك .

ومن آرائه غير السليمة : أن الدولة لا يزيد عمرها على مائة وعشرين سنة . وأن التنافس والنزاع ضروريان بين الملك وأشراف الدولة وزعمائها ، وأن ذلك ينتهى بتغلب الملك . وأن العرب أبعد الناس عن سياسة الملك . وأن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط ، وأن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الفناء . . إلى غير ذلك .

ويعلل بعضهم تحامل ابن خلدون على العرب ، وتنقصه إياهم بأن أهل المغرب موتورون منذ القديم ، من العرب . ويعلل بعضهم بأن ابن خلدون إنما وضع ،

عرب البادية فى زمانه ، أما عرب الأمصار ، فلا يعنيهم بشىء من قوله . .

أسلوب المقدمة :

عقد ابن خلدون فصلا فى مقدمته وهو الخامس والأربعون من فصول القسم السادس بعنوان . « فصل فى انقسام الكلام إلى فنى النظم والنثر » . وقد حمل فيه على كتاب عصره من أهل البديع الذين أدخلوا فى النثر ، الأساليب الشعرية من كثرة الأسجاع والتزام التقفية، وتقديم النسيب بين يدى الأغراض،وغير ذلك. حتى أصبحت أساليبهم بعيدة عن الروح البلاغية ، إذ أنها غير مطابقة لمقتضى الحال . إلى آخر ما قال . وقد انتقل ابن خلدون من نقده إلى استملاح الترسل وعدم التقيد فى إيراد الحديث والاسترسال بغير بديع » .

وقد خالف ابن خلدون بهذا النقد ، الروح السارية فى عصره ، ولا سيما فى مصر والشام والمشرق عامة ، بين جميع الكتاب . إذ كانت هى الروح البديعية ونزعة الزخرف والزينة اللفظية . ويعتبر ابن خلدون لذلك، نذا بين معاصريه ، ومجددا فى الأسلوب الكتابى بهذا الخروج .

ومن البدهى أن ينهج ابن خلدون فى كتابته ذلك النهج الذى استملحه، ودعا إليه ، وهو الاسترسال ونبذ القيود البديعية جانبا . — على أنه لم ينهج هذا النهج بدأب واستمرار، فى كل مؤلفاته ورسائله، كما نهج فى كتابة المقدمة . لأن لابن خلدون كتابة بديعية أخرى دعت إليها ظروف خاصة .

أما أسلوبه فى المقدمة ، فقد برىء ، أو كاد ، من المحسنات البديعية والقيود اللفظية ، وأمعن فى الاسترسال ، ولم يراع إلا مقتضى الحال على قدر استطاعته ، لذلك برز أسلوبه بليغا سهلا أخاذا ، كأنه الحديث المبثوث المرسل ، فى غير كلفة إلا رغبة الإفهام والتوضيح . لابن خلدون فى مقدمته خصوصية قل أن تجدها لسواه، وهى حسن إبرازه للمعانى الدقيقة بألفاظ وجمل غاية فى الدقة والكياسة، والدلالة . ـ هذا الوصف هو الشائع فى أسلوب مقدمته ولا يخلو مع ذلك من مآخذ وهنات نجملها فيما يلى :

فنها العودة إلى الأسلوب البديعي فى خطبة الكتاب بصفة خاصة . بل لقد أمعن فى السجع إمعانا . وليته نوّع القافية ، ولكنه التزم القافية الواحدة فى أكثر من عشر جمل . ويخيل للمرء أنه أراد أن يستعيض عن هجر البديع فى سائر مقدمته بما التزمه فى هذه الخطبة .

ومنها وقوعه فى أخطاء لا يجيزها قواعد الإعراب ، ولا قوانين الصرف ولا مسموعات اللغة [1] . مثل : إدخال الواو فى خبر لابد ، فيقول : « لابد وأن » . وجعله الخبر أو جواب الشرط استثناء أو استدراكا ، فيقول : « إنه وإن كان الأمر كذلك إلا أنه أو ، ولكنه » . وتعديته تعوّد بعلى ، فيقول : « تعود على » . وإدخاله الباء على غير المتروك فى فعل استبدل وما شابهه ، والأرجح دخولها على المتروك . واستعماله لفظ « الجيل » بمعنى القرن واللدات ، مع أنه الطبقة من الناس المتعاصرة فى نحو أربعين عاما . واستخدامه لفظ « المنحال » اسم آلة لرفع الأجسام ، وتأبى ذلك قواعد الصرف . وغير ذلك .

ومن مآخذه الفصل بين جزئى الكلام فى الموضوع الواحد ، بكلام آخر مستطرد إليه ، حتى ليصعب أحيانا الربط بين هذين الجزئين . ومنها إغفاله خبر المبتدأ أو جواب الشرط ، وذلك لطول عبارته .

ومنها لجوؤه الكثير إلى الجمل الطويلة ، التى تستغرق سطورا ، حتى يشرح بها معنى واحدا وهذا من شأنه أن يتعب القارىء ويتطلب منه ذهنا يكده لربط أول الكلام بآخره واستخلاص المعنى . ولو لجأ إلى الجمل القصار لكان أجمل . ومنها الإطالة المملة فى بعض الموضوعات ، والإيجاز المخل فى بعض آخر . ومنها تداخل جمله بعضها فى البعض الآخر ، تداخلا يزيدها غموضا ويفسح المجال للتأويلات ، واختلاف وجوه الإعراب ، ويستتبع ذلك غموض المعنى واضطرابه . ولعل هذا ناشىء من لجوئه إلى الجمل الطويلة كما ذكرنا . ومنها إكثاره من استخدام ألفاظ وتراكيب معينة حتى أصبحت كأنها « لوازم » لأسلوبه كقوله : فى الغالب وفى الأقل النادر . ومنها تداخل الجمل بعضها فى البعض الآخر بشكل يصعب معه عود

(١) راجع مذكرات الأستاذ أحمد الإسكندرى .

الضمائر إلى أصحابها . ومنها أنه منطق العبارة فى بعض الأحيان ذو أقيسة وموازنات، وهذا نكوص إلى الكتابة المقيدة .

هذا، ومما يذكر أنه لاشك ، نقل جملا عدة من كتب أخرى ، وقد يشير إلى ذلك ، ولكنه قليلاً ما يشير . وهذا منه اعتداد بالنفس وثقة بالذهن ، وحفظ لوقت القراء من الضياع ، وحرص على أحاديثه أن تطغى عليها الأسانيد . ومما يذكر: أنه التزم غالبا افتتاح فصوله بقوله « اعلم » واختتامها بجملة يذكر فيها اسم الله كقوله « والله غالب على أمره » وكقوله « والله يهدى من يشاء » ، وقوله والله مصرف الأمور كيف يشاء » . . ولم تذكر هذا الافتتاح والاختتام فى مآخذه مع أنها من « اللوازم » ، لأنها أسلوب مستملح فى نظرنا، ولا مانع منه ولا بأس به .

ومهما يكن من شيء فإن لهذه المقدمة وأسلوبها أثرا عميقا فى نهضة الكتابة فى عصرنا الحديث . ولعل عصرا من العصور لم ينتفع بما فيها من علم غزير، وأدب كثير، وأسلوب كتابى مرسل سهل بليغ ، كما انتفع بها عصرنا الحديث . فكانت أستاذا لكتابه وأدبائه من مطالع العصر ، وكانت ذات أثر فيهم ، فى رجوعهم عن الطريقة البديعية ، إلى الاسترسال والأسلوب الفطرى والعناية بالمعانى والأفكار .

نماذج من المقدمة :

توخينا فى هذه النماذج أن تكون من بيئات مختلفة من أسلوبه ، حتى نعاون القارىء على معرفة ما وصفناه به فنها .

١ ــ كتب فى خطبة المقدمة بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة على نبيه، يصف فن التاريخ فقال :

« أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التى يتداولها الأمم والأجيال . وتشد إليه الركائب والرحال . وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال. وتتنافس فيه الملوك والأقيال. ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال . إذ هو فى ظاهره، لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمى فيها الأقوال . وتضرب فيها الأمثال،

وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال. وفى باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق، وجدير أن يعد فى علومها وخليق . » الخ .

٢ — كتب فى أول فصل من المقدمة « أى من الكتاب الأول » مقالا عاما، قدم به ما يلى من الفصول، وذلك فى صحيفة ٢٦ . قال مبينا الأسباب التى تعرض للتاريخ وحوادثه، فتضطر الرواة إلى تشويهها، والتغيير فيها، وعدم ذكرها على حقيقتها :

« اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ، أنه خبر عن الاجتماع الإنسانى، الذى هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر، بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.

ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته، وله أسباب تقتضيه، فمنها : التشيعات للآراء والمذاهب. فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال، فى قبول الخبر، أعطته حقه من التمحيص والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه. وإذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة، قبلت ما يوافقه من الأخبار لأول وهلة. وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها، عن الانتقاد والتمحيص، فتقع فى قبول الكذب ونقله. » الخ

٣ — ونختتم نماذجه بذكر فصل مما حمل فيه على العرب. فمن ذلك الفصل التاسع من الفصل الرابع وهو فى صفحة ٢٥٢ قال بعنوان « فصل فى أن المبانى التى كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا فى الأقل » :

« والسبب فى ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه. فلا تكون المبانى وثيقة فى تشييدها. وله — والله أعلم — وجه آخر وهو أمس به. وذلك

قلة مراعاتهم لحسن الاختيار فى اختطاط المدن — كما قلناه فى المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعى . فإنه بالتفاوت فى هذه، تتفاوت جودة المصر ورداءته، من حيث العمران الطبيعى . والعرب بمعزل عن هذا . وإنما يراعون مرعى إبلهم خاصة، لا يبالون بالماء طاب أو خبث، ولا قل أو كثر . ولا يسألون عن ذكاء المزارع والمنابت والأهوية، لانتقالهم فى الأرض، ونقلهم الحبوب من البلد البعيد. وأما الرياح، فالقفر مختلف المهاب كلها . والظعن كفيل لهم بطيبها . لأن الرياح إنما تخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات . وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان، كيف لم يراعوا فى اختطاطها إلا مراعى إبلهم، وما يقرب من القفر ومسالك الظعن. فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعى للمدن، ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم، كما قدمنا أنه يحتاج إليه فى حفظ العمران . فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار . ولم تكن فى وسط الأمم فيعمرها الناس فلأول وهلة من انحلال أمرهم وذهاب عصبيتهم التى كانت سياجا لها، أتى عليها الخراب والانحلال، كأن لم تكن والله يحكم لا معقب لحكمه . »

أما الكتابان الثانى والثالث : فهما فى التاريخ، وقد طبعا فى ستة مجلدات .

ويتحدث فى الثانى عن العرب وأجيالهم ودولهم . الخ، ويتحدث فى الثالث عن البربر ومن إليهم من زناتة . . الخ، كما ذكر فى خطبة كتابه، وأشرنا إليه فيما سبق.

وقيل إن ابن خلدون، كان ينوى قصر تاريخه على دول العرب والبربر، ولكنه أكمله على النمط الذى ظهر به، بعدما وفد على مصر . وضم إليه أخبار دول الأعاجم ببلاد المشرق .

ويعتبر أكبر موسوعة فى سرد تاريخ أمم البربر ودولها ببلاد المغرب، ومن اتصل بهم من عرب المشرق، ممن كانوا يقيمون بالبادية، وأغاروا على بلادهم مثل قبائل سليم وجشم وبنى هلال

وقد سجل حوادث كل دولة فى فصول على حدة، ويفتتحها بعبارات موجزة فى بيان أسباب نشوء الدولة .

وقد عنى كثير من الفرنجة بطبع تاريخ ابن خلدون ، وترجمته ، كما عنوا بطبع مقدمته وترجمتها .

أدبه :

طغت شهرة ابن خلدون بمقدمته وتاريخه ، على أدبه . مع أنه قمين بأن يشتهر بالأدب كتابة وشعرا ، ويقعد فيهما مقعد الفحول، ولولم يكن له مقدمة ولا تاريخ . فقد دبج الرسائل الديوانية أيام أن اشتغل بكتابة السر . والإنشاء فى الدواوين السلطانية ، وكتب الرسائل الإخوانية فى الشوق ونحوه . ونهج فى كتابة رسائله النهج الفاضلى المتبع فى المشرق . فعنى بالسجع والطباق والجناس والتورية والتضمين وما إليه . واستمر على ذلك زمنا ، حتى رأى أن هذه الطريقة تباعد بين الأديب وبين مراعاة مقتضى الحال . فهجرها ونعى عليها ، وحمل على الكاتبين بها وكتب فى ذلك فى سياق أحد فصول له بالمقدمة . وعاد إلى الاسترسال ونفى عن قلمه قيود البديع ، فسمت بلاغته ، وخصفت عبارته . وكثرت معانيه ، وكان بذلك كله ، مجليا . فى عصر وُضعت موازين النقد الأدبى فيه على أساس من نهج القاضى الفاضل . غير أنه لم يخلص جملة من لوثات طريقته الأولى .

أما فى الشعر ، فلم يقل جودة وحذقا عن نظرائه من شعراء جيله ، مثل لسان الدين بن الخطيب أديب الأندلس ٧٧٦ هـ ، ومثل القيراطى ٧٨١ هـ ، والفخر بن مكانس ٧٨٩ هـ ، وشهاب الدين بن العطار ٧٩٤ هـ ، وغيرهم من شعراء مصر والمشرق .

وقد نظم الشعر فى جملة أغراض منها المدح النبوى ، ومدح الملوك ، والغزل ، والإخوانيات . وأسلوبه الشعرى سهل لا كلفة فيه ، ولا لجاج بديعى . — وهو بجانب ذلك — متئد فى قصائده .

ومن إخوانياته ما كتبه إلى صديقه لسان الدين بن الخطيب ، فى التشوق ردا على رسالته ، قال :

« سيدى مجدا وعلوا ، وواحدى ذخرا ومرجوا ، ومحل والدى برا وحنوا ،

ما زال الشوق مذ نأت بي وبك الدار، واستحكم بيننا البعاد، يُرعى سمعي أنباءك، ويخيّل إليّ من أيدي الرياح تناول رسائلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع، وعهد غير مضاع، وود ذي أجناس وأنواع. فنشر بقلبي ميت الشوق، وحشر أنواع المسرات، وقدح للقائك زناد الأمل . . . الخ

ومن شعره من قصيدة طويلة:

صحا القلب لولا عبرة ونحيب ... وذكرى تُجد الوجدَ حينَ تثوب
وقلب أبى إلا الوفاءَ بعهده ... وإن نزحت دار وبان حبيب
ولله مني بعد حادثة النوى ... فؤاد بتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال إذا سرى ... وتذكى حشاه نفحة وهبوب
خليلي لا تستدعيا قد دعا الأسى ... فإني لما يدعو الأسى لمجيب
ألمّا على الأطلال نقض حقوقها ... من الدمع فياض الشئون سكوب
ولا تعذلاني في البكاء فإنها ... حشاشة نفس في الدموع تذوب

فرحم الله ابن خلدون وجزاه عن الإنسانية خيراً.

(ترجمته في (١) مذكرات للأسكندري كتبها عام ١٩٢٦ م (٢) حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية للشيخ محمد الخضر حسين محاضرة القاها عام ١٣٤٣ هـ منها نسخة مطبوعة بدار الكتب (٣) ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري للأستاذ محمد عبد الله عنان . (٤) ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية للدكتور طه حسين (٥) جورجي زيدان ج٣ ص ٢١٠ . (٦) كتاب العبر والتعريف لابن خلدون (٧) الاحاطة لابن الخطيب (٨) الضوء اللامع للسخاوي ج ٤ رقم ٣٨٧)

ب ـ تقي الدين المقريزي ٧٦٦ هـ ـ ٨٤٥ هـ

هو العلامة الكبير، والمؤرخ القدير، وصاحب الخطط الشهيرة أبو العباس تقي الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد. ويسمو بنسبه إلى العبيديين الفاطميين حكام مصر، قبل صلاح الدين. معتمداً على ما قاله له أبوه حينما دخل معه إلى جامع الحاكم بأمر الله. هذا جامع جدك! ولهذا جهد في إثبات نسبهم والسمو بهم إلى بني هاشم.

ويعرف بالمقريزي، نسبة إلى حارة المقارزة ببعلبك ببلاد الشام وقد كانت أسرته تقيم ببعلبك هذه، وكان جده بها من كبار المحدثين. ورأى أبوه أن يتحول إلى القاهرة، حيث ولي بعض المناصب في القضاء، وفي ديوان الإنشاء. ومن ذلك الوقت اتخذ مصر موطناً.

مولده ووفاته :

ولد المقريزي بالقاهرة عام ٧٦٦ هـ (١) وكانت وفاته بها في عصر يوم الخميس ٢٦ من رمضان عام ٨٤٥ هـ بعد مرض طويل، ودفن يوم الجمعة بحوش الصوفية البيبرسية.

شيء من حياته :

نشأ المقريزي بالقاهرة، ومال إلى طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، وسمع الحديث من جده لأمه شمس الدين بن الصائغ الحنفي، وتمذهب بمذهبه، ثم عدل عنه بعد زمن طويل إلى مذهب الشافعي. وسمع من غيره كالبرهان الآمدي والعز بن الكويك والنجم بن رزين. وحج، وسمع الحديث بمكة وبالشام عن جلة من الحفاظ، وأجيز بالرواية من كثيرين. كأبي البقاء السبكي وأبي بكر ابن المحب، ومن أفاضل شيوخه أيضاً. البرهان التنوخي، والناصر الحريري والسراج

(١) هذه رواية السخاوي نقلا من ابن حجر، الذي حقق الوفاة بتلك السنة.

البلقيني والزين العراقي والشهاب الأدرعي والجمال الأسنوي . ولم يقتصر علمه على الفقه والحديث ، بل امتد أفقه إلى غيره كالنحو . وكان مولعا بالتاريخ، عكف على مطالعة أسفاره وجمع أخباره ، حتى استقامت له منه جملة فريدة وطائفة مفيدة ، أودعها بطون كتبه . هذا فضلا عن نثره وشعره .

وقد ولى جملة من الوظائف منها : النيابة فى الحكم ، وكتابة التوقيع ، وحسبة القاهرة ، ولها مرارا ، والخطابة فى جامع عمرو بن العاص ، ومدرسة السلطان حسن . والإمامة بجامع الحاكم ونظره . ودرّس الحديث فى جامع المؤيد . وطاف بالبلاد ، وحج أكثر من مرة ، وتردد على دمشق ، وولى بها بعض المناصب ، من نظر وقف ، وتدريس ، وعُرض عليه قضاؤها فى أوائل دولة الناصر فرج ، فأبى ، وقد رحل مع هذا السلطان إليها فى عام ٨١٦ هـ . ومن قبله حسنت صلته بأبيه برقوق ، وقد صحب الأمير يشبك الدوادار ، وأصاب منه ثروة نافعة . وبعد تطوافه استقر فى القاهرة وانقطع للعلم والتاريخ والتأليف .

وتتلمذ للمقريزى كثير من النابهين ، منهم أبو المحاسن بن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة ، ومنهم شمس الدين السخاوى صاحب الضوء اللامع . وحظى بدراسة كتبه لطلابه فى حياته . على أن الزمن أسعده فى العصر الحديث باهتمام العلماء والمدرسين بدراسة مؤلفاته ، والرجوع إليها ، والعمل على نشرها .

المقريزى فى ميزان السخاوى :

لا يخلو مؤلِّف ، مهما بلغ من الدقة والضبط والإحاطة ، من هفوات . لذلك ليس غريبا أن يكون للمقريزى مآخذ وهنات . وهو قد جمع إلى لطيف أخباره وطريف أسماره ، مايُعد فى جانب الأساطير . كما سترى من بعض ما نذكره بعدُ . غير أن هذا وغيره ، لا يدع منصفا يتحامل عليه ويتجنى ، بل ينبغى أن يلتمس له المعذرة ويسد الثغرة . ويترفق حين ذكر العيوب وعدها . ووصف المآخذ ونقدها .

والسخاوى كما يعرفه رواد التاريخ ـ ناقد مر ، عظيم الخبرة ، دقيق النظرة ، لامع

الفكرة ، غير أنه سريع إلى التجنى والتحامل بما يشوب جوهر نقده ، وما يعيب خالص تمحيصه . ولم يسلم المقريزى من ضربات لسانه وخفقات بنانه . غير أنه — والحق يقال — قد أورد فى ترجمته له ، عددا من محاسنه ، وعددا من مساوئه لهما أهميتها . وأشنع ما أذاعه عنه ، أنه سطا على مسودات لشهاب الدين الأوحدى ، كتبها فى الخطط فبنى عليها كتابه العظيم « الخطط المقريزية » ، وزاد عليها زيادات قليلة القيمة ويشعر المرء بتحامل السخاوى عليه حين يقول عنه : « وكان مع ذلك ، يكثر الاعتماد على من لا يوثق به ، من غير عزو إليه » . ونعجب كيف عرف السخاوى أن من اعتمد عليه المقريزى فى كثير مما نقله ، لا يوثق به ، مادام لم يعزه إليه[1] . — ومهما يكن من شىء ، فلنلخص هنا بعض هذه المحاسن والمساوىء .

فمن محاسنه : أنه تفقه وتأدب على كثيرين من الأئمة . وأنه كان حسن السيرة فى وظائفه . وأنه أبى قضاء دمشق . وأنه عكف على مطالعة التاريخ والتأليف فيه ، حتى بعد صيته . وأنه كان حسن الخلق ، كريم العهد كثير التواضع ، عالى الهمة لقصاده . مداوما على التهجد حسن الصلاة . وأنه جمع فى كتابه « مجمع الفرائد ومنبع الفوائد » المشتمل على المعقول والمنقول ، وفى الجد والهزل ، ما شاهده بنفسه وسمعه ، مما لم ينقله من كتاب آخر .

ومن مساوئه : أنه كان يميل إلى أهل الظاهر ، ونقل السخاوى عن ابن حجر أن المقريزى كان يتهم بمذهب ابن حزم ، ولكنه كان لا يعرفه . ومنها اتهامه بسرقة مسودات الأوحدى وهذه أشنع تهمة نسبها السخاوى إليه . وأنه كان قليل المعرفة بالمتقدمين ، ولذلك ، وقع له التحريف والسقط فى متونهم وأسمائهم وأنسابهم . وضرب أمثلة كثيرة لذلك ، كالكرجى يجعلها الكرخى . وأنه يكثر من الاعتماد على من لا يوثق به من غير عزو إليه . . ومن ذلك اعتماده على قول أبيه حينما دخل مسجد الحاكم بأمر الله ، فقال له أبوه : هذا مسجد جدك . فاعتمد المقريزى على ذلك ، وانتسب إلى العبيديين . ومنها أنه غير ماهر فى استحضار الوقائع الإسلامية ،

---

(١) كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « مصر الاسلامية » فصلا ممتعا عن المقريزى وخططه ، دافع فيه عنه ودحض بعض دعاوى السخاوى عليه .

جاهل بالرجال وجرحهم وتعديلهم ومراتبهم .. الخ . ومنها أنه ضعيف فى الفقه ومعرفة الحديث والنحو ، قليل الإلمام بأقوال السلف ومذهب أهل الكتاب . هذا ونسب إليه الكذب فى بعض أخباره .

وفى اعتقادنا أن نقدات السخاوى لم تضع من قدر المقريزى ، ولعلها سهلت السبيل إلى درسه ، وعبدت الطريق إلى الوقوف على مبلغ علمه وفضله ، ومؤلفاته المتعددة شاهدة بهذا العلم والفضل .

مؤلفاته:

عكف المقريزى على التأليف ، فقد كان من هواته ، وأغرم بالتاريخ غراما لا حد له ، ولم يقتصر غرامه به على نوع واحد منه ، بل تناول عدة أنواع . فكتب فى الخطط ، وفى التاريخ العام ، وفى تاريخ مصر ، وتاريخ رجالها ، وتاريخ الدول . وقد عاونه تقلبه فى الوظائف الإدارية على معرفة النظم الديوانية وأخبارها ، والولوع بالبحث عنها ، وتطورها ، وجره الحديث عن هذه النظم ، إلى وصف كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية ، فكان بذلك كله فذا بين مؤرخى مصر . وأصبحت مؤلفاته من أهم المراجع فى تاريخها وتاريخ آثارها وخططها . ووضع سلسلة من مؤلفاته تكوّن عقدا ثمينا ، متصل الحبات فى تاريخ مصر ، وهى على التوالى : عقد جواهر الأسفاط فى تاريخ الفسطاط . واتعاظ الحنفاء ، فى أخبار الفاطميين . والسلوك من عهد الأكراد إلى زمنه .

وكان طويل النفس مديد الباع فى بعض مؤلفاته ، التى بلغت — على ما قيل — نحو مائتى مجلد . من بينها كتابه « المقفى » . وهو تاريخ كبير كتب منه ستة عشر مجلدا ، ولم يتمه . وروى السخاوى أنه كان يقول ، لو كمل على ما يرومه ، لجاوز الثمانين مجلدا . ومنها كتابه « مجمع الفرائد ومنبع الفوائد » قيل : بلغت مجلداته نحو مائة .

ولم يقتصر تآليفه على التاريخ ، بل ألف فى النقود وتاريخها ، وله مؤلفات تحدث فيها عن الحديث والفقه والكلام مثل كتابه « تجريد التوحيد المفيد » .

وقد سعد المقريزى بأن شاهد مؤلفاته تقرأ وتدرس فى حياته . وقد قال تلميذه أبو المحاسن بن تغرى بردى: « وقرأت عليه كثيراً من مصنفاته » . وقال أيضاً: « وصنف كتباً كثيرة ، من ذلك : إمتاع الأسماع فيما للنبي صلى الله عليه وسلم من الحفدة والأتباع ، فى ستة مجلدات ، رأيته وطالعته ، وهو كتاب نفيس . وحدث به فى مكة » . هذا ومن حسن الحظ أن كثيراً من مؤلفات المقريزى موجود ، وبعضها فى دار الكتب المصرية وبعضها مطبوع .

ونذكر هنا بعض مؤلفاته فنها[1] :

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . (٢) السلوك لمعرفة دول الملوك . (٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء ، وهو فى تاريخ الفاطميين . (٤) عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط : وهو فى تاريخ مصر من الفتح العربى إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية، وبه مجمل سيرة النبي عليه السلام . (٥) المقفى ، قال عنه جورجى زيدان: إن المقريزى وصف فيه عيشة الأمراء والمشاهير الذين أقاموا فى مصر . كتب منه ١٦ مجلدا، منها ثلاثة فى ليدن ، ومجلد فى باريس . كلها بخط المؤلف . (٦) الدرر المضيئة فى تاريخ الدولة الإسلامية : من مقتل عثمان إلى المستعصم آخر خلفاء بغداد . (٧) إمتاع الأسماع فيما للنبي من الحفدة والأتباع : فى ستة مجلدات، وهو الذى حدث به بمكة أيام مجاورته . وتوجد منه نسخة بدار الكتب . (٨) الخبر عن البشر ، قال عنه : إنه جعله مدخلا لكتابه « إمتاع الأسماع » ، وتكلم فيه عن المخلوقات وكيفية خلق السموات والكواكب وأشكالها وحركاتها ، والأرض وتقسيمها وكيفية خلق آدم واختلاف لغات ذرياته . وعن ملوك اليمن وقريش وأنسابها ، وآباء النبي عليه السلام . . إلى غير ذلك . وبدار الكتب المصرية ، منه ستة أجزاء تقع فى ١٦ مجلدا مصورة تصويراً شمسيا .

(١) اعتمدنا فى ذكر هذه المؤلفات على فهرس دار الكتب المصرية ومعجم سركيس، وجورجى زيدان . والضوء اللامع للسخاوى ، والمنهل الصافى لأبى المحاسن . وعلى ما قرأناه فى دور الكتب الأخرى .

(٩) نبذة العقود فى أمور النقود[1] . (١٠) المكاييل والموازين الشرعية . (١١) ضوء السارى فى معرفة خبر تميم الدارى . (١٢) النحل وما فيه من غرائب الحكمة . (١٣) الطرفة الغريبة فى أخبار حضرموت العجيبة، طبعت، ومنها نسخة بدار الكتب . (١٤) البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب وقد طبع أكثر من مرة . (١٥) الإلمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام ، طبع . (١٦) معرفة ما يجب لآل البيت الشريف من الحق على من عداهم . (١٧) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الملوك . (١٨) النزاع والتخاصم بين بنى أمية وهاشم ، ومنه نسخة بدار الكتب طبع ليدن . (١٩) الإشارة والأيماء إلى حل لغز الماء . (٢٠) إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء . (٢١) ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال . (٢٢) البيان المفيد فى الفرق بين الإيمان والتاحيد . (٢٣) تراجم ملوك العرب . (٢٤) درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة: فى تراجم أعيان عصره ، يقع فى ٣ مجلدات . (٢٥) تجريد التوحيد المفيد ، طبع . (٢٦) مختصر قيام الليل ، وقيام رمضان وكتاب الوتر . والكتب الثلاثة لأبى عبد الله المروزى المتوفى عام ٢٩٤ هـ . (٢٧) ذكر دخول قبط مصر فى دين النصرانية، وبدار الكتب المصرية منه نسخة مطبوعة بأوربا سنة ١٨٢٨م مع مقدمة وترجمة باللاتينية . (٢٨) منتخب التذكرة : وفيه جملة من تاريخ الأعيان والملوك وأنسابهم وحوادثهم .. الخ ، مبتدئا بقصة آدم ، ورتبه على حسب السنين ، منه نسخة بدار الكتب بالتصوير الشمسى ، والمنتخب والتذكرة كلاهما للمقريزى . (٢٩) النقود القديمة والاسلامية ، ولعله هو كتابه « نبذة العقود » وكتابه « شذور العقود فى ذكر النقود » . (٣٠) الأخبار عن الأعذار . (٣١) والإشارة والكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام ، وله مختصره كذلك . (٣٢) حصول

---

(١) فى دار الكتب كتاب للمقريزى اسمه « شذور العقود فى ذكر النقود » فلعله هو (نبذة العقود) . ولعلها معا كتابه (النقود الاسلامية) .

الأنعام والمير فى سؤال خاتمة الخير . (٣٣) المقاصد السنية فى معرفة الأجسام المعدنية . (٣٤) شارع النجاة ، ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول دياناتهم وفروعها مع أدلتها وتوجيه الحق فيها . (٣٥) قرض سيرة المؤيد لابن ناهض .

التعريف ببعض مؤلفاته :

١ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار :

هو الخطط المقريزية المشهورة ، وأحد الكتب الخالدة التى اهتم بها الناس قديما وحديثا ، وشرقا وغربا ، واعتمد عليه عدد ضخم من كبار المؤلفين الذين تصدوا للكتابة فى تاريخ مصر وآثارها وخططها .

وموضوعه قص أخبار وأوصاف ما فى ديار مصر والقاهرة من مبانى وآثار ، وطرق ومنشئات مختلفة ، والتنويه بذكر من له صلة من الأعلام بذلك كله . — وقد بيّن المقريزى فى خطبة هذا الكتاب موضوعه فقال :

« أردت أن ألخص منها — أى من الفوائد التى جمعها — أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية . وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد، غير ما كاد يفنيه البلى والقدم . ولم يبق إلا أن يمحو رسمها الفناء والعدم . وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة . وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع . وحوته من المبانى البديعة الأوضاع . مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأماثل . والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الأعاظم والأفاضل . وأنثر خلال ذلك نكتا لطيفة . وحكما بديعة شريفة . من غير إطالة ولا إكثار . ولا إجحاف مخل بالغرض ولا اختصار . بل وسط بين الطريقين ، وطريق بين بين »

وقد نجح المقريزى فى حبك كتابه وفق الخطة التى رسمها ، نجاحا بعيد المدى . حتى أصبح كتابه هذا واسطة عقد كتب الخطط المصرية . وأغلى حباته وأنفسها .

والكتاب فى نظرنا يشتمل على ثلاث نقط . الأولى : وصف الأماكن والآثار المصرية . الثانية : تراجم الأعلام . الثالثة : النكت اللطيفة والحكم الشريفة التى أشار إليها .

أما النقطة الأولى : فقد فصل الكلام فيها تفصيلا . وتحدث عن النيل وخلجانه وقناطره . وجبال مصر وواحاتها ومدنها . والإسكندرية وما فيها . وذكر المساجد والجوامع والخوانق والزوايا والربط والمدارس والحمامات والأسواق والسجون، ووصف القاهرة وما تحتوى به من ذلك كله ، وشوارعها وطرقاتها وأزقتها وعمائرها .. وما إلى ذلك .

أما النقطة الثانية : فإنه لم يستوعب تراجم الأعلام إلا بقدر دعت إليه ضرورة ذكر ما اتصل بهم من آثار وأماكن وأبنية . فمثلا يترجم لمنجك اليوسفى عند ذكر مدرسته . ويترجم لمحمود الأستادار عند وصف مسجده ، وهلم جرا . لذلك لا نستطيع أن نعده من كتب تراجم الأعلام إلا بمقدار . ومع ذلك فقل أن تعثر على مثل تراجمه بأخبارها فى كتاب آخر . ومن أتى بعده من كتاب التراجم استمد منه واعتمد عليه بلا شك . — ومما يذكر هنا أنه دلف إلى ذكر بعض الدول المصرية وملوكها . فقد تحدث عن الفاطميين وعن ملوك بنى أيوب ثم سلاطين المماليك حتى عصره ، وحوادثهم واستطرد إلى حوادث تاريخية أخرى .

أما النقطة الثالثة : فهى من أطرف ما فى الكتاب وقل أن نجد من المؤرخين من استطاع أن يسوق فى مؤلف واسع كهذا ، ذلك العدد الضخم من الطرائف التاريخية ، التى تصف الأخلاق والعادات والتقاليد والمذاهب الدينية ، ونظام الإدارة والوظائف واختصاصات كل وظيفة ، وتقلب الأحوال بكل منها . ويتغلغل هذا التغلغل فى وصف صميم الحياة بين الخواص والعوام ، ووصف ما يجول فى نفوسهم من خواطر وأحاسيس . ويعرض ذلك فى بعض الأحيان بعبارة وصاف دقيق ، أو بأسلوب لذاع لناقد جم الألم شديد الحزن ، لما طرأ على بيئة عصره من فساد . .

ومما تكلم فيه من هذا النوع : ذكر الأذان بمصر وما كان فيه من الاختلاف، ج ٤ ص٤٣ ـ وذكر الأحباس وما كان يعمل فيها ، ج ٤ ص ٨٣ ـ وذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم ، ج ٤ ص ١٤١ ـ وذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها.. وفرق أهل الإسلام ، ج ٤ ص ١٦٢ ـ وفصل فى أن الله سبحانه طلب من الخلق معرفته، ج ٤ ص١٨٨ ـ ذكر تاريخ اليهود وأعيادهم، ج ٤ ص٣٦١ . ذكر الروك الناصرى ، ج ١ ص ١٤١ . وذكر الديوان وديوان العساكر والخراج. وأراضى مصر وزراعتها ، ج ١ ص ١٠٧ إلى ١٦٦ . أعياد القبط ، ج ٢ ص ٢٤ تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية ، ج ٢ ص ٣٩ . أحوال الفاطميين ودعواتهم. ج ٢ ص ٢١٤ إلى ٢٣٣ . — الكلام على الدواوين كديوان المجلس والنظر والتحقيق والجيوش والإنشاء وغير ذلك، ج ٢ ص٢٣٥ وما بعدها. أعياد الفاطميين ومراسمهم ، ج ٢ ص ٣٨٤ وما بعدها — وغير هذه الموضوعات كثير، ككلامه عن الوظائف العامة فى الدولة فى الجزء الثالث . وخاصة كلامه عن الحجوبية ومنشئها ، وعن السياسة وأصلها . وذكر جيوش الدولة التركية وزيها وعوائدها ، ج ٣ ص ٣٥٠ . وما ذكره عن المماليك وطرق تعليمهم تحت عنوان « الطباق بساحة الإيوان » ج ٣ ص ٣٤٦ .

ومن نقده اللاذع لهم فى هذا الفصل، قوله عن المماليك وعن السلطان الناصر فرج :

« ثم تلاشت الأحوال فى أيام الناصر فرج بن برقوق . وانقطعت الرواتب من اللحوم وغيرها ، حتى عن مماليك الطباق مع قلة عددهم . ورتب لكل واحد منهم فى اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس . فصار غذاؤهم فى الغالب الفول المسلوق ، عجزاً عن شراء اللحم وغيره . هذا . وبقى الجلب من المماليك إنما هم الرجال الذين كانوا فى بلادهم ما بين ملاح سفينة ووقاد فى تنور خباز ، ومحول ماء فى غيط أشجار . . ونحو ذلك . واستقر رأى الناصر على أن تسليم المماليك للفقيه يتلفهم . بل يتركون وشئونهم . فبدلت الأرض غير الأرض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرا وأشحهم نفساً ، وأجهلهم

بأمر الدنيا وأكثرهم إعراضاً عن الدين . ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد ، وألص من فأرة ، وأفسد من ذئب . لا جرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات ، بسوء إيالة الحكام وشدة عبث الولاة ، وسوء تصرف أولى الأمر ، حتى أنه ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه » .

والكتاب أربعة أجزاء كما ذكرنا . ولا يستقل كل جزء بموضوع أو موضوعات معينة ذات صبغة خاصة أو فكرة مستقلة تميزها عن مثيلتها فى الجزء الآخر . بل الكتاب بأجزائه الأربعة ، ذو صبغة واحدة ، وفكرة واحدة ، تقسمتها هذه الأجزاء . ومع هذا نذكر أن من أبواب الجزء الأول : مسائل جغرافية خاصة بالأرض وبمصر . وأخبار النيل ومقياسه ، وخلجانه . أحاديث عن أعمال الديار المصرية وكورها وخراجها . وذكر الأهرام وأبي الهول والجبال الأخرى . وفصول عدة عن الإسكندرية ومنشآتها . ثم فصول عن المدن والقرى المصرية الأخرى .

ومن أبواب الجزء الثانى : تاريخ الخليقة . الأقباط وأعيادهم . كلام عن الفسطاط والقطائع والعسكر . نسب الفاطميين . أبواب القاهرة . قصور الخلفاء الفاطميين ووصف دعوتهم . الكلام عن الدواوين المختلفة . والخزائن . وبعض المناصب .

ومن أبواب الجزء الثالث : حارات القاهرة وأخطاطها ودروبها ورحباتها ودورها ، وحماماتها وأسواقها وفنادقها ، وأحكارها ، وقناطرها ، وبركها وجسورها ، وذكر بعض الوظائف الكبيرة . وموجز فى تاريخ ملوك الأيوبيين وسلاطين المماليك إلى عهد برسباى عام ٨٢٥ هـ .

ومن أبواب الجزء الرابع : ذكر المساجد الجامعة والمدارس والخوانق والربط والزوايا والجواسق .

ومن أهم ما يجب تذليله فى هذا الكتاب ، حتى يسهل على المطلعين تناوله والوصول السريع إلى المواضع التى ينشدونها فيه ، أن توضع فهارس كاملة لما فيه من الحوادث والاستطرادات ، أو تُعنون هذه الحوادث بعناوين جديدة مناسبة ، ليسهل العثور

عليها . إذ كثيرا ما يجد المرء مسائل طريفة جدا ، وهامة . تحت عناوين لا تومىء إليها . مثال ذلك، الكلام عن تعليم الجند والمماليك، فقد ورد تحت عنوان «الطباق بساحة الإيوان » وعلى هذا فقس .

على أن بالكتاب مسائل وموضوعات تحتاج إلى التمحيص والتعليق عليها .

وقد اعتمد المقريزى فى تأليفه على كثير ممن تقدموه ، ونسب إليهم الكثير مما نقل . ومنهم ابن عبد الظاهر صاحب الروضة البهية ، ومنهم ابن فضل الله صاحب مسالك الأبصار .

وقبل أن نختم الحديث عن هذا السفر القيم ، نشير إلى ما نسبه السخاوى إلى المقريزى من أنه عثر على مسودات للأوحدى انتفع بها فى كتابة خططه . — وقد قال جورجى زيدان بإزاء هذا ما يلى :

« ويظن السخاوى أن السبب فى إحرازه هذه الفوائد الكثيرة أن صاحبه ظفر بمسودات كتاب للأوحدى[1] فى هذا الموضوع فأخذها وزاد عليها . مع أن المقريزى لم يقصر فى ذكر المصادر التى نقل عنها بل هو يسند كل فقرة إلى صاحبها فلو أخذ عن الأوحدى لم يهمه أن يذكره . ولكن السخاوى كان معاصرا للمقريزى ، ويندر أن يخلو المعاصرون من التحاسد . »

ونستدرك هنا فنقول إن المقريزى توفى عام ٨٤٥ هـ ، وأن السخاوى من تلاميذه وقد توفى عام ٩٠٢ هـ .

وقد اقتبسنا فيما مر بعض فقرات من الكتاب، ومنها يتبين أسلوبه وهو سهل سائغ لا قيود فيه ، بل تندمج فيه كلمات وتعبيرات عامية ، قد يضطر إليها المؤلف اضطرارا ، انسياقا وراء عُرف قررها ، أو رسميات شاعت فيها .

---

(١) الأوحدى هو شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان بن عبد الله . ينسب جده إلى بيبرس الأوحدى الذى كان نائب القلعة . وكان شهاب الدين عالما بفقه الشافعى والحديث وغيرها وكان أديبا . توفى سنة ٨١١ هـ . ويقال إنه كتب مسودة لخطط مصر ، نقل منها المقريزى (ترجمته فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٩)

هذا وقد اعتمدنا فى كتابنا هذا ، على كثير من فصول هذا الكتاب . وممن انتفع به واعترف بانتفاعه ، من مؤلفى مصر فى العصر الحديث ، على مبارك باشا فى خططه التوفيقية ، وجورجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة . وغيرهما من الأدباء والمؤرخين كثيرون . والكتاب بعد هذا كله ، كتاب تقويم وحديث ونقد وتشريع ونقد وأدب واجتماع ولغة . ولا يخلو من خرافات ومسائل تحتاج إلى التمحيص . ـ كما أشرنا ـ

٢ — السلوك لمعرفة دول الملوك :

من أهم كتب المقريزى . وهو أربعة مجلدات . وكان سبب تأليفه — كما قال فى مقدمته — أنه وضع كتابه « عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط » ، فى تاريخ مصر من الفتح العربى إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية . ثم وضع كتابه « اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا » فى تاريخ مصر زمن الخلفاء الفاطميين . فرأى بعد ذلك أن يكمل هذه السلسلة الفريدة بوضع كتاب فى تاريخ مصر زمن الأيوبيين ، وزمن سلاطين المماليك ، الأتراك والجراكسة ، ليتم بذلك تاريخ مصر ، من الفتح العربى إلى عهده .

وقد مهد لذلك بجملة فصول ، كتبها عن الأجناس البشرية ، وأديانها قبل بعثة النبى عليه السلام . ثم تكلم عن الحكومة والخلفاء من بعده ، فتحدث عن الخلفاء الراشدين ثم الأمويين فالعباسيين ، وعن الدول المتفرعة كالبويهية والسلاجقة ، إلى عهد صلاح الدين الأيوبى . — وهى فصول سريعة خاطفة .

والكتاب بعد هذه الفصول ، موسوعة حافلة بتاريخ مصر و حوادثها فى العصرين الأيوبى والمملوكى إلى عهد المؤلف أى بين سنتى ٥٧٧ ﻫ ، ٨٤٤ ﻫ . ويعتبر من أهم مراجع تاريخها فى الحقبة المذكورة . وقد سرد المؤلف هذه الحوادث وأخبارها من سياسية واجتماعية ونحوهما ، مرتبة حسب السنين ، مترجما فى السياق ، وفى أعقاب كل سنة لأعيان الوفيات .

ولعل المقريزى كان مُلْهِما بعمله العظيم ، لابن إياس الحنفى مؤرخ مصر ،

وواضع بدائع الزهور . فإنه انتهج نفس النهج وسار عليه ، حتى استوعب حوادث العصر المملوكى وزاد عليها — كما سنشير إليه فى مكانه .

ولعله أيضا كان ملهما لتلميذه أبى المحاسن فى كتابه « النجوم الزاهرة » فإنه على نسق من السلوك كذلك . هذا وقد وضع السخاوى تذييلا للسلوك سماه « التبر المسبوك فى ذيل السلوك » .

ومن حسن الحظ أن عنى الأستاذ محمد مصطفى زيادة ، أستاذ التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، بنشر هذا المؤلف الثمين — السلوك — وأصدر منه حتى الآن أكثر من جزء ، فى طبعة أنيقة مزودة ببحوث وتعليقات وشروح وفهارس متنوعة ، حديثة ، زادت فى قيمة الكتاب وسهلت الانتفاع به .

٣ — إغاثة الأمة بكشف الغمة :

رسالة طبعت حديثاً فى نحو ثمانين صفحة ، قام بنشرها الأستاذان الفاضلان محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين محمد الشيال عام ١٩٤٠ م والكتاب على ضآلة حجمه ، عظيم النفع والقيمة .

وقد صدره ناشراه بكلمة قيمة ، وضحا فيها قيمته العلمية ، ونحن نلخص بعضها فيما يلى :

« يمتاز الكتاب بطرافة موضوعه وتفوق مؤلفه . إذ يتناول تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ . وهى السنة التى ألف فيها . والمقريزى فى هذا الكتيب — فيما نعلم — هو المؤرخ المصرى الوحيد الذى تعرض بالبحث لتلك الناحية الاقتصادية الاجتماعية من تاريخ مصر . فهو فى تدوينه ، يحاول تقصى الأسباب ويقترح العلاج . ويصف طبقات المجتمع المصرى بشىء من التفصيل . — وهو شبيه فى هذا ، بأستاذه ابن خلدون فى مقدمته — مع الفارق فى الموضوع والحجم طبعا . وكل منهما يعرض موضوعه مع غلبة الصبغة الفلسفية عليه مستشهدا بحوادث التاريخ مختتما الفصل بآية من القرآن الكريم ، أو ببيت من الشعر يناسب المقام » .

« ولكتاب « إغاثة الأمة » وأشباهه من الرسائل الصغرى أهمية خاصة بالنسبة لمؤلفيها من كبار المؤرخين، تقصر عنها كتبهم الكبرى التي تموج بالتراجم الكثيرة والحوادث الجمة . فهذه الكتب الصغيرة تلقى كثيراً من الضوء على شيء من هوية مؤلفيها ، وتوضح الطريق لفهم الحالة الفكرية بينهم فى مختلف العصور والعهود »

ونحن نعقب على ذلك بقولنا إن من المؤرخين المصريين من تعرض لذكر هذه الحوادث وأمثالها وأرخها . ومنهم ابن إياس ففى تضاعيف بدائعه أخبار عدة لما وقع فى مصر من زلازل وطواعين وغلاء ونحو ذلك ، مع ذكر ما صنعه أمراء مصر وأعيانهم ، إزاء هذه الحوادث ، وإن كان لم يذكر العوامل الاقتصادية ، ولا وصف الحياة الاجتماعية ، الملابسة لهذه الحوادث ذكرا صريحاً . وقد استنبطنا منه، ذلك الفصل الذى كتبناه عن الحوادث المذكورة فى الجزء الأول من هذا الكتاب . — وكذلك يوجد فصل فى هذه الحوادث فى حسن المحاضرة للسيوطى . ولابن حجر العسقلانى كتاب اسمه « بذل الماعون فى فضل الطاعون » ونحن لم نطلع عليه، ولكن ابن إياس ذكره ونقل عنه . وأبو المحاسن ابن تغرى بردى قد نص فى نجومه الزاهرة على هذه الحوادث كذلك .

ومهما يكن من شيء، فإن هذا الكتاب الذى وضعه المقريزى فى سنة ٨٠٨ هـ . كما يفهم من حديثه فى الفصل الثانى ، هو — فيما نعلم — هو الوحيد الذى جمع حوادث الغلاء فى مصر، فى صعيد واحد . فيمتاز هذا عن غيره بتسلسل الحوادث واتصالها ، والمعونة على سرعة الحكم عليها وموازنتها . ومن مميزاته أنه ذكر فى سياق حوادث الغلاء بمصر، حوادث الغلاء بغيرها من الأقطار المجاورة ، كالشام وبرقة، والحجاز، وغيرها . وفصل الحديث، أكثر من سواه، فى وصف حالة الناس إبان كل غلاء تقريباً . وما كان يسودهم من الذعر والاضطراب ، وما كان يعروهم من الهم والحزن والشذوذ ، وما كان يقوم به السلاطين والأمراء والأعيان من معونة للشعب لتفريج أزمته . وتلاعب الطحانين والخبازين، وتجار الغلال بالأسعار . — وتكلم فيما تكلم عنه، عن أسباب هذه الأزمات، وما اكتنفها من عوامل، ضاعفت

أثرها. ولكنه لم يفصل الكلام عن هذه الناحية الأخيرة تفصيلا شافيا فى الفصل الأول . وقصارى هذه العوامل : ضعف السلطنة ، واستبداد الأمراء وتلاعب التجار فى الأسواق ، وخبث الطحانين والخبازين وعرفاء الأسواق ، وهبوب الرياح الضارة بالقمح ونقصان ماء النيل . وهذا العامل الأخير هو أهم العوامل تقريباً . إذ كان ارتفاع النيل أو انخفاضه فى إبان الوفاء وحوله ، أهم مؤثر فى أسعار الحاجيات بالسوق ولا سيما فى تلك العصور التى كان القمح فيهـــا هو المحصول الرئيسى للبلاد . ولهذا كانت الأسعار تتأثر غالبا ، بأخبار المبشرين بارتفاع النيل فى فصل الفيضان .

ولم يقصر بحثه على حوادث عصره ، أو حوادث عصر الأتراك المماليك والجراكسة . بل نقل أخبار حوادث الغلاء التى وقعت منذ القدم فى مصر ، نقلها عن كتب تاريخية أخرى ، لكتاب ابن وصيفشاه .

ثم فصل فى الفصل الثانى ، الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى نجمت عنها حوادث الغلاء ، تفصيلا دقيقا . وأرجعها إلى ثلاثة لا رابع لها وهى ، أولا : انتشار الرشوة بين طلاب الوظائف ، يدفعونها لينالوا مناصبهم ، فيستدينون فيظلمون الناس ، ولا سيما أهل القرى ، فيصيب هؤلاء ، العجز عن الدفع ، فتضطرب زراعتهم ، أو يهجرون ديارهم . — ثانيا : ارتفاع أثمان الأراضى الزراعية وإيجارها نتيجة لرغبة خدام الأمراء ، فى التقرب إليهم بهذا العمل الظالم ، فهجرها الفلاحون وقلت المحاصيل . — ثالثا : اضطراب العملة .

وقد كتب المقريزى مقالين فى النقود ، وهما أصل لكتابه « النقود القديمة والإسلامية » . وكتب فصولا موجزة ، فى وصف تقلبات الأسعار ، وما تنتجه من المحن ، وطرق معالجة ذلك . وفى طبقات المجتمع المصرى فى عهده [1]

وقد صدّر المقريزى كتابه بفصل ممتع موجز . ضمنه كثيرا من الحكم والنظريات

---

١ — نقلنا ذلك عنه فى الجزء الأول من كتابنا هذا . بالقسم الثانى ص ٣٦٣ .

الاجتماعية والنفسية . بعضها مقبول مسلم ، وبعضها يحتاج إلى تمحيص .

ومن ذلك قوله : « لا تزال الحال المستقبلة تتصور فى الوهم ، خيرا من الحالة الحاضرة ، لأن ملالة الحالة الحاضرة تزين فى الوهم ، الحالة المستقبلة ، فلذلك ، لا تزال الحاضر أبدا منقوصا حقه ، مجحودا قدره . لأن القليل من شره يُرى كثيرا . إذ القليل من المشاهدة أرسخ من الكثير من الخبر » .

وقال : « مقاساة اليسير من الشدة ، أشق على النفس من تذكر الكثير مما سلف منها . مثال ذلك : شخص أرقته البراغيث ليلة . . فتذكر بذلك ليالى ماضية أرقته فيها حرارة الحمى . فغير ذى شك أن توهم تلك الحمى . وتذكر تلك الأيام الماضية أخف عليه من دبيب البراغيث ، على جسمه فى وقته ذلك . . . » .

وعجيب أن يكون دبيب البراغيث لدى المقريزى ، أشق من تذكر الحمى . . .

ومهما يكن من شىء ، فحسبنا ما مر شاهدا بفضل الكتاب ومؤلفه . وقد استعنا به فى أكثر من موضع ، من هذا الكتاب .

المقريزى الكاتب :

المقريزى كاتب مؤلف ، وكاتب أديب . ويجنح فى كتابته التأليفية ، إلى القص وعدم التنميق ، أو التأنق فى اختيار اللفظ ، إلا مادل على المعنى ، ولو أدى ذلك إلى استعمال كلمات عامية أو دخيلة ، أو عبارات عربية مضطربة . وأكثر ما دخل كلامه ، تلك الألفاظ التى شاعت فى الرسميات ، أو جرت ألسنة العامة بإطلاقها على معانى غير معانيها . ويكرر أحيانا جملة لتثبيتها والتذكير بما فيها . وقد يختتم فصوله بآية قرآنية مناسبة ، أو بيت شعرى .

أما كتابته الأدبية ، فتتضح فيما كتبه فى خطب مؤلفاته ، أو فى السطور الأولى من فصوله أحيانا . أو فى تضاعيفها أحيانا أخرى . فيجنح إلى الطريقة الفاضلية ، فيسجع أو يطابق أو يورى أو يجانس ، وهكذا .

وإليك نموذجا لكل نوع من كتابتيه :

فمن كتابته التأليفية ، ما كتبه تحت عنوان « الطبلخاناة تحت القلعة » — ج ٣ ص ٣٤٦ ، قال :

« وهذه الطبلخاناة الموجودة الآن تحت القلعة ، فيما بين باب السلسلة وباب المدرج ، كانت دار العدل القديمة ، التي عمرها الملك الظاهر بيبرس وتقدم خبرها . فلما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، هدمها الناصر محمد بن قلاوون وبناها . هذه الطبلخاناة الموجودة الآن تحت قلعة الجبل ، فيما بين باب السلسلة وباب المدرج . وصار ينزل إلى عمارتها كل قليل . وتولى شد العمارة بها ، آق سنقر شاد العمائر : ووجد فى أساسها أربعة قبور كبار المقدار ، عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين ، وتاريخ وفاتهم ، فنبشوا ونقلوا قريباً من القاعة . فكانوا خلقاً كبيراً عظيما فى الطول والعرض على بعضهم ملاءة دبيقية ملونة ، ساعة مستها الأيدى ، تمزقت وتطايرت هباء . وفيهما اثنان عليهما آلة الحرب وعدة الجهاد ، وبهما آثار الدماء والجراحات . وفى وجه أحدهما ضربة سيف بين عينيه . والجرح مسدودة بقطنة . فلما أمسكت القطنة ورفعت عن الجرح فوق الحاجب ، نبع من تحتها دم ، يظن أنه جرح طرى ! فكان فى ذلك موعظة وذكرى . » . . . الخ

والقصة كما ترى طريفة وتحتاج إلى بحث ونظر . .

ومن كتابته الأدبية ، ما كتبه فى مقدمة كتابه الخطط ، يتحدث عن علم التاريخ وعن حبه لتاريخ مصر . قال :

« إن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا . وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا . لما يحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار . والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها . واستعلام مذامّ الفعال ليرغب عنها أولو النهى . لا جرم أن كانت الأنفس الفاضلة به رامقة . والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة . وقد صنف فيه الأئمة كثيراً . وضمّن الأجلة كتبهم منه شيئاً كثيراً وكانت مصر هى مسقط راسى . وملعب أترابى ومجمع ناسى . ومغنى عشيرتى وحامتى .

وموص خاصتي وعامتي . وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره . وعش مآربى فلا تهوى الأنفس غير ذكره . لازلت مذ شددت العلم . وآتانى ربى الفطانة والفهم . أرغب فى معرفة أخبارها . وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها . وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها . » . الخ .

وبعد فقد قال السخاوى عنه ، ما يفهم منه أنه كان ينظم الشعر . قال : ومن شعره فى دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد ... فقد زادنى ذكراه وجدا على وجدى

ولا زالت الأنواء تسقى سحابها ... ديارا حكت من حسنها جنة الخلد

قال : وهى أكثر من عشرين بيتا . —

وقال عنه ابن حجر : « له النظم الفائق والنثر الرائق » .

وبعد فقد مضى المقريزى ، وخلد اسمه بتراثه العلمى النضر ، الباقى بقاء الدهر.

« ترجمته فى : (١) الضوء اللامع ج ٢ رقم ٦٦ . (٢) المنهل الصافى لأبى المحاسن ، نقلها على مبارك باشا فى الخطط التوفيقية ج ٩ — (٣) فى مقدمة كتبه : السلوك وإغاثة الأمة ، والبيان والاعراب ومختصر قيام الليل (٤) التبر المسبوك للسخاوى . (٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٦ (٦) عقد الجوهر (٧) جورجى زيدان ج ٣ (٨) مصر الاسلامية للاستاذ محمد عبد الله عنان . »

١٠ ـ شهاب الدين بن حجر العسقلانى ٧٧٣ هـ ـ ٨٥٢ هـ

هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد ، المعروف بابن حجر العسقلانى الكنانى المصرى . أصل أسرته من عسقلان ببلاد الشام، وإليها ينتسب. وابن حجر لقب لبعض آبائه . وقد ولد بمصر الفسطاط، وأقام بها زمنا طويلا . واشتغل فى بادىء أمره بطلب الأدب . ومال إلى نظم الشعر ، حتى بلغ فى ذلك مبلغا حسنا . ثم أغرم بالحديث ، فطلبه وسمعه من كثيرين من حفاظه، حتى جاء زمن ، وليس فيه أحفظ منه للحديث ، حتى سُمى حافظ عصره . واشتغل بطلب الفقه ، على مذهب الشافعى ، فدرسه على كبار رجاله فى ذلك الحين . ونبغ فيه، وجنح إلى علم التاريخ ، فقرأ فيه مؤلفات كثيرة العدد ، حتى أغراه حبه للتاريخ بالتأليف فيه، فألف وأصبح من رجاله المعدودين .

طرف من حياته :

وقد ولد ابن حجر فى شعبان عام ٧٧٣ هـ بمصر ـ كما أشرنا ـ وتوفى والداه وهو صغير، فكفله بعض أقاربه وهو الزكى الخروبى ، وكان أحد أوصيائه . وشب وتعلم على جهابذة العصر، حتى نبغ وأصبح من أعلام مصر المشهورين ، ثم تصدر للإفتاء والتدريس ، والتأليف والخطابة سنين طويلة ، حتى عده بعضهم إمام عصره ووحيد دهره . وحج وهو صغير، وعاد إلى مصر، واشتغل بالتجارة، وتجول فى ربوع البلاد المصرية والشامية والحلبية ، والحجازية واليمنية ، فأفاده التجوال علما غزيرا وأدبا جما ، وحنكة نافعة. ولقى عددا من العلماء الآخرين منهم الفيروزابادى. لقيه فى زبيد . وما زال دائباً فى عمله ، حتى وُكل إليه منصب قاضى قضاة الشافعية بمصر ، وهو من أرفع مناصبها . وكان يتأبّى عليه ، ويقال إنه ندم بعد ذلك على قبوله ندما شديدا . قيل أول ما أسند إليه هذا المنصب فى ٢ المحرم عام ٨٢٧ هـ فى زمن الأشرف برسباى . . وقيل عام ٨٣٠ هـ [1] . ومهما يكن من شىء فقد ملأ منصبه

(١) روى السيوطى والسخاوى أن أول ولايه ابن حجر القضاء ، فى سنة ٨٢٧ هـ — ورواها ابن إياس فى حوادث عام ٨٣٠ هـ

بقدرة وكفاءة ومهابة ، حتى عظمه أهل عصره جميعا وعلى رأسهم سلطان مصر حينئذ المؤيد شيخ المحمودى .

ولما أنشأ السلطان المؤيد شيخ ، جامعه الشهير عام ٨١٩ ﻫ ، جعل ابن حجر العسقلانى فى عداد مدرسيه ، وفى حفلات افتتاح هذا المسجد ، جلس ابن حجر يقرر درسا فى فقه الشافعية ، وأقبل عليه المؤيد ليستمع إليه ، فهمّ ابن حجر بالقيام تحية له ، فمنعه السلطان من القيام . فلم يقم .

ولما ولى القضاء فى المحرم عام ٨٢٧ ﻫ كما ذكرنا ، كتب له تقى الدين بن حجة الحموى تقليدا عن السلطان بهذا المنصب . ولبث فيه حتى ذى القعدة ثم عزل . وأعيد ثانياً فى رجب عام ٨٢٨ ﻫ ثم عزل ، وتكرر هذا عدة مرات حتى كان عزله فى آخر جمادى الآخرة عام ٨٥٢ ﻫ . وهى السنة التى توفى فيها . وهنا صمم على عدم العودة إليه مطلقا، وصرح بأنه لم تبق فى بدنه شعرة تقبل اسم هذا المنصب — وهكذا ظل أمره فى هذا المنصب بين عزل وتولية، قرابة إحدى وعشرين سنة . حتى توفى فى ليلة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ٨٥٢ ﻫ، بمنزله بجوار المدرسة المنكوتمرية بجهة حارة بهاء الدين بالقاهرة . ودفن فى احتفال مهيب، بالقرافة الصغرى، شهده الخليفة والسلطان ومن دونهما .

وفى حارة بهاء الدين — كان — مدرسة تعرف بمدرسة ابن حجر العسقلانى بشارع بين السيارج، ذكرها على مبارك فى خططه وقال أنشئت فى القرن التاسع .

تحدث السيوطى عنه فقال : « وختم به الفن — أى فن الحديث — وحدثنى الشهاب المنصورى شاعر العصر، أنه حضر جنازته، فأمطرت السماء على نعشه ، وقد قرب إلى المصلى، ولم يكن زمان مطر » . قال فأنشدت فى ذلك الوقت :

قد بكت السحب على قاضى القضاة بالمطر

وانهدم الركن الذى كان مشيدا من حجر

ثم أورد السيوطى قصيدة رثاء فيه طويلة، من نظم أديب عصره شهاب الدين الحجازى المتوفى فى سنة ٨٧٥ ﻫ قال فى أولها :

كل البرية المنية سائره ... وقفولها شيئاً فشيئاً سائره
والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن ... لم ترض كانت عند ذلك خاسره
وأنا الذى راض بأحكام مضت ... عن ربنا البر المهيمن صادره
لكن سئمت العيش من بعد الذى ... قد خلف الأفكار منا حائره
هو شيخ الإسلام المعظم قدره ... من كان أوحد عصره والنادره
قاضى القضاة العسقلانى الذى ... لم ترفع الدنيا خصيما ناظره

صفاته وعلمه :

كان ابن حجر ذكى الفؤاد كثير الحفظ ، مكبا على طلب العلم ، محبا للحديث النبوى ، كثير القراءة فى كتبه ، والسماع للمحدثين به ، حافظا راويا ، مميزا لأهل الحديث والمشتغلين به. راغبا فى الأدب وفنونه، والعربية وعلومها ، جماعا لحوادث التاريخ وأبطاله . — كما كان عادلا مهيباً متواضعاً حليما جميل العشرة متحرجا فى أعماله وأقواله .

حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع ، ثم حفظ مختصر ابن الحاجب والعمدة والحاوى الصغير والملحة وألفية ابن العراقى . ودرس علوما جمة على كبار مشايخ عصره . ومنهم زين الدين أبو الفضل الحافظ العراقى فى الحديث . والبلقينى وابن الملقن والإيناسى فى الفقه وغيره . وعز الدين بن جماعة فى الأصول . ومجد الدين الفيروزابادى فى اللغة . والعمارى فى فنون العربية . والبدر البشتكى فى الأدب والعروض . وغير هؤلاء كثيرون .

ثم أذن له فى التدريس والإفتاء فزاول التدريس بكثير من مدارس القاهرة، كالحسينية والمنصورية ، والبيبرسية والجمالية المستجدة ، والزينية والشيخونية ، وجامع ابن طولون وغيرها . وكان أهم دروسه بها درس الحديث .

وقد زاول الافتاء كذلك . وجلس للفتيا بدار العدل . و عهد إليه بالخطابة فى الأزهر مرة وجامع عمرو مرة أخرى .

وكانت مجالسه العلمية حافلة ، يفد إليها الأعيان والأئمة والطلاب من كل فج ، يتعاطون عنه حديث الرسول عليه السلام . وأملى على طلابه أكثر من ألف مجلس — كما رواه السيوطى — وقد قال عنه السيوطى أيضاً : « انتهت إليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها . فلم يكن فى عصره حافظ سواه » .

وألقى الدروس فى التفسير والفقه ، والخطب فى الوعظ والإرشاد ، وانتفع كثيرون بديوان خطبه ، وألقيت منه العظات على الناس — وولى القضاء مرارا كما ذكرنا . وتخرج على يديه كثير من تلاميذه ، فكانوا من بعده أئمة وشيوخا . منهم زكريا الأنصارى والشمس السخاوى ، والشهاب الحجازى ، والشهاب المنصورى والكمال السيوطى والد جلال الدين السيوطى .

واشتغل بالتأليف ، فصنف نحوا من مائة وخمسين كتابا فى فنون مختلفة ، منها : الحديث والفقه والتاريخ . ومؤلفاته قيمة انتشرت فى حياته وعنى بدراستها وتحصيلها كثير من شيوخه وأقرانه وغيرهم .

وكان على ورعه وتقواه وعلمه وفقهه ، ميالا إلى الدعابة والفكاهة والنادرة والطرفة . شأن كل أديب طروب . . ولهذا كان محبّبا فى كل مجلس ، فتهوى إليه الأفئدة المختلفة ، وتهفو نحوه القلوب المتباعدة . فيجد كل نديه ما يرغب فيه من علم وأدب وفقه ، وفكاهة وملحة ، وتاريخ وشعر ونثر ، وحكمة وعظة .

وكان وفيا لخلصانه ، يداعب الأحياء منهم ، ويرثى من يموت بشعره الرائق ، مع وداعة وطيب قلب وتواضع جم .

ويعتبر ابن حجر ، فوق شهرته فى عالم التأليف ، أحد كتاب عصر المماليك ، وأحد شعرائه . وهو بذلك كله ، قد جمع فأوعى ضروبا عدة من ضروب الشهرة وألوان الصيت . — قيل إن الأمير « تغرى برمش الفقيه » قال له : أرأيت مثل نفسك ؟ فقال : قال الله سبحانه وتعالى : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »

مؤلفاته :

لابن حجر مؤلفات عدة في فنون مختلفة أربت على المائة والخمسين . وكثير منها مطبوع متداول واهتمت الهند بطبع عدد منها ، وذكر جورجي زيدان بعضا منها . وذكر جميل العظم نحو مائة منها، ونذكر منها ما يلي :

١ - فتح البارى في شرح البخاري : وهو في عشرة أجزاء في الحديث وشرحه، وله مقدمة جليلة اسمها « هدى السارى » ٢ - نخبة الفكر : طبع في الهند، وهو كتيب في مصطلح الحديث . وقد شرحه المؤلف بكتاب آخر سماه « شرح نخبة الفكر » ٣ - بلوغ المرام من أدلة الأحكام : وهو في الحديث أيضا ومقسم إلى حوالة أبواب . ٤ - الإصابة في تمييز الصحابة : وهو كتاب في تراجم صحابة الرسول عليه السلام ، مرتب على حروف الهجاء . ٥ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : وهو كتاب جليل في تراجم من عاش في حدود العام الثامن الهجرى في أربعة أجزاء . ٦ - رفع الإصر عن قضاة مصر : تكلم فيه عن قضاة مصر من فتح العرب إلى نهاية القرن الثامن . ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية ٧ - المعجم المفهرس : وهو في الحديث ، رتب فيه الأحاديث على حروف المعجم بعد تجريدها من الأسانيد . ٨ - الجمع المؤسس للمعجم المفهرس : ذكر فيه أسماء شيوخه في الحديث مرتبة على حروف الهجاء . ٩ - أنباء الغمر بأبناء العمر : وهو تاريخ مصر والشام سياسيا وأدبيا منذ ولادة المؤلف حتى عام ٨٥٠ هـ مما أدركه أو سمعه ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية ١٠ - الإعلام فيمن ولى مصر في الإسلام . ويسمى تاريخ مصر في ثلاثة مجلدات . ١١ - نزهة الألباب في الألقاب : وهو في بيان ألقاب المحدثين مرتبة ترتيبا أبجديا . ومنه نسخة مصورة بالتصوير الشمسي، بدار الكتب المصرية . ١٢ - تهذيب الكمال : وهو مختصر في معرفة رجال الحديث، والكتاب الأصلي لابن النجار . ١٣ - الديباجة : وهو في الحديث أيضا في اثنى عشر مجلدا . ١٤ - ترجمة السيد أحمد البدوى . ١٥ - مختصر أساس البلاغة للزمخشرى . ١٦ - محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي : وفيه ترجمة الأوزاعي

المحدث . ١٧ — تقريب التهذيب وهو فى الحديث أيضا . ١٨ — تعجيل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة ومنه مخطوط بدار الكتب . ١٩ — الرحمة الغيثية فى الرحمة الليثية : فى مناقب الإمام الليثى . ٢٠ — توالى التأنيس بمثانى ابن إدريس : وهو حديث عن الشافعى الإمام ، ومنه مخطوط بدار الكتب . ٢١ — غبطة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر « الجيلانى » . ٢٢ — لسان الميزان : وهو فى أسماء رجال الحديث . ٢٣ — مشتبه النسبة . ٢٤ — تخريج الرافعى : أى تخريج أحاديث كتاب الرافعى المشهور فى فقه الشافعية . ٢٥ — تلخيص مسند الفردوس .
٢٦ — طبقات الحفاظ : فى تراجم رجال الحديث . ٢٧ — اللباب فى شرح قول الترمذى « وفى الباب » . ٢٨ — إتحاف المهرة بأطراف العشرة . ٢٩ — أطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى . ٣٠ — الاحتفال ببيان أحوال الرجال . ٣١ — الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف . ٣٢ — نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية . ٣٣ — هداية الرواة فى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة . ٣٤ — تخريج أحاديث الإنكار . ٣٥ — الإحكام لبيان ما فى القرآن من الإبهام . ٣٦ — نزهة السامعين فى رواية الصحابة عن التابعين . ٣٧ — المجموع العام فى آداب الشرب والطعام . ٣٨ — دخول الحمام . ٣٩ — الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة . ٤٠ — فهرست المرويات . ٤١ — كتاب الأنوار بخصائص المختار . ٤٢ — قوة الحجاج فى عموم المغفرة للحجاج . ٤٣ — الخصال الموصلة للظلال . ٤٤ — الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع . ٤٥ — مناسك الحج . ٤٦ — الأحاديث العشارية والأربعون العالية لمسلم على البخارى . ٤٧ — عجب الدهر من فتاوى شهر . ٤٨ — تفحيص الخبير فى تخريج أحاديث الوجيز الكبير . ٤٩ — بذل الماعون فى فضل الطاعون [1] .

---

١ — سماه ابن إياس « بذل الماعون فى أخبار الطاعون » . ونسبه الأنكلو فى طبقات الحنفية لابن حجر الهيتمى الفقيه . وهذا وهم ، فقد ذكره ابن إياس فى بدائعه منسوبا إلى ابن حجر العسقلانى — راجع البدائع ج ١ حوادث ٧٤٩ هـ . ونقل عنه ابن إياس بعض أخباره .

٥٠ — القول المسدد في الذب عن مسند أحمد . ٥١ — رسالة في تعدد الجمعة ببلد واحد . ٥٢ — نكت على مقدمة ابن الصلاح .

ومن مؤلفاته المخطوطة بدار الكتب المصرية كذلك — وبعضها بخطه ، ما يلي :

٥٣ — الإيثار بمعرفة رواة الآثار : في المصطلح . ٥٤ — تبصير المنتبه وتحرير المشتبه : في المصطلح . ٥٥ — تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس : في المصطلح . ٥٦ — تعليق من تاريخ ابن عساكر عن دمشق . ٥٧ — تعليق من مغازي الواقدي . ٥٨ — الزهر النضر في نبأ الخضر . ٥٩ — ما ورد من الرواية ، وهو اختصار « البداية والنهاية » لابن الأثير . ٦٠ — محاسن المساعي في ترجمة الأوزاعي . ٦١ — تعجيل المنفعة : في الحديث ورجاله . طبع في الهند

هذه بعض مؤلفاته الكثيرة . يضاف إليها كثير من خطبه وأماليه ورسائله . وديوان شعره .

ولنتكلم الآن عن بعض هذه المؤلفات فنقول :

١ — فتح الباري بشرح البخاري :

كتاب مشهور في شرح الحديث ، وهو من أجل كتب ابن حجر . يقع في عشرة أجزاء ضخام ، يبلغ كل منها نحو أربعمائة صفحة من القطع الكبير . وقد قال فيه بعض المؤرخين : « لو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة ، لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء » . وقال السخاوي في الضوء ، إن هذا الكتاب لم يسبق نظيره ، وكان أمرا عجبا ، بحيث طلبه ملوك الأطراف بسؤال علمائهم له في طلبه ، وبيع بنحو ثلثمائة دينار وانتشر في الآفاق » .

وموضوعه شرح أحاديث صحيح البخاري . ولكنه شرح مستفيض ، به كثير من المسا‍ ‍ الفقهية ، وذكر الروايات المختلفة ، التي روى بها الحديث ، مع استطرادات نافعة في مسائل دينية عدة . وعنى الشارح عناية كبرى بالشرح اللغوي للألفاظ وإعراب الجمل مع بيان وجوه هذا الإعراب بما يعين على استنباط المعاني

قيل فى مقدمة طبعه ، نقلا عن كشف الظنون ما ملخصه : « إن هذا الكتاب امتاز بجمع طرق الحديث التى ربما يتبين من بعضها ترجيح أحد الاحتمالات شرحا وإعرابا . وطريقته فى الأحاديث المكررة أنه يشرح فى كل موضع ما يتعلق بمقصد البخارى بذكره فيه . ويحيل بباقى شرحه على المكان المشروح فيه . وكذا ربما يقع له ترجيح أحد الأوجه فى الإعراب أو غيره من الاحتمالات أو الأقوال فى موضع ، ثم يرجح فى موضع آخر غيره ، إلى غير ذلك ، مما لا طعن عليه بسببه»

وقد بدأ المؤلف تأليف كتابه هذا فى أوائل سنة ٨١٧ ﻫ إملاء ثم كتابة وتحريرا ومراجعة ومقابلة ، وما زال حتى انتهى منه فى أول رجب عام ٨٤٢ ﻫ . وظل يُلحق به أمورا حتى قبيل وفاته . فكأنه ظل يتعهد تأليفه نحو ربع قرن . ولما تم تصنيفه أقام وليمة، حضرها كبار علماء زمانه وأعيان رجاله فى يوم السبت ٢ شعبان سنة ٨٤٢ ﻫ.

مقدمة هذا الكتاب .

له مقدمة جليلة الشأن عظيمة الأثر سماها « هدى السارى » . وهى عبارة عن كتاب ضخم مستقل فى جزئين مطبوع على حدة . يقع فى نحو أربعمائة صفحة من القطع الكبير . وهذه المقدمة بالنسبة للكتاب ، تشبه مقدمة ابن خلدون بالنسبة لكتابه « العبر » من ناحيته الأدبية وتوضيح طريقة الانتفاع بالكتاب . وقد كتبت فى عشرة فصول تتمة لكتاب شرحه الكبير . وقد قال ابن حجر عنها فى خطبتها مبينا غرضه من وضعها : .

« وأقدم بين يدي ذلك كله مقدمة فى تبيين قواعده وتزيين فرائده ، جامعة وجيزة ، دون الإسهاب وفوق القصور . سهلة المأخذ ، تفتح المستغلق وتذلل الصعاب وتشرح الصدور » .

وهى فى الواقع بيان لمميزات الجامع الصحيح للبخارى، وتوضيح أفضليته على كتب الحديث الأخرى، السابقة عليه واللاحقة له ، وأنه أصحها جميعا .

ومن فصول هذه المقدمة : فصل فى بيان السبب الباعث للبخارى على تصنيف كتابه . وبه ملخص طريف وجيز عن تاريخ رواية الحديث . ومنها فصل فى بيان موضوع كتاب البخارى والكشف عن مغزاه . وهكذا .

فالمقدمة تنظم وتسهل وتزيد الانتفاع بكتاب البخارى وشرحه معا . وتمد الباحث بمسائل تاريخية جليلة فى موضوع الحديث وروايته وطرق تنظيمها . وهى دليل على رسوخ قدم ابن حجر فى التاريخ واللغة وحفظ الحديث وروايته وفى علوم الدين .

٣ — الإصابة فى تمييز الصحابة :

كتاب مطبوع متداول مشهور . يقع فى ثمانية أجزاء من الحجم الكبير . به تراجم صحابة النبى عليه السلام ، وسير حياتهم بين موجزة مقتضبة ، وبين مطولة بعض التطويل . مع الإشارة إلى الأماكن التى ذكروا فيها . ومن مزاياه أنه مرتب على الحروف الأبجدية فهو بنفسه فهرس ماثل .

وهو كتاب من كتب التراجم النافعة . ويعين على فهم الحديث ومعرفة رجاله ، ولا سيما رجاله على عهد النبى عليه السلام . وبه آلاف مؤلفة من التراجم . وقد اعتمد المؤلف على مؤلفات عدة لاستخلاص مصنفه النفيس مثل كتاب « أسد الغابة » .

وفى خطبة الكتاب تاريخ طريف للكتب التى من نوعه والتى ذكرت طبقات الحفاظ ورجال الحديث من أصحاب النبى خاصة .

وقد قسم الكتاب إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : فيمن وردت صحبته للنبى عليه السلام بطريق الرواية عنه . أو عن غيره .

القسم الثانى : فيمن ذكر فى الصحابة من الأطفال الذين ولدوا فى عهد النبى عليه السلام ، لبعض الصحابة من النساء والرجال ممن مات صلى الله عليه وسلم وهم دون سن التمييز .

القسم الثالث : فيمن ذكر فى بعض الكتب من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، ولم يرد فى خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبى عليه السلام . ولا رأوه، سواء أسلموا فى حياته أو لا . وهم باتفاق ليسوا من أهل العلم والحديث.

القسم الرابع : فيمن ذكر فى الكتب المشار إليها على سبيل الوهم والغلط ، وبيان ذلك البيان الظاهر الذى يعول عليه، على طرائق أهل الحديث .

وفى الكتاب بحوث عن الصحابة المعروفين بالكنى ، وعن النساء أيضا .

هذا وقد قدم المؤلف بحثه بثلاثة فصول نافعة . الأول : فى تعريف الصحابى. الثانى : فى الطريق إلى معرفة كون الشخص صحابيا . الثالث : فى بيان حال الصحابة من العدالة .

ومعظم التراجم الواردة فى هذا الكتاب سريعة مختصرة . وقليل منها مطول بعض التطويل . - كما أشرنا - على أن الكثير منها غير مستوفاة كما تشاء طريقة التراجم الحديثة من البحث والتحليل والمقارنة . ولكن بها استطرادات أدبية ، وتاريخية نافعة ، توضح جوانب كثيرة من الحياة فى صدر الإسلام.

٣ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة [1] .

من أشهر كتب التراجم . تصفحت نسخة منه ، مطبوعة فى الهند . وهذا الكتاب أربعة أجزاء ضخام ، بكل جزء مئات التراجم . وقد حصر المؤلف بحثه فى أعيان القرن الثامن الهجرى ، ولم يقتصر على من عاش منهم فى مصر ، بل تناول أيضاً من عاش فى غيرها . ولم يقتصر على ذكر طبقة خاصة من الرجال بل تناول جميع الطبقات ، ففيه تراجم الأمراء والعلماء والفقهاء والشعراء والوزراء، والرجال والنساء على السواء . فهو كتاب حافل ، وقد اعتمد فيه على كتب الصفدى والذهبى والمقريزى وغيرهم ممن تقدمه .

واعتمد الأدباء والمؤرخون على هذا الكتاب ، وخاصة فى عصرنا الحديث ،

(١) بدار الكتب المصرية كتاب لا يعلم مؤلفه يسمى (المنتخب من الدرر الكامنة) بالتصوير الشمسى ، ضمن مجموعة .

فهو أحد مراجعهم الهامة فى التاريخ والأدب . وقد نسجنا أيضا على هذا المنوال فى كتابنا هذا .

ومن مميزاته: أنه مرتب ترتيبا أبجديا . وبذلك سهل فيه الكشف وتيسر البحث والاطلاع . ولو عنى المؤلف بتقسيم تراجمه إلى طوائف حسب التبريز فى العلم أو السياسة أو الأدب ، أو حسب الأقطار واختلاف الرجال فيها ، لازداد يسرا وسهولة وإمتاعا . وقد أضاف به حلقة هامة من حلقات سلسلة الكتب التى وضعت فى تراجم الأعلام . هذا وقد اقتدى به تلميذه شمس الدين السخاوى ، فألفه كتابه « الضوء » على نسقه ، فى تراجم أعيان المائة التاسعة . فكان كتاباهما حلقتين فى سلسلة التراجم .

شعره :

إذا تصفح المرء شعر ابن حجر، يحس منه روح الشاعر، ويلمس نفس الأديب، ولو كان فى هذا العصر، نصفة للشعر وتقدير للشعراء، لأفسح ابن حجر أفق خياله الشعرى ، وجرى وراء ما ينمى فيه هذه الموهبة الثمينة ، ولغذاها بوسائل تغذيتها التى تنميها وتنشطها وتقويها . ولكنه — على ما نرجح — شعر بما يحيق بالشعراء من الكساد والبوار، ورأى أن حرفة الأدب قد أدركت من سبقه من الشعراء . فمال بمواهبه عن طلب الأدب إلى طلب غيره من العلوم الأخرى . فطلب الحديث والفقه والتاريخ . نقول ذلك ، لأنه كان منذ نشأته ميالا إلى الأدب نظاما للشعر، فلما اكتمل تفكيره ، واعتدل حسن نظاره فيما حوله من الدنيا ، عدل إلى شيء آخر غير الأدب ، ييسر له عيشا رغدا وحياة عالية ومع ذلك ظل يتردد بين الفينة والفينة على موائد الشعر، فيتفكه بمقطوعة ، أو يتندر ببيتين ، يحلو له فيهما جناس أو تورية أو لغز ، أو يطارح بعض شعراء عصره مثل مجد الدين بن مكانس . أو يمدح بعض من يسدى إليه جميلا ، أو يتغزل تقليدا لغيره ، أو يتشوق إلى وطنه إذا كان عنه نائيا ، وهكذا لم يقطع ابن حجر صلته بالأدب الخالص ولا بالشعر الرقيق .

وتدور أغراضه حول الإخوانيات والمدح ومدح النبي عليه السلام ، والألغاز والأحاجي والفكاهة ، والوصف والغزل . أما أسلوبه فإنه متوسط الجودة رقيق اللفظ سهل المؤونة خفيف الحمل ، لم تثقله مصطلحات علمية ، ولم تشبه كلمات فقهية ، كما شابت شعر غيره من العلماء . ، نقول ذلك لأن ابن حجر فقيه ، محدث مفسر ، مؤلف في مصطلح الحديث . - وترى له القصائد الطويلة والمقطوعات القصيرة . وتسرى الروح البديعية في شعره ، كما سرت في شعر غيره من أهل عصره . فهو من أهل البديع الذين يهتزون للتورية ويطربون للتضمين ، وينتشون للجناس وهكذا ويشوب أسلوبه أخطاء لغوية واستعمالات عامية ، كما شابت شعر غيره أيضاً . وسنضرب الأمثلة لذلك كله بعد .

وهو في مدائحه النبوية لم يأت بمعنى جديد ولا بفكرة مبتكرة ، بل يدور حول المعاني الكثيرة الشائعة في السيرة النبوية . وتكلم فيها عن المولد والمعجزات والإسراء والمعراج ، وما شابه مما يتصل بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، على نسق ما جاء في بردة البوصيري ، التي أصبحت إماماً لشعراء المدائح النبوية في هذا العصر .

وممن مدحهم ابن حجر : الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل العباس بن المجاهد على صاحب اليمن ، وله فيه قصيدة دالية لا بأس بها ، بدأها بالغزل على سنة القدامى قالها عام ٨٠٠ هـ . وله فيه أمداح أخرى . وفي إحداها وصف رحلته من اليمن إلى مكة ، ووصف ما يقوم به الحجاج عادة من الإحرام والتلبية وشعائر الحج . وهي قصيدة لامية

ومن مدحهم أيضا صاحب تونس عبد العزيز . والخليفة المستعين العباس بن محمد العباسي لما ولي السلطنة في عام ٨١٥ هـ . وهي قصيدة سينية مشهورة خصوصا بمطلعها .

أين نجد شعره :

لابن حجر ديوان شعر صغير فيه بعض شعره وسنتكلم عنه فيما بعد . وله

شعر كثير متفرق فى كتب عدة . فمنها حسن المحاضرة للسيوطى ، وتأهيل الغريب ، وثمار الأوراق . وخزانة الأدب ، لتقى الدين بن حجة الحموى ، .

ديوان شعره[١]:

له ديوان مخطوط ، أغلب الظن أنه لم يُطبع حتى اليوم . وهو بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٢١ آداب عربية فهرس ج ٣ . تصفحته جميعه.ويُفهم منه أنه كُتب فى حياة ناظمه . ولكن كاتبه رجل آخر ، إذ يقول عن الناظم مثلا « قال عمر الله الوجود بوجوده » . و « قال أبقاه الله » . وهكذا . وليس فى الكتاب ما يدل على الناسخ صاحب الخط . ويغلب على الظن أن هذه النسخة هى أولى نسخ هذا الديوان .

وقد ذكر فى مقدمته أنه ساق فيه أولا النبويات ثم الملوكيات ثم الإخوانيات ثم الغزليات ثم الأغراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع .

وقد كتب ابن حجر — أو أملى — مقدمة هذا الديوان وهى مختصرة . وفيها يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . أما بعد حمد الله على إحسانه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اجتمعت أنواع المحاسن فى ديوانه . وعلى آله وصحبه الذين كان كل منهم نسيج وحده وفريد زمانه . وبعد فقد سئلت غير مرة أن أجرد من منظومى طرفا مهذبا . وأن أفرد من مقاطيعى التى تُلهى عن المواصيل مايكون منها مرقصا ومطربا . فكتبت فى هذه الأوراق سبعة أنواع ، من كل نوع ، سبعة أشياء إلا الأخير ، فافتتحت بالنبويات ثم الملوكيات ثم الإخوانيات ثم الغزليات ثم الأعراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع . وقلت مخاطبا من نظره مضمنا :

---

١ ـ قال عنه جميل العظم إن اسمه (الدرر) وقال فهرس دار الكتب نقلا عن كشف الظنون أن لابن حجر ديوان شعر كبيرا انتخب منه جملة ورتبها على سبعة أبواب وسماه (السبعة السيارة) وهو ديوانه الصغير . فلعله هو الذى نتحدث عنه :

يا سيدا طالعه إن راق معناه لجد
وافتح له باب الرضا وإن تجد عيبا فسد

وأسأل الله أن يوفقنى لما يزلف لديه ، وأن يتطول بكرمه على تقصيرى يوم العرض عليه . »

ومن هذا يتبين أن الأغراض التى سيقت فى الديوان سبعة ، وساق فى كل غرض منها سبعة قصائد ، ما عدا قسم المقطوعات فعددها كثير ، إذ أورد نحو سبعين مقطوعة فى أغراض مختلفة .

ومن مميزات هذا الديوان أن به قصائد قالها وهو فى شرخ شبابه ، كالقصيدة الدالية السابعة فى مدح النبي عليه السلام ، إذ ذكر فى أحد أبياتها قائلا « أنا فى ثلاث بعد عشرين » . وكالقصيدة الميمية الأولى فى مدح النبي عليه السلام إذ قالها فى رمضان عام ٧٩٨ هـ . بمناسبة ختام قراءة البخارى .

وبهذه المناسبة نذكر أن من مميزات الديوان أيضا ذكر تاريخ نظم بعض قصائده بالضبط باليوم والسنة . وأنه ذكر أسماء من وجهت إليهم من ملوك أو إخوان . وإن أغفلت أسماء بعضهم .

ومجموع أوراق الديوان ثمانون ، تحتوى كل صفحة فيها على أحد عشر بيتا تقريبا ، ونستطيع القول : إن مجموع أبياته كلها يبلغ نحو ١٧٦٠ بيتا — وتتخلل الكتابة أخطاء إملائية فوق أخطاء الأسلوب . ومن ذلك قوله :

لو أن عذالى لوجهك أسلموا لرجوت أنى فى المحبة أسلموا
كيف السبيل لكتم أسرار الهوى ولسان دمعي بالغرام يترجموا

والصواب : أسلمُ ويُترجمُ بغير واو .

ولنذكر الآن أمثلة من شعره نقلا عن هذا الديوان :

١ — قصيدة فى مدح النبي عليه السلام ، ومطلعها البيتان السالفان ، ومنها :

لام العواذل كل صاد للقا ‌ ‌ ‌ وملامهم عين الخطا لو يعلموا[١]
لا يعلموا[٢] بين الهوى لكنهم ‌ ‌ ‌ لاموا عليه لأنهم لم يفهموا
إن أبرموني بالملام فإن لى ‌ ‌ ‌ صبرا سينقض كلّ ما قد أبرموا
ما شاهدوا ذاك الجمال وقد بدا ‌ ‌ ‌ وأنا الأصم عن الملام وهم عموا

ومنها فى مدح النبى عليه السلام :

هو رحمة للناس مهداة فيا ‌ ‌ ‌ ويح المعاند إنه لا يرحم
نال الأمان المؤمنون به إذا ‌ ‌ ‌ شبت وقودا بالطغاة جهنم
الله أيده فليس عن الهوى ‌ ‌ ‌ فى أمره أو نهيه يتكلم
فليحذر المرء المخالف أمره ‌ ‌ ‌ من فتنة أو من عذاب يؤلم
ذو المعجزات الباهرات فمن بها ‌ ‌ ‌ نطق الحصا وبهائما قد كلموا

٢ — قصيدة فى مدح الملك الأشرف اسماعيل بن الأفضل العباس بن المجاهد على صاحب اليمن ، قالها عام ٨٠٠ هجرية . وقد بدأها بأغزال رقيقة وبها أشواق وشكوى وحنين إلى الأهل والأوطان . فمنها :

صب للقياك بالأشواق معمود ‌ ‌ ‌ فقيد صبر عن الأحباب مفقود
ناء عن الأهل والأوطان مغترب ‌ ‌ ‌ وواحد مثله فى الصبر موجود
متيم قد بكى بعد الدموع دما ‌ ‌ ‌ كأنما هو فى عينيه مفصود
النار ذات وقود فى جوانحه ‌ ‌ ‌ شوقا وفى خده للدمع أخدود
يامخجل الشمس بالأشواق إن فتى ‌ ‌ ‌ طلعت فى داره يوما لمسعود
أسرت قلبى ومذ حجبت عن بصرى ‌ ‌ ‌ تيها فكان له بالقرب تبعيد
وبنت عنى فطرفى فى مجاهدة ‌ ‌ ‌ مع الدموع وقلبى منك مجهود
أبيت أرعى النجوم الزهر أحسبه ‌ ‌ ‌ فيها إلى أن خلا لى فيه تسهيد

ومنها فى مدحه :

(١ ، ٢) هكذا فى الديوان .

الأشرف بن الملك الأفضل بن عــلى بن المؤيد حامى الملك داوود

الملك المفضل يدعو فيض راحته   والغيث إن جاد نجّار ومكدود

٣ — ومن مطالعه البديعة قوله من قصيدة : فى مدح النبى عليه السلام :

إن كنت تنكر حبا زادنى كلفا   حسبي الذى قد جرى من مدمعى وكفى

وإن شككت فسائل عاذلى شجنى   هل بت أشكو الهوى والبين والأسفا

أحبابنا ويد الأسقام قد عبثت   بالجسم هل لى منكم بالوصال شفا

كدرت عيشا تقضى فى بعادكمُ   وراق من نسيب فيكمُ وصفا

ومنها :

وكنت أكتم حبى فى الهوى زمنا   حتى تكلم دمع العين فانكشفا

سألت قلبى عن صبرى فأخبرنى   بأنه حين سرتم عنى انصرفا

وقلت للطرف أين النوم بعدهمُ   فقال : نومى وبحر الدمع قد نزفا

٤ — ومن قصيدة هنأ بها الخليفة المستعين العباسى لما تولى السلطنة عام ٨١٥ ﻫ

الملك أصبح ثابت الأساس   بالمستعين العـــادل العباسى

رجعت مكانة آل عم المصطفى   لمحلها من بعد طول تناسى

٥ — ومن قصيدة ، قال يتشوق ويتغزل وهو رقيق :

طيف لمن أهوى ألمــا   يطوى ذيول الليل لما

أهـــلا به لو أن طر   فى المنام يذوق طعما

ونعم لقـــد أعييت فى   طلب الخيال خيال نعمى

فاعجب لصب يدعى   علما يحـــاول فيه خصما

ومنها :

قسما بسقم الطرف قد   أهدى لجسمى منك قسما

وسلامة الألحاظ مـن   سحر دعاء الصب سقما

حتـــام يا رئى الحبيـــب أراك موروداً وأظما

وإلام يا قلب الكئيـــب بأسهم الألحاظ ترمى

هلا صحوت من الغرا م فلم أراجع فيه عزما
وصبرت عمن لا يطا وع ما تشانهبا وغرما

ومنها يمدح سلطان مصر ـ ولعله المؤيد شيخ ـ ويذكر مدرسته التى بناها فيقول :

لله مدرسة سمت ورقت فيها الحسن رقما
يستوقف الإبصار رؤ يتها فتشكر منك عزما

ومنها

شهـد الأنام بأنه ما مثلها عربا وعجما
ويصدق الخبر العيا ن دعوا حديث الظن رجما
فهى الفريدة فى الجوا هر لا تذوق الدهر يتما
جمعت فنون العلم والتـ حقيق والتوفيق فهما
فيها الشريعة والحقيـ قة قد جرت عملا وعلما
ذات الجمال اليوسفى م حوت جمالا منه حتما

لعله يشير فى البيت الأخير إلى الأمير الجمالى يوسف ناظر الخاص الذى هيمن على بناء هذه المدرسة . والقصيدة طويلة .

٦ ـ وله قصيدة فى العتاب والشوق يخاطب بها صاحب اليمن ويعاتبه ويتشوق إلى أهله . وهى عينية طويلة فى نحو ٥٤ بيتا . فليرجع إليها .

٧ ـ ومن غزله .

أظهر جمالك للعيون وأبده وصل الوداد لمن رضاك يوده
لحسام هـذا الجفن مذ جردته فى الناس زاد بضربه عن خده

٨ ـ وقد رثى شيخه سراج الدين عمر البلقينى المتوفى عام ٨٠٥ هـ بقصيدة طويلة فى نحو ٩٦ بيتا . وقد ضمنها رثاء الحافظ أبى الفضل العراقى لسراج الدين البلقينى . وهى فى ديوانه . وكذلك فى حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥١ .

ومنها .

ياعين جودى انفقد البحر بالمطر واجر الدموع ولا تبقى ولا تذرى

لو رن ترداد دمع ذاهبـــا سبقت شهب الدموع بعينى جرية النهر
تسقى الورى فتى لام العذول أقل دعها سماوية تجرى على قدر

ومنها :

من للفضائل أو من للفواضل أو من للقواعد يبنيها بلا ضجر
من للفتاوى وحل المشكلات إذا جل الخطاب وظل القوم فى فكر

٩ - وقد رثى شيخه الحافظ العراقى المتوفى عام ٨٠٦ هـ فى نحو ٣٦ بيتا «حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٨» منها :

مصاب لم ينفس للخناق أصار الدمع جارا للمآقى
فرَوْضُ العلم بعد الزهو زاو وروح الفضل قد بلغ التراقى
وبحر الدمع يجرى باندلاق وبدر الصبر يسرى فى المحاق
وللأحزان بالقلب اجتماع ينادى الصبر حى على افتراق

١٠ - ومن ألغازه فى كلمة «صهباء» : واللغز فى كلمتى «اسكت رجع» إذترادفهما «صه، باء»

يا فاضلا هـــو فى الأحا جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولى للذى يشكو الحبيب: اسكت رجع

هذا ولابن حجر قصائد أخرى كثيرة ، منها واحدة فى رجل خانه فى مال . وأخرى لما نال الإجازة بالفتوى والتدريس، وأخرى فى رثاء أخته «ست الركب» المتوفاه عام ٧٩٨ هـ ، وهذه القصائد فى ديوانه .

ومما يذكر أن ابن حجر كان يُتخذ حكما أحيانا فى المنازعات الأدبية ، وهذا دليل على ماله من شهرة فيه، وعلى ما عرف به من حب الشعر والبصر به . ومن ذلك ما ذكره تقى الدين بن حجة الحموى فى كتابه «تأهيل الغريب» وخلاصته أن لجمال الدين بن نباتة الشاعر المتوفى عام ٧٦٨ هـ قصيدة تائية فى الغزل ، بديعة لا نظير لها ومطلعها :

مالابتداء صباباتى نهايات ياغاية ما لعشق فيه غايات
ويا غزالا لنا فى لحظ ناظره أسد ومن هدبه للأسد غابات

وقد اختلف أدباء العصر فى التفضيل بين القصيدتين ، وسنذكر تفصيل ذلك فى باب الشعر بإذن الله . — ثم جاء من بعدهم تقى الدين بن حجة الحموى المتوفى عام ٨٣٧ ه . فعارضهما بقصيدة طريفة على مثال قصيدتيهما ، مطلعها :

لعجبه ولذيل الهجـــر شمرات وللقلوب من الأجفان كسرات
وصار فى درب وصلى من عوارضه وأهيف القد دورات وقتلات

وقد احتكم ابن حجة إلى قاضى القضاة ابن حجر العسقلانى، ليحكم بين قصيدته وقصيدتى القيراطى وابن نباتة، فكتب إليه ابن حجر الرد التالى، وهو بمثابة نموذج هنا لكتابته الأدبية . قال :

« لله الأمر من قبل ومن بعد . الحكم بين النظراء إنما يحسن ممن يماثلهم فيما به يرتفع الحكم . وفى إقدام من لم يرتق إلى تلك الطبقة نوع من الظلم . ولا يرتاب لبيب فى أن كلا من الثلاثة رأس هذا الفن فى زمانه . وأنه لا يوازنه أحد من أقرانه .

وثلاثة كثلاثة الراح استوى لك لونها ومذاقها وشميمها

ولكن لما كان امتثال الأوامر من بعض فنون الأدب . وإجابة الداعى ولاسيما على من ظنه يأمر أهل هذا الفن، وانتدب . ومرجع الحكم فى هذه القصة إلى الذوق السليم ، فأمكن القول، إن لم أقل وجب . فأقول مستعينا بالله متوكلا عليه، ملتجئا فى كل الأمور إليه .

الذى تبنى عليه القواعد ، ويشهد به الذوق السليم الذى هو فى هذا الفن أعدل شاهد . أن الثالثة أرجح وزنا من الثانية، ولولا حرمة الكمال ، والحياء من الجمال ، لقلت إن الثانية فى الرتبة الأخيرة تالية . لأن الأولى وإن كانت من الثانية أكثر انسجاما . والثانية وإن فضلت على الأولى فى الدقات الأدبية ابتداء واختتاما . فالثالثة

قد جمعت بين المعنيين ، وفازت بالحسنيين . ونزلت فى كل وجه من الأدب منزلة العين . وقال لسان فحوليتها عند لين كلام غيرها: « للذكر مثل حظ الانثيين » . وقد أتت بما غض من الأزاهر النباتية ، والجواهر القيراطية ، وما فاق بمجموعه كل فريد. وراق مسموعه لكل مُجيد . حتى قال من شهد مثلى ببراعته ، وطرب لصرير يراعته:

أقصى نهاية وصفى فيه معرفتى　　　بالعجز منى عن إدراك معرفته»

يتبين من النموذج السالف: أن ابن حجر فى كتابته الأدبية ، كان يتبع الطريقة الفاضلية السائدة فى عصره . أما كتابته العلمية فهى نادرة القيود سهلة واضحة، وهى عبارة عن أحاديث مسرودة، تحتوى على بعض الألفاظ ذات المعانى العامية الشائعة فى عصره . وقد يغلبه الأدب فى بعض الأحيان فيعود قليلا إلى كتابته الفاضلية .

وبعد، فرحمه الله عالما وحافظا وأديبا .

ترجمته :

نوه السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة شيخه عن تصدى من الأئمة لترجمة ابن حجر وذكر منهم جملة كالمقريزى والفاسى والبدر البشتكى وابن خطيب الناصرية وابن فهد، فلتراجع .

وترجمته أيضا فى : ١ — تاريخ آداب اللغة لجورجى زيدان ج ٣ ص ١٦٥ ، ٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٠ وج ٢ ص ١١٦ ، ٣ — التبر المسبوك فى ذيل السلوك للحافظ أبى الخير السخاوى . ٤ — الجواهر والدرر فى ترجمة ابن حجر، مؤلفه السخاوى أيضاً وهو خاص بترجمه شيخه ابن حجر . ٥ — فى مقدمة كتابه « فتح البارى » . ٦ — نظم العقيان فى أعيان الأعيان للسيوطى . ٧ — فى ذيل كتابه « نخبة الفكر » وهى مطولة فى نحو ١٢ صفحة . ٨ — فى كتاب الفوائد البهية فى تراجم الحنفية للكنوى الهندى ص ١٠٠ . ٩ — بدائع ابن إياس ج ٢ ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ . ١٠ — وذكر السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٥ أن ابن حجر ترجم لنفسه فى كتابه « قضاة مصر » . ١١ — عقود الجوهر لجيل العظم . ١٢ — فى دار الكتب الملكية مخطوط رقم ٧٢٦ تاريخ اسمه « جمان الدرر » فى ترجمة ابن حجر ، ألفه عبد الله زين الدين الدمشقى ، كان موجودا سنة ١١٦٠ مختصرا عن كتاب السخاوى فى ترجمة ابن حجر المسمى « تناسق الدرر » . ١٣ — الضوء اللامع للسخاوى ج ٢ رقم ١٠٤

١١- جلال الدين السيوطى ٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ

هو أحد نابهى العصر وأعلامه ، وحملة راية علمه وأقلامه ، الإمام المجتهد ، الضارب فى كل علم بسهم ، والآخذ من كل فن بنصيب . أولع بالعلم والتأليف منذ صغره ، حتى ليمكن القول - على حد تعبير العصر الحديث - إنه هاو من الهواة ، أغرم بهما ، واتخذهما شغله الشاغل . وحسبنا برهنة على ما نقول ، أن مؤلفاته أربت على الخمسمائة فى فنون متعددة .

اسمه ونسبه :

كتب جلال الدين السيوطى ترجمة حياته فى كتابه « حسن المحاضرة » . وقد قال إنه : « عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان ابن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب ابن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى الأسيوطى . »

وكان جده الأعلى « همام الدين » من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق . وكان بعض أجداده من أهل الوجاهة والرياسة ، ومنهم من كان تاجرا ومتمولا . ولم يخدم العلم منهم إلا أبوه .

والده :

وقد ترجم السيوطى لأبيه فى باب فقهاء الشافعية - من حسن المحاضرة - فقال ما ملخصه : إنه ولد بسيوط بعد عام ٨٠٠ هـ وتولى قضاءها زمنا . وتعلم على بعض نابغى عصره منهم العلامة القاياتى والحافظ ابن حجر . ونبغ فى علوم عدة منها فقه الشافعى والأصول والكلام والنحو والمعانى والمنطق والحديث ، وأجيز بالتدريس عام ٨٢٩ هـ . وبرع فى الخط المنسوب وصناعة التوقيع ، وبرز فى الإنشاء . ودرّس الفقه بالجامع الطولونى ، وكان يخطب من إنشائه . ويستمد بعضهم منه هذا الإنشاء ، وصنف بعض التصانيف النافعة . وتوفى عام ٨٥٥ هـ

لهذا نقول: إن السيوطى نشأ فى أسرة مليئة بأسباب الجاه من مال وعلم. وإن كان أبوه قد توفى عنه وهو صغير وسنه خمس سنين وسبعة أشهر.

وتنتسب[1] أسرته إلى «الخضيرى»، وقد قال: «وأما نسبتنا بالخضيرى فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة، إلا الخضيرية محلة ببغداد. وقد حدثنى من أثق به أنه سمع والدى رحمه الله تعالى، يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا أو من الشرق. فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة»:

طرف من حياته:

ولد جلال الدين السيوطى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل [2] رجب سنة ٨٤٩ هـ. وعاش قرابة ثنتين وستين سنة. وتوفى فى سحر ليلة الجمعة ١٩ جمادى الأول عام ٩١١ هـ.

وأولع من صغره بطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم وسنه دون ثمانى سنين. ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول والألفية لابن مالك. وتتلمذ لأشهر العلماء فى عصره، فى الفقه والحديث والعربية، حتى أصبح ممتازا فى كثير من العلوم.

وبلغت شيوخه نحو مائة وخمسين شيخا ومنهم: شهاب الدين الشارمساحى فى الفرائض. وشيخ الإسلام علم الدين البلقينى فى الفقه، وقد لازمه السيوطى حتى مات، وأجازه بالتدريس والإفتاء. والعلامة تقى الدين الشبلى الحنفى فى الحديث والعربية، ولازمه أربع سنوات، وكتب له تقريظا على شرحه لألفية ابن مالك، وعلى جمع الجوامع فى العربية، وشهد له بتقدمه. ومنهم العلامة محي الدين الكافيجى، لازمه أربع عشرة سنة، وقد أخذ عنه التفسير والأصول والعربية والمعانى، وكتب له إجازة. ومنهم سيف الدين الحنفى فى علوم البلاغة.

وأولع السيوطى بالرحلة طلبا للعلم والاختبار، والتزود بالرؤية، فحج وزار

(١) روى السخاوى أن أم السيوطى كانت أمة تركية.

(٢) هذه روايته فى حسن المحاضرة. وروى ابن إياس أن ولادته كانت فى جمادى الاخرة — بدائع ج ٢ ص ٢٩.

الحجاز ، وطوف فى بلاد الشام واليمن والهند والمغرب والتكرور ، كما أنه طاف فى المدن المصرية نفسها كالفيوم ودمياط والمحلة .

ومما رواه ابن إياس من حوادثه ، أنه اشترك فى فتنة ابن الفارض عام ٨٧٥ هـ ، التى انقسم فيها العلماء إلى فريقين : فريق يطعن عليه ويشهر به ، وفريق يدافع عنه ويخرّج كلامه ويتأوله . وكان السيوطى من المدافعين، وألّف بهذه المناسبة كتابا فى الموضوع اسمه « قمع المعارض فى الرد على ابن الفارض » . وفى شهر ربيع الثانى عام ٨٩١ هـ عُيّن شيخا لمشيخة البيبرسية ، عوضا عن الجلال البكرى بحكم وفاته . وكان الساعى له فى هذه الوظيفة الخليفة عبد العزيز .

وفى رجب عام ٨٩٦ هـ ، أشيع بين الناس أن الشيخ جلال الدين الأسيوطى، أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل الروضة ، لأن الإجماع منعقد على منع البناء فى شطوط الأنهار الجارية ، وأما ما ذكر أن ذلك يجوز فى مذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، فباطل ، وليس له صحة فى كتب الشافعية قاطبة . —

وقال ابن إياس : « ولما دخلت سنة ٨٩٩ هـ صعد القضاة يهنئون السلطان قايتباى بالقلعة، بالعام الجديد . وصعد أيضاً الشيخ جلال الدين الأسيوطى . فلما جلس، سأله السلطان عن أى سُنّة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يفعلها. فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك ، بشىء ، مع غزارة علمه وقوة اطلاعه . وكان السلطان عنده كتاب يسمى « حيرة الفقهاء » . . ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف فى هذه المسألة بأنه قصد بذلك الأذان ، فإنه سنة ولم يفعله . . . وعمل فى هذه المسألة كراسا مطولا » .

ولعل السيوطى كان قد صدر عنه، أن هناك سُنّنا لم يعملها السلطان . . .

ومن الحوادث الطريفة فى حياة السيوطى ، ما ذكره ابن إياس فى حوادث صفر عام ٩٠٢ هـ — وكان السلطان الناصر محمد بن قايتباى . وكان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز — قال « إن الخليفة المتوكل على الله ، عبد العزيز ، عهد للشيخ جلال الدين الأسيوطى بوظيفة لم يسمع بمثلها قط . وهو أنه جعله على جميع

القضاة، قاضيا كبيرا . يولى منهم من يشاء، ويعزل منهم من يشاء، مطلقا فى سائر ممالك الإسلام . وهذه الوظيفة لم يلها قط ، سوى القاضى تاج الدين بن بنت الأعز، فى دولة بنى أيوب . فلما بلغ القضاة ذلك شق عليهم ، واستخفوا عقل الخليفة فى ذلك . وقالوا : ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ، ولا ولاية ولا عزل. ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيرا . فلما قامت الدائرة والألسنة على الخليفة ، رجع عن ذلك . وقال إيش كنت أنا ؟ الشيخ جلال الدين هو الذى حسن لى ذلك . وقال لى : هذه كانت وظيفة قديمة ، وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء . ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك ، وبعث أخذ العهد الذى كان كتبه للشيخ جلال الدين الأسيوطى . وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ، ووقعت أمور يطول شرحها ثم سكن الحال بعد مدة » .

ويمكننا أن نستنبط من هذه القصة أن السيوطى هو الذى استخف عقل الخليفة ، وأنه استغل ما كان بينهما من الصداقة ، وأنه كان يتطلع إلى منصب القضاء .

وبهذه المناسبة نذكر أنه لم يصل إلى منصب فى القضاء ، مع علو كعبه ورسوخ قدمه فى العلم والفقه ، ومع فائق شهرة لا تقل عن أنداده من رجال جيله ، إن لم يزد عليهم . ولا نستطيع فى الواقع ، تعليل ذلك تماما ، إلا أن نقول: إن منصب قاضى قضاة الشافعية قد تركز تقريبا ، فى أيامه، فى بعض كبار رجال المذهب، الذين سبقوا السيوطى إليه ،كالشيخ زكريا الأنصارى . ثم كان نشاطه فى باب التأليف والتعليم وانشغاله به، حائلا دون سعيه سعيا حثيثاً فى سبيل بلوغ القضاء .

ويبدو لنا أن السيوطى اختلف إلى بعض المساجد ، يؤدى فيها الدروس ، من بينها الجامع الطولونى . وقد ذكر ذلك فى مقدمة كتابه « الفاشوش فى أحكام قراقوش » فقال : « بينا ـ فى درس بالجامع الطولونى فى أواخر المحرم سنة ٨٩٩هـ . . الخ . . . »[١]

(١) راجع الفاشوش ، بفهرس دار الكتب ج ٥ حرف الفاء .

ومهما يكن من شيء، فإن منزلته الأدبية والعلمية كانت دائما ترتفع وتزداد سموا، حتى أصبح معتبراً من كبار رجالات الدولة، تجمعهم صلة الدين والمعرفة والعمر، وتربطهم صداقة وُلدت منذ سنين. وكان للسيوطي بسببها هيمنة على بعض الشئون. وقد قيل إنه لما بـويع الخليفة المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب فى صفر عام ٩٠٣هـ بالخلافة، كان السيوطى هو الذى لقبه وكناه بهذا اللقب وتلك الكنية.

وفى شعبان عام ٩٠٣ هـ، اختلف السيوطى مع الصوفية المقيمين بالخانقاه البيبرسية، وهو شيخها. فثاروا عليه وكادوا أن يقتلوه، ثم حملوه بأثوابه ورموه فى الفسقية.. وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها.. قاله ابن أياس.

وكانت بين السيوطى والأمير طومان باى الدوادار فتن، حاول طومان باى بسببها أن يبطش به ثم كان من سوء حظ السيوطى، أن آلت السلطنة إلى طومان باى، وهو الملقب بالعادل. فى عام ٩٠٦ هـ، فاضطر حينئذ إلى الاختفاء، وعدّه السلطان معزولا من مشيخة الخانقاه البيبرسية، وولى فيها رجلا غيره. وظل مختفيا حتى دالت دولة العادل وآلت السلطنة إلى قانصوه الغورى، فظهر فى مستهل شوال عام ٩٠٦ هـ، وذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام، وبشره بزوال العادل عن قريب.

هذا، وقد ظل السيوطى طول حياته عاكفا على الدرس والتحصيل، يؤلف ويُدرِّس، وقد تتلمذ له كثيرون من الفطاحل والنابغين، وقد عبر عنه ابن إياس فى كتابه، بقوله: «شيخنا». ومن تلاميذه العلامة شمس الدين محمد العلقمى صاحب المؤلفات العدة فى الحديث وغيره «راجع فهرس دار الكتب المصرية ج ١ ص ١٤٤ وغيرها».

علمه وأخلاقه:

كان السيوطى أمة فى العلم ونابغة من نوابغه، أغرم به منذ صغره، وشغف بتدوين مسائله، حتى يمكن القول إنه من هواة التأليف كما ذكرنا. وزادته الرحالة علما فوق علم. ويفهم مما كتبه عن نفسه:

١ — أنه أخذ فى التأليف ، ولم يكن بلغ السابعة عشرة من عمره . وأجيز فى ذلك الحين بتدريس العربية . وهذا يدل على نبوغه فيها . قال : « وأجزت بتدريس العربية فى مستهل سنة ست وستين — وثمانمائة — . وقد ألفت فى هذه السنة . فكان أول شىء ألفته : شرح الاستعاذة والبسملة . وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقينى فكتب عليه تقريظا » .

٢ — أنه تصدر للتدريس والإفتاء ، ابتداء من سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وقد أجيز بذلك فى تلك السنة . وكانت سنة نحو السابعة والعشرين ، — وتعتبر هذه — بلا شك — سنا صغيرة مبكرة لمن يتصدى لمثل هذا العمل العام وخاصته الإفتاء . ومع ذلك كان قد أفتى فى مستهل سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، وجلس لإملاء الحديث فى مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

٣ — أنه نبغ فى علوم كثيرة نبوغا يختلف مقداره باختلاف ميله الشخصى إلى هذه العلوم ، ويتبين ذلك من قوله :

« ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة . والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه ، والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى ، فضلا عمن هو دونهم ، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه . بل شيخى فيه أوسع نظراً وأطول باعا ، ودون هذه السبعة فى المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف . ودونها الإنشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ . ودونها الطب . وأما علم الحساب ، فهو أعسر شىء على ، وأبعده من ذهنى ، وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله . — وقد كملت عنده الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى . أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى ، لا فخراً . وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها فى الفخر . وقد أزف الرحيل وبدا الشيب وذهب أطيب العمر .

ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك ، من فضل الله ، لا بحولى ولا بقوتى . فلا حول إلا بالله . ما شاء الله لاقوة إلا بالله . وقد كنت فى مبادىء الطلب قرأت شيئا فى علم المنطق، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى . وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك . فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم » .

٤ ـ نشعر فى حديث السيوطى هذا ، أنه كثير التواضع ، وقد برأ نفسه من الزهو وإرادة الفخر . وهو فى ذلك صادق بلا شك ، لأنه إنما يصف حقيقة . وقد شعر بما سيتركه فى نفوس بعض القراء من زعم الزهو والفخر ، فدفع هذا الزعم والظن بقوله « أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا » . ودعم هذا الدفع بأنه قد بلغ الكبر وأزف رحيله وبدا شيبه وذهب أطيب عمره . فلم يعد فى نفسه محل لزهو ، ولا غاية من وراء الفخر .

٥ ـ وقد قلنا إنه متواضع . لأنه وضع من المؤلفات عددا كبيرا جدا بعضها كفيل بأن يدخل على النفس الزهو والفخر . وكثيرا ما كان تصدى أحد العلماء للتأليف ـ ولو كتب مؤلفا واحدا ـ مبعثا لزهوه .

وللسيوطى عدة مؤلفات ثمينة كثيرة النفاسة . كل منها جدير بأن يجعله فى مصاف المبتكرين وقد أشرنا فيما سبق إلى بعضها .

وقد ألف السيوطى فى علوم عدة منها : التفسير والحديث . والفقه والأصول والنحو والصرف . والتاريخ ، والقراءات والأدب . والطب . وعلوم البلاغة . ومن بين مؤلفاته ما يُعد مرجعا وسندا .

وقد ذكر السيوطى عن مؤلفاته ، أن عددها بلغ ثلثمائة . وهذا فى حسن

---

١ ـ ابن الصلاح : هو تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن الكردى الشهرزورى أحد أئمة المسلمين ، ولد عام ٥٧٧ هـ وتفقه وطلب الحديث حتى أصبح من كبار أئمة عصره . ولبث زمنا بدمشق ينشر العلم : توفى عام ٦٤٢ هـ ـ ذكره ابن خلكان فى الوفيات ، والسبكى فى الطبقات .

المحاضرة . وقد قال عنها بعض المؤرخين إنها بلغت خمسمائة . وذكر ابن إياس أنها بلغت ستمائة . وابن إياس أحد تلاميذ السيوطى ، وتوفى بعده بزمن طويل .

ومهما يكن من شيء فهذا العدد ضخم ، وهو يوضح لنا كيف كان السيوطى سيلا علميا غزير المادة كثير الفيض عظيم الأثر ، دائم العمل مستمر الإنتاج وهذا بين هذه المؤلفات عدد كبير ، من الرسائل الصغيرة يملى المرء إحداها فى ساعات . ولكن أيضا بينها عددا آخر واسع المدى ممتد الأفق ، يحتاج فى إملائه إلى شهور بل سنين .

٦ — ومن العجيب أن يعترف السيوطى على نفسه بأنه لم ينبغ النبوغ الكافى فى فن الإنشاء والترسل ، مع العلم أن حسبه من الإنشاء هذه المجموعة الضخمة من المؤلفات . ولكن لعله أراد من « الإنشاء والترسل » الكتابة الأدبية لا العلمية . أوكتابة الدواوين ورسائلها . فهو فيها ، حقا ، أقل إنتاجا . ومع ذلك له عدد كبير من المقامات البديعية اللطيفة والافتتاحيات الطريفة . كما أنه ذكر الكثير من مؤلفاته فى سياق ترجمته لنفسه ، ولكنه أغفل بعضها ، مثل : كتابه « المزهر » ، فلعله وضعه بعد ذلك . كما أنه لم يعد « التاريخ » ضمن العلوم التى رزق التبحر فيها ، مع أن له فيه مؤلفات هامة جدا ، تشهد له بالتبحر فيه « كحسن المحاضرة » و « تاريخ الخلفاء » و « طبقات النحويين » . وقد ذكر كثيراً من كتبه التاريخية فى سياق ترجمته . فلعل عدم النص على ذلك ، تواضع منه أو نسيان ، أو عدم اعتداد منه بالتاريخ ، كما اعتد بالفقه والنحو . .

٧ — وبعض مؤلفاته شروح أو مختصرات لمؤلفات أخرى له أو لغيره ممن تقدمه . جرى على ذلك كما جرى علماء العصر الذين تقدموه ، وتلك إحدى الخطط التأليفية التى سادت العصر . ومن ذلك : حاشية على تفسير البيضاوى . وشرح الشاطبية . ومختصر التنبيه . ومختصر الأحكام السلطانية للماوردى . وشرح ألفية ابن مالك . شرح كتابه جمع الجوامع ، ويسمى همع الهوامع . وهكذا .

٨ — والسيوطى من أولئك المبتكرين فى اختيار موضوعات كتبهم ، إذ له مؤلفات فى موضوعات غريبة قليلة الخطور بالبال ، مثل : كتابه فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين سنة .

٩ — ومن حسن الحظ أن عددا كبيرا من مؤلفات السيوطى لم يُبل بالضياع كما بليت مؤلفات غيره . وترى له فى دور الكتب المختلفة طوائف من هذه المؤلفات ، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما لا يزال مخطوطا فى انتظار الطبع . .

السيوطى بين المدح والقدح :

من أهم ما يؤاخذ به السيوطى ، كثرة نقله من كتب المتقدمين ، دون أن يصرف همته إلى استنباط الجديد ، وابتداع الفكرة المستقلة ، ثم دون أن يبذل فى منقوله ، جهدا يوضحه به ، ويرتبه ويهذبه ويستدل له ، ويعلق عليه .

ومع هذا ، فحسبه هذه الكثرة الرائعة من مؤلفاته ، منقولة وغير منقولة ، شاهدة بسعة اطلاعه وامتداد أفقه ، وحدة ذهنه ، وحسن تأتيه للمتفرق المشعث ، حتى يلمه فى صعيد واحد .

على أنها هى روح العصر ، وسياق حوادثه . وعلى غرار السيوطى نبغ كثير من أئمة العصر . وأصبحت مؤلفاته هذه ـ التى توجه إليها سهام النقد ـ المرجع والسند فى كثير من العلوم والفنون .

وحسب السيوطى أن له بحوثا يعتبر أبا عذرتها وابن بجدتها . وتحقيقات لا ينكر منصف أنها قيمة جليلة ، لم يتناولها قبله متناول ، فى تجميعها وتنسيقها وحسن الربط بينها ، والإدلاء بالرأى فيها ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ، كتبه : الإتقان والمزهر والاقتراح فى أصول النحو ، وحسن المحاضرة ، والأشباه والنظائر .

وللسيوطى مقامات كثيرة بديعة نافعة ، منها رده على شمس الدين السخاوى المؤرخ وهى مقامته : « الكاوى فى الرد على تاريخ السخاوى » . والمؤرخ المذكور

كان كثير التحامل والتجنى على كثير من الأعلام الذين ترجم لهم فى كتابه « الضوء اللامع » ، وبخاصة أعلام عصره وشيوخه، ومنهم السيوطى ـ وقد أشرنا إلى ذلك فى ترجمة المقريزى ـ ، فأنصفهم السيوطى فى مقامته . وقال فى أولها :

« إن السخاوى ضمن تاريخه المتقدم أكابر وأعيانا . ونصب لأكل لحومهم خوانا . وجعله مشحونا بذكر المساوىء وثلب الأعراض . وفوّق لهم فيه سهاما ، على قدر أغراضه ، وهم من أجلة المشايخ وأركان الإسلام . . » الخ .

حمل السخاوى إذن ، فى كتابه « الضوء » على السيوطى ، حملة شعواء ، وشوه كثيرا من جهوده . وأهم ما رماه به: ١ـ التشكيك فيما درسه على شيوخه ، ٢ ـ وأنه اختلس شيئاً مما ألفه ـ أى ألفه السخاوى ـ فقدّم فيه وأخر ، وبدّل وغيّر ، ثم نسبه إلى نفسه . وهوّل فى مقدمته بما يتوهم فيه الجاهل شيئاً مما لا يوفى ببعضه . وذلك كالخصال الموجبة للظلال ، وكالأسماء النبوية . ٣ ـ وأنه لما وَلىَ وظائف التدريس ، لم يكن كفئا لها ، وأنه بذلك « تزبب قبل أن يتحصرم » . وذلك طعن فى علمه وكفايته . ٤ ـ وادعى السخاوى أن السيوطى أطلق لسانه وقلمه فى شيوخه فمن فوقهم ، ٥ ـ وتهكم بادعائه أن العلماء يكتبون إليه الأسئلة ألوفا ، فيرد عليها . ثم يكتب لهم بدوره عددا منها ، فلا ينهضون بالإجابة عنها . ٦ـ واتخذ من قوله « إنه لا يعرف الحساب » دليلا على بلادته وعدم فهمه وركود ذهنه، لأن الحساب فن الذكاء . . ٧ ـ ونسب إليه أنه اختلس كثيرا من مصنفات ابن حجر ، ومن ذلك : لباب النقول ، فى أسباب النزول ، وعين الإصابة فى معرفة الصحابة . والنكت البديعيات على الموضوعات . والمدرج إلى المدرج ، وتذكرة المؤتسى بمن حدث ونسى ، وتحفة النابه بتلخيص المتشابه . ومارواه الواعون فى أخبار الطاعون. والأساس فى مناقب بنى العباس [1] وغير ذلك .

وهذه الاتهامات — كما يرى القارىء — تحتاج إلى تحقيق طويل وموازنة دقيقة ، وسفر مستقل .

---

١ — هذه كلها فى مؤلفات السيوطى :

غير أنه يتضح فيها التجنى كما ذكرنا . ويبدو لنا أن من بين معاصرينا من لا يستريح إلى السيوطى مؤلفاً ، ويذهب مذهب السخاوى فى نقده . ويروعه كثرة مؤلفاته ، ويتخذها حجة على سطوه على مؤلفات المتقدمين . هذا إلى جانب تفاهة بعض هذه المؤلفات .

ولا رد لنا على ذلك ، إلا بما أشرنا إليه من أن له جملة من المؤلفات يعتبر أبا عذرتها وابن بجدتها ، وهى وحدها كفيلة بالسمو به إلى مصاف الممتازين من المؤلفين . ثم إن السيوطى كان ـ فى الواقع ـ يمثل هذا العصر وعقليته التأليفية ، تمثيلا دقيقا رائعا ، فكان يعيش بعقلية موسوعية ، تجتمع فيها المنقولات اجتماعها فى دوائر المعارف . ومثل عقليته فى تلك الناحية ، نادر الوجود . ـ أما ما ينسب إليه من السطو ، فلعله من خطأ النساخ ، أو من خطأ الطابعين والناشرين فى العصر الحديث . وكم لهؤلاء وهؤلاء من أخطاء . .

مؤلفاته [1] :

أولا : فى التاريخ والأدب:

١ ـ طبقات الحفاظ ، ملخص فى طبقات الذهبى ، منه نسخة بدار الكتب . ٢ ـ طبقات المفسرين . طبع فى ليدن . ٣ ـ طبقات النحويين واللغويين . وهى ثلاثة كبرى ووسطى وصغرى ، وصغراها هى « بغية الوعاة » . ٤ ـ تاريخ الخلفاء ترجم فيه للخلفاء والسلاطين من عهد أبى بكر إلى الأشرف قايتباى سنة ٩٠١ هـ وهو مرتب على السنين . طبع فى مصر ٥ ـ حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة : وهو جزءان فى حوادث مصر من قديم الزمان حتى عهد المؤلف . وبه تراجم كثيرة ، مطبوع متداول ٦ ـ الدرارى فى أبناء السرارى : وبه أسماء أبناء الخلفاء المولودين من الجوارى . فى بضع ورقات ٧ ـ النفحة المسكية والتحفة المكية . وهى جداول

١ ـ اعتمدنا فى إيراد هذه المؤلفات على رواه السيوطى فى ترجمة نفسه فى حسن المحاضرة ـ وقد روى كثيرا منها ـ وعلى ما رواه جورجى زيدان وسركيس وجميل العظم ، وما شاهدناه فيها بدور الكتب .

فى النحو والبديع والمعانى فى ١٦٦ سطراً . ٨ ـ وصف اللآل فى وصف الهلال . مجموعة من الأشعار فى معنى الكتاب السالف الذكر . ٩ ـ التعظيم والمنة فى أن أبوى رسول الله فى الجنة . ١٠ ـ مسالك الحنفا فى والدى المصطفى . ١١ ـ مشتهى العقول فى منتهى النقول : رســالة أدبية فى أحسن ما قيل من كل شيء . بدار الكتب . ١٢ ـ اثنتا عشرة مقامة . طبعت بالآسانة عام ١٢٩٨هـ . ١٣ ـ الوسائل إلى معرفة الأوائل : موضوعهُ ذكر الأول فى كل شيء . كأول من خطب ، مرتب على المواضيع . أخذه عن كتاب العسكرى وزاد فيه ورتبه . ١٤ ـ الشماريخ فى علم التاريخ . منه نسخة بدار الكتب ١٥ ـ لب اللباب فى تحرير الأنساب : وهو مختصر فى الأنساب هذب فيه اللباب لابن الأثير . واستوفى ضبط ألفاظه ، وزاد عليه . وموضوعه ذكر البلاد التى ينتسب إليها الأعلام . ١٦ ـ المنجم فى المعجم : وهو معجم فى أعيان شيوخه مرتب على أحرف الهجاء . بدار الكتب . ١٧ ـ بلبل الروضة : وهى مقامة فى وصف جزيرة الروضة . فى بضع ورقات . بدار الكتب . ١٨ ـ رفع شأن الحبش : هو شرح تنوير الغبش فى فصل السودان والحبش لابن الجوزى . ١٩ ـ أزهار العروش فى أخبار الحبوش ـ أى الأحباش . ٢٠ ـ ديوان الحيوان : خلاصة كتاب الدميرى « حياة الحيوان » ٢١ ـ تبييض الصحيفة فى مناقب أبى حنيفة . بدار الكتب ٢٢ ـ نشر العلمين المنيفين . ٢٣ ـ إسعاف المبطأ فى رجال الموطأ . ٢٤ ـ السبل الجلية فى الآباء العلية : فى آباء النبى عليه السلام . ٢٥ ـ تزيين الممالك فى مناقب مالك . ٢٦ ـ المقامة السندسية فى النسبة المصطفوية . ٢٧ ـ المنهاج السوى فى ترجمة النووى . ٢٨ ـ تحفة الظرفاء فى أخبار الخلفاء . وهى قصيدة رائية . ٢٩ ـ در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة ، منه مخطوط بدار الكتب .

ثانيا: فى العلوم العربية:

٣٠ — المزهر : وهو فى جزئين . وموضوعه فقه اللغة العربية ومن أهم الكتب فيه . مطبوع متداول . ٣١ — الأشباه والنظائر النحوية : وهو مرتب على سبعة

فنون لكل منها مقدمة خاصة فكأنه سبعة كتب . مطبوع متداول . ٣٢ – جمع الجوامع : وهو فى النحو . له مقدمة وسبعة أبواب . ٣٣ – الاقتراح فى أصول النحو . ٣٤ – جناس الجناس .

ثالثا : فى العلوم الدينية :

٣٥ – الإتقان فى علوم القرآن . كتاب جليل يبحث فى تاريخ القرآن ، مطبوع متداول . ٣٦ – ترجمان القرآن فى تفسير المسند . ٣٧ – لباب العقول فى أسباب النزول : طبع على هامش الجلالين . ٣٨ – المذهب فيما وقع فى القرآن من المعرب . ٣٩ – تفسير الجلالين وهو شركة بين السيوطى والمحلى . ٤٠ – جمع الجوامع . ويسمى الجامع الكبير أيضاً ، وهو فى الحديث . ٤١ – الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . ٤٢ – المقدمة : فى الألفاظ المعربة فى القرآن . ٤٣ – معربات القرآن ٤٤ – الخصائص النبوية : فى معجزات النبى عليه السلام . ٤٥ – شرح الصدور فى شرح حال الموتى فى القبور . ٤٦ – المنهج السوى والمنهل الروى فى الطب النبوى . ٤٧ – الازدكار فيما عقده الشعراء من الآثار . وهى منظومة بها أحاديث . ٤٨ – الدر المنظم فى الاسم المعظم . ٤٩ – الأشباه والنظائر فى الفقه . ٥٠ – النقاية : وهى موسوعة فى ١٤ علماً تسمى « الأصول المهمة فى علوم جمة » ، وهى فى التفسير والأصول والتشريع والبلاغة والنحو والصرف والفرائض والحديث والتصوف والطب .

رابعا : ما وجدناه فى دار الكتب بالمنصورة :

١ – وصول الأمانى بأصول التهانى . ٢ – طى اللسان عن ذم الطيلسان . ٣ – كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة . ٤ – المصابيح فى صلاة التراويح . ٥ – القول الأشبه فى حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . ٦ – إفادة الخبر بنصه فى زيادة العمر ونقصه . ٧ – الكنز المدفون والفلك المشحون : فى الأدب ٨ – تحفة المجالس ونزهة المجالس . ٩ – شرح شواهد المغنى : فى النحو . ١٠ – الهمع على الجمع . فى النحو . ١١ – الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير : فى الحديث

والمصطلح . ١٢ ـ اللآلىء المصنوعة : فى الأحاديث الموضوعة : حديث ومصطلح
١٣ ـ سهام الإصابة فى الدعوات المستجابة: حديث ومصطلح . ١٤ ـ الأرج فى أدعية
الفرج : فى التصوف . ١٥ ـ الدرج المنيفه فى الآباء الشريفة . ١٦ ـ تنزيه الأنبياء
عن تشبيه الأغبياء . ١٧ ـ الباحة فى علم السباحة . ١٨ ـ الفانيد فى حلاوة الأسانيد.
١٩ ـ التثبيت عن التبييت: أرجوزة للسيوطى . ٢٠ ـ إتحاف الفرقة بوصل الخرقة.
٢١ ـ ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين ، ومنه نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية » . ٢٢ ـ الرحمة فى الطب والحكمة .

وفى دار الكتب المصرية طائفة كبيرة من مؤلفات السيوطى غير مشاهير كتبه،
وغير ما أشرنا إلى أنه فى الدار . فنذكر منها ما يأتى :

نسب بعض الصحابة والأشراف الأدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة
والموحدين . إتمام الدراية لقراء النقاية . منهل اللطايف فى الكنافة والقطايف .
التبرى من معرة المعرى : وهى أرجوزة فى أسماء الكلب . الثبوت فى ضبط القنوت
تحفة النجبا فى قولهم هذا بسرا أطيب منه رطباً . نور الحديقة ونور الطريقة :وهى
مقتطفات من ديوانه « حديقة الأديب وطريقة الأريب » . السماح فى أخبار
الرماح . الشرف المحتم . ذيل طبقات الحفاظ للذهبى طبع . العجالة الزرنبية فى
السلالة الزينبية . الفاشوش فى أحكام قراقوش . لب الألباب فى تحرير الأنساب .
شرح نظم البديع فى مدح خير شفيع ، وهو شرح بديعيته . مشتهى العقول ومنتهى
النقول . الأوج فى خبر عوج . تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء . تحفة المهتدين بأسماء
المجددين . منظومة .

وبمكتبة معهد دمياط الدينى مجموعات خطية ثمينة من مؤلفات السيوطى منها :

النقل المسطور فى جواز قبض المعلوم من الأوقاف مع عدم الحضور .
الإنصاف فى تمييز الأوقاف . كشف الضبابة فى مسألة الاستنابة . الكشف عن
مجاوزة الأمة الألف الهيبة السنية فى الهيئة السنية . رسالة فى أسماء أعضاء الإنسان.

درر الكلم فى المواعظ والحكم . المصابيح فى صلاة التراويح . السمت فى حسن الصمت . المسارعة إلى المصارعة . الطرثوث فى فوائد البرغوث . الباحة فى السباحة . إلقاء الحجر على من زكى ساب أبى بكر وعمر . فضل الجلد عند فقد الولد . بشرى الكئيب بلقاء الحبيب . المعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة . إحياء الميت فى فضل أهل البيت . الحبل الوثيق فى نصرة الصديق . الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والأبدال . الإغضاء عن حديث دعاء الأعضاء . فضل القيام بالسلطنة . الإنافة فى رتبة الخلافة . الأخبار المروية فى سبب وضع العربية رسالة فيمن غير النبي صلى الله عليه وسلم أسماءهم . أسماء النقباء ليلة العقبة . أسماء من مات فى حياته صلى الله عليه وسلم من الصحابة . رسالة فى ذم القضاء . رسالة فى الأترنج .

الكلام عن بعض مؤلفاته :

١ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة :

كتاب فى جزئين، مشهور لدى المؤرخين والمطلعين ، وبخاصة المعنيون بتاريخ مصر . وهو من أفضل كتب السيوطى . وقد أورد فيه كثيراً من أخبار مصر والقاهرة منذ أقدم العصور حتى عصره . ففيه طرف كثيرة عن ملوكها وسلاطينها وأمرائها وعظماء رجالها من وزراء وقضاة وكتاب وولاة ، ومن دخلها من الأفذاذ . وفيه كذلك أخبار طريفة أخرى عن بعض مبانيها وعمائرها المشهورة ، وعن النيل وعن جغرافية مصر . وعن الفسطاط والفيوم وبرقة والنوبة . وكلام عن الخلافة ، وغير ذلك . وقد ترجم فيه لبعض من عاش حتى سنة ٩٠٣ هـ ، وربما بعدها . وهذا دليل على أنه ليس من كتبه المبكرة

وبدأه بذكر المواضع التى وقع فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة . وذكر من نزلها من أولاد آدم ، ومن ملكها قبل الطوفان وبعده . ومن دخلها من الأنبياء والصديقين . ومن كان بها من الحكماء ووصف عجائبها وأهرامها

ومنارة الإسكندرية ، وفتح العرب لها . وهكذا .

وقد ترجم المؤلف لنفسه فى الجزء الأول ترجمة لا بأس بها ، تعتبر من أهم مراجع المترجمين له من بعد . فذكر ميلاده وأسرته ونسبتها وشيوخه وأدواره العلمية وصلته بالعلوم والتأليف فيها ، وذكر بعض مؤلفاته . وقد اقتدى فى ذلك ببعض من تقدمه ممن ترجموا لأنفسهم ، ومنهم عبد الغافر الفارسى فى تاريخ نيسابور . وياقوت الحموى فى معجم الأدباء . ولسان الدين بن الخطيب فى تاريخ غرناطة . والحافظ تقى الدين الفارسى فى تاريخ مكة . وابن حجر العسقلانى فى قضاة مصر . وأبو شامة فى الروضتين .

وقد صرح فى مقدمته بأنه اعتمد فى تأليف هذا الكتاب على عدة كتب ، منها : فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر لابن عمرو الكندى ، وتاريخ مصر لابن زولاق ، والخطط للقضاعى ، وتاريخ مصر لابن ميسر ، وقيل لابن يونس ، وإيقاظ المتغفل وإيعاظ المتأمل لابن المتوج الزبيرى ، وخطط المقريزى ، والمسالك لابن فضل ، ومختصره لتقى الدين الكرمانى ، ومباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارى ، وتاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لابن الربيع الجيزى ، والتجريد للذهبى ، والإصابة لابن حجر ، وطبقات الحفاظ ، وطبقات القراء وتاريخ الإسلام وكلها للذهبى شمس الدين أيضاً ، وكذلك كتابه «العبر» والبداية والنهاية لابن كثير ، والطالع السعيد للإدفوى ، والكروان لابن أبى حجلة . وثمار الأوراق لابن حجة الحموى ، والطبقات الكبرى للسبكى ، وطبقات الإسنوى ، وطبقات المالكية لابن فرحون ، وطبقات الحنفية لابن دقاق ، ومرآة الزمان لسبط الجوزى ، وغير ذلك .

أما غرضه من تأليف هذا الكتاب ، فقد ذكره فى مقدمته حيث قال : «هذا كتاب سميته : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . أوردت فيه فوائد سنية وغرائب مستعذبة مرضية . تصلح لمسامرة الجليس . وتكون للوحيد نعم الأنيس»

والكتاب ذو مزايا متعددة ، منها : ذكر الأعلام الذين نزلوا بمصر ، وترجمتهم تراجم موجزة لا بأس بها فى مثل هذا المقام ، مع النص على تواريخ الوفاة . ومنها استطرادات أدبية هامة ، أثبت بها كثيرا من النصوص الشعرية والنثرية ، التى يقل وجودها فى غيره من المراجع . وبينها قصائد وخطب ورسائل رسمية وغير رسمية .

وقد وجدنا فى هذا الكتاب وفى استطراداته تلك ، معينا شافيا وردناه ، ومنهلا عذبا حسونا منه ؛ ووجدنا فيه عونا كبيرا على فهم عصر المماليك وتصويره ، وتزويد هذا الفهم والتصوير بما يدعمه من الأدلة التاريخية المأثورة .

ومما يؤاخذ به السيوطى هنا ، أنه غير عميق الاستنباط ، وغير معلل للحوادث إلا ماندر . غير أن هذا قد لا يكون من أغراض المؤلف . — ومما يؤاخذ به كذلك ، عدم تمحيصه للروايات الخرافية ، التى طافت فى الكتب التاريخية القديمة ، فهو قد نقلها كما هى بحذافيرها . وإن أسندها إلى رواتها ، ونخشى أن تكون فى عداد معتقداته — على جلالة قدره . .

ومنها ذكر النيل وأنه ينبع من الجنة . ومنها ذكر من أذل الأُسْد ، وحمات عرشه الشياطين « فى باب من ملك مصر قبل الطوفان » . ومثل الإسكندرية وأنها بليت فى ثلثمائة سنة ، وسكنت ثلثمائة سنة ، وخربت ثلثمائة سنة . ومثل عجائب منارة الإسكندرية والتمثال والمرآة فيها ؛ تلك المرآة التى كانت تُرى خلالها جيوش الأعداء وغير ذلك كثير .

على أن هذ كله لا يغض من قيمة الكتاب ، بل هو من أهم مراجع تاريخ مصر وأعلامها .

٢ — المزهر .

يُعتبر كتاب المزهر فى مقدمة الكتب النفيسة التى دبجتها براعة السيوطى فى علوم العربية وأنواعها وقد طبع طبعة حديثة ، وصححه وراجعه جاد المولى بك وآخرون . — تصفحته وحاولت فهمه تماما وتخطى أبوابه باباً باباً ، فوجدته عبثا فادحا . لكثرة ما به من المصطلحات ، والعبارات المنطقية والأقوال والردود ،

والمباحث المتشعبة المتلاحقة المتشابكة ، فى فنون مختلفة ، من نحو وتفسير وفقه . وحديث وشروح لغوية وغير ذلك .

وفقه اللغة علم حديث فى المدارس المصرية ، والقسم النظرى ذو بحوث شائقة ممتعة تتضارب فيها الآراء وتعترك الأفكار، وتتحاج ؛ ويقرع بعضها بالحجة بعضا ؛ وفى ذلك غذاء عقلى قوى ظريف . ومن هذه البحوث : حديث عن معنى اللغة وكيفية وجودها ، أوضعية هى أم توفيقية . وصلة اللغـــات بعضها بالبعض . وكيف تولدت الحروف ، وما الصلة بين لفظ الحرف ومعناه ، ومتى تكوّن الاسم ، ومتى تكوّن الفعل . وكيف تدل هذه الألفاظ على معانيها ، والفروق الدقيقة بين معنى لفظين متقاربين فى النطق ، وما الوضع الإفرادى وما الوضع المركب ، وكيف تكونت الجملة ، وما التجوز باللفظ ، وما مميزات اللغة ، وما الترادف والتضاد والاشتراك . وغير ذلك من البحوث العلمية الدقيقة التى تعتبر فى الواقع فلسفة فى فهم اللغة وتاريخ وجودها باعتبارها كائنا حيا . ومما يتصل بهذا القسم : الحديث عن التعريب من لغة إلى لغة ، ومدى هذا التعريب .

والقسم العملى أقرب إلى أن يكون نوعا من أنواع المعجمات اللغوية، يعرض الألفاظ المتناسبة فى ناحية ما ، ويحشدها فى باب واحد . مثل الألفاظ الخاصة بخلق الإنسان ، أوالخاصة بالبناء . أو الخاصة بأحد الأنواع من الحيوان أو النبات أو مثل الألفاظ المترادفة فى معنى الأسد أو السيف أو العسل ، أو مثل الألفاظ المتضادة ذات المعنيين المتضادين . أو الجمل المستعملة فى معنى واحد ، أو ماجاء على وزن فعالى أو فعنلى مثلا . أو ما جاء بالهاء من صفات المذكر . أو الألفاظ التى تذكر وتؤنث . أو وهكذا .

وهذه البحوث ولا سيما البحوث النظرية، وجدت لها عند علماء أوروبا فى العصور الحديثة رواجا . فاشتغلوا بها ، وأمعنوا فى هذا الاشتغال ، وتحدثوا ونقبوا عن أصل اللغات وكيف تفرعت وما هى الصلات بينها ، وما وجوه

الخلاف فيها . وهكذا . وقد بلغوا من وراء ذلك مبلغا محمودا ، حتى جعلوا من هذه البحوث المشتتة المتفرقة ، علما مستقلا له كيانه الخاص ، وشخصيته الخاصة .

وأعتقد أن علماء العربية قد سبقوا علماء أوربا فى هذه الناحية . وتكلموا فى مسائل عدة من مسائل هذا العلم . ودللوا على نظرياتهم فيها . ومنهم ابن جنى والثعالبى والزمخشرى وابن فارس وإمام الحرمين وابن الحاجب والإسفرائينى ، وكثيرون غيرهم من النحويين والبلاغيين وواضعى المعجمات والمفسرين وشراح الحديث ، والأدباء .

وغاية أمر هؤلاء أنهم لم يتصد واحد منهم لدراسة هذا الفن كله ، واستيعاب نظرياته ، والتحدث عنها حديثا جامعا منظما مبوبا فى مؤلف واحد مستقل . بل تكلم هذا فى ناحية ، وذاك فى ناحية أخرى . فلم يجتمع شتات هذا العلم ويلتئم شمله .

وقد حاول السيوطى فى كتاب « المزهر » أن يجمع هذا الشتات ، ويلائم بين أجزاء الشمل ، ويُقيم من البحوث المتفرقة علما مستقلا له كيانه وشخصيته . وهذا بغير شك جرأة وابتكار ، وقد نجح فيه السيوطى نجاحا يغبط عليه . وعلينا أن نصدقه حين يقول فى مقدمة كتابه هذا :

« هذا علم شريف ، ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه . وذلك فى علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث فى التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع ، وقد كان كثير ممن تقدم يلمّ بأشياء من ذلك ، ويعتنى فى بيانها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقنى إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلى طارق » .

ونحن نقول فوق ما تقدم ، إننا فى هذا العصر الحديث ، لم نظفر بمؤلف فى فقه اللغة العربية وتاريخ وجودها ، وسيرة حياة مفرداتها ، ودلالات ألفاظها ، وغير ذلك من بحوث ، يكون ندا لمؤلف السيوطى ، هذا على الرغم من تقدم هذا العلم عند علماء أوربا ، واشتغال بعض المستشرقين بفقه العربية ، وتقليد بعض علماء

العربية لهم ، فى هذا الاشتغال . إلا مذكرات قُدمت للطلاب ، فى دور التعليم وإلا بحوثاً منشورة على صفحات المجلات والصحف اليومية ، وإلا كتباً يسيرة غير جامعة ألفت فى هذا الموضوع ، أين هى من كتاب السيوطى الممتلىء الجامع ، وما منها إلا ماتح من بحره ومستق من منهله ، وقد اشترك فى هذه المذكرات والبحوث المنشورة والكتب اليسيرة علماء من مصر والشام والعراق والمغرب . . نقول ذلك لا متحاملين — حاشا لله — بل طامعين فى أن تشحذ الهمة ، وتتوثب العزيمة ، إلى وضع مؤلف كامل شامل فى فقه اللغة وفلسفتها ، بأسلوب جديد سهل المأخذ قريب المورد ، لا يصعب على الناشئة تناوله .

وقد اعتمد السيوطى فى كتاب « المزهر » على ما كتبه العلماء المتقدمون ممن ذكرنا ، ومن غيرهم ، وقد دأب على أن ينسب القول مباشرة إلى قائله ، فيقول : قال أبو الفتح بن جنى فى الخصائص ، مثلا ، وقال أبو الحسين أحمد بن فارس فى فقه اللغة ، وقال القالى فى أماليه ، وقال الزجاجى فى أماليه ، وقال ابن خالويه فى كتاب « ليس » ، وقال الجوهرى فى الصحاح . وحكى ابن الأنبارى فى كتاب « الأضداد » وهلم جرا .

وفى « المزهر » بحوث نظرية وعملية ، فمن النظرية : البحث فى اللغة ، هل هى توقيف ووحى ، أو اصطلاح وتواطؤ ، وتتبعه أبواب استطرادية فى ذكر الآثار الواردة ، فى أن الله تعالى علم آدم عليه السلام اللغات ، وفى ذكر إيحاء اللغة العربية إلى نبينا عليه السلام ، ومنها البحث فى معرفة ما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت ، وغير ذلك .

ومن العملية فصول كثيرة منها : معرفة ماورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يعاب ، ومنها معرفة الملاحن والألغاز ، ومنها معرفة ماورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف ، وغير ذلك كثير جدا . — وبه أبواب عن الألفاظ الإسلامية ومميزات العربية . والاشتقاق ، والحقيقة ، والمجاز ، والقلب والإبدال ، والنحت ،

وعلاقة العربية بغيرها من اللغات السامية . وكلام عن الكنى والألقاب، إلى آخره.

ويضيق نطاق الكلام هنا عن أن نفى الكتاب حقه من الوصف ، أو ذكر عدد من أبوابه وبحوثه ، توقف القارىء — كما نشتهى — على حقيقته وقيمته ، وحسبنا أن نقول : إن الكتاب جزءان، طبعاً فى حجم متوسط، يحتويان على أكثر من سبعمائة صفحة مليئة علما وفنا مختلفا أكلهما ، دانية قطوفهما ، تجد فيها الحديث والتفسير ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والتاريخ ، والأدب ، كما تتخلله كلمات اجتماعية موجزة ، وفكاهات علمية غاية فى الطرافة ، مع الأمانة فى النقل ، والدقة فى الملاءمة ، وهو جدير بالدراسة الخاصة ، كما أنه دليل على همة السيوطى وصبره وغزارة علمه .

٣ — الإتقان فى علوم القرآن :

مجلد فى جزئين من الحجم الكبير فى كل جزء نحو ٢٥٠ صفحة فى كل صفحة نحو ٣٤ سطرا .. مطبوع .

وهو كتاب عجيب فى بابه ، ويعتبر فريدا لا نظير له ، وليس معنى ذلك أن مسائله لم يتكلم فيها إنسان ، أو لم ترد فى كتاب . لا . ولكنها وردت مبثوثة فى كتب عدة ، وفى أبواب كثيرة . وتكلم فيها أناس كثيرون ، ويرجع الفضل للسيوطى فى أنه لم يشملها ، وجمعها منظمة منسقة مبوبة فى كتابه هذا ، حتى صارت هيكلا مستقلا متناسق الأجزاء منسجم النواحى ، ذا وحدة متحدة .

وهذه قدرة عجيبة من السيوطى ، تدل على ذهنية متوقدة ، اتجهت به إلى مثل هذا الموضوع الفريد ، فطاف على مؤلفات كثيرة العدد ، مختلفة المشارب ، كثيرة الأقوال ، والمذاهب ، فحقق فيها ودقق ، حتى استبانت له وجوه الصواب ، فحشدها فى كتاب ، بعد أن زودها بماله من ثاقب رأى وصائب فكر .

وهذا الكتاب فى بابه ، شبيه بالمزهر فى بابه . وكل منهما الغاية التى بلغها العلم الذى دون فيه . ولئن استطاع علماء اللغة من بعد السيوطى أن يضيفوا شيئاً جديدا إلى ما كتبه فى « المزهر » ، فإن علماء القرآن وتاريخه ، لم يضيفوا جديدا إلى ما كتبه فى « الإتقان » نظن ذلك غير آثمين .

وموضوع الكتاب: الكلام عن القرآن الكريم كلاما تاريخيا ، فهو ليس تفسيرا، وإن كان بين الاثنين ارتباط . هو وصف له ولسوره وآياته وطريقة النطق بها . ويتطرق إلى بحوث تاريخية ، وبحوث فى التجويد وعلوم اللغة من نحو وبلاغة ، وبحوث فى التوحيد وبيان للإعجاز وهلم جرا .

ومن فصوله : معرفة السور الحضرية وغيرها ، معرفة الصيفى منها والشتائى ، والأرضى والسماوى ، ومعرفة أول مانزل من سوره وآخر مانزل، وأسباب النزول، ومعرفة مانزل من القرآن على لسان بعض الصحابة ، وما تكرر نزوله ، وما تأخر نزوله عن حكمه ، وكيفية نزوله . ومجيء الوحي وكيفياته ، وجمع القرآن، وترتيبه ، ومعرفة المتواتر والمشهور والآحاد ، والشاذ والموضوع والمدرج ، وفيه كلام عن علم التجويد ، وبيان أحكامه فى الإمالة ، والفتح ، والإدغام ، والإظهار والإخفاء ، والإقلاب ، والمد والقصر ، وغير ذلك ، وفيه فصول لبيان غريبه ، وما نزل منه بغير لغة الحجاز ، وبغير لغة العرب ، وهكذا .

وفى الجزء الثانى منه ، فصول عن المحكم والمتشابه ، والمقدم والمؤخر ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، وحديث عن مظاهر البلاغة فيه ، من حقيقة ومجاز، وتشبيه واستعارة وكناية ، وغير ذلك ، وفيه فصل فى إعجاز القرآن ، وفصل فى العلوم المستنبطة منه ، وفصول فى فضائله ومفرداته وخواصه ، وخطه وتأويله .

ثم تكلم مؤلفه عن شروط المفسر وآدابه ، وعن غرائب التفسير ، وختم الكتاب بفصل ممتع عن بعض المفسرين الأوائل وما قيل فى حقهم ، ثم ثنى بذكر التفاسير المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام .

والكتاب — كما اتضح — دليل خالد على رسوخ قدم الرجل فى علوم العربية والدين، وإحاطته الشاملة بكثير جداً مما قيل عن القرآن الكريم ، وحفظه التام لحوادث التاريخ ومعرفته برجاله ، وسعة اطلاعه على كتب المتقدمين بعامة ، وهو فى مقدمة كتبه النفيسة ، ولا غنى لطالب القرآن عنه ، ولا تزال قصارى المتكلمين

فى تاريخ القرآن — حتى اليوم — تنتهى عند هذا المؤلف الجليل .

وقد ذكر المؤلف فى خطبة كتابه هذا ما يفيد أن التأليف فى موضوعه ، أمنية جالت فى نفسه ، واستشرف له فؤاده منذ أمد ، إذ وجد كثيراً من المؤلفين قد وضعوا كتباً عدة فى علم الحديث ، ولم يهتموا بجمع المسائل الخاصة بالقرآن ، وقد زاد استشراف فؤاده للكتابة فى هذا الموضوع ، حينما سمع من شيخه أبى عبدالله محيي الدين الكافيجى ، أنه دوّن فى علم التفسير كتابا لم يُسبق إليه ، وقد كتبه السيوطى عنه ، فوجده صغير الحجم ، وبه بابان وخاتمة : الأول فى ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية ، والثانى فى شروط القول فيه بالرأى . والخاتمة فى آداب العالم والمتعلم - — فلم يرو للسيوطى غلة ، حتى اطلع على كتاب آخر أضخم حجما وأغزر مادة من الأول ، فى مثل هذه الموضوعات التى تدور حول القرآن الكريم ، وهو من تأليف القاضى جلال الدين البلقينى سماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » ، وهو خير من الأول ترتيبا وتبويبا وتقريرا وتحريرا .

كل ذلك حفز همته إلى وضع كتاب لهذه المسائل ، يكون أشمل وأفضل ، وأجمع لشتاتها ، .فوضع كتابا سماه « التحبير فى علوم التفسير » اعتمد فيه على كتاب « مواقع العلوم » السابق ذكره ، — ثم خطر له أن يضع كتابا أوفى ، وأكثر بسطاً وجمعا ، وأفضل ضبطاً ، وأكثر استقصاء . ليكون مقدمة لتفسيره الكبير المسمى « مجمع البحرين ومطلع البدرين » الذى شرع فى وضعه ، وبينما هو يتردد فى هذا الأمر ، ويقلبه على وجوهه ، ظانا أنه أسبق الناس إليه ، إذ بلغه أن الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى الشافعى ، وضع كتابا على هذا المنوال ، حافلا ، وسماه « البرهان فى علوم القرآن » ، فاطلع عليه السيوطى ، فحمد ما فيه ، وكان أكثر حفزاً له على وضع كتابه الذى فكر فيه . قال السيوطى :

« فوضعت هذا الكتاب العلى الشأن ، الجلى البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان ،

ورتبت أنواعه ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان ، وأدمجت بعض الأنواع فى بعض، وفصلت ما حقه أن يبان . وزدته على ما فيه من الفوائد والقواعد والشوارد ، ما يشنف الآذان ، وسميته بالإتقان فى علوم القرآن » .

ويتبين مما سبق أن السيوطى اعتمد على كتب أربعة فى تدوين كتابه «الإتقان» الأول . كتاب الكافيجى . الثانى : كتاب جلال الدين البلقينى . الثالث : كتابه هو المسمى « التحبير » . الرابع : كتاب الزركشى . وكتاب السيوطى أجمع وأوفى ، وبه كلام عن ثمانين مسألة من مسائل علوم القرآن ، أو ثمانين نوعا كما سماها هو ، وقد ذكرنا بعضها فيما سبق .

وقد بين السيوطى أن ثمت كتبا أخرى تكلمت عن بعض هذه الفنون ، ولكنها بالنسبة لكتابه كنقطة لبحر ، ومنها : فنون الأفنان فى علوم القرآن لابن الجوزى ، وجمال القرآن للسخاوى ، والمرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبى شامة ، والبرهان فى مشكلات القرآن لأبى المعالى عزيزى بن عبد الله المعروف بشيدلة .

وهناك كتب أخرى اعتمد عليها أيضاً وأعانته ، ذكرها فى مقدمته ، وهى أكثر من أن تحصى هنا ، وهى جملة من الذخائر والنفائس فى التفسير واللغة والحديث والتاريخ وعلوم القرآن والرسم .

وقد عنى فى كل فصل أن يذكر الأقوال المأثورة فى المسألة مسندة إلى رواتها وإلى الكتب التى ذكرت فيها ، ويفصل القول فى ذلك تفصيلا منظما .

وإليك على سبيل المثل، موجزا عما ذكره خاصاً بالمكى من القرآن والمدنى ، قال: هناك ثلاثة أقوال: الأول أن المكى ما نزل قبل الهجرة، والمدنى ما نزل بعدها . الثانى : أن المكى ما نزل فى مكة ، والمدنى ما نزل بالمدينة . الثالث : أن المكى ما خوطب به أهل مكة . والمدنى ما خوطب به أهل المدينة .

وقد عقد بعد ذلك فصلا بين فيه السور التى اختلف فى مكيتها ومدنيتها ،

والحجج والبراهين المأثورة على ذلك . — ثم عقد فصلا بين فيه المكى من السور والمدنى منها ، وسار على نمطه السابق من الاستشهاد بالمأثور ، مستثنيا من المكى ما فيه من آيات مدنية ، ومن المدنى ما فيه من آيات مكية ، مستشهدا بمن قال بهذه المكية أوالمدنية ، موردا الأقاويل المختلفة ، ولو متناقضة، بالنسبة للآية الواحدة .

وفى الفصول التى تكلم فيها عن بعض المسائل البلاغية موضحا ماجاء منها فى الآيات القرآنية ، سلك مسلك البلغاء لا العلماء ، إذ اعتمد اعتمادا كبيرا على الذوق والروح الأدبية ، فلم يتقيد بأساليب العلماء الجافة . ولهذا أورد كثيرا من الأمثلة فى أسلوب هين لطيف واضح ، ومن ذلك قوله عن النوع الثانى والخمسين فى الجزء الثانى ، وهو فى حقيقة القرآن ومجازه . قال :

« لا خلاف فى وقوع الحقائق فى القرآن ، وهى كل لفظ بقى على موضوعه ، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، وهذا أكثر الكلام . وأما المجاز فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه ، وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية ، وابن خويز منداد من المالكية . وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب ، والقرآن منزه عنه . وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير . وذلك محال على الله تعالى. — وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن . فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن من هذا ، وجب خلوه من الحذف والتوكيد ، وتثنية القصص وغيرها » .

هذا . ومن الغريب أن السيوطى كتب فى خاتمة الكتاب ، ذاما أهل عصره فقال : « وإنى فى زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد ، وغلب عليهم اللؤم ، حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد . . » إلخ . . فالله حسبنا وحسبه .

السيوطى الكاتب الأديب :

أليس من العجيب أن يتواضع السيوطى ، ويعترف على نفسه ، أنه فى الإنشاء والترسل ، أقل مقدرة منه فى أشياء غيره ، مع أنه كتب هذه المؤلفات الكثيرة العدد ، ومنها الواسع النطاق البعيد المدى ؟

إن الإنشاء فى نظرنا هو قدرة المرء على التعبير عن مراده ، بأسلوب واضح أخاذ ، وهى صفة يتصف بها السيوطى ، فهو منشىء كسائر كتاب عصره المنشئين .

وأغلب الظن — كما أشرنا فيما تقدم — أن السيوطى ، إنما قصد من الإنشاء والترسل ، صناعة البديع فحسب ، وقد كانت الكتابة الأدبية فى عصره ، تسير على المنهاج الفاضلى ، الذى أصبح ميزانا لكل كتابة ، ومزاجا لكل أديب ، وميدانا يتسابق فيه فحول المنشئين .

فإذا كان السيوطى يقصد أنه قصر فى اتباع النهج البديعى المذكور ، فهذا حق ، لأنه لايجارى فيه أمثال ابن عبد الظاهر ، وابن فضل الله ، والقلقشندى ، وابن نباتة ، والصفدى ، وابن حجة ، فهو بالنسبة إلى هؤلاء ، أقصر باعا وأقل ذراعا ، ولحياته العلمية — بلا ريب — دخل فى هذا ، فإن طول الاشتغال بالعلم ، وممارسة التأليف ، والانكباب على تحصيل الشوارد ، لايترك للمرء بالا إلى بديع ، ولا ميلا إلى محسنات :

ومع ذلك ، فقد جرى السيوطى فى هذا الميدان ، وسابق هؤلاء الفرسان ، جريا إلى مدى محدود ، وسباقا إلى أفق قريب ، فقد صدرت عنه مقالات ورسائل تثبت له القدرة على الأسلوب البديعى وغلبت عليه الصناعة فى خطب كتبه كلها ، وفى كثير من فصولها ، وسنورد نماذج توضح مانقول .

على أنه حرى ، بأن نذكر له هذه المقامات الكثيرة العدد ، التى نحا فيها منحى بديع الزمان والحريرى ، فابتدع فى بعضها شخصية طريفة ، تدور حولها قصصه هذه ، هى شخصية « هاشم بن القاسم » وهو المتحدث فيها .

ولكنه لم يكن جامدا جمود الحريرى ، سار فى مقاماته على نسق واحد ، ودار حول معنى عام واحد ، وهو الكدية التى اشتغل بها أبو زيد السروجى ، لا ، وإنما حرر السيوطى نفسه كما حرر ابن الوردى نفسه من قبله فى مقاماته ، فضمن السيوطى بعض مقاماته ، مثلا ، موازنات ومنافرات ، وضروبا من الحوار التمثيلى ،

يشعرنا بأن هذه الضرب من الأدب – أعنى الحوار التمثيلي – طاف فى أفئدة القوم إذ ذاك . وبدت بعض مقاماته مقالات وصفية طريفة فى موضوعات شتى ، كتبها جميعا بأسلوب بديعى سهل التركيب ، لا يشوده مافيه من السجع ، ولا يثقله ماوعاه من جناس أو تضمين أو اقتباس ، إلا بقدر يسير ، وتتخلله الفكاهة والأبيات الشعرية .

ومن مقاماته : مجموعة مطبوعة تحتوى على ست مقامات هى : المقامة الوردية والمسكية ، والتفاحية « فى وصف أنواع من الفاكهة » . والزمردية « فى وصف أنواع من الخضراوات » ، والفستقية « فى وصف بعض الثمار كاللوز والبندق والجوز » . والياقوتية « فى وصف أنواع من الأحجار الكريمة » .

وفى المقامة الوردية : افترض المؤلف أن الأزهار اجتمعت عساكرها ، واتفقت على عقد مجلس حافل ، لاختيار من هو بالملك أحق ؛ فصعد كل منها المنابر ، ليبدى حجة المناظر . . الخ . .

ثم تكلم الورد ، فالنرجس ، فالياسمين ، فالبان ، فالنسرين ، فالبنفسج ، فالنيلوفر فالآس ، ثم الريحان . وكل منها يرشح نفسه ويزكيها بضروب من البيان ، يذكر فيها أوصافه ومزاياه ، وينحى على غيره باللائمة ويذكر له مايشينه . وهكذا . . وفى النهاية أسلم الجميع للريحان ، وخضعوا لسلطانه .

ومن مقاماته : « رشف الزلال من السحر الحلال » ، وتسمى « مقامة النساء » . وفيها يتحدث عشرون عالما ، مختلفون فى فنونهم ، بينهم المقرىء والمفسر والمحدث والفقيه والأصولى .. الخ .. أما موضوع الحديث أو الحوار ، فهو أن يحكى كل منهم ماجرى بينه وبين عرسه ، ليلة دخوله بها . . على شرط أن يورى بمصطلحات علمه وفنه . مع الحث على مخالطة النسوان ، ومجانبة الغلمان .. لاغرابة إذن أن تكون هـــذه المقامة مليئة بالمجون والأدب المكشوف .

وللسيوطى بجوار هذا ، مقامة تسمى « المقامة السندية فى النسبة المصطفوية »

وموضوعها التدليل على نجاة والدىّ المصطفى عليه السلام ، من النار ، مع إيراد أقوال العلماء والفقهاء فى ذلك ، وتزييف من خالفها ، ودحضه .

وهى شبيهة برسالته « السبل الجلية فى الآباء العلية » بموضوعهما واحد . وقد ذكر السيوطى فى رسالته هذه ، أنها سادس مؤلف له فى هذا الموضوع . والواقع أنها تكرار لما سبقها ، ولكن فى ثوب قشيب ، ولفظ خصيب . فبينما ترى « السبل » رسالة علمية ، إذ ترى « المقامة السندسية » قطعة أدبية . وسنورد فيما يلى شيئاً منها .

ويضيق مقام القول ، إذا ذهبنا نتكلم عن كل مقامة على حدة — وهى بذلك حرّية — فنجمل ذكر عدد منها . لنرى إلى أى حد ، برّز السيوطى وأجاد ، فى فن المقامات . وكل منها يكاد عنوانها ينطق بما تحتويه .

فن مقاماته : الزهرية . وهى محاورة ومناظرة بين الأزهـــار . والتفاحية . والجيزية فى وصف الجيزة . والأسيوطية فى وصف أسيوط . وبلبل الروضة فى وصف روضة مصر . وطرز العمامة فى التفرقة بين المقام والمقامة . وطوق الحمامة . والفرج القريب . والمقامة اللؤلؤية . والمقامة اللازوردية . والمقامة المسكية [1] .

ولا نترك هذا المجال ، دون أن ننوه بكتاب للسيوطى ، حافل بضروب الأدب وشتى الطرائف . وهو « الكنز المدفون . والفلك المشحون » . [1] وهو مطبوع فى نحو ٣٥٨ صفحة ، ويحتوى على شتات من الأدب مجموع ، وبضائع منه محشودة فى صعيد ، ولا يعدو أن يكون مختارات . ولكنها مختارات بارعة مسلية ، فيها الحكم والأمثال والموازنات والقصص واللغويات والاستطرادات التاريخية ، والمقطوعات الشعرية ، وطرف السّير . فهو شبيه بكتاب « العقد الفريد » لابن

---

(١) راجع فهرس دار الكتب المصرية . « فهرس الآداب العربية » تر هذه المقامات ، وكثير منها مطبوع . وسنعود بعون الله إلى الحديث عنها بإسهاب فى الجزء الرابع من هذا الكتاب ، تحت عنوان « فن المقامات » .

١ — روى جميل العظم فى « عقود الجوهر » أن من مؤلفات السيوطى : « الفلك المشحون » فى خمسين مجلدا . فلعلها خمسون بابا ، أو خمسون مجلدة صغيرة ، أو لعله كتابه « الكنز المدفون » أو أن « الكنز » هو ملخص الفلك . أو كتاب غيره . والله أعلم .

عبد ربه ، غير أن كتاب « العقد » يمتاز عنه بحسن الترتيب والتبويب . وسنورد منه نموذجا .

وعلى نسق من كتاب « الكنز » ألف السيوطى كتاباً أصغر منه، هو كتابه « تحفة المجالس ونزهة المجالس » . هذا وغيره ، يثبت لنا رسوخ قدم السيوطى فى ميدان الأدب ومجال الكتابة والإنشاء .

وإليك نماذج وأمثلة من كتابته الأدبية :

١ — قال فى مطلع مقامته السندسية فى النسبة المصطفوية ، يمدح المصطفى عليه السلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . » — نبي سرى . قدره علىّ ، وبرهانه جلىّ ، خير الخليقة أما وأبا . وأزهاهم حسبا ونسبا ، خلق الله لأجله الكونين ، وأقرّ به من كل مؤمن العينين ، وجعله نبي الأنبياء ، وآدم منجدل فى طينته ، وكتب اسمه على العرش ، إعلاما بمرتبته عنده وفضيلته ، وتوسل به آدم ، فتاب عليه ، وأخبره أنه لولاه ماخلقه ، وناهيك بها مزية لديه .

نبي خص بالتقديم قدما وآدم بعدُ فى طين وماء
كريم بالحيا من راحتيه يجود وفى المحيا بالحيـــاء

ومن خصائصه . فيما ذكره الغزالى وغيره ، أن الله ملكه الجنة . وأذن له أن يُقطع منها من يشاء ماشاء وأعظم ذلك منه ، وخصه بطهارة النسب تعظيما لشانه . وحفظ آباءه من الدنس ، تتميما لبرهانه ، وجعل كل أصل من أصوله ، خير أهل زمانه . » . إلخ

٢ — ومن كتابه « الكنز المدفون » :

قال فى الحكم : « افرح بما لم تنطق به من الخطاب ، مثل فرحك بما نطقت به من الصواب ، أحزم الناس من وقى نفسه بماله ، ودينه بنفسه ، الإخوان فى الله ،

عز وجل ، ذخائر فى الشدائد ، ماأنصفك من منعك ماله ، وكلفك إجلاله . ماأقبح الخضوع عند الحاجة ، والتكبر عند الاستغناء » .

ومن حكاياته ، قال : « جاءت امرأة إلى قاض ، فقالت : مات زوجى ، وترك أبويه ، وولدا وأهلا وامرأة . فقال : لأبويه الثكل ، ولولده اليتم ، ولامرأته الأيم ، ولأهله القلة والذلة ، والمال يُحمل إلى ههنا لئلا تقع بينكم الخصومة . »

ومن لغوياته ، قال : « فائدة : الصيدلانى : هو العطار — النخاس : دلال الرقيق — الجهبذ : الجابى — ، القسطار : الصيرفى — الحداد : البواب — القرموصى الفاخرانى — الملاح : رئيس السفينة — القينة : المغنية — القصاب : الجزار — الفرسطون : القبان » .

٣ — وترجم لشيخه « الشُّمُنّى » فى الجزء الأول من حسن المحاضرة ، فقال « قدوة عين الزمان وإنسانها ، وواحد عصره فى العلوم بحيث خضعت له رجالها وفرسانها ، وشجرة المعارف التى طاب أصلها ، فزكت فروعها وأغصانها ، ورياض الآداب التى فاضت ينابيعها ، وفاحت زهورها ، وتنوعت أفنانها ، إن أخذ فى التفسير ، كلّ عنده الكشاف واختفى ، أو الحديث ، كان عن ألفاظه الغريبة مزيل الخفا ، أو الفقه ، عُدّ للنعمان شقيقا ، أو النحو ، كان للخليل رفيقا . أو الكلام ، فلو رآه النظّام اختل نظامه ، ولو أدركه صاحب المواقف ، لقال : أنت فى كل موقف ، مقدمه وإمامه . » . الخ

كتابته العلمية :

للسيوطى أسلوب علمى ، دبج به مؤلفاته التى لا تحصى ، وقد نوهنا بأوصافه فيما مر . ويغلب عليه روح التحدث والقص والسرد ، فى غير غموض أو إبهام ، ولا سيما فى حوادث التاريخ ، كما فى حسن المحاضرة ، غير مقيد بسجع أو بديع . وهو مع سرده الحديث واسترساله ، لم يسف ، ولم ينزل إلى العامية إلا لماما . — ويهتم السيوطى بالرواية ، وينقل عن كثيرين : فينص عليهم ، وعلى مواضع نقله

من مؤلفاتهم . ويخشُن أسلوبه، عادة، إذا كان بصدد علم كالنحو . ولهذا، شتان بين أسلوبه فى حسن المحاضرة ، وأسلوبه فى المزهر ، مثلا .

السيوطى الشاعر :

ولم لا يكون شاعرا ؟ أليس أديباً مطلعاً ، ألم نشعر بما له من حساسية الشاعر؟ هو فى هذه الناحية شبيه بابن حجر العسقلانى ، وجهتهما حياتهما العلمية بعيدا عن الأدب الذى هو مزاج لنفسيهما ، فكانا يعاودانه الفينة بعد الفينة . وتتراءى على شعرهما المسحة العلمية . وإن كان ابن حجر أرق وأغزل من السيوطى .

ونظم السيوطى فى الإخوانيات والرثاء ، والمدح النبوى ، ووصف الأحداث العامة . غير أنه ذو باع طويل فى نظم العلوم والفنون . ونذكر له فى هذا الغرض الأخير ، القصائد الآتية :

١ — التبرى من معرة المعرى : أرجوزة فى أسماء الكلب . ٢ — تحفة الظرفاء فى أخبار الخلفاء : ذكر فيها أسماء الخلفاء وسنوات وفاتهم . ٣ — الخلاصة : وهى نظم كتاب الروضة فى الفقه . ٤ — جواهر العقود : فى الفقه أيضاً . ٥ — الفريدة : ألفية فى النحو والصرف والخط . ٦ — قطف الثمر فى موافقات عمر : أرجوزة فى موافقات سيدنا عمر للتنزيل . ٧ — مختصر ملحة الإعراب للحريرى : فى مائة وعشرين بيتا . ٨ — موشحة فى النحو . ٩ — النهد : قصيدة رائية فى الفقه . ١٠ — التثبيت عند التبييت : وهو مخطوط ، عبارة عن أرجوزة مزدوجة فى سؤال الميت فى القبر وما يتصل بذلك .

هذا ، وله إلى جانب ذلك شعر كثير ، منه : ١ — نظم البديع فى مدح خير شفيع : وهى بديعية عارض بها بديعية ابن حجة الحموى فى مدح الرسول عليه السلام ، وقد وضع لها شرحا . ٢ — نور الحديقة : مجموعة من نثره وشعره ومنتخبات من ديوان شعره الكبير .

وإليك نماذج من شعره :

١ ـ روى ابن إياس فى البدائع «ج ٤ عام ٩١٠ هـ» أنه لما انتشر الوباء فى العام المذكور، وفتك بالناس، قال: «وقال شيخنا السيوطى»:

يارب بالهادى النبي المجتبي   أغمد عن الإسلام أسياف الوبا
يارب لا نشكو أليم عذابه   إلا إليك فقد أخاف وأرعبا
كم حل فى دار فبدد شمل من   فيها فلا يجدون منه مهربا
يارب لطفا بالعباد فما لهم   رب سواك يقيهمو المستصعبا
إنا اعترفنا بالذنوب فكلنا   عاص مسىء للعذاب استوجبا
لكن إذا قرنت عظيم ذنوبنا   بعظيم عفوك كان عفوك أغلبا
إن كان لا يرجوك إلا محسن   فى العالمين فمن يجير المذنبا

٢ ـ وقال من قصيدة فى نحو خمسين بيتا، يرثى شيخه الشمنى المتوفى فى ذى الحجة عام ٨٧٢ هـ:

رزء عظيم به تستنزل العبر   وحادث جل فيه الخطب والغير
رزء مصاب جميع المسلمين به   وقلبهم منه مكلوم ومنكسر
مافقد شيخ شيوخ المسلمين سوى انـــهدام ركن عظيم ليس ينعمر
رزيئة عظمت بالمسلمين وقد   عمت وطمت فما للقلب مصطبر
تبكيه عين أولى الإسلام قاطبة   ويضحك الفاجر المسرور والغمر
من قام بالدين فى دنياه مجتهدا   وقام بالعلم لا بالواو يقتصر
كل العلوم تناغيه وتنشده   لما قضى مهلا يأيها البشر
إذ كان فى كل علم آية ظهرت   وما العيان كمن قد جاءه الخبر . . الخ.

[حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٥]

٣ ـ وقال فى مطلع قصيدته، «التثبيت عند التبييت»، وموضوعها:

الكلام عن سؤال الميت فى قبره، وأنه حق، وأن الإيمان به واجب. وتعتبر من شعر العلوم والفنون، قال:

الحمد لله على الإسلام والشكر لله على الإنعام
وأفضل الصلاة والثناء على النبي خاتم الأنبياء
وآله أهل التقى وصحبه وجنده أهل النهى وحزبه
وهذه أرجوزة مفيدة ضمنتها فوائداً عديدة
فى فتنة المقبور حين يسأل وما أتى به النبي المرسل
اعلم هداك الله للرشاد موفقا لطرق السداد
أن الذى عليه أهل السنة لحجج أمضى من الأسنة
أن سؤال الملكين مَن قُبر حق به الإيمان فرض قد شهر
أتى به القرآن بالإشارة ووافقت آياته آثاره
تواترت به الأحاديث التى قد بلغت سبعين عند العدة
والآية السؤال فيها كامنُ يثبت الله الذين آمنوا.. الخ.

وفاة السيوطى:

كانت مدة حياته نحواً من اثنتين وستين سنة. وافته منيته بعد حياة حافلة مباركة، فى ٩ جمادى الأولى عام ٩١١ هـ. وقد قال عنه ابن إياس، فى حوادث اليوم المذكور، بالجزء الرابع من بدائعه، مانصه:

«كانت وفاة شيخنا الحافظ العلامة، جلال الدين الأسيوطى، ... . وكان عالما فاضلا بارعا فى الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم، وكان كثير الاطلاع نادرة فى عصره، بقية السلف وعمدة الخلف. بلغت عدة مصنفاته نحوا من ستمائة تأليف، وكان فى درجة المجتهدين فى العلم والعمل.

ولما مات ، دفن بجوار خانقة قوصون ، التى هى خارج باب القرافة ، قيل: لما غسل أخذ الغاسل قميصه وقبعه ، فاشترى بعض الناس قميصه من الغاسل ، بخمسة دنانير، للتبرك به ، وابتاع قبعه الذى كان على رأسه ، بثلاثة دنانير للتبرك به.

ولما مات ، رثاه شيخنا عبد الباسط[1] بن خليل الحنفى ، بهذه الأبيات ، وهى قوله :

مات جلال الدين غوث الورى   مجتهد العصر إمام الوجود
وحافظ السنة مهدى الهدى   ومرشد الضال[2] لنفع يعود
فياعيون انهملى بعده   ويا قلوب انفطرى بالوقود
وأظلمى دنياى إذ حق ذا   بل حق ان ترعد فيك الرعود . إلخ .

« ترجمته فى : (١) كتابه حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٥ (٢) بدائع ابن إياس ج ٢ ص ٢٩ ، ١١٩ ، ١٤٢ ، ١٦٩ ، ٢٣٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٩١ — ج ٤ حوادث شوال عام ٩٠٦ هـ ، وذى الحجة عام ٩١٠ هـ ، وجمادى الأولى عام ٩١١ هـ ، وص ٦٥، ٧٩، ٨٣ — ج ٣ ص ٦٢ (٣) الضوء اللامع للسخاوى ج ٤ رقم ٢٠٣ (٤) البدر السافر للعيدروسى . (٥) جورجى زيدان ج ٢ ص ٢٢٩ . (٦) عقود الجوهر لجميل العظم ج ١ ص ١٩٤ . (٧) ولتيمور باشا رسالة فى تحقيق قبر السيوطى ، منه بدار الكتب ، نسخة مطبوعة (تأريخ رقم ٣٢٥٣) » .

---

١ — الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى كان شاعراً ومؤرخا وفقيها ، وتوفى عام ٩٢٠ ، رواه ابن إياس فى البدائع ج ٣ ص ٦٣

٢ — هكذا فى الأصل .

١٢ - زين الدين زكريا الأنصارى [١] ٨٢٤ هـ - ٩٢٦ هـ

هو خاتمة علماء العصر وأحد أفذاذ الدهر ، وذائد من ذادة الحق والبيان ، وقائد من قادة الدين واللسان . شيخ الإسلام الجليل ، والقاضى العف النزيه . الورع التقى ، العالم الفاضل ، الثبت المناضل ، ذو القول الفاصل . المبارك عمره ، الحافلة حياته .

وهو زين الدين أبو يحيى ، زكريا بن محمد بن محمد الأنصارى ، السنيكى القاهرى الأزهرى الشافعى المذهب ، ورأس شافعية زمانه .

مولده ووفاته :

ولد زكريا الأنصارى فى قرية سنيكة من أعمال الشرقية فى عام ٨٢٤ هـ ، ومات فى يوم الأربعاء ثالث ذى الحجة عام ٩٢٦ هـ ، بعد حياة كريمة مليئة بالعمل الطيب الصالح ، قدرها نحو مائة وستتان . فهو أحد المعمرين .

شىء من حياته :

أقام الأنصارى بقريته ردحا من الزمان ، حفظ فيه القرآن ، وعمدة الأحكام ، وبعض مختصر التبريزى فى الفقه . ثم يمم شطر القاهرة طلبا للعلم ، فى عام ٨٤١ هـ ، فسكن الأزهر . وأتم حفظ المختصر ، كما حفظ عدة كتب أخرى ، هى عدة الطالب وسند الراغب ، ومنها : المنهاج الفرعى ، وألفية النحو ، والشاطبيتان ، وبعض المنهاج الأصلى ، ونحو نصف ألفية الحديث . وبعض كتاب التسهيل ، ثم غاب عن القاهرة ببلده ، فترة من الزمن ، عاد بعدها إليها ، يرتشف رحيق العلم ، وينهل من مناهل الأدب ، ويتردد على مجالس العلماء ، . من الجلة الفضلاء ، بروح مشغوفة تواقة ، ونفس كلفة مشتاقة . فتلقى دروس الفقه على القاياتى وعلم الدين البلقينى وابن حجر العسقلانى ، وشرف الدين السبكى ، وشرف الدين المناوى وغيرهم . ودرس أصول

---

١ — كتبنا عنه كلمة فى باب القضاة بالجزء الاول من هذا الكتاب . — وقد ذكر ابن إياس أن مولده كان فى سنة ٨٢٤ هـ وروى السخاوى أنه كان فى سنة ٨٢٦ هـ .

الفقه على القاياتى أيضاً ، والكافيجى ، وعز الدين عبد السلام البغدادى ، وابن الهمام ، والشمنى وغيرهم . وقرأ على بعض هؤلاء ، دروسا فى النحو والبلاغة واللغـة والتفسير . كما درس علم الهيئة والهندسة والميقات والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وشيئاً فى الطب والتصوف وفى القراءات والسيرة والتاريخ . وقد سمع الحديث النبوى ودرسه فى صحيح مسلم وسنن ابن ماجه والنسائى ، وغيرهما . وكان من أساتذته فى الحديث ، بعض من تقدم من الشيوخ ، وكذلك المعز بن الفرات ، والبرهان الصالحى ، وزين الدين رضوان ، وكان ملازما له .

وقد حج فى سنة ٨٥ هـ ، وسمع الحديث من بعض الشيوخ بمكة كالشرف أبى الفتح المراغى ، والتقى بن فهد ، وأبى اليمن النويرى وغيرهم .

وقد أجازه كثيرون من أساتذته كابن حجر ، بالإفتاء والإقراء . فاستمد من الله العون ، وتصدى للتدريس ، فتخرج به كثيرون من الأفاضل . وقصده الناس طلبا للفتوى ، فى حياة شيوخه .

وولى مناصب كثيرة جليلة منها مشيخة التصوف بجامع العلم بن الجيعان ، ومشيخة التصوف بمسجد الطواشى علم دار ، والتدريس بتربة الظاهر خشقدم ، وتدريس الفقه فى المدرسة السابقية ، كما تولى الدرس الذى قرره السلطان قايتباى بجوار مسجد الشافعى ، ووكل إليه نظر وقفه ، ونظر القرافة ، وفى آخر عمره تولى التدريس بمشيخة الجمالية .

وكان السلطان خشقدم من قبل ، قد عرض عليه منصب القضاء الأكبر ، فأبى . أما قايتباى ، فما زال به حتى قبله فى ٣ رجب عام ٨٨٦ هـ ، بعد تمنع وتأب وشروط ، قبل قايتباى بعضا منها . وقد مارس القضاء بنزاهة وكفاية ودراية وتقوى وحفاظ على العدالة . ورعاية للحق . وسعى إليه الجاه ، وامتد صيته فى الآفاق ، وأصبح شيخ الإسلام فى عصره غير منازع . وقد لبث فى دست القضاء مدة طويلة تبلغ زهاء عشرين عاما متوالية ، وهى ظاهرة فذة فى تاريخ القضاء على

ما نعلم ـ فى هذا العصر ، الذى قصرت فيه آجال القضاة فى مناصبهم ، لتنافسهم فى سبيل بلوغه ، واستباحة الوساطة ، والرشوة إليه .

ولما ضعف الشيخ فى عام ٩٠٦ هـ ، فصل نفسه من القضاء فى شهر صفر ، ثم أعادته إليه الملابسات مضطرا ، ثم اعتزله ثانية إلى غير عودة ، فى يوم الخميس ثامن ذى الحجة من نفس العام .

وقد كف بصره بأخرة ، وأطال الله عمره ، وبارك له فى أجله ، وعاصر جملة من سلاطين الدولة الجركسية ، حتى شهد مصرع دولتهم على يد العثمانيين .

وقد كان الشيخ — رحمه الله — قرابة نصف قرن ، العلم البارز فى البلاد والعالم المشار إليه ، والمستهدى به فى مدلهمات الأمور .

وقد اشترك الشيخ اشتراكا ما ، فى فتنة ابن الفارض عام ٨٧٥ هـ ، التى انقسم فيها العلماء فريقين : فريق يكفر ابن الفارض ، لما فرط منه من ألفاظ توهم الحلول ونحوه ، وفريق يؤول كلامه ، ويعتذر له ، ويدافع عنه ويثبت إيمانه ، ومن هذا الفريق شيخ الإسلام الأنصارى . وكانت الفتنة قد استشرى خطرها وتطاير شررها بين العلماء ، وتابعتهم العامة فى ذلك ، حتى كتبت فتوى فى الموضوع ودفعت إلى الشيخ ، فأفتى فيها بإيمان ابن الفارض ، واعتذر له بعجز لغته عن بلوغ معانيه . فهدأت ريح الفتنة ، وسكن ثائرها [1] .

الأنصاري بين مدح السخاوى وقدحه :

ترجم السخاوى للشيخ زكريا الأنصارى ، فى كتابه « الضوء » ، وقد شاد ببعض صفاته ومميزاته ، غير أنه لم يسلم من خفقات لسانه وضربات نقده ، كما هو شأنه فى ترجمة كثير من أعلامه . ونعرض هنا شيئا من مدحه وقدحه فيه .

فمما مدحه به : أنه كان إماما فاضلا ، درس الجم من العلوم . وأنه ألف فى أغلبها

١ — فصلنا الحديث عن هذه الفتنة فى الجزء الأول من هذا الكتاب ـ القسم الثانى ص ٤١٣ ـ فراجعها وراجع أيضا حادثة المثالى رقم ١٦ ص ٤٠٧ بالقسم الثانى كذلك . وفيها كان للشيخ الانصارى موقف .

هذه العلوم مؤلفات ثمينة ، منها ما كان يدرس فى حياته ، وطار ذكره فى الآفاق، ككتابه « شرح البهجة الوردية » . وأنه قرأ على طلابه كثيرا من مؤلفاته بنفسه . وأنه كان متواضعا حسن العشرة، فى أدب جم ، وعفة تامة ،وانجماع عن بنى الدنيا ، وتقلل من ملاذ الحياة ، وسمو فى النفس ومزيد من العقل ، وسعة فى الإدراك ، وتحمل للناس ، وتحمل ، ومداراة ومسايرة ، كفا للقيل والقال، مع تودد وحب للخير ، ومع تهجد وإقبال على العبادة . وأنه خرّج الفضلاء ، وربط بينه وبين الناس بصلة ود ، ورابطة صداقة . ومن أخصهم السخاوى نفسه ، فقد كانا صديقين حميمين . .

وبما قدح فيه به : أنه مع توافد الطلاب عليه ،وأخذ الفضلاء عنه ، كان أقل علما من غيره ، وكان هؤلاء الفضلاء يعلمون حقيقة شأنه . . ولكن الحظ أغلب . . — ويرى السخاوى من وراء ذلك ، إلى أن الأنصارى كان محظوظا فحسب ، وأن ما رُزقه من الصيت ، لا يتكافأ مع منزلته فى العلم . -

واتهمه السخاوى بأنه أخذ يشرح الحديث — فى غيبة السخاوى — بلفظه — أى بلفظ السخاوى . وقال بالنص : « كنت أتوهم أن كتابته أمتن من عبارته ، إلى أن اتضح لى أمره ، حين شرع فى غيبتى يشرح ألفية الحديث ، مستمدا من شرحى ، بحيث عجب الفضلاء من ذلك . وقلت لهم من ادعى ما لم يعلم ، كذب فيما علم » . والسخاوى بذلك يطعنه طعنة مصمية، إذ يصمه بالسرقة من كتبه ، ونسبة كلامها إلى نفسه ، ويتطرق من ذلك إلى التشكيك فى بقية علمه . وأعتقد أن السخاوى غير مصيب فى هذا الادعاء . وقد يكون الأنصارى ، اعتمد على بعض شروحه، وبخاصة وقت درسه إلى طلابه . وهذا أمر معتاد بين العلماء والمدرسين، ولا يستحق أن يوصم المرء لذلك بالسرقة والكذب . وأن يُشكك فى علمه .

وبما اتهمه به ، أنه كان يعظم ابن الفارض وابن عربى . والسخاوى بذلك يُوهم أن الأنصارى يدين بما يدينان به هما وأمثالهما . وكان يرى فيهما حلوليين ، لا يستقيم مذهبهما ، مع مذهب السلف وأهل السنة . ولكننا إذا رجعنا إلى فتوى

الأنصارى الخاصة بابن الفارض . عند اشتداد الفتنة بين علماء العصر بسببه، عام ٨٧٥ هـ — كما نوهنا — يرى رأى الأنصارى فى ابن الفارض واضحا جليا . وخلاصة هذا الرأى ، أن ابن الفارض لم ينحرف، ولم يقل بالاتحاد أو الحلول — فهو ينفيهما عنه — ويحمل عباراته على قصور اللغة عن أداء حالاته الشعورية، وعلى التجوز فيها . وقد قال الأنصارى فى مطلع هذه الفتوى : « يحمل كلام هذا العارف — رحمة الله عليه ، ونفع ببركاته — على اصطلاح أهل طريقته : بل هو ظاهر فيه عندهم . إذ اللفظ المصطلح عليه . حقيقة فى معناه الاصطلاحى ؛ مجاز فى غيره كما هو مقرر فى محله . ولا ينظر إلى ما يوهمه تعبيره فى أبيات فى التائية من القول بالحلول والاتحاد ؛ فإنه ليس من ذلك فى شىء ، بقرينتى حاله ومقاله ؛ المنظوم فى تائيته بقوله من أبيات فى القصيدة :

ولى من أتم الرؤيتين إشارة   تنزه عن رأى الحلول عقيدتى . » . الخ

ويتضح من هذا أن الأنصارى ينفى اعتقاد الحلولية والاتحاد عن ابن الفارض . ولا يهمنا فى هذا المقام تمحيص الرأى بالنسبة لابن الفارض ، بل بالنسبة للأنصارى نفسه، فأدنى ما يشعر به، توضيحه أنه هو نفسه لا يدين بالحلول ولا الاتحاد، وإذن فلا غبار عليه . ثم لا غبار عليه إذا مال إلى ابن الفارض ودافع عنه على هذا الأساس.

ومما اتهمه به أيضاً : أنه لما ولى نظر بعض الأوقاف ، كانت ولايته نقمة على المستحقين المسلمين ، ولهذا صرفه السلطان عن نظر القرافتين .. وهو يرميه هنا بسوء تصرفه وجهالته وظلمه للمستحقين . وتأبى لباقة السخاوى ، إلا أن تقحم لفظ « المسلمين » هنا بجوار المستحقين ، ليكون لها أثرها الفعال فى عاقبة نقده . ويُعقب على سوء تصرف الأنصارى بقوله « ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة » وكأنى به يدعى عليه بسرقة المال وحرمان المستحقين منه . .

والغريب أن السخاوى الذى يقول هذا القول فى الأنصارى ، يقول إنهما صديقان حميمان ، وأنه ولى القضاء بنزاهة وكفاية . وأنه تعفف عنه زمنا طويلا...

مؤلفاته :

كان الأنصارى لا ينى يمارس التأليف ، على الرغم من مشاغله الكثر ، ولم يقتصر تأليفه على علم واحد ، بل امتد أفقه إلى علوم جمة ، فألف فى النحو والصرف والفقه والأصول والقراءات والبلاغة ، والفرائض ، وآداب البحث والمنطق ، والتفسير وشرح الحديث والفلسفة والأدب ، والعروض والقافية والتوحيد ـ غير أن الملحوظ بصفة عامة ، أن أكثر مؤلفاته مختصرات أو شروح على كتب أخرى من مؤلفات من تقدمه ، أو من مختصراته هو نفسه . كما أن بعضها معقد العبارة يحتاج إلى توقيف . وقد ذكر السخاوى بعض مؤلفاته فمنها :

١ — فتح الوهاب بشرح الآداب ، قال السخاوى إنه فى آداب البحث .

٢ — غاية الوصول إلى علم الفصول : وهو شرح كتاب « الفصول » لابن الهائم فى الفرائض وقد مزج فيه الشرح بالمتن . ٣ — منهج الوصول إلى تخريج الفصول : وهو شرح آخر للفصول ، غير ممتزج بمتنه ، وهو أسهل الشرحين . ٤ — التحفة الأنسيه لغلق التحفة القدسية : وهو شرح كتاب « التحفه القدسية » لابن الهائم فى الفرائض كذلك . ٥ — نهاية الهداية فى تحرير الكفاية ، وهو شرح كتاب ابن الهائم المسمى « الكفاية » . ٦ — الغرر البهية فى شرح البهجة الوردية : وهو شرح لبهجة الحاوى . ٧ — تنقيح اللباب لولى الدين العراقى ؛ وهو فى الفقه والأصول . ٨ — مختصر الروضة لابن المقرى ، المسمى بالروض . ٩ — حاشية على شرح البهجة للولى العراقى . ١٠ — شرح شذور الذهب لابن هشام المصرى : فى النحو ١١ — شرح بعض الألفية : فى النحو . ١٢ — شرح مقدمة التجويد لابن الجزرى : فى القراءات . ١٣ — مختصر قرة العين ، فى الفتح والإمالة بين اللفظين ، لابن الناصح : فى القراءات . ١٤ — أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر . ١٥ — شرح إيساغوجى فى المنطق . ١٦ — شرح المنفرجة فى المنطق ، وهو مطول ، وله شرح آخر مختصر .

ومن كتبه بدار الكتب المصرية — وأكثرها مخطوط — ، ومن بينها بعض ماذكرناه :

١ — فى القراءات : تحفة نجباء العصر ، فى أحكام النون الساكنة والمد والقصر. الدقائق المحكمة فى شرح المقدمة « الجزرية ». المقصد لتلخيص مافى المرشد. ٢ — فى التفسير: فتح الرحمن بكشف مايلتبس من آى القرآن . فتح الجليل ببيان خفى أنوار التنزيل : وهو تعليق على تفسير البيضاوى . مقدمة فى الكلام على البسملة والحمدلة وعلى الحمد والشكر والمدح لغة وعرفا . ٣ — فى مصطلح الحديث : فتح الباقى بشرح ألفية العراقى . ٤ — فى الحديث : شرح الأربعين النووية . فتح العلام بشرح الأعلام بأحاديث الأحكام . ٥ — فى علم الكلام : لوامع الأفكار فى شرح طوالع الأنوار . ٦ — فى المنطق : المطالع وهو شرح إيساغوجى لأثير الدين الأبهرى . شرح ضابطة إنتاج الأشكال الأربعة لسعد الدين التفتازانى . ٧ — فى التصوف والأخلاق : إحكام الدلالة على تحرير الرسالة ، وهو شرح على الرسالة القشيرية . رسالة فيما تداولته الصوفية من الأقوال . فتح الرحمن بشرح رسالة الولى رسلان . الفتوحات الإلهية فى نفع أرواح الذوات الإنسانية . ٨ — فى أصول الفقه : حاشية على التلويح للسعد التفتازانى ، طبع الهند . حاشية على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع . غاية الوصول إلى شرح لب الأصول . فتح الرحمن بشرح لقطة العجلان وبلة الظمآن، للشيخ محمد بن عبد الله الزركشى . لب الأصول : وهو مختصر من جمع الجوامع للسبكى . ٩ — فى فقه الشافعية : تحرير[1] تنقيح اللباب : « لباب الفقه لأبى الحسن المحاملى . والتنقيح لولى الدين العراقى . والتحرير للأنصارى وهو اختصار التنقيح » . فتح الوهاب بشرح تنقيح

(١) تحرير التنقيح غير فتح الوهاب المذكور بعده فالأول مختصر، التنقيح والثانى شرحه. — وللشيخ عبدالرءوف المناوى الحدادى شرح على تحرير التنقيح اسمه « احسان التقرير فى شرح التحرير » مخطوط رقم ١١٥٩ فقه بدار الكتب المصرية، وللانصارى نفسه شرح على التنقيح ، وهو التحفة المذكورة بعده .

اللباب . عماد الرضا ببيان آداب القضا[1]. الغرر البهية فى شرح البهجة الوردية : فى ثلاثة مجلدات . ويبدو أنها شرحها الكبير . فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب . فتيا فى الرد على من قال بكفر ابن الفارض . منهج الطلاب : طبع ١٠ — فى الفرائض : غاية الوصول إلى علم الفصول . وهو شرح على « الفصول المهمة فى علم ميراث الأمة » لابن الهائم . الفتحة الأنسية لغلق التحفة القدسية فى اختصار الرحبية : وهو شرح على كتاب « التحفة القدسية » لابن الهائم أيضا . منهج الوصول إلى تحرير الفصول : وهو شرح آخر على كتاب الفصول لابن الهائم . نهاية الهداية إلى تحرير الكفاية . « والكفاية لابن الهائم » كذلك . ١١ — فى التصوف أيضا: تلخيص الأزهية فى أحكام الأدعية « والأزهية لبدر الدين الزركشى » الفتوحات الإلهية فى نفع أرواح الذوات الإنسانية : وهو مختصر فى التصوف فيه عشرة فصول . اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم . ١٢ — فى اللغة وفنونها : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة . المناهج الكافية فى شرح الشافية . بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب لابن هشام . الدرة السنية على شرح الألفية . أقصى الأمانى فى علم البيان والبديع والمعانى . ملخص تلخيص المفتاح ، « التلخيص للجلال القزوينى » . فتح رب البرية بشرح القصيدة الخزرجية .

هذا وقد شرح الشيخ الأنصارى كتابه « أقصى الأمانى » بكتاب آخر اسمه: « فتح منزل المثانى » وقد طبع ، ومنه نسخة بدار الكتب بالمنصورة .

التعريف ببعض هذه المؤلفات :

١ — منهج الطلاب :

كتاب مطبوع متوسط الحجم ، اختصر فيه مختصر المؤلف الإمام أبى زكريا النووى ،

---

(١) للشيخ عبد الرءوف المناوى الحدادى شرح على هذا الكتاب اسمه « فتح الرءوف القادر » مخطوط رقم ٢٢٤ فقه بدار الكتب المصرية .

المسمى: «منهاج الطالبين، فى فقه الشافعية وأصوله . وضم إليه ما تيسر له من المعلومات، مع تغيير بعض ألفاظه بأوضح منها .

وقد اجتمع فى هذا الكتاب كثير من أبواب الفقه . وعبارته مثقلة مثودة بمصطلحات الفقه وضرورات الاختصار، وحذف ما يعود عليه الضمير أحيانا، كما هو الشأن المرعى فى أساليب الفقهاء، مما لا يزال له أثره حتى اليوم . وإليك بعضاً من عباراته، مما قاله فى باب الوضوء:

«فروضه نية رفع حدث لغير دائمة، أو وضوء، أو استباحة مفتقر إليه . مقرونة بأول غسل الوجه وله تفريقها على أعضائه» .

وقال: «وغسل وجه، وهو ما بين منابت شعر رأسه وتحت منتهى لحييه، وما بين أذنيه فمنه محل غمم لا تحذيف ونزعتان . ويجب غسل شعره لا باطن كثيف خارج عنه، ولحية عارض . وبعضها . وتميز من رجل . وغسل يديه بكل مرفق» . وهكذا . وبهذه النسخة غلطات مطبعية كثيرة .

٢ — فتح الرحمن:

اطلعت على نسخة من هذا الكتاب مطبوعة عام ١٣٢٨ هـ، ١٣٢٩ هـ فى نحو ٧٧ صفحة .

وهذا الكتاب شرح للشيخ الأنصارى على متن «لقطة العجلان وبلة الظمآن» فى فن الأصول للإمام محمد بن عبدالله الزركشى . ولا يعدو الشرح أن يكون تفسيراً للفظ أو توضيحا لمعنى أو إعرابا لجملة أو تعليقا يسيراً يزيد المعنى بيانا أو استدراكا على مافات العبارة . ويتخلل ذلك بحوث نفسية وكلامية وبلاغية، ومنطقية استلزمها السياق .

ومن فصوله: «فصل فى مدارك العلوم» تكلم فيه عن الحواس ومدركاتها، وأفضلية كل منها وسببها . ومنها: «فصل فى مدارك الحق» تكلم فيه عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وماقيل فى كل منها باعتبارها مصادر التشريع . ومنها

فصل فى : « التعريف » تكلم فيه عن أقسام التعريف وأنواع كل قسم . وبيّن التام والناقص ، وفرق بين الجنس والفصل . وهكذا مما يعرفه المناطقة .

ويتخلل الكتاب فصول أخرى ممتعة على هذا النسق بأسلوب واضح مشوب بألفاظ اصطلاحية .

ولهذه النسخة شرح مكتوب على هامشها . أى شرح للشرح . وهو حاشية قررها أحدهم ويسمى الشيخ يس . وقد استغرقت جانبا كبيراً من الكتاب .

٣ — فتح منزل المثانى بشرح أقصى الأمانى :

كتاب فى نحو ١٢٣ صفحة من الحجم المتوسط . طبع عام ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤م بمطبعة الجمالية بمصر .

وموضوعه علوم البلاغة . وهو شرح لمختصر . والمختصر للشيخ زكريا الأنصارى أيضاً ، أخذه عن كتاب « تلخيص المفتاح » للعلامة جلال الدين القزوينى . والمفتاح للسكاكى كما هو معلوم . فالكتاب إذن شرح لمختصر التلخيص . — وقد كتب المتن — وهو مختصر الشيخ زكريا — جُملا بين قوسين ، ومن بعدهما شرحه . وهكذا .

والمتن هنا غير المتن الذى سنذكره بعدُ للشيخ زكريا أيضاً ، والمسمى « ملخص تلخيص المفتاح » .

وقد بسط الشارح مسائل البلاغة فى شرحه بعض البسط ، مستبدلا بكلام القزوينى ، ما تدفع الحاجة إليه ، حاذفا منه ضروبا كثيرة من ضروب الخلاف والأمثلة .

وقد رتبه على مقدمة وثلاثة فنون : المقدمة فى معنى الفصاحة والبلاغة . والفن الأول فى : المعانى . ومن مطالبه : أحوال الإسناد الخبرى ، والمسند إليه ، والمسند ، ومتعلقات الفعل ، والقصر ، والإنشاء ، والوصل ، والوصل والإيجاز والإطناب

والمساواة . — والفن الثانى فى : البيان . ومن مطالبه : التشبيه ومقاصد الحقيقة والمجاز والكناية . — والفن الثالث فى : البديع .

ولم يخرج ، أو لم يكد يخرج ، المؤلف ، فى متنه عن عبارة السكاكى فى « المفتاح » . ولم يخرج أو لم يكد يخرج فى شرحه عن عبارة سعد الدين التفتازانى فى شرح المفتاح المشهور . وقد نصّ المؤلف بنفسه على هذا ، حيث قال فى المقدمة عن نفسه « سالكا فيه غالبا عبارة السعد التفتازانى ، لكونها منقحة محررة كثيرة المعانى » .

وعبارة الشارح فى الشرح والمتن معاً ، سهلة قريبة التحصيل لمن له صلة ما بعلوم البلاغة ، بخلاف عبارته الفقهية . غير أنه أبى فى عبارة المقدمة إلا أن يكون مسجّعا ومتكلفا على نمط مؤلفى عصره . وقد قال مبينا غرضه من تأليفه : « كنت اختصرت تلخيص المفتاح فى علم المعانى والبيان والبديع ، تأليف العلامة جلال الدين القزوينى — رحمه الله — فى كتاب سميته « بأقصى الأمانى فى علم البيان والبديع والمعانى » . وقد سألنى بعض الأعزة علىّ من الفضلاء المترددين إلىّ أن أشرحه شرحا يحل ألفاظه ، ويفك شظاظه ، ويبين مراده ، ويتم مفاده . فأجبته إلى ذلك ، بعون القادر المالك » .

٤ — ملخص تلخيص المفتاح :

كتاب صغير الحجم فى نحو ٢٣ صفحة طبع طبعته الأولى عام ١٣٢٣ هـ . وهو فى علوم البلاغة ، مختصر عن تلخيص مفتاح السكاكى . والتلخيص للقزوينى ، فهو شبيه بكتابه « فتح منزل المثانى » ، ولا يكاد مؤلفه يخرج عن عباراته إلا شكلا ، لا موضوعا . . فهو مقسم كذلك إلى مقدمة وثلاثة فنون كسابقه تماماً . وأهم الفروق بينهما أن « فتح منزل المثانى » أكثر بسطا ، ومزود بالأمثلة والشواهد الضرورية . أما « ملخص التلخيص » فأقل بسطا . وهو خال من الشواهد والأمثلة ، رصت فيه القواعد العلمية رصا ، جافة عارية عما يُعينها من النماذج .

٥ — المطلع :

كتاب متوسط الحجم طبع طبعته الأولى بمطبعة الجمالية بمصر عام ١٣٢٩ هـ ويقع فى نحو ٢٥ صفحة . شرح به متن إيساغوجى فى المنطق. ألفه الشيخ الأنصارى، وقال فى مقدمته : « هذا شرح لطيف لكتاب العلامة أثير الدين الأبهرى — رحمه الله — المسمى بإيساغوجى فى علم المنطق . يحل ألفاظه ويبين مراده ويفتح مغلقه ويقيد مطلقه ، على وجه لطيف ومنهج منيف ، وسميته « المطلع » .

هذا ، وكتاب إيساغوجى فى علم المنطق ، كتاب صغير فى وريقات ، ألفه أثير الدين الأبهرى متنا فى هذا العلم . وهو معروف متداول فى الدوائر التعليمية الأزهرية وله شروح كثيرة . منها شرح الشيخ زكريا « المطلع » المذكور . وقد تضمن المتن عدة أبواب منها : الدلالة الوضعية للفظ . والفرق بين اللفظ المفرد والمؤلف والكلى والجزئى . والذاتى والعرضى . ثم تكلم عن القول الشارح ، وشرح معنى الحد والرسم التام والناقص . ثم تكلم عن القضايا وأنواعها وأركانها ، ثم التناقض والعكس . ثم القياس . وأنواع كل منها ، ثم تحدث عن البرهان وأنواعه . كل هذا فى لفظ موجز جداً .

وقد شرح الشيخ زكريا هذا المتن فى لفظ أطول قليلا من لفظه . ولا بأس به: فهو أكثر إفهاما من المتن ، وأسهل تعبيراً وأيسر بيانا . وبه بعض الاستطرادات والأمثلة النافعة .

٦ — الأضواء البهجة فى إبراز دقائق المنفرجة :

كتاب مخطوط يقع فى نحو ٢٤ ورقة ، وهو فى الأدب لأنه شرح للقصيدة المنفرجة المشهورة ، ومطلعها :

اشتدى أزمة تنفرجى   قد آذن ليلك بالبلج

قال الشيخ زكريا فى مقدمة شرحها ما يُفهم منه وجود خلاف فيمن نظمها ، فقال : « قال أبو العباس أحمد بن أبى زيد البجائى أحد شراحها : إنها من نظم

الربانى أبى الفضل يوسف التوزرى الأصل، المعروف بابن النحوى — وقال العلامة تاج الدين السبكى فى طبقاته : إنها من نظم أبى عبد الله محمد بن أحمد بن إبرهيم الأندلسى القرشى » .

والقصيدة فى العقائد والتصوف والتوكل ، لا فى الأدب بمعناه المعروف .

وقد سماها تاج الدين السبكى : « الفرج بعد الشدة » .

وقد شرحها الشيخ زكريا فى هذا الكتاب المخطوط شرحاً ممتعاً نافعاً بلفظ سهل وعبارة لطيفة ، فقرّب تناولها وسهل فهمها فى غير إبهام ولا معاظلة .

٧ — شرح البسملة والحمدلة :

رسالة صغيرة مطبوعة فى نحو ١٤ صفحة من القطع الصغير ، طبعت عام ١٣٠٨ هـ بالمطبعة البهية . فسر فيها الشارح البسملة والحمدلة شرحا لطيفا خفيف الوقع يسير المئونة . وتعرض بصفة خاصة لاشتقاق ألفاظهما والفوارق بينهما ، والفوارق بينها وبين ما يرادفها من الألفاظ الأخرى . وتعرض لإعرابهما وما قيل فيه .

وتكلم عن رسم « بسم الله » وهكذا . وهى رسالة نافعة طريفة .

٨ — فتح الرحمن بشرح رسالة الولى رسلان :

هى رسالة صغيرة للشيخ زكريا ، تقع فى نحو ١٥ صفحة ، تصفحت نسخة منها مطبوعة عام ١٣١٧ هـ بمطبعة جريدة الإسلام ، ومجلدة فى مجلد واحد مع كتاب للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وهو كتاب « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » ، بدار كتب المنصورة رقم ١٨٤ « تصوف » .

وهذه الرسالة شرح لمتن فى علم التوحيد وفى التصوف للإمام رسلان الدمشقى ، والمتن موجز يعتور عبارته الغموض والإلغاز والروح الصوفية . والشرح جلّى ذلك بعض التجلية وأماط عنه اللثام بعض الإماطة .

وقد جرى على وضع ألفاظ المتن مجزّأة بين قوسين وإتباع كل جزء بشرحه .
ومثال ذلك قوله : « واعلم » أن علم التوحيد مطلوب . « قال » الله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله . وهو مستلزم لانتفاء الشرك . والشرك نوعان: ظاهر جلي، وقد ذكره مع أقسامه ، الغزالي وغيره . وباطن خفي ، وهو ما استولت عليه النفوس من الأكوان ، فحجبت بها عن تلقي المدد من عالم الغيب ، فصار ذلك شركا خفيا لبعده عن حضرة القدس بشواهد الحس، وقد ذكره المؤلف بقوله « كأنك » أيها العبد ذاتا وصفاتا وفعلا « شرك خفي » منشأ الوهم والخيال فإنهما يثبتان الغير كالمراتب والمقامات الزائلة ، فإذا أفنيت عنك الغير بأن العلم الإلهي توحيدك النافي للشرك بنوعيه المستلزم لنفي الوهم والخيال « وما يبين لك » أي يظهر لك « توحيدك إلا إذا خرجت » أي فنيت أنت « عنك » وعن سائر الأغيار بأن تراها كلها من الله . والله خلقكم وما تعملون . ونسبة أعمالك إليك نسبة كسبية، وإلى الله تعالى خلقية . فالله تعالى خالق ، وأنت كاسب ، لتثاب أو تعاقب . « فكلما أخلصت » بالخروج عن ذلك « يكشف لك أنه » تعالى « هو » الفاعل الموجود « لا أنت » .

وفاة الأنصاري :

قال ابن إياس في بدائعه — ج ٣ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ما نصه :

« وفي يوم الأربعاء ثالث شهر ذي الحجة ، توفي الإمام العالم العامل ، شيخ الإسلام والمسلمين ، مفتي الأنام في العالمين ، بقية السلف وعمدة الخلف ، عالم الوجود على الإطلاق ، ومن ذكره قد شاع في الآفاق . فهو آخر علماء الشافعية ، بالديار المصرية . وانتهت إليه رياسة الشافعية . فهو شيخ الإسلام زين الدين زكريا ابن محمد بن محمد الأنصاري السنيكي الشافعي رحمة الله عليه . كان مولده في سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، ومات وله من العمر مائة سنة وسنتان بعدهما . وكان رئيسا حشما في سعة من المال . وولي قضاء الشافعية في دولة الأشرف قايتباي ، وأقام بها نحو عشرين سنة . ومات وهو معزول من القضاء . وقد كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة . وحضر مبايعة خمسة من السلاطين وهم : الناصر محمد بن قايتباي

وخاله الظاهر قانصوه ، والأشرف جان بلاط ، والعادل طومان باى ، والأشرف الغورى .

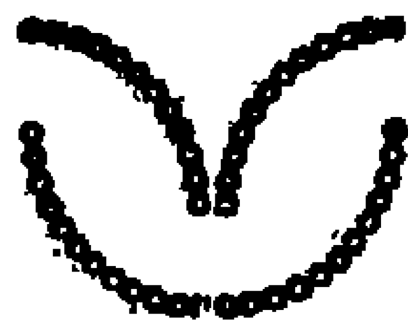
وولى تدريس قبة الإمام الشافعى رحمة الله عليه . وولى فى أواخر عمره مشيخة مدرسة الجمالية . وكان بيده عدة تداريس . وألف الكتب الجليلة فى العلوم المفيدة . وأفتى ودرس بالقاهرة نحو ثمانين سنة . وانتفع منه غالب الناس ، وخلف ولدا ذكرا من جارية سوداء .

فلما بلغ ملك الأمراء [1] وفاته ، أرسل إليه ثوبا بعلبكيا وخمسين دينارا ، على يد الأمير جانم الحمزاوى . وحضر غسله وتكفينه والصلاة عليه . وأخرجت جنازته من عند المدرسة السابقية ، ومشى فى جنازته قضاة القضاة ، وأعيان الناس وصلوا عليه فى سبيل المؤمنين . ونزل ملك الأمراء ، وصلى عليه ، وحمل نعشه من سبيل المؤمنين ، أول ما طلعوا . وكانت جنازته حافلة . فلما صلوا عليه ، توجهوا به إلى مقام الإمام الشافعى، رحمة الله عليه ودفن عند الشيخ محمد الخشبانى ، تجاه قبر الإمام الشافعى ، رضى الله عنه . فكان أحق بقول القائل حيث قال :

لقد عظمت رزيتنا فنبه ... لها عمرا ونم جنح الليالى
فلازالت ذوو الأقدار تلقى ... من الأيام أنواع النكال » . . الخ

ترجمته فى بدائع ابن اياس ج ٢ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٩١ ، ٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٧ — ج ٤ حوادث ذى الحجة عام ٩٠٦ هـ ، شوال عام ٩١٩ هـ — ج ٣ ص ٢١٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ — الضوء اللامع للسخاوى ج ٣ رقم ٨٩٢ »

والله سبحانه وتعالى أعلم



---

١ — ملك الأمراء هو الأمير خاير بك الذى ضلع مع العثمانيين ، فسموه ملكا على الأمراء بمصر — كأنه سلطان — يحكمها واليا بالنيابة عن ملك العثمانيين .

الحمد لله

تم المجلد الثالث

وهو القسم الأول من الجزء الثانى من كتاب

« عصر سلاطين المماليك »

ونتاجه العلمى والأدبى

وقد تم طبعه فى شعبان سنة ١٣٦٨ هـ - يونيو سنة ١٩٤٩ م

ويليه المجلد الرابع

وهو القسم الثانى من الجزء الثانى

وأوله

الباب الخامس : تراجم موجزة

كشاف

باعلام المجلد الثالث

وهو القسم الأول من الجزء الثانى

(ت)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

انتهى فهرس الأعلام ، وهو من وضع المؤلف

فهرس الموضوعات

انتهى

مصادر هذا المجلد

نوهنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، بقسميه ، بالمصادر التى اعتمدناعليها ، ونقول هنا إنها هى نفس المصادر التى اعتمدنا عليها فى هذا المجلد أيضا ، فلا حاجة إلى تكرار ذكرها . هذا ، فضلا عن أننا ذكرنا كل مصدر فى مناسبته .

استدراك

وقع فى أثناء الطبع . نقص أو سهو أو خطأ لايند عن فطنة القارىء الكريم . ونذكر هنا بعضه . والله الموفق للصواب وله الكمال وحده :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	٨	أنحوا	نحو	٢٦	١٧	الفنية	القينة
٣٠	١٠	٨١٦ هـ	٨٠٦ هـ	٣	١٧	العضو	العضد
٦٤	١٨	انجدار	الجدار	٨١	٢٢	للعصر إنصافا	إنصافا للعصر
٨٣	٨	خشقرم	خشقدم	٨٨	١١	ومن كل	ومن كل بلد
٨٨	١٢	وطلابه بلد وقد	وطلابه وقد	٩٢	٥	وهى	وهو
٩٥	٢	الصليبين	بالصليبين	٩٧	١	العيد	الصعيد
٩٨	٢	تحتوى على	يحتوى كل منها على	٩٩	١	٧٢٩ هـ	٧٣٩ هـ
٩٩	٢٢	العبيديين	العبيدين	١٠١	٦	لاقدم	لاقوم
١١١	١٣	علم الرين	علم الدين	١١٣	١١	السنجاوى	السخاوى
١١٩	١٤	انقيى	القبى	١٣٠	١٥	الجديرا	الجدير
١٣١	٦	للرافعى	للشيرازى	١٣٢	١١	الفضة	البضة
١٣٤	١٠	الأقفهسى	الاقفهسى	١٣٥	١٠	٧٢٥ هـ	٨٠٦ هـ
١٣٥	١١	٨٠٦ هـ	٨٢٦ هـ	١٣٨	١٢	للعباد	العباد
١٤٢	٣	أحمد	ابن أحمد	١٤٣	٢١	مصطلحه	ومصطلحه
١٤٣	٢٣	أعظم	أعظم منه	١٤٤	١٧	مغلطاى	مغلطاى
١٤٥	٦	لاحاديث	الأحاديث	١٤٦	٧	التصرف	التصوف
١٤٨	٢٣	الدولة	فى الدولة	١٥٠	١	تتارض	تعارض
١٥٦	٤	حارقا	حاذقا	٦٠	٦	مهندس	مهندسى
١٦٣	١٩	جلال	جلال الدين	١٦٨	١٢	حسين محمد	حسين بن محمد
١٦٨	٢٢	زين الدين	سراج الدين	١٦٨	٢٢	٧٤٩ هـ	٨٥٠ هـ
١٧٠	٦	أمة	عامة	١٧٢	٩	التنفيذ	التفسير
١٧٢	١٠	التصرف	التصوف	١٧٥	١	الفصل	الباب
١٧٩	٨	عليها	عليهما	١٩٠	٩	للولى	الولى
٢٠٢	٢٠	تهذيب الرافعى	مهذب الشيرازى	٢٦٢	١٨	عمله	علمه
٢٧٢	٥	فى أمر تسار	فى أمر تسار ومصر	٣٠٦	٣	الصراع	الصريع
٣٠٦	٣	للموحشين	للمتوحشين	٣٠٦	٢١	والمشابهة	المشابهة
٣١٨	١	القرانى	العراقى	٣٣١	١١	لكتاب	ككتاب
٣٤٢	٢	تراجيح	ترجيح	٣٤٥	٧	فألفه	فألف
٣٤٦	١٩	ومن	وممن	٣٤٧	فى ح	العظيم	العظم
٣٧٠	١٣	ابن فضل	ابن فضل الله	٣٧٠	١٨	ثمار	ثمرات

والله أعلم

للمؤلف

١ — الأدب العربى من عصر الفاطميين إلى الآن .

٢ — وحى الربيع : مجموعة من الأناشيد والمحاضرات فى الربيع .

٣ — المجلد الأول من عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى } الجزء الأول

٤ — المجلد الثانى « « « « « « « « } فى التاريخ

٥ — المجلد الثالث « « « « « « « « } الجزء الثانى

٦ — المجلد الرابع « « « « « وتحت الطبع } فى الحركة العلمية

٧ — قانصوه الغورى : عصره فى أسلوب قصصى وحوار: تحت الطبع

٨ — طرائف من العصر المملوكى : : تحت الطبع

عصر سلاطين المماليك

ونتاجه العلمي والأدبي

تأليف

محمود رزق سليم

المدرس بكلية اللغة العربية

المجلد الرابع

وهو القسم الثاني من الجزء الثاني

في الحركة العلمية

١٣٦٩ هـ — ١٩٥١ م

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

١ حارة الشابورى بالحلمية الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله سبحانه ، جل شانه ، وعز سلطانه ، عالم حكيم ، خبير بأسرار ملكه ، بصير بكنه مخلوقاته . أوحى إلى سيدنا محمد بن عبد الله ، وحيه ، وفاض عليه من مكنون علمه ، فكان للكون نورا ، وللدنيا سعادة ، وإلى الآخرة هدى ، وللعلم موردا . فعليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

وبعد ، فقد خصصنا الجزء الثانى من كتابنا هذا « عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى » ، بتاريخ الحركة العلمية فى العصر المذكور . ويتألف هذا الجزء من مجلدين هما : الثالث والرابع .

وقد دفعنا منذ أشهر ، إلى أيدى القراء الكرام ، بالمجلد الثالث ، محتويا على أربعة أبواب : الأول تمهيد لما بعده . والثانى فى عوامل نشاط الحركة العلمية ، والثالث فى نتائج هذا النشاط . والرابع فى تراجم مفصّلة لبعض المشاهير .

واليوم نقدم إليهم المجلد الرابع محتويا على ثلاثة أبواب : باب فى التراجم الموجزة لأعلام علماء العصر . وباب فى التعريف بأشهر المؤلفات فيه . وباب فى مظاهر أخرى للحركة الفكرية .

وتستغرق التراجم الموجزة لمشاهير العصر ، جزءا غير قليل من صفحات هذا المجلد . وهى — فى الحق — ضئيلة قليلة بالنسبة إلى كثير عددهم وواسع فضلهم ، ولما ينبغى لهم علينا من التنويه . ونظرة يسيرة إلى كتب أعلام هذا العصر وطبقاتهم ، تدل على صواب ما نقول . فما من كتاب منها إلا هو موسوعة كبرى ودائرة معارف ضخمة ، اجتمعت فيها معلومات وافرة عن هؤلاء الأعلام . وقد بدت فيها عناية مؤلفيها — وأغلبهم من مؤرخى العصر نفسه — بأبناء عصرهم وأنبائهم .

ولم تخل كتب التاريخ العام ، وغيره ، من ذكرهم أيضا والإشادة بفضلهم . وفى الحق أننا وجدنا فيها جميعا ، خضما واسعا ، بعيد الغور كثير الدر . فلم يكن لنا ، حياله ، إلا حسن الالتقاط والنظم . وكثيرا مايكون هذا العمل مضنيا مُعنّيا ، وإن بدا قليل الضنى والعناء . على أنها مرحلة فى هذا الكتاب ، لابد لنا من اجتيازها. ولاسيما أن المؤلفات التى أشرنا إليها — على رحابتها واستيعابها — جمعت فأوعت ، ونوهت بالمشاهير وغير المشاهير ، وبالرجال منهم والنساء ، وبالعلماء فيهم وغير العلماء . وبمن عاش فى مصر ، والشام ، أو عاش فى غيرهما .

أما عنايتنا فقد اتجهت — كما أشرنا أكثر من مرة — إلى التنويه بالرجال الأعلام فى مصر والشام ، فحسب ، فى هذه الحقبة من التاريخ . ومن كانت له بهما صلة ما ، من صلات العيش ، كولادة أو وفاة، أورحلة أوتوطن . لذلك جمعنا أخبار هذا الصنف من الرجال دون غيره ، معتمدين على أمهات الكتب فى ذلك . كالدرر الكامنة ، والمنهل ، الصافى والضوء اللامع ، وشذرات الذهب ، وحسن المحاضرة ، وغيرها مما نشير إليه فى مواضع أخرى .

واعتقادنا أنّه قد اجتمعت لنا فى هذا المجلد ، خلاصة صافية وافية ، هى خير مافى الكتب المذكورة من تراجم . على أننا ما قصدنا الاستيعاب قط ، فما إليه من سبيل ، وإنما هى عادتنا فى تقديم المثل وسوق الدليل .

وقد ذيلنا كل ترجمة بمراجعها — حسبما وسعه الجهد والزمن — ولكل ترجمة أكثر من مرجع واحد — إلا نادرا . ولعل فى ذلك كله غنية عن كثير من المؤلفات ، ومعينا لكل ناشىء يطرق باب البحث .

ورتبت التراجم المذكورة حسب سنوات الوفاة، بل شهورها وأيامها ـ قدر الطاقة ـ لا حسب أبجديتها أو طبقاتها، حتى نضع أمام القارىء ، عددا من الأعلام ، من كل لون ، فى كل عام . وهذا مما يُعين ـ عادة ـ على الدقة ، حينما نتكلم عن الحركات الفكرية فى فترة من فترات التاريخ . على أننا عززناهذا الترتيب بفهرس أبجدى فى أعقاب هذا المجلد.

وقد درج أعلام العصر ، على أن يتخذ كل منهم لنفسه ، اسما كابراهيم ، ولقبا

كبرهان الدين ، وكنية كأبي إسحق . وربما كان للعلم الواحد ، أكثر من لقب ، وأكثر من كنية . وكانت ألقابهم مضافة دائما إلى لفظ « الدين » مثل . شهاب الدين وتقي الدين . كما أن كلا منهم كان ينتسب إلى بلد أو أكثر ، فيقال : الدمشقي والمصري ، مثلا . وينتسب إلى أحد المذاهب الدينية ، فيقال : الشافعي أو الحنبلي مثلا . غير أن تعريفهم بالألقاب والنسب ، كان أكثر من تعريفهم بالأسماء والكنى . فيقال : تقي الدين السبكي ، وعز الدين الحنبلي مثلا . لذلك توخينا في مطلع كل ترجمة ، ذكر لقب صاحبها ونسبته إلى بلده أو مذهبه . ثم ثنينا بالكنية فالاسم ، فاسم الأب فالجد ، وهكذا . مع تجريد أسماء الآباء والأجداد من ألقابهم وكناهم ، تسهيلا لفهم اسم صاحب الترجمة ، والبحث عنه في مظانه من معجمات ، وكتب أعلام وطبقات. وقد يشتهر بعضهم باسم آخر ، أو إضافة إلى أبيه أو غير أبيه ، كابن الملقن وابن الفويرة ، فنشير إلى هذه الشهرة ، في ثنايا ذلك . ولم نشذ عن هذه القواعد إلا قليلا .

وقد ترجمنا لمن تقع وفاتهم بين سنتي ٦٤٨ هـ ، ٩٣٠ هـ ، وذلك لأن من مات في سنة ٦٤٨ هـ والسنين القليلة بعدها ، يعتبر — في الحق — من أعلام العصر الأيوبي ، إذ فيه اكتمل علمه وحصف عقله ، وعم نفعه . لكنه — على كل حال — من وفيات العصر المملوكي : فلم نجد بدا من إثباته . أما الفترة بين سنتي ٩٢٣ هـ ، ٩٣٠ هـ — وهي من صدر العصر العثماني — فقد رأينا أعلامها ، من صميم أعلام العصر المملوكي ، كابن إياس الحنفي مثلا ، وهو صاحب بدائع الزهور ، فقد توفي عام ٩٣٠ هـ ، ولكنه مملوكي من أية ناحية أتيته : في تفكيره . في تاريخه ، في عصبيته ، في مصريته ، في أسلوبه ، في أطيب أيامه — لهذا شعرنا أننا نجني على هذا العصر ، إذا أغفلنا تراجمهم .

والعلماء وحدهم ، هم الذين عنينا بترجمتهم ، فلم نترجم للأدباء كتابا وشعراء أو غير ذلك لأن تراجمهم مدخرة للجزئين الثالث والرابع من هذا الكتاب . ولم نترجم للقضاة ، لأننا أثبتنا في الجزء الأول منه عددا محمودا من تراجمهم . ولم نشذ

عن هـذا المسلك إلا نادرا ، عندما نرى للأديب أو القاضى أثرا علميا يستحق التنويه به . وعلى هذا الغرار ، لم نترجم لرجال الصوفية — على كثرتهم فى هذا العصر ، وتضخم نفوذهم — إلا من كانت له منهم مشاركة علمية .

وكثير ممن ترجمناه هنا فى إيجاز ، حقيق بأن نترجم له بتفصيل ، لغزير علمه وشاق جهوده ، كابن خلكان والذهبى والبرزالى والتاج السبكى والشمس السخاوى. غير أنه لا سبيل مطلقا إلى مثل هذا التفصيل ، فى مثل هذا المقام . ولا سيما بعد أن قدمنا نمطا منه فى المجلد الثالث . فمعذرة إلى هؤلاء الأفاضل ، وإلى محبيهم .

ولعل فى باب التعريف ببعض المؤلفات ، وفى الباب الذى يليه ، ما يعوض هذا التقصير أو بعضه . وسيرى القارىء الكريم فى البابين ألوانا من الدراسات ، تُعين على توضيح إحدى صور العصر ، وتجليتها فى الأذهان . وهذا من أهم ما نقصده من الكتاب .

والله سبحانه وتعالى الكفيل بأن يتقبل هـذا العمل قبولا حسنا يكافىء ما يُضمر القلب فيه من نوايا هو بها عليم ، وأن يجعله نافعا للناس ، وأن يبقى للبلاد مليكها المعظم فاروقا الأول منهضا للعلم ، موجها للعلماء ، وأن يحفظ مصر العزيزة مستظلة بظله ، ناعمة بأياديه وفضله ، إنه سميع مجيب ؟

المؤلف

الباب الخامس[1]

تراجم موجزة

١ — شمس الدين الدمشقي الحنبلي : وهو أبو الحجاج يوسف بن خليل ابن قراجا بن عبدالله ، محدث الشام . كان نزيلا بحلب ، فتكسب أولا ، ثم جنح إلى طلب العلم ، وأولع بجمع الحديث ، فسمعه من أئمة حفاظه ، ورحل في سبيله إلى دمشق وبغداد وأصبهان . حتى فاق ، وذاع صيته في الآفاق . وعاد إلى الشام ، وقعد للإسماع والإفادة ، فتخرج به كثير من الفضلاء ، منهم البرزالي ، وابن الأنماطي ، وابن الدبيثي ، وعمر بن الحاجب ، وغيرهم ، ممن كونوا الطبقة الأولى من علماء العصر المملوكي وجها بذته ، وتتلمذ لهم من بعده ، أفاضل الناشئة من بعدهم .

وقد مات أبو الحجاج في حلب في نحو منتصف جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ هـ .

« سلوك المقريزي ج ١ ص ٣٨١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٤٣ »

٢ — رشيد الدين بن رَوَاح : وهو المحدث أبو محمد عبدالوهاب[2] بن ظافر ابن علي بن فتوح الإسكندراني المالكي . ولد سنة ٥٥٤ هـ ، وسمع الحديث وبرع فيه ، وخرّج . توفي في ١٨ ذي القعدة سنة ٦٤٨ هـ .

« سلوك المقريزي ج ١ ص ٣٨١ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٤٢ »

٣ — محمد بن عبدالعزيز الإدريسي الشريف : كان من فضلاء المحدثين . ومن مصنفاته : المفيد في أخبار الصعيد . ولد في رمضان سنة ٥٦٨ هـ وتوفي بالقاهرة في صفر سنة ٦٤٩ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ »

---

(١) هذا هو الباب الخامس من أبواب الجزء الثاني . وفيه تراجم موجزة لأشهر علماء العصر مرتبين حسب وفياتهم . أما الأبواب الأربعة الأولى ، فقد سبق ذكرها في المجلد الثالث .

(٢) في النجوم : قال واسمه : ظافر بن علي . . . الخ .

٤ — رشيد الدين عبدالظاهر بن نشوان الجذامى المصرى الضرير : كان شيخاً للإقراء بالديار المصرية فى زمانه . كما كان بارعاً فى النحو والعربية . وهو والد المنشىء القدير محيي الدين بن عبدالظاهر . وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٦٤٩ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٣٨٢ — النجوم ج ٧ ص ٢٤ — الشذرات ج ٥ ص ٢٤٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ » .

٥ — علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبدالغنى بن مسافر ، ويعرف بتعاسيف الأصفونى : كان فقيهاً حنفياً عالماً ، وكان إماماً فى الرياضيات والحكمة والموسيقا والقراءات . ولد بأصْفُون بالصعيد سنة ٥٦٤ هـ وتوفى بدمشق فى سنة ٦٤٩ هـ فى رجب .

« السلوك ج ١ ص ٣٨٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠ »

٦ — بهاء الدين بن الجُمَّيزى : وهو العلامة أبو الحسن على بن هبة الله بن سلامة ابن المسلم بن أحمد بن على ، اللخمى المصرى الشافعى . خطيب دمشق ، الذى انتهت إليه رياسة مذهبه فيها إبان عصره .

ولد بمصر فى عيد الأضحى عام ٥٥٩ هـ ، وجد فى طلب الحديث ودراسة القراءات حتى برع فيهما . وطاف بدمشق وبغداد فى سبيلهما وتتلمذ فى الحديث على أبى القاسم بن عساكر ، وفى القراءات على أبى الحسن البطائحى . وهو آخر من قرأ عليه من تلاميذه . وفى الفقه على فقيه الشام شيخه عبدالله بن محمد بن أبى عصرون .

ومازال كعبه يعلو حتى غدا علماً يحج إليه الطلاب ، ويتخرج به الأفاضل . توفى فى ٢٤ ذى الحجة عام ٦٤٩ هـ .

« سلوك المقريزي ج ١ ص ٣٨٢ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٤ — طبقات السبكى ج ٥ ص ١٢٧ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٤٦ »

٧ — كمال الدين إسحق بن أحمد بن عثمان المغربى الشافعى : أحد أعلام الشافعية .

عاش بدمشق ، وتتلمذ لفخر الدين[1] بن عساكر وابن[2] الصلاح . وتصدى للفتوى والتدريس والإفادة . واشتغل معيداً عند أستاذه ابن الصلاح بالمدرسة الرواحية. وتتلمذ له كثيرون من أعلام الفقه والحديث ، منهم محيي الدين النووى . وكان عابداً زاهداً ، يجتزىء باليسير .

توفى فى ذى القعدة سنة ٦٥٠ هـ ودفن بتربة الصوفية بدمشق . ذكر صاحب الطبقات اسمه فقط .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٥٠ ـ شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٤٩ »

٨ — منصور بن سرار بن عيسى بن سليم ، أبو على الأنصارى الاسكندرانى ، المعروف بالمسدى : من شيوخ القراءات ، نظم أرجوزة فيها . وولد سنة ٥٧٠ هـ . وتوفى فى رجب عام ٦٥١ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ »

٩ — كمال الدين[3] الزَّمْلَكانى : أبو محمد عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف بن نبهان الأنصارى الدمشقى الشافعى .وكان مبرزاً فى علم البيان والمعانى . وزاول التدريس فى بعلبك ، والقضاء فى صرخد . وكان شاعراً مجيداً . وتوفى فى دمشق عام ٦٥١ هـ .

« سلوك المقريزى ج ١ ص ٣٨٩ وهامشها »

١٠ — مجد الدين بن تيمية الحرانى الحنبلى : وهو العلامة أبو البركات

---

(١) فخر الدين بن عساكر . هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله . كان شيخاً للشافعية بالشام ومات سنة ٦٢٠ هـ ومن تلاميذه الشيخ عز الدين بن عبد السلام « طبقات السبكى ج ٥ ص ٦٦ » وابن عساكر هذا ، غير أبى الحسن على بن عساكر البطائحى عالم القراءات ببغداد « طبقات السبكى ج ٥ ص ١٢٨ » .

(٢) ابن الصلاح . هو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري أحد كبار الشافعية فى زمانه ، تتلمذ له كثير من أفاضل مذهبه ، مات سنة ٦٤٣ هـ (طبقات السبكى ج ٥ ص ١٣٧) .

(٣) الزملكاني نسبة ألى زملكا وهى قرية بغوطة دمشق « عن هامش السلوك » .

عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد، كان أحد الأئمة والحفاظ، وجد الشيخ تقي الدين بن تيمية .

ولد بحران سنة ٥٩٠ هـ، وأولع بالحديث، فسمعه ببلده على شيوخه، وارتحل في سبيله إلى بغداد، وما زال حتى بزغ نجمه واتضح فضله، وصار في مقدمة الفقهاء والمحدثين، بارعاً في العربية والحساب والجبر والمقابلة . وقال عنه جمال الدين ابن مالك النحوي: « ألين للشيخ المجد، الفقه، وكما ألين الحديد لداود » . — وقد اشتغل بإلقاء الدروس في الفقه والتفسير، وله مناظرات عدة . ومصنفات جمة في علوم مختلفة .

ومنها : الأحكام الكبرى في عدة مجلدات . والمنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرر في الفقه . ومنتهى الغاية في شرح الهداية .

وكانت وفاته في يوم عيد الفطر عام ٦٥٢ هـ بحران، ودفن بظاهرها .

« شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٧ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٣ — السلوك ج ١ ص ٣٩٥ »

١١ — ابن وثيق الأشبيلي : وهو شيخ القراء أبو إسحق إبراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن الأموي . اشتهر بنشر القراءات وتعليمها في مصر والشام والموصل . ولد سنة ٥٦٧، ومات بالإسكندرية في ربيع الآخر عام ٦٥٤ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٤ — النجوم ج ٧ ص ٤٠ »

١٢ — شمس الدين سبط بن الجوزي : وهو أبو المظفر يوسف بن قزغلي، التركي البغدادي الحنفي، وهو سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي . قدم إلى دمشق، وكان قد تفقه وسمع الحديث، ومرن على الوعظ حتى برع فيه . وأقبل عليه الناس بدمشق . وتوفي في ليلة ٢٠ من ذي الحجة سنة ٦٥٤ هـ بدمشق .

ومن مصنفاته : تفسير القرآن ويقع في ٢٩ مجلداً . وشرح الجامع الكبير . ومرآة الزمان، وهو كتاب جليل في التاريخ العام، بدأه من أول الزمان إلى أوائل سنة ٦٥٤ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٤٠١ — النجوم ج ٨ ص ٣٩ — الشذرات ج ٥ ص ٢٦٦ — وذكره في المنهل الصافي » .

١٣ — شرف الدين بن أبى الفضل المرسى الشافعى : وهو محمد بن عبدالله ابن محمد السلمى . ولد بمرسية سنة ٥٧٠ ه ، وسمع الحديث بها وببغداد وخراسان ونيسابور وهراة ودمشق ومصر وقوص ومكة ، فهو رجل رحالة جماع للحديث . حدث بسنن البيهقى عن منصور الفراوى . وحدث بصحيح مسلم عن مؤيد الدين الطوسى . وكان نحوياً أديباً ، وعابداً زاهداً . وله شعر متوسط الجودة . ومن مصنفاته : تفسير للقرآن الكريم . وقد توفى بين غزه والعريش عام ٦٥٥ ه فى ١٥ ربيع الأول .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٢٩ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٩ »

١٤ — عماد الدين بن باطيش الموصلى الشافعى : وهو أبو المجد اسماعيل ابن هبة الله بن سعيد بن هبة الله بن محمد . ولد سنة ٥٧٥ ه ، وسمع الحديث ببغداد ، وبحلب ودمشق وخراسان . وروى عنه الدمياطى وغيره ، وزاول التدريس ، بالمدرسة النورية بحلب ، وبغيرها .

وصنف : طبقات الفقهاء . والمغنى وهو فى غريب المهذب . وفى رجاله وكناه . وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٥٥ ه .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٥١ »

١٥ — أبو عبدالله (١) محمد بن أبى القاسم بن فِيرُّه بن خلف الرُّعَيْنى : شاطبى الأصل ، المصرى المولد والدار ، الضرير . ولد بمصر فى ١١ من ذى الحجة سنة ٥٧٦ - وقيل ٥٧٧ ه .

وقد اشتهر بفن القراءات كأبيه القاسم بن فيره . وروى قصيدة أبيه المشهورة

(١) أبوه هو عالم القراءات المشهور وناظم قصيدة حرز الاماني ، وإسمه أبو القاسم ، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد ، الرعينى الشاطبى ، كان ضريراً . ولد سنة ٥٣٨ ه ورحل من موطنه واستوطن مصر ، فولد له ابنه محمد . وتتلمذ له كثيرون من علماء القراءات ، ومنهم أبو محمد عبدالله ابن عبدالوارث الانصاري المعروف بابن فار اللبن وقد مات فى ١٨ جمادي الاخرة سنة ٥٩٠ ه « حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٦ » .

فى هذا الفن وهى المعروفة « بحرز الأمانى ووجه التهانى » وقد توفى فى مصر فى ١١ شوال سنة ٦٥٥هـ ودفن بسفح المقطم.

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٦ »

١٦ — نجم الدين [١] البدرائى : وهو أبو محمد عبدالله بن أبى الوفاء محمد ابن الحسن الشافعى البغدادى . ولد سنة ٥٩٤ هـ ، وسمع الحديث وترحل فى سبيله محدثاً ، إلى بغداد ومصر وحلب ودمشق ، وقد درس الفقه على مذهب الشافعى ، فبرع فيه وفاق . وزاول التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ، كما ولى قضاء بغداد على كره منه، فلبث فيه خمسة عشر يوماً . واشتغل بالفتوى والكتابة ، وترسل عن الديوان العزيز — ديوان الخليفة — مدة . ورحل إلى دمشق فبنى بها مدرسته المشهورة الكبيرة المعروفة بالبادرائية . وكان جليل القدر دمث الخلق .

توفى فى أول ذى القعدة سنة ٦٥٥ هـ .

(السلوك ج ١ ص ٤٠٧ — والنجوم ج ٥ ص ٥٧ ، ٥٩ —
الشذرات ج ٥ ص ٢٦٩ — الطبقات ج ٥ ص ٥٩) .

١٧ — زكى الدين المنذرى : هو شيخ الإسلام الحافظ الكبير أبو محمد عبدالعظيم ابن عبدالقوى بن عبدالله المصرى الشافعى .

ولد بمصر فى أول شعبان سنة ٥٨١ هـ ، وتفقه وبرع فى الحديث ، حتى كان محيطاً بعلومه ودرجاته على اختلافها واختلاف رجاله . وقد رحل فى طلبه وجمعه . ثم كتب وصنف وخرّج وأملى ، وحدث . وتتلمذ مدة للحافظ أبى الحسن بن المفضل . كما تتلمذ له هو ، كثير من جلة الحفاظ وطلاب الحديث ، منهم تقى الدين بن دقيق العيد ، والدمياطى .

وقد ولى مشيخة الكاملية مدة عشرين سنة . وكان ماهراً فى الفقه والعربية

(١) فى النجوم والطبقات : البادرائى ، بألف بعد الباء — وقل فى الشذرات نقلا عن السيوطى فى لباب الأنساب : نسبة إلى بادرايا ، قرية من عمل واسط .

والقراءات ،مع دين وتقوى . ومن مصنفاته : الترغيب والترهيب . وشرح التنبيه . ومختصر سنن أبي داود . ومختصر مسلم .

وكانت وفاته يوم السبت ٤ من ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ ودفن بسفح المقطم .

ترجمه الذهبي وابن ناصر الدين .

« السلوك ١ ص ٤١٢ — تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٢٨ .
طبقات السبكي ج ٥ ص ١٠٨ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٣
— حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ — الشذرات ج ٥ ص ٢٧٧ »

١٨ — أبو العباس القرطبي المالكي : هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري المالكي الفقيه المحدث . نزيل الإسكندرية ، اشتغل فيها بالتدريس .

ومن مصنفاته : المفهم في شرح صحيح مسلم . اختصار الصحيحين . وكان مولده في سنة ٥٧٨ هـ . وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ .

«حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٥ — الشذرات ج ٥ ص ٢٧٣»

١٩ — صدر الدين البكري : أبو علي الحسن بن محمد بن محمد النيسابوري الدمشقي . ولد سنة ٥٧٤ هـ . نبه شأنه في الحديث ، وألّف وخرج وولي مشيخة الشيوخ وحسبة دمشق . وعاش بمصر زمناً حتى مات بها في ذي الحجة سنة ٦٥٦ هـ .

« تذكرة الذهبي ج ٤ ص ٢٣٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ — الشذرات ج ٥ ص ٢٧٤ »

٢٠ — صدر الدين بن سني الدولة : هو قاضي القضاة أبو العباس ، أحمد ابن يحيي بن هبة الله بن الحسن الدمشقي الشافعي .

ولد سنة ٥٩٠ هـ وطلب العلم ، فتفقه على أبيه شمس (١) الدين يحيي ، وعلى فخر الدين بن عساكر . وولي وظائف بدمشق ، منها : وكالة بيت المال ، والتدريس بالمدرسة الإقبالية والعادلية وغيرهما . وولي القضاء مدة . وكانت وفاته ببعلبك في جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٤٤١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٩١ »

---

(١) هو شمس الدين يحيي بن هبة الله بن الحسن بن يحيي بن محمد ، المعروف بابن سني الدولة . الشافعي المذهب . قاضي القضاة ، إذ ولي قضاء الشام مدة . وولد سنة ٥٥٢ هـ وتوفي سنة ٦٣٥ هـ «طبقات السبكي ج ٥ ص ١٥٠ ».

٢١ — كمال الدين بن درباس : هو القاضي أبو حامد محمد بن عبدالملك ، المارانى المصرى الشافعى الضرير . ولد سنة ٥٧٦ ﻫ ، فأجاز له السلفى ، وسمع من البوصيرى والقاسم بن عساكر . واشتغل بالتدريس والفتوى . وقد توفى فى شوال سنة ٦٥٩ ﻫ .

(النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٠٥ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٩٩)

٢٢ — جعفر بن مطهر بن نوفل الأدفوى : كان طبيباً فيلسوفاً وأديباً شاعراً، مات فى أدفو فى نحو سنة ٦٦٠ ﻫ .

(حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠)

٢٣ — كمال الدين بن العديم الحلبى العقيلى الحنفى : هو الصاحب أبو حفص عمر بن أحمد بن هبة الله . وكان يلقب برئيس الأصحاب . وكان إماماً عالماً ، وأديباً كاتباً وشاعراً ، ومحدثاً ومؤرخاً ، كما أنه برع فى الخط وامتاز به جودة وإبداعاً ، حتى نسب إليه أنه مخترع قلم الحواشى .

وقد ألف ابن العديم، فى الفقه والحديث والأدب والتاريخ . ومن مصنفاته : بغية الطلب فى تاريخ حلب . واختصره باسم . زبدة الحلب فى تاريخ حلب . وله أيضا : الدرارى فى ذكر الذرارى . وله نثر ونظم كثير .

كان مولده بحلب سنة ٥٨٨ ﻫ . ووفاته بمصر فى جمادى الأولى سنة ٦٦٠ ﻫ[1] ودفن بسفح المقطم . « سنذكره فى الجزء الثالث من هذا الكتاب بين تراجم الشعراء »

« فوات الوفيات ج ٢ ص ١٢٦ — السلوك ج ١ ص ٤٧٦ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٠٨ — مختصر أبى الفداء ج ٣ ص ٢٢٤ » — تتمة المختصر لابن الوردى ج ٢ ص ٢١٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٣ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٧٠ — وذكره الصابونى فى تاريخ حماة » .

٢٤ — تاج الدين عبد الوهاب بن عساكر : وهو ابن زين الأمناء أبى البركات

١ — اختلف المؤرخون فى سنة ميلاده ، فقيل سنة ٥٨٨ ، وقيل سنة ٥٨٦ ﻫ — وفى سنة وفاته فقيل . ٦٦٠ ﻫ ، ٦٦١ ﻫ ، ٦٦٦ ﻫ .

الحسن الدمشقي بن عساكر سمع الحديث وولي مشيخة المدرسة النورية بعد والده.
وتوفى فى مكة سنة ٦٦٠ هـ فى جمادى الأولى.

(شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٢)

٢٥ — علم الدين اللورقي[١]: وهو أبو محمد القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسى اللورقى نسبة إلى لَوَرقة بالأندلس.

ولد بالشام سنة ٥٧٥ هـ. سمع الحديث وبرع فى الأصلين والكلام والنحو والقراءات حتى كان شيخا للقراءات بالشام فى زمانه. وتصدى للإفادة وولى مشيخة الإقراء والنحو بالعادلية، وزاول التدريس بالعزيزية. وصنف بعض المصنفات. منها شرح الشاطبية.

وكانت وفاته فى ٧ رجب عام ٦٦١ هـ بدمشق.

« النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢١٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص٣٠٧ — السلوك ج ١ص٥٠٢ »

٢٦ — تقى الدين الناشرى : وهو عبد الرحمن بن مرهف المصرى. من شيوخ القراءات. مات عام ٦٦١ هـ فى شوال — وقيل شعبان —.

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ — شذرات الذهب ج ٥ ص٣٠٦ — النجوم الزاهرة ج٧ص٢١٢ »

٢٧ — الكمال الضرير : أبو الحسن على بن شجاع بن سالم الهاشمى العباسى المصرى، صاحب الشاطبي وزوج ابنته. وكان من شيوخ القراءات. مات فى ٧ ذى الحجة سنة ٦٦١ هـ.

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ — شذرات الذهب ج٥ص٣٠٦ — النجوم الزاهرة ج٧ص٢١٢ »

٢٨ — عز الدين الحنبلي : أبو محمد — وأبو القاسم وأبو الفرج — الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى المحدث.

ولد فى ربيع الآخر سنة ٦٠٢ هـ، وسمع الحديث وارتحل فى طلبه إلى بغداد ومصر، ثم أسمعه فأفاد. وكانت وفاته فى منتصف ذى الحجة عام ٦٦١ هـ. ودفن بسفح قاسيون.

« شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٦ »

---

(١) فى السلوك « الاورى

٢٩ — رشيد الدين العطار : هو أبو الحسين يحي بن على بن عبدالله الأموى النابلسي المصرى المالكى . ولد سنة ٥٨٤ ﻫ ، واشتغل بالحديث، فبرع فيه وألّف وخرّج . وانتهت إليه رياسته بالديار المصرية . وولى مشيخة دار الحديث الكاملية فى القاهرة عام ٦٦٠ ﻫ . وجمع معجما ـ ومات فى ٢ جمادى الأولى سنة ٦٦٢ ﻫ .

« تذكرة الحفاظ لذهبي ج ٤ ص ٢٣٣ ـ النجوم ج ٧ ص ٢١٧ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ ـ الشذرات ج ٥ ص ٣١١ »

٣٠ — عماد الدين بن [١] الحَرَسْتانى : وهو أبو الفضائل عبدالكريم ابن عبدالصمد بن محمد ، الأنصارى الدمشقى الشافعى ، الخطيب .

ولد فى رجب سنة ٥٧٧ ﻫ وسمع الحديث ودرس الفقه . وأفتى وناظر . وولى قضاء الشام بعد أبيه . وزاول التدريس بالغزالية ، والخطابة بدمشق بجامعها . وولى أمر الدار الأشرفية بعد ابن الصلاح يدرس بها الحديث . وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٦٦٢ ﻫ .

« النجوم ج ٧ ص ٢١٧ ـ شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٩ ـ السلوك ج ١ ص ٥٢٢ »

٣١ — شرف الدين عبدالعزيز الأنصارى : هو شيخ شيوخ حماة ، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن ، الأنصارى ، الدمشقى الحموى الشافعى . كان أبوه قاضيا بحماة . فعرف بذلك .

ولد بدمشق سنة ٥٨٦ ، وكان ذكيا . سمع الحديث وبرع فى الفقه ، والأدب والشعر . وكانت وفاته فى ٨ رمضان سنة ٦٦٢ ﻫ بحماة ، ودفن بظاهرها . سنذكره فى الجزء الثالث بين الشعراء .

(السلوك ج ١ ص ٥٢٣ — النجوم ج ٧ ص ٢١٤ — فوات الوفيات ج ١ ص ٣٦٨ — طبقات السبكى ج ٥ ص ١٠٨ — الشذرات ج ٥ ص ٣٠٩)

---

(١) كان أبوه عبدالصمد بن محمد عالماً ممتازاً وقاضيا صارماً عادلا ، ولى قضاء الشام مدة وتوفى فى نحو سنة ٦١٥ . ترجم له السبكى فى طبقاته ج ٥ ص ٧٤ — وكان ابنه محيي الدين أبوحامد محمد بن عبدالكريم عالماً مشاركا فى عدة علوم ودرس وأفتى وكان أديباً شاعراً مع عبادة وحسن صوت فى خطابته ومات سنة ٦٨٢ ﻫ . ترجم له صاحب الشذرات ج ٥ ص ٣٨٠ .

٣٢ — كمال الدين بن الأستاذ الحلبي : هو أحمد بن القاضي زين الدين عبدالله ابن عبد الرحمن الأسدي الشافعي . ويعرف بابن الأستاذ نسبة لجده . كان عالما فقيها محدثا ذا جاه في العلم وذا رياسة ونفوذ . ولي قضاء حلب ، ولما احتلها التتار رتحل إلى مصر وزاول التدريس .

وقد شرح كتاب «الوسيط» في عشر مجلدات . - يقال إنه ضاع في فتنة التتار بحلب - وكان مولده في عام ٦٢١ هـ [١] ووفاته في سنة ٦٦٢ هـ في منتصف شوال .

« السلوك ج ١ ص ٥٢٣ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٠٨ — طبقات السبكي ج ٥ ص ٨ — النجوم ج ٧ ص ٢١٤ »

٣٣ — محيي الدين بن سراقة : هو الإمام أبو بكر محمد بن محمد بن ابراهيم الأنصاري الشاطبي .

ولد سنه ٥٩٢ هـ بشاطبة وسمع الحديث من ابن بقي ، وبالعراق من أبي علي ابن الجواليقي . وولي مشيخة دار الحديث الكاملية [٢] بالقاهرة . ونظم الشعر - وألف في التصوف . وتوفي سنة ٦٦٢ هـ . ودفن بسفح المقطم .

« المنهل ج ٣ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢١٦ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣١٠ »

٣٤ — نجم الدين أبو نصر الفتح بن موسى بن حماد المغربي الخضراوي : ولد بالجزيرة الخضراء سنة ٥٨٨ هـ . وتفقه بمذهب الشافعي بدمشق . وأخذ النحو عن الكندي ، والأصول عن الآمدي ، وزاول التدريس بالفائزية ؛ وولي قضاء أسيوط ، وقد نظم السيرة لابن هشام ؛ ونظم المفصل للزمخشري ، ونظم الإشارات لابن سينا . وكانت وفاته في ٤ جمادى الأولى سنة ٦٦٣ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٤ — السلوك ج ١ ص ٥٤١ »

٣٥ — تاج الدين أبو بكر الاسكندراني : هو عبد الله بن أبي طالب .

---

(١) هذه رواية السيوطي ، وفي الشذرات والنجوم أنه ولد سنة ٦١١ هـ .

(٢) المدرسة الكاملية أسسها الملك الكامل الأيوبي سنة ٦٢٢ هـ وتعرف بدار الحديث . راجع المجلد الثالث من هذا الكتاب ص ٤٠ .

تفقه على الفخر بن عساكر ، حتى برع فى المذهب ، وزاول التدريس والفتوى والإسماع . وكانت وفاته فى ٧ ذى الحجة سنة ٦٦٣ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٣ »

٣٦ — معين الدين بن فار اللبن : هو أبو الفضل عبدالله بن محمد بن عبدالوارث الأنصارى المصرى . من شيوخ القراءات ، وآخر من قرأ الشاطبية على مؤلفها ، مات فى سنة ٦٦٤ هـ

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٨ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣١٦ »

٣٧ — صدر الدين موهوب بن عمر بن موهوب الجزرى الشافعى : ولد بالجزيرة فى جمادى الآخرة عام ٥٩٠ هـ . ورحل إلى الشام ، وأخذ عن علم الدين السخاوى ، وعز الدين بن عبد السلام وتفقه وبرع فى مذهب الشافعية ، كما مهر فى الأصول والنحو . وولى منصب القضاء حينا بمصر . مات فى ٩ رجب سنة ٦٦٥ هـ.

ذكره الذهبي . وابن شهبة فى تاريخ الإسلام .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٤ ـ طبقات السبكى ج ٥ ص ١٦٢ ـ شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٠ »

٣٨ — شهاب الدين أبو شامة : هو المؤرخ العلامة عبدالرحمن بن إسماعيل ابن ابراهيم المقدسى الدمشقى .

ولد بدمشق سنة ٥٧٩ هـ ، ونشأ بها ، وجد فى طلب العلم وسماع الحديث ودراسة القراءات . ورحل إلى الأسكندرية ، وقد تتلمذ للشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، وأخذ القراءات عن علم الدين السخاوى ، وبرع فى جملة علوم : منها العربية والفقه . حتى قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد . وكان مشغوفا بالتاريخ . واقتنى كتبا ثم وقفها بخزانة العادلية .

وقد تصدى للفتوى والتدريس والتأليف . وولى مشيخة الحديث بالأشرفية ، ومشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية .

ومن تصانيفه : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : « النورية والصلاحية » وبه تفاصيل عن الحروب الصليبية . وكتابا البسملة « الأكبر والأصغر » والباعث

على إنكار البدع والحوادث . وضوء القمر السارى إلى معرفة البارى . ونور المسرى فى تفسير آية الإسرا . . وله فيها آراء . . وقد وضع تذييلا لكتاب الروضتين . وله مختصر ان فى تاريخ دمشق أحدهما فى ١٥ مجلداً ، والثـــانى فى ٥ مجلدات . وشرح نونية السخاوى . ونظم مفصل الزمخشرى . ونظم أرجوزة فى العروض . وله شروح على[1] البردة والشاطبية وغير ذلك . ووفاته كانت فى سنة ٦٦٥ هـ فى ١٩ رمضان ، ودفن بمقابر باب كيسان ، وقيل بباب الفراديس.

« فوات الوفيات ج ١ ص ٣٢٢ — طبقات السبكى ج ٥ ص ٦١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣١٨ تذكرة الذهبى ج ٤ ص ٢٥١ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٤ — السلوك ج ١ ص ٥٦٢ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٦٤ المنهل ج ٢ »

٣٩ — سعد الدين[2] يعقوب بن عبدالرحمن ، بن قاضى القضاة شرف الدين أبى سعد عبدالله بن أبى عصرون روى وحدث ودرس بالمدرسة القطبية بالقاهرة . وجمع بعض مسائل على المهذب . و مات بالمحلة فى رمضان سنة ٦٦٥ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٣ — طبقات السبكى ج ٥ ص ١٥١ »

٤٠ — تاج الدين بن القسطلانى : هو على بن أحمد بن على ، القيسى المصرى المالكى . سمع الحديث بمكة وغيرها ، ودرس بمصر ، وولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، وكان مفتيا عادلا . ولد سنة ٥٨٨ هـ ومات فى ٢٧ شوال سنة ٦٦٥ هـ ودفن بسفح المقطم .

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٥٥ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٠ »

٤١ — عز الدين المقدسى الحنبلى : وهو أبو اسحق ابراهيم بن عبدالله بن أبى عمر . ولد سنة ٦٠٦ هـ وسمع الحديث ، وتفقه على مذهب ابن حنبل . وبرع حتى صار إماما علما وعملا . واشتهر بأنه خطيب الجبل . وسمع منه كثيرون . ومات فى ١٩ ربيع الأول عام ٦٦٦ هـ . ودفن بسفح قاسيون .

« النجوم ج ٧ ص ٢٢٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٢ »

---

(١) هذه رواية جورجى زيدان ، ونلاحظ أن البوصيرى ناظم البردة مات عام ٦٩٥ هـ أى بعد وفاته أبى شامة بنحو ثلاثين سنة . فهل نظمها فى وقت مبكر ؟ لعله .

(٢) فى حسن المحاضرة أنه : شرف الدين .

٤٢ — مجد الدين بن دقيق العيد القشيرى المالكى : هو على بن وهب بن مطيع: نزيل قوص. ولد سنة ٥٨١ هـ ذاع فضله فى العلم حتى صار شيخا لأهل الصعيد، مشهوراً بالصلاح والعبادة متصديا للإفادة معظما فى النفوس. مات فى المحرم سنة ٦٦٧ هـ. وهو والد الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد المشهور.

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٦ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٤ — النجوم ج ٧ ص ٢٢٨ — المنهل ج ٢ »

٤٣ — زين الدين[1] الأبيوردى : هو أبو الفتح محمد بن محمد بن أبى بكر، نزيل القاهرة، ولد سنة ٦٠١ هـ وطلب الحديث ومازال يطلبه على شيوخه حتى أصبح فى عداد حفاظه. وشرع فى وضع معجم لشيوخه. ومات فى جمادى الأولى سنة ٦٦٧ هـ ودفن بخانقاه سعيد السعداء.

« تذكرة الذهبى ج ٤ ص ٢٦٥ — النجوم ج ٧ ص ٢٢٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٥ »

٤٤ — نور الدين أبو الحسن على بن عبدالله بن ابراهيم. الشهير بسيبويه المغربى النحوى. وله شعر جيد. وكانت وفاته بالقاهرة فى سنة ٦٦٧ هـ عن سبع وستين سنة.

« السلوك ج ١ ص ٥٨٣ »

٤٥ — شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبي : كان شيخا للأطباء بدمشق، وتوفى فى سنة ٦٦٧ هـ.

« السلوك ج ١ ص ٥٨٣ »

٤٦ — ضياء الدين المرادى الأندلسى المصرى الدمشقى الشافعى : وهو أبو اسحق ابراهيم بن عيسى. كان إماما حافظا للحديث محققا. تتلمذ له الشيخ محيى الدين النووى. وقال عنه إنه كان بارعا فى معرفة الحديث وعلومه وتحقيق ألفاظه، ولا سيما الصحيحان. وكان ذا عناية باللغة والنحو والفقه ومعارف الصوفية. توفى بمصر فى أوائل سنة ٦٦٨ هـ.

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٩٤ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٦ »

(١) نسبة إلى أبي ورد بليدة بخراسان. قاله فى الشذرات.

٤٧ — زين الدين الحنبلي : هو أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة ابن أحمد : فقيه الشام ومحدثها في زمانه .

ولد سنة ٥٧٥ هـ وتفقه على الأئمة في مذهبه . وأولع بالحديث وسماعه وطلبه ، ورحل إلى حفاظه في آفاق عدة كبغداد وحران . وأجازه بالرواية كثيرون . وقعد للإفادة والإسماع فحفظ عنه الأفاضل ، وروى عنه الأماثل مثل زكي الدين البرزالي ، وعمر بن الحاجب ومحيي الدين النووي ، وابن دقيق العيد ، وابن تيمية . وكان حسن الخط سريع النسخ ، نسخ لنفسه كتبا عدة . وخرج لشيوخه معجما ، وجمع تاريخا لنفسه . وقد خرج له كل من ابن الظاهري وابن الخباز ، معجما لشيوخه .

وكانت وفاته في يوم الاثنين ٧ رجب عام ٦٦٨ هـ ودفن بسفح قاسيون .

« النجوم ج ٧ ص ٢٣٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٦ »

٤٨ — محيي الدين بن الزكي القرشي الأموي الشافعي : هو أبو الفضل يحيي ابن محمد بن علي بن محمد ، ويشتهر بابن الزكي . كان قاضيا للقضاة في دمشق . وتوفي بالقاهرة في رجب عام ٦٦٨ هـ عن ٧٢ سنة .

« السلوك ج ١ ص ٥٨٩ — النجوم ج ٧ ص ٢٣٠ »

٤٩ — موفق الدين بن أبي أصيبعة : هو أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي . ولد بدمشق سنة ٦٠٠ هـ وكان أبوه طبيبا للرمد فتلقى عنه الطب ، وأتم تعلمه في المارستان الناصري في القاهرة ، وبرع في الطب والأدب والتاريخ ، وخدم الدولة الأيوبية . وقد مات في صرخد سنة ٦٦٨هـ .

ومن مصنفاته : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ألفه لأمين الدولة وزير الملك الصالح . وقد ترجم فيه لأطباء اليونان والعرب والسريان والعجم والهند والمغرب ومصر والشام ، وذكر أطباء كل بلد على حدة .

« النجوم ج ٧ ص ٢٢٩ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٧ — جورجي زيدان ج٣ ص١٥٨ »

٥٠ — شمس الدين بن البارزي : هو ابراهيم بن المسلم بن هبة الله الحموي الشافعي ، قاضي حماة . تفقه بدمشق بفخر الدين بن عساكر . واشتغل معيدا . ثم

درس بالمدرسة الرواحية ، وفى معرة النعمان ، ثم فى حماة ، حيث اشتغل أيضاً بالإفتاء ، ثم ولى قضاءها محمود السيرة . وكان ينظم الشعر . ولد سنة ٥٨٠ هـ وتوفى فى شعبان سنة ٦٦٩ هـ بحماة .

« النجوم الزاهرة ج٧ص٢٣١، ٢٣٥ — شذرات الذهب ج٥ ص٣٢٨ — السلوك ج١ ص٥٩٧ »

٥١ — نصير الدين بن الطباخ : هو المبارك بن يحي بن أبى الحسن البصرى . كان شافعى المذهب ، وإماما متبحراً فى الفروع ، وله عناية بكتاب التنبيه . وزاول التدريس بالمدرسة القطبية ، والإعادة بالصالحية لدى العز بن عبد السلام .

ولد فى ذى القعدة سنة ٥٨٩ هـ ، ومات فى جمادى الآخرة سنة ٦٦٩ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٤ »

٥٢ — شرف الدين السبكى : هو أبو حفص عمر بن عبدالله بن صالح ، قاضى قضاة المالكية تفقه وأفتى ودرس بالصالحية . وولى حسبة القاهرة ، وقضاء المالكية . ومات فى ذى القعدة سنة ٦٦٩ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٦ — السلوك ج ١ ص ٥٩٦ »

٥٣ — عبدالله الشارمساحى : هو عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر . نشأ بالإسكندرية ، وتفقه حتى صار من أئمة المالكية . وله مصنفات فى الفقه والنظر والخلاف ، ودخل بغداد فأكرمه خليفتها المستنصر وولاه تدريس المدرسة المستنصرية .

ولد سنة ٥٨٩ هـ ومات سنة ٦٦٩ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٦ »

٥٤ — كمال الدين أبو الفضائل الأربلى الشافعى : وهو سلار بن الحسن ابن عمر بن سعيد . كان علما يشار إليه بالبنان فى مذهبه ، وانتهت إليه رياسته فى زمانه ، وكان عليه مدار الفتوى فى بلاد الشام . وقد تفقه على تقى الدين بن الصلاح ، كما تتلمذ له الأفاضل ، وفى مقدمتهم محيى الدين النووى ، واشتغل معيداً بمدرسة البادرائى ، إلى أن مات فى جمادى الآخرة سنة ٦٧٠ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٦٠٤ — طبقات السبكى ج ٥ ص ٥٦ — النجوم ج ٧ ص ٢٣٧ »

٥٥ — جمال الدين البغدادي الحراني الحنبلي : أبو محمد عبدالرحمن بن سليمان ابن سعد بن سلمان ، البغدادي الأصل ، الحراني المولد ، نزيل دمشق .

ولد سنة ٥٨٥ هـ وسمع الحديث وتفقه وأفاد وأسمع ، وأفتى . ومات فى ٤ شعبان عام ٦٧٠ هـ ودفن بسفح قاسيون .

« النجوم ج ٧ ص ٢٣٧ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٢ »

٥٦ — عماد الدين الحلبي الشافعي ، المعروف بابن العجمي : هو عبد الرحيم ابن عبدالرحيم بن عبدالرحيم بن عبدالرحمن . سمع الحديث وتفقه فى مذهبه ، ثم تصدى لإسماع الحديث والتدريس ، وولى الحكم بمدينة الفيوم ، وناب فى الحكم بدمشق . وكان محمود السيرة .

ولد بحلب سنة ٦٠٥ هـ ، ومات بها فى ١٤ رمضان سنة ٦٧٠ هـ .

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٣٦ »

٥٧ — شرف الدين النابلسي الدمشقي : هو المحدث أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن بن مفرج ، وقد ولد بدمشق ومات بها .

وقد طلب الحديث حتى بز فيه ، واشتهر به ، وشارك فى الأدب . قال الذهبي : « وجمع وصنف » . وكانت وفاته فى سنة ٦٧١ هـ .

« تذكرة الذهبي ج ٤ ص ٢٥٣ — النجوم ج ٧ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ »

٥٨ — مؤيد الدين بن القلانسي : هو أبو المعالي أسعد بن المظفر بن المظفر ابن أسعد بن حمزة بن أسد ، التميمي ، ويعرف بابن القلانسي ، المحدث .

ولد بدمشق سنة ٥٩٨ هـ — أو ٥٩٩ — وسمع الحديث حتى برع فيه ، واشتغل بإسماعه فى دمشق ومصر . وتوفى فى ١٣ المحرم عام ٦٧٢ هـ — وقيل فى ٣ منه —

« السلوك ج ١ ص ٦١٣ — النجوم ج ٧ ص ٢٤٢ ، ٢٤٤ »

٥٩ — كمال الدين التفليسي . أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي ، كان شافعي المذهب بارعاً فقيها ، ولد بتفليس فى نحو سنة ٦٠٢ هـ — وقيل سنة ٦٠١ هـ — وتفقه بالقاهرة على شيوخ مذهبه ، فمهر فيه وفى الأصلين وغيرهما ، وتصدى للفتوى

والتدريس ، ثم ولى قضاء دمشق نائبا مدة ، ولما اجتاح التتار بلاد الشام ، عينه هولاكو قاضيا على الشام والجزيرة والموصل ، فكان عادلا حسن السيرة مدافعا عن الرعية ، ساعيا فى حقن الدماء . ولما انحسرت موجة التتار ، أشخص قهراً إلى مصر لوشاية فى حقه ، فأقام بالقاهرة وهو يلقى على طلابه دروسه ، حتى عاجله الموت بها ، فى ١٤ ربيع الأول عام ٦٧٢ هـ ودفن بسفح المقطم .

« السلوك جـ ١ ص ٦١٣ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٤ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٧ — طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٣٠ - النجوم ٧ ص ٢٤٤ »

٦٠ — كمال الدين المحلى الضرير : هو أحمد بن على شيخ القراء بالقاهرة مات سنة ٦٧٢ هـ فى ربيع الثانى .

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٩ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٦ »

٦١ — جمال الدين بن مالك النحوى : هو محمد بن عبدالله بن عبد الله بن مالك الطائى النحوى الجيانى نسبة إلى جيان بالأندلس . ولد سنة ٦٠٠ هـ ثم يمم شطر دمشق وتعلم العربية حتى بلغ فيها الغاية ، وصار إماما فى نحوها يشار إليه بالبنان . وكذلك فى القراءات ، وفى حفظ الأشعار والشواهد ، وسمع الحديث حتى بلغ من ذلك مبلغا محموداً .

وقد تصدى لتدريس علوم العربية بدمشق وحلب ، وأم بالعادلية ، وكان شافعى المذهب ، فكان شمس الدين بن خلكان القاضى والمؤرخ يعظمه ، وتخرج به فى العربية تلاميذ فضلاء نشروا مذهبه وعلمه فى الشرق . وكان ماهراً فى نظم العلوم .

وتصدى للتأليف فاشتهر بمؤلفه فى النحو « الألفية » وهى المنظومة المعروفة له : وسبك المنظوم وفك المختوم . والكافية الشافية وهى فى نحو ثلاثة آلاف بيت ، وقد شرحها ، وله كتاب التسهيل واسمه : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ويقال إنه مختصر كتاب له اسمه « الفوائد » فى النحو ، ضاع . وأكمال الإعلام بمثلث الكلام ، والمقدمة الأسدية ، وعدة اللافظ وعمدة الحافظ ، والنظم الأوجز فيما يهمز ، [1] والاعتضاد فى الظاء والضاد ، وإعراب مشكل البخارى ، وله قصيدة

(١) ذكره صاحب الفوات .

دالية فى القراءات ، وله لامية الأفعال ، وإيجاز التعريف فى علم التصريف ، وكتاب العروض ، وتحفة المودود فى المقصور والممدود ، والاعتقاد[1] فى الفرق بين الصاد والضاد ، وغير ذلك .

وقد كان دينا كثير العبادة والإفادة ، أرسل إلى الملك الظاهر بيبرس يستعينه على حاله ، فأعانه .

وقد حظيت مؤلفاته فى النحو بعناية فائقة لسهولتها وقرب مأخذها وجمعها للمسائل وشواهدها ، فانتفع بها طلاب العربية ولا يزالون ينتفعون ، كما أنها كانت فتحا فى علوم العربية وأدبها ، إذ اهتم بها كثير من الشراح فوضعوا عليها الشروح والحواشى التى تجل عن الحصر والتعداد .

وكانت وفاته فى ٢ شعبان سنة ٦٧٢ هـ بدمشق —

« السلوك ج ١ ص ٦١٣ فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٨٤ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٤٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٩ — طبقات السبكى ج ٥ ص ٢٨ — النجوم ج ٧ ص ٢٤٣ »

٦٢ — محي الدين بن الأستاذ الشافعى : وهو أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبن عبدالله بن علوان بن الأستاذ ، قاضى حلب ، قدم القاهرة ، ودرس بالمدرسة المسرورية[2] ومات فى سنة ٦٧٢ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٦١٣ »

٦٣ — المكين بن العميد : هو جرجيس بن أبى ياسر بن أبى المكارم ، ولد فى القاهرة سنة ٦٠٢ هـ وكان أبوه مسيحيا من كتاب الجيش فى الشام تحت إمرة علاء الدين طيبرس ، وقد غضب السلطان على هذا الأمير وقبض عليه وعلى أتباعه وفيهم جرجيس وأبوه ، وقد أطلق سراح جرجس بعد مدة ، وقد مات بالشام عام ٦٧٢ هـ .

---

(١) ذكره جورجى زيدان .

(٢) المدرسة المسرورية : بالقاهرة ، كانت تقع داخل درب شمس الدوله ، وكانت دارا لشمس الخواص مسرور أحد خدام القصر وكان مسرورا حاظيا لدى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم انقطع إلى العبادة فى الأيام الكاملية . ولما مات صارت داره مدرسة ، ونسبت إليه . « خطط المقريزى ج ٤ ص ٢١٦ — وهامش السلوك »

ومن مصنفاته : المجموع المبارك وهو فى التاريخ العام إلى سنة ٦٥٨ هـ فى جزئين.
وقد ذيل له المفضل بن أبى الفضائل القبطى المصرى بكتابه « النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » وينتهى إلى سنة ٧٤١ هـ .

« جورجى زيدان ج٣ ص ١٨٥ »

٦٤ — وجيه الدين بن العماد . وهو الإمام أبو المظفر ، منصور بن سليمان ـ قيل ابن سليم بن منصور بن فتوح ـ الهمدانى الإسكندرانى الشافعى . ولد فى صفر سنة ٦٠٧ هـ ، وعنى بالحديث وفنونه ورجاله ، وبالفقه . وألف فى الحديث وأنواعه وكذلك فى الفقه .

ومن مصنفاته : تاريخ الإسكندرية ، معجم شيوخه . وأربعون حديثا .

وكان موته فى شوال سنة ٦٧٢ هـ ــ ذكره الذهبى سنة ٦٧٧ هـ .

« تذكرة الذهبى ج ٤ ص ٢٥٦ — النجوم ص ٧ ص ٢٤٨ — السلوك ج ١ ص ٦١٩ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ — الشذرات ج ٥ ص ٣٤١ »

٦٥ — أمين الدين المحلى : محمد بن على بن موسى الأنصارى . كان إماما فى النحو بالقاهرة ، واشتغل بتدريسه . وله مصنفات . روى منها جورجى زيدان : كتاب مفتاح الإعراب . وشفاء العليل فى علم الخليل ، وهو فى العروض . والعنوان فى معرفة الأوزان .

وقد مات فى ذى القعدة سنة ٦٧٣ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٥ — جورجى زيدان ج٣ ص ١٤٤ »

٦٦ — شمس الدين الأذرعى الدمشقى الحنفى : هو الإمام أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عطاء ، كان إماما فقيها ، ومفتيا ومدرسا . وقد ولى قضاء دمشق من قبل الظاهر بيبرس . وهو أول قضاة الحنفية بها ، من لدن السلطنة المصرية التركية . وقد تشدد مع بيبرس فى بعض تصرفاته بما يتفق والعدالة ، ولذلك عظم فى عينه فحظى عنده . وكانت وفاته فى سنة ٦٧٣ هـ .

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٤٦ — السلوك ج ١ ص ٦١٩ »

٦٧ — زين الدين الحلبي ، المعروف بابن العجمي : هو أبو المظفر عبد الملك ابن عبدالله بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر . كان شافعي المذهب.

ولد بحلب سنة ٥٩١ ﻫ وبرع فى الحديث وحدث به . ومات بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ٦٧٤ ﻫ ودفن بسفح المقطم . وهـــو خال قاضى القضاة كمال الدين أحمد بن الأستاذ المار ذكره .

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٤٩ »

٦٨ — سديد الدين التزمنتي : هو عثمان بن الكريم بن أحمد . ولد بتزمنت عام ٦٠٥ ﻫ وتفقه على شيوخ القاهرة فى مذهب الشافعي فنبه شأنه : ومات فى ذى القعدة عام ٦٧٤ ﻫ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٤ »

٦٩ — شمس الدين الحرانى الحنبلي : أبو عبد الله محمـــد بن عبد الوهاب ابن منصور . ولد فى نحو سنة ٦١٠ ﻫ . بحران ، ودرس الفقه بها على مجد الدين ابن تيمية والأصول أو الخلاف على القاضي نجم الدين بن المقدسي الشافعي . وتتلمذ زمنا بمصر للعز بن عبد السلام . وولى القضاء ببعض جهات مصر . ثم عاد إلى دمشق مشتغلا بتدريس الفقه ، مع عبادة وزهادة . وكان ينظم الشعر ومنه قوله :

طار قلبي يوم ساروا فرقا　　وسواء فاض دمعى أو رقا
حار فى سقمى من بعدهم　　كل من فى الحى داوى أورقى
بعدهم لاظل وادى المنحنى　　وكذا بان الحمى لا أورقا

وكانت وفاته ليلة الجمعة ٦ جمادى الأولى عام ٦٧٥ ﻫ ودفن بمقابر باب الصغير .

« النجوم ج ٧ ص ٢٥٤ ، ٢٥٨ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٨ — السلوك ج ١ ص ٦٣٤ »

٧٠ — بدر الدين بن حفّاظ السلمى الحنفى : ويعرف بابن الغُوَيرة . هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد . كان إماما بارعا ولا سيما فى الفقه والحديث والعربية والأدب والخط . اشتغل بالتدريس فى المدرسة

الشبلية (١) بدمشق . وتصدى للفتوى ، وكان ينظم الشعر، مع مروءة وحسن خلق ودين . ومن نظمه :

كانت دموعى حمـــرا يوم بينهم ❊ فـــذ نأوا قصرتها لوعة الحرق

قطفت باللحظ وردا من خدودهم ❊ فاستقطر البعد ماء الورد من حدقى

وكانت وفاته فى يوم السبت ٢١ جمادى الأولى عام ٦٨٥ هـ . ـ وقيل : منتصف ربيع الآخر سنة ٦٧٤ هـ .

« السلوك جـ ١ ص ٦٣٤ — النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥٣ »

٧١ — أبو الفضل محمد بن على بن الحسين الخلاطى الشافعى : تتلمذ ببغداد ودمشق ثم القاهرة ، وناب فى الحكم وحدث وصنف كتبا منها قواعد الشرع ، وضوابط الأصل والفرع ، على الوجيز ومات بالقاهرة فى رمضان سنة ٦٧٥ هـ .

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٤ — طبقات السبكى جـ ٥ ص ٣٢ »

٧٢ — برهان الدين بن جماعة : هو أبو اسحق ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ابن على بن جماعة بن حازم بن صخر . الحموى الكنانى : والد القاضى بدر الدين ابن جماعة .

ولد سنة ٥٩٦ هـ بحماة وسمع الحديث من فخر الدين بن عساكر وغيره . وتصدى للإسماع ، وكانت وفاته فى يوم عيد النحر سنة ٦٧٥ هـ بالقدس .

« النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥١ — طبقات السبكى جـ ٥ ص ٤٦ »

٧٣ — شمس الدين المقدسى الحنبلى : هو أبو بكر ـ وأبو عبد الله ـ محمد ابن ابراهيم بن عبد الواحد بن على سرور . نزيل مصر ؛ وشيخ الشيوخ وقاضى قضاة الحنابلة . ويعرف بابن العماد الحنبلى .

ولد يوم السبت ١٤ صفر سنة ٦٠٣ هـ بدمشق ، وتفقه على الشيخ موفق الدين

---

(١) المدرسة الشبلية أنشأها شبل الدولة كافور الحسامي طواشى حسام الدين بن لاجين — وكانت ولادته سنة ٦٢٦ هـ : وهذه المدرسة من أقدم مدارس الحنفية بدمشق بسفح قاسيون . وزوال التدريس بها جلة من الأفاضل . (بتصرف عن خطط الشام عن هامش النجوم) .

الحنبلي وغيره . ورحل إلى بغداد وأقام بها مدة وبها تزوج وولد له . ثم وفد على مصر وأقام بها حتى مات .

وبرع فى مذهبه حتى أشير إليه فيه . وهوم إليه الطلاب يتفقهون به . وولى مشيخة خانقاه سعيد السعداء ، والتدريس بالمدرسة الصالحية . وولى قضاء الحنابلة مدة وهو أول من وليه من رجال مذهبه وذلك فى عهد الظاهر بيبرس . ثم عكف على الإفادة بالتدريس والفتوى حتى قبض فى ١٢ المحرم عام ٦٧٦ هـ . ودفن فى غدة بالقرافة .

«النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٣٤ ، ٢٧٩ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٣ — السلوك جـ ١ ص ٦٤٨»

٧٤ — كمال الدين الإسكندرى المقرىء : وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن إسماعيل بن ابراهيم بن فارس . كان عالما بالقراءات وانتفع به خلق كثير . وتولى نظر الجيش بدمشق ، ونظر بيت المال بها . وغير ذلك .

ومات فى صفر سنة ٦٧٦ هـ

« النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٧٤ »

٧٥ — جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسى الشريف : كان نسابة الشرفاء بمصر ، أديبا صنف تاريخا للقاهرة ولد بالقاهرة فى شوال سنة ٦١١ هـ . ومات سنة ٦٧٦ هـ . وسمع الحديث من ابن الجميزى وابن المقـــير . وروى عنه الدمياطى وأبو حيان .

«حسن المحاضرة جـ ١ ص ٥٢٦»

٨٦ — مجد الدين بن العديم الحنفى : وهوعبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله وأبوه هو الصاحب كمال الدين بن العديم صاحب « تاريخ حلب » .

وقد كان مجد الدين كبيرا للحنفية بمصر والشام زمنا . وولى قضاء الشام حينا . وكان عالما فقيها أديبا شاعرا : خطب بجامع الحاكم . وزاول التدريس بالمدرسة الظاهرية التى بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة .

وكان مولده فى سنة ٦١٣ هـ ، ووفاته فى ١٦ ربيع الثانى سنة ٦٧٧ هـ . بدمشق

«حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٠ — النجوم ٧ ص ٢٨٢ ، ٢٨٥ السلوك جـ ١ ص ٦٥٠ »

٧٧ — كمال الدين الإربلي : هو طه بن ابراهيم بن أبي بكر . كان فقيها شافعيا وأديبا . ولد بإربل وانتقل إلى القاهرة . وتوفى فى جمادى الأولى عام ٦٧٧ ﻫ

« حسن المحاضرة ج١ ص١٩٥ »

٧٨ — صدر الدين الأذرعي[1] : قاضي القضاة سليمان بن أبي العز بن وهيب، الأذرعي الدمشقي . كان شيخا للحنفية فى زمانه . درس بمصر ، ثم قدم إلى دمشق فقلد قضاءها مدة . وولى قضاء مصر مدة أخرى . وصنف فى مذهبه . — وتوفى فى شعبان سنة ٦٧٧ ﻫ ودفن بتربة قاسيون .

« السلوك ج١ ص٦٥١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٥٧ »

٧٩ — جلال الدين الدشناوي : هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السكندى تفقه بقوص ، ورافق بها الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد . ثم تتلمذ بالقاهرة على عز الدين بن عبد السلام . وشرح وألف كتبا عدة فى الفقه والنحو .

مات فى قوص سنة ٦٧٧ ﻫ

« حسن المحاضرة ج١ ص١٩٥ »

٨٠ — مجد الدين الإربلي : هو العلامة الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عمر بن أبي شاكر المعروف بابن الظهير . ولد بإربل سنة ٦٠٢ ﻫ ، ودرس فقه الأحناف . وسمع الحديث ، ببغداد ودمشق وبرع فى الأدب وتتلمذ له كثيرون من الأفاضل منهم شهاب الدين محمود ، والجمال المزى . وله ديوان شعر . وتصدى للإقراء والتدريس ، ودرس بالقايمازية[2] « سنذكره فى الجزء الرابع » — توفى سنة ٦٧٧ ﻫ

« السلوك ج ١ ص ٦٥١ — النجوم ج ٧ ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ »

٨١ — جمال الدين الحراني : المعروف بابن الصيرفي ، وهو أبو زكريا يحي

---

(١) نسبة إلى اذرعات ناحية بالشام — قاله فى الشذرات .

(٢) المدرسة القايمازية من مدارس الحنفية بدمشق : انشأها صارم الدين قياز النجمي المتوفى سنة ٥٩٦ « عن خطط الشام عن النجوم »

ابن أبى المنصور بن أبى الفتح بن رافع بن على ، كان إماما وفقيها ممتازا فى مذهبه . أفاد وأفتى ودرّس ، ومات فى صفر عام ٦٧٨ هـ .

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٩٠ »

٨٢ — نجم الدين بن سنى الدولة الدمشقى : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن . ولد سنة ٦١٦ هـ ، ومهر فى العلم ، وسكن مصر زمنا ، وولى قضاء حلب مدة ، ثم قضاء دمشق ، وزاول التدريس بالمدرسة الأمينية ، وتوفى بدمشق فى ٨ المحرم عام ٦٨٠ هـ ، ودفن بقاسيون .

« النجوم ٧ ص ٣٥٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٧ — السلوك ج ١ ص ٧٠٤ »

٨٣ — جمال الدين المصرى : هو يحيى بن عبد المنعم بن حسن ، ويعرف بالجمال يحيى . وكان شافعى المذهب ، مال إلى الفقه بجمع نفسه ، وأولع به عما عداه ، حتى أصبح حافظا لكثير من مسائله ، وكان عجبا فى استحضارها . تصدى للتدريس بالمشهد الحسينى . وناب فى الحكم وولى قضاء المحلة ، وكانت وفاته فى ١٠ رجب سنة ٦٨٠ هـ .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ١٤٩ »

٨٤ — شمس الدين بن خلكان : وهو قاضى القضاة العلامة الشهير المحقق المؤرخ ، أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر الإربلى الشافعى . وينسب نفسه إلى البرامكة . ولد سنة ٦٠٠ هـ بإربل . وسمع الحديث من ابن مكرم ومؤيد الدين الطوسى وأجازه ، وسمع من غيرهما ، ودرس الفقه الشافعى بالموصل على كمال الدين بن يونس ، وبحلب على بهاء الدين بن شداد ، وبرع فى آداب العربية ، وأقام بالبلاد المصرية زمنا ناب فيه فى القضاء . ثم اختير لقضاء الشام فظل به نحو عشر سنوات . ثم عزل وحل محله ابن الصائغ . فأقام بمصر نحو سبع سنوات ، ثم عاد إلى قضاء الشام ، فهنأه الشعراء .

وكان متصديا للتدريس فى أكثر من مدرسة ؛ منها الأمينية والنجيبية بدمشق قال الذهبى عنه « كان إماما فاضلا متقنا عارفا بالمذهب حسن الفتاوى جيد

القريحة بصيرا بالعربية ، علامة فى الأدب والشعر وأيام الناس كثير الاطلاع .الخ »
ولابن خلكان شعر طريف جيد فى أغراض شتى منها الغزل .

ومن مصنفاته : كتابه الشهير «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» — وسنتحدث عنه فى الفصل الآتى — وهو فى تراجم الأعلام على اختلاف أنواعهم .

ومن شعره قوله فى ملاح يسبحون :

وسرب ظباء فى غدير تخالهم   بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلى والغرام مصاحبى   أمالك عن هذى الصبابة مذهب
وفى دمك المطلول خاضوا كما ترى   فقلت لهم دعهم يخوضوا ويلعبوا

ذكره الأسنوى وابن قاضى شهبة والذهبى — وكانت وفاته فى رجب سنة ٦٨١ هـ.

« فوات الوفيات ج ١ ص ٧٠ — طبقات السبكى ج ٥ ص ١٤ — كتابه الوفيات ج ٢ — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٥٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٧١ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٥٨ »

٨٥ — ابن الراهب القبطى : هو أبو شاكر بطرس بن الراهب أبو كرم ابن المهذب ، كان شماساً فى دير المعلقة بالفسطاط ، وتوفى عام ٦٨١ هـ .

ومن مصنفاته : كتاب فى التاريخ العام من بدء الخليقة حتى أيامه ، وهو مرتب فى جداول .

« جورجى زيدان ج ٢ ص ١٨٥ »

٨٦ — شمس الدين بن قدامة المقدسى الحنبلى : هو العلامة القدوة ، أبو الفرج — وأبو محمد — عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد . من أسرة طيبة الأرومة نابغة الجرثومة ، نشأ رجالها فى حب العلم وطلبه وخدمته ونشره . وكان أبوه أبو عمر محمد من أزهد الناس وأصلحهم وأعلمهم .

وقد ولد شمس الدين بسفح قاسيون بدمشق فى سنة ٥٩٧ هـ ، وسمع الحديث من أبيه وعمه مدفق الدين بن قدامة الحنبلى وغيرهما ، وعلى عمه تفقه . ومازال حتى علا كعبه ولمع نجمه ، وذاع فضله وأدبه وعلمه ، وأضحى فى مذهبه الإمام المشار إليه ، والمعتمد عليه . قال عنه الذهبى : « شيخ الحنابلة بل شيخ الإسلام وفقيه الشام »

وقد زاول الإفادة بالفتوى والتدريس وإقراء الحديث ، فلبث كذلك مدة طويلة ، قيل : إنه ظل يحدث نحو ستين عاماً ، وولى مشيخة الحديث ، وانتفع به كثير من الناس ، وتخرج به أفاضل من فقهاء وحفاظ . ومنهم محي الدين النووى ، وتقى الدين بن تيمية . كما ولى قضاء الحنابلة بالشام أكثر من اثنتى عشرة سنة . ثم عزل نفسه ، مع زهادة وعبادة ، وهيبة ووقار .

ومن تصنيفه : شرح المقنع ، فى عشرة مجلدات ضخمة . والمقنع كتاب فى فقه الحنابلة لعمه موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ .

وقد توفى شمس الدين بن قدامة فى آخر ربيع الآخر عام ٦٨٢ هـ ، ودفن من غده بقبر والده بسفح قاسيون بجنازة حافلة — ذكره الذهبي وابن رجب

« النجوم ج ٧ ص ٣٥٨ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٧٦ — السلوك ج ١ ص ٧٢٠ »

٨٧ — ظهير الدين الترمنتى نسبة إلى ترمنت بالصعيد : هو جعفر بن يحيي بن جعفر . كان شيخ الشافعية فى زمانه ، وكان قد أخذ عن فقهاء الشافعية قبله ، ومنهم ابن الرفعة وابن الجميزى . وقدمات فى عام ٦٨٢ هـ يوم الأحد ١٢ جمادى الأولى .

« السلوك ج ١ ص ٧٢١ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٥ — طبقات السبكى ج ٥ ص ٥٤ »

٨٨ — شهاب الدين بن تيمية الحرانى الحنبلى : هو أبو المحاسن — وأبو أحمد أو محمد — عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله ، ونزيل دمشق ، وهو والد الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وابن الشيخ مجد الدين بن تيمية السابق ذكره .

ولد بحران سنة ٦٢٧ هـ وسمع الحديث من والده ومن غيره ، ورحل إلى حلب فسمع الحديث ، وقد تفقه فى مذهبه حتى أصبح بارعا فيه ، وزاول الفتوى والتدريس والتصنيف فى علوم عدة ، وكان صاحب يد طولى فى الفرائض والحساب والهيئة ، مع حسن دين ودماثة خلق وتواضع .

وقد ولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين بدمشق ، ومات فى ليلة الأحد آخر ذى الحجة سنة ٦٨٢ هـ ودفن فى بلده .

« المنهل ج ٢ — النجوم ج ٧ ص ٣٥٩ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٧٦ »

٨٩ — ناصر الدين بن المُنَيِّر الجذامى الإسكندرانى : هو أبو العباس أحمد ابن محمد بن منصور ، أحد الأئمة المتبحرين فى العلوم المختلفة ، ومنها : التفسير والفقه والأصول والنظر والعربية والبلاغة والأنساب . أخذ عن جماعة منهم ابن الحاجب . وكان ابن عبدالسلام يقول : « الديار المصرية تفتخر برجلين فى طرفيها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالإسكندرية »

ومن تصانيفه : تفسير القرآن.(١) والانتصاف من الكشاف وأسرار الأسرار. ومناسبات تراجم البخارى . ومختصر التهذيب فى الفقه ، وتقسيم حديث الإسراء على طريقة المتكلمين ، وله ديوان خطب ، كما أن له شعراً متوسط الجودة، ومنه ما كتبه إلى الفائزى (٢) .

إذا اعتل الزمان فمنك يرجو بنو الأيام عاقبة الشفاء
وإن ينزل بساحتهم قضاء فأنت اللطف فى ذاك القضاء

وقد ولى ابن المنير قضاء الإسكندرية وخطابتها .

وقد ولد سنة ٦٢٠ هـ ، وكانت وفاته فى مستهل ربيع الأول سنة ٦٨٣ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٧٢٧ — النجوم ج ٧ ص ٣٦١ ، ٣٦٣ — فوات الوفيات ج ١ ص ٩٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٢ ، ١٤٣ — الشذرات ج ٥ ص ٣٨١ »

٩٠ — عز الدين بن الصائغ : هو قاضى القضاة أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر ابن عبدالخالق بن خليل، الأنصارى الدمشقى الشافعى.

ولد سنة ٦٢٨ هـ وسمع الحديث وتفقه ، ولازم كمال الدين التفليسى ، حتى صار بارعا فى مذهبه وفى الأصول والمناظرة .

ولى وكالة بيت المال ثم قضاء الشام ، وليه أكثر من مرة وزاول التدريس فى

---

(١) لعله المسمى « البحر الكبير فى بحث التفسير » — ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، كما أن بها الجزء الثالث من كتابه : الانتصاف .

(٢) لعله هبة الله بن صاعد الفائزى الذي كان وزيرا ، والمتوفى فى عام ٦٥٥ هـ — راجع المجلد الأول من كتابنا هذا ص ٣٠٧

أكثر من مدرسة — وكانت وفاته فى ٩ ربيع الثانى عام ٦٨٣ هـ .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٣١ — شذرات الذهب ج ٥
ص ٣٨٣ — السلوك ج ١ ص ٧٢٧ — المنهل ج ٣ »

٩١ — نجم الدين[1] بن البارزى : هو القاضى أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم ابن هبة الله بن المُسلِم بن هبة الله الجهنى الشافعى. ولد سنة ٦٠٨ هـ ، وسمع من أبيه ومن كثيرين . وكان شافعى المذهب . قال الذهبى : « كان إماما فاضلا فقيها أصوليا أديبا شاعرا له خبرة بالعقليات ونظر فى الفنون » . وقد اشتغل بالتدريس والفتوى والتصنيف . وصنف فى علوم كثيرة .

توجه للحج فمات فى تبوك ، وحمل إلى المدينة فدفن بالبقيع . وكانت وفاته فى ذى القعدة عام ٦٨٣ هـ .

« المنهل ج ٢ — النجوم ٧ ص ٣٦٢ ، ٣٦٤ — طبقات السبكى ج ٥
ص ٧١ — الشذرات ج ٥ ص ٣٨٢ — السلوك ج ١ ص ٧٢٧ »

٩٢ — عز الدين بن شداد : هو المنشىء البليغ محمد بن ابراهيم بن على الأنصارى الحلبى . ولد سنة ٦١٣ هـ . وفى الشذرات : أنه جمع السيرة للملك الظاهر — أى بيبرس — وجمع تاريخا لحلب ، وفى جورجى زيدان أنه ألف كتاب : الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة .

وكانت وفاته فى صفر سنة ٦٨٤ هـ .

« شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٨٨ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٨٤ »

٩٣ — الرضى الشاطبى : هو محمد بن على بن يوسف الأنصارى . كان إمام عصره فى اللغة ، وزاول تدريسها فى القاهرة . ومات بها سنة ٦٨٤ هـ فى ٢٨ جمادى الأولى . وكان مولده سنة ٦٠١ هـ ببلنسية .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٥ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٨٩
— النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٦٨ — السلوك ج ١ ص ٧٣٠ »

---

(١) فى السلوك أن ابن البارزى الذى توفى عام ٦٨٣ هـ هو شمس الدين ابراهيم بن المسلم بن هبة الله . وفى المراجع الأخرى أنه نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم ، المذكور .

٩٤ — شهاب الدين القرافى المالكى : هو أبو العباس أحمد بن إدريس ابن عبد الرحمن الصنهاجى البهنسى المصرى . أحد الأعلام ، انتهت إليه رياسة المالكية فى عصره . وتبلمذ للشيخ عز الدين بن عبد السلام — مع أنه شافعى — وأخذ عنه أكثر فنونه ولازمه مدة . وكان بارعا فى الفقه وأصوله والعلوم العقلية . وتتلمذ له كثيرون من الأعلام . قال بعضهم : أجمع المالكية والشافعية على أن أفضل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة : القرافى وابن المنير وابن دقيق العيد .

ومن مصنفاته : الذخيرة ، والقواعد ، وشرح المحصول ، والتنقيح فى الأصول وشرح التنقيح . وغير ذلك .

توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٤ هـ — وقيل ٦٨٢ هـ — ودفن بالقرافة .

« المنهل ج ١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٢ »

٩٥ — شمس الدين عبيد الله بن قدامة المقدسى الحنبلى : هو عبيد الله ابن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد . ولد سنة ٦٣٥ هـ وتفقه فى مذهب ابن حنبل حتى غدا فيه نابغا فأفتى ودرس . وشرع فى تأليف كتاب ضخم فى الحديث ، فلم يتمه . وكان خيرا معينا . توفى فى الاثنين ٢٨ شعبان سنة ٦٨٤ هـ بقرية جماعيل من أعمال نابلس ودفن بها

« شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٨٦ »

٩٦ — رشيد الدين البُصراوى الحنفى : هو أبو محمد [١] سعيد بن على ابن سعيد ، كان مدرسا بالمدرسة الشبلية ، بدمشق . وكان إماما وعالما فاضلا دينا . عرض عليه القضاء أكثر من مرة ، فامتنع عن قبوله . وكانت له اليد الطولى فى العربية وفى الشعر . ـ مات فى شعبان سنة ٦٨٤ هـ ودفن بقاسيون بدمشق .

« السلوك ج ١ ص ٧٣٠ — النجوم ج ٧ ص ٣٦٦ »

٩٧ — برهان الدين النسفى : العلامة محمد بن محمود بن محمد ، الحنفى المتكلم

---

(١) فى النجوم : هو أبو محمد سعيد — وفى السلوك : هو أبو محمد شعبان :

صاحب التصانيف فى الخلاف الذى تخرج به كثيرون . ولد فى سنة ٦٠٠ ه وتوفى فى سنة ٦٨٤ ه .

« شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٨٥ »

٩٨ — سراج الدين موسى أخو الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد : كان فقيها شافعيا نظارا شاعرا ، نشر العلم بقوص ، وأفتى . وصنف كتاب : المغنى فى الفقه . وهو الذى نقل عنه ابن الرفعة بعض فتاواه .

ولد بقوص سنة ٦٤١ ه ، ومات بها فى شوال سنة ٦٨٥ ه . ومن شعره :

وحقك ما أعرضت عنك ملالة ولا أنا مما تعلمين مفيق
ولكن خشيت الكاشحين لأننى على سرنا من أن يذاع شفيق
فأصبحت كالظمآن شاهد مشربا قريبا ولكن ما إليه طريق

« طبقات السبكى ج ٥ ص ١٥٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠ »

٩٩ — بهاء الدين بن الزكى الدمشقى الشافعى : هو قاضى القضاة يوسف ابن يحيى بن محمد بن على . — ولد سنة ٦٤٠ ه . سمع الحديث بمصر ، ودرس الفقه على أبيه وغيره . وأخذ العلوم العقلية عن كمال الدين التفليسى ؛ ونبغ حتى أسند إليه قضاء الشام . وزاول التدريس فى جملة مدارس بدمشق منها العزيزية والتقوية .

قال عنه الذهبى : « كان جليلا نبيلا ذكيا سريا كامل الرياسة وافر العلم بارعا فى الأصول بصيرا بالفقه فصيحا مفوها حلالا للمشكلات غواصا على المعانى سريع الحفظ قوى المناظرة » . وقيل كان يلقى فى اليوم عدة دروس . وكان أديبا . توفى فى ١١ ذى الحجة عام ٦٨٥ ه

« النجوم ج٧ ص ٣٧٠ — شذرات الذهب ج٥ ص ٣٩٤ — السلوك ج ١ ص ٧٣٣ »

١٠٠ — أبو الفرج بن القف المسيحى : تلميذ ابن أبى أصيبعة . توفى بدمشق سنة ٦٨٥ ه .

ومن مصنفاته : العمدة فى صناعة الجراح . وجامع الغرض فى حفظ الصحة ودفع المرض .

« جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٠ عن طبقات الأطباء ص ٢٧٣ ج ٢ »

١٠١ — قطب الدين القسطلانى الشافعى المصرى : هو أبو بكر محمد بن أحمد ابن على بن محمد بن الحسن وهو الفقيه العلامة ، والمحدث الحافظ ، والأديب الشاعر ، والصوفى المتعبد . سمع الحديث بمصر ودمشق من أصحاب السلفى ، ومن أصحاب بن عساكر . وكذلك سمع ببغداد .

وقد ولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، وحدث وأفتى وأفاد وصنف كتابا فى تاريخ الصوفية مبتدئا بالحلاج ، وختم بالعفيف التلمسانى. ومن شعره :

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه ومن غلط جاءت يد الشوك بالورد

وقد يخبث الفرع الذى طاب أصله ليظهر صنع الله فى العكس والطرد

وكان مولده فى ذى الحجة سنة ٦١٤ هـ ووفاته فى ١٨ المحرم سنة ٦٨٦ هـ

« السلوك ج ١ ص ٧٣٨ — الطبقات ج ٥ ص ١٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٥ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٧ — النجوم ج ٧ ص ٣٧٣ »

١٠٢ — بدر الدين بن مالك الشافعى الطائى النحوى : هو أبو عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الله بن مالك . وأبوه هو النحوى المشهور صاحب الألفية فى النحو ، جمال الدين بن مالك .

وقد كان ابنه هذا ، بدر الدين ، يسكن بعلبك ، وأخذ عن والده النحو واللغة والمنطق . ثم عاد إلى دمشق ، وتصدى للإفادة فأخذ عنه كثيرون منهم بدر الدين ابن جماعة ، وكمال الدين بن الزملكانى .

قال عنه الذهبى : كان إماما ذكيا فهما حاد الذهن ، إماما فى النحو ، إماما فى المعانى والبيان والنظر جيد المشاركة فى الفقه والأصول ، وغير ذلك . وكان عجبا فى الذكاء والمناظرة وصحة الفهم . الخ »

ومن مصنفاته : شرح ألفية والده . والمصباح فى المعانى والبيان . وله كتاب فى العروض . وشرح غريب تصريف ابن الحاجب . وشرح لامية أبيه فى الصرف .

وكانت وفاته بدمشق فى المحرم عام ٦٨٦ هـ

« النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٧٣ — المنهل ج ٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٨ — السلوك ج ١ ص ٧٣٨ »

١٠٣ — عماد الدين الدُّنَيسِرى: وهو الطبيب الأديب أبو عبد الله محمد ابن عباس بن أحمد الربعى. ولد بدنيسر سنة ٦٠٦ هـ، وسمع بمصر وتفقه على مذهب الشافعى، وصحب البهاء زهير الشاعر الرقيق وتأدب بأدبه، فقال الشعر كما برع فى الطب. ومن شعره:

يا عاذلى كف عن عــذلى فى قمر قد حجبوه عن الأبصار بالأسل
معقرب الصدغ فى تكوين صورته معنى يجل عن الإدراك بالمقل

وكانت وفاته فى ٨ صفر عام ٦٨٦ هـ.

« النجوم ٧ ص ٣٧٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٧ — السلوك ج ١ ص ٧٣٩ »

١٠٤ — شرف الدين بن قدامة الحنبلى. هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبيد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الفرضى. كان مولده فى ١٤ المحرم سنة ٦١٤ هـ. وتتلمذ للشيخ موفق الدين وهو جده لأمه، وعم أبيه. وتتلمذ لغيره. وأجازه كثيرون. وكان ذا خبرة بالفرائض والجبر والمقابلة، وتصدى للإفادة بالجامع المظفرى بقاسيون دون أجر. فانتفع به كثير من الطلاب. — توفى ليلة الثلاثاء ٥ المحرم عام ٦٨٧ هـ ودفن من الغد عند جده الموفق.

« النجوم ٧ ص ٣٧٧ المنهل ج ١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٩ »

١٠٥ — شمس الدين أبو العباس الخونى[1] الشافعى. وهو أحمد بن الخليل ابن سعادة بن جعفر بن عيسى البرمكى. ولد فى شوال سنة ٥٨٣ هـ ودخل خراسان، فدرس الكلام والأصول على الإمام فخر الدين الرازى، وقيل قرأهما على قطب الدين المصرى تلميذه. ودرس الفقه وعلم الجدل، وسمع الحديث بدمشق من ابن الصلاح وغيره — وقد سمع الحديث منه كثيرون منهم: أبو عمرو بن الحاجب وقد ولى قضاء الشام مدة. وصنف جملة مصنفات، ونظم الشعر. — توفى فى ٧ شعبان سنة ٦٨٧ هـ بدمشق ودفن بسفح قاسيون.

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٨ »

---

(١) لعله الخويى بالياء.

١٠٦ — شمس الدين بن الكمال المقدسى الحنبلى : هو أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد . ولد فى ليلة الخميس ١١ من ذى الحجة عام ٦٠٧ هـ بقاسيون . وتتلمذ لكثير من الأعلام منهم ابن الحرستانى، وابن ملاعب وموفق الدين الحنبلى ، ولازم عمه الحافظ ضياء الدين . وعنى بالحديث وجمعه . وقد نفع الناس بفقهه وما يسمع من الحديث . مع ورع وصلاح .

وقد تمم تصنيف كتاب « الأحكام » لعمه الحافظ ضياء الدين .

وكانت وفاته فى ليلة الثلاثاء ٩ جمادى الأولى سنة ٦٨٨ هـ ، ودفن من غدها بمقبرة الشيخ موفق الدين .

« النجوم ج ٧ ص ٣٨٢ - المنهل ج ٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٦ »

١٠٧ — فخر الدين البعلبكى الحنبلى : هو أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف ابن محمد بن نصر ، الفقيه المحدث المفتى، الزاهد .

ولد سنة ٦١١ هـ ببعلبك ، وقرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه . وحفظ كتاب علوم الحديث ، وعرضه على مؤلفه الحافظ تقى الدين بن الصلاح . ودرس النحو والأصول ، وتصدى للإفادة فنفع كثيرا من الطلاب .

توفى ليلة الأربعاء ٧ رجب عام ٦٨٨ هـ بدمشق .

« النجوم ج ٧ ص ٣٨٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٤ »

١٠٨ — شمس الدين الأصبهانى : هو العلامة أبو عبد الله محمد بن محمود ابن محمد بن عياد العجلى . كان إماماً فى الأصول والنحو والشعر ، بارعا فى الجدل والمنطق .

ولد بأصبهان سنة ٦١٦ هـ، وطلب العلم ببغداد ثم رحل إلى حلب ، وتولى قضاء منبج ، ثم قدم إلى القاهرة ، فولى قضاء قوص — وكان شافعى المذهب ،

واشتغل بالتدريس فى مشهد الحسين ، ومسجد الشافعى . وتخرج به جملة من الأفاضل . وقيل إن تقى الدين بن دقيق العيد القشيرى كان أحد تلاميذه فى قوص .

— غير أنه لما شب وكبر شآه فى العلم وفاقه .

ومن مصنفاته : شرح المحصول ، وغاية المطالب فى المنطق ، والقواعد[1]، جمع فيه بين الأصول والجدل والمنطق .

وكانت وفاته فى رجب سنة ٦٨٨ هـ ودفن بالقرافة .

« النجوم ج ٧ ص ٣٨٢ — السلوك ج ١ ص ٧٥٠ — طبقات السبكى ج ٥ ص ٤١ — حسن المحاضرة ج١ ص ٢٦٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٦ »

١٠٩ — تقى الدين الجرائدى ، هو يعقوب بن بدران بن منصور المصرى. كان شيخا للقراء فى زمانه بالديار المصرية . مات فى شعبان سنة ٦٨٨ هـ .

« المنهل ج ٣ ـ ٢ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٧ — النجوم ج ٧ ص ٣٨٢ »

١١٠ — نجم الدين بن قدامة المقدسى الحنبلى : هو أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة .

ولد فى شعبان ٦٥١ هـ ـ لعله بالمقدس ـ وسمع الحديث ودرس فقه الحنابلة حتى امتاز فيه ؛ فولى قضاءه وهو دون الثلاثين . واشتهر بأنه خطيب الجبل . وزاول تدريس المذهب فى عدة مدارس . ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح . وشارك فى جملة علوم . ونظم الشعر . ومات يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى سنة ٦٨٩ هـ بمنزله بقاسيون . ودفن فى مقبرة أسرته .

« النجوم ج ٧ ص ٣٨٥ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٧ — السلوك ج ١ ص ٧٥٩ »

١١١ — علاء الدين بن النفيس : هو العلامة المشهور ، على بن أبى الحزم القرشى الدمشقى الشافعى شيخ الطب بالديار المصرية ، وأحد الذين انتهت إليهم صناعة الطب . كان ذكى الذهن حاذقا . ومع علو كعبه فى صناعة الطب ، كان مشارا إليه فى الفقه والأصول والحديث والعربية والمنطق والجدل والبيان .

قال السبكى : وأما الطب فلم يكن على وجه الأرض مثله ، قيل ولا جاء بعد ابن سينا مثله ، قالوا : وكان فى العلاج أعظم من ابن سينا . » — قيل وكانت

---

(١) فى الشذرات . القوائد .

تصانيفه يمليها من حفظه ولا يحتاج إلى مراجعة لتبحره فى فنه .

ومن تصانيفه : كتاب الشامل وهو سفر ضخم فى الطب لم يتمه ، وكتب منه ٨٠ مجلدا فقط . وله « الموجز » و « شرح القانون لابن سينا » وهما فى الطب . وشرح التنبيه . وله تصانيف فى أصول الفقه ، وفى المنطق . وقد تخرج به تلاميذ كثيرون .

— وكانت وفاته (١) فى ١١ ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ عن نحو ثلاثين سنة ، ووقف أملاكه وكتبه على المارستان المنصورى .

ذكره الذهبي . والاسنوى ، وابن خلدون فى العبر .

« النجوم ج ٧ ص ٣٧٧ — السلوك ج ١ ص ٧٤٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠ — طبقات السبكى ج٥ ص ١٢٩ ـ شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠١ ـ جورجى زيدان ج٣ ص ٢٥٠ »

١١٢ — كمال الدين القليوبى الشافعى : هو أحمد بن عيسى بن رضوان : أخذ عن والده وغيره ، وروى عن ابن الجميزى . وقد برع فى الفقه والأصول والعربية ، وكان عالما جليلا صالحا وولى قضاء المحلة مدة .

ومن مصنفاته : شرح التنبيه . ونهج الوصول فى علم الأصول . ومختصر فى أصول الفقه . والمقدمة الأحمدية فى أصول العربية . وكتاب طب القلب ووصل الصب وهو فى التصوف . والجواهر السحابية فى النكت المرجانية ، ويبدو أنه فى التصوف أيضا . والعلم الظاهر فى مناقب الفقيه الطاهر ، وهو فى مناقب شيخ والده أبى الطاهر خطيب مصر . والحجة الرابضة لفرق الرافضة .

وكانت وفاته عام ٦٨٩ هـ وقال السبكى إنها عام ٦٩١ هـ

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٦ ـ طبقات السبكى ج ٥ ص ١٠ المنهل ج ١ »

١١٣ — فخر الدين بن البخارى الحنبلى : هو العلامة الحافظ المحدث ، أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدى المقدسى الصالحى الحنبلى .

---

(١) فى الشذرات وحسن المحاضرة : سنة ٦٩٧ هـ ـ وفى جورجى زيدان : سنة ٦٩٦ هـ وفى النجوم والسلوك سنة ٦٨٧ هـ .

ولد فى آخر سنة ٥٩٥ هـ ، وأولع بسماع الحديث فطلبه عند أئمته الأعلام مثل حنبل وابن طبرزد والكندى . وأجازه بالرواية أبو المكارم اللبان وابن الجوزى .

وقد برع فى فقه الحنابلة إلى جانب براعته فى حفظ الحديث وروايته . غير أنه اشتهر بالحديث حتى صار محدث الشام فى زمانه على الإطلاق . واجتاز الطلبة إليه الآفاق طلبا للسماع منه ، كما طاف هو فى سبيل التحديث إلى دمشق ومصر وبغداد والموصل وتدمر والرحبة وغيرها قيل إنه ظل يحدث نحو ستين عاما ؛ وبارك الله فى تلاميذه، فملئوا الأرجاء وعاشوا من بعده زمانا طويلا . وممن حدث عنه تقى الدين ابن تيمية ، والزكى المنذرى، والرشيد العطار، والدمياطى وابن دقيق العيد القشيرى ، والحارثى وابن الحاجب — وكان إلى جانب ذلك ، ينظم الشعر

وكانت وفاته فى الأربعاء ٢ من ربيع الثانى عام ٦٩٠ هـ ودفن بسفح قاسيون بجنازة حافلة — ذكره ابن رجب والذهبى .

« النجوم ج ٨ ص ٣٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤١٤ — السلوك ج ١ ص ٧٧٦ المنهل ج ٢ »

١١٤ — علاء الدين بن الزملكانى : هو على بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارى الدمشقى الشافعى وهو ابن العلامة كمال الدين بن الزملكانى سمع الحديث من الرشيد العطار وغيره . وكان إماما مفتياً ، اشتغل بالتدريس بالمدرسة الأمينية . وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ .

« السلوك ج ١ ص ٧٧٧ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤١٧ »

١١٥ — تاج الدين الفركاح : هو أبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع الفزارى الدمشقى الشافعى . ولد فى ربيع الأول سنة ٦٢٤ هـ . وسمع الحديث من ابن الزبيدى وابن الصلاح وغيرهما . وكذلك درس الفقه على ابن الصلاح وابن عبد السلام ، حتى برع فيه ؛ وتصدى للإفادة فأفتى ودرس ، فعم نفعه وسرى صيته فى الآفاق . ومازال يعلو كعبه حتى أصبح فقيه الشام ، وقيل إنه بلغ مرتبة الاجتهاد .

قال الذهبى : « إنه جمع تاريخاً مفيداً ، وصنف تصانيف عدة »

ومن مؤلفاته : الإقليد لذوى التقليد . وشرح على التنبيه . وشرح ورقات إمام

الحرمين فى أصول الفقه . وشرح قطعة من التعجيز . وشرح على الوجيز .

وقد خرّج له الحافظ أبو محمد البرزالى مشيخة . وتوفى فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ هـ . وهو مدرس بالمدرسة البادرائية ودفن بمقبرة باب الصغير .

«المنهل ج٢ — السلوك ج ١ ص ٧٧٦ — طبقات السبكى ج ٥ ص ٦٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤١٣ — النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٣٣،٣١ »

١١٦ — عز الدين السويدى : هو شيخ الأطباء العلامة ، أبو إسحق ابراهيم بن محمد بن طرخان الأنصارى الدمشقى .

ولد سنة ٦٠٠ هـ ، وسمع الحديث من شهاب الدين العطار ، وابن ملاعب . ومال إلى الأدب فدرسه على ابن معطر ، وجنح إلى الطب فتعلمه عن مهذب الدين الدخوار ، حتى برع فيه وفاق أقرانه . كما درس العلوم العقلية .

ومن مصنفاته : كتاب الباهر فى الجواهر . وكتاب التذكرة فى الطب .

وكانت وفاته فى شعبان سنة ٦٩٠ هـ .

« شذرات الذهب ج ٥ ص ٤١١ »

١١٧ — المفضل بن هبة الله بن على الإسنائى : كان ذكيا فاضلا ، أولع بالاشتغال بالطب والحكمة والمنطق فمهر فيها ، كما مهر فى الفقه والأصول والنحو والفلسفة . وله كتاب فى الترياق . وكانت وفاته بمصر فى نحو ٦٩٠ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ س ٢٦١ »

١١٨ — زين الدين بن المرحل — أو ابن الوكيل — : هو أبو حفص عمر بن مكى بن عبدالصمد . كان أحد فقهاء الشافعية . تفقه على الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام وبرع فى الفقه والأصول والكلام . وسمع الحديث من الحافظ عبدالعظيم بن المنذرى وغيره .

وقد زاول التدريس والفتوى . وولى الخطابة بدمشق . وكذلك وكالة بيت المال بها . وكان مناظراً . وهو والد صدر الدين بن المرحل — مات فى ٢٣ ربيع الأول سنة ٦٩١ هـ .

«النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٣٦ — طبقات السبكى ج ٥ ص ١٤٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٦ »

١١٩ — تقى الدين بن الواسطى الحنبلى ، هو أبو إسحق ابراهيم بن على ابن أحمد بن فضل بن الواسطى كان فقيها زاهدا متصوفا .

ولد سنة ٦٠٢ ه وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرستانى وموفق الدين ابن قدامة وغيرهما ، وقد رحل فى طلب الحديث والفقه . فطاف ببغداد وحلب وحران والموصل ، ولقى الأئمة ، وعلا كعبه وتصدر للفتوى فى مذهبه ودرس بالمدرسة الصاحبية بقاسيون نحو عشرين عاما ، وولى مشيخة دار الحديث الظاهرية ، وغيرهما ، وكان كثير العبادة داعيا إلى عقيدة أهل السنة والسلف الصالح .

وكانت وفاته فى ٢٤ جمادى الآخرة عام ٦٩٢ ه ودفن بتربة موفق الدين بن قدامة الحنبلى .

« المنهل ١ — النجوم ج ٨ ص ٤٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤١٩ »

١٢٠ تقى الدين الإسعردى : هو أبو القاسم عبيد بن محمد عباس . ولد سنة ٦٢٢ ه ومات فى شعبان سنة ٦٩٢ ه ومهر فى الحديث حتى عد من حفاظه . وبرع فى تخريج الأحاديث ومعرفة رجالها . وشرح بعض كتب الحديث .

«حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ — الشذرات ج ٥ ص ٤٢١ »
« تذكرة الذهبي ج ٤ ص ٢٦٦ — النجوم ج ٨ ص ٤٠ »

١٢١ — محي الدين بن عبد الظاهر : القاضى الكاتب الشاعر ، عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى المصرى . كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، كتب للظاهر بيبرس وأبنائه .

ومن مصنفاته : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة . وسيرة السلطان الظاهر بيبرس ، شعرا . والألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية ، وهو فى تاريخ مصر فى زمن الأشرف خليل بن قلاوون .

كانت وفاته فى القاهرة فى ٣ رجب عام ٦٩٢ ه ، ودفن بتربته بالقرافة .
« سنذكره فى الجزء الرابع »

« المنهل ج ٢ — السلوك ج ١ ص ٧٨٧ — النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٣٨ — فوات الوفيات ج ١ ص ٢٧١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢١ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٥٤ »

١٢٢ — المكين الأسمر الإسكندرانى : هو عبد الله بن منصور . كان شيخا للقراء بالأسكندرية ، مات فى ذى القعدة عام ٦٩٢ هـ.

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٤٠ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٢١ »

١٢٣ — شمس الدين الدمياطى : هو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ابن أبي عبد الله . كان مقرئا مشهورا . أخذ القراءات عن السخاوى ، وقعد للإقراء وانتفع به الطلاب . وتوفى فى صفر عام ٦٩٣ هـ .

« النجوم ٨ ض ٥٤ — شذرات الذهب جـ ٥ ض ٤٢٤ »

١٢٤ — شهاب الدين الخوبى (١) الشافعى : هو قاضى القضاة أبو عبد الله محمد (٢) بن أحمد بن خليل بن سعادة . وأبوه (٣) قاضى الشام شمس الدين أبو العباس أحمد الخوبى ، كان عالما فقيها خبيرا بالكلام والطب والحكمة .

أما شهاب الدين فقد ولد فى سنة ٦٢٦ هـ ونبغ فى الفقه الشافعى . وولى قضاء الشام والقدس ، وقضاء مصر .

ومن مؤلفاته: شرح الفصول لابن معط . كفاية المتحفظ. نظم علوم الحديث لابن الصلاح . كتاب فى عشرين فنا .

ذكره الإسنوى . وذكرناه فى باب القضاة . ومات فى ٢٥ رمضان سنة ٦٩٣ هـ بدمشق .

« النجوم ٨ ص ٥٤ — السلوك ج ١ ض ٨٠٤ — حسن المحاضرة جـ ١ ض ٢٦٠ ، ج ٣ ض ١١٢ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٢٣ »

١٢٥ — حافى رأسه : وهو محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محيي الدين الإسكندرانى . ولد بتاهرت بظاهر تلمسان عام ٦٠٦ هـ ، وكان إماما فى العربية والنحو وقدم الديار المصرية . وعاش بالإسكندرية وتصدى فيها لتدريس النحو ،

---

(١) الخوبى : نسبة إلى خوي بضم فتتح . مدينة بأذربيجان — رواه صاحب الشذرات .

(٢) فى الشذرات : أحمد بن أحمد .

(٣) توجد ترجمته في طبقات السبكي ج ٥ ض ٨ — وشذرات الذهب جـ ٤ ض ٤٢٣

فطلبه عليه كثيرون . مات فى رمضان سنة ٦٩٣ ﻫ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٥ »

١٢٦ — شرف الدين المقدسى الشافعى ، وهو أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد خطيب دمشق ومفتيها وشيخ الشافعية بها زمانه .

ولد سنة ٦٢٢ ﻫ وسمع الحديث من ابن الصلاح ، وتفقه بابن عبد السلام بالقاهرة وتفقه بغيره وأجيز وبرع فى الفقه والأصول والعربية ومهر فى الخطابة والمناظرة وكانت وفاته فى رمضان عام ٦٩٤ ﻫ .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٧ — المنهل ١ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢٤ — السلوك ج ١ ص ٨١٠ »

١٢٧ — عماد الدين الدمنهورى : عبد الرحمن بن أبى الحسن بن يحيى . وله نكت على التنبيه . ولد فى ذى القعدة عام ٦٠٦ ومات فى رمضان عام ٦٩٤ ﻫ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٦ »

١٢٨ — عز الدين الحسينى الحلبى المصرى : هو الشريف نقيب الأشراف أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن . برع فى الحديث والتاريخ ومات فى ٦ المحرم سنة ٦٩٥ ﻫ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧ »

١٢٩ — نجم الدين الحرانى الحنبلى : العلامة أبو عبدالله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمد ، نزيل القاهرة ، ولد بحران سنة ٦٠٣ ﻫ . وبها سمع الحديث ، وتفقه على أئمة مذهبه ، حتى أصبح رأساً فيه وانتهت إليه معرفته . وكان عالماً بالأصول أديباً . وناب فى الحكم بمصر ، وتصدى للتدريس فتفقه عليه عدد من أفاضل مذهبه . وحدث فروى عنه الدمياطى والحارثى والمزى والبرزالى وغيرهم .

ومن مصنفاته : الرعاية الكبرى ، والرعاية الصغرى ، وهما فى الفقه . والوافى ، ومقدمة فى أصول الدين . وصفة المفتى والمستفتى ، وغير ذلك .

توفى بالقاهرة فى ٦ صفر عام ٦٩٥ ﻫ .

« المنهل ج ١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٢ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢٨ »

١٣٠ — تقى الدين شبيب الحرانى : هو شبيب بن حمدان بن شبيب بن حمد ،

نزيل القاهرة ، أخو الفقيه الحنبلى نجم الدين الحرانى — السابق ذكره —
ولد تقى الدين بعدسنة ٦٢٠ هـ ، وكان طبيبا كحالا — طبيب عيون — وأديبا شاعراً . مات فى ربيع الآخر سنة ٦٩٥ هـ [1] بمصر . « نذكره فى باب الشعراء بالجزء الثالث »

« فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٣٥ — المنهل جـ ٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٠ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٢٩ »

١٣١ — عبداللطيف بن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، كان فقيها عالماً بالفقه والأصول، ولد عام ٦٢٨ هـ ، ومات بالقاهرة فى ربيع الثانى سنة ٦٩٥ هـ .

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٦ »

١٣٢ — زين الدين بن المنجا الحنبلى ، الدمشقى : هو العلامة المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى .

ولد فى سنة ٦٣١ هـ ، وسمع من السخاوى وغيره ، وتفقه ودرس مذهب ابن حنبل على جهابذته ، وفقه الأصول والنحو ، وعلا كعبه فى ذلك كله ، حتى أفتى وناظر وصنف . وسمع منه ابن العطار والمزى والبرزالى وغيرهم .

ومن مؤلفاته : شرح المقنع فى أربع مجلدات . وتفسير القرآن — ومات فى ٤ شعبان سنة ٦٩٥ أو ٦٩٤ هـ .

« السلوك جـ ١ ص ٨١٧ — النجوم جـ ٨ ص ٧٧ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٣٣ »

١٣٣ — سحنون ، صدر الدين الأوسى المالكى . وهو أبو القاسم عبدالرحمن ابن عبدالحكيم بن عمران المقرىء النحوى . وقد كان إماما عليما بمذهبه ، مفتيا ، مات بالاسكندرية فى ٤ شوال سنة ٦٩٥ هـ ، متجاوزا الثمانين — وفى النجوم توفى سنة ٦٩٤ هـ .

« النجوم جـ ٨ ص ٧٨ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٤٠ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٣١ »

١٣٤ — شرف الدين بن قدامة المقدسى الحنبلى : وهو الإمام حسن بن عبدالله بن أبى عمر بن قدامة ، ولد فى سنة ٦٣٨ هـ ، وسمع الحديث ودرس الفقه

---

(١) فى فوات الوفيات أنه توفى سنة ٦٧٥ هـ .

حتى برع فى مذاهب ابن حنبل . وولى قضاء الشام . واشتغل بالتدريس بدار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون ، وغيرها .

توفى فى ليلة الخميس ٢٢ شوال عام ٦٩٥ ﻫ ، ودفن بمقبرة جده بسفح قاسيون

« السلوك ﺟ ١ ص ٨١٧ ـ شذرات الذهب ﺟ ٥ ص ٤٣٠ — المنهل ج ٢ »

١٣٥ — عز الدين [١] المقدسى الحنبلى : هو أبو حفص بن عبد بن عمر ابن عوض ، قاضى قضاة مصر . سمع الحديث من جعفر الهمدانى وابن رواح . وبرع فى مذهبه وولى قضاء الحنابلة زمنا . واشتغل بالإفتاء والتدريس . ومات فى صفر عام ٦٩٦ ﻫ .

« النجوم ٨ ص ١١١ ـ حسن المحاضرة ﺟ ١ ص ٢٢٨
شذرات الذهب ﺟ ٥ ص — ٤٣٦ السلوك ﺟ ١ص٨٣٠»

١٣٦ — ضياء الدين القنائى الحسينى المصرى الشافعى : هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد ، ويعرف بابن عبد الرحيم . ولد بقنا فى سنة ٦١٩ ﻫ — وقيل ٦١٨ ﻫ — ودرس الفقه على مجد الدين القشيرى وغيره . وأخذ الحديث عن أبى الحسن على بن هبة الله بن الجميزى وغيره . ورحل إلى دمشق فى طلب الحديث ، ثم عاد إلى القاهرة فقوص ، فولى قضاءها ، ثم ولى وكالة بيت المال بالقاهرة ، وزاول التدريس بالمشهد الحسينى . وروى عنه أبو حيان وغيره . وكانت وفاته فى ربيع الأول سنة ٦٩٦ ﻫ .

« طبقات السبكى ﺟ ٥ ص ٥٤ ـ حسن المحاضرة ﺟ ١ ص ١٩٦ ـ الشذرات ﺟ ٥ ص ٤٣٥ »

١٣٧ — جمال الدين بن الظاهرى : الزاهد القدوة ، أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبد الله الحلبى الحنفى المقرىء ، كتب الحديث عن سبعمائة شيخ . وخرج الأحاديث . ولد بحلب سنة ٦٢٦ ﻫ ومات بظاهر القاهرة فى ربيع الأول سنة ٦٩٦ ﻫ .

« التذكرة ﺟ٤ ص٢٧٠ ـ حسن المحاضرة ﺟ ١ ص ١٦٧ - المنهل ج ١ ـ الشذرات ﺟ ٥ ص ٤٣٥ ـ السلوك ﺟ ١ ص ٨٣٠ »

١٣٨ — جلال الدين الدشناوى الكندى الشافعى : هو أحمد بن عبد الرحمن

(١) هو غير عز الدين أبى البركات الحنبلى الآتى ذكره والمتوفى عام ٨٧٦ ﻫ

ابن محمد . من فقهاء صعيد مصر وأئمته الأعلام ، ولد سنة ٦١٥ هـ بدشنا بالصعيد. وسمع الحديث من بهاء الدين بن الجميزى والحافظ عبد العظيم المنذرى وعز الدين ابن عبد السلام ، ومجد الدين القشيرى . ودرس الفقه والنحو . وانتهت إليه رياسة مذهبه بمدينة قوص . وقعد لإقراء الحديث وتفقيه الناس والطلاب ، فانتفع منه خلق كثيرون ، وحدث عنه شمس الدين بن القماح وغيره — وكان ينظم الشعر . وله جملة فتاوى نافعة .

ومن تصانيفه : شرح على التنبيه وصل فيه إلى الصيام . والمناسك . ومقدمة فى النحو .

توفى فى قوص فى يوم الاثنين مستهل رمضان سنة ٦٩٧ هـ .

« طبقات السبكى جـ ٥ ص ٩ »

١٣٩ — جمال الدين بن واصل : أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموى الشافعى قاضى حماة ، ولد بها سنة ٦٠٤ هـ . وكان ذكياً ممتازاً مكباً على طلب العلم، ولاسيما المعقولات . وما لبث حتى برز فى فقه الشافعية والفلسفة والرياضيات والهيئة والتاريخ . وجاء إلى القاهرة عام ٦٥٩ هـ ، فبعثه السلطان الظاهر بيبرس سفيراً إلى منفرد بن فردريك الثانى صاحب صقلية فى مهمة . ثم عاد، فعينه بيبرس قاضياً على حماة وشيخاً لشيوخها ، فلبث بها حتى مات فى يوم الجمعة ٢٤ شوال عام ٦٩٧ هـ . وقد صنف فى الأصلين والحكمة والمنطق والعروض والطب والأدبيات .

ومن مصنفاته : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، وهو ثلاثة مجلدات فى تاريخ الدولة الأيوبية . وتجريد الأغانى فى ذكر المثالث والمثانى . — وله شعر منه قوله متغزلا :

وأغيد مصقول العذار صحبته ... وربع سرورى بالتأهل عامر
وفارقته حيناً فجـاء بلحية ... تروع وقد دارت عليه الدوائر

«المنهل ج ٣ ق ١ — مختصر أبى الفداء جـ ٤ ص ٣٩ — النجوم ٨ ص ١١٣ — السلوك جـ ١ ص ٨٥١ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٣٨ — جورجى زيدان جـ ٣ ص ١٧٢»

١٤٠ — شهاب الدين العابر بن نعمة النابلسي الحنبلي : هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة .

ولد في عام ٦٢٨ ﻫ بنابلس . وسمع الحديث ورحل في طلبه إلى مصر ودمشق والأسكندرية ، وتفقه في مذهب ابن حنبل حتى برع فيه . وكان ذا مواهب في علم التعبير . صنف فيه كتابا كبيرا سماه « البدر المنير » . — توفي في ٢٩ من ذي القعدة عام ٦٩٧ ﻫ ودفن بباب الصغير .

« النجوم ٨ ص ١١٣ — شذرات الذهب ﺟ ٥ ص ٤٣٧ »

١٤١ — بهاء الدين القفطي الشافعي : هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل القفطي ، نسبة إلى قِفْط بصعيد مصر — أحد فقهاء المذهب وعلماء الصعيد . كان إماما عاملا . ولد في نحو سنة ٦٠٠ ﻫ . وقدم إلى قوص وطلب الفقه والأصول على قاضيها الإمام شمس الدين الأصبهاني ، وبرع فيهما وفي النحو والفرائض والجبر والمقابلة وغير ذلك . وسمع الحديث من مجد الدين القشيري وغيره . وظهر نجمه في الفقه حتى عد إمامه في قوص ، وولي بها أمانة الحكم ، وناب في الحكم بإسنا ، وأعاد بالمدرسة المعزية ، ثم زاول بها التدريس . وقد كان مجاهدا في سبيل نشر السنة ومحاربة الرافضة حتى إنهم هموا بقتله .

ومن مصنفاته : النصائح المفترضة في فضائح الرفضة . وتفسير القرآن وصل فيه إلى كهيعص . وشرح الهادي في الفقه ، وهو خمس مجلدات . وشرح عمدة الطبري . وشرح مختصر أبي شجاع . وشرح مقدمة المطرزي في النحو . وكتاب الأنباء المستطابة في فضائل الصحابة والقرابة . وغير ذلك .

وقد توفي في إسنا عام ٦٩٧ ﻫ .

« طبقات السبكي ﺟ ٥ ص ١٦٣ — حسن المحاضرة ﺟ ١ ص ١٩٦ شذرات الذهب ﺟ ٥ ص ٤٩٣ »

١٤٢ — نظام الدين الحصيري الحنفي : هو أحمد بن محمود بن أحمد بن عبد السلام . كان إماما وعالما ذكيا نافعا . زاول التدريس بالمدرسة(١) النورية بدمشق ، وغيرها ،

(١) المدرسة النورية من منشآت نور الدين محمود الشهيد بدمشق « عن هامش النجوم عن خطط الشام وغيرها » وقال في المنهل : النويرية بياءين .

وتصدى للفتوى والإقراء . وناب فى الحكم بدمشق مدة .

وتوفى فى ٨ المحرم سنة ٦٩٨ هـ ودفن بمقابر الصوفية .

« النجوم ٨ ص ١٨٢ »

١٤٣ — جمال الدين بن النقيب الحنفى . هو أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن حسن البلخى المقدسى . وهو الإمام العلامة المفسر المفتى الزاهد . درس بالمدرسة العاشورية (١) بالقاهرة . وصنف تفسيرا كبيرا للقرآن الكريم .

ولد بالقدس فى نصف شعبان سنة ٦١١ هـ، ومات بالقدس فى المحرم عام ٦٩٨ هـ

« المنهل ج ١ — النجوم ج ٨ ص ١٨٨ ص — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٠ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٢ — السلوك ج ١ ص ٨٨١ »

١٤٤ — بهاء الدين بن النحاس : هو العلامة والأستاذ النحوى البارع ، حجة العرب . أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي النحوى ، المشهور بابن النحاس .

ولد بحلب سنة ٦٢٧ هـ وبرع فى علوم العربية، حتى عد نادرة عصره . ومهر فى النثر وعانى النظم . وانتفع بعلمه كثيرون . ويعتبر أحد أذكياء زمانه ، وشيخ العربية بالديار المصرية . — وكانت وفاته بالقاهرة فى ٧ جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ ، ودفن بالقرافة .

« النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٨٣ ، ١٨٨ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٢ — السلوك ج ١ ص ٨٨١ »

١٤٥ — شمس الدين المقدسى المرداوى الصالحى الحنبلى : أبو عبدالله محمد بن عبدالقوى بن بدران بن سعدالله ، ولد فى سنة ٦٣٠ هـ بمردا ، وسمع الحديث وتفقه . وبرع فى العربية . واشتغل بالفتوى ودرس بالمدرسة الصاحبية .

---

(١) المدرسة العاشورية كانت بالقاهرة بحارة زويلة ملكا للسيدة عاشوراء زوجة الأمير أيازكوج الاسدى ، لجعلتها مدرسة ووقفتها على الحنفية « بتصرف عن خطط المقريزي ج ٤ ص ٢٠٠ »

ومن مصنفاته : قصيده طويلة دالية فى الفقه . وكتاب مجمع البحرين لم يتمه . وكتاب الفروق . وكتاب طبقات الحنابلة .

توفى فى ١٢ ربيع الأول سنة ٦٩٩ ودفن بسفح قاسيون .

« المنهل ج ٣ — النجوم ٨ ص ١٩٢ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٢ »

١٤٦ — إمام الدين القزوينى : هو عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد . كان شافعى المذهب بارعاً فى مذهبه . ولد فى تبريز سنة ٦٥٣ هـ . وتنقل فى بلاد العجم والروم ، حتى قدم دمشق هو وأخوه جـــلال الدين القزوينى . فاشتغل بالتدريس ، ثم ولى قضاء الشام ، فعدل ، حتى اقتحم التتار بلاد الشام ، ففر إلى القاهرة ومات بها بعد جمعة ، فى سنة ٦٩٩ هـ فى ٢٥ ربيع الثانى .

« المنهل ج ٢ — النجوم ٨ ص ١٩٢ ـ طبقات السبكي جـ ٥ ص ١٣١ ـ شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥١ ـ السلوك جـ ١ ص ٩٠٥ »

١٤٧ — علاء الدين بن بنت الأعز : هو أحمد بن عبدالوهاب بن خلف ابن محمود ، بن بنت الأعز الشافعى . كان فصيح العبارة ينظم الشعر ، وكان عالماً زاول التدريس بدمشق بالمدرسة الظاهرية والقيمرية ، وبالقاهرة بالمدرسة الكهارية والقطبية . وقد ولى غير ذلك من الوظائف كحسبة القاهرة ونظر الأحباس . وقد حج ودخل اليمن مراراً . ومن شعره فى الغزل :

ومترب لولا التراب بجسمه   لم تبصر الأبصار منه منظراً
فكأنه بدر عليـه سـحابة   والترب ليل من سناه أقرا

وكانت وفاته فى ربيع الثانى عام ٦٩٩ هـ .

« المنهل ج ١ — السلوك جـ ١ ص ٩٠٤ — النجوم جـ ٨ ص ١٨٩ ـ الشذرات جـ ٥ ص ٤٤٤ »

١٤٨ — نجم الدين الأنصارى البعلبكى الشافعى : وهو أحمد بن محسن ويعرف بابن ملىّ — ولد ببعلبك سنة ٦١٧ هـ ، ودرس النحو على ابن الحاجب ،

والفقه على ابن عبدالسلام ، وأخذ الحديث عن زكى الدين البدرى ، وبرع كذلك فى الأصول والطب والفلسفة . قيل كان من أذكى الناس وأقدرهم على المناظرة وإفحام الخصوم . وقد طاف ببغداد ومصر وإسنا واستقر أخيرا بأسوان يشتغل فيها بالتدريس . ثم عاد إلى الشام . وكان متهما بالرفض والطعن فى الصحابة . وتوفى فى جمادى الأولى سنة ٦٩٩ ﻫ .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ١٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٤ »

١٤٩ — شهاب الدين اللخمى الأشبيلى الشافعى : هو أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد . نزيل دمشق . ولد سنة ٦٢٥ ﻫ . وكان قد وقع فى أسر العدو ، ثم نجاه الله . ويمم شطر القاهرة فأخذ عن العز بن عبدالسلام ؛ والكمال الضرير وغيرهما. ووفد على دمشق وأقام بها وأخذ عن أئمتها ، وفاق ورجح ، وقعد للإملاء وإقراء الحديث وفنونه فى جامع دمشق بجلال وسكينة ووقار ، وكان ينظم الشعر حتى مات فى جمادى الآخرة سنة ٦٩٩ ﻫ وكان مولده فى ٦٢٤ﻫ.

« تذكرة الذهبى ج ٤ ص ٢٧٧ — طبقات السبكى ج ٥ ص ١٢ »

١٥٠ — شمس الدين البعلبكى الحنبلى : وهو ابن الفخر المفتى ، واسمه محمد بن عبد الرحمن بن يوسف ، وهو أحد الموصوفين بالذكاء .

كان بارعا فى حسن المناظرة ، ماهراً فى الفقه وأصوله وفى العربية والحديث والأدب وغيره . اشتغل بالفتوى فى مذهبه وبالإعادة والتدريس ورواية الحديث.

وكانت وفاته فى ليلة الأحد ٩ رمضان عام ٦٩٩ ﻫ .

« النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٩٣ — شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٥٢ »

١٥١ — أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله ، الدميرى ، الديرينى[١]. الفقيه الشافعى العالم الأديب . كان صوفيا درس العلم وغلب عليه التصوف . وكان يطوف من موضع إلى آخر ليتبرك به الناس .

ومن تصانيفه : المصباح المنير فى علم التفسير فى مجلدين . وأرجوزة فى التفسير

---

(١) نسبة إلى ديرين قرية بصعيد مصر — قاله فى الشذرات .

تزيد على ثلاثة آلاف بيت . سماها « التيسير فى التفسير » . وكتاب طهارة القلوب فى ذكر علام الغيوب ، فى التصوف . وقد نظم كتاب الوجيز فى أكثر من خمسة آلاف بيت . ونظم كتاب التنبيه . وكتب فى غريب القرآن . وغير ذلك .

وتوفى — على خلاف — فى سنة ٦٩٩ هـ[١]

« طبقات السبكى جـ ٥ ص ٧٥ — شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٥٠ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٧ »

١٥٢ — إبراهيم بن وصيف شاه المصرى : عاش فى أواخر القرن السابع . ومن مصنفاته : جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور . وهو فى أخبار الديار المصرية من أقدم الأزمنة إلى سنة ٦٨٨ هـ وهو مختصر ، أخذ عنه المقريزى فى خططه .

« جورجى زيدان جـ ٣ ص ١٧١ »

١٥٣ — شرف الدين اليونينى : هو أبو الحسين على بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن عيسى ، اليونينى الحنبلى ، ولد فى بعلبك سنة ٦٢١ هـ . كان أحد حفاظ الحديث ، مارس التدريس والإفتاء مع جلال ومهابة . وحدث بحديث رسول الله ، وتخرج به فيه جملة من أفاضل الحفاظ منهم البرزالى والذهبى . وقد توفى فى[٢] رمضان عام ٧٠١ هـ ببعلبك ، إثر اعتداء عليه من شخص دخل عليه فى خزانة الكتب بمسجد الحنابلة فشج رأسه بعصا وسكين .

« الدرر ٣ رقم ٢٢٣ — النجوم ٨ ص ١٩٨ — السلوك ج ١ ص ٩٢٤ — الشذرات ٦ ص ٣ »

١٥٤ — شهاب الدين الأَبَرْقُوهى : هو أبو المعالى أحمد بن اسحاق بن محمد ابن على ، الهمدانى الأصل الأبرقوهى المولد ، نزيل مصر .

ولد سنة ٦١٥ هـ بابرقوه من أعمال شيراز ، حيث كان والده قاضيا بها . وقد مال إلى طلب الحديث فسمعه من أساطين حفاظه ، ببغداد ودمشق والقدس وغيرها . ووفد على البلاد المصرية ، فاستوطنها واتخذ القرافة منزلا ، وقعد

---

(١) فى الشذرات أنه توفى سنة ٦٩٩ هـ — وفى حسن المحاضرة ٦٩٧ هـ — وفى الطبقات ٦٩٤ هـ

(٢) فى الشذرات : توفى فى ٥ رمضان . وفى السلوك فى ٢١ منه ، وفى الدرر ١٠ منه .

للتحديث بحديث رسول الله ، والإفادة . مع جنوح إلى الصوفية ، وقد أخذ عنه الحديث كثير من الأفراد كالمزى والبرزالى والذهبي والقونوى . وتوفى بمكة حاجاً فى ١٩ من ذى الحجة عام ٧٠١ ﻫ .

« الدرر ج ١ رقم ٢٨٢ — الشذرات ج ٦ ص ٤ »

١٥٥ — فخر الدين النابلسى : هو أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم ابن نعمة ، النابلسى المقدسى الحنبلى . ولد بنابلس سنة ٦٣٠ ﻫ . وسمع الحديث من ابن الجميزى وابن رواح بمصر ، ومن سبط السلفى بالإسكندرية ، ومن محيي الدين ابن الجوزى خطيب مردا بالشام . وكان ورعا عالما بمذهبه . ظل يفتى بنابلس أربعين سنة . وتوفى فى مستهل المحرم عام ٧٠٢ ﻫ بنابلس .

« الدرر ج ٣ رقم ١٣٦ — الشذرات ج ٦ ص ٤ »

١٥٦ — برهان الدين الجذامى الإسكندرانى ، هو أبو اسحق ابراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم . درس القراءات وقرأ بالسبع ، وأقرأ الناس دهراً . وكان دينا وقورا خيرا . مات فى شوال سنة ٧٠٢ ﻫ

« الدرر ج ١ رقم ١٣٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٠ »

١٥٧ — شمس الدين المصرى . هو محمد بن عبد المحسن المقرى، نزيل دمشق ويعرف بالمرزاب [1] . قرأ على ابن فارس والزواوى، وكان فصيحا عارفا بالتجويد أقرأ الروايات ، وكان ذا صوت حسن . مات فى أول سنة ٧٠٣ ﻫ .

« الدرر ج ٤ رقم ٧٩ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٠ »

١٥٨ — أبو اسحق [2] الرَّقّى الحنبلى : هو ابراهيم بن أحمد بن محمد بن معالى ابن محمد بن عبد الكريم . ولد سنة ٦٤٧ ﻫ بالرقة . وقرأ وسمع الحديث ببغداد . ودرس مذهب ابن حنبل ونبه شأنه فيه حتى صار قدوة . واشتغل بتفسير القرآن وعنى بوعظ الناس وكانت له فيه مقدرة ممتازة . وله تصانيف عدة . ومات بدمشق

---

١ — فى حسن المحاضرة : المزراب بتقديم الزاى

٢ — الرقي بفتح الراء وتشديد القاف ، نسبه إلى الرقه بلد على الفرات ، وله فى الشذرات .. ولم يذكر تصانيفه .

ودفن بسفح قاسيون فى ليلة ١٥ المحرم سنة ٧٠٣ ه .

« الدرر ج١ رقم ٢٢ ـ الشذرات ج ٦ ص٨ »

١٥٩ — نجم الدين بن الخباز ، هو أبو الفداء اسماعيل بن ابراهيم بن سالم الأنصارى العبادى الصالحى الحنبلى . ولد سنة ٦٢٩ ه وسمع الحديث من كثيرين منهم عبد الله ابن أبى عمر . وقد علا كعبه فى الحديث حتى عد من حفاظه ، قال فى الشذرات : « كان غير متقن فيما يجمعه » — وقد سمع منه كثيرون منهم ابنه أبو عبد الله وكان علامة . ومنهم المزى والذهبى .

وصنف سيرة لشيخه عبد الله بن أبى عمر فى مائة وخمسين جزءاً . . وصنف معجما لشيوخه — وتوفى فى دمشق فى ١١ صفر سنة ٧٠٣ ه ودفن بسفح قاسيون

« الشذرات ج ٦ ص ٨ »

١٦٠ — زين الدين الفارقى الشافعى : هو أبو محمد عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيروز . ولد فى سنة ٦٣٣ ه وأولع بالحديث فسمعه من حفاظه ودرس فقه الشافعى وتتلمذ للعز بن عبد السلام حتى غدا ثبتا فيه . وتصدى للفتوى والتدريس ، وولى دار الحديث الأشرفية بدمشق بعد النووى ، ودرس بالمدرسة الشامية البرانية ، وولى خطابة دمشق حتى اشتهر بها . وتوفى فى صفر سنة ٧٠٣ ه ودفن بالصالحية .

« طبقات السبكى ج ٦ ص ١٠٧ — الدرر ج ٢ رقم ٢٢٣٧ — الشذرات ج ٦ ص ٨ »

١٦١ — شهاب الدين الشاغورى : هو أبو بكر بن يعقوب بن سالم ، الديرى الرحبى ، الحكيم النحوى . كان ماهراً فى علوم كثيرة ، قيل كان يلقى دروساً فى ثلاثين علما ، وألف مؤلفات نافعة . رحل إلى اليمن وحظى عند ملكها وأهلها . وقيل مات بقلعة الجبل بمصر فى المحرم عام ٧٠٤ ه .

« الدرر ج ١ رقم ١٢٥٨ »

١٦٢ — علم الدين العراقى : عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى . برع فى علوم عدة ولا سيما التفسير مات فى ٧ صفر عام ٧٠٤ ه .

« حسن المحاضرة ص ١٩٧ »

١٦٣ — شمس الدين الآمدى[1]: هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن أبى سعد ابن على بن المنصور، الشيبانى المصرى الحنبلى ولد بمصر عام ٦٣٣ هـ[2] ودرس مذهب ابن حنبل، ومال إلى سماع الحديث من أهله، فسمعه بمصر ودمشق وماردين. وما زال يتأدب، ويعلو كعبه حتى فاق فى الحديث والتاريخ والسير والنحو واللغة مع حسن خط ووفرة عقل وأدب جم.

وكان قد اتصل وهو بماردين بملكها المظفر بن السعيد الأرتقى، فحظى عنده وسمت مكانته لديه، حتى صار مدبر المملكة. ثم ذهب إلى المنصور قلاوون سلطان مصر رسولا، فبدا له حبسه، فلبث فى حبسه ست سنين. حتى ولى عرش مصر الأشرف خليل بن قلاوون، فأخرجه من سجنه وأحسن إليه، وقربه وأنعم عليه، وولاه نيابة دار العدل.

قال الذهبى «إنه نسب إلى نقص فى دينه، فالله تعالى أعلم». وقال ابن رجب. «سمع منه جماعة منهم تقى الدين بن تيمية، والمزى والبرزالى والذهبى». وكانت وفاته فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٤ هـ.

«الدرر ج ٣ رقم ١٠٢١ — الشذرات ج ٦ ص ١١»

١٦٤ — تاج الدين الحسينى الغرّافى[3]: هو شيخ الأسكندرية على بن أحمد ابن عبد المحسن. ولد سنة ٦٢٨ هـ وسمع الحديث ببغداد، وحدث به وحمله عنه كثيرون. مع علم وعبادة، وفضل وإفادة. وولى دار الحديث النبيهية بالاسكندرية.

---

١ — لشمس الدين، والد جليل هو العالم الفاضل الصاحب شرف الدين الآمدى، توفى سنة ٦٧٣ هـ وصنف تاريخا لمدينة آمد، وخدم فى دولتى بنى أرتق بماردين. «الشذرات».

٢ — فى الدرر: ولد سنة ٦٣٧ هـ.

٣ — الغرافى: بغين مفتوحة، وراء مشددة، وفاء. نسبة إلى الغراف نهر تحت واسط على قرى كثيرة — قاله فى الشذرات»

وكان يرتزق بالوراقة لا يتعدى من ربحها فوق مايجتزىء به . مات بالأسكندرية في ٧ ذى الحجة عام ٧٠٤ هـ [1] :

« الدرر ج ٣ رقم ٣١ — النجوم ج ٧ ص ٢١٤ — الشذرات جـ ٦ ص ٩ . »

١٦٥ — شرف الدين بن الفركاح : هو أحمد بن ابراهيم بن سباع بن ضياء الفزارى الشافعي ، خطيب دمشق ، ولد بدمشق سنة ٦٣٠هـ وقرأ القراءات ودرس العربية وسمع الحديث ، وتولى تدريس العربية ، وخطب بجامع الجراح ثم بجامع دمشق . وتوفى في شوال سنة ٧٠٥ هـ ودفن بباب الصغير .

« الدرر جـ ١ رقم ٢٣٤ — النجوم جـ ٨ ص ٢١٧ — الشذرات جـ ٦ ص ١٢ »

١٦٦ — شرف الدين الدمياطى : أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدين التونى الشافعي، الإمام الحافظ الحجة الفقيه النسابة ولد بتونة - بلدة في بحيرة تنيس - في آخر سنة ٦١٣ هـ وقيل ٦١٠ هـ ونشأ بدمياط . وطلب الفقه . ثم مال إلى سماع الحديث ، فرحل في طلبه إلى الأسكندرية والقاهرة . وسمع ابن المقير والمنذرى . ثم حج وزار العراق والجزيرة . وما زال يعلو كعبه حتى أصبح أحد حفاظ زمانه المعدودين ، وبلغ شيوخه ١٢٥٠ شيخا ، وأجيز من بعضهم ، وأقبل على إسماع الحديث وإملائه في حياة شيوخه ، وتخرج به جملة من الفضلاء ، وحدث عنه جمع من حفاظ الحديث منهم القونوى وأبو حيان والمزى . وإلى جانب علمه بالحديث كان عالماً بالقراءات وله فيها إجازات . وكان عالماً بالعربية والنسب .

ومن تصانيفه : معجم شيوخه في أربعة مجلدات . وكتاب في الصلاة الوسطى . وكتاب في قبائل الخزرج والأوس . والعقد المثمن فيمن اسمه عبدالمؤمن . والسيرة النبويه . وله مصنفات كثيرة .

---

٢ — في النجوم : توفي سنة ٧٠٣ هـ .

وقد كان الدمياطي جميل الصورة يضرب به المثل في الجمال ، كما كان جليلا مهيباً موسعاً عليه في الرزق . وقد كانت وفاته بالقاهرة في ١٥ من ذى القعدة عام ٧٠٥ هـ . ذكره البرزالي والذهبي .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٥٢٥ — النجوم ج ٨ ص ٢١٨ — الشذرات ج ٦ ص ١٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧ — الطبقات ج ٦ ص ١٣٢ »

١٦٧ — شرف الدين بن الصواف ، هو يحى بن أحمد بن عبد العزيز ابن عبد الله بن على بن عبد الباقي الجذامي الأسكندراني . ولد سنة ٦٠٩ هـ وسمع الحديث من ابن عماد وناصر الأغماتي وعبد الخالق بن اسماعيل التنيسي وغيرهم . ودرس القراءات وأتقنها على ابن الصفراوي ، واشتهر بها . وأصيب في آخر عمره بالصمم والعمى . وكانت وفاته سنه ٧٠٥ هـ بالأسكندرية

« الدرر ج ٤ رقم ١١٣٥ — والشذرات ج ٦ ص ١٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٠ — النجوم ج ٨ ص ٢٢٠ »

١٦٨ — ضياء الدين الطوسي : هو عبد العزيز بن محمد بن على ، الشافعي . كان شيخاً ونحويا ودرس بالمدرسة النجيبية وأعاد بالناصرية بدمشق . وقد صنف : شرح الحاوي في الفقه ، ومختصر ابن الحاجب ، وغير ذلك . وكانت وفاته بدمشق في ٢٩ جمادى الأولى سنة ٧٠٦ هـ .

« النجوم ج ٨ ص ٢٢٥ — الطبقات ج ٦ ص ١٢٥ »

١٦٩ — نور الدين الإسنائي : هو على بن هبة الله بن أحمد ابراهيم بن حمزة الشافعي وأبوه شهاب الدين الإسنائي . تتلمذ في الفقه على بهاء الدين القفطي وجلال الدين الدشناوي . وبرع في الفقة وزاول تدريسه في قوص ، وانتهت إليه رياسة الفتوى بها . وكانت له عناية بكتاب الروضة كتبه بخطه وحفظه ودرسه . ومات في قوص سنة ٧٠٧ هـ .

« الدرر ٣ رقم ٣١٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٧ »

١٧٠ — شمس الدين بن شامة الحنبلي : هو محمد بن عبد الرحمن بن شامة

ابن كوكب ، الطائى السوادى الحكمى — نسبة إلى حكم قرية من قرى السواد .
ولد سنة ٦٦٢ ، وسمع الحديث من كثير من حفاظه . ووفد إلى مصر فسمع من عز الدين الحرانى وابن خطيب المزة ، وإلى الأسكندرية فسمع من ابن طرخان وغيره ، وإلى بغداد فسمع من ابن الطبال وغيره ، وبأصبهان والبصرة وحلب وواسط ، وهكذا تراه أولع بالرحلة فى طلب الحديث . وحفظ منه أنواعاً شتى فى درجاتها . فلا عجب أن عد فى حفاظه ، حتى قيل له : مفيد مصر . إذ أنه استوطنها بأخرة واتسعت بها شهرته بالحديث وخالط الصوفية . قيل كان صحيح النقل . وسمع منه البرزالى والذهبى وغيرهما . وتوفى فى ١٤ ذى القعدة سنه ٧٠٨ هـ ودفن بقرافة الشافعى .

«الشذرات ج ٦ ص ١٨ — حسن الحاضرة ج ١ ص ١٦٧»

١٧١ — علم الدين ابراهيم : هو ابراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش . ويعرف بابن خليقة . وكان رئيساً لأطباء مصر والشام فى زمانه ، ذا مكانة عند ملوك عصره . قيل إنه أول من ركب شراب الورد . ومات بعد أن خلف ثروة كبيرة ، فى سنة ٧٠٨ هـ

«النجوم ج ٨ ص ٢٢٩ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦١ — الشذرات ج ٦ ص ١٧ »

١٧٢ — حسن بن عبدالله العباسى[١] : وقد ألف للمظفر بيبرس الجاشنكير المنصورى الذى كان سلطانا على مصر عام ٧٠٨ هـ ، كتاب : آثار الأول فى تدبير الدول ، وهو فى ضوابط المملكة وأحوال الملك وحاشيته وحروبه وغير ذلك . مطبوع .
« جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٩ »

١٧٣ — شمس الدين البعلى : أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح بن أبى الفضل البعلى الحنبلى . كان محدثا فقيها نحويا . ولد ببعلبك عام ٦٤٥ هـ وتتلمذ بها للفقيه محمد اليونينى ، وبدمشق لابن خليل ومحمد بن عبد الهادى ، وبغيرها . وأولع بالحديث وأخذ العربية عن ابن مالك وطاف بطرابلس والقاهرة والقدس .

---

(١) لم نعثر على سنه وفاته . فرتبناه فى سنه ٧٠٨ هـ التى كان يعيش فيها فى عهد بيبرس الجاشنكير .

ومن مصنفاته : المطلع على أبواب المقنع فى الفقه . وشرح ألفية ابن مالك . وقد توفى بالقاهرة فى ١٨ المحرم سنة ٧٠٩ هـ .

« الشذرات ج ٦ ص ٢٠ »

١٧٤ — شرف الدين الحرانى الحنبلى : هو أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد ابن أبى بكر بن عبد الله . ولد فى حران نحو سنة ٦٤٦ هـ وسمع من شيخ الشيوخ[١] بحماة ، كما سمع بالقاهرة من النجيب ، ومن ابن العماد وغيرهما . وولى التدريس بالصالحية وغيرها . وولى نظر الخزانة مدة طويلة . ثم اختير لقضاء الحنابلة فلبث زمنا . ومات فى ليلة ٢٤ ربيع الأول عام ٧٠٩ هـ بالقاهرة ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٦٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ النجوم ج ٨ ص ٢٧٨ »

ملحوظة : رواية حسن المحاضرة تختلف اختلافا جوهريا فى ميلاده ووفاته . فقد ذكرت ميلاده عام ٦٩١ هـ ووفاته عام ٧٥٩ هـ .

١٧٥ — تاج الدين بن عطاء الله الإسكندرى : هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، المالكى الشاذلى المتصوف . سمع الحديث من الأبرقوهى ، ودرس النحو وشارك فى فقه مالك ، وفى الأدب — وكان ينكر أمور الصوفية ، ثم جذبته إليها فصحب أبا العباس[٢] المرسى ، صاحب أبى الحسن[٣] الشاذلى . وتصدى للتدريس والوعظ بالجامع الأزهر ، وكان رقيق اللفظ مؤثر الأسلوب والعبارة

---

(١) لعل المراد من شيخ الشيوخ هو شرف الدين عبد العزيز الأنصارى ذكره الصابونى فى تاريخ حماة .

(٢) أبو العباس المرسى هو المتصوف المشهور وصاحب أبى الحسن الشاذلى ورأس أتباعه واسمه أحمد بن عمر الانصارى ، قيل كان قطب زمانه . وقد توفى بالاسكندرية سنة ٦٨٦ هـ « حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٩ » وقبره بالاسكندرية مشهور ، وجامعه الجديد .

(٣) هو الشيخ ابو الحسن الشاذلى شيخ الطائفة الشاذلية الصوفية . واسمه تقى الدين على ابن عبد الله بن عبد الجبار . نشأ بالمغرب الأقصى ومبدأ ظهوره كان بشاذلة ، قيل كان عالما واسع المدارك . وفد إلى مصر ، وله فيها أتباع كثيرون حتى يومنا هذا . توفى فى ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب متوجها إلى مكة « حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٧ بتصرف قليل » .

يمزج تعاليم السلف الصالح بتعاليم الصوفية وضروب العلم المختلفة ، حتى كثر أحباؤه ومريدوه .

وقد اشتغل بالتصنيف . فمن مصنفاته : المرقى إلى القدس الأبقى . ومختصر تهذيب المدونة للبراعى . وقد صنف فى مناقب أبى العباس المرسى ، وشيخه الشاذلى وله كتاب لطائف المنن ، والحكم ، وغير ذلك ، وهى فى الصوفية ومعارفهم وأسرارهم وبها نظم له ونثر لطيفان .

ومن كتبه بدار الكتب المصرية : تحفة الخلان فى شرح نصيحة الإخوان . والتحفة . والتنوير فى إسقاط التدبير . وحزب النور وتمام السرور . والحكم . ودعاء ، ومفتاح الفلاح ومصباح الأرواح . ونبذة من كتابه « لطائف المنن » وكلها مخطوطة وفى التصوف والأخلاق الدينية . وقد توفى بمصر بالمدرسة المنصورية فى ١٣ جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ ودفن بالقرافة . وقيل فى منتصفه .

« الدرر جـ ١ رقم ٧٠٠ — وحسن المحاضرة جـ١ ص ٢٥٠ — شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٩ — فهرس دار الكتب باب التصوف جـ١ »

١٧٦ — شمس الدين السروجى[1] الحنفى : هو أحمد بن ابراهيم بن عبد الغنى ولد سنة ٦٣٧ هـ . وتفقه على مذهب ابن حنبل أولا ثم عدل إلى الحنفية وما زال حتى برع فى فقه الحنفية . وزاول التدريس بالمدرسة الصالحة والناصرية والسيوفية وغيرها . وولى قضاء الأحناف بالقاهرة غير مرة ، أولها فى شعبان عام ٦٩١ هـ . ومات معزولا . ومن مصنفاته : شرح الهداية ، ورد على ابن تيمية فى بعض فتاواه ، فرد عليه ابن تيمية .

وكان عفيفا نزيهاً فاضلا مهيباً عالى الهمة . ذكره الذهبي والكمال جعفر الأدفوى . ومات فى ربيع الآخر سنة ٧١٠ هـ

الدرر جـ ١ رقم ٢٤١ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢١ — الشذرات جـ ٦ ص ٢٣ » .

(١) قال فى الشذرات إن اسمه « محمد » ومذهبه شافعى .

١٧٧ — عز الدين الحسن بن الحرث المعروف بابن مكين : كان من أعيان الشافعية . مات فى جمادى الأولى سنة ٧١٠ هـ .

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٩٧ »

١٧٨ — نجم الدين بن الرفعة : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن مرتفع الأنصارى ، الإمام الفقيه الشهير ، أحد أعلام الشافعية ، وثالث الشيخين : الرافعى والنووى ، فى الاعتماد عليه فى ترجيح الرأى . قيل : «كان إمام مصر ، بل سائر الأمصار ، وفقيه عصره فى جميع الأقطار» . وقيل إنه لا يعلم فى الشافعية بعد الرافعى من يساويه . وكان أعجوبة فى استحضار كلام أهل المذهب لا سيما من غير مظانه . وأعجوبة فى معرفة نصوص الشافعى ، وفى قوة التخريج . قال ابن حجر : «واشتهر بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل وإذا أطلق الفقيه انصرف اليه» .

وتفقه على الفقيه سديد الدين الأرمنتى ، وظهير الدين التزمنتى ، وابن رزين وابن بنت الأعز ، وتقى الدين بن دقيق العيد وغيرهم . وسمع الحديث من عبد الرحيم الدميرى ، وعلى بن محمد الصواف وغيرهما .

وهو على سعة علمه بالفقه والحديث شارك فى غيرهما كالعربية والأصول .

وولى التدريس بالمدرسة المعزية والطيبرسية ، وتصدى للإفتاء ، وولى حسبة مصر مدة ، وناب فى الحكم زمنا ، ثم عزل نفسه ، وولى وظائف أخرى . وناظر ابن تيمية فأجاد مناظرته حتى شهد له وقال : «رأيت شيخاً تتقاطر فروع الشافعية من لحيته» .

وقد كان ابن الرفعة ذكيا حسن الشكل ، فصيحا مفوها كثير الإحسان إلى الطلبة .

ومن مصنفاته : «الكفاية» وهى كتاب جليل فى شرح التنبيه ويقع فى نحو عشرين مجلدا . و «المطلب» فى نحو ستين مجلدا . شرح فيه بعض كتاب «الوسيط» فى فقه الشافعية للغزالى . وله : «النفائس فى هدم الكنائس» . والإيضاح والبيان

فى معرفة المكيال والميزان . وبذل النصائح الشرعية فيها على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية . وهو فى السياسة الشرعية . وكان مولده بالفسطاط سنة ٦٤٥ ﻫ . ووفاته فى ليلة الجمعة ١٨ رجب عام ٧١٠ ﻫ ودفن بالقرافة . ذكره ابن قاضى شهبة والإسنوى .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ١٧٧ — الدرر ج ١ رقم ٧٣٠ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٤٥ — الشذرات ج ٦ ص ٢٢ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٨ »

١٧٩ — عز الدين النمراوى : هو عبدالعزيز بن عبد الجليل ، الفقيه الشافعى . كان من فضلاء الشافعية بالقاهرة ، مشاركا فى الأصول والعربية ، مع ذكاء وقوة حفظ . وقد تيلمذ لابن دقيق العيد والبهاء بن النحاس وغيرهما . وزاول الفتوى والتدريس والمناظرة وقد ناظر صدر الدين بن الوكيل فهزمه . وأعجب بمناظرته تقى الدين بن دقيق العيد شيخه . وولى تدريس التفسير بالمدرسة المنصورية وغيرها . وارتفع جاهه لدى سلطان مصر بيبرس الجاشنكير ، ونائبه الأمير سلار . وقد مات بالقاهرة فى ٩ من ذى القعدة سنة[1] ٧١٠ ﻫ ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٣١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٧ — الشذرات ج ٦ ص ٢٥ »

١٨٠ — عز الدين بن العديم : هو العلامة أبو البركات عبد العزيز بن محمد ابن أحمد بن هبة الله بن العديم الحنفى ، قاضى حماة . ولد سنة ٦٣٢ﻫ . وكانت له عناية بالفقه والحديث ، وعلوم العربية ، وبخاصة بكتاب مفتاح السكاكى ، وكذلك بالكشاف . توفى فى حماة فى ربيع الآخر[2] سنة ٧١١ ﻫ ، بعد أن ولى قضاءها نحو أربعين عاماً .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٤٤ — الشذرات ج ٦ ص ٢٨ »

١٨١ — جمال الدين بن مكرّم : هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى الإفريقى المصرى ، ويعرف بابن منظور . ولد سنة ٦٣٠ ﻫ فى المحرم .

(١) فى الشذرات : توفى سنه ٧١١ ﻫ .
(٢) فى الشذرات : ربيع الاول .

وسمع الحديث من ابن المقير ، ومرتضى بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل وغيرهم . وقد حدّث وأخذ عنه . وقيل إنه كان يتشيع .

كان شديد الولوع باختصار كتب الأدب المطولة . قال ابن حجر ما ملخصه . إنه اختصر الأغانى والعقد الفريد والذخيرة ومفردات ابن البيطار وكتبا فى التاريخ وغير ذلك . وقال ابن حجر أيضا : «قال الصفدى : لا أعرف فى الأدب وغيره كتابا مطولا إلا وقد اختصره» . ويقال إنه اختصر نحو خمسمائة مجلدة كتبها بخطه .

وأجل مصنفاته وأنفعها ، بل ومن أنفع المصنفات جميعاً : كتابه «لسان العرب» وهو المعجم المشهور جمع فيه بين تهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيدة ، وصحاح الجوهرى ، وجمهرة ابن دريد . ورتبه ترتيب الصحاح . ومن كتبه : انثار الأزهار : وهو منتخب فى الشعر والنثر — وسرور النفس وهو أوصاف أدبية لمظاهر الطبيعة ولطائف الذخيرة . ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . ومختصر تاريخ بغداد للسمعانى . ومختصر مفردات ابن البيطار

وقد وظف فى ديوان الإنشاء مدة طويلة ، وولى قضاء طرابلس زمنا .

وكان كاتبا وشاعرا حسن النظم ، ومن لطيف منظومه قوله :

الناس قد أثموا فينا بظنهـــم وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا
ماذا يضرك فى تصديق قولهم بأن يحقق مافينا يظنونا
حملى وحملك ذنبا واحدا ثقة بالعفو أجمل من أثم الورى فينا

وكانت وفاته فى شعبان سنة ٧١١ هـ بالقاهرة .

« الدرر ج ٤ رقم ٧٢٠ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٥٥ — الشذرات ج ٦ ص ٢٦ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٤١ »

١٨٢ — شمس الدين بن الجزرى المصرى : أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عبد الله ، الخطيب . ولد سنة ٦٣٠ هـ تقريباً ، وقدم إلى الديار المصرية ، فسكن قوص بالصعيد ، وطلب العلم ، وقرأ على شمس الدين الأصبهانى . وبرع ، ثم وفد على القاهرة واشتغل بالتدريس بالمدرسة الصاحبية والشريفية ، وبالخطابة فى جامع

القلعة والجامع الطيلوني ، وتصدى للإقراء ، وأخذ عنه كثيرون . وكان عالما بالأصلين والنحو والبيان والمنطق والطب والأدب والرياضيات .

ومن مصنفاته : شرح التحصيل فى ثلاث مجلدات . وأجوبة على مسائل من المحصول . وشرح ألفية ابن مالك . وشرح منهاج البيضاوى ، وله ديوان خطب وشعر . ومن شعره :

سل عن أحاديث أشواقى إذا خطرت رسل النسيم فقد أودعتها لمعا

وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة ٧١١ هـ[1].

« الدرر ٤ رقم ٨٣٠ ـ طبقات السبكى ج ٦ ص ٤١ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦١ ـ شذرات الذهب ج ٦ ص ٤٢ »

١٨٣ — بدر الدين بكتوت الخازندارى : هو أحد الأمراء ، وكان مملوكا لبليك الخازندار ، فنسب إليه . ثم أعتق وترقى حتى صار نائبا بالأسكندرية . توفى سنة ٧١١ هـ .

قال جورجى زيدان له : كتاب الفروسية — وقال إنه توفى سنة ٧٧١هـ.

« الدرر ج ١ رقم ١٣١٦ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٤ »

١٨٤ — سعد الدين العراقى : هو ابو محمد — وأبو عبد الرحمن — مسعود ابن أحمد بن مسعود بن زيد ، الحارثى — نسبة إلى الحارثية غرب بغداد — المصرى الحنبلى . ولد سنة ٦٥٢هـ وسمع الحديث بمصر والإسكندرية ودمشق ، من كثيرين . وقرأ الحديث بنفسه ، واتسع أفقه ، حتى صار من حفاظ عصره ، مع براعة فى الأصول وعلوم العربية .

وولى التدريس بالمدرسة الصالحية وجامع ابن طولون ، ثم ولى قضاء الحنابلة بمصر فى ربيع الآخر سنة ٧٠٩ فلبث به سنتين ونصفا . وكانت ولايته بعد موت القاضى عبد الغنى بن يحيى الحرانى .

---

(١) فى الشذرات : ذكر مولده سنة ٦٣٧هـ ووفاته سنة ٧١٦هـ — وهو غير شمس الدين الجزرى المعروف بابن المحوجب وابن القوام والمتوفى سنة ٧١٦ هـ أيضا — عن الشذرات .

وكان فى درسه عذب العبارة مع حسن بزة ووقار ، وأجاز كثيرين من طلاب الحديث .

ومن مصنفاته : شرح بعض سنن أبى داود . شرح قطعة من المقنع فى فقه الحنابلة . تخريج معجم الأبرقوهى .

ومات فى ١٤ من ذى الحجة سنة ٧١١ هـ بالقاهرة . وفى الشذرات فى ٢٠ منه .

« الدرر ج ٤ رقم ٩٤٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧ — الشذرات ج ٦ ص ٢٨ »

١٨٥ — عماد الدين بن السكرى : على بن العزيز بن عبد الرحمن . ولد سنة ٦٣٨ هـ . وتوفى فى صفر عام ٧١٣ هـ . وقد كان مولعاً بالعلم ، حدث بدمشق عن جده لأمه ابن الجميزى وغيره . واشتهر بين الرؤساء . وزشح مرة للوزارة ، واشتغل بالتدريس فى مشهد الحسين ، وبُعث سفيرا إلى التتار مرة عام ٧٠٣ هـ . وأحسن السفارة .

« الدرر ج ٣ رقم ١٤٦ — الشذرات ج ٦ ص ٣٢ »

١٨٦ — نور الدين الشطنوفى[١] : هو الإمام أبو الحسن على بن يوسف ابن حريز[٢] اللخمى الشافعى ، كان شيخاً للقراءات بالديار المصرية فى زمانه . وتصدى للإقراء بالأزهر . ودرس التفسير بالجامع الطولونى .

ولد فى سنة ٦٤٧ هـ[٣] ومات سنة ٧١٣ هـ وفى ذى الحجة .

« الدرر ج ٣ رقم ٣٢٣ . — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ »

١٨٧ — علاء الدين[٤] الباجى الشافعى : الإمام العلامة الأصولى ، على ابن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب . ولد سنة ٦٣١ هـ وتفقه بالشام على عز الدين ابن عبد السلام ، وكانت بينه وبين محى الدين النووى صداقة وطيدة ، واشتراك فى طلب العلم ، ومازال يعلو جده فى العلم حتى بز رفاق ، وأصبح المشار إليه ،

---

(١) فى حسن المحاضرة : الشنطوفى ، بتقديم النون . ويبدو أن النسبه إلى شطنوف بتقديم الطاء ، وهى من قرى المنوفيه — انظر ترجمه شمس الدين الشطنوفى .

(٢) فى حسن المحاضرة : ابن جرير .

(٣) فى حسن المحاضرة : ولد سنة ٦٤٤ هـ .

(٤) الباجى نسبه إلى باجه مدينة الأندلس .

ولا سيما فى الأصول ، فقد كان فارس ميدانه ومحرك صولجانه . وكان شديد المعارضة فى المناظرة والتدليل على العقيدة . وكان أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعرى ، — قاله السبكى — مرجعا فى المشاكل المعضلة . أخذ يرد على ابن تيمية فى فتاواه ويناظره ، وابن تيمية يأبى إلا أن يتأدب فى حضرته عرفانا بفضله وسعة علمه ورجاحة عقله . وقال له : مثلى لا يتكلم بين يديك ، أنا وظيفتى الاستفـــادة منك . وكان تقى الدين بن دقيق العيد يعظمه ولا يقول له إلا « ياإمام » .

وقد ولى الباجى قضاء الكرك مدة ونظر المال بها ثم قدم إلى القاهرة واستقر بها وناب فى الحكم وقعد للإفتاء والتدريس . وتخرج به جملة من الأعلام ، منهم الإمام تقى الدين السبكى . وكان يدرس بالمدرسة السيفية . وقد حدث وسمع منه الحديث .

ومن مصنفاته : اختصار المحرر فى الفقه . وكشف الحقائق فى المنطق . وكتاب فى الرد على اليهود والنصارى . وله مختصر فى الأصول . قال السبكى فى الطبقات : « قيل مامن علم إلا وله فيه مختصر » . — وله شعر متوسط الجودة وردود شعرية فقهية لطيفة .

وقد توفى الباجى فى سادس ذى القعدة سنة ٧١٤ هـ .

ومن شعره :

رثى لى عودى إذ عاينونى ... وسحب مدامعى مثل العيون
وراموا كحل عينى قلت كفوا ... فأصل بليتى كحل العيون

وللباجى مزدوجة لطيفة سهلة الأسلوب عذبة الأبيات تبلغ نحو ١٢ بيتاً يذكر فيها ماينبغى على المتعلم تعلمه من علوم زمانه وآدابها وتحليه بالعمل والتقوى ، إلى غير ذلك .

« طبقات السبكى ج ٦ ص ٢٢٧ — الدرر ج رقم ٢٣٢ — حسن المحاضرة ج ١ رقم ٢٦١ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٤ »

١٨٨ — صفى الدين الهندى ، هو العلامة شيخ الشيوخ ، أبو عبد الله محمد

ابن عبد الرحيم بن محمد الأرموى الهندى الشافعى ، كان يحسن الكلام على مذهب الأشعرى .

ولد بالهند سنة ٦٤٤ هـ وشب فى بلده دهلى وتفقه وتعلم ، ثم طاف بالبلاد فجاور بمكة ، وزار مصر والشام واليمن وقونية . وقد أقام بمصر أربع سنين ، وأقام بدمشق زمنا طويلا زاول فيه الفتوى وتدريس الأصول والمعقولات ، وزاول تدريس كثير من مدارسها كالظاهرية الجوانية . والرواحية . وأخذ عنه كثيرون من الأفاضل كابن المرحل ، وفخر الدين المصرى .

ومن تصانيفه : الزبدة ، والفائق فى علم الكلام . والنهاية ، والرسالة السيفية فى أصول الفقه . وكانت وفاته بدمشق فى آخر صفر سنة ٧١٥ هـ ودفن بمقابر الصوفية .

« طبقات السبكى ج ٥ ص ٢٤٠ — الدرر ج ٤ رقم ٢٩ — الشذرات ج ٦ ص ٣٧ »

١٨٩ — تقى الدين بن قدامة : هو أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد ابن عمر بن أبى عمر محمد . المقدسى ، قاضى قضاة الحنابلة ومسند الشام فى عصره .

ولد سنة ٦٢٨ هـ ، وأولع بالحديث ولوعاً عظيماً فسمعه عن كثيرين فى مصر والشام وبغداد ، ونبغ فيه حتى عد محدثاً . وبرع فى فقه الحنابلة ، فتولى قضاءهم عشرين عاماً . مع مشاركة فى العربية والفرائض والحساب . وزاول التدريس والإفتاء ، وإسماع الحديث أكثر من خمسين عاماً . وتخرج به فى الحديث والفقه محدثون وفقهاء لا يحصون عدا . وكان عادلا فى قضائه ، ماهراً فى تدريسه ، ثبتاً فى معلوماته ، مترفقاً فى مراده ، مباركا . ومات فى ٢١ من ذى القعدة سنة ٧١٥ هـ . بمنزله بالدير .

« الدرر ج ٢ رقم ١٨٣٧ — الشذرات ج ٦ ص ٣٦ »

١٩٠ — جلال الدين القوصى : هو أبو طاهر اسماعيل بن أحمد بن اسماعيل كان بارعا فى العربية والقراءات . تصدى لتدريس القراءات بجامع ابن طولون وكان يحفظ كثيراً من الأشعار وينظمها ومن قوله :

أقول ومدمعى قد حال بينى   وبين أحبتى يوم العتاب

رددتم سائل الأجفان قهراً   تعثر وهو يجرى فى الثياب

كانت وفاته سنة ٧١٥ هـ

« الدرر ج ١ رقم ٩١٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ »

١٩١ — أمين الدين الكنانى المصرى : هو أبو بكر محمد بن عبد الله ابن عبد المنعم بن رضوان ، ويعرف بابن الصواف . درس القراءات بجامع عمرو . وسمع الحديث من الرشيد العطار ومات سنة ٧١٥ هـ فى شعبان .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ — الدرر ج ٣ رقم ١٢٧١ »

١٩٢ — نجم الدين ين أبى العباس الحنبلى : هو سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى نسبة إلى طوف — أو طوفا — إحدى قرى بغداد ، فقد ولد بها عام ٦٥٧ هـ . وطلب العلم فرحل فى سبيله إلى الشام ومصر وأقام بها متوطناً مدة . وكان ذكيا قوى الحافظة مناظراً ، ناظما للشعر ، متقللا من الدنيا . غير أنه كان متهماً بالتشيع والرفض ، وهجاء أبى بكر وعمر . وأوذى بسبب ذلك ، فرحل إلى قوص وقرأ بها كتبا لا تحصى ، ثم حج ، ويمم شطر بلاد الشام ، حتى وافاه أجله ببلد الخليل فى رجب عام ٧١٦ هـ .

ومن تصانيفه : الأكسير فى قواعد التفسير . والرياض النواضر فى الأشباه والنظائر ، وبغية الواصل إلى معرفة الفواصل . وشرح الأربعين حديثاً النووية . واختصار روضة الموفق . ثم شرح المختصر ، وهى فى الأصول . وشرح مختصر التبريزى فى فقه الشافعية . وشرح مقامات الحريرى . واختصار الترمذى . والعذاب الواصب على أرواح النواصب وهو فى الرفض .

« الدرر ج ٢ رقم ١٨٥٠ — الشذرات ج ٦ ص ٣٨ »

١٩٣ — محب الدين بن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد : كان شافعيا فقيها عالماً وقد اشتغل بالتدريس ، وشرح التعجيز .

كان مولده بقوص عام ٦٥٧ هـ فى صفر . ومات فى رمضان عام ٧١٦ هـ

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٢ »

١٩٤ — عز الدين النشائى : هو أبو حفص عمر بن أحمد بن أحمد بن مهدى

المدلجى . برع فى الفقه والنحو والحساب والأصول . وكان محققاً بارعاً وديناً . عانى التدريس بالمدرسة الفاضلية والظاهرية وغيرهما . وتوفى فى ذى الحجة عام ٧١٦هـ (١) ذكره ابن شهبة ، والأسنوى .

« الدرر ج ٣ رقم ٣٥٢ — الطبقات ج ٦ ص ٢٤٢ — الشذرات ج ٦ ص ٤٤ »

١٩٥ — صدر الدين بن الوكيل : ويعرف أيضا بابن المرحل . هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد ووالده زين الدين بن المرحل .

ولد بدمياط — وقيل بأشموم — فى عام ٦٦٥ هـ ، وتتلمذ فى الفقه على أبيه وشرف الدين المقدسى وتاج الدين بن الفركاح . كما تتلمذ لبدر الدين بن مالك وصفى الدين الهندى . وهكذا برع فى الفقه الحديث والعلوم العقلية واللغوية . وقد عاونته حافظة قوية وذكاء خارق ، حتى إنه حفظ كتبا عدة فى زمن يسير منها : مقامات الحريرى وديوان المتنبى .

وقد كان مع ميله إلى العلوم الدينية ومهارته فيها ، ذا ولوع بالآداب العربية مجيدا لنظم الشعر ، وكثيرا ما تنقل طوعا لظروف حياته وتقلباتها ، بين مصر وديار الشام وديار حلب . وكان لظرفه ودعابته وبداهته ذا مكانة مرموقة عند بعض أمراء عصره . ومنهم الأمير استدمر نائب حلب . كما كان موضع حسد ومنافسة من كثيرين من شيوخ عصره وأنداده . وكثيرا ما حملوا عليه الحملات وادعوا عليه الدعاوى ، وناهضوه لما فى يده من وظائف ، فمرة ينجو من كيدهم ومرة ينهزم . حتى إن بعضهم دس عليه قصيدة إلى الملك الناصر ، يهجو الناصر فيها ، فكاد يبطش به لولا تلطفه واعتذاره .

وكان إلى جانب ذلك كله مناظراً مجادلا . تصدى لجدال تقى الدين بن يتمية ، وناظر عز الدين النمراوى أمام جمع بين يدى الشيخ الجليل تقى الدين بن دقيق العيد فانتصر دقيق الدين لتلميذه عز الدين .

ومهما يكن من شىء فإنه يبدو لنا أن صدر الدين كان رجلا ممتازاً فيه مواهب

(١) فى الشذرات : سنة ٧١٧ هـ

تغرى بالمناهضة والمنافسة ، كما يبدو لنا أنه لم يخل من هنات يؤخذ بها ، وكانت موضعاً لحملات حساده ، والثغرة التى استطاعوا أن يطعنوه منها ، فقد قيل إنه ضبط مرة فى مجلس شراب . . .

وقد زاول صدر الدين التعليم فى مدارس كثيرة بمصر والشام ، منها بمصر : المشهد النفيسى والمدرسة الخشابية والناصرية الجديدة بين القصرين . ومنها بالشام دار الحديث الأشرفية والمدرسة الشامية البرانية وغيرهما .

وكذلك مارس الفتوى وهو فى سن الثانية والعشرين . وعانى التصنيف . وافتن فى نظم الشعر فى أغراض عدة .

ومن مصنفاته : الأشباه والنظائر ، ومات قبل تحريره ، فحرره وزاد عليه ابن اخته زين الدين عمر . وشرح بعض كتاب « الأحكام لعبد الحق ، فى ثلاثة مجلدات ، وهو فى الفقه والحديث والأصول . وجمع موشحاته فى ديوان سماه « طراز الدار »

ومن شعره واصفاً :

كأنما البدر خلال السما　　　من فوق غيم ليس بالكابى
طراز تبر فى قبا أزرق　　　من تحته فروة سنجاب

وقد توفى بالقاهرة فى ٢٤ من ذى الحجة سنة ٧١٦ هـ . وسنترجم له فى الجزء الثالث من هذا الكتاب فى باب الشعراء

« طبقات السبكى ج ٦ ص ٢٣ ، ٢٤٢ : ٢٥٠ — فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٥ — الدرر ج ٤ رقم ٣١٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٦ — الشذرات ج ٦ ص ٤٠ »

١٩٦ — تاج الدين البارنبارى : هو محمد بن على الملقب « طوير الليل » . كان شافعى المذهب . ولد سنة ٦٥٤ هـ . وطلب العلم ، وتتلمذ للشيخ شمس الدين الأصبهانى شارح المحصول ، فقرأ عليه المعقولات . قال السبكى عنه : « أحد أذكياء الزمان . برع فقها وعلما وأصولا ومنطقا . » — وزكاه ابن الرفعة ، وفضله على كثير من الفضلاء . وقال السيوطى إنه كان فقيها أصوليا عارفا بالعربية والمنطق .

وقد ولى التدريس بالمدرسة الظاهرية . ومات بالقاهرة فى عام ٧١٧ هـ .

« طبقات السبكى ج ٦ ص ٢٢ ـ الدرر ج ٤ رقم ٢٦٨ ـ
حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦١ ـ شذرات الذهب ج ٦ ص ٤٥ »

١٩٧ — محي الدين القوصى : هو يحي بن عبد الرحيم بن زكير ، القرشى الشافعى . كان بارعا فى فقه مذهبه واشتغل بالفتوى والتدريس بقوص . ومن مصنفاته : اختصار الروضة . ومات بقوص فى المحرم سنة ٧١٨ هـ

« الدرر ج ٤ رقم ١١٥٧ — حسن المحاضرة ج ١ص ٢٢٠ »

١٩٨ ـ كمال الدين بن الشريشى : أحمد بن محمد بن أحمد بن الشريشى الوايلى البكرى الشافعى ، ولد بسنجار سنة ٦٥٣ هـ وسمع الحديث بمصر ودمشق وغيرها . وتفقه بمذهب الشافعى حتى صار بارعا فيه . وشارك فى غير ذلك من العلوم ، وأتقن النظم والنثر .

وقد ناب فى القضاء عن ابن جماعة ، وتصدى للإفتاء والتدريس والمناظرة . وزاول التدريس بالمدرسة الشامية البرانية والناصرية عشرين سنة . وولى دار الحديث الأشرفية بدمشق . ووكالة بيت المال . توفى فى آخر شوال سنة ٧١٨ هـ بالحسا متوجها إلى الحج ، ودفن بها .

« الدرر ج ١ رقم ٦٤٦ ـ الشذرات ج ٦ ص ٤٧ »

١٩٩ ـ جمال الدين السلامى . هو أبو العلاء رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن نعمة الصُّمَيدى (١) . ولد بدمشق سنة ٦٦٩ هـ وقيل عام ٦٦٨هـ . وقدم القاهرة ، وعنى بالحديث والفقه والقراءات وعلوم العربية ، فطلبها جميعا على شيوخ أفاضل ، ولازم تقى الدين بن دقيق العيد القشيرى وتفقه عليه وعلى علم الدين العراقى ، ودرس القراءات على المكين الأسمر وغيره . وأخذ الحديث عن ابن أبى عمر ، وابن خطيب المزة وغيرهما ، ودرس العربية على بهاء الدين بن النحاس .

وقد ولى عقود الأنكحة ، واشتهر بتدريس القراءات ، وإسماع الحديث .
وتوفى فى ذى الحجة عام ٧١٨ هـ بالقاهرة وقيل سنة ٧١٩ هـ

« الدرر ج ٢ رقم ١٧١٠ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ »

٢٠٠ — زين الدين على بن مخلوف بن ناهض النويرى المالكى . قاضى المالكية بمصر ، لبث فى منصبه زهاء ثلاث وثلاثين سنة ، وكان مشكور السيرة . ولد سنة ٦٣٤ هـ وتوفى بمصر فى ٢١ جمادى الآخرة سنة ٧١٨ هـ وقيل فى ١١ منه .

« الدرر ٣ رقم ٢٩٤ — الشذرات ج ٦ ص ٤٩ »

٢٠١ — شمس الدين بن رباطر [1] الحرانى : هو الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن عمر بن عبد المحمود ، الحنبلى ، نزيل دمشق . ولد سنة ٦٣٧ هـ بحران وسمع الحديث من الشيخ مجد الدين بن تيمية وغيره ، وسمعه بدمشق من ابن عبد الدايم وخطيب مردا وغيرهما ، وظل معنيا بسماع الحديث إلى آخر حياته . ووفد على مصر زائراً للشيخ تقى الدين بن تيمية فأسره الفرنجة فى الطريق ، ثم أطلق . ومات سنة ٧١٨ هـ .

« الدرر ج ٤ رقم ٢٩٥ — الشذرات ج ٦ ص ٥٠ »

٢٠٢ — شهاب الدين الكفرى : هو حسين بن سليمان بن فزارة الدمشقى الحنفى . كان شيخا للقراءات متقنا للسبع . وكان قاضيا مفتيا . درس بالمدرسة الطرخانية ، وأخذ عنه القراءات كثير من طلابها ، كما ناب فى الحكم .

وكان مولده سنة ٦٣٧ هـ ، ووفاته بدمشق فى جمادى الأولى سنة ٧١٩ هـ — وقيل فى شعبان .

« الدرر ج ٢ رقم ١٥٩٠ — الشذرات ج ٦ ص ٥١ »

٢٠٣ — أبو الفتح نصر بن سليمان المبنجى : هو المتصوف المشهور . سمع الحديث وأتقن الفقه والقراءات وزاول تدريسها ثم اعتزل وتصوف ، وانقطع

---

(١) قيل : رباطر ، ورباطد ، وزباطر . عن الشذرات — وفى الدرر : زباطر

بزاويته بباب النصر بالحسينية واعتقد الناس صلاحه ، وبخاصة سلطان مصر بيبرس الجاشنكير . وهو الذى حمل على تقى الدين بن تيمية وأثار ثائرة الصوفية عليه ، وشجع السلطان على محاكمته لتصديه لتنقص الصوفية ومنهم ابن العربى . وتوفى فى زاويته بالحسينية فى جمادى الآخرة عام ٧١٩ هـ .

« الدرر ٤ رقم ١٠٧٦ ـ الشذرات ج ٦ ص ٥٢ »

٢٠٤ — نور الدين الإسنائى — أو الإسنوى — هو ابراهيم بن هبة الله ابن على بن الضبعة الحميرى الشافعى ولد بإسنا ، وتفقه فيها على بهاء الدين القفطى وغيره . ووفد إلى القاهرة فدرس علوما كثيرة وتتلمذ للكثير من أئمة العصر وفحوله ، ومنهم شمس الدين الأصفهانى وبهاء الدين بن النحاس . فبرع وشارك فى علوم عدة منها الجبر والمقابلة والطب . وولى جملة أعمال منها نيابة الحكم فى قوص وإخميم وأسيوط وغيرها .

وتصدى لإفادة الطلاب ، وزاول التصنيف ، ومن مصنفـــاته : اختصار الوسيط ، وشرح المنتخب ، وشرح الألفية . ومات فى أوائل ســـنة ٧٢١ هـ . بالقاهرة .

« الدرر ج ١ رقم ١٩٨ — الشذرات ج ٦ ص ٥٤ »

٢٠٥ — قطب الدين السنباطى [1] : هو أبو عبد الله محمد بن عبـد الصمد ابن عبد القادر السنباطى المصرى الشافعى . ولد سنة ٦٥٣ هـ ودرس الفقه على ابن رزين وغيره ، والحديث على الدمياطى وغيره .

وقد ولى التدريس بالمدرسة الحسامية والفاضلية ، كما ولى وكالة بيت المال وناب فى الحـكم . واشتغل بالتصنيف . وأفاد وتخرج به كثير من أفاضل المصريين .

---

(١) سنباط بلدة من أعمال المحلة : قاله فى الشذرات .

ومن مصنفاته : تصحيح التعجيز . وأحكام المبعض ، واستدراكات على تصحيح التنبيه للنووى . واختصار قطعة من الروضة .

وكانت وفاته بالقاهرة فى ذى الحجة عام ٧٢٢ ﻫ ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ٤ رقم ٣٤ — الشذرات ج ٦ ص ٥٧ »

٢٠٦ — شمس الدين الأذرعى : هو قاضى القضاة محمد بن محمد بن أبى العز ابن صالح ، الأذرعى الحنفى كان فقيها فاضلا عالما بمذهبه ، ولى قضاء[1] دمشق نحو عشرين سنة . وخطب بجامع الأفرم مدة . وزاول التدريس بالمدرسة الظاهرية والقليجية والمعظمية . كما تصدى للفتوى . وتوفى فى المحرم سنة ٧٢٢ ﻫ .

«الدرر ج ٤ رقم ٦٦٢ — الشذرات ج ٦ ص ٥٨»

٢٠٧ — نجم الدين بن صصرى : أحمد بن محمد سالم بن أبى المواهب ، الدمشقى ولد سنة ٦٥٥ ﻫ وتتلمذ للرشيد بن العطـــار ، وبدمشق على ابن عبد الدائم . وابن أبى اليسر ، وتاج الدين بن الفركاح وغيرهم ، وبمصر على شمس الدين الأصبهانى . وبرع فى العلم والأدب والكتابة الإنشائية والشعر مع جودة الخط .

وقد كتب فى ديوان الإنشاء . وزاول التدريس مع فصاحة عبارة بالمدرسة العادلية والأمينية وغيرهما ثم ولى قضاء دمشق سنة ٧٢٠ ﻫ . وتصدى للفتوى والإفادة . ومما وليه أيضاً : قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ .

وكان ذا تودد ووجاهة ومنزلة لدى كثيرين من أساطين عصره . ولمامات رثاه الأديبان شهاب الدين محمود الحلبى ، وجمال الدين بن نباته المصرى ، وغيرهما . وكان الشعراء يمدحونه فى حياته ويهدى إليهم . ومات بدمشق فى ربيع الأول سنة ٧٢٣ ﻫ .

ومن شعره :

ومهفهف بالوصل جاد تكرما ... فأعاد ليل الهجر صبحا أبلجا

(١) فى الدرر أنه ناب فى الحكم بدمشق عشرين سنه .

مازالت ألثم ماحواه ثغره حتى أعدت الورد فيه بنفسجا

« الدرر ج ١ رقم ٦٨٠ — الشذرات ج ٦ ص ٥٩ »

٢٠٨ — تاج الدين بن دقيق العيد : هو أحمد بن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القوصى القشيرى ، ولد بقوص فى سنة ٦٣٦ ﻫ وتتلمذ لابن الجميزى وابن رواح والمنذرى والرشيد العطار وغيرهم . وتفقه بمذهبي مالك والشافعى وبرع فيهما وفى الحديث . وزاول تدريسهما معا فى قوص وكان يدرس بالمدرسة النجيبية . وناب فى الحكم . وكان كثير العبـــادة . ومات بالقاهرة — وقيل بقوص — سنة ٧٢٣ ﻫ .

« الدرر ١ رقم ٥٧١ »

٢٠٩ — بدر الدين الآمدى : أبو عبد الله محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد ابن الحداد الآمدى المصرى الحنبلى خطيب دمشق . سمع الحديث وتفقه بمصر ، وبرع فى الفقه .

وولى وظائف عدة منها : نظر الأوقاف بحلب ، وخطابة جامعها ، كما ولى بدمشق الخطابة والحسبة ونظر المارستان والجامع . وكان يصل إلى قضاء الحنابلة بدمشق . وتوفى فى ٧ جمادى الأولى بدمشق ودفن بباب الصغير .

« الدرر ٤ رقم ١٣٢ — الشذرات ج٦ ص ٦٥ »

٢١٠ — نور الدين المصرى : هو أبو الحسن على بن يعقوب بن جبريل البكرى . الفقيه الشافعى قرأ بنفسه مسند الشافعى . وجرت له محنة بسبب القبط ، فتعصبوا عليه وأغروا به السلطان حتى أمر بقطع لسانه لولا شفاعة صدر الدين بن الوكيل . وسبب ذلك أن الأقباط استعاروا قناديل من جامع عمرو ليوقدوها بالكنيسة المعلقة فى إحدى المناسبات فجمع الشيخ نور الدين عددا من العوام وهجم بهم على الكنيسة ونكل بمن بها ، وعاد إلى الجامع وأهان المشرفين على شئونه ، وتناول بعض أولى الأمر بالتقريع والمذمة .

وقد كان دينا ورعا زاهداً عالما ،وكان فى عداد من امتحنوا ابن تيمية وشددوا عليه . وله مؤلف فى تفسير الفاتحة ، وكتاب فى البيان . وقد ولد فى سنة ٦٧٣ ﻫ وتوفى عام ٧٢٤ ﻫ فى ربيع الآخر . ودفن بالقرافة .

« الدرر ٣ رقم ٣٢١ — الشذرات ج ٦ ص ٦٤ »

٢١١ — علم الدين الشوبكى : وهو توما بن ابراهيم الطبيب . كان عارفا بالطب واختصر مسائل حنين وكان فى جملة أطباء السلطان . وتوفى فى رجب سنة ٧٢٤ ﻫ

« الدرر ج ١ رقم ١٤٢٧ »

٢١٢ — علاء الدين بن العطار الشافعى : هو الحافظ ابو الحسن على بن ابراهيم بن داود بن العطار الدمشقى ، تلميذ النووى . كان أبوه عطارا ، وجده طبيبا . وشمس الدين الذهبى الحافظ ، أخوه من الرضاعة .

ولد سنة ٦٥٤ ﻫ وسمع الحديث من أحمد بن عبد الدايم واسماعيل بن أبى اليسر وغيرهما بدمشق والقاهرة ونابلس والحرمين . ودرس العربية على ابن مالك وغيره . وقد تفقه على محى الدين النووى وصحبه مدة حتى لقب بمختصر النووى . وتفقه على غيره ومازال يطلب العلم حتى برع واشتهر .

وتصدى للتدريس وإسماع الحديث ، بالنورية والقوصية والعلمية . وصدرت عنه فتاوى عدة .

كانت وفاته فى مستهل ذى الحجة عام ٧٢٤ ﻫ .

« الدرر ٣ رقم ٦ — الشذرات ج ٦ ص ٦٣ »

٢١٣ — تقى الدين بن الصائغ : محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن على بن سالم ابن مكى المصرى ولد ٦٣٦ ﻫ ومات فى ليلة ١٨ صفر عام ٧٢٥ ﻫ بمصر ودفن بالقرافة . وقد كان شافعى المذهب .

وقد سمع الحديث من الرشيد العطار وغيره من أصحاب البوصيرى وأقرانه ، ومن رضى الدين بن البرهان وغيره . وسمع الشاطبية وبرع فى القراءات . وصنف الخطب . قال عنه الذهبى : كان خيرا صالحا متواضعا صاحب فنون ، صحب الرضى

الشاطبي مدة وتضلع من اللغة ، وله خطب أنشأها وجودها » . وكان كيساً واسع الصدر موطأ الأكناف كبير القدر . خرج كثيرين ، وشهد عليه أبو حيان في إجازة ، فقال : « أشهدني شيخنا العلامة الإمام شيخ المقرئين ورئيس المتصدرين حامل راية الرواية والأستاد ، ملحق الأحفاد بالأجداد » . وكان الطلاب يفدون إليه من الأقطار طلبا للقراءة لعلو الأسناد والدراية .

« الشذرات جـ ٦ ص ٦٩ — الدرر ٣ رقم ٨٦٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٤١ — طبقات الأسنوى »

٢١٤ — سراج الدين(١) الأرمنتي : يونس بن عبد الحميد بن على . ولد بأرمنت بصعيد مصر فى سنة ٦٤٤ هـ وتلقى العلم فى قوص ، وأجازه بالفتوى مجد الدين بن دقيق العيد القشيرى . ثم وفد على القاهرة وتتلمذ لشيوخ العلم بها وسمع الحديث من رشيد الدين بن العطار وغيره . وثبتت قدمه فى الفقــــه والنحو والأصول والأدب وكان ينظم الشعر والدوبيت وولى قضاء إخميم وغيرها . ومن مؤلفاته : المسائل المهمة فى اختلاف الأئمة ، وكتاب الجمع والفرق . — وقد توفى فى قوص فى ربيع الآخر سنة ٧٢٥ هـ .

« الدرر جـ ٤ رقم ١٣٣٧ — والشذرات جـ ٦ ص ٧٠ »

٢١٥ — الأمير ركن الدين بيبرس المنصـورى الدوادار : أصله من مماليك المنصور قلاوون ، وبلغ مرتبة الإمارة وولى نيابة الكرك . وبلغ من بعد ، مرتبة نيابة السلطنة فى عهد الناصر بن قلاوون .

ومن مصنفاته : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة — والتحفة الملوكية فى الدولة التركية . وله تفسير للقرآن الكريم . ومات فى سنة ٧٢٥ هـ فى رمضان .

« ذكرناه فى المجلد الأول من هذا الكتاب » .

« الدرر جـ ١ رقم ١٣٨٤ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٦ ، ٣٢٠ — الشذرات جـ ٦ ص ٦٦ — جورجى زيدان جـ ٢ ص ١٨٦ »

---

(١) ترجمه صاحب الدرر فى الجزء الرابع ، فى يونس . — وترجمه أيضاً فى الجزء الأول رقم ٤١٠ ، فى أحمد . وبمقابلة الترجمتين نرى أنهما واحدة . فلعل سراج الدين الأرمنتى كان يدعى : يونس ، وأحمد . أو لعل هناك وهما .

٢١٦ — صدر الدين الجعفرى : سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب ، الهاشمى الجعفرى ، وهو المعروف بخطيب داريا

ولد سنة ٦٤٢ هـ وقدم دمشق مراهقا ، وتلقى الحديث ، ودرس الفقه على تاج الدين الفزارى ، ومحيي الدين النووى ولازمهما زمنا . وبرع وظهر فضله . فولى خطابة داريا ، والإعادة بالناصرية ، وناب فى الحكم مدة . وتوفى فى ٨ ذى القعدة سنة ٧٢٥ هـ ودفن بباب الصغير بدمشق .

« الدرر ٢ رقم ١٨٦٧ — الشذرات جـ ٦ ص ٦٧ »

٢١٧ — سراج الدين الأنصارى : عمر بن الخضر المصرى ، خطيب المدينة وقاضيها . سمع من الرشيد العطار ومن ابن عبد السلام وابن الطباخ وغيرهم . وبرع فى الفقه والأصول ، وقد ولاه المنصور قلاوون الخطابة بالمدينة الشريفة ، فظل بها نحو أربعين سنة من سنة ٦٨٢ هـ . وكان حكامها روافض ، يولون القضاة والخطباء من الروافض أيضاً ، ويؤذون أهل السنة ؛ وكلما تولى خطيب من أهل مصر لأهل السنة لا يقيم طويلا ، لكثرة ما يناله من الأذى . فلم يثبت فى هذا المنصب سوى الشيخ سراج الدين ، إذ احتال وداور حتى استقام منصبه هذه المدة ، وعين قاضيا كذلك . وصاهر بعض الإمامية فهدأت حملتهم عليه ، بعد أن كانوا قد صادروا بعض أملاكه ، وبسبب ذلك صادر المنصور بعض أملاك أهل المدينة بمصر ، فكفوا عنه . وقد مرض بأخرة فيمم شطر مصر طلبا للعلاج فتوفى بالسويس . ودفن بها فى المحرم عام ٧٢٦ هـ ، وكان مولده فى صندقا فى نحو عام ٦٦٥ هـ

« الدرر جـ ٣ رقم ٣٥٣ — الشذرات جـ ٦ ص ٧٢ »

٢١٨ — فضل الله بن أبى الفخر بن السقاعى (١) : كان نصرانياً محسناً للكتابة الديوانية ، كتب فى ديوان المرتجع وغيره .

ومن تآليفه وجمعه : أنه جمع الأناجيل الأربعة فى إنجيل واحد ، وبلغات عدة . وذيل تاريخ المكين بن العميد « الذى ينتهى إلى سنة ٦٥٨ هـ » إلى سنة ٧٢٠ هـ .

---

(١) وفى الدرر : الصقاعى بالصاد ، وإنه مات فى حدود العشرين والسبعمائة .

واختصر وفيات الأعيان لابن خلكان . وذيله أيضاً وأرخ للطربين . وتوفى في سنة ٧٢٦ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٥٩١ — الشذرات ج ٦ ص ٧٥ »

٢١٩ — قطب الدين اليونيني : هو موسى بن محمد بن أبي الحسين ، اليونيني الحنبلي المؤرخ . ولد بدمشق سنة ٦٤٠ هـ ، وأبوه الفقيه الشيخ أبو عبد الله محمد اليونيني .

وقد سمع قطب الدين الحديث بدمشق من أبيه هذا ، ومن ابن عبد الدايم وعبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة . وبمصر من رشيد الدين العطار واسماعيل ابن صارم وغيرهما ، وأجيز بالرواية .

ومن مؤلفاته : تذييل في التاريخ على كتاب مرآة الزمان ، واختصار المرآة .. وكانت وفاته ببعلبك في شوال سنة ٧٢٦ هـ ودفن بباب سطحا .

« الدرر ج ٤ رقم ١٠٣٩ — الشذرات ج ٦ ص ٧٣ »

٢٢٠ — شرف الدين بن تيمية الحراني : عبد الله بن الحليم بن عبد السلام ابن أبي القسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي . وهو أخو الإمام تقي الدين بن تيمية المشهور .

ولد شرف الدين في حران سنة ٦٦٦ هـ . ونزح مع أهله رضيعاً إلى دمشق ، وبها طلب العلم ، فسمع الحديث وتفقه في مذهب ابن حنبل ، وبرع في علوم كثيرة منها الفرائض والحساب وعلم الهيئة وأصول الفقه وأصول الدين ، وفي علوم العربية .

وقد تصدى للتدريس والإفادة فانتفع به طلابه وسامعوه ، وكان فصيح العبارة قديرا على المناظرة . مفحما لخصومه . مع فضل وعبادة ، وورع وزهادة ، وكرم وخير . وتوفى بدمشق في ١٤ جمادى الأولى عام ٧٢٧ هـ ودفن بمقابر الصوفية ..

« الدرر ج ٢ رقم ٢١٥٦ — الشذرات ج ٦ ص ٧٦ »

٢٢١ — نجم الدين القمولي (١) : أبو العباس أحمد بن محمد بن مكي بن يس ..

---

(١) القمولي : بفتح القاف أو ضمها ، نسبة إلى قمولة بلد بصعيد مصر . وقيل « قولا »

القرشي المخزومي القمولي المصري الشافعي . كان إماما في الفقه ، بارعا في الأصول والعربية ، تقيا زاهدا متصوفا . وقد درس بالفخرية وناب في الحكم .

ومن مصنفاته : شرح الوسيط ، قال في الشذرات نقلا عن الأسنوي : « شرحه شرحا مطولا أقرب تناولا من شرح ابن الرفعة ، وإن كان كثير الاستمداد منه ، وأكثر فروعا منه . . الخ » وسماه : البحر المحيط في شرح الوسيط .

وله أيضا : جواهر البحر ، وهو تلخيص أحكام الوسيط . وشرح مقدمة ابن الحاجب في النحو . وشرح الأسماء الحسنى في مجلد وأكمل تفسير الإمام فخر الدين ابن الخطيب — وكانت وفاته بالقاهرة في رجب سنة ٧٢٧ هـ ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ١ رقم ٧٦٩ - الشذرات ج ٦ ص ٧٥ »

٢٢٢ — كمال الدين بن الزملكاني : هو العلامة القاضي ، محمد بن علي ابن عبد الواحد بن عبد الكريم ، الأنصاري الدمشقي . طلب الحديث وسمعه وقرأه ، وتفقه على التاج بن الفركاح ؛ وقرأ الأصول على الصفي الهندي ؛ ودرس العربية على بدر الدين بن مالك . ومازال يركض في ميدان العلم حتى سبق وبز ، وأصبح أحد البارزين في الفتوى والتدريس والمناظرات . فصيحا ذكيا ، وإماما بصيرا مجتهدا في مذهب الشافعي وتخرج به بالشام أغلب علماء العصر . وقد قال ابن كثير : « انتهت إليه رياسة المذهب تدريسا وإفتاء ومناظرة . »

وقد ولي ابن الزملكاني وظائف عدة منها : نظر المارستان ، والتدريس بالمدرسة الشامية والظاهرية والرواحية وغيرها بدمشق . وولي وكالة بيت المال ، وقضاء حلب عام ٧٢٤ هـ ، ودعاه السلطان الناصر سنة ٧٢٧ هـ ليلي قضاء دمشق فوفد على القاهرة أولا فمات ببلبيس في طريقه . وله يد طولى في النثر والنظم والخط . ولهذا ولي بعض الوظائف في ديوان الإنشاء واشتغل بالتوقيع في الدست .

ويبدو من أخبار زين الدين بن الوردي الشاعر ، أنه كان ينوب في الحكم عن الكمال بن الزملكاني أيام ولايته القضاء في حلب ، فنقله إلى جهة نائية لم يرض عنها . لهذا كانت لابن الوردي مدائح ومعاتبات شعرية وجهها إلى الكمال بن

الزملكانى . كما يبدو لنا من دراسة جمال الدين بن نباته المصرى الشاعر أنه كانت بينه وبين الكمال بن الزملكانى صداقة ومودة ، ولهذا مدحه ابن نباتة (١) بأكثر من قصيدة ومنها تائية عصماء مطلعها :

قضى وما قضيت منكم لبانات ... متيم عبثت فيـــه الصبابات
مافاض من جسمه يوم الرحيل دم ... إلا وفى قلبـــه منكم جراحات

وكذلك رثاه لما مات بمنظومة نباتية بارعة قال فى مطلعها :

بلغا القاصدين أن الليـــالى ... قبضت جملة العلى بالـــكمال
وقفا فى مدارس النقل والعقل ... ونوحا معى على الأطلال

ومن مصنفات ابن الزملكانى : رسالة فى الرد على تقى الدين بن تيمية فى مسألة الطلاق . ورسالة أخرى فى الرد عليه كذلك فى مسألة زيارة القبور . وتعليق على كتاب المنهاج للنووى . ورسالة فى تفضيل البشر على الملك .

وكان مولده بدمشق فى شوال سنة ٦٦٧ هـ ، ووفاته ببلبيس فى ١٦ رمضان سنة ٧٢٣ هـ . وحمل منها إلى قرافة الإمام الشافعى : فدفن بها قرب مزار الإمام (٢) — نذكره فى الشعراء بالجزء الثالث من كتابنا هذا .

« الدرر ج ٤ رقم ٢١٠ — حسن المحاضرة ج١ ص١٤٥ — طبقات السبكى ج ٥ ص٢٥١ — ذكره ابن نباته فى سجع المطوق — فوات الوفيات ج ٢ ص٣١٢ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٧٨ »

٢٢٣ — عز الدين (٣) الكردى : عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى الكردى الشافعى ، ويعرف بابن خطيب الأشمونين . سمع الحديث بمكة ودمشق ، وتفقه بمذهب الشافعى حتى فاق أقرانه ، وزاول التدريس والفتوى والتصنيف . وكاد يلى قضاء دمشق . وولى قضاء قوص والمحلة . وله مصنفات كثيرة مع أدب وشعر . ومات بالقاهرة فى ٨ رمضان عام ٧٢٧ هـ .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٢٦ — الشذرات ج ٦ ص ٧٤ »

(١) انظر ترجمة ابن الوردى وابن نباتة فى الجزء الثالث من كتابنا هذا .
(٢) فى شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٠ ، ٢٥٤ تراجم لبعض آباء كمال الدين الزملكانى .
(٣) فى الدرر : عماد الدين .

٢٢٤ — فخر الدين بن الصقلي(١) : محمد بن محمد بن محمد . كان شافعي المذهب . تفقه فى القاهرة على قطب الدين السنباطى . وناب فى القضاء بظاهر القاهرة . ومن مصنفاته : التنجيز على التعجيز وهو فى الفقه . وتوفى فى القاهرة فى ذى القعدة سنة ٧٢٧ هـ

« الدرر ج ٤ رقم ٦٢١ — الشذرات ج ٦ ص ٧٩ »

٢٢٥ — عز الدين العلوى الغَرّافى(١) الإسكندرى الشافعى : هو إبراهيم بن أحمد ابن عبد المحسن بن أحمد . ويعرف بالعراقى . ولد بالأسكندرية سنة ٦٣٨ هـ وسمع الحديث بدمشق وولى دار الحديث النبيهية بعد أخيه تاج الدين . وارتزق بالنسخ مدة . وتوفى فى المحرم سنة ٧٢٨ هـ . بالإسكندرية بعد حيـــاة حافلة بالعلم والنفع والتقوى .

« المنهل ج ١ - الدرر ١ رقم ١٢ - الشذرات ج ٦ ص ٨٠ »

٢٢٦ — شهاب الدين المرداوى : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد المولى ابن جبّارة المقدسى المقرىء الفقيه الحنبلي الأصولى النحوى .

ولد سنة ٦٤٧ هـ - أو ٦٤٨ هـ - وتلقى الحديث عن خطيب مردا ، وابن عبد الدايم وغيرهما . ووفد إلى مصر فدرس القراءات على الشيخ حسن الراشدى ولازمه طويلا . ودرس الأصول على شهاب الدين القرافى المالكى ، وأخذ العربية عن بهاء الدين بن النحاس . وبرع فى فقه الحنابلة . وقيل إنه حج وجاور مدة .

وقد طاف بعد بدمشق فحلب . ثم عاد إلى بيت المقدس وأقام بهـا مدرسا للقراءات وعلوم العربية . وقيل انتهت إليه مشيخة بيت المقدس . وكانت وفاته فى يوم الأحد ٤ رجب سنة ٧٢٨ هـ . وقد ذكره الذهبي والبرزالى .

ومن مؤلفاته : شرح الشاطبية فى القراءات . وشرح الرائية فى رسم المصحف .

---

(١) الصقلى : بفتح الصاد والقاف . أو بفتح الصاد وكسر القاف . نسبة إلى جزيرة صقلية فى بحر الروم . قاله فى هامش الشذرات .

(٢) الغرافي : بغين وفاء ، هكذا ضبطه فى الدرر — وفى المنهل والشذرات بالعين والقاف

وشرح ألفية ابن معط فى النحو . وتفسير للقرآن الكريم . وله فى القراءات مصنفات أخرى .

« الدرر جـ ١ رقم ٦٦٧ — الشذرات جـ ٦ ص ٨٧ »

٢٢٧ — نجم الدين بن عقيل البالسى : هو أبو عبد الله محمد بن عقيل ابن أبى الحسن بن عقيل ، البالسى المصرى الشافعى المعروف بشارح التنبيه .

ولد سنة ٦٦٠ هـ وسمع الحديث بدمشق ، ولازم ابن دقيق العيد بالقاهرة . وما زال ، حتى أصبح أحد أفاضل الشافعية البارزين . وناب فى الحكم وزاول التدريس بالمدرسة المعزية والطيبرسية ، وانتفع منه طلابه ، وانتهت إليه الفتيا بمصر . مع زهد وتقوى .

واشتهر بشرح التنبيه . واختصر كتاب الحديث للترمذى . وله مختصر فى الفقه . وتوفى بالقاهرة فى ١٤ المحرم سنة ٧٢٩ هـ ودفن بالقرافة الصغرى .

«الدرر جـ ٤ رقم ١٤٦ — الشذرات جـ ٦ ص ٩١ »

٢٢٨ — مجد الدين الحرانى : هو أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن اسماعيل ابن الفراء ، الحرانى الدمشقى الحنبلى .

ولد سنة ٦٤٥ هـ - أو ٦٤٦ هـ . بحران . وقدم إلى دمشق مع أهله سنة ٦٧١هـ . وقد سمع بها الحديث من ابن أبى عمر وابن الصيرفى وغيرهم . ودرس الفقه على شمس الدين بن أبى عمر وغيره . حتى أصبح ثبتا فى مذهبه . وقد عكف على إفادة الناس والتدريس والفتوى . وقال عنه الذهبى : «كان شيخ الحنابلة . . » . وتخرج به كثير من الأفاضل فقها وحديثا . وتوفى فى ليلة الأحد ٩ جمادى الأولى ٧٢٩ هـ ودفن بمقابر الباب الصغير بدمشق .

« الدرر ج ١ رقم ٩٥٣ — الشذرات جـ ٦ ص ٨٩ »

٢٢٩ — بدر الدين الأنصـــارى : هو أبو اليسر محمد بن محمد بن محمد

---

(١) فى الدرر : فخر الدين

ابن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل . الأنصارى الدمشقى ، . وأبوه قاضى القضاة عز الدين المعروف بابن الصائغ الشافعى .

ولد سنة ٦٧٦ هـ ودرس الفقه على برهان الدين بن الفركاح الفزارى ، ولازمه مدة ، وسمع الحديث . وولى التدريس بأكثر من مدرسة ، وولى خطابة القدس . ودعى للقضاء فامتنع ، فأعفى . وتوفى بدمشق فى جمادى الأولى (١) سنة ٧٢٩ هـ ودفن بسفح قاسيون .

« الدرر ج ٤ رقم ٥٩٥ — الشذرات ج ٦ ص ٩٢ »

٢٣٠ — برهان الدين بن الفركاح : هو العلامة شيخ الإسلام ، ابراهيم ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع ، الفزارى المصرى . رأس الشافعية فى بلاد الشام . وأبوه هو تاج الدين الفزارى من شيوخ الشافعية أيضا .

ولد فى سنة ٦٦٠ هـ ، وجد فى طلب الحديث فسمعه من أبيه ومن ابن عبد الدايم وابن أبى اليسر وغيرهم . ودرس الفقه والنحو وبرع فيهما . قيل انتهت إليه معرفة مذهبه ودقائقه ومتون أحكامه ، مع الأصول والعربية ، وعلوم الحديث . ومن مؤلفاته : التعليقة على التنبيه ، فى نحو عشر مجلدات . وتعليقة على مختصر ابن الحاجب فى الأصول . وغير ذلك .

وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٧٢٩ هـ ودفن بباب الصغير . وقد ذكره الذهبى فى المعجم المختص .

« الدرر ج ١ رقم ٨٨ — الشذرات ج ٦ ص ٨٨ »

٢٣١ — علاء الدين القونوى : على بن اسماعيل الشافعى ، ولد بقونية — أو قونوة — سنة ٦٦٨ هـ ، وقدم إلى دمشق عام ٦٩٣ هـ ودرس بها ، وجاء إلى القاهرة عام ٧٠٠ هـ ودرس بها أيضا . وقد تعلم على الماردينى والزملكانى ، وابن عساكر وابن الصواف وابن دقيق وغيرهم . ثم تصدى للتدريس فخرّج عددا عظيما من علماء القاهرة فى علوم شتى . وعلت مكانته عند السلطان الناصر محمد

---

(١) فى الدرر ، وفاته سنة ٧٣٩ هـ ولعله خطأ مطبعى .

ابن قلاوون ، فطلب إليه أن يلى قضاء دمشق عام ٧٢٧ هـ ، فاعتذر ، فلم يقبل الناصر اعتذاره . فلبث بدمشق عامين تقريبا ، ثم توفى بها فى ١٤ ذى القعدة عام ٧٢٩ هـ. ودفن بجبل قاسيون .

وقد كان محبا للبحث كثير القراءة ، نبغ فى التفسير والفقه والأصول والتصوف . وله من المؤلفات : شرح الحاوى ومختصر المنهاج . وكان ضليعا فى التركية والعربية معاً ، ماهرا فى الكتابة المرسلة ناظما للشعر . كما كان مهيبا عف اللسان طاهر اليد .

« الشذرات ج ٦ ص ٩٠ — الدرر ج ٣ رقم ٥٤ »

٢٣٢ — تاج الدين بن المتوج الزبيرى الشافعى المصرى : محمد بن عبد الوهاب ابن المتوج بن صالح . صنف كتابا فى تاريخ مصر اسمه « إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل » .

ولد بمصر فى ربيع الأول سنة ٦٣٩ هـ ومات بها فى المحرم سنة ٧٣٠ هـ

« الدرر ج ٤ رقم ٩٩ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٦ »

٢٣٣ — فخر الدين الطائى الحلبي : هو أبو عمرو عثمان بن على بن عثمان [1] بن ابراهيم بن اسماعيل ، الطائى الحلبي الشافعى ويعرف بابن خطيب جبرين . [2]

ولد بالقاهرة عام ٦٦٢ هـ وجنح إلى العلم حديثا وفقها وعربية ، ورحل إلى حلب . فزاول تدريس العلم بها ، وولى بها وكالة بيت المال ، وقضاء القضاة .

ومن مصنفاته : شرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الحاوى الصغير ولم يتم ، وشرح التعجيز ، وشرح الشامل الصغير للقزوينى . وشرح البديع لابن الساعاتى . وصنف المناسك والفرائض واللغة . وله نظم غير جيد — توفى بالقاهرة فى المحرم سنة ٧٣٠ [3] . ودفن بمقبرة الصوفية .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٥٩٤ — الشذرات ج ٦ ص ٩٣ »

---

(١) يختلف نسبه فى الدرر عنه فى الشذرات بعض الاختلاف . قال فى الدرر هو عثمان بن على ابن عمر بن اسماعيل بن اسماعيل بن ابراهيم . . الخ

(٢) جبر بن قرية من قرى حلب . قاله فى الشذرات .

(٣) قال فى الشذرات : والصحيح وفاته سنة ٧٣٩ هـ كما جزم الاسنوى وابن قاضى شهبة وغيرهما . وفى الدرر قال وفاته سنه ٧٣٨ هـ .

٢٣٤ — شهاب الدين الحجار الصالحي . هو أحمد بن أبي طالب بن نعمة ابن حسن . وأصله من قرية من قرى وادي بردى ، بدمشق . قيل : ولد سنة ٦٢٣ هـ وعُمّر طويلا ، وظل في طلب الحديث وإسماعه مائة عام . ووفد إلى القاهرة مرتين لإلقاء دروس الحديث بها . وسمع منه الناس الحديث جيلا بعد جيل حتى ألحق الأحفاد بالأجداد . وكان يوم فراغه يخرج إلى الجبل مع الحجارين يقطع الحجارة . وتوفى بصالحية دمشق في ٢٥ صفر عام ٧٣٠ هـ

« الدرر ج ١ رقم ٤٠٤ — الشذرات ج ٦ ص ٩٣ »

٢٣٥ — فخر الدين بن البارزي : هو قاضي القضاة ، أبو عمرو عثمان بن محمد ابن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله الجهني الحموي الشافعي .

ولد سنة ٦٦٨ هـ بحماة . ومال إلى العلم والأدب ، فتفقه وتأدب حتى بلغ مبلغ الفضل ، كأفراد عدة من أسرته المجيدة . ثم ناب في الحكم بحماة عن عمه شرف الدين . وتولى قضاء حمص زمنا . وولى خطابة جامع حماة . ثم أسند إليه قضاء حلب . واشتغل بالفتوى والإفادة والتصنيف . وقد شرح كتاب الحاوي . وتوفى بحلب في صفر سنة ٧٣٠ هـ

« الدرر ج ٢ رقم ٢٦٠٤ — الشذرات ج ٦ ص ٩٤ »

٢٣٦ — جمال الدين بن الصابوني : أحمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب ، الحلبي الدمشقي . نزيل القاهرة كان مولده بدمشق عام ٦٧٥ هـ — أو ٧٦ — وسمع الحديث من ابن الدرجي وابن أبي عصرون وغيرهما . وطلب العلم بنفسه ورحل أجله إلى حلب ومكة والإسكندرية . ثم ولى مشيخة الحديث بالمدرسة المنكوتمرية . وأعاد في غيرها وخرّج لنفسه أربعين حديثا تساعيات . ومات في ليلة مستهل ربيع الأول عام ٧٣١ هـ

« الدرر ج ١ رقم ٨٣٧ »

٢٣٧ — ضياء الدين الأذرعي : أبو الحسن علي بن سليم بن ربيعة ، الأنصاري الشافعي . ولد سنة ٦٥٧ هـ وتفقه على محيي الدين النووي ، وبرع في فقه مذهبه ، فناب في الحكم وظل يتنقل

فى قضاء النواحى نحو ستين عاما ، ومما وليه قضاء طرابلس ونابلس وحمص وعجلون وزرع وغيرها ، وناب فى حكم دمشق عن القونوى نحو شهر . وقد نظم التنبيه فى ١٦ ألف بيت ، ونظم غير ذلك . وتوفى بالرملة فى ربيع الأول سنة ٧٣١ ﻫ

« الدرر ج ٣ رقم ١١٧ — الشذرات ج ٦ ص ٩٦ »

٢٣٨ — تاج الدين الفاكهانى [١] : هو عمر بن على بن سالم بن صدقة اللخمى الإسكندرى المالكى . ولد سنة ٦٥٤ ﻫ . وسمع الحديث من ابن طرخان ومكين الدين الأسمر وغيرهما . ودرس فقه الإمام مالك على ابن المنير [٢] وغيره . وبرع فى العربية وفنونها . وذهب إلى مكة حاجا عن طريق دمشق عام ٧٣٠ ﻫ .

ومن تصانيفه : شرح العمدة والإشارة فى النحو ، والمورد فى الموالد ، واللمعة فى وقفة الجمعة . والدرة القمرية فى الآيات النظرية وغير ذلك . توفى بالإسكندرية فى جمادى الأولى عام ٧٣١ ﻫ [٣]

« الدرر ج ٣ رقم ٤١٨ — الشذرات ج ٦ ص ٩٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٦ »

٢٣٩ — عماد الدين المقدسى : إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان المقدسى المصرى . عني بالطب فبرع ، وتتلمذ فيه لعماد الدين النابلسى وغيره . وكان قديراً على المعالجة . وكان قد سمع الحديث كذلك . وتوفى فى جمادى الآخرة عام ٧٣١ ﻫ .

« الدرر ج ١ رقم ٩١١ »

٢٤٠ — فخر الدين بن التركمانى المارديني الحنفى : هو عثمان بن ابراهيم بن مصطفى الشهير بابن التركمانى . سمع الحديث من الأبرقوهى والدمياطى وغيرهما . وبرع فى مذهب الحنفية . قال السيوطى : « انتهت إليه رياسة الحنفية بالديار المصرية » .

ومن مصنفاته : شرح الجامع الكبير ، فى عدة مجلدات ، وألقاه دروسا فى المدرسة المنصورية . وكان ناظرا لأوقافها .

---

(١) للشيخ تاج الدين الفاكهانى قصه قصها بمناسبة ذهابه إلى الحج — رويناها فى ص ٤٠٢ بالمجلد الثانى من كتابنا هذا .

(٢) لعله ناصر الدين بن المنير المتوفى عام ٦٨٣ ﻫ

(٣) فى حسن المحاضرة ، وفى هامش الدرر نقلا عن ابن فرحون ، أن وفاته سنة ٧٣٤ ﻫ .

ولد سنة ٦٦٠ هـ وتوفى فى رجب سنة ٧٣١ هـ . وله ولدان فاضلان هما : تاج الدين أحمد ، وعلاء الدين على .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٥٦٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢١ »

٢٤١ — علاء الدين الفارسى : هو أبو الحسن على بن بلبان ، المصرى الحنفى . كان بارعاً فى الفقه والأصول . ومن مصنفاته . شرح الجامع الكبير . وترتيب صحيح ابن حبان على الأبواب الفقهية . وترتيب معجم الطبرانى على الأبواب أيضاً وشرح التلخيص للخلاطى .

كان مولده سنة ٦٧٥ هـ ، ووفاته فى شوال ٧٣١ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢١ »

٢٤٢ — جمال الدين بن القلانسى : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن أسعد الشافعى . ولد سنة ٦٦٩ هـ [1] . واشتغل بطلب العلم فحفظ التنبيه ، ومحرر الرافعى ، وسمع الحديث من كثيرين ، ودرس الفقه على تاج الدين الفزارى ، والأدب على رشيد الدين الفارقى ، والنحو على شرف الدين الغزاوى ، وولى وظائف عدة منها قضاء العسكر ، ووكالة بيت المال ، والتدريس بالمدرسة الأمينية وغيرها . قيل : تفرد فى وقته بالرياسة فى البيت والمناصب الدينية والدنيوية . وأجيز بالفتوى وكتب النثر الأدبى . مع حضور بديهة وتواضع وهمة . وتوفى فى ذى القعدة عام ٧٣١ هـ .

« الدرر ج ١ قسم ٧٦١ — الشذرات ج ٦ ص ٩٥ »

٢٤٣ — سراج الدين الدجيلى [2] : أبو عبد الله الحسن بن يوسف بن محمد بن أبى السرى ، البغدادى الحنبلى ، ولد سنة ٦٦٤ هـ . وحفظ كتبا عدة فى جملة علوم ، وتفقه وسمع الحديث ببغداد ودمشق . وعنى بدراسة الأصلين والعربية والأدب . فبرع ، مع عبادة وزهد . ومن مصنفاته : كتاب الوجيز فى الفقه . وكتاب تنبيه الغافلين . وكتاب نزهة الناظرين . وقصيدة فى الفرائض : ومات فى ٦ ربيع الأول

---

(١) فى الدرر : بعد نيف وسبعين وستمائة .

(٢) الدجيلى : بضم ففتح نسبة الى دجيل ، نهر كبير بنواحى بغداد — قاله فى الشذرات

سنة ٧٣٢ هـ . ودفن بالشهيد من أعمال دجيل بالعراق .

« الدرر ج ٢ رقم ١٥٧٧ — الشذرات ج ٦ ص ٩٩ »

٢٤٤ — تاج الدين السعدى : هو أبو القسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافى السعدى المصرى الشافعى . سمع الحديث من ابن أبى عصرون وغيره ، وجمع الحديث وكتب الكثير منه وطاف لأجله من دمشق إلى مصر والإسكندرية . وتصدى للفتوى والتخريج وولى مشيخة الصاحبية .

ومن تخريجاته : التساعيات . وأربعون مسلسلات . ومات بمصر فى ربيع الأول سنة ٧٣٢ هـ

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٥٧ — الشذرات ج ٦ ص ١٠٢ »

٢٤٥ — شرف الدين المقدسى : عبد الله بن حسن[1] بن عبد الله بن عبد الغنى ابن عبد الواحد ، المقدسى الصالحى الحنبلى . تلقى الحديث عن محمد بن عبد الهادى وخطيب مردا وغيرهما . وتفقه بمذهب ابن حنبل ، وتصدر للإفتاء . وناب فى الحكم ، ثم ولى القضاء بأخرة : وزاول التدريس بالمدرسة الصاحبية ، وولى مشيخة الحديث فى أكثر من مدرسة . وكانت وفاته فى مستهل جمادى الآخرة[2] سنة ٧٣٢ هـ .

« الدرر ج ٢ رقم ٢١٣٥ — الشذرات ج ٦ ص ١٠٠ »

٢٤٦ — برهان الدين الجعبرى : هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل ، الجعبرى الربعى الخليلى . ويقال له ابن السراج ، ويعرف بشيخ الخليل .

ولد بجعبر وعاش مدة فى بغداد وسمع الحديث وتفقه ، وأتقن القراءات وتلا بالسبع ومهر فى الأصول والعربية والتاريخ . وسكن دمشق مدة ، ثم تحول إلى الخليل فلبث بها أربعين سنة وتولى بها المشيخة وقعد لإفادة الناس ونشر القراءات . وقد صنف مصنفات عدة قيل: تقارب المائة . واختصر مختصر ابن الحاجب . ومن مصنفاته : نزهة البررة فى القراءات العشرة . وشرح الشاطبية . وشرح الرائية ، وكتاب فى علوم الحديث . وكانت وفاته بالخليل فى رمضان عام ٧٣٢ هـ

« الدرر ج ١ رقم ١٣٠ — الشذرات ج ٦ ص ٩٧ »

---

(١) فى الدرر : ابن الحسين   (٢) وفى الدرر : وفاته فى مستهل جمادى الأولى

٢٤٧ — علم الدين الإخنائى : هو محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة ، السعدى الإخنائى المصرى ، الشافعى . ولد سنة ٦٦٤ هـ بالقاهرة . وسمع الحديث عن الدمياطى وغيره . وولى قضاء الإسكندرية ثم قضاء الشام . قيل كان مبالغاً فى الاحتجاب عن الناس ، وقيل كانت دائرة علمه ضيقة ، مع وقار ، ودين وقلة شر ، وعدالة وعفة ، وإن شذت عبارته . وتوفى بدمشق فى ١٣ ذى القعددة عام ٧٣٢هـ . ودفن بسفح قاسيون .

« الدرر ج ٣ رقم ١٠٧٩ — الشذرات ج ٦ ص ١٠٣ »

٢٤٨ — فخر الدين البعلى : أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف ، البعلى الدمشقى الحنبلى . ولد عام ٦٨٥ هـ . وسمع الحديث من ابن البخارى وتقى الدين الواسطى ، وغيرهما ، وارتحل فى طلب الحديث أكثر من مرة . وتفقه بمذهب ابن حنبل . ثم تصدى للإفادة والفتوى . واشتغل بالإعادة بالمدرسة المسمارية ، وولى مشيخة الصدرية . وحدث بحديث الرسول ، وسمع منه جملة أفاضل منهم الذهبى . ومن مصنفاته : الثمر الرائق المجتنى من الحدائق . وقد مات فى ٢٩ من ذى القعده سنة ٧٣٢ هـ . ودفن بمقبرة الصوفية .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٣٤٩ — الشذرات ج ٦ ص ١٠١ »

٢٤٩ — شمس الدين الحارثى : هو أبو الفرج عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى المصرى الحنبلى . ولد سنة ٦٧١ هـ ، وسمع الحديث بمصر من عز الدين الحرانى وابن خطيب المزة وغيرهما ، وبدمشق من ابن البخارى وابن المجاور وغيرهما ، وبالإسكندرية من العراقى . ودرس الأصول على ابن دقيق العيد ، والعربية على ابن النحاس . وقد تفقه بمذهب ابن حنبل ، وأصبح بارعاً فاضلا ، فاشتغل بالوظائف فناب فى الحكم وزاول التدريس بالمدرسة المنصورية وجامع ابن طولون وغيرهما . قال فى الشذرات : « وكان شيخ المذهب بالديار المصرية ، وله مشاركة فى التفسير والحديث » . وكانت وفاته فى ٢٦ من ذى الحجة عام ٧٣٢ هـ بالقاهرة ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٣٦٥ — الشذرات ج ٦ ص ١٠١ »

٢٥٠ — بدر الدين محمد بن أبي حامد بن هاشم بن نصار ، الطبيب . كان فائقاً فى فنه . قدوة للأطباء فى معالجة الأبدان . مات بحلب سنة ٧٣٢ ﻫ .

« الدرر ٣ رقم ١١٠٨ »

٢٥١ — فخر الدين بن المنير الإسكندرانى : عبد الواحد بن منصور بن محمد . ويلقب بعز القضاة . كان مالكى المذهب . قال السيوطى : قال ابن فرحون : « كان شيخ الإسكندرية » . تفقه على عميه ناصر الدين وزين الدين . وسمع الموطأ على نجم الدين عبد العزيز بن سلطان الربيعى . وقد ناب فى الحكم زمنا ، وتخرج به أفاضل من المالكية . وكان أديباً ناظما للشعر .

ومن مصنفاته : تفسير القرآن فى عشر مجلدات . أرجوزة فى القراءات السبع . وديوان شعر فى المدائح النبوية . ومن نظمه :

يموت المرء عضوا بعد عضو وتذهب بعد ذاك الروح جملة
فلا تفرح بطول العمر يوماً إذا هو مر فى لهو وغفلة
فتب لله والنفس اطرحها تفز واحمل على الشيطان حملة

كان مولده فى عام ٦٥١ ﻫ — ووفاته فى جمادى الأولى عام ٧٣٣ﻫ — وحددها السيوطى بعام ٧٣٦ ﻫ

« الدرر ج ٢ رقم ٢٥٣٨ — حسن المحاضرة ج ١ س ٢١٦ »

٢٥٢ — شهاب الدين بن جهبل : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن إسماعيل ابن طاهر بن نصر الحلبي الدمشقي الشافعي المذهب ، المشهور بابن جهبل [1]

ولد سنة ٦٧٠ ﻫ ومال إلى طلب العلم فتتلمذ لصدر الدين بن المرحل ، وشرف الدين المقدسي وغيرهما . وولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس مدة ، ثم ولى مشيخة دار الحديث الظاهرية بدمشق ، ثم درس فى البادرائية بها . قيل : تعفف عن أخذ أجر على تدريسه . وزاول الفتوى وأفاد . وصنف ردا على ابن تيمية

(١) فى هامش الدرر : ابن جبل .

فى نفى الجهة . وتوفى بدمشق فى جمادى الآخرة عام ٧٢٣ ﻫ ودفن بمقابر الصوفية .
وسيذكر أخوه محيى الدين بن جهبل بعدُ .

« الدرر ج ١ رقم ٨٢٤ — الشذرات ج ٦ ص ١٠٤ »

٢٥٣ — شهاب الدين النويرى البكرى : هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الدائم . سمع الحديث وشارك فى فنون عدة . وحظى عند الناصر بن قلاوون . فولاه بعض أموره ، وولى نظر الجيش بطرابلس مدة .

وله كتابه الشهير : « نهاية الأرب » فى نحو ثلاثين مجلدا . قيل : كتبه بخطه وباعه بألفى درهم . ومات فى رمضان سنة ٧٣٣ ﻫ .

« الدرر ج ١ رقم ٥٠٦ — حسن المحاضرة ج ١ رقم ٢٦٦ »

٢٥٤ — عماد الدين النابلسى : أبو حفص عمر بن عبد الرحيم بن يحيى بن ابراهيم ابن على ، القرشى الزهرى ، النابلسى ، الشافعى الخطيب . درس الفقه بدمشق وأذن له بالفتوى ، وولى خطابة القدس طويلا ، وقضاء نابلس ، ثم قضاء القدس . ومن تصنيفه : شرح مسلم فى عدة مجلدات . ولد سنة ٦٧٠ ﻫ وتوفى فى المحرم عام ٧٣٤ ﻫ

« الدرر ج رقم ٣٩٧ — الشذرات ج ٦ ص ١٠٨ »

٢٥٥ — جمال الدين الزرعى (١) : سليمان بن عمر بن سالم بن عمرو بن عثمان الزرعى الشافعى ولد بأذرعات وقيل بأذربيجان — سنة (٢) ٦٤٥ ﻫ . سمع الحديث من جمال الدين يحيى بن الصيرفى وغيره . وولى قضاء زرع ثم قضاء مصر مدة فى زمن الناصر بن قلاوون ، وكان قد حظى عنده ، ثم قضاء الشام . وزاول التدريس بالأتابكية . قيل كان خبيرا باللغة التركية والفارسية بجوار العربية . وتوفى بالقاهرة فى صفر عام ٧٣٤ ﻫ .

« الدرر ج ٢ رقم ١٨٥٨ — الشذرات ج ٦ ص ١٠٧ »

٢٥٦ — فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى الشافعى : هو العلامة الحافظ الأديب البارع أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس .

---

(١) نسبة إلى زرع وكان قد ولي قضاءها مدة فنسب إليها . « الدرر »
(٢) وقيل سنة ٦٥٨ ﻫ

الأندلسي الأصل القاهري المولد . ولد في ذي القعدة عام ٦٧١ هـ (١) وهو من بيت رئاسة وعلم . وشغف بالعلم والأدب منذ نعومة أظفاره ، ولما شب لازم ابن دقيق العيد فأخذ عنه فقه الشافعية . وطلب الحديث وجد في طلبه ، وسمعه من قطب الدين بن القسطلاني وغيره ، ومازال حتى برع وأصبح من كبار حفاظ الحديث الثقات .

قال الذهبي : «كان صدوقا في الحديث حجة فيما ينقله بصيرا ناقدا بالفن ، وذا خبرة بالرجال وطبقاتهم ، ومعرفة بالاختلاف . »

وقال البرزالي : «كان أحد الأعيان معرفة وإيقانا وحفظا وضبطا للحديث ، وتفهما في علله وأسانيده ، عالما بصحيحه وسقيمه .. الخ » .

وقد ولي مشيخة الحديث بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة زمنا . وزاول التدريس بغيرها أيضا وعني عناية فائقة بالتأليف في التاريخ والحديث . ومن مؤلفاته : «عيون الأثر » ، وهو مشهور في سيرة الرسول عليه السلام ، ومطول . ونور العيون ، وهو مختصر الكتاب السابق . وشرح بعض كتاب الترمذي ، ثم أتمه زين الدين العراقي المتوفى عام ٨٠٦ هـ .

أدبه : وقد كان ابن سيد الناس أديبا بارعا ينظم الشعر الجيد ويكتب النثر الرائق . وقد قال عنه ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : « وله أدب أسلس قيادا من الغمام بأيدي الرياح . وأسلم مرادا من الشمس في ضمير الصباح » . وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم تسمى « بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب » ومن شعره قوله :

قضى ولم يقض من أحبابه أربا ... صب إذا مر خفاق النسيم صبا
راض بما صنعت أيدي الغرام به ... فحسبه الحب ما أعطى وما سلبا
ما مات من مات في أحبابه كلفا ... ولا قضى بل قضى الحق الذي وجبا

وكانت وفاته في ١١ شعبان سنة ٧٣٤ هـ : (٢)

---

(١) ذكر جورجي زيدان مولده في سنة ٦٦١ هـ .

(٢) لابن سيد الناس جد محدث حافظ توفي عام ٦٥٩ هـ له مؤلف ضخم في منع بيع أمهات الاولاد . وقد ذكره الذهبي في كتابه . « تذكرة الحفاظ » بين رجال الطبقة التاسعة عشر رقم ٤ =

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧ ـ طبقات السبكي ج٦ ص ٢٩ ـ طبقات الحفاظ للذهبي ص ٧٠ المنهل ج٣ـ الدرر ج ٤ رقم ٥٧٣ـ وقد روي في الطبقات أن ابن فضل الله ذكره في المسالك . وأن الصفدي ترجم له ـ وله في كتابه الوافي بالوفيات وذكره الكتبي في الفوات ج ٢ ص ١١ ـ الشذرات ج ٦ ص ١٠٨ ـ جورجي زيدان ج ٣ ص ١٥٥ »

٢٥٧ — زين الدين السبكي : هو أبو محمد عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف ، الأنصاري الخزرجي السبكي المصري . وهو والد الشيخ تقي الدين السبكي المشهور ، وجد صاحب الطبقات . سمع الحديث وتفقه على مذهب الإمام الشافعي ودرس الأصول ، وولي أعمالا عدة بمصر ، وحدث بالقاهرة والمحلة ، ونظم الشعر ، وهو ـ غالباً ـ في مدح النبي عليه السلام . وتوفى في رجب عام ٧٣٥ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ٢٤٧٩ ـ الشذرات ج ٦ ص ١١٠ »

٢٥٨ — قطب الدين الحلبي : أبو علي عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحنفي ، وهو ابن أخت الشيخ نصر المنبجي الصوفي السابق ذكره . ولد في رجب عام ٦٦٤ هـ ، وعني بالحديث وبرع فيه حتى عد من حفاظه . وولي التدريس بالجامع الحاكمي . ومن مصنفاته : شرح معظم البخاري ، تاريخ مصر في بضعة عشر مجلدا ، وشرح السيرة لعبد الغني ، وأخرج أنواعا من الأحاديث أربعينية . وتوفى سنة ٧٣٥ هـ بمصر .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٨٣ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧، ٢٦٦ ـ الشذرات ج ٦ ص ١١٠ »

٢٥٩ — كمال الدين بن الشيرازي : أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد بن هبة الله ابن محمد بن الشيرازي الشافعي ، ولد سنة ٦٧٠ هـ وسمع الحديث وتفقه على تاج الدين ابن الفركاح الفزاوي وزين الدين الفارقي ، ودرس الأصول على صفي الدين الهندي . ثم زاول التدريس في المدرسة البادرائية ، وبالشامية البرانية وبالناصرية الجوانية . وكاد يلي قضاء دمشق . وتوفى بدمشق في صفر عام ٧٣٦ هـ ودفن بسفح قاسيون .

« الدرر ج ١ رقم ٧٦٢ ـ الشذرات ج ٦ ص ١١٢ »

=وقال عنه « اليعمري الأندلسي الأشبيلي عالم المغرب »... الخ . وذكر الذهبي كذلك ، الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بين شيوخه في أعقاب تذكرته .

٢٦٠ — أبو عبد الله العبدرى الفاسى المالكى، وهو المشهور بابن الحاج : واسمه : محمد بن محمد بن محمد . نزيل مصر . سمع الحديث ببلاده وجاء إلى مصر، وحج وسمع الموطأ، وأقام بمصر مهيب المنزلة، وكان مشهوراً بالزهد والصلاح، عارفا بمذهب مالك . وقد صنف كتابا طريفاً هو « المدخل » بين فيه كثيرا من العادات المرذولة فى عصره، وحكم الشرع فيها . ومات بالقاهرة سنة ٧٣٧ هـ .

« الدرر جـ ٣ رقم ٦٢٧ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٧ »

٢٦١ — زين الدين بن المرحل : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر بن مكى ابن عبد الصمد، المعروف بابن المرحل وابن الوكيل، كان شافعى المذهب . ودرس الفقه والأصلين على عمه الشيخ صدر الدين وغيره . وزاول التدريس بالمشهد الحسينى، بالقاهرة، ثم بالمدرسة الشامية البرانية وغيرها . وله كتابان فى الأصول . وتوفى فى رجب عام ٧٣٨ هـ

« الدرر جـ ٣ رقم ١٢٨٢ — الشذرات جـ ٦ ص ١١٨ »

٢٦٢ — زين الدين الكتانى الشافعى : عمر بن أبى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى المصرى . كان عفيفا دينا كريما . ومحققا بارعا فى الفقه، ضعيفاً فى الحديث، ولى تدريسه فخلط فيه . وكان — مع ذلك — كثير التخطئة لغيره؛ معاندا فى ذلك . حاملا على المنقول . وقيل : طلب أحد تلاميذه منه أن يدعم كلامه بالنقل، فأخذ نعله وكشف رأس الطالب وجذبه وهو يقول : هذا النقل الذى طلبت .. . وكان يخطب فى جامع الصالح . وحينما يصل فى الخطابة إلى الدعاء للسلطان يقول : اللهم أصلح فساد سلطاننا، وخذ الظلمة أخذ عزيز مقتدر . » يعرض ببعض أعوان السلطان . . . وعرض السلطان عليه قضاء دمشق فرفضه رفضا باتا . وكان به ميل إلى الصـــور الحسنة والوجوه الجميلة ... وكتب على الروضة حواشى كلها تعنت . . . « هذا ملخص كلام ابن حجر عنه » . — وكان مولده فى ٦٥٣ هـ، ووفاته فى ١٥ رمضان سنة ٧٣٨ هـ

« الدرر ٣ رقم ٣٨٢ — شذرات الذهب جـ ٦ ص ١١٧ »

٢٦٣ — جمال الدين المحجى : أبو المحاسن يوسف بن ابراهيم بن حملة بن مسلم ابن تمام والمحجى الدمشقى الصالحى الشافعى . ولد سنة ٦٨٢ هـ وتتلمذ لصدر الدين ابن الوكيل ، وشمس الدين بن النقيب وغيرهما . وولى قضاء الشام مدة . وحدّث بحديث الرسول عليه السلام ، وأفتى وزاول الإعادة والتدريس ، وصنف بحوثا نافعة . ومات بدمشق فى ذى القعدة عام ٧٣٨ هـ ودفن بسفح قاسيون .

« الدرر ج ٤ رقم ١٢٢٥ — الشذرات ج ٦ ص ١٢٠ »

٢٦٤ — شرف الدين بن البارزى : هو أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم ابن ابراهيم ، بن البارزى الشافعى قاضى حماة . — ولد فى سنة ٦٤٥ هـ فجنح إلى طلب العلم وسماع الحديث ، فسمعه من أبيه وجده ، وغيرهما . وتفقه على والده ، ودرس العربية على ابن مالك ، وأتقن القراءات وما زال حتى علا جده ولمع نجمه — مثل كثير من أفراد أسرته — وأصبح متفننا فى علوم جمة . وقعد للإفتاء ، وانتصب للتدريس والتصنيف وإسماع الحديث . وولى قضـــاء حماة . مع عبادة وتواضع ودماثة خلق وحب للخير . قال السبكى . « انتهت إليه مشيخة المذهب ببلاد الشام ، وقصد من الأطراف » . وتوفى ليلة ٢٠ ذى القعدة عام ٧٣٨ هـ

ومن تصانيفه : روضات الجنان فى تفسير القرآن : عشر مجلدات . والفريدة البارزية فى حل الشاطبية . والمجتنى . والمجتبى . وكتاب الوفا فى أحاديث المصطفى ، فى مجلدين . وترتيب مسند الشافعى ، وشرح كتاب توثيق عرا الإيمان .

« الدرر ج ٤ رقم ١١٠٣ — الشذرات ج ٦ ص ١١٩ »

٢٦٥ — لاجين بن عبد الله الذهبى الحسامى الطرابلسى ، كان أحد الأمراء الأتراك ، ولد بدمشق سنة ٦٥٩ هـ ، وكان أديبا وشاعرا وله كتاب : تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين ، وهو فى الحركات العسكرية . وينسب لابنه محمد . وقد توفى عام ٧٣٨ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٧٠٧ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٤ ، ٢٥٧ »

٢٦٦ — ركن الدين بن القوبع(١) : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف

---

(١) القوبع : بضم القاف وقيل بفتحها وذكر عن بعض المغاربة أنه طائر — عن هامش الدرر

الجعفرى التونسى المالكى . ولد فى تونس سنة ٦٦٤ هـ . وتفقه وسمع الحديث ، ودرس النحو والعربية ، وطاف ببلاد عدة ، وقدم إلى دمشق ، ولقى فيها بعض المحدثين . وزاول التدريس بالمدرسة المنكوتمرية . والإعادة بالناصرية ، وتدريس الطب بالمارستان

ووفد على القاهرة وحدث بها ، وأفتى بمذهب مالك . وكان بارعا فى علوم عدة ذاذوق أدبى مقبول ، ملىء الجعبة بالمحفوظات الأدبية واللغوية ، متعففا دينا كثير المطالعة ، وبخاصة فى كتاب الشفاء لابن سينا ، شديد العطف على الحيوان ، مع قدرة على نظم الشعر .

ومن تصنيفه : تفسير سورة « ق » فى مجلد ، وتفسير بعض ديوان المتنبى . — وقد توفى فى ١٧ ذى الحجة عام ٧٣٨ هـ .

« الدررج ٤ رقم ٤٩١ »

٢٦٧ — نجم الدين بن أبى شيخة[١] : هو حسين بن على بن سيد الكل الأزدى المهلبي الأسوانى الشافعى . ولد سنة ٦٤٦ هـ ودرس الفقه على أبى الفضل جعفر الترمنتى ، وعلا كعبه فى الفقه والحديث والإفتاء وغير ذلك . وقام إليه الطلبة للانتفاع بعلمه والأخذ عنه . ودرس بمدرسة الملك بالقاهرة . وسلك مسلك الصوفية زمنا . وتوفى ليلة ٢ صفر عام ٧٣٩ هـ وقيل فى مستهل صفر

« الدررج ٢ رقم ١٦٠٢ — الشذرات ج ٦ ص ١٢٠ »

٢٦٨ — بدر الدين بن الصائغ[٢] : هو أبو اليسر محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر ابن الصائغ ، الأنصارى الدمشقى الشافعى . وأبوه قاضى القضـــاة عز الدين ابن الصائغ .

---

(١) فى هامش الدرر : شيحة

(٢) لبدر الدين هذا ابن عم يدعى بدر الدين أيضا ويشبهه في الاسم . وكان من أهل العلم والحديث . ولي قضاء العسكر بدمشق وتدريس المدرسة الدماغية ، وولى قضاء حلب كذلك ومات فى حلب فى شوال سنة ٧٤٩ هـ (الدررج ٤ رقم ٥٩٦)

وقد طلب بدر الدين العلم ، وتفقه بمذهب الشافعي، وزاول التدريس بالمدرسة العمادية وغيرها . واختير للقضاء فأبى . ثم ولى خطابة القدس مدة . وتوفى فى جمادى الأولى عام ٧٣٩ ﻫ

«الدرر ج٤ رقم ٥٩٥ — الشدرات ج ٦ ص ١٢٣»

٢٦٩ — شمس الدين الجزرى الدمشقى : محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن ابراهيم ابن عبد العزيز . ولد سنة ٦٥٨ ﻫ وتوفى فى وسط سنة ٧٣٩ ﻫ . سمع الحديث من كثيرين منهم: الواسطى والدمياطى وابن دقيق والأبرقوهى . قيل كان حسن المذاكرة سليم الباطن . قال ابن حجر : «وله كتاب تاريخ مشهور ، وذكره الذهبى، وله شعر متوسط الجودة منه :

إلهى قد أعطيتنى ما أحبه وأطلبه من أمر دنياى والدين
وقطعت عن كل الأنام مطامعى فنعماك تكفينى إلى حين تكفينى

الدرر ٣ رقم ٨٠٦ — شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٤

٢٧٠ — علم الدين البرزالى الشافعى : القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف . أبوه بهاء الدين الدمشقى . وقد اشتهر علم الدين بأنه أحد حفاظ الحديث ومحدث الشام، وقد ولد فى أشبيلية فى جمادى الأولى والآخرة سنة ٦٦٥ ﻫ ومات سنة ٧٣٩ ﻫ فى ٤ ذى الحجة ، وهو متجه إلى الحج ، فدفن بخليص .

وقد سمع الحديث من عدة أئمة وأجازوه منهم : ابن عبد الدايم وابن عزون والنجيب وابن علاق . كما سمع من أبيه ومن القاضى عز الدين بن الصائغ وتفقه على كثيرين . ورحل إلى حلب وبعلبك ومصر والحرمين وغيرها . وبرع فى الفقه والقراءات والحديث والخط الحسن . وولى تدريس الحديث بالمدرسة النورية والنفيسية . وعرف بالتقوى وحسن الدين ، والصبر والتودد ، والكياسة والحلم والتواضع ، وحسن الصحبة وكتمان السر ، حتى لقد صحبه كل من ابن تيمية وابن الزملكانى ، على ما كان بينهما، وكل منهما يودعه سره ...

وله مصنفات عدة منها : معجمه التاريخى وقد بدأه من عام مولده — وهو

العام الذى مات فيه أبو شامة — فجعله ذيلا على تاريخه ، فبلغ بضعة وعشرين مجلدا ، أثبت فيه كل من سمع معه ، إلى سنة ٧٣٨ ﻫ . ويسمى « تاريخ مصر ودمشق » أو « الوفيات » . وله مختصر المائة السابعة ، فى أعيان هذه المائة إلى سنة ٧٣٦ ﻫ . ذكره الذهبي فى طبقات الحفاظ . وابن فضل الله فى المسالك .

« الدرر ٣ رقم ٦٠٩ — فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٢ — طبقات السبكى ج ٦ ص ٢٤٦ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٧٢ — الشذرات ج ٦ ص١٢٢ »

٢٧١ — مجد الدين الزنكلونى (١) : هو أبو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى المصرى الشافعى . ولد سنة ٦٧٩ ﻫ ، ودرس فقه الشافعية وطلب الحديث من حفاظه ، حتى بدا إماما فى الفقه أصوليا محدثا بارعا فى النحو . وبرز لإفادة الطلاب مع تواضع جم ، ولذا أحبه تلاميذه واستفادوا من دروسه ، التى كان يمزجها بحكايات عن الصالحين . وقيل كان يحمل طبق العجين على كتفه إلى الفرن ويعود به .

وقد ولى مشيخة الخانقاه البيبرسية ودرس الحديث بها ، وبالجامع الحاكمى وروى بالمسرورية أيضا — وتوفى فى ربيع الأول عام ٧٤٠ ﻫ ودفن بالقرافة . ومن مصنفاته : شرح التنبيه . وشرح المنهاج ، والمنتخب وهو مختصر الكفاية ، وشرح التعجيز ، ومختصر التبريزى ، وغير ذلك .

« الدرر ج ١ رقم ١١٦٩ — حسن المحاضرة ج ا ص ١٩٩ — الشذرات ج ٦ ص ١٢٥ »

٢٧٢ — محيي الدين بن جهبل : هو أبو الفداء إسماعيل بن يحيي بن إسماعيل ابن طاهر بن نصر بن جهبل الحلبي الدمشقي الشافعى . ولد بدمشق سنة ٦٦٦ ﻫ ، وأخذ الحديث عن ابن عطا وابن البخارى ، ثم مارس الفتوى ، وزاول التعليم بالمدرسة الأتابكية . وروى عنه أفاضل منهم البرزالى . وناب فى الحكم بدمشق ،

---

(١) نسبة إلى زنكلون قرية من بلاد الشرقية ، وأصلها سنكلوم . إلا أن الناس لاينطقون إلا الزنكلوني . « قاله فى الشذرات » . وأثبته فى الدرر . السنكلونى .

وولى قضاء طرابلس مدة . وكانت وفاته بدمشق فى شعبان عام ٧٤٠ ﻫ ، ودفن بمقبرة الصوفية عند أخيه شهاب الدين بن جهبل ، السابق ذكره .

« الدرر ج ١ رقم ٩٧١ — الشذرات ج ٦ ص ١٢٥ »

٢٧٣ — جمال الدين المغربي : الرئيس أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن المصرى الطبيب . ويعرف بابن المغربي . كان بارعا فى الطب، وله حظوة لدى الملك الناصر ابن قلاوون ، وذا مهابة ووجاهة فى الدولة ، يستشيره الملك فى كثير من أموره لما عرف عنه من عقل ورزانة . وكان قد اتصل بالناصر أيام اعتزاله بالكرك . ولما عاد إلى ملكه ، قربه . وقد اقتنى مالا لاحصر له . وتوفى سنة ٧٤٠ ﻫ ونيف [١]

« المنهل ج ١ — الدرر ج ١ رقم ٣٦ »

٢٧٤ — شمس الدين بن القماح : هو أبو المعالى محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن حيدرة بن على بن عقيل ، الشافعى القرشى المصرى . ولد سنة ٦٥٦ ﻫ . وسمع الحديث وكان سريع الحفظ ، ودرس الفقه على الظهير التزمنتى وغيره وصار بارعاً فى الفقه واشتغل بالفتوى حتى اشتهر بها . وزاول التدريس بقبة الإمام الشافعى ، وناب فى الحكم . قيل كان حافظا لتواريخ المصريين . وقد ألف كتاباً فى التاريخ . وقد توفى فى ٢٠ ربيع الآخر — وقيل الأول — سنة ٧٤١ ﻫ ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ٣ رقم ٨١٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٩ — الشذرات ج ٦ ص ١٣١ »

٢٧٥ — برهان الدين الزرعى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هلال الزرعى الدمشقى الحنبلى ، سمع الحديث بدمشق من عمر بن القواس وأبى الفضل ابن عساكر وغيرهما . وتلقى الفقه وطلب العلوم ، حتى برع فى أصول الفقه والفرائض والحساب ، مع جودة الخط وسرعة الإدراك وحدة الذهن وقوة المناظرة ، وحسن الخلق . ولكن قيل إنه كان قليل الاستحضار .

وقد تصدى للإفتاء والمناظرة والتدريس . وقد درّس بالمدرسة الحنبلية بدمشق عوضا عن تقى الدين بن تيمية حين سجن ، فكرهه الحنابلة ، وناب فى الحكم . وكان

(١) فى الدرر : أنه توفى سنة ٧٥٦ ﻫ .

بعضهم يسميه : فقيه الشام وتخرج به جملة من الأفاضل . وقيل إن به هنات ومآخذ.
وتوفى بدمشق فى منتصف رجب عام ٧٤١ ودفن بمقبرة باب الصغير .

« الدرر ج ١ رقم ٢٤ — الشذرات ج ٦ ص ١٢٩ »

٢٧٦ — محمد بن جنكلى (١) بن محمد بن البابا بن خليل : ولد بديار بكر سنة ٦٩٧ هـ وقدم القاهرة مع أبيه عام ٧٠٣ هـ . وتمذهب بمذهب الحنفية أولا ، ثم عدل عنه إلى مذهب ابن حنبل ودرس الحديث وحفظ منه الكثير ، وخرج له بعضهم ، أربعين حديثا . وتتلمذ للفتح بن سيد الناس ، ومازال حتى صار علامة فى فقه السلف مع مشاركة فى علوم العربية والطب والموسيقى ، ونظم الشعر ، مع بشاشة وارتياح للنكتة ، وتواضع وبذل معونة . وتوفى فى رجب عام ٧٤١ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ١١٠٥ »

٢٧٧ — علاء الدين الشيحى (٢) : أبو الحسن على بن محمد بن ابراهيم الشافعى ، كان خازناً للكتب بخانقاه السميساطية بدمشق . ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ ، وسمع الحديث وتفقه ، وجنح إلى التصوف ومال إلى جمع العلم وتصنيفه .

فما صنف : تفسير القرآن . وشرح عمدة الأحكام . ومقبول المنقول ، وهو مجموعة تتكون من جملة من كتب الحديث منها مسند أحمد وسنن ابن ماجة وسنن الدارقطنى . وجمع سيرة للنبى عليه السلام . — وكانت وفاته فى شعبان سنة ٧٤١ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٢٢١ — الشذرات ج ٦ ص ١٢١ »

٢٧٨ — جمال الدين المزى : هو العلامة الكبير والحافظ الشهير ، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف الشافعى ، شيخ المحدثين ، ومحدث الشام .

ولد فى عام ٦٥٤ هـ بظاهر حلب ، ونشأ بالمزة . ودرس فقه الشافعى ، وفنون العربية ، وأولع بحديث الرسول عليه السلام ، فسمعه من أئمته وحفاظه ، ورحل من

---

(١) ضبطنا هذا العلم بحركة فسكون لقوله فى شعره : بك استجار . الحنبلى محمد بن جنكلي .
(٢) نسبه إلى شيحة من عمل حلب . قاله فى الدرر .

أجله إلى بلاد عدة . وقيل بلغ عدد شيوخه فيه ألفا تقريباً . وقد أتقنه رواية ودراية ، فاشتهر فضله فيه وذاع صيته وعد فى كبار حفاظه . وطفق يحدّث به ويُسمع ويفيد ، نحوا من خمسين سنة . وتتلمذ له كثير من أفاضل الحفاظ من بعده . وولى دار الحديث الأشرفية ثلاثا وعشرين سنة ونصفا .

ومن تصانيفه : تهذيب الكمال ، والأطراف ، وغيرهما . وتوفى فى ١٢ صفر عام ٧٤٢ هـ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية .

« الدرر ج ٤ رقم ١٢٦١ — الشذرات ج ٦ ص ١٣٦ »

٢٧٩ — صلاح الدين بن البرهان الطبيب : محمد بن ابراهيم بن عبد الله . قرأ القرآن على أبيه . وأخذ الطب عن العماد الطرابلسى وابن النفيس . وسمع الحديث من الدمياطى وابن القيم وسمع البردة من ناظمها ، ومهر فى الكحل — طب العيون — ثم فى الطب . وشارك فى الحكمة والنجوم . وكان يثبت الكيمياء . . . أخذ المعقولات عن شمس الدين محمود الأصفهانى . وقرأ العربية على ابن النحاس وشارك فى الآداب . وكان علمه بالطب أفضل من معالجته ، بخلاف ابن المغربى ، وكلاهما كان فى خدمة الناصر محمد ، وقد فضله الناصر محمد على ابن المغربى . وكانت بينهما نفاسة . . . ثم توفى ابن البرهان فى جمادى الأولى عام ٧٤٣ هـ بعد أن خلف مالا .

« الدرر ٣ رقم ٧٦٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٢ »

٢٨٠ — شرف الدين الزواوى المالكى : هو عيسى بن مسعود بن منصور ابن يحي . ولد بزواوة عام ٦٦٤ هـ وتفقه ببجاية . وقدم إلى الإسكندرية وتفقه بها أيضاً وحفظ الحديث . ورحل إلى القاهرة وزاول التدريس بالجامع الأزهر . ثم رحل إلى دمشق عام ٧٠٧ هـ وناب فى الحكم فيها ودرّس بالجامع الأموى . ثم ناب فى الحكم فى القاهرة ، واشتغل بتدريس فقه المالكية . قال ابن حجر : « قال ابن فرحون : انتهت إليه رياسة الفتوى فى المذهب بمصر والشام ، وفاق الأقران » . وقال السيوطى :

، انتهت إليه رياسة المالكية بالديار المصرية والشامية ، ومن مصنفاته : شرح مسلم في اثني عشر مجلداً ، واسمه « إكمال الإكمال » . وشرح المختصر لابن الحاجب في الفقه ، لم يتمه . ويقع في سبعة مجلدات ، وشرح المدونة ، وشرح مختصر ابن يونس في ستة مجلدات ، وكتاب في الوثائق ، وكتاب في المناسك ، وكتاب في مناقب مالك . ورد على ابن تيمية في فتوى الطلاق وله كتاب تاريخ كبير لم يتمه ، كتب منه عشرة مجلدات . وكانت وفاته في سنة ٧٤٣ هـ في مستهل رجب .

« الدرر ج ٣ رقم ٥١٠ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٧ » .

٢٨١ — تاج الدين اليماني : هو أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني الأصل المكي المخزومي الشافعي . ولد بمكة سنة ٦٨٠ هـ وطاف بدمشق ومصر وحلب والقدس ، وأقام باليمن مدة . وكان أديباً بارعا في النظم والنثر خطيباً محباً للعلم . وقد ولي الوزارة باليمن مدة . واستقر بالقدس زمنا زاول فيه التدريس . كما زاوله في غير القدس . ومن مصنفاته : مطرب السمع في شرح حديث أم زرع . ولقطة العجلان وهو مختصر وفيات الأعيان . واختصار الصحاح وتاريخ النحاة ، وكانت وفاته بالقاهرة في ليلة ٢٩ رمضان عام ٧٤٣ هـ — وقيل سنة ٧٤٤ هـ

« الدرر ج ٢ رقم ٢٢٦٣ — الشذرات ج ٦ ص ١٣٨ »

٢٨٢ — شمس الدين بن عين الدولة الدمشقي : محمد بن أحمد بن بصخان ، ولد سنة ٦٦٨ هـ . وقد عنى بالقراءات عناية كبرى . ودرسها على شيوخها كشرف الدين بن الفركاح والمجد التونسي ، كما درس العربية ودخل القاهرة ثم عاد إلى دمشق وتصدى للإقراء زمنا . مع حسن صوت وظرف ملبس ومهابة . ومات في ٥ من ذي الحجة عام ٧٤٣ هـ

« الدرر ج ٣ رقم ٨٣٢ »

٢٨٣ — شهاب الدين بن المرحل (١) هو أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف بن أبي العز بن نعمة النحوي الشافعي المصري . ويعرف بابن المرحل .

طلب العلم ، ومال إلى فنون العربية . ودرس النحو حتى بز فيه وفاق قال في الشذرات :

« ومهر في النحو ، وقد انتهت إليه وإلى الشيخ أبي حيان مشيخة النحو بالديار المصرية » . وهو أستاذ جمال الدين بن هشام النحوي المشهور ، وشمس الدين بن الصائغ . وكان إلى جانب نبوغه في النحو عالما بالقراءات والبيان .

وقد زاول مهنة التدريس بالجامع الحاكمي زمنا طويلا ، وتخرج به جملة من أفاضل العلماء ، ومنهم شمس الدين بن الصائغ وكانت وفاته بالقاهرة في المحرم عام ٧٤٤ هـ. وله أخ اسمه شهاب الدين أحمد سيذكر .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٤٩٧ — الشذرات ج ٦ ص ١٤٠ »

٢٨٤ — (٢) أبو حامد محمد بن أيبك السروجي : ولد سنة ٧١٤ هـ وعني برواية الحديث فتتلمذ فيه لكثير من أئمته بالبلاد المصرية كابن عبد الدائم ، ولازم الفتح ابن سيد الناس ، وغيره ودخل دمشق ، وكان جيد الحفظ سريع الكتابة أديبا كيسا ، وقد حدث وسمع منه كثيرون منهم الشمس الذهبي . وخرج لنفسه مائة حديث متباينة الإسناد أجاد فيها ، وبدأ كتابا في التراجم كتب منه مجلدا ترجم فيه للأحمدين قال ابن حجر : « ولو كمل لكان أكثر من عشرين مجلدة » وقال عنه أيضا : « وفي الجملة فهو معدود في زمرة الحفاظ ، ولو علت سنه لكان أعجوبة الزمان » . توفي في حلب في ربيع الأول سنة ٧٤٤ هـ .

« الدرر ٤ رقم ١٦٤ — الشذرات ج ٦ ص ١٤١ »

٢٨٥ — شمس الدين بن قدامه الحنبلي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ابن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد المقدسي الجماعيلي أحد الأذكياء

(١) قال في الدرر قال الاسنوي في الطبقات : كان أبوه يبيع الرحال للجمال فلذلك قيل له ابن الرحل .

(٢) وقيل أبو عبد الله

وحفاظ الحديث . ولد في نحو (١) سنة ٧٠٥هـ ومات في جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ . كان آية في علمه وأدبه ، سمع من التقى سليمان وابن مسعد وطبقتهما ، وتفقه على ابن مسلم ، وتردد على ابن تيمية . وبرع في الحديث والأصول والعربية والفقه وغير ذلك . وكان مقرئا مجودا ، وحافظا . زاول التدريس في الصدرية والضيائية : وألف مؤلفات عدة منها : « الأحكام » في ثماني مجـــلدات و « الرد على السبكي » في رده على تيمية ، و المحرر في الحديث « مختصرا من » الإلمام « وشرح التسهيل » في مجلدين . وله رد على أبي حيان فيما اعترض به على ألفية ابن مالك ، وكتب مجلدا في الفقه ، وشيئا في التفسير المسند ، وغير ذلك . وقد دفن بجنازة حافلة بسفح قاسيون .

«الدرر ٣ رقم ٨٨٨ — طبقات الحنابلة للشطى — الشذرات ج ٦ ص ١٤١»

٢٨٦ — تاج الدين بن التركماني الحنفي : هو أحمد بن عثمان بن ابراهيم بن مصطفى ، وأبوه فخر الدين بن التركماني وأخوه علاء الدين بن التركماني الذى ولى قضاء الحنفية بمصر مدة .

وقد سمع تاج الدين الحديث من الدمياطي وابن الصواف وغيرهما . وبرع في العلوم وزاول التدريس والإفتاء والتصنيف ، وناب في الحكم مدة .

وقد صنف نحو سبعة عشر مصنفا في الفقه والأصول والعربية والفرائض والعروض والمنطق والهيئة . ومن مصنفاته : شرح الهداية ، لم يتم ، وشرح الجامع الكبير ، وتعليق على الخلاصة ، وتعليق على المحصل . وكان ينظم الشعر ويكتب الخط الحسن .

ولد بالقاهرة في ذي الحجة عام ٦٨١ هـ : ومات بها في جمادى الأولى سنة ٧٤٤ هـ

« الدرر ج ١ رقم ٥١١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢١ — الشذرات ج ٦ ص ١٤٠ »

---

(١) في الشذرات : سنة ٧٠٤ هـ

٢٨٧ — شرف الدين الإسكندرانى : أحمد بن على بن عبد العزيز بن عبدالله بن المُصِفى . الإسكندرانى المالكى : ولدسنة ٦٤٩ هـ وسمع الحديث من حافظ الثغر منصور بن سليم وأجاز له . برز نجمه فى الحديث وقعد لإسماعه بالإسكندرية حتى تخرج به أفاضل محدثيها . وأفاد الجم من أهلها . ومات فى شوال سنة ٧٤٤ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ٥٤٨ »

٢٨٨ — تقى الدين السبكى : هو أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن على ابن تمام الأنصارى السبكى الشافعى كان محدثا وأديبا .

ولد سنة ٧٠٤ هـ — وقيل ٧٠٥ هـ وسمع الحديث وتفقه بمذهب الشافعى ، وأخذ أكثر علمه وفنه من شيخه شيخ الإسلام تقى الدين السبكى الإمام الكبير . ولازم أبا حيان سبعة عشر عاما فتعلم منه النحو والقراءات . ثم شغل الوظائف فناب فى الحكم بالقاهرة وبدمشق وزاول التدريس بهما أيضا . وتوفى فى ليلة ١٨ ذى القعدة عام ٧٤٤ هـ ودفن بسفح قاسيون .

« الدرر ج ٤ رقم ٧٠ — الشذرات ج ٦ ص ١٤١ »

٢٨٩ — برهان الدين بن عبد الحق : هو ابراهيم بن على بن محمد بن أحمد الحنفى ، ويشتهر بابن عبد الحق . وجده ضياء الدين عبد الحق بن خلف الحنبلى الواسطى .

وقد تفقه على الظهير الرومى . وأخذ العربية عن مجد الدين التونسى . وتتلمذ بمصر لابن دقيق العيد وغيره ، وأصبح بارعا فاضلا فى مذهبه ، وقد حدث وأفتى ، ومارس التدريس . وولى قضاء مصر مدة ، ثم تحول إلى دمشق فاشتغل بالتدريس فيها بعدة مدارس . ثم توفى بدمشق فى ذى الحجة عام ٧٤٤ هـ

« الدرر ج ١ رقم ١٢١ »

٢٩٠ — أثير الدين أبو حيان المغربى : محمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسى الغرناطى . كان مالكى المذهب — وقيل ظاهرى العقيدة — فلما دخل البلاد المصرية قلد الشافعى . فسئل فى ذلك ، فقال : « بحسب البلدة » . وقد ولد عام ٦٥٤ هـ

فى مطخشارش من أعمال غرناطة ، وتتلمذ لفحول العلماء ، منهم أستاذه أبو جعفر (١) ابن الزبير ؛ فوقعت بينهما وحشة اضطر بسببها إلى النزوح عن بلاده . فحل بالبلاد المصرية واستوطن القاهرة عام ٦٧٩ هـ ولقى فحولها واستفاد منهم . وكان مكبا على استيعاب الحديث وفقه الشافعى والأدب والنحو والقراءات حتى بز فيها جميعاً ، وبخاصة النحو والقراءات وصار فيهما إماما بارزا وتتلمذ له كثيرون من الأعلام وأذاع كتب سيبويه وابن مالك . وصنف مصنفات كثيرة العدد منها : « البحر المحيط » فى التفسير ، يقع فى أربعة أجزاء . و « غريب القرآن » فى مجلد . وشرح التسهيل وغيره . والتقريب . والتدريب ، والأعلام . ونوافث السحر ، وتحفة الندس فى نحاة الأندلس ، والروض الباسم ، واللمحة ، والنكت الحسان ، والفهرست ، ومجانى الهصر ، وعقد اللآلىء فى القراءات . وأغلب مؤلفاته فى التفسير والنحو والقراءات وتاريخ الأعلام والعروض .

وكان إلى جانب ذلك بليغا ناثرا وناظما . وله شعر كثير فى فنون عدة . وكانت وفاته بظاهر القاهرة فى ٢٨ صفر عام ٧٤٥ هـ (٢) ودفن بمقبرة الصوفية .

ولما مات رثاه الأديب الشاعر صلاح الدين الصفدى بقصيدة طويلة قال فى مطلعها :

مات أثير الدين شيخ الورى　　　فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا　　　واعتل فى الأسحار لما سرى

« طبقات السبكى ج ٦ ص ٣١ - فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥٢ - نكت الهميان للصفدى ص ٢٨٠ - الدرر ج ٤ رقم ٨٣٢ - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٥ - ١ بن اياس ج ١ ص ١٩٩ - الشذرات ج ٦ ص ١٤٥ - ترجمته فى الجزء الثالث من كتابنا هذا » .

---

(١) أبو جعفر بن الزبير ، وهو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الحافظ النحوى الاندلسى . المولود سنة ٦٢٧ هـ والمتوفى سنة ٧٠٨ هـ وكان يعيش فى غرناطة وكان بارعا فى النحو فصيحا ، ألف وتخرج به كثيرون « الدرر ج ١ رقم ٢٣٢ »

(٢) روى ابن إياس وفاته سنة ٧٥٣ هـ ، وفى الشذرات فى ١٨ صفر .

٢٩١ — تقي الدين العسقلاني : هو أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام بن راجي الله بن سرايا ، العسقلاني المصري . ويعرف بابن الإمام الشافعي .

ولد سنة ٦٧٠ هـ وطلب الحديث وتخرج فيه بالحافظ الدمياطي ؛ ومازال يطلبه جادا في طلبه ، حتى عُرف فيه فضله ، وأصبح من مشاهير المحدثين وأم بالجامع الصالحي بظاهر القاهرة .

ومن مصنفاته : سلاح المؤمن : وهو في الأذكار والأدعية . وكتاب الاهتداء في الوقف والابتداء . وكتاب في المتشابه مرتب حسب السور — وكانت وفاته في ربيع الأول عام ٧٤٥ هـ

« الدرر ج ٤ رقم ٥٤٩ — الشذرات ج ٦ ص ١٤٤ »

٢٩٢ — نجم الدين القحفازي : أبو الحسن علي بن داوود بن يحيي بن كامل بن يحيي بن جبارة الزبيري القرشي الأسدي . شيخ دمشق في العربية في زمانه .

ولد سنة ٦٦٨ هـ وقيل سنة ٦٦٧ هـ وتتلمذ للعلاء بن المطرز في النحو ؛ وللشمس الحريري في الفقه ، وللبدر بن جماعة في الأصول ، وللشرف الفزاري في العربية ، ودرس علوم البلاغة والميقات وسمع الحديث . ومازال حتى علا صيته واشتهر فضله في علوم العربية ، وتصدى لإفادة الطلاب بدمشق ، وعلم بالمدرسة الركنية والظاهرية ، وخطب بجامع تنكز وطلب للقضاء فامتنع ، ونظم الشعر . وقد توفي في ٢٤ رجب عام ٧٤٥ هـ ، ولم يصنف شيئاً كراهة أن يصبح هدفا للنقاد ، كما كانوا هدفا له .

« الدرر ج ٣ رقم ١٠٥ — الشذرات ج ٦ ص ١٤٣ »

٢٩٣ — شمس الدين بن النقيب الشافعي : محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة — وقيل محمد — بن حمدان الدمشقي . ولد في نحو سنة ٦٦١ هـ (١) وسمع من الفخر بن البخاري وابن شيبان وابن الصابوني . ولازم محيي الدين النووي وتفقه عليه وعلى شرف الدين المقدسي . ثم ولي قضاء حمص

---

(١) في الشذرات : سنة ٦٦٢ هـ تقريبا .

فطرابلس فحلب ثم رجع إلى دمشق وأفتى واشتغل بالتدريس بالشامية البرانية . وحدث وسمع منه البرزالى . وكان دينا كريم النفس توفى عام ٧٤٥ هـ فى ذى القعدة.

« الدرر ٣ رقم ١٠٦٢ — الشذرات جـ ٦ ص ١٤٤ »

٢٩٤ — تاج الدين التبريزى : هو أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى الحسن بن أبى بكر الأردبيلى الشافعى نزيل القاهرة. ولد فى سنة ٦٧٧هـ ، وتتلمذ فى بلاده لشمس الدين ابن المؤذن وقطب الدين الشيرازى وعلاء الدين النعمان الخوارزمى ونظام الدين الطوسى ، وتفقه على سراج الدين الأردبيلى وغيره . وله شيوخ آخرون . وقد مهر فى الفقه والحديث والأصول والنحـــو والرياضة والمعقولات والفرائض والتفسير .

وقد مر ببغداد والحلة ومراغة ودخل مصر سنة ٧٢٢ هـ . وسمع من كثير من أئمتها . وتصدى للإسماع والتدريس . وكان يشرح كتبه للطلبة .

ومن مصنفاته : اختصار علوم الحديث لابن الصلاح . وجرّد أحاديث الميزان للذهبى ، ورتبها على أبواب الفقه . وله حواش على كتاب الحاوى . وغير ذلك . وقد ذكره الذهبى والإسنوى .

وكانت وفاته فى القاهرة فى رمضان سنة ٧٤٦هـ ودفن فى تربته خارج باب البرقية .

« الدرر ٣ رقم ٥٢ — طبقات السبكى جـ ٦ ص ١٤٦ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦١ — شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤٨ »

٢٩٥ — ضياء الدين المناوى : محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن المناوى الشافعى. ولد بمنية القائد سنة ٦٥٥ هـ وسمع الحديث وتفقه متتلمذاً لابن الرفعة ، ودرس النحو على بهاء الدين بن النحاس ، والأصول على الأصفهانى والقرافى . وتصدى للفتوى والإسماع والتدريس . وقد زاول التدريس بقبة الشافعى وغيرها ، كما ولى وكالة بيت المال ، وناب فى الحكم بالقاهرة .

ومن مصنفاته : شرح التنبيه ، وهو مطول . وتوفى فى ٦ رمضان عام ٧٤٦ هـ ودفن بالقرافة بالقاهرة . « الدرر جـ ٣ رقم ٧٠٥ — الشذرات جـ ٦ ص ١٥٠ »

٢٥٦ — شمس الدين أبو حيان النحوى(١) : هو محمد بن محمد بن محمد بن نمير ، ويعرف بابن السراج . كان نحويا وكان مقرئا مجوداً تصدى للإقراء وتدريس النحو . وكتب الخط المنسوب ، وبرع فيه وعنى به بالجامع الأزهر . ولد بعد سنة ٦٧٠ هـ . ومات بالقاهرة فى شعبان سنة ٧٤٧ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ — الدرر ج ٤ رقم ٦١٢ — الشذرات ج ٦ ص ١٥٢ »

٢٩٧ — شمس الدين الحصرى(٢) : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن عيسى الحصرى القاضى الشافعى ، يبدو أنه ولد بمصر ، وقد خرج منها فى صحبة القاضى علاء الدين القونوى . وكان قد تضلع من العلوم المختلفة ، فولى قضاء مدن بالديار الشامية منها : بعلبك وصفد وحمص . ولم يكتف بالقضاء يقيم فيه العدالة ، بل تصدى فى كل بلد حل فيه ، للتدريس ونشر العلم ، فحمد الناس سيرته واستفاد الطلاب من علمه . وكان جادا فى درسه لا يعرف هزلا . توفى بحمص فى شعبان عام ٧٤٧ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ١٣٢٣ — الشذرات ج ٦ ص ١٥١ »

٢٩٨ — كمال الدين الأدفوى الشافعى : هو جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على ولد بعد سنة ٦٨٠ هـ . جنح إلى طلب العلم ، ولازم تقى الدين بن دقيق العيد مدة ، وأخذ عن غيره ، ودرس العربية على أبى حيان ، وبرع فى فنون متعددة منها التاريخ والحديث . وكانت له خبرة بالموسيقى ، وقدرة على النظم والنثر .

ومن مصنفاته : الإمتاع فى أحكام السماع . والطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد . والبدر السافر فى تحفة المسافر . وفرائد الفوائد ومقاصد القواعد ، فى الفروض . ومات بالقاهرة سنة ٧٤٨ هـ فى صفر — وقيل سنة ٧٤٩ هـ . نذكره فى الشعراء بالجزء الثالث من كتابنا هذا ، وذكره الأسنوى والذهبى .

« الدرر ج ١ رقم ١٤٥٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٦ — شذرات الذهب ج ٦ ص ١٥٣ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٦٠ »

---

(١) هو غير أثير الدين أبى حيان النحوى المشهور المتوفى سنة ٧٤٥ هـ والذى سبقت ترجمته — ولم يذكره صاحبا الدرر والشذرات . بأبى حيان . بل بابن السراج فقط

(٢) فى الدرر : الحضرى .

٢٩٩ — بدر الدين الحرانى : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي الفرج ، ويعرف بابن الحبال . نزيل مصر ولد سنة ٦٦٥ هـ . وقد سمع الحديث من عز الدين الحرانى وابن خطيب المزة وغيرهما . وقد برع فيه وفى الفقه . وناب فى الحكم بظاهر القاهرة ، ومارس الفتوى ، وزاول التدريس فى مدارس عدة . ومن مصنفاته : شرح الخرقى ، وكتاب الفنون . وتوفى فى ١٩ ربيع الآخر عام ٧٤٩ هـ (١) .

« الدرر جـ ٣ رقم ٨٨٥ — الشذرات جـ ٦ ص ١٥٧ »

٣٠٠ — علاء الدين المقدسى : هو أبو الحسن على بن أيوب بن منصور ابن الزبير ، الشافعي ويلقب بعليّان . ولد سنة ٦٦٦هـ . وطلب العلم فبرع فى الحديث والفقه والقراءات وعلوم العربية والخط . وطاف بدمشق والقدس وحمص ، وتصدى للتعليم فى أكثر من مدرسة ومنها المدرسة الصلاحية بالقدس . وقدمات بها فى رمضان عام ٧٤٨هـ . وكان قد اختلط عقله فى أواخر عمره ، وزعم مزاعم كثيرة .

« الدرر جـ ٣ رقم ٦١ — الشذرات جـ ٦ ص ١٥٣ »

٣٠١ — شمس الدين الذهبي : هو العلامة الحافظ المؤرخ الثبت ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركمانى الفارقى الشافعي . أحد حفاظ الحديث ، وكان أحد أعلام أربعة متعاصرين لا خامس لهم . هم المزى والبرزالى والذهبي والتقى السبكى .

ولد الذهبي فى دمشق فى ٣ ربيع الثانى عام ٦٧٣ هـ ، وأولع بطلب الحديث منذ نعومة أظفاره ، فطاف البلاد من أجله ، ووفد على دمشق فسمع من عمر بن القواس وأحمد بن هبة الله بن عساكر ويوسف بن أحمد الغمولى وغيرهم . ووفد على بعلبك فسمع من عبد الخالق بن علوان وغيره . وجاء إلى مصر فسمع من الأبرقوهى وتقى الدين بن دقيق العيد وغيرهما . وسمع بالإسكندرية ومكة ونابلس . ومازال يحفظ الحديث وأسانيده حتى أصبح فيه حجة ، وتصدى للإسماع فأخذ عنه كثير من الأفاضل

(١) فى الشذرات : ولد بعد سنة ٦٧٠ هـ ومات سنة ٧٤٨ هـ .

منهم : تاج الدين السبكى صاحب طبقات الشافعية . وعلا صيته فى ذلك حتى ملأ سمع البلاد . وأقام بدمشق يفيد ، وتفد إليه الطلاب تترى ، وتتسابق إليه الأسئلة من كل فج . وكان شيخاً للحديث فى مسجد أم صالح والمدرسة الأشرفية وغيرهما ، وكان به ميل إلى الحنابلة ، وتجن على الأشاعرة . وقعد للتصنيف فى التاريخ والحديث وفى الحفاظ ونقدهم . وأصبحت كتبه مراجع يلجأ إليها . وهى كثيرة العدد متعددة الاتجاهات .

ومن تصانيفه : « تاريخ الإسـلام وطبقات المشاهير الأعلام » ، فى نحو ١٢ مجلدا ، مرتب على السنين فى حوادثه ، وعلى حروف المعجم فى أعلامه . و « الدول الإسلامية أو دول الإسلام » ، وهو مختصر من سابقه . وتذهيب تهذيب الكمال - والكمال معجم فى رجال الحديث لأبى محمد الجماعيلى ، هذبه جمال الدين المزى وزاد عليه . ثم هذبه الذهبى فلخصه ورتبه — وله أيضاً مختصر تاريخ بغداد لابن الدبيثى . والتجريد فى أسماء الصحابة . وتذكرة الحفاظ . والمشتبه فى الأسماء والأنساب . وميزان الاعتدال فى نقد الرجال . والكاشف فى معرفة أسماء الرجال . والعبر فى أخبار البشر ممن عبر وهو مختصر من كتابه الكبير فى تاريخ الإسلام . وطبقات الحفاظ ، وطبقات القراء . وتاريخ النبلاء . ومختصر أخبار النحويين للقفطى . والمستوجل فى الكنى ، والمقتنى فى سرد الكنى . ومعجم أشياخه . وطب النبى ، والكبائر وبيان المحارم . والمحرر فى أسماء رجال الكتب الستة . ومختصر المستدرك ومختصر تاريخ نيسابور ، كلاهما للحاكم . وغير ذلك . وكان ينظم الشعر . وكانت وفاته فى ليلة الاثنين ٣ من ذى القعدة سنة ٧٤٨ هـ بمدرسة أم صالح فى قاعة سكنه بدمشق . ودفن بباب الصغير . وذكره أبو المحاسن فى المنهل الصافى .

ومن شعره :

تولى شبابى كأن لم يكن وأقبل شيب علينا تولى

ومن عاين المنحنى والنقى فما بعد هذين إلا المصلى

« طبقات السبكى جـ٥ ص ٢١٦ — فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٢٨ — الدرر جـ ٣ رقم ٨٩٤ — الشذرات جـ ٦ ص ١٥٣ — جورجى زيدان جـ ٣ ص ١٨٩ — وفى طبقات حفاظه »

٣٠٢ — زين الدين البلفيانى : عمر بن محمد بن عبد الحاكم ، الشافعى . ولد فى نحو سنة ٦٨١ هـ ، ، مال إلى طلب الفقه وتتلمذ لعلم الدين العراقى ، والباجى وغيرهما ، حتى نبغ . وسمع الحديث من الأبرقوهى والدمياطى وابن القيم وغيرهم ، حتى مهر وأصبح أفقه الشافعية فى الفتوى . ولى قضاء البهنسا فحلب فصفد ، ودرس بالمدرسة النورية بحمص ، وولى غير ذلك . وقد شرح مختصر التبريزى . ومات فى ربيع الآخر سنة ٧٤٩ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٤٤٧ »

٣٠٣ — شمس الدين القونوى الرومى الحنفى . هو العلامة محمد بن يوسف ابن الياس . نزيل المزة . ولد سنة ٧١٥ هـ أو التى بعدها . وقدم دمشق شابا ، وطلب العلم وداوم على طلبه ، حتى برع . وكان زاهداً ورعا . أنف من ولاية المناصب وينهى عنها . وأقبل على طلب الحديث بأخرة . ونبه فى الفقه — وعلى الرغم من هذا كان يعانى الفروسية واستخدام آلات الحرب ، وباشر القتال مرة ، وتردد على صيدا وبيروت مرابطا . ووفد على القاهرة مدة ثم نزح إلى القدس فدمشق فالمزة . ومن مصنفاته : الدرر وهو كتاب كبير فى فقه الأئمة الأربعة . واختصر شرح النووى لصحيح مسلم وشرح مجمع البحرين فى عشر مجلدات .

وتوفى مطعوناً فى جمادى الآخرة عام ٧٤٩ هـ . وقيل فى الدرر : عام ٧٨٨ هـ !

« الدرر ج ٤ رقم ٨١٠ — الشذرات ج ٦ ص ٣٠٥ — ابن إياس ج ١ ص ٢٦٥ »

٣٠٤ — زين الدين الحرانى الحنبلى : عمر بن سعد الله بن عبد الله بن نجيح ، ولد سنة ٦٨٥ هـ — أو قريباً منها — وسمع الحديث بمصر والقاهرة وبغداد ، وتتلمذ لابن تيمية . وبرع فى الفقه والفرائض والعربية ، وولى الوظائف فناب فى الحكم ، ودرس بالمدرسة الضيائية . ولبث على دينه وتواضعه وبشاشته ، حتى قبض فى ٦ رجب عام عام ٧٤٩ هـ .

« الدرر ج رقم ٣٨٨ — الشذرات ج ٦ ص ١٦٢ »

٣٠٥ — شهاب الدين الحسامى الدمياطى ، هو أبو الحسين أحمد بن أيبك [1]

(١) فى حسن المحاضرة : ابن أيبك

ابن عبد الله . ولد سنة ٧٠٠ هـ ، وسمع الحديث فى مصر وفى الشام ، من أعلام الحديث . وكذلك سمع بالاسكندرية . وبرع حتى عد من حفاظ الحديث .

ومن مصنفاته : تذييل على تذييل الوفيات للمنذرى . ومعجم لبعض شيوخ الحديث . وتخريج أحاديث الرافعى ولم يكمل . وكانت وفاته فى رمضان عام ٧٤٩هـ .

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٧ - الدرر جـ ١ رقم ٢٩٩ »

٣٠٦ - تاج الدين بن مكتوم القيسى [١] . هو أبو محمد ، أحمد عبد القادر ابن أحمد بن مكتوم النحوى . أخذ العربية عن بهاء الدين بن النحاس والدمياطى ولزم أبا حيان زمناً طويلا ، وكذلك أخذ عن السروجى وغيره . سمع الحديث ، وما زال ، حتى برع فى علوم العربية والنحو والفقه والحديث . وتصدى للإفادة والتصنيف ، وناب فى الحكم مدة .

ومن مصنفاته : تعليق على الهداية لم يتمه . والجمع بين العباب والمحكم فى اللغة ، يبدو أنه لم يتمه . والجمع المنتقاة فى أخبار اللغويين والنحاة . والدر اللقيط من البحر المحيط ، وهو تفسير مجموع من محيط أبى حيان . وشرح مختصر ابن الحاجب وغير ذلك .

وكان ينظم الشعر فى أغراض متعددة . ومن أبياته .

ماعلى العالم المهذب عار إن غدا خاملا وذو الجهل سامى
فاللباب الشهى بالقشر خاف ومصون الثمار تحت الكمام

ولد سنة ٦٨٢ هـ ومات سنة ٧٤٩ هـ فى رمضان .

« الدرر جـ ١ رقم ٤٤١ - حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٢ - الشذرات جـ ٦ ص ١٥٩ »

٣٠٧ - بدر الدين المرادى المالكى : واسمه حسن بن قاسم بن عبد الله بن على ، وهو المشهور بابن أم قاسم ، نسبة إلى امرأة من بيت السلطان تبنته تدعى أم قاسم . وقيل إنها جدته لأبيه واسمها زهراء . وأصلها من بلاد المغرب . أما هو فهو مصرى المولد .

---

(١) فى هامش الدرر : العبسى

وقد درس العربية على أبى عبد الله الطنجى ، والسراج الدمنهورى وأبى حيان وغيرهم . ودرس الفقه والأصول والقراءات . وما زال حتى برع فيها جميعا . وله شيوخ كثيرون . وقد اشتغل بالتصنيف .

ومن مصنفاته : الجنى الدانى فى حروف المعانى،وهو كتاب فى معانى الحروف، نظمه ثم شرحه . وشرح الجزولية . وشرح الكافية الشافية ، وشرح التسهيل ، وشرح الفصول لابن معط ، وشرح كتباً لابن الحاجب فى النحو والعروض والقراءات . وشرح المفصل — وكانت وفاته فى يوم عيد الفطر سنة ٧٤٩ هـ — وقيل غير ذلك .

« الدرر ج ٢ رقم ١٥٤٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٧ — شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦٠ »

٣٠٨ — شمس الدين بن اللبان الإسعردى الشافعى : محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الدمشقى ، نزيل القاهرة . ولد بدمشق فى نحو سنه ٦٨٥ هـ ،وسمع الحديث وتفقه على كثيرين، وبرع فى جملة فنون ، وزاول التدريس بزاوية الشافعى ، وسار على طريق الشاذلية ، وصحب ياقوت العرشى المتصوف فاشتهر، غير أنه تكلم كلاما صوفيا يشعر بالاتحاد ،فهاج عليه الفقهاء وحاكموه أمام قاضى القضاة،ثم استنقذه ابن فضل الله.

وله مؤلفات عدة منها : « ترتيب الأم » للشافعى . واختصار الروضة ومختصر فى علوم الحديث ، ومختصر فى النحو ، وكتاب فى التصوف ، وآخر فى التفسير ، وغير ذلك . وكان أديباً شاعراً عالما بالعربية ذكياً فصيحاً منجمعاً عن الناس هماماً مهيباً . توفى فى شوال عام ٧٤٩ هـ — ذكره الأسنوى والحافظ العراقى .

« الدرر ٣ رقم ٨٨٧ — حسن المحاضرة ١ ص ٢٠٠ — الشذرات ج ٦ ص ١٦٣ »

٣٠٩ — شمس الدين بن اللبان الإسعردى : هو نزيل القاهرة، محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الدمشقى المصرى . تفقه فى دمشق والقاهرة بسماع الحديث وغيره ودرس علوم العربية، كما كان أديباً شاعرا . وزاول التدريس بمسجد الشافعى. وسلك سبيل الصوفية.

ومن مصنفاته : اختصار الروضة . ترتيب كتاب الأم . واختصار علوم الحديث ، وله مختصر فى النحو . وتفسير بعض السور . وكتاب فى التصوف .

وكان مولده فى دمشق ، ثم قدم لمصر ، ومات بالطاعون فى شوال عام ٧٤٩ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٨٨٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٠ — الشذرات ج ٩ ص ١٦٣ »

٣١٠ — برهان الدين الرشيدى : هو إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى المصرى الشافعى النحوى . ولد سنة ٦٧٣ هـ ، ودرس الفقه على علم الدين العراقى ، والقراءات على تقى الدين بن الصائغ ، والنحو على بهاء الدين بن النحاس وأبى حيان ، وكذلك درس الأصول والمنطق ؛ وزاول التدريس والفتوى وإسماع الحديث . وقد ولى التفسير بالقبة المنصورية ، وكذلك درس الأصول والنحو والصرف وتخرج به جملة أفاضل منهم : زين الدين العراقى ، وسراج الدين بن الملقن . وقد توفى بالقاهرة فى شوال عام ٧٤٩ هـ . — وقيل فى ذى القعدة .

« الدرر ج ١ رقم ٢٠١ — الشذرات ج ٦ ص ١٥٨ »

٣١١ — شمس الدين بن عدلان : هو محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم الكنانى المصرى الشافعى : وقد سمع الحديث من حفاظ زمانه مثل النظام بن الخليلى وغازى الحلاوى ، وعز الدين الحرانى ، والدمياطى ، ودقيق العيد ، وأجيز بالرواية . ودرس الفقه على وجيه الدين البهنسى وابن السكرى وجعفر التزمنتى والشهاب العراقى ، وغيرهم .

وقد برع فى الفقه وزاول التدريس والفتوى وناب فى الحكم عن شيخه ابن دقيق العيد . وكان حسن الاتصال بالسلطان بيبرس الجاشنكير ، واستكفاه بعض المهام ، وكان يدرس الفقه والتفسير .

وكان هو والشهاب الأنصارى مرجع الفتوى فى عصرهما . وقال الأسنوى عن ابن عدلان : « كان إماما فى الفقه يضرب به المثل مع معرفته الأصلين والعربية والقراءة . . . » وكان ذكيا نظاراً فصيحا .

ومن مصنفاته : شرح مختصر المزنى وهو شرح مطول ، لم يكمله . — كان مولده فى صفر سنة ٦٦٣ هـ ، ووفاته فى ذى القعدة سنة ٧٤٩ هـ ، مطعونا .

« الدرر ج ٣ رقم ٨٩١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٠ — الشذرات ج ٦ ص ١٦٤ »

٣١٢ — شمس الدين الأصفهانى الشافعى : هو أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد . ولد بأصبهان سنة ٦٧٤ هـ وطلب العلم ببلاده حتى برع فى علوم عدة ، ولا سيما العقليات .

وقد رحل إلى مكة فحج ، وإلى بيت المقدس ، ودمشق . وبالغ ابن تيمية هناك فى تعظيمه . ثم قدم إلى القاهرة سنة ٧٣٢ هـ وأقام بها .

وقد اشتغل بالتدريس بالمدرسة الرواحيـــة والجامع الأموى بدمشق ، وبالمدرسة المعزية ومشيخة قوصون بالقاهرة ، وقد أنشأها له الأمير قوصون ، وأقامه بها شيخاً . — وانتفع بتدريسه طلبة كثيرون . وأذن لبعضهم بالأفتاء .

ومن مصنفاته : شرح كافية ابن الحاجب . وشرح مختصره أيضاً وشرح منهاج البيضاوى وشرح بديعية ابن الساعاتى . وشرح الساوية فى العروض . وشرح المطالع للأرموى . وناظر العين فى المنطق . وأخذ يفسر القرآن ولم يتمه . — وقد ذكره الإسنوى . —

وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة ٧٤٩ هـ .

« طبقات السبكى ج ٦ ص ٢٤٧ — الدرر ج٤ رقم ٨٩١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦١ — شذرات الذهب ج ٦ ص ١٦٥ »

٣١٣ — ناصر الدين بن صغير ، الطبيب : محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير ولد سنة ٦٩١ هـ ، ودرس الطب على أبيه ، والأدب على القونوى . وحسن اتصاله بالسلطان الناصر بن قلاوون ، وحج معه سنة ٧٣٢ هـ . وكان لا يعالج إلا فى بيت السلطان أو بيوت أصدقائه . وكان كيساً محباً للمجون ، يضرب على العود . توفى فى ذى القعده سنة ٧٤٩هـ .

« الدرر ج ٤ رقم ٥١٠ »

٣١٤ — برهان الدين الحكرى : هو إبراهيم بن عبد الله بن على بن يحيى ابن خلف ، المقرىء . درس العربية والقراءات على بهاء الدين بن النحاس ، وتق

الدين الصائغ وغيرهما ، وسمع الحديث من الأبرقوهي والدمياطي وابن الصواف. ولازم أبا حيان النحوى . وما زال حتى مهر في العربية وبز في القراءات ، وتصدى للإقراء . وقصده الطلاب لذلك .

ولد سنة ٦٧٠ هـ ونيف ، ومات بالطاعون عام ٧٤٩ هـ في أواخر ذى القعدة — ذكره الذهبي في آخر طبقاته في أصحاب الصائغ .

« الدرر ج ١ رقم ٧٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١
— الشذرات ج ٦ ص ١٥٨ »

٣١٥ — شهاب الدين بن فضل الله العمرى : هو أحمد بن يحيى بن فضل الله ابن مجلى القرشي العمرى الشافعي القاضي والأديب البارع الكبير .

ولد بدمشق في سنة ٧٠٠ هـ وسمع الحديث بالقاهرة ودمشق ، وتتلمذ في الأدب لوالده والشهاب محمود الحلبي ، ودرس النحو والأصول وغير ذلك . وكان من أبرز كتاب السر في الدواوين المصرية

وقد صنف : كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، وهو في علوم كثيرة ، ويقع في سبعة وعشرين مجلداً . وفواضل السمر ، في فضائل عمر في أربعة مجلدات . والتعريف بالمصطلح الشريف ، وهو في وصف الأساليب الديوانية المتبعة في عصره .

وكانت وفاته في ٩ ذى الحجة عام ٧٤٩ هـ . وسنذكره بتفصيل في الجزء الرابع .

« الدرر ج ١ رقم ٨٢٨ — الشذرات ج ٦ ص ١٦٠ »

٣١٦ — شهاب الدين الأنصارى : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن قيس ، ويعرف بابن الظهير [1] ، وبابن الأنصارى . وقد تفقه على ظهير الدين وسديد الدين التزمنتيين . وسمع الحديث من ابن خطيب المزة .

وقد برع حتى صار شيخ الشافعية في أواخر حياته ، بمصر . وكان إماما بارعا

(١) يعرف بابن الظهير هذا كلام السيوطي ، ولم يذكره ابن حجر .

في الفقه والأصول. واشتغل بالتدريس بالخشابية والمشهد الحسيني وغيرهما بالقاهرة. كما درس بالمدرسة الحافظية بالأسكندرية.

ولد في نحو عام ٦٦٠ هـ، ومات مطعونا في سنة ٧٤٩ هـ يوم عرفة.

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٩ — الدرر الكامنة ج ١ رقم ٧٤٦ — الشذرات ج ١ ص ١٥٩ »

٣١٧ — علاء الدين طيبرس الجندي: كان مملوكا لبعض الأمراء بألبيرة، ثم أعتق. وقدم إلى دمشق وجنح إلى طلب العلم، وما زال حتى أتقنه وأصبح فقيها ممتازاً ونحويا بارعاً، كما مهر في اللغة والعروض والأدب والأصلين.

ومن مصنفاته: الطرفة، وهي منظومة في ٩٠٠ بيت، جمع فيها بين الألفية والحاجبية، وزاد عليها. وقد شرحها أيضاً ـ وكانت وفاته في عام ٧٤٩ هـ بالصالحية.

« الدرر ج ٢ رقم ٢٠٥٣ — الشذرات ج ٦ ص ١٦١ »

٣١٨ — زين الدين بن الوردي: هو عمر بن المظفر بن عمر بن الوردي المعري البكري. ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات في حلب سنة ٧٤٩ هـ. وناب في الحكم عن الكمال بن الزملكاني في بعض الجهات التابعة لحلب.

وكان أديباً شاعراً ممتازا — وسنذكره مفصلا في تراجم الشعراء بالجزء الثالث.

ومن مصنفاته — تتمة المختصر في أخبار البشر. وهو تذييل على مختصر أبي الفداء. والبهجة الوردية في نظم الحاوي. وله منظومات أخرى في الفقه وكان ماهرا في الشعر والنثر، وله مقامات كثيرة.

« فوات الوفيات ج ٢ ص ٤٤٥ — طبقات السبكي ج ٦ ص ٢٤٣ — الدرر الكامنة ج ٣ رقم ٤٧٣ — الشذرات ج ٦ ص ١٦١ »

٣١٩ — علاء الدين بن التركماني الحنفي: هو علي بن عثمان بن إبراهيم ابن مصطفى، وأبوه فخر الدين بن التركماني وأخوه تاج الدين بن التركماني. كان إماما في الفقه والأصول والحديث وولي قضاء الحنفية بمصر مدة. واشتغل بالتدريس والتصنيف.

ومن مصنفاته : الكفاية فى مختصر الهداية . والجوهر النق فى الرد على البيهق . ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح . وتخريج أحاديث الهداية . ومختصر المحصل . وغير ذلك . وكان ينظم الشعر .

ولد سنة ٦٨٣ ﻫ ومات فى المحرم سنة ٧٥٠ ﻫ — وروى السيوطى وفاته سنة ٧٤٥ﻫ وله ولدان : جليلان أحدهما عبد العزيز مات فى حياة أبيه . والثانى جمال الدين عبد الله ولى قضاء الحنفية مدة ودرس وصنف ومات عام ٧٦٩ ﻫ .

« الدرر ٣ رقم ١٧٩ — حسن المحاضرة ج ١ ض ٢٢٢ — المنهل ج ٢ ق ٣ »

٢٢٠ — محمد بن أحمد بن عبد الرحيم المزى المؤقت : ولد قبل سنة ٦٩٠ ﻫ — وقيل ٦٦٠ﻫ — حفظ الشاطبية وعنى بالقراءات . ثم برع فى الهيئة والحساب والفلك . وكون الأوضاع الغريبة من الأصطرلاب والأرباع ولم يلحق فى ذلك . ومهر فى الحيل — الميكانيكا — على نمط بنى موسى المشهورين فى العصر العباسى . وتتلمذ على ابن الأكفانى بالقاهرة ، ثم توطن فى دمشق . وكان اصطرلابه يباع فى حياته بعشرة دنانير وأكثر ، وله رسالة : « كشف الريب فى العمل بالجيب » ، وقد نظم الشعر متوسط الجودة . وأصيب فى عينه من طول ملازمته للشمس . وتوفى فى عام ٧٥٠ ﻫ .

« الدرر ٣ رقم ٨٧٣ »

٢٢١ — أبو بكر بن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد . توفى فى أوأسط القرن الثامن الهجرى . ويعرف والده بالدوادارى .

ومن مصنفاته : كنز الدرر وجامع الغرر : ألفه للناصر بن قلاوون ، وهو فى تاريخ البشر منذ بدء الخلق ، وفيه سيرة النبى والراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والأتراك إلى عهد الناصر ، وفيه سيرة الناصر . ومن مصنفاته أيضاً : درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان ، وهو قريب الشبه بسابقه مع اختلافات .

« جورجى زيدان ج ٣ ص ١٩٢ »

٣٢٢ — نجم الدين الأصفونى : أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم ابن على ، ولد بأصفون — وهى فى صعيد مصر — سنة ٦٧٧ هـ ، وتفقه على بهاء الدين القفطى ، ودرس القراءات وسكن مدينة قوص ، وطفق بها يعلم ويفيد الناس . وحج فأقام بمكة مدة فتوفى بمنى فى ١٣ من ذى الحجة عام ٧٥٠ هـ ، وقيل فى ١١ منه .

ومن مصنفاته : اختصار الروضة . وله مصنف فى الجبر والمقابلة .

« الدرر ج ٢ رقم ٢٣٧٤ ـ الشذرات ج ٦ ص ١٦٧ »

٣٢٣ — شهاب الدين بن خفاجا الصفدى : هو أحمد بن موسى بن خفاجا الصفدى الشافعى ، كان ماهراً فى الفرائض والوصايا والحديث ، وكان منقطعاً بقرية قرب صفد ، يتعبد فيها ويصنف ، ويعمل بيده فى الزراعة

ومن مصنفاته : شرح التنبيه فى عشر مجلدات . والعمدة ، وهو مختصر فى الفقه وشرح الأربعين النووية فى مجلد كبير . وكانت وفاته بصفد فى عام ٧٥٠ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ٨٠٨ ـ الشذرات ج ٦ ص ١٦٧ »

٣٢٤ — تاج الدين المراكشى الفقيه الشافعى : محمد بن إبراهيم بن يوسف ابن حامد . ولد بالقاهرة بعد السبعمائة . وتفقه على علاء الدين القونوى وغيره . وبرع فى فنون عدة ، وكان قوى النفس . استطال على القاضى جلال الدين القزوينى ، فشكاه إلى السلطان الناصر ، فأمر بإخراجه إلى الشام ، فتولى تدريس المسرورية بدمشق ، ثم انقطع إلى المدرسة الأشرفية . وكان ضعيف البصر يقرأ له غيره بأجر . مواظباً على طلب العلم ، سريع التصور قوى المشاركة . كان يتناظر هو والفخر المصرى (١) فكان من حضر لا يفهم كثيرا مما يقولان لسرعة عبارتهما . غير أن المراكشى كان عجولا محتقرا للناس كثير الوقيعة فيهم . . توفى عام ٧٥٠ هـ فى جمادى الآخرة ـــ . ذكره الإسنوى .

« الدرر ج ٣ رقم ٨٠٣ ـ شذرات الذهب ج ٦ ص ١٧٢ »

---

١ — الفخر المصرى هو محمد بن على بن عبد الكريم تفقه على ابن الزملكانى ، وكان فقيها مالما أفتى وناظر . ولد سنة ٦٩٢ هـ ومات سنة ٧٥١ هـ (حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٠)

٣٢٥ — عز الدين الحميرى الإسنائى : اسماعيل بن هبة الله بن على . كان إماما فى العلوم العقلية . توفى بمصر فى سنة ٧٥٥ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠ »

٣٢٦ — فخر الدين الهمدانى : هو أحمد بن على بن أحمد الهمدانى الكوفى الحنفى ، ويعرف بابن الفصيح . ولد سنة ٦٨٠ هـ . وسمع الحديث ببغداد وتفقه ونبغ فى العربية والقراءات والفرائض وغير ذلك . وطارت شهرته فى بلاد العراق لإقباله على الإفادة والإحسان إلى الطلاب . وقد قدم دمشق فأكرمه نائبها الأمير الطنبغا ، وزاول بها التدريس بجملة مدارس ،

ومن مصنفاته : منظومة فى القراءات على وزن الشاطبية . ونظم الفرائض السراجية . ونظم كنز الدقائق ، والمنار فى أصول الفقه . وله شعر متوسط الجودة . وتوفى فى شعبان سنة ٧٥٥ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ٥٢٨ »

٣٢٧ — جمال الدين السبكى : هو أبو الطيب الحسين بن على بن عبد الكافى بن على . وأبوه شيخ الإسلام تقى الدين السبكى ، وأخواه تاج الدين صاحب الطبقات ، وبهاء الدين أبو حامد . ولد سنة ٧٢٢ هـ ، وتفقه بدمشق وسمع الحديث ، ودرس النحو والعروض . وزاول التدريس فى القاهرة ودمشق . وكذلك الفتوى ونيابة الحكم . وله شعر متوسط الجودة : وكانت وفاته فى رمضان سنة ٧٥٥ هـ .

« الدرر ج ٢ رقم ١٦٠٣ — الطبقات ج ٦ ص ٨٧ — الشذرات ج ٦ ص ١٧٧ »

٣٢٨ — محيى الدين الإسنوى : هو سليمان بن جعفر ، وهو خال الشيخ جمال الدين الإسنوى صاحب الطبقات المشهورة — وكان الشيخ محيى الدين ماهرا فى جملة علوم منها : الجبر والمقابلة والتاريخ . وزاول التدريس فى المشهد النفيسى .

ومن مصنفاته : طبقات الشافعية ، قال صاحب الشذرات إنه مات عنها وهى مسودة لا ينتفع بها . وكان مولده فى سنة ٧٠٠ هـ ، ومات فى جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ — وقيل فى جمادى الأولى — ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر.

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٠ — الدرر ج ٢ رقم ١٨٣٣ — الشذرات ج ٦ ص ١٧٩ »

٣٢٩ — شهاب الدين السمين الحلبي المصرى الشافعي : هو أبو العباس أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم بن محمد المعروف بالسمين ، المقرىء . أصله من حلب ، ونزل القاهرة . وجنح إلى طلب النحو فأخذه عن أبي حيان ، والقراءات فأخذها عن تقي الدين الصائغ ، والحديث فأخذه عن يونس الدبوسى وغيره . ومازال حتى برع فى كل أولئك وشاغيره .

وقد ناب فى الحكم ، وولى نظر الأوقاف . وعكف على التصنيف والإفادة والتدريس . ودرس النحو بالجامع الطولونى .

ومن مؤلفاته : تفسير القرآن فى عشرين مجلدة . والدر المصون فى ثلاثة مجلدات ، وهو فى إعراب القرآن . وله كتاب فى أحكام القرآن . وشرح التسهيل ، وشرح الشاطبية — ذكره الأسنوى فى الطبقات . والسيوطى فى طبقات النحاة . وتوفى فى سنة ٧٥٦ هـ فى جمادى الآخرة . وقيل فى شعبان .

« الدرر ج ١ رقم ٨٤٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٧ — شذرات الذهب ج ٦ ص ١٧٩ »

٣٣٠ — كمال الدين النشائى : هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى كان إماما حافظا متصوفا ، زاول التدريس زمنا بجامع الخطيرى وغيره . وكان شافعى المذهب . وقد صنف : جامع المختصرات ، وشرحه . والمنتقى . ونكتا على التنبيه . وكشف غطاء الحاوى . ومختصر سلاح المؤمن . والإبريز فى الجمع بين الحاوى والوجيز .

وكان مولده فى ذى القعدة سنة ٦٩١ هـ ، ووفاته فى يوم السبت ١٠ صفر سنة ٧٥٧ هـ ودفن بالقرافة .

« الدرر ج ١ رقم ٥٧٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٧ — الشذرات ج ٦ ص ١٨٢ »

٣٣١ — شهاب الدين العسجدى : هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم المصرى . ولد فى رمضان سنة ٦٨٦ هـ ؛ وجنح إلى طلب الحديث وهو كبير ، فسمعه من كثيرين من الحفاظ . ودرس الأدب واللغة . وطاف بالإسكندرية ودمشق وغيرهما حتى غدا عالماً بارعا ذا فضل ، مع قدرة على الأدب والشعر ، واضطلاع بتاريخ الأعلام ، وطبقاتهم ، وفهم للمؤلفات وأسمائها وواضعيها . مع عناية بالحديث

الشريف وتحريره وضبطه .

ويبدو لنا أن العسجدى كان ذا شخصية فيها شيء غير عادى ، إذ ذكر أن بعض الحنفية أولع به فوضع كتابا عنه سماه « القطر الندى فى الخلاف بين المسلمين والعسجدى » . قيل إن مما فيه ، أن الخمر حرام بإجماع المسلمين خلافا للعسجدى . لهم دليل كذا وله دليل كذا ... الخ . — ولا ندرى أكان ذلك على سبيل الحق أم كان على سبيل السخرية من الرجل ...

على أنه ولى درس الحديث بالمدرسة المنصورية بعد وفاة مدرسها زين الدين الكتنانى . فثار لذلك قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ، وتألب معه جمع آخر وأوعزوا إلى بعض طلاب الحديث بالثورة عليه لعدم أهليته لتدريس الحديث . ووقعت مشادة عنيفة بينهم وبين أنصار العسجدى ، رفعت أخبارها إلى السلطان ، وانتهت المعركة بحرمانه هذه الوظيفة — على أنه ولى التدريس بمدارس أخرى غير المنصورية ، كالفخرية . ومن شعره متغزلا :

ولعى بشمعته وضوء جبينه   مثل الهلال على قضيب مائس
فى خده مثل الذى فى كفه   فاعجب لماء فيه جذوة قابس

وقد توفى العسجدى فى سنة ٧٥٨ هـ

« الدرر ج ١ رقم ٦٩٢ — الشذرات ج ٦ ص ١٨٤ »

٢٣٢ — نجم الدين الطرسوسى : ابراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد ولد سنة ٧٢١ هـ . طلب العلم وبرع فى فقه الحنفية ، حتى قيل أنه كان شيخ الحنفية بالشام . وولى تدريس المدرسة الخاتونية بعد نزاع عليه . ومات فى شعبان سنة ٧٥٨ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ١١٠ »

٢٣٣ — قوام الدين الإتقانى الحنفى : هو أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى ، أبو حنيفة . ولد فى إتقان سنة ٦٨٥ هـ ، وتفقه ثم قدم دمشق فدرس وناظر ، ودخل مصر ثم عاد إلى بغداد فولى قضاءها حينا ، ثم يمم شطر دمشق ثانيا ، فزاول التدريس بدار الحديث الظاهرية وغيرها . ثم عاد إلى الديار المصرية عام ٧٥١ هـ ، واستوطنها ،

فحسنت صلته بالأمير صرغتمش ، فجعله شيخاً لمدرسته فزاول التدريس بها . وكذلك درس بالجامع الماردانى وكان بينه وبين الشافعية أشياء . وكان عالماً جليل الشأن . مناظراً مفحما بارعا . قال بعضهم : كان أحد الدهاة . وقال آخر . كان رأساً فى مذهب أبى حنيفة بارعاً فى العربية شديد الإعجاب بنفسه شديد التعصب على من خالفه .

ومن مصنفاته : شرح الهداية . وشرح الاخسيكتى . ورسالته فى عدم صحة صلاة الجمعة فى موضعين بالبلد الواحد .

وكانت وفاته فى شوال سنة ٧٥٨ هـ

« الدرر ج ١ رقم ١٠٧٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٢ — الشذرات ج ٦ ص ١٥٨ »

٣٣٤ — عماد الدين المصرى ، : هو موسى بن محمد اليوسفى المصرى ، ويعرف بابن الشيخ يحيى . وهو تركى ، وكان أحد مقدمى الحلقة بالقاهرة .

ولد سنة ٦٩٦ هـ ولم يدرس العربية ، ولكنه مع ذلك كان يكتب بها وينظم . وأغرم بالتاريخ ، ودقة التحرى فيــــه وتمحيص حوادثه . كما عنى بالتأليف فى فنون أخرى .

ومن مصنفاته : نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر ، وهو كتاب فى التاريخ جليل يقع فى نحو خمسة عشر مجلداً ، يبدأ من دولة المنصور قلاوون إلى سنة ٧٥٥هـ. حكى فيه كثيراً من الحوادث عن مشاهده . ومن مصنفاته أيضاً : كتاب كشف الكروب فى معرفة الحروب ، وهو فى فن الحرب ونظام الجند ، ألفه للظاهر چقمق .

وكانت وفاته بالقاهرة فى أوائل عام ٧٥٩ هـ وقيل بعد ذلك .

« الدرر ج ٤ رقم ١٠٣٧ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٤ »

٣٣٥ — صلاح الدين العلائى : هو أبو سعيد خليل بن كيكلدى بن عبدالله . ولد سنة ٦٩٤ هـ . وقد أخذ منــذ صغره فى سماع الحديث والتفقه ودراسة علوم العربية . وطاف فى سبيل الحديث بمكة ومصر ، وحفظ كتباً علمية كثيرة منهـا : التنبيه ومختصر ابن الحاجب ، ومقدمة ابن الحاجب فى النحو والصرف ، ولازم

ابن الزملكانى وتخرج به . قيل كان إماما فى الفقه والنحو والأصول مفتنا فى علوم الحديث وفنونه. وقد زاول التدريس فحدث بالمدرسة الناصرية . وقيل غيره. وعلم بالصلاحية بالقدس وقطنها حتى مات . وكان متصديا للفتوى عاكفاً على التأليف فى الفقه والأصول والحديث .

ومما صنفه : الفوائد المجموعة فى الفرائد المسموعة ، وهو فهرست جمع فيه مسموعاته. والقواعد . وعقلية المطالب فى ذكر أشرف الصفات والمناقب. وتحفة[١] الرائض بعلوم آيات الفرائض . والأربعين فى أعمال المتقين . والوشى المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكتاب المدلسين . وقدمات فى بيت المقدس ليلة ٥ المحرم عام ٧٦١ هـ — وقيل فى ٣ منه .

« الدرر ج ٢ رقم ١٦٦٦ — الشذرات ج ٦ ص ١٩٠ »

٢٣٦ — جمال الدين بن هشام المصرى : هو الإمام العلامة النحوى الحنبلى صاحب الشهرة المستفيضة ، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن أحمد .

ولد فى سنة ٧٠٨ هـ ومال إلى مذهب الشافعى ، ثم عدل عنه إلى مذهب ابن حنبل . وكان مولعا بالعربية وعلومها وآدابها ، فطلبها على شيوخها ، ومنهم شهاب الدين عبد اللطيف بن المرحل . وسمع من أبى حيان ديوان زهير بن أبى سلمى . ومن شيوخه أيضا ابن السراج ، وتاج الدين التبريزى وتاج الدين الفاكهانى .

وما زال يخطب ود العربية حتى أسلمته قيادها وأفهمته مرادها . فتصدى بعد الاستفادة للإفادة . وهوى إليه الطلاب من كل فج ، فتخرج به فيها جموع من الأفاضل . ودرست بعض تصانيفه فى حياته . واشتهر ذكره شرقا وغربا . وقال فيه ابن خلدون لابن حجر : « ما زلنا ونحن بالمغرب . نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية . يقال له : ابن هشام أنحى من سيبويه » ، واشتهر جمال الدين بجمال العبارة

(١) وقيل : منحة الرائض

ولطف الإشارة والاقتدار على التعبير عن معانيه وأفكاره بما يناسب المقام من الأسلوب. وله تذوق خاص فى نحو اللغة. وظرف فى عرض مشاكلها. واستقلال فى حلها، واستدراك فى مسائلها، بما يجعل منه إماما من أئمتها، وقدوة من قدواتها، وقد قال ابن حجر عنه: «وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ».

وقد اشتغل بالتصنيف فى العربية ونحوها، حتى ذخرت بحورها بمصنفاته، وبدت محاسنها بمؤلفاته، وإذا كان أهل زمانه قد انتفعوا بها، فقد ظل أهل العصور من بعدهم يستمدون منها النفع. ويطلبون لديها ما ينقع الغلة ويبل الصدى. وهى من أروج كتب النحو فى العصر الحديث. وبخاصة فى البيئة الأزهرية.

ومن مصنفاته: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب. وقد اشتهر فى حياته وأقبل الناس عليه. ومنها أيضا: حاشيته على المغنى المذكور، وشرح لشواهده. والتوضيح على ألفية ابن مالك. وعمدة الطالب فى تحقيق تصريف ابن الحاجب فى مجلدين. ورفع الخصاصة عن قراء الخلاصة فى أربع مجلدات. والتحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل فى عدة مجلدات. وشرح القواعد الكبرى، وشرح القواعد الصغرى. وقواعد الإعراب. وشذور الذهب، وشرحه، والجامع الصغير. وقطر الندى وبل الصدى: وشرحه. والكواكب الدرية فى شرح اللمحة البدرية لأبى حيان. وشرح بانت سعاد، وشرح البردة. وشرح التسهيل. وحواشى على الألفية والتسهيل. والتذكرة فى خمسة عشر مجلدا. والمسائل السفرية فى النحو. وإقامة الدليل على صحة التحليل. وله مصنفات غير ذلك.

وكان برا متواضعا شفيقا دمث الخلق رقيق القلب، أديبا كاتبا وشاعرا. ومن شعره قوله:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا يسيرا يعش دهرا طويلا أخا ذل

ولما مات رثاه جمال الدين بن نباتة وبدر الدين بن الصاحب. وكانت وفاته

فى ذى القعدة سنة ٧٦١ ﻫ ، ودفن بمقبرة(١) الصوفية بمصر .

« الدرر ج٢ رقم ٢٢٤٨ — وحسن المحاضرة ج ١ ص٢٥٧ — وشذرات الذهب ج٦ ص١٩١ — جورجى زيدان ج٣ ص ١٤٣ »

٣٣٧ — جمـــال الدين الزيلعى : عبد الله بن يوسف بن محمد الحنفى . أبو محمد. تتلمذ على فخر الدين الزيلعى مؤلف الكنز فى فقه الحنفية ، وعن القاضى علاء الدين ابن التركمانى وغيره . وكان معنيا بالحديث ، سمعه من كثيرين حتى صار أحد حفاظ عصره .

ومن مصنفاته : تخريج أحاديث الهداية . تخريج أحاديث الكشاف .

وكانت وفاته بالقاهرة فى المحرم عام ٧٦٢ ﻫ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٨ — الدرر الكامنة ج ٢ رقم ٢٢٥٠ »

٣٣٨ — تاج الدين بن الدريهم : على بن محمد بن عبد العزيز الثعلبى الشافعى الموصلى . تعاطى التجارة ، وسمع الحديث . وحفظ النحو وألفية ابن معط وألفية ابن مالك ، وصحيح البخارى ودخل القاهرة ودمشق وغيرهما . ووظف بديوان الأسرى ، وأرسله الناصر حسن حفيد قلاوون إلى الحبشة رسولا فسار إليها مكرها ، فمات بقوص فى صفر عام ٧٦٢ ﻫ ، وكانت ولادته بالموصل عام ٧١٢ ﻫ .

وقد كان ابن الدريهم لبقا وأديبا شاعراً ، ومؤلفا مكثاراً برع فى النحو والحديث والقراءات . ومن مؤلفاته : النسمات الفائحة فى آيات الفاتحة . والآثار الرائعة فى أسرار الواقعة . والزين فى معانى العين . وبسط الفوائد فى حساب القواعد . وسلم الحراسة فى علم الفراسة . وغاية الإعجاز فى الأحاجى والألغاز . والإنصاف بالدليل فى أوصاف النيل . وغير ذلك

« الدرر ٣ رقم ١٤١ »

٣٣٩ — علاء الدين مغلطاى بن قليج بن عبد الله البكجرى الحنفى ، أبو عبد الله. وهو الحافظ والإمام النسابة . ولد فى عام ٦٨٩ ﻫ . وطلب الحديث من أهله وسمع من تاج الدين أحمد بن على بن دقيق العيد أخى الشيخ تقى الدين ، ومن الحسين

(١) لجمال الدين بن هشام ولد اسمه محب الدين محمد ، ولد سنة ٧٥٠ ﻫ ومات سنة ٧٩٩ ﻫ كان أوحد عصره فى النحو — ذكره فى حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٧ والشذرات .

ابن عمر الكردى ، ومن الواتى والختنى والدبوسى وغيرهم . ولازم الجلال البلقينى مدة . وزاول مطالعته بنفسه ، وما زال حتى أصبح من أبرع حفاظ عصره ، وأعلمهم بالأنساب .

وولى تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية — والقى فى تدريسه معاكسات عدة . كما درس فى جامع القلعة مدة . وولى أيضا قبة ركن الدين بيبرس ، وله مصنفات قيل : نحو المائة ، منها : شرح البخارى . وذيل المؤتلف والمختلف . والزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم فى السيرة النبوية : وتذييل على تهذيب الكمال . وشرح بعض سنن أبى داود . وشرح بعض سنن ابن ماجة وله ترتيب المبهمات على أبواب الفقه ، وتذييل على ابن نقطة ، وتصنيف زوائد ابن حبان ، وغير ذلك .

وكانت وفاته فى ١٤ شعبان عام ٧٦٢ ﻫ .

« الدرر ج ٤ رقم ٣٦٣ ٩ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٨ — طبقات الحفاظ ج ٣ — تاج التراجم ٧ ﻫ — شذرات الذهب ج ٦ ص ١٩٧ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٩٣ »

٣٤٠ — شهاب الدين بن العطار : احمد بن محمد بن أبى بكر العسقلانى : وهو أخو تقى الدين بن العطار . سمع الحديث من الأبرقوهى والدمياطى وغيرهما . ومن مسموعاته علوم الحديث لابن الصلاح . وقد حدث وأفاد وتخرج به أفاضل . وتوفى فى أواخر المحرم سنة ٧٦٣ ﻫ . « الدرر ج ١ رقم ٦٦١ »

٣٤١ — شمس الدين بن النقاش : أبو أمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى ، المصرى وهو مغربى الأصل ، ويعرف بابن النقاش . ولد فى منتصف رجب سنة ٧٢٠ ﻫ [١] . وقد تتلمذ على برهان الدين الرشيدى فى القراءات ، وعلى محب الدين ابن الصائغ وأبى حيان فى العربية ، ودرس فقه الشافعية وحفظ بعض المؤلفات وبرع فى كل مادرس . وطاف بدمشق وحماة . وتصدى للوعظ بدمشق فعظم أمره بها . وقعد للإفتاء فأفاد . واشتغل بتفسير القرآن الكريم بالجامع الأزهر فى شهر رمضان .

ومن تصانيفه : شرح العمدة فى ثمانى مجلدات . وتخريج أحاديث الرافعى

(١) وقيل غير ذلك

شرحا على التسهيل ، وشرح الألفية ، وكتاب فى الفروق . وتفسير فاتحة الكتاب وهو مطول . واللاحق السابق ، وهو كتاب مطول جداً فى تفسير القرآن الكريم . وكانت وفاته فى ربيع الأول سنة ٧٦٣ هـ .

« الدرر ج ٤ رقم ٢٠٩ ـ الشذرات ج ٦ ص ١٩٨ »

٣٤٢ — عماد الدين الإسنائى المصرى الشافعى : محمد بن الحسن بن على بن عمر . وهو أخو جمال الدين الإسنائى صاحب الطبقات — ولد فى نحو عام ٦٩٥ هـ وتلقى الفقه والحديث عن شيوخ القاهرة والشام ، ومنهم تاج الدين بن دقيق العيد والشرف البارزى . وكان فصيح اللسان ، برع فى الفقه والفرائض والحساب ، وكان إماما فى الأصلين والخلاف والجدل والتصوف . نظاراً بحاثاً .

وقد اشتغل بالتدريس ، وناب فى القضاء . واستوطن حماة مدة ودرس بها ، ثم عاد إلى البلاد المصرية .

ومن مؤلفاته : المعتبر فى علم النظر — وهو فى الجدل — وقد شرحه . وحياة القلوب فى التصوف . وله رد على النصارى . وشرع فى شرح المنهاج للبيضاوى .

وكان دينا متقشفا كثير الخير . مات فى رجب عام ٧٦٤ هـ . ودفن بتربة أخيه بمقبرة الصوفية . ذكره الإسنائى .

« الدرر ج ٣ رقم ١١٢٤ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٠ ـ شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٠٢ »

٣٤٣ — شهاب الدين البعلبكى : أحمد بن بلبان البعلبكى الدمشقى . ولد ٦٩٤هـ ونشأ فى طلب العلم ، فتتلمذ لأبى العباس الحجار ، والبرهان الفزارى والمجد التونسى والعلاء بن العطار ، وبمصر لأبى حيان وغيره . وبرع فى الفقه والحديث والقراءات والصرف . وولى الفتوى بدار العدل ، وزاول تعليم القراءات . ودرس بالمدرسة العادلية ، وتوفى فى رمضان سنة ٧٦٤ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ٣٢٠ ـ الشذرات ج ٦ ص ٢٠٠ »

٣٤٤ — صلاح الدين بن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي . سمع الحديث من ابن الشحنة والمزى وغيرها ، وتعاطى تجارة الكتب فربح منها مالا وفيرا . وكان ذا مروءة . وله كتاب « فوات الوفيات » في تاريخ الأعلام ذيل به على وفيات ابن خلكان ، في مجلدين ، وهو متداول . وله أيضاً عيون التواريخ . وقد توفى في رمضان سنة ٧٦٤ هـ .

« الدرر ٣ رقم ١٢١٨ – جورجي زيدان ص ١٦٤ — الشذرات ج ٦ ص ٢٠٣ »

٣٤٥ — صلاح الدين(١) الصفدي : هو المؤرخ الشاعر أبو الصفاء خليل ابن أيبك . ولد في صفد سنة ٦٩٦ هـ ، وتعلم بدمشق وأخذ عن الجمال بن نباتة وأبي حيان النحوى وابن جماعة والمزى . واشتغل بالإنشاء في صفد والقاهرة وحلب . وولى وكالة بيت المال بدمشق وقعد للتدريس بالجامع الأموى . وتوفى بدمشق في عام ٧٦٤ هـ في شوال .

وقد اشتهر بالأدب ، وحسن النظم وبالشعر البديعي . كما اشتهر بكتبه في التاريخ والفقه ومن مصنفاته : الوافي بالوفيات في نحو خمسين جزءاً في تاريخ الأعلام . والشعور بالعور . ونكت الهميان في نكت العميان . وله مؤلفاته أدبية وشعرية كثيرة

« الدرر ج ٢ رقم ١٦٥٤ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٠١ —
جورجي زيدان ج ٣ ص ١٦١ — طبقات السبكي ج ٦ ص ٩٤ »

٣٤٦ — شمس الدين الدمشقي : أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة . ولد سنة ٧١٥ هـ وسمع الحديث من ابن عبد الدائم ، وابن أبي التائب ، والمزى وغيرهم . وبرع فيه وتصدى للإفادة به وتخريجه . وولى مشيخة دار الحديث البهائية .

ومن مصنفاته : التذكرة في رجال العشرة . واختصار التهذيب . مع شيء من الإضافة والحذف . ومعجم لشيوخه ، وذيل على العبر . والعرف الذكى في النسب الزكى ، ومجلد في آداب الحمام وغير ذلك . وكانت وفاته في آخر شعبان سنة ٧٦٥ هـ .

« الدرر ج ٤ رقم ١٧١ »

---

(١) سنترجم له بتفصيل في الجزء الثالث من كتابنا هذا .

٣٤٧ — قطب الدين التحتاني : هو محمود — وقيل محمد — بن محمد الرازي، كان أحد أئمة المعقولات بارعا في علوم كثيرة . قال عنه ابن كثير : « كان أوحد المتكلمين بالمنطق وعلوم الأوائل » . وعاش في دمشق مدة .

وصنف كتبا منها : شرح الحاوي . وحاشية على الكشاف . وشرح المطالع والإشارات . ومات في ذي القعدة سنة ٧٦٦ هـ

« الدرر — ج ٤ رقم ٩٢٣ — الشذرات ج — ٦ ص ٢٠٧ »

٣٤٨ — ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى المالكي ، ويعرف بالجندي: تفقه بمذهب مالك ، ودرس الأصول وعلوم العربية ، وولي التدريس بالشيخونية . وتخرج به جماعة من الأفاضل وتصدى للإفتاء .

ومن مصنفاته : شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه ، يقع في ست مجلدات . وله مختصر في الفقه يعرف بمختصر الشيخ خليل ، وترجمة لشيخه عبد الله المنوفي . وكتاب في مناسك الحج .

وكانت وفاته في ١٣ ربيع الأول . عام ٧٦٧ هـ . وقيل سنة ٧٧٦هـ .

« الدرر ج ٢ رقم ١٦٥٣ — وروي في هامشه أن له ترجمة في نيل الابتهاج طبع فاس ص ٩٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٧ »

٣٤٩ — عز الدين بن جماعة : هو قاضي القضاة أبو عمرو عبد العزيز بن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي ، نشأ في أسرة طيبة مباركة برع أفراد منها في العلم والأدب . وأبوه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة المتوفى عام ٧٣٣ هـ (١) .

وقد ولد القاضي عز الدين في ١٩ المحرم سنة ٦٩٤هـ بدمشق ونشأ بها ، فتفقه على والده وغيره وتلقى الحديث ، ثم تحول إلى القاهرة فسمع الحديث من الأبرقوهي والدمياطي والفوي . وسمع من غيرهم وأجيز . وبلغ عدد شيوخه ألفا وثلثمائة .

وأخذ يحدث بحديث رسول الله ويزاول التدريس والتأليف والفتوى . وولي

(١) ترجمنا لبدر الدين بن جماعة في باب القضاء بالمجلد الثاني من كتابنا هذا .

قضاء الشافعية بالقاهرة عام ٧٣٨ هـ : ووكل إليه السلطان الناصر تعيين قضاة الشام، ولبث بالقضاء مدة وتردد عليه ثم عزل نفسه منه جملة ولم يعد إليه منذ سنة ٧٦٦ هـ. وحج وزار وجاور .

وقد كان دينا زاهدا خطيبا حسن المحاضرة محبا لأهل العلم .

ومن مصنفاته : تعليقات على المهذب . المناسك الكبرى والمناسك الصغرى . وتخريج أحاديث الرافعي وتعليقات على بعض المنهاج .

وكانت وفاته في مكة في جمادى الأولى عام ٧٦٧ هـ .(١)

« الدرر ج ٢ رقم ٣٤٤٣ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٨ ـ شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٠٨ »

٣٥٠ — موفق الدين المقدسي الحنبلي : هو عبد الله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الباقي . ولي قضاء الحنابلة بمصر أكثر من ثلاثين سنة . مات في المحرم عام سنة ٧٦٩ هـ . ودفن بتربته خارج باب النصر .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٢١٥ »

٣٥١ — بهاء الدين بن عقيل . هو قاضي القضاة عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل العقيلي الحلبي البالسي الأصل ، نزيل القاهرة . قال السيوطي : « وهو من ولد عقيل بن أبي طالب » .

ولد سنة ٧٠٠ هـ ، — أو نحوها — . وقدم إلى القاهرة . وحرص على طلب علوم اللغة ، ولازم أبا حيان المغربي نحو اثنتي عشرة سنة . فكان من أجل تلاميذه . وبرع في النحو حتى قال عنه شيخه أبو حيان : « ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل » .

ودرس فقه الشافعي وأصوله على الزين بن الكناني ، وعلاء الدين القونوي وجلال الدين القزويني . والقراءات على تقي الدين بن الصائغ ، وسمع الحديث من ابن الصاعد وابن الشحنة وأبي الهدى أحمد بن محمد وغيرهم . وقد برع حتى صار إماما في علوم العربية ، وممتازا في الفقه والأصول والقراءات .

---

(١) — عز الدين بن جماعة هذا هو جد عز الدين بن جماعة الآتي ذكره .

وناب فى القضاء بمصر والجيزة . وناب أولا عن شيخه القزوينى ثم عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة . ثم عزل عن النيابة . ثم عزل ابن جماعة عن القضاء، فوليه ابن عقيل بعده . فزاره ابن جماعة ، فرد له الزيارة وتأدب معه وقال له « أنا نائبك » .

واشتغل بالتدريس بالقطبية والخشابية وجامع القلعة . ودرس التفسير فى الجامع الطولونى . قيل أكمل تفسير القرآن كله فى دروسه ، واستغرق ذلك ثلاثة وعشرين عاما . ثم شرع يعيد ، فوفاه أجله بعد قليل .

وصنف وانتفع الناس بمصنفاته ، ولا يزالون ينتفعون حتى اليوم . ومنها : شرح الألفية ، وشرح التسهيل . والتعليق الوجيز على كتاب العزيز ، وهو جزء فى التفسير . وله تفسير آخر لم يتم .

ذكره الإسنوى فى طبقاته ، والذهبى فى طبقات القراء من أصحاب التقى بن الصائغ . وكانت وفاته فى ٢٣ ربيع الأول سنة ٧٦٩ ﻫ ودفن بالقرب من الإمام الشافعى .

« الدرر ٢ رقم ٢١٥٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٧ — شذرات الذهب ج ٦ »

٣٥٢ — شهاب الدين بن النقيب (١) : وهو أبو العباس أحمد بن لؤلؤ الرومى المصرى الشافعى ولد سنة ٧٠٢ ﻫ وطفق يطلب العلم حتى مهر ، أخذ الفقه عن تقى الدين السبكى وقطب الدين السنباطى وغيرهما ، والنحو عن أبى حيان . وما زال حتى تصدى للإفادة والإسماع والتدريس ، وانتفع طلابه بعلمه .

ومن مصنفاته : مختصر الكفاية فى ست مجلدات : ونكت المنهاج فى ثلاث مجلدات . وكتاب على المهذب فى مجلدين . وتهذيب التنبيه وهو مختصر .

قال عنه الإسنوى . « كان عالما بالفقه والقراءات والتفسير والأصول والنحو يستحضر من الأحاديث شيئا كثيرا ، أديبا شاعرا ذكيا فصيحا صالحا ورعا متواضعا طارحا للتكلف متصوفا . . الخ » .

وكانت وفاته فى منتصف رمضان عام ٧٦٩ ﻫ ، ودفن بتربة الشيخ جمال الدين الإسنوى ، خارج باب النصر .

« الدرر ج ١ رقم ٦٠١ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٢١٣ »

---

١ — كان أبوه روميا من نصارى انطاكية وقع ملكه لبعض الامراء فأعتقه وأسلم وولى النقابة لبعض الأمراء فعرف بالنقيب (الدرر) .

٣٥٣ — جمال الدين الشريشي : أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الشريشي البكري . نزيل دمشق . ولد سنة ٦٩٤ هـ أو التي بعدها . وسمع الحديث وتفقه ، ثم اشتغل بالتدريس بالبادرائية وغيرها ، وناب في الحكم ، ونفع الناس بالفتوى ، مع حسن محاضرة ودماثة خلق .

ومن تصنيفه : مختصر الروضة ، وشرح المنهاج . وله خطب ونظم . — وتوفى في شوال سنة ٧٦٩ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٩٣٠ »

٣٥٤ — أحمد بن محمد الفيومي : نشأ بالفيوم ومال إلى العربية فجمعها ودرسها على أبي حيان . ثم إلى حماة فقطنها . وعينه ملكها المؤيد اسماعيل خطيباً في جامع الدهشة الذي أنشأه بحماة . ومن مصنفاته : معجمه المشهور : المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير . وتوفى في نحو سنة ٧٧٠ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ٧٨٧ »

٣٥٥ — زين الدين البسطامي : عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، الحنفي . ولد سنة ٦٩٤ هـ ، ومال إلى طلب الحديث ، وتفقه وحفظ الهداية ، ومازال حتى تمكن وظهر فضله . وقد ولى قضاء الحنفية عام ٧٤٢ هـ ، وولى التدريس بالمدرسة الأشرفية والآقبغاوية والفارقانية ثم جامع ابن طولون والجامع الأزهر . وخطب بجامع منجك ، ثم جامع ابن طولون بآخرة . وتوفى في جمادى الآخرة سنة ٧٧١ هـ

« الدرر ج ٣ رقم ٣٩٠ »

٣٥٦ — شرف الدين بن قدامة الحنبلي : هو قاضي القضاة العلامة الإمام ، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد ، المقدسي الدمشقي . ويعرف بابن قاضي الجبل .

ولد في شعبان سنة ٦٩٣ هـ . وجنح إلى طلب الحديث حتى برع فيه ومهر . كما برع في النحو واللغة والأصلين والمنطق ، وقرأ على تقي الدين بن تيمية عدة مصنفات في علوم مختلفة ، وأذن له في الإفتاء شاباً .

وتصدى للتدريس فى جملة مدارس ، ثم وفد إلى مصر مدعوا ، وولى التدريس بمدرسة السلطان حسن ، كما ولى مشيخة سعيد السعداء . وانتفع بعلمه جمهور من فضلاء الطلبة المصريين . ثم ولى قضاء الحنابلة بدمشق عام ٧٦٧ هـ . ومات قاضياً.

ومن مصنفاته : كتاب المناقلة فى الأوقاف ، وما فى ذلك من النزاع والخلاف. وله فتاوى خاصة منها : جواز بيع الوقف عند الحاجة ، والقصد المفيد فى حكم التوكيد. وله فتاوى اختيارية .وكان ينظم الشعر. وكانت وفاته بمنزله بالصالحية فى رجب عام ٧٧١ هـ — ذكره الذهبى فى معجمه .

« الدرر ج ١ رقم ٣٣٤ — الشذرات ج ٦ ص ٢١٩ »

٣٥٧ — تاج الدين السبكى . هو المؤرخ البارع العلامة عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى بن على بن تمام .صاحب طبقات الشافعية المشهور، ووالده الإمام العالم المجتهد تقى الدين بن السبكى . وهو من أسرة مباركة طيبة لها القدم الراسخة فى العلم والأدب والتاريخ . وكان تاج الدين شافعى المذهب كأبيه ، وقد نشأ نشأة علمية قوية ، وطلب الفقه على أبيه ، وعلى غيره ، وسمع الحديث من كثيرين ، كما درس العربية والأصول . وأجاد فى نظم الشعر وكتابة النثر ، وفى الخط . ومن شيوخه جلة من الأفاضل منهم: المزى والذهبى وتقى الدين بن رافع . وأجيز بالدرس والإفتاء. وأجازه شيخه شمس الدين بن النقيب بهما قبل سن العشرين ، وقد برع تاج الدين فى المذهب حتى اعتبر نفسه مجتهد عصره .

وقد ولى مناصب متعددة منها :توقيع الدست بدمشق ، وكذلك خطابة جامعها ، وناب عن قضاتها أيام أبيه ، ثم آل إليه أمر هـــذا القضاء . ووقع له بسببه محنة وجفاء بينه وبين الشيخ سراج الدين البلقينى الذى وليه فى قضاء دمشق، إذ اتهم بتبذير بعض المال ،فحكم عليه البلقينى بالسجن سنة .. ولكنه أعيد للقضاء بعد مدة .

وقد زاول تاج الدين تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية ، كما درس فى غيرها من مدارس دمشق . كان ذا هوى وشغف بالتأليف مبكرا فى نحو سن العشرين. ورزق التوفيق فى مؤلفاته، فأقبل الناس على دراستها فى حياته . كما انعقدت آصرة

المودة بينه وبين كثيرين من علماء العصر وأدبائه ومنهم صلاح الدين الصفدى الأديب المؤرخ . وتجد كثيراً من أخباره معهم ومراسلاته إليهم ورسائلهم إليه، فى طبقاته . كما أنه فى تراجمه التى أثبتها فى هذه الطبقات ينزع أحيانا نحو النقد وتسجيل النصوص الشعرية والنثرية والفقهية ، وهذه إحدى محامده .

ومن تصانيفه : كتب الطبقات وهى فى طبقات رجال الشافعية — من مبدأ ظهور المذهب ، إلى أيام المؤلف . وهى ثلاث طبقات : كبرى ووسطى وصغرى . وكبرى هذه الطبقات متداولة مشهوره فى عصرنا . وسنتحدث عنها فى الفصل الآتى .

ومن مؤلفاته أيضا : جمع الجوامع فى أصول الفقه ، وهو ملخص . ومنع الموانع وهو شرح للكتاب السابق . والأشباه والنظائر فى الفقه . ومعيد النعم ومبيد النقم ، وهو فى الطريقة التى يسلكها مسلوب النعمة ، لإعادتها . وتوشيح التصحيح وهو فى أصول الفقه . وشرح مختصر ابن الحاجب . وشرح منهاج البيضاوى . وغير ذلك .

وقد كان مولده بمصر عام ٧٢٧ هـ ، وتوفى فى ٧ ذى الحجة سنة ٧٧١هـ بدمشق ، وكان كريما مهيبا سمحا .

«الدرر ج ٢ رقم ٢٥٤٧ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٤٢ — الشذرات ج ٦ ص ٢٢١ حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٠»

٣٥٨ — جمال الدين الإسنوى الشافعى : هو عبد الرحيم بن الحسن بن على شيخ الشافعية فى زمانه . ولد بإسنا فى ذى الحجة سنة ٧٠٤ هـ وقدم القاهرة سنة ٧٢١ هـ . فطفق يتفقه ويسمع الحديث على شيوخه . فأخذ الفقه عن قطب الدين السنباطى والجلال القزوينى ، ومجد الدين الزنكلونى ، وسمع الحديث من الدبوسى وعبد القادر بن الملوك والحسن بن أسد بن الأثير وعبد المحسن بن الصابونى وغيرهم . ودرس العربية على أبى الحسن النحوى وأبى حيان وسواهما . وقد برع فى كل أولئك ومهر فى الأصول والعروض كذلك . وظهر نجمه وعلا كعبه واشتهر فضله ، فولى الوظائف السنية وصنف المصنفات القيمة . وكان فقيها ماهراً ومعلماً مرشدا فصيح العبارة .

فما وليه : وكالة بيت المال والحسبة. والتدريس بالمدرسة الملكية والأقبغاوية والفاضلية .ودرس التفسير بالجامع الطولونى .

ومن مصنفاته : طبقات الشافعية ، وهو مشهور نافع . والمهمات . والتنقيح . والتمهيد . والكوكب . والهداية إلى أوهام الكفاية . وزائد الأصول . وتلخيص الرافعى الصغير ، لم يتم : والأشباه والنظائر لم يبيضه ، والبدور الطوالع فى الفروق والجوامع لم يبيضه . وتناقض البحرين . وشرح المنهاج للنووى ، لم يتمه . وشرح المنهاج للبيضاوى : وأحكام الخنانى . وشرح عروض ابن الحاجب . والزوائد على منهاج البيضاوى . والرياسة الناصرية فى الرد على من يعظم أهل الذمة واستخدمهم على المسلمين . وشرح ألفية ابن مالك ، كتب منه ست عشرة كراسة . وشرح جزءا من التسهيل .

هذا وقد تخرج به كثير من أفاضل العلماء والطلاب . وقد نظم الشعر .

وكانت وفاته فى ليلة الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٧٢ هـ(١) ودفن بجنازة حافلة . وقد رثاه شاعر العصر برهان الدين ابراهيم القيراطى بقصيدة طويلة جيدة قال فى مطلعها :

نعم قبضت روح العلا والفضائل ... بموت جمال الدين صدر الأفاضل

تعطل من عبد الرحيم مكانه ... وغيب عنه فاضل أى فاضل

« الدرر ج ٢ رقم ٢٣٨٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠١ — طبقات الشافعية للاسنوى — الشذرات ج ٦ ص ٢٢٣ »

٣٥٩ — بدر الدين النابلسى : الحسن بن محمد بن صالح بن محمد ، القرشى الحنبلى . ولد فى أول القرن السابع الهجرى ، وتتلمذ فى القاهرة لكثير من أئمتها فى الحديث وغيره ، وكذلك فى دمشق وغيرها . ومن أساتذته أبو حيان . وبرع فى علوم عدة . قيل ولى إفتاء دار العدل ، وزاول تدريس فقه الحنابلة : بمدرسة أم الأشراف بالتبانة .

قيل : جمع مؤلفات عدة ، منها : الغيث السكاب ، وشرح اللمحة لأبى حيان ، ودون معجما لشيوخه . وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٧٧٢ هـ . « الدرر ج ١ رقم ١٥٥٦ »

(١) روى الجلال السيوطى أن وفاته فى سنة ٧٧٧ هـ .

٢٦٠ — بدر الدين البشتاكى : أبو محمد حسن بن محمد الحنفى كان مفتيا لدار العدل بحلب. ولبث بالقاهرة زمنا، ثم رحل إلى حلب فولى الإفتاء بها وزاول التدريس. ومات سنة ٧٧٢ هـ. « الدرر ج ٢ رقم ١٥٦٧ »

٣٦١ — سراج الدين الهندى الحنفى : هو عمر بن اسحق بن أحمد الغزنوى. قدم إلى القاهرة قبل سنة ٧٤٠ هـ. وكان فقيها بارعا عالما بالأصليين والمنطق والتصوف والحديث.

وقد ناب فى الحكم مدة، ثم ولى قضاء الحنفية سنة ٧٦٩ هـ. وولى جملة أوقاف ودرس التفسير بالجامع الطولونى.

ومن مصنفاته : شرح المغنى فى أصول الفقه. وشرح البديع لابن الساعاتى. وشرح الهداية وهو مطول ولم يتمه. وشرح تائية ابن الفارض.

وكانت وفاته فى ٧ رجب عام ٧٧٣ هـ.

« الدرر ج ٣ رقم ٣٦٦ — وروى صاحب الدرر أنه ذكره فى كتابه : قضاة مصر — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٢ الشذرات ج ٦ ص ٢٨٨ »

٣٦٢ — بهاء الدين السبكى : هو أبو حامد أحمد بن على بن عبد الكافى بن على بن تمام. وأبوه تقى الدين السبكى الإمام المشهور.

وقد ولد بهاء الدين فى سنة ٧١٩ هـ[١] وتفقه على أبيه وعلى غيره من أئمة زمانه، وسمع الحديث ودرس العربية، والقراءات، فى دمشق وغيرها. ومن جملة شيوخه الحجار، ويونس الدبوسى وبدر الدين بن جماعة والجزرى والمزى وأبى حيان وتقى الدين بن الصائغ. وقد برع بهاء الدين فى سن العشرين وذاع فضله وثبوت قدم فى جملة علوم منها الفقه وفنونه العربية. ونظم الشعر، مع تقوى وصلاح وجود وجاه وأدب جم.

وقد تقلبت به الحياة، وولى وظائف ومدارس عدة، منها التدريس فى المدرسة المنصورية وجامع الشافعى، وجامع الحاكم بأمر الله، ثم بالشيخونية.

وولى الإفتاء بدار العدل، وقضاء الشام سنة بعد عزل أخيه تاج الدين صاحب الطبقات منه، ودرس كذلك بالجامع الطولونى معيدا ومدرسا

(١) فى الشذرات : ولد سنة ٧١٧ هـ.

للتفسير وبالمدرسة السيفية ، وغير ذلك . وحج أكثر من مرة .

ومن مصنفاته : عروس الأفراح وهو شرح تلخيص المفتاح . وتعليق على الحاوي . وشرح جزءا من شرح أبيه على المنهاج . وشرح جزءا من مختصر ابن الحاجب.

وقد توفى بمكة ليلة ١٧ رجب سنة ٧٧٣ ﻫ . وقد رثاه برهان الدين القيراطي بقصيدة حسنة قال فى مطلعها :

ستبكيك عينى أيها البحر بالبحر　　فيومك قد أبكى الورى من ورا النهر

لقد كنت بحرا للشريعة لم تزل　　تجود علينا بالنفيس من الدر

« الدرر ج ١ ص ٢٠٤ — الطبقات ج ٦ ص ١٤٦ فى ترجمة والده — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٤ — الشذرات ج ٦ ص ٢٢٦ »

٣٦٣ — شرف الدين الزهوني[1] : يحيى بن عبد الله المالكي . كان من أئمة المالكية : وهو مغربي الأصل ، قدم إلى الديار المصرية وزاول تدريس الحديث وغيره بالقاهرة ، بالشيخونية والصرغتمشية . وأفتى وخرج وصنف . وتوفى فى ٣ شوال عام ٧٧٣ ﻫ .

« الدرر ج ٤ ص ١١٦٤ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٧ الشذرات ج ٦ ص ٢٣٠ »

٣٦٤ — ناصر الدين بن العتال[2] : محمد بن محمد بن أحمد، ويشتهر بابن الصفي الدمشقي . ولد فى فى ربيع الأول سنة ٦٩٠ ﻫ عاش فى دمشق ودرس فقه الحنفية وبرع فيه حتى أذن له فى الفتوى والتدريس. كما برع فى النحو . غير أنه اشتهر بإجادة الحساب والمساحة ، حتى صار فاضل عصره فى ذلك وقصد للاستفادة منه . وتوفى فى حلب فى ربيع الآخر سنة ٧٧٤ ﻫ [3]

« الدرر ج ٤ رقم ٤٤٧ ـ الشذرات ج ٦ ص ٢٣٥ »

---

١ ـ الزهوني: قال فى حسن المحاضرة « الرهوني » . وفى الدرر « الدهوني » وصحح فى هامش الدرر فقيل : الزهوني بالزاي والراء . نسبة الى زرهون ، جبل قرب فاس . هكذا رواه صاحب شذرات أيضا .

٢ — فى هامش الدرر : القتالى بالقاف ٣ — وقيل ٧٧٥ ﻫ.

٣٦٥ — تقي الدين أبو المعالي بن رافع : محمد بن رافع بن أبي محمد هجرس ابن محمد بن شافع السلامي . المحدث المشهور ، المصري المولد والمنشأ نزيل دمشق . ولد في ذي القعدة — وقيل في ذي الحجة — عام ٧٠٤ هـ وسمع الحديث من حسن سبط زيادة ، ومن ابن الصواف ، وابن القيم والقطب الحلبي وابن سيد الناس وغيرهم . وأجاز له كثيرون وسمع من حفاظ دمشق : الذهبي والمزي والبرزالي . وبعد طواف سكن دمشق سنة ٧٣٩ هـ واشتغل بالتدريس بدار الحديث النووية وبالفاضلية.

ومن مؤلفاته : معجم شيوخه . وتذييل على تاريخ بغداد لابن النجار . وتذييل على كتاب الوفيات للبرزالي . توفي بدمشق عام ٧٧٤ هـ . في جمادى الأولى . ودفن بباب الصغير .

(الدرر ٣ رقم ١١٧٦ — الشذرات ج ٦ ص ٢٣٤)

٣٦٦ — عماد الدين بن كثير : هو الحافظ العلامة المؤرخ ، أبو الفداء اسماعيل ابن عمر بن كثير بن ضوء ، القرشي البصري الدمشقي الشافعي .

ولد في نحو سنة ٧٠٠ هـ وقدم إلى دمشق في سن السابعة تقريبا . وحفظ كتبا في علوم عدة منها التنبيه ومختصر ابن الحاجب ودرس الفقه على برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين بن قاضي شهبة . وسمع الحديث حتى تخرج فيه وعد من الحفاظ ، وقد لازم فيه الحافظ الكبير يوسف المزي . وتزوج ابنته . واتصل بتقي الدين بن تيمية ، وفتن بحبه ، وأفتى برأيه في الطلاق ، وأسيء إليه بسببه .

قيل : « وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير » . وقعد للتدريس وأخذ عنه كثيرون ، ومنهم من برع وصار في عداد الأفاضل كابن حجي .

وقد اشتغل بالتصنيف في التاريخ والتفسير والحديث ، والأحكام . وذاعت مؤلفاته في حياته وانتفع بها الناس . ومنها : البداية والنهاية ، وهو كتاب مطول في التاريخ العام ، في عشرة مجلدات . وتفسير القرآن في أكثر من عشرة مجلدات وجامع المسانيد والسنن ، وهو في رواة الحديث . والاجتهاد في طلب الجهاد ، وهو حث على القتال في سبيل الله ، وفيه نبذ تاريخية مناسبة . وله كتاب في

الأحكام لم يكمل ، وصل فيه إلى الحج : واختصر تهذيب الكمال وسماه « التكميل ». وخرج أحاديث أدلة التنبيه ، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي . وله طبقات الشافعية . وشرع فى شرح البخارى .

ذكره الذهبي فى معجمه . وابن قاضى شهبة فى طبقاته . وابن حجى تلميذه . وابن حبيب .

وكانت وفاته فى دمشق فى ١٥ شعبان سنة ٧٧٤ هـ .

« الدرر جـ ١ رقم ٩٤٤ — شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٣١ — مفتاح السعادة جـ ١ ص ٢٠٤ طبقات الحفاظ للذهبي جـ ٣ — جورجى زيدان جـ ٣ ص ١٩٣ »

٣٧٣ — محي الدين القرشي الحنفي : هو أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد ابن نصر الله ابن سلام [1] . درس الفقه وطلب الحديث ومهر فيهما . واشتغل بالتدريس والإفتاء وصنف كتبا . ومن تصانيفه : طبقات الحنفية . تخريج أحاديث الهداية . وشرح معانى الآثار . وشرح الخلاصة .

ولد فى سنة ٦٧٠ هـ ومات فى ربيع الأول سنة ٧٧٥ هـ .

« الدرر جـ ٢ رقم ٢:٧٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٢ »

٣٧٤ — بدر الدين المخزومى ، ويشتهر بابن الخشاب : هو أحمد بن عيسى ابن عمر بن خالد ، المخزومى المصرى الشافعي . ولد سنة ٦٩٨ هـ وقد جد فى طلب الحديث والفقه حتى غدا فيهما علماً يشار إليه . وتتلمذ له فى الحديث الحافظان زين الدين العراقى وولده ولى الدين أبو زرعه . وغيرهما من الأفاضل . وزاول الفتوى والتدريس والإفادة .

وولى بعض الوظائف ومنها نيابة الحسبة بالقاهرة ، وقضاء المنوفية ، وناب فى الحكم بالقاهرة ثم ولى قضاء حلب ثم عاد إلى نيابة القاهرة . وكان قد ولى قضاء المدينة ، ثم مرض فعاد إلى القاهرة فتوفى قريبا من الأزلم بطريق الحجاز فى ربيع الأول سنة ٧٧٥ هـ وقيل فى غير هذه السنة .

« المنهل جـ ١ — الدرر جـ ١ رقم ٥٩٥ — الشذرات جـ ٦ ص ٢٣٧ »

---

(١) فى الدرر : ابن سالم

٣٧٥ — أرشد الدين السرائى الحنفى : هو محمود بن قطلوشاه . كان بارعا فى العلوم العقلية والأصول والعربية والطب والمنطق والفقه .

قدم إلى بلاد الشام واشتغل بالتدريس فتخرج به أفاضل من العلماء . وقدم إلى القاهرة تولى المدرسة الصرغتمشية بعد قوام الدين الإتقانى .

توفى فى رجب عام ٧٧٥ هـ .

« الدرر ج ٤ رقم ٩٠٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٢ — الشذرات ج ٦ ص ٢٣٩ »

٣٧٦ — جمال الدين السرمرى : هو يوسف بن محمد مسعود بن محمد ، العبادى الحنبلى العقيلى نزيل دمشق . ولد سنة ٦٩٦ هـ وسمع الحديث ببغداد ودمشق ، ودرس العربية والفرائض ، وبرع فى ذلك ، ونظم الأراجيز فى عدة فنون .

وقد صنف مؤلفات كثيرة فى علوم شتى قيل تزيد على المائة منها : نشر القلب الميت بفضل أهل البيت . وغيث السحابة فى فضل الصحابة . وعقود اللآلى فى الأمالى . وعجائب الاتفاق . ونظم مختصر ابن رزين فى الفقه .

وكانت وفاته فى ٢١ جمادى الأولى سنة ٧٧٦ هـ بدمشق .

« الدرر ج ٤ رقم ١٣٠٣ — الشذرات ج ٦ ص ٢٤٩ »

٣٧٧ — شمس الدين بن الصائغ النحوى الحنفى : محمد بن عبد الرحمن بن على ابن أبى الحسن الزمردى : ولد قبل سنة ٧١٠ هـ ، وقد اشتغل بطلب العلم فبرع فى اللغة والنحو والفقه ، آخذا عن كثيرين منهم الشهاب المرحل وأبى حيان والقونوى وفخر الدين الزيلعى ، وسمع الحديث من الدبوسى وأبى الفتح اليعمرى وابن الشحنة وولى عدة وظائف منها قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ، والتدريس بالجامع الطولونى وغيره . ومن مصنفاته : شرح مشارق الأنوار فى الحديث . الغمز على الكنز . وشرح ألفية ابن مالك . والتذكرة فى عدة مجلدات وشرح البردة . وقد توفى فى ٢٩ شعبان عام ٧٧٦ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ١٣٤٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٢ — الشذرات ج ٦ ص ٢٤٨ »

٣٧٨ — صلاح الدين بن المغربى : هو يوسف بن عبد الله الطبيب ، كان رئيس الأطباء بالقاهرة . ومات فى ذى الحجة سنة ٧٧٦ هـ

«الدرر ج ٤ رقم ١٢٧٠ — حسن المحاضرة . ح ١ ص ٢٦٢»

٣٧٩ — كمال الدين بن العجمى : أبو الفضل عمر بن إبراهيم بن عبد الله ابن محمد . أخذ عن شرف الدين البارزى بحماة. وفخر الدين بن خطيب جبرين بحلب. والبرهان الفزارى بدمشق. وشمس الدين الأصبهانى بمصر. وسمع الحديث من كثيرين منهم : أبو بكر بن العجمى والحجار وابن مزيز . ثم اشتغل بالفتوى والتدريس فدرس الحديث ، وأيضا درس الفقه فى المدرسة الظاهرية. وله يد طولى فى الفرائض والحساب . وصنف فى الفقه وغيره . وكان أديبا كريما ذا أخلاق محمودة . ولد سنة ٧٠٤ هـ ومات فى سنة ٧٧٧ هـ فى ربيع الأول . ذكره الذهبى فى معجمه ، وأثنى عليه ابن حبيب .

« الدرر ٣ رقم ٣٤٦ — الشذرات ج ٦ ص ٢٥٣ »

٣٨٠ — بهاء الدين السبكى : هو أبو البقاء محمد بن عبد البر بن الصدر يحيى ابن على بن تمام السبكى . قاضى القضاة الشافعى : أخذ عنه المجد الزنكلونى والقطب السنباطى والكتنانى وأبو حيان والقونوى والجلال القزوينى السبكى . وكان إماما فى علوم شتى . واشتغل بالتدريس فى مسجد الشافعى ، وولى قضاء الشافعية مدة فى مصر ، ثم بالشام . وقد ناب من قبل فى الحكم بدمشق ثم ولى قضاءها . وولى قضاء طرابلس . وعاد إلى القاهرة فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال

ومن مصنفاته : شرح الحاوى . اختصار قطعة من المطلب . ومصنفاته قليلة بالنسبة لسعة علمه. ذكره الذهبى فى معجمه وأثنى عليه ابن حبيب وكان مولده فى عام ٧٠٨ هـ وقيل ٧٠٧ هـ ووفاته بدمشق[1] فى ربيع الأول سنة ٧٧٧ ودفن بسفح قاسيون بتربة السبكيين — وهو غير بهاء الدين السبكى أبو حامد السابق ذكره

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٦ — الدرر ٣ رقم ١٣١٦ شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٥٤ »

---

١ — فى الشذرات : جمادى الأولى .

٣٨١ — بهاء الدين العثمانى المكى الشافعى : عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبى بكر بن خليل : نزيل القاهرة . كان فقيها زاهدا ، طلب الحديث وعنى به حتى عد من حفاظه . سمع الحديث وتفقه بمكة ثم بدمشق ودخل مصر فاستوطنها وقعد للإسماع أخيراً مع تقوى وزهد .

وكان مولده فى سنة ٦٩٤ هـ بمكة . ووفاته فى ٣ جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ بالقاهرة .

« حسن المحاضرة ج١ ص ١٦٧ — الشذرات ج ٦ ص ٢٥٢ — الدرر ج ٢ رقم ٢٢١١ »

٣٨٢ — برهان الدين الأخنائى المالكى : وهو ابراهيم بن محمد بن أبى بكر ابن عيسى كان فقيها بارعا فى مذهبه ، قويا فى الحق صريحا مهيبا . ولى الحسبة والخزانة وناب فى الحكم ، ثم ولى قضاء المالكية زمنا . وصنف مختصرا فى الأحكام . ومات فى رجب سنة ٧٧٧ هـ .

« الدرر ج١ رقم ١٥٦ — حسن المحاضرة ج١ ص ٢١٧ »

٣٨٣ — ابن حجر العسقلانى : والد مؤلف الدرر الكامنة ، وهو على بن محمد ابن محمد بن على بن أحمد بن محمود بن حجر العسقلانى المصرى الكنانى الشافعى سمع من ابن سيد الناس ، واشتغل بالفقه والعربية ، ومهر فى الأدب ، وقال الشعر وله مدائح نبوية فى مجلدة . وله استدراك على كتاب الحاوى ولد سنة ٧٢٠ هـ تقريبا ، وتوفى عام ٧٧٧ هـ فى رجب . ذكره ابنه فى كتاب أنباء الغمر .

« المنهل ج ٢ — الدرر ٣ رقم ٢٦٦ — الشذرات ج ٦ ص ٢٥٢ »

٣٨٤ — علاء الدين بن الشاطر الموقت : هو على بن ابراهيم بن محمد بن الهمام الأنصارى الدمشقى ويعرف بالمطعم الفلكى كان موقتا بالجامع الأموى . وقد برع فى تطعيم العاج ، وعلم الهيئة والحساب والهندسة . ورحل فى سبيل علمه هذا إلى مصر والإسكندرية . ومن مؤلفاته : كتاب فى الزيج ، مشهور باسمه . وله كتب فى النجوم والجغرافية والرياضيات وغيرها . وله أعمال فنية عجيبة . وكانت وفاته فى عام ٧٧٧ هـ

« شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٥٢ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥١ »

٣٨٥ — محمد بن منكلى : كان نقيباً للجيش فى زمن السلطان الأشرف شعبان أى بين سنتى (٧٦٤هـ : ٧٧٨ هـ) ومن تصانيفه كتاب الأحكام الملوكية. والضوابط الناموسية ، وهو فى فن القتال قسمه إلى ١٢٢ بابا وتحدث فيه عن السفن الحربية وحركاتها واستخدام المدافع والزرافات إلى غير ذلك . — وله مؤلفات أخرى .

« جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٤ »

٣٨٦ — ابن أميلة : عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة المراغى الحلبى الدمشقى المزى ، ويشتهر بابن أميلة . ولد فى رجب عام ٦٧٢ هـ[1] وقد أولع بطلب الحديث فجد فيه على كبار حفاظه حتى غدا فيه إماما . وقعد للإسماع زهاء خمسين عاما . وكان إماما بجامع المزة : وتوفى فى ربيع الآخر عام ٧٧٨ هـ

(الدرر ج ٣ رقم ٣٧٧ — الشذرات ج ٦ ص ٢٥٨)

٣٨٧ — محب الدين الحلبى ناظر الجيش: وهو محمد بن يوسف بن أحمد أبن عبد الدائم ، الحلبى الأصل ، المصرى . ولد بالقاهرة[2] سنة ٦٩٧ هـ . وسمع الحديث من رشيد الدين بن المعلم وغيره . ودرس القراءات على تقى الدين الصائغ والعربية على أبى حيان ، وقرأ كتاب التلخيص فى علوم البلاغة على مؤلفه الجلال القزوينى . له شيوخ غير هؤلاء . وبرع فى النحو والعربية .

وقد ولى نظر الجيش بالديار المصرية فبز فى هذا المنصب من قبله من الرؤساء وقام بتدريس التفسير بالمدرسة المنصورية .

وقد ألف : شرح التسهيل . وشرح التلخيص . وكانت وفاته فى سنة ٧٧٨ هـ فى ١٢ ذى الحجة .

« الدرر ٤ رقم ٨١١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٧ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٥٩ »

٣٨٨ — بدر الدين بن حبيب الدمشقى الحلبى : هو أبو محمد الحسن بن عمر

---

(١) قال فى الدرر : ولد سنة ٦٧٩ هـ ووهم من أرخه بعد ذلك . وقال فى الشذرات نقلا عن البرزالى : ولد عام ٦٨٢ هـ — قال صاحب الشذرات وهو المعتمد .

(٢) هذا كلام ابن حجر — وروى السيوطى وصاحب الشذرات . أنه طلب العلم ببلاده — أى حلب ثم قدم القاهرة .

ابن حبيب بن عمر ولد بدمشق سنة ٧١٠ هـ ونشأ محبا للآداب ، فأخذها عن جمال الدين بن نباته وغيره ، وسمع الحديث من كثيرين وأجيز بالرواية وغلب عليه الأدب والتاريخ وألف فيها وبرع فى الكتابة الإنشائية وناب فى القضاء . وولى كتابة السر . ورحل إلى عدة بلاد منها القاهرة فى سنة ٧٣٦ هـ .

ومن مؤلفاته : درة الأسلاك فى دولة الأتراك — وكله مسجوع ، وهو فى تاريخ دولة المماليك إلى سنة ٧٧٧ هـ . ومن مات فى خلال ذلك من العلماء والأعيان . وتذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه — وهو فى تاريخ أسرة قلاوون والمسجع فى تاريخ الأمم من عرب وعجم ويهود وقبط وغير ذلك والنجم الثاقب فى أشرف المناقب وهو فى السيرة النبوية . والمقتفى فى ذكر فضائل المصطفى . وهو مختصر فى السيرة النبوية . ونسيم الصبا ، وهو مجموعة من الأشعار وفيها أشعار بديعية — هذا وسنشير إليه بكلمة فى الجزء الرابع .

وكانت وفاته فى ١١ ربيع الثانى فى سنة ٧٧٩ هـ .

« الدرر الكامنة ج ٢ رقم ١٥٤٢ شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٦٢ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٧٣ »

٣٨٩ — صلاح الدين قدامة المقدسى : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله . . . بن قدامة المقدسى الصالحى الحنبلى . ولد سنة ٦٨٤ هـ . وسمع الحديث من أئمة عصره ، ثم ولى الإمامة ، وطفق يسمع الناس والطلاب مايحفظ من حديث الرسول عليه السلام ، ويجيز بعضهم بالرواية . وما زال حتى صار مسند عصره ، وتخرج به كثيرون . ومات فى ٢٤ شوال سنة ٧٨٠ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٨١٧ — الشذرات ج ٦ ص ٢٦٧ »

٣٩٠ — ضياء الدين القزوينى القرمى الشافعى : هو عبد الله بن سعد الله ابن محمد بن عثمان . ويعرف بقاضى القرم العفيفى تفقه وسمع الحديث ، وقدم إلى القاهرة ، وظهر فضله وبرع فى الفقة والأصول والمعانى والبيان . وكان ذا لحية طويلة تصل إلى قدميه . مشيخة البيبرسية ، وتدريس الفقه بالشيخونية ، وحظى لدى

الأشرف شعبان فولاه مشيخة مدرسته، وسماع شيخ الشيوخ . وكان ينظم الشعر — توفى بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ٧٨٠ ﻫ .

« الدرر ج ٣ رقم ١٩٨٨ ورقم ٢١٤٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٢ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٦٦ »

٣٩١ — شمس الدين بن قاضى شهبة الأسدى : محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد . ولد سنة ٦٩١ ﻫ . ودرس الفقه على عمه كمال الدين ، والبرهان ابن الفركاح ، والنحو على عمه أيضاً كما سمع الحديث وما زال حتى تصد نفسه للتدريس فتوافد الطلاب على حلقته طبقة بعد طبقة ، وتخرج به الفحول مثل الشهاب ابن حجى . وولى نيابة الحكم مدة ، ودرس بأخرة فى المدرسة الشامية البدائية . وتوفى فى المحرم سنة ٧٨٢ ﻫ وهو جد الشيخ تقى الدين مؤلف طبقات الشافعية . وقد دفن بباب الصغير مع عمه كمال الدين .

« الدرر ج ٤ رقم ٣٠٧ — الشذرات ج ٦ ص ٢٧٦ »

٣٩٢ — شهاب الدين الأذرعى : هو أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد ابن عبد الواحـــد ، الشافعى ولد بأذرعات بالشام سنة ٧٠٨ ﻫ وسمع الحديث من الحجار والمزى . وتتلمذ فى الفقه على ابن النقيب وغيره . وطلب العلم بالقاهرة فتتلمذ لمجد الدين الزنكلونى وفخر الدين المصرى . ومازال جادا حتى برع وفاق فى علوم كثيرة ومنها الأدب . كما كان ينظم الشعر . وقد برح القاهرة إلى حلب فناب فى الحكم بها ثم هجره مفضلا طلب العلم .

ثم أقام القــاهرة ردحا من الزمان أقبل عليه فيه جمع من أفاضل المصريين فاستمعوا له ودرسوا عليه . وكان مكبا على جمع العلم وتصنيفه ليلا ونهاراً . وكان — وهو بحلب — يراسل تقى الدين السبكى بمسائل اجتمعت فيها جملة من الفتاوى عرفت بالمسائل الحلبيات .

ومما صنفه كذلك : جمع التوسط والفتح بين الروضة والشرح ، فى عشرين مجلدا . وشرح المنهاج فى كتابين مختلفين هما : غنية المحتاج ، وقوت المحتاج فى عشرة مجلدات وهو أكبر من الغنية ، هذا ومن شعره من قصيدة :

كم ذا برأيك تستبد ما هكذا الرأى الأسد
أأمنت جبار السما ومن له البطش الأشد

وكانت وفاته فى ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٨٣ هـ بحلب .

« الدرر جـ١ رقم ٣٥٤ ـ الشذرات جـ ٦ ص ٢٧٨ »

٣٩٣ ـ أكمل الدين البابرتى الحنفى : وهو الشيخ العلامة محمد بن شمس الدين محمد بن جمال الدين أبى الثناء محمود الرومى البابرتى . كان من كبار الأحناف ، بارعا فى علوم عدة منها : الفقه والتصوف وعلوم البلاغة والنحو . قال عنه السيوطى علامة المتأخرين وخاتمة المحققين »

وقد ولاه الأتابكى شيخو مشيخة الخانقاه الشيخونية أول افتتاحها ؛ كما وكل إليه نظر أوقافه . وكان ذا مهابة ومكانة ممتازة لدى أمراء الدولة وسلطانها برقوق . وقد عرض عليه قضاء الحنفية فأباه .

واشتغل بالتصنيف فى علوم عدة ، وأكثر مصنفاته شروح لمؤلفات سابقة ، فمنها شرح الهداية . وشرح مشارق الأنوار للصاغانى . وشرح البزدونى . وشرح مختصر ابن الحاجب ، وتلخيص المعانى والبيان ، والفية ابن معط ، وكتب حاشية على الكشاف وغير ذلك

ولد سنة بضع عشرة وسبعمائة ، وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ١٩ رمضان عام ٧٨٦ هـ ومات وله من العمر نحو ٧٥ سنة . ومشى فى جنازته السلطان برقوق ودفن فى الشيخونية بقبتها بجوار الأتابكى شيخو .

ورثاه ابن أبى حجلة المغربى ، من أبياته موريا :

شيخ يحسن بيانه وشروحه مابات بالمفتاح باب مقفل
ما قيل هذا كامل فى ذاته إلا وقلت الشيخ عندى أكمل

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٣ الشذرات جـ ٦ ص ٢٩٣ ـ ابن اياس جـ ١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ الدرر جـ ٤ رقم ٦٨٦ »

٣٩٤ — جمال الدين بن العديم : هو ابراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن محمد العقيلي الحلبي . وهو من أسرة ابن العديم المشهورة بحلب — كان —

ولد بحلب فى سنة ٧١١ هـ تقريبا . وسمع الحديث بحماة وتفقه . وما زال حتى ظهر فضله فناب فى الحكم عن والده بحلب ثم ولى قضاءها بعد وفاة أبيه سنة ٧٥٢ هـ وزاول التدريس بعدة مدارس ، وكان وقوراً ساكنا خبيرا بأحكام الشرع الشريف لطيف الحيلة فى قضائه عادلا ذا مكان عند الملوك والأمراء ، ساعيا فى خير الناس . وقد توفى فى ٢٦ المحرم سنة ٧٨٧ هـ .

« الدرر ج ١ رقم ١٧٢ — الشذرات ج ٦ص ٢٩٥ »

٣٩٥ — شهاب الدين بن المرحل : هو أحمد بن عبد العزيز بن يوسف بن أبي العز وقد نسب إلى صناعة أبيه وهى بيع رحال الجمال . وقد ولد سنة ٧٠٤ هـ وتتلمذ لأبى الحسن بن الصواف وزين الدين الكتانى وأثير الدين أبى حيان وغيرهم . وأجازه الدمياطى . وقد تحول إلى حلب فاستوطنها وأخذ الحديث عن بعض علمائها وقد عد فى المحدثين . وتوفى فى ٢١ ربيع الآخر سنة ٧٨٨ هـ . وقد سبق ذكر أخيه النحوي واسمه شهاب الدين بن المرحل أيضا .

« الدرر ج ١ رقم ٤٤٨ — الشذرات ج ٦ ص ٣٠٠ »

٣٩٦ — بدر الدين بن حنا : هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن على . وأبوه شرف الدين بن حنا ، وكلاهما من ذرية الصاحب بهاء الدين بن حنا . من أسرة ممتازة بالعلم والأدب والجاه وخدمة الدولة المصرية .

ولد فى نحو سنة ٧١٨ هـ وامتاز بالعلم والأدب والقدرة على النظم فأجاد القصائد والمقاطيع مع حدة نادرة وسرعة بادرة مع ولوعه بلعب الشطرنج . وقد ولى نظر المطابخ السكرية بمصر ودرس فى المدرسة الشريفية وتصدى للإفتاء وكان من أعيان علماء الشافعية . ومن مصنفاته : شرح قطعة من مقامات الحريرى : ولطيف المعانى وهو مختصر تلخيص المفتاح . وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٨ هـ

ومن شعره فى النيل مع التضمين :

قد قلت لما أن تزايد نيلنا أو كاد ينزل ذروة المقياس
يا نيل يا ملك المياه بأسرها ما فى وقوفك ساعة من باس

« الدرر ج ١ رقم ٦٤١ ابن إياس ج ١ — ص ٢٦٥ — الشذرات ج ٦ ص ٣٠١ »

٣٩٧ — شمس الدين القونوى : محمد بن يوسف بن الياس الرومى الحنفى . ولد سنة ٧١٠ ﻫ ونيف . ودرس الفقه فى بلاده ، وعنى بالحديث بعد ذلك . وقدم دمشق واستوطنها ، وطاف بالقاهرة والقدس وعاد إلى دمشق ، منقطعا ببستانه يعمل فيه بيديه هو وأبناؤه ويأكل من صنعهما ، عفاً زاهداً فى الوظائف ، مع تصديه للتدريس وتعليم الناس أمر دينهم، مجتهدا متبرعا بذلك لوجه الله تعالى لا يرجو أجراً جريئاً مفرطاً فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يبالى أن يحمل سلاحه فى سبيل ذلك ، وله فى هذا الميدان حوادث طريفة ، وكان كثير النصيحة شديدها لحكام زمانه ، وعلى الرغم من هذا كله كان عندهم ذا مكانة ومهابة .

ومن تصانيفه : الدرر وهو فى فقه الأئمة الأربعة . واختصار شرح صحيح مسلم للنووى . وشرح مجمع البحرين فى عشر مجلدات . — وكانت وفاته فى سنة ٧٨٨ﻫ .

« الدرر ج ٤ رقم ٨١٥ — الشذرات ج ٦ ص ٣٠٥ »

٣٩٨ — صدر الدين الياسوفى : هو سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبى الوفاء الشافعى . ولد سنة ٧٣٩ ﻫ تقريبا . وشب بالصالحية حيث قرأ القرآن وحفظ عددا من كتب العلم ، وأقبل على الفقه آخذاً من العماد الحسبانى وغيره . وحبب إليه الحديث ورحل فى سبيله إلى القاهرة ومصر وحلب ، وما زال حتى علا كعبه وتصدى للإفادة والتخريج والفتوى وزاول التدريس معاونا لطلابه . مع زهد عن الدنيا ومظاهرها. ورحل إلى دمشق فناصر الشيخ شهاب الدين بن البرهان ضد الملك الظاهر برقوق ، لأنه خلع الخليفة المتوكل على الله الأول ، وسجنه . فآل أمر الباسوفى إلى أن قبض عليه وأودع فى سجن القلعة بدمشق حيث مات فى ١٣ شعبان عام ٧٨٩ ﻫ .

« الدرر ج ٢ رقم ١٨٦٩ — الشذرات ج ٦ ص ٣٠٧ »

٣٩٩ — ناصر الدين بن عشائر الحلبي : هو أبو المعالى محمد بن على السالمى . ولد فى سنة ٧٤٢ هـ ، وأخذ عن التاج السبكى وغيره ، وله تاريخ ، ومجاميع وتعاليق . — وكان من حفاظ الحديث .

وكانت وفاته بمصر فى سنة ٧٨٩ هـ . « حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٠ »

٤٠٠ — علاء الدين السيرامى : أحمد بن محمد بن أحمد ، الحنفى . تفقه وبرع فى فقه الحنفية وأصوله ، ودرس علوم البلاغة حتى أصبح من أعلامها وأعلام المعقولات . قال فى الشذرات نقلا عن أنباء الغمر . « وكان إليه المنتهى فى علم المعانى والبيان » ونقله السيوطى .

وقد أقام مدة بماردين ثم حلب . حتى استدعاه سلطان مصر الظاهر برقوق ، إلى القاهره ليلى مشيخة الصوفية بمدرسته التى أنشأها بحى بين القصرين . وزاول فيها تدريس فقه الأحناف كذلك ، وقد انتفع به طلابه وتخرج به أفاضل ، مع تودد ومحبة ودين . ومات فى ٣ جمادى الأولى عام ٧٩٠ هـ

« الدرر ج ١ رقم ٧٨٣ — الشذرات ج ٦ ص ٣١٣ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٢ »

٤٠١ — برهان الدين بن جماعة : هو أبو اسحق إبراهيم بن عبد الرحيم ابن محمد بن سعد الله بن جماعة ، من أسرة ابن جماعة المشهورة التى خدمت العلم والأدب والقضاء زمنا طويلا .

ولد بمصر سنة ٧٢٥ هـ وطلب العلم وسمع الحديث من أبيه وعمه ، ومن كثير من شيوخ مصر ومنهم يحيى بن المصرى ويوسف الدلاصى . ورحل إلى الشام فلازم بها المزى والذهبى .

ثم ولى الخطابة ببيت المقدس ، واشتغل بالتدريس ، ثم ولى قضاء مصر ، فسار فيه سيرة حسنة بعدالة ومهابة ، وحظى لدى سلطان مصر . . حتى أنه عزل نفسه مرارا والسلطان يرجوه فى العودة قال ابن حجر : « وإليه انتهت رياسة العلماء فى زمانه » وبعد مدة عزل وعاد إلى القدس ، ثم ولى قضاء الشام . وتوفى فى شعبان عام ٧٩٠ هـ بالمزة .

وكان محبا لاقتناء الكتب ، جمع منها كتبا نفيسة بخط مؤلفيها . كما أنه جمع تفسيرا للقرآن فى عشرة مجلدات.

« الدرر ج ١ رقم ٩٥ — الشذرات ج ٦ ص ٣١١ »

٤٠٢ — شمس الدين بن سند المصرى اللخمى : وهو محمد بن موسى بن محمد ابن سند بن نعيم ، أحد حفاظ الحديث ، وهو شامى الأصل ويعرف بابن سند. ولد فى ربيع الآخر سنة ٧٢٩ هـ وطلب الفقه ، ثم يمم شطر القاهرة وأخذ عن شيوخها علوما كالجمال الإسنوى والتاج السبكى والتاج المراكشى ، وغيرهم . وسمع الحديث من أهله ، وقرأه بنفسه . ونبغ حتى عد فى الحفاظ .

وولى مشيخة الحديث بدمشق وخرج وألف . وكانت وفاته فى صفر عام ٧٩٢ بدمشق ودفن فى مقبرة الصوفية.

« الدرر ٤ رقم ٧٤٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٨ — الشذرات ج ٦ ص ٣٢٦ »

٤٠٣ — زيد الدين القرشى أبو حفص بن مسلم بن سعيد بن عمر الكتانى القرشى ولد فى شعبان سنة ٧٢٤ هـ وعاش فى دمشق زمنا . وطلب العلم وسمع الحديث وتفقه حتى نبغ . قال عنه شهاب الدين بن حجى : « كان بارعا فى التفسير يحفظ المتون ويعرف أسماء الرجال ويشارك فى العربية » . وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، محبا لاقتناء الكتب . معينا لطلاب العلم

وقد تصدى للإفادة والتدريس ، فزاوله بالمدرسة الناصرية ، والمدرسة الأتابكية وغيرهما واشتغل بالخطابة والوعظ وولى الحديث الأشرفية . وقد اعتقله الظاهر برقوق بقلعة دمشق وصادره هو وابنه — لما عاد إلى ملكه — ويبدو أنهما كانا قد ظاهرا عليه . فمات زيد الدين معتقلا فى ذى الحجة سنة ٧٩٢ هـ . ودفن بالقبيبات .

« الدرر ٣ ص ٤٧١ — الشذرات ج ٦ ص ٣٢٣ »

٤٠٤ — بدر الدين الزركشى : محمد بن بهادر بن عبد الله التركى الأصل المصرى الشافعى ولد عام ٧٤٥ هـ وعنى بالاشتغال بالعلم من صغره فحفظ كتبا وأخذ عن جمال الدين الاسنوى وسراج الدين البلقينى . وهو أول من جمع حواشى

الروضة للبلقينى سنة ٧٦٩ ه. وعنى بالفقه والأصول والحديث . وألف مؤلفات عدة وشرح كتبا كثيرة فأكمل شرح المنهاج ورحل إلى دمشق فأخذ عن ابن كثير فى الحديث. ثم ذهب إلى حلب فأخذ عن الأذرعى . وجمع فى الأصول كتابا سماه «البحر» فى ثلاثة أسفار. وشرح «علوم الحديث لابن الصلاح. وشرح «جمع الجوامع» للسبكى. وشرع فى شرح صحيح البخارى. وفى تفسير القرآن فوصل إلى مريم. وشرح التنبيه والبرهان فى علوم القرآن. وغير ذلك. وكان منقطعا فى منزله لا يتردد إلى سوق الكتب. ومات سنة ٧٩٤ ه فى ٣ رجب ودفن بالقرافة الصغرى.

« الدرر ج ٣ رقم ١٠٥٩ — حسن المحاضرة ١ ص٢٠٦ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٣٥ ج ٦ ص ٣٣٥ »

٤٠٥ — شهاب الدين الزهرى: أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب البقاعى الدمشقى الشافعى. ولد سنة ٧٢٤ ه أو نحوها وتوجه إلى دمشق فسمع الحديث من البرزالى والمزى وغيرهما ودرس الفقه حتى تمكن منه ثم زاول التدريس بالمدرسة القليجيه ثم العادلية والشامية البرانية، وولى الافتاء بدار العدل. وتصدى لتدريس الفقه وأخذه عنه كثيرون. وما زال حتى قيل: انتهت إليه رياسة الفقه والفتوى بدمشق. ومات بها فى المحرم سنة ٧٩٥ ه.

«الدرر ج ١ رقم ٤٠٠ ـ الشذرات ج٦ ص ٣٣٧»

٤٠٦ — ناصر الدين الكنانى العسقلانى الحنبلى: هو أبو الفتح نصر الله بن أحمد. نبغ فى فقه الحنابلة وناب فى الحكمة بمصر عن القاضى موفق الدين الحنبلى صهره ثم استقل بالقضاء بعده ستا وعشرين سنة. وكانت وفاته فى شعبان عام ٧٩٥ ه. بالقاهرة وكان مهيبا عفيفا.

« الدرر ج رقم ١٠٦٨ — حسن المحاضرة ج ١ ٢٢٨ « شذرات الذهب ج ٦ ص٣٤٣ »

٤٠٧ — الرئيس علاء الدين بن صغير: على بن عبد الواحد بن محمد، أحمد

الأطباء المشهورين قال السيوطى : كان أعجوبة الدهر فى الفن ولى رياسة الطب طويلا ، وله فيه المعرفة التامة ، قيل كان يصف الدواء الواحد للمريض الفقير بما يساوى درهما ، وللغنى بما يساوى ألفا . وقال المقريزى نحو ذلك وفى سنة ٧٩٥ ﻫ حضر إلى سلطان مصر برقوق ، رسول من لدن السلطان بايزيد بن مراد العثمانى يطالب إليه أن يرسل له طبيبا ممتازاً فى مرض المفاصل، لأنه كان مريضاً به، فأرسل إليه الرئيس علاء الدين بن صغير ومعه مايحتاج إليه من العقاقير .

وقد صحب ابن صغير السلطان برقوقا فى رحلته إلى حلب ، فمات فى ذى الحجة عام ٧٩٦ ﻫ — يبدو أنه توفى فى الطريق — ثم حمل إلى القاهرة فدفن بها وكان مولده بها أيضا .

« المنهل ج ٢ — ابن اياس ج ١ ص ٣٠٠، ٣٠٣ — الدررج٣ رقم ١٦٥ — حسن المحاضرة ج١ ص ٢٦٢ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٤٦ »

٤٠٨ — شمس الدين الأقصرائى : محمد بن إبراهيم ، العلامة ، الحنفى أصله من أقصراى مدينة ببلاد الروم . قدم إلى البلاد المصرية فى أيام يلبغا الخاصكى وحسنت صلته بالسلطان الملك الظاهر برقوق . وكان غزير العلم واسع المعرفة . تولى التدريس بالمدرسة الأيتمشــــية بباب الوزير . وهو والد العالم الجليل الشيخ أمين الدين الأقصرائى . وقد توفى فى ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٩٧ ﻫ .

« المنهل ج ٢ — الشذرات ج ص ٣٥٢ »

٤٠٩ — شرف الدين الغزى : عيسى بن عثمان بن عيسى بن غازى . ولد قبل سنة ٧٤٠ ﻫ ، وقدم إلى دمشق طالبا للعلم فتتلمذ لابن قاضى شهبه والعماد الحسبانى والشمس الغزى ، والعلاء بن حجى ، ولازم الشيخ تقى الدين السبكى ، ورحل إلى طرابلس ومصر وأخذ عن الأئمة فيهما . ثم تصدى للفتوى والتأليف ، وناب فى الحكم مدة .

ومن مصنفاته : شرح المنهاج وهو ثلاثة : كبير ومتوسط وصغير . واختصار الروضة مع زيادات من عنده . واختصار المهمات . وكتاب آداب القضاء .

ومدينة العلم وهو تعقب على كتاب المهمات . وتلخيص زيادات الكفاية على الرافعي . وغير ذلك .

وكانت وفاته في رمضان سنة ٧٩٩ هـ .

« الدرر ج ٣ رقم ٤٩٩ — الشذرات ج ٦ ص ٣٦٠ »

٤١٠ — برهان الدين بن علوان : هو أبو اسحق ـ وأبو الفداء ابرهيم ابن احمد ابن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن علوان التنوخي البعلي الدمشقي ، نزيل القاهرة. ولد سنة ٧٠٩ هـ وطلب الحديث فرواه عن كثيرين وأجازوه ، ومنهم اسماعيل ابن يوسف بن مكتوم ، وعنى بالقراءات فدرسها على أبي حيان وغيره . وبالفقه فتتلمذ فيه على ابن القماح بالقاهرة ، وعلى غيره . وأذن له بالفتوى والإقراء والتدريس ومازال حتى أصبح في زمانه شيخا للديار المصرية في القراءات والإسناد . وقد توفي في جمادى الأولى سنة ٨٠٠ هـ

« الدرر ج ١ رقم ١٤ ـ الشذرات ج ٦ ص ٣٦٤ »

٤٠٦ — سيف الدين السيرامي : هو محمد بن عيسى : نشأ بتبريز ثم قدم إلى حلب ودخل البلاد المصرية ، وولي مشيخة البرقوقية ثم الشيخونية . ومات في ربيع الأول ٨٠١ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٣ »

٤٠٧ — خليل بن عثمان عبد الرحمن بن عبد الجليل : هو الشيخ أبو الصفا القرافي المصري المقرىء الحنبلي . ويعرف بالمشبب . ولد سنة ٧١٥ هـ تقريبا . عنى بدراسة القراءات ، حتى مهر فيها وبرع واشتهر ، مع ورع وزهادة. وتخرج به طلاب مشهورون بحسن القراءة ومنهم الزرزاري وابن الطباخ . ويقال إنه كانت له قراءة خاصة معروفة في زمانه . وألف في النحو كراسا .

وقد مات سنة ٨٠١ هـ . في ربيع الأول ـ قال السخاوي : ذكره . المقريزي في عقوده . وابن حجر في معجمه وأنبائه وابن سراج الدين وابن الملقن في طبقات القراء .

« الضوء اللامع ج ٣ رقم ٧٥٨ حسن المحاضرة ج ١ رقم ٢٤١ »

٤٠٨ — بدر الدين الكلستانى الحنفى : هو أبو الثناء محمود بن عبدالله ، الصرائى القاهرى . ويعرف بالكلستانى — بضم الكاف واللام — لأنه كان فى مبدأ أمره يكثر من قراءة كتاب السعدى العجمى الشاعر المسمى كلستان . . ومعناها بالتركى والعجمى : حديقة الورد — قاله السخاوى .

أخذ فى الدرس ببلاده ، ثم قدم بغداد فدمشق فمصر . ثم عاد إلى بلاد الشام مع الأمير الطنبغا الجوبانى نائبها . فولى أمر التدريس بالمدرسة الظاهرية ، وأمر المشيخة الأسدية ، ودرس بالجامع الأموى . ثم عاد لمصر فى عهد برقوق ، فتولى التدريس بالشيخونية والصرغتمشية . وصحب برقوقا إلى حلب . فعينه كاتبا لسره بعد وفاة بدر الدين بن فضل الله العمرى فى شوال عام ٧٩٦ هـ . وقد أثرى من وراء ذلك ونبهت مكانته .

وكان حسن الخط مشاركا فى النظم والنثر . وكان فصيحاً ذكيا ، خبيراً باللغة العربية والفارسية والتركية .

قيل إنه كان به طيش . وكان بخيلا ، وكان فقيرا فى أول أمره ، فلما مات خلف أموالا طائلة .

وأراد الكلستانى أن يغير مصطلح الدواوين فى كتابة الرسائل ، فوجد صعوبة بين رجال الديوان ، وعارضه منهم كبير الموقعين ناصر الدين الفاقوسى ، فعزله . فظل معزولا حتى مات الكلستانى ، فعاد إلى وظيفته .

ومن أعمال الكلستانى أنه نظم السراجية فى الفرائض .

ومات فى حلب يوم ١٠ جمادى الأولى سنة ٨٠١ هـ بعد مرضه ٤٦ يوما وقد ولى كتابة السر بعده فتح الدين فتح الله بن مستعصم ، منقولا إليها من رياسة الطب .

قال السخاوى ، ممن ترجم الكلستانى : ابن خطيب الناصرية والمقريزى فى عقوده وغيرها . وابن حجر فى أنبائه .

« الضوء اللامع ج ١٠ رقم ٥٥٤ — الشذرات ج ٧ ص ١٢ »

٤٠٩ — قنبر بن عبد الله العجمى السبزوانى القاهرى الأزهرى الشافعى .

كان ماهراً فى العلوم العقلية . وقدم إلى القاهرة وشغل نفسه بالتدريس بالجامع الأزهر وأفاد جمعا من الطلبة من بينهم من نبغ وبرع كالإمام البساطى . — وقيل أنه كان يتشيع .

وكان دينا متواضعا طروبا زاهدا — ذكره ابن حجر فى أبنائه — والمقريزى فى عقوده .

وكانت وفاته فى شعبان سنة ٨٠١ هـ .

« الضوء ج ٦ رقم ٧٥٥ — حسن المحاضرة ج ٢٦٢ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٩ »

٤١٠ — ناصر الدين الزبيرى الإسكندرانى المالكى : هو أحمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن عطاء الله . كان فقيها فى مذهبه ، عالما بالعربية ، قدم القاهرة وولى قضاء المالكية فيها زمنا ، وكان حسن العشرة .

ومن مصنفاته : شرح التسهيل ، لم يتمه . تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعى . شرح المختصر الأصلى . شرح الكافية .

وكان مولده سنة ٧٤٠ هـ ، ووفاته فى ليلة الخميس أول رمضان سنة ٨٠١ هـ .

روى السخاوى ما ملخصه أن من بين من ترجم له : ابن حجر فى تاريخه ورفع الإصر . وابن خطيب الناصرية فى تاريخ حلب . والمقريزى فى عقوده .

« الضوء اللامع ج ٢ رقم ٥٢٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨ الشذرات ج ٧ ص ٥ »

٤١١ — نور الدين المقرى : هو على بن محمد بن الناصح . تصدى لتدريس القراءات بجامع المارداني ونظم قصيدة فى القراءات . ومات فى ذى الحجة سنه ٨٠١ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ »

٤١٢ — برهان الدين الأبناسى : أبو محمد إبراهيم بن موسى بن أيوب ، القاهرى الشافعى . ولد بأبناس [١] سنة ٧٢٥ هـ تقريبا وسمع الحديث بها وبدمشق . وقدم إلى القاهرة ودرس فقه الشافعية على جمال الدين الإسنائى وغيره . فعلا كعبه واشتهر فضله حتى أصبح مفتى المسلمين وشيخ الديار المصرية . وكان بارعا فى الحديث والفقه والأصول والعربية . وزاول التدريس وإفادة الطلاب مع الحدب عليهم ، وعم

(١) أبناس : قرية صغيرة فى الوجه البحرى . — وله فى الشذرات والضه

أرزاقهم . قيل : فصار أكثر الطلبة بالقاهرة من تلامذته، وتخرج به كثير من الفضلاء وممن أخذ عنه الولى العراقى ، والجمال بن الظهيرة ، وابن حجر العسقلانى . مع تواضع منه ، وبشاشة فيه . وعبادة . وقد طلب لولاية القضاء ، فعف عنها واختفى أياماً .

ومما وليه : التدريس بالجامع الأزهر ، وبمدرسة السلطان حسن ، وبجامع المقسى مع خطابته ، ومشيخة سعيد السعداء.

أما مصنفاته ، فقد صنف فى علوم عدة منها الفقه والحديث والنحو . ومن كتبه الشذى الفياح فى مختصر ابن الصلاح

وقد حج أكثر من مرة ، ورجع فى إحدى المرات فمات فى طريقه ، وحمل إلى عين القصب فدفن بها ، وذلك فى ٨ المحرم سنة ٨٠٢ هـ [١] .

« الضوء ج ١ ص ١٧٢ — الشذرات ج ٧ ص ٢ ، ١٣ »

٤١٣ — شمس الدين الغمارى : هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن عبد الرزاق ، الغمارى المالكى النحوى ، المصرى . ولد فى نحو سنة ٧٢٠ هـ مال إلى دراسة العربية وفنونها ، فلازم أبا حيان وأخذ عنه النحو والقراءات ، وقرأ فى الأدب على جمال الدين بن نباته . ورحل إلى بيت المقدس ومكة - والإسكندرية ، فدرس الفقه وسمع الحديث عن كثيرين من حفاظ . وقد برع فى علوم عدة .

قال السخاوى : « وكان أحفظ الناس لشواهد العربية ، وأحسنهم كلاما عليها ، مع مشاركة فى القراءات والأصول والفروع والتفسير » . وقال ابن حجر : « إنه كان عارفا باللغة ، والعربية كثير المحفوظ للشعر ، لاسيما الشواهد ، قوى المشاركة فى فنون الأدب » .

وتصدى لتدريس القراءات . ثم ولى أخيرا مشيخة القراء بالشيخونية . وقصده الطلاب لتعلم النحو ، وما زال ينفع ويفيد ، حتى أصبح شيخ النحاة بمصر بدون مدافع . وتخرج به جملة من الأفاضل ، منهم ابن حجر العسقلانى .

وقد حدث وسمع منه كثيرون منهم زين الدين رضوان . — ذكره ابن حجر فى معجم شيوخه . وابن الجزرى فى طبقات القراء . والمقريزى فى عقوده والسيوطى فى

---

١ — فى الشذرات ذكره فى توفيات سنة ٨٠١ هـ ، ٨٠٢ هـ

طبقات النحاة. وكانت وفاته سنة ٨٠٢ هـ في شعبان.

« الضوء اللامع جـ ٩ رقم ٣٧٧ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٨ الشذرات جـ ٧ ص ١٩ »

٤١٤ — برهان الدين بن مفلح: أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن مفلح بن مفرج الراعيني الدمشقي، الحافظ شيخ الحنابلة. ولد سنة ٧٤٩ [١] هـ وطاف بمصر وتفقه بمذهب ابن حنبل، ونبغ وتولى الفتوى والمناظرة والتدريس والتأليف. ومما وليه التدريس بدار الحديث الأشرفية وغيرها. وقضاء دمشق.

ووفد على تيمورلنك مع وفد دمشق حين فتنته بها، فأعجب به تيمور. وأجابه إلى مصالحة الدمشقيين بشرط أن يجبي منهم أموالا كثيرة، وبعد أن جباها له، غدر بهم فحزن ابن مفلح ومات كمدا.

ومن مصنفاته: كتاب فضل الصلاة على النبي عليه السلام. وكتاب الملائكة. وشرح المقنع، ومختصر ابن الحاجب. وطبقات أصحاب الإمام أحمد. قيل: وأغلبها تلف إبان فتنة تيمور بدمشق. وكانت وفاته في ٢٧ شعبان سنة ٨٠٣ هـ

« الضوء جـ ١ ص ١٦٧ — الشذرات جـ ٧ ص ٢٢ »

٤١٥ — سراج الدين بن الملقن: هو أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد بن محمد ابن الأنصاري الواداشي الأندلسي التكروري الأصل. المصري الشافعي.

ولد في ربيع الأول سنة ٧٢٣ هـ. وأصل أبيه من الأندلس فتحول منها إلى التكرور يقرىء أهلها القرآن. ثم قدم القاهرة وتوفي عن ابنه سراج الدين وهو في الواحدة فتزوج أم رجل يدعى الشيخ عيسى المغربي كان يلقن القرآن بجامع ابن طولون فنسب إليه سراج الدين، وعرف بابن الملقن — على كراهية لذلك.

وقد شب الشيخ سراج الدين محبا للعلم فحفظ بعضا من كتبه. وأخذ الفقه عن تقي الدين السبكي، وجمال الدين الأسنائي وكمال الدين النشائي والعز بن جماعة. ودرس العربية على أبي حيان وجمال الدين بن هشام وشمس الدين بن الصائغ والقراءات عن برهان الدين الرشيد. وسمع الحديث عن ابن كشتغدي وزين الدين بن عبد الهادي ومحمد بن غالي، وجمال الدين يوسف المعدني والصدر الميدومي.

وكما طلب العلم بمصر طلبه بالشام وأخذ عن كثيرين. وأجازه أكثر من واحد

---

(١) وقيل سنة ٧٥١ هـ

منهم المزى . واشتغل بالتصنيف وله فيه كتب عظيمة القيمة .

ومن مصنفاته فى الأحاديث ورجالها : تخريج أحاديث الرافعى فى سبع مجلدات واختصره فى مجلد . وتخريج أحاديث الوسيط للغزالى ، وسماه « تذكرة الأحبار لما فى الوسيط من الأخبار » والمحرر المذهب فى تخريج أحاديث المهذب وتخريج أحاديث المنهاج الأصلى . وتخريج أحاديث ابن الحاجب والإعلام وهو فى شرح العمدة . وشرح بعض البخارى وشرح بعض كتاب المنتقى فى الأحكام لمجد الدين بن تيمية . وطبقات فقهاء الشافعية من زمن الإمام الشافعى إلى سنة ٧٧٠ هـ . وطبقات المحدثين من الصحابة إلى زمن المؤلف . والمقنع فى علوم الحديث . والتذكرة .

ومن مصنفاته فى الفقـــه : شرح المنهاج . والتحفة والبلغة . وشرح التنبيه . والخلاصة . وأمنية النبيه فيما يرد على التصحيح للنووى والتنبيه . وله تلخيص الكتاب السابق أيضا واسمه « إرشاد النبيه » . وجمع الجوامع وهو خلاصة لآراء بعض فقهاء المذهب ، والأشباه والنظائر .

وله مؤلفات كثيرة عدا ما ذكرنا من ذلك : طبقات القراء وطبقات الصوفية . وشرح ألفية ابن مالك . وشرح المنهاج الأصلى ، فى الأصول . وغير ذلك .

قيل : كان العراقى والبلقينى وابن الملقن أعجوبة عصرهم : الأول فى الحديث ، والثانى فى فقه الشافعية . والثالث فى كثرة التصانيف . قيل بلغت مصنفاته نحو ثلثمائة شغل بها الناس فى زمانه كما أنه حدث وأفتى ودرّس .

ومن المدارس التى اشتغل بها المدرسة السابقية وجامع الحاكم ، ودار الحديث الكاملية . كما أنه ناب فى الحكم وسعى إلى منصب القضاء .

ويبدو من هذا كله ما كان للرجل من فضل عظيم على أهل العلم . إلا أن السخاوى يرميه بأن كتابته أكثر من استحضاره . غير أن كثيراً من أفاضل العصر ومؤرخيه شهدوا للسراج بسعة العلم ورجاحة الرأى وحسن العبارة ووضوحها .

قال السخاوى ما ملخصه أن من ترجم للسراج بن الملقن : أن الغمارى ، والبرهان الحلبى . وابن خطيب الناصرية وابن قاضى شهبة والمقريزى فى عقوده . وابن حجر

فى أبنائه ، وغيرهم — ويقال إن كثيراً من مؤلفاته قد أصابه حريق شب بالمدرسة الفاضلية ، فتألم لذلك

وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ١٦ ربيع الأول عام ٨٠٤ هـ . ودفن مع أبيه بحوش سعيد السعداء .

وله ابن من أفاضل العلماء اسمه نور الدين أبو الحسن على بن عمر بن الملقن . توفى عام ٨٠٧ هـ فى بلبيس وحمل إلى القاهرة حيث دفن مع أبيه وجده . وترى ترجمته فى الضوء اللامع ج ٥ رقم ٨٩٤ .

«الضوء اللامع ج٦ رقم ٣٣٠ — حسن المحاضرة ج١ ص٢٠٦ — شذرات الذهب ج٧ ص٤٤ »

٤١٦ — عماد الدين الحنبلى : أبو بكر بن أبى المجد ماجد السعد الحنبلى . سكن مصر ، وتتلمذ بالشيخونية ، واختصر تهذيب الكمال وصنف تجريد الأوامر والنواهى من الكتب الستة .

ولد سنة ٧٣٠ هـ ومات بمصر فى جمادى الأولى عام ٨٠٤ هـ (١)

(حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ ـ الشذرات ج ٧ ص ٤٢ ـ الضوء ج ١١ ص ٦٦ رقم ١٨٢)

٤١٧ — فخر الدين الضرير : إمام القراء ، عثمان البلبيسى القاهرى الشافعى . ويعرف بالفخر إمام الأزهر . ولد فى بلبيس سنة ٧٢٥ هـ ونشأ بها وحفظ القرآن وقدم القاهرة سنة ٧٤٤ هـ . ومال إلى دراسة القراءات فأخذها عن مشايخها مثل مجد الدين إسماعيل بن يوسف ، وابن نمير السراج . وما زال حتى أصبح فذا ممتازا ورأسا من رءوسها ، وحتى انتهت إليه الرياسة فيها . وقد عمل على نشرها وقعد لتدريسها فأخذ عنه من لا يحصى من الطلاب ، فى المدرسة الملكية والفاضلية والمنصورية وجامع الحاكم والجامع الطولونى والجامع الأزهر ، والشريفية وغيرها . ويفهم من سيرته أن بصره كف فى شبابه .

وكانت وفاته فى ٢ من ذى القعدة سنة ٨٠٤ هـ ودفن بالباب الجديد بالقرب من باب المحروق وباب الوزير . ذكره ابن حجر فى معجمه وفى أنبائه . والمقريزى فى عقوده . وابن الملقن فى طبقات القراء . وابن الجزرى فى طبقات القراء .

« الضوء اللامع ج ٥ رقم ٤٦٣ ـ حسن المحاضرة ج١ ص ٢٤١ ـ الشذرات ج ٧ ص ٤٤ »

(١) فى حسن المحاضرة : ولد سنة ٧٣٠ هـ ، ومات سنة ٨٠٥ هـ ورواية الشذرات هى التى أثبتناها وهى أقرب فى وفاته .

٤١٨ — تاج الدين بهرام : هو ابن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض المالكي . اشتغل بالتدريس بالمدرسة الشيخونية وتولى قضاء المالكية حينا . وصنف كتبا . منها : الشامل فى الفقه . وشرح مختصر الشيخ خليل : وشرح أصول ابن الحاجب وشرح ألفية ابن مالك . وغير ذلك .

ولد سنة ٧٣٤ هـ وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٨٠٥ هـ .

«الضوء ج ٣ رقم ٩٦ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨ — الشذرات ج ٧ ص ٤٩ »

٤١٩ — سراج الدين البلقيني : هو شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان ابن نصير بن صالح الكناني ، مجتهد عصره قيل : « وعالم المائة الثامنة » . كان ذكيا قوي الحافظة ، ولد فى ١٢ رمضان سنة ٧٢٤ هـ ببلقينة من الغربية وطفق يتعلم فحفظ كتبا كثيرة ، ووفد على القاهرة وعلوم العربية وأخذ الفقه عن أبن عدلان والسبكى والنحو عن أبي حيان وبرع فى فقه الشافعي حتى انتهت إليه رياسته ، قيل وبلغ مرتبة الاجتهاد ، فأفتى وله ترجيحات فى مذهبه خالف بها النووى ، وله آراء اجتهادية أخرى وكذلك برع فى حفظ الحديث وروايته وأجازه كثير من الأعلام وعده السيوطى فى الحفاظ . ومهر فى أصول الفقه . واشتغل بالتدريس فى المدرسة الخشابية وغيرها . ودرس التفسير بجامع أبن طولون . وتخرج به كثيرون منهم ابنه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني ، وشغل قضاء دمشق زمنا . قليلا فى عام ٧٦٩ هـ وعكف على التأليف فى الفقه والحديث والتفسير . فمن مؤلفاته : حواشى الروضة . وشرح البخارى وشرح الترمذى . وكتب حواشى على الكشاف .

ومن حوادثه أنه لما خلع برقوق من سلطنته ، وآثار فتنة شعواء فى بلاد الشام ، وكان سلطان مصر إذ ذاك الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان . وأتابكيه الأمير منطاش ، جمع منطاش القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني ، وعرض عليهم سؤالا خاصا ببرقوق ، مؤداه : « ماتقول السادة العلماء فى رجل خلع الخليفة وسجنه وقيده من غير موجب لذلك . وقتل رجلا شريفا فى الشهر الحرام فى البلد الحرام ، واستحل أخذ أموال الناس بغير حق ، واستعان بالكفار على قتال المسلمين ؟ » . ثم كتبوا من هذا السؤال عدة نسخ . فأبى القضاة أن يكتبوا ردا على هذا الاستفتاء ، حتى يفتى شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني . فكتب

البلقيني : « إذا قامت علية البنية بذلك ، وجب قتاله ومحاربته ، فهو خارجي » . فلما كتب ذلك ، كتب القضاة بعده مثله ، وكان لهذا الرد أثر كبير مجرى الحوادث وتوجيهها.

ظل البلقيني مرعى المكانة مرموق المنزلة طول حياته لدى الأمراء ، وسلاطين مصر ومنهم برقوق وابنه فرج . ساعيا في سبيل الإصلاح بين المتخاصمين ، ناشرا للعلم حتى توفى في عهد الناصر فرج بعد عودته إلى عرشه . وكانت وفاته في ١٠ من ذى القعدة عام ٨٠٥ هـ . وقد رثاه شهاب الدين بن حجر العسقلاني بقصيدة طويلة في أكثر من مائة بيت أولها :

ياعين جودى لفقد البحر بالمطر ... واذرى الدموع ولا تبقى ولا تذرى

وله ابن جليل هو علم الدين البلقيني الذى ولى قضـــاء الشافعية زمنا ومات سنة ٨٦٨ هـ وترجمنا له في القضاة .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٠ ، ١٦٨ — ابن إياس ج ١ ص ٢٨٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣١٩ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ — الضوء اللامع ج ٦ رقم ٢٨٦ وبه بعض مراجعة أيضا — شذرات الذهب ج ٧ ص ٥١ »

٤٢٠ — زين الدين العراقي : هو أبو الفضل عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن الكردى الرازناني الأصل المهراني المصرى الشافعي . ويعرف بالعراقي نسبة إلى عراق العرب . ولكنه كودى الأصلى ، وأسرته من رازنان من أعمال أربل . تحول أبوه إلى الديار المصرية مع أقاربه صغيرا . — وقد ولد زين الدين بمنشية المهراني على شاطىء النيل بين مصر والقاهرة في جمادى الأولى عام ٧٢٥ هـ . وكان أبوه حسن الصلة بأحد شيوخ الصوفية ، وهو تقى الدين محمد القناوى الشافعي شيخ خانقاه رسلان بالمنشية المذكورة . وكان والده كريم الأصل ، وأمه صالحة عابدة ، فنشأ زين الدين بينهما نشأة دينية فاضلة كريمة ، واتجه منذ نعومة أظفاره اتجاها صالحا ، وتردد به أبوه على مجالس العلم ودروس الأئمة . وشغف هو بالسماع والدرس ، وحفظ المؤلفات كالتنبيه والحاوى والإلمام ، واستوعب منها جزءا كبيرا . وأقبل على القراءات والفقه والأصول الفقهية ، وعنى بالحديث عناية كبرى بإرشاد من عز الدين بن جماعة ، ورحل في طلب الحديث والعلم إلى أماكن عدة غير القاهرة مثل بيت المقدس ومكة ودمشق وحلب والخليل وبعلبك وحماه وحمص والإسكندرية وغيرها . وأصبح له في كل ناحية شيوخ

وأئمة أخذ عنهم وتثقف بهم ، ومنهم : ناصر الدين بن سمعون . والبرهان الرشيدى ، والسراج الدمنهورى ، وابن عدلان ، والعماد البلبيسى والجمال الإسنوى والعلاء التركمانى والتقى السبكى والميدومى ، وغيرهم .

ولم تخل سنة ، من رحلة له فى حج أو لسماع حديث . وما زال يطلب الحديث ويحفظه ويرويه حتى أصبح فيه حافظ عصره بغير منازع . وقد قال فيه القاضى عز الدين ابن جماعه : «كل من يدعى الحديث بالديار المصرية سواه فهو مدع» وقال غيره ما يشبه ذلك .

وتصدى الشيخ زين الدين للتدريس والتصنيف والتخريج . فولى تدريس الحديث بالمدرسة الكاملية وبالظاهرية القديمة ، والقراسنقرية وجامع ابن طولون . وولى قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها سنة ٧٨٨ هـ ، فأقام بها ثلاث سنين وخمسة أشهر ، وعاد إلى القاهرة ، فأحيا سنة الإملاء ، وأملى أربعمائة مجلس . وكان يكتب ويخطب ويقول الشعر مع تقوى وزهادة وتواضع ووضاءة ، وصلاح باد ، وحياء وطهر .

وتخرج به جماعة من الفضلاء منهم : صهره الفقيه الحافظ نور الدين الهيثمى صاحب كتاب «مجمع الزوائد» فى علوم السنة . وولده أحمد ولى الدين أبوزرعة ، والامام ابن حجر العسقلانى ، والبرهان الحلبى ، والصلاح الأقفهسى وغيرهم .

وله تصانيف كثيرة منها : تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد . وهو متن فى أحاديث الأحكام . وقد شرح بعضه ثم أتم شرحه ابنه أبو زرعة . وكتاب فهرست مرويات البيانى . ومشيخة التونسى . ومشيخة ابن القارى . وتذييل على مشيخة القلانسى . وتساعيات الميدومى . وعشاريات العراقى — هو — والمغنى عن الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الأخبار وألفية فى علوم الحديث . وألفية فى السيرة النبوية . وألفيه فى غريب القرآن . شرح ألفيته فى علوم الحديث . ونظم الاقتراح لابن دقيق العيد . وتكملة شرح الترمذى لابن سيد الناس . والاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين فى مكان واحد . وتاريخ تحريم الربا . وتكملة شرح المهذب للنووى ، بانيا على ما كتبه التقى السبكى . وتتمة المهمات ، وهو استدراك على مهمات الإسنوى فى الفقه ونظم منهاج البيضاوى فى الأصول . وله نظم ونثر كثير .

وتوفى الزين العراقى فى شعبان عام ٨٠٦ هـ ودفن بتربة طشتمر بالصحراء ذكره السخاوى فى ترجمة ولده أبى زرعة . ورثاه تلميذه ابن حجر العسقلانى بقصيدة طويلة منها :

مصاب لم ينفس للخناق أصار الدمع جارا المآقى

فروض العلم بعد الزهو ذاو وروح الفضل قد بلغ التراقى ... ألخ

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ — الضوء جـ ٤ رقم ٤٥٢ وفى سياتها ذكر كثيرا ممن ترجموا للعراقى . ومنهم ابن حجر فى معجم شيوخه ، وفى غيره ومنهم ابن الجزرى فى طبقاته : والتقى الفاسى فى ذيل التقييد . والصلاح الأقفهسى فى معجم الحافظ الجمال بن ظهيرة . والمقريزى فى السلوك . وغيرهم . — أفرد ابنه ترجمة أبيه فى مؤلف مستقل اسم « تحفة الوارد » لم نطلع عليه . هذا ترجمه أيضا فى المنهل جـ ٢ الشذرات جـ ٧ ص ٥٥ »

٤٢١ — نور الدين الهيثمى القاهرى الشافعى وهو أبو الحسن على بن أبى بكر ابن سليمان . ويعرف بالهيثمى ولد فى رجب عام ٧٣٥ هـ وشب فصحب الشيخ زين الدين أبا الفضل العراقى ، فكانا متلازمين فى الحل والترحال . وكان الهيثمى عظيم الأدب مع العراقى ساهرا على خدمته وراحته وطاف معه بالحرمين وبيت المقدس ودمشق وبعلبك وحلب وحماة وحمص وطرابلس وغير ذلك . وتفقه الهيثمى وسمع الحديث من أفاضل رجاله ، ومنهم الزين العراقى نفسه ، وعاونه الزين فى تصانيفه ووجّهه ودرّبه فى تخريج الأحاديث وأقبل الهيثمى يجمع نفسه على العلم وطلبه . قال السخاوى عنه : « وكان عجبا فى الدين والتقوى والزهد والإقبال على العلم والعبادة والأوراد ، وخدمة الشيخ — أى زين الدين — وعدم مخالطة الناس فى شىء من الأمور ، والمحبة فى الحديث وأهله . »

وقد برع فى الحديث ومعرفة فنونه حتى عُد فى حفاظه ، وقد حدث وأخذ عنه كثيرون ، غير أنه كان يحدث - إذا حدث — أمام شيخه العراقى ، ناسبا أحاديثه إليه . وبعد وفاة العراقى ، حدث استقلالا .

ومن أهم تصانيفه : مجمع الزوائد . وهو كتاب قيم جمع فيه زوائد الأحاديث فى عدة كتب هى المعجمات الثلاثة للطبرانى ، ومسانيد أحمد ، والبزار وأبى يعلى . مع

حذف أسانيدها . — وله فى كل كتاب منها سفر مستقل بأسانيده . ومن كتبه : كتاب أفرد فيه زوائد ابن حبان على الصحيحين . وكتاب رتب فيه أحاديث الحلية لأبى نعيم مبوبة ، ولم يكمل — وقد أكمله ابن حجر العسقلانى . ورتب أحاديث الغيلانيات والخلعيات ، وفوائد أبى تمام ، والأفراد للدارقطنى . وغير ذلك .

وكانت وفاته النور الهيثمى فى ليلة الثلاثاء ١٩ رمضان سنة ٨٠٧ هـ بالقاهرة ، ودفن فى الصباح خارج باب البرقية .

«الضوء اللامع ج ٥ رقم ٦٧٦ — وقد قال السخاوى فى ترجمته ما نصه : «وقد ترجمه ابن خطيب الناصرية فى حلب . والتقى الفاسى فى ذيل التقييد . وشيخنا — أى ابن حجر — فى معجمه وأنبائه ؛ ومشيخة البرهانى الحلبى . والغرس خليل الأقفهسى فى معجم ابن ظهيرة ؛ والتقى بن فهد فى معجمه ،وذيل الحفاظ . وخلق . . . والمقريزى فى عقوده .
وفى الشذرات ج ٧ ص ٧٠ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٠ »

٤٢٢ — ناصر الدين بن الفرات : هو المؤرخ محمد بن عبد الرحيم بن على ابن الحسن وهو والد القاضى عبد الرحيم (١) .

ولد سنة ٧٣٥ هـ وسمع الحديث وأجازه بعض شيوخه بدمشق ومنهم الحافظان المزى والذهبى .

وولى خطابة المدرسة المعزية بمصر ، وكان معنيا بالتاريخ ، فصنف فيه كتابا ضخما يقع فى نحو عشرين مجلداً . روى ابن حجر أنه عامى العبارة . مع كثرة فائدته . توفى فى ليلة عيد الفطر سنة ٨٠٧ هـ . ذكره ابن حجر فى أنبائه ومعجمه والمقريزى فى عقوده .

« الضوء ج ٨ رقم ٥٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٦ — الشذرات ج ٧ ص ٧٢ — المنهل ج ٣ »

٤٢٣ — كمال الدين الدميرى : هو أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى الأصل ، القاهرى الشافعى . ولد فى سنة ٧٤٢ هـ بالقاهرة ونشأ بها . فتكسب بالخياطة ، ثم أقبل على العلم فأخذ عن بهاء الدين أحمد بن تقى الدين السبكى . وعن كمال

---

(١) لعل هذا الابن هو الذى نوه به صاحب الشذرات فى وفيات سنة ٨٥١ هـ واثنى عز الدين وكان مصرا محدثا رحلة مؤرخا ويعرف بابن الفرات أيضا ج ٧ ص ٢٦٩ .

الدين أبي الفضل النويري . وجمال الدين الإسنوى ، وابن الملقن . وتأدب على برهان الدين القيراطى . ودرس العربية على بهاء الدين بن عقيل . وقد سمع الحديث من مظفر الدين العطار وغيره . وسمع بمكة والمدينة أيضا . وما زال حتى برع فى التفسير والحديث وأصول الفقه ، وفى العربية والأدب وغير ذلك وأذن له بالأفتاء والتدريس . وتصدى لها وللإقراء وللإسماع ، فنفع وأفاد .

قيل : كان أحد صوفية خانقاه سعيد السعداء . وزاول التدريس فى الجامع الأزهر والقبة البيبرسية . وكان يدرس بها الحديث . وقد حج وجاور وأفتى بمكة . وقد حج أكثر من مرة . وكان متعبدا دينا . وينظم الشعر .

وله مصنفات جليلة منها : حياة الحيوان مشهور من أنفس الكتب وبه كثير من الفوائد والاستطرادات . وله تذكرة مفيدة . والديباجة فى شرح سنن ابن ماجة ، مات قبل تحريره وتبييضه . والنجم الوهاج فى شرح المنهاج ، وهو ملخص من شروح السبكى والإسنوى وغيرهما لكتاب المنهاج . وقد اختصر شرح الصفدى للامية العجم كما نظم الفقه فى أرجوزة طويلة . وقد ذكره ابن حجر فى كتابه « أبناء الغمر » والمقريزى فى عقوده .

وكانت وفاته فى ٣ جمادى الأولى سنة ٨٠٨ هـ . ودفن بمقابر الصوفية بخانقاه سعيد السعداء .

« الضوء اللامع ج ١٠ رقم ٢٠٤ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٧ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٧٩ — جورجى زيدان ج — ص ٢٥٣ »

٤٢٤ — شهاب الدين بن العماد الإقفهسى الشافعى : هو أحمد ابن عماد بن يوسف بن عبد النبى . ويعرف بابن العماد . وقد تفقه على الجمال الإسنوى والسراج البلقينى ، وسمع الحديث على كثيرين ، ودرس الأدب . وقد برع ومهر وظهر فضله ، وزاول التأليف فى الفقه وغيره . وأخذ عنه كثير من الفضلاء .

فما صنفه : التعقيبات على المهمات ، وهو تعقبات على كتاب المهمات لشيخه الأسنوى . وجملة شروح على كتاب المنهاج ، منها : التوضيح ، وتوقيف الحكام ، وله أيضاً : شرح العمدة . وشرح الأربعين النوروية . وشرح البردة . والتبيان فيما يحل ويحرم من

الحيوان . وقد نظمه فى ٤٠٠ بيت . والتبيان فى آداب حملة القرآن . وله منظومات مختلفة . ومؤلفات أخرى .

وكانت وفاته فى عام ٨٠٨ هـ . فى أحد الجماديين.

« الضوء اللامع ج ٢ رقم ١٢٧ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٧ شذرات الذهب ج ٧ ص ٧٣ »

٤٢٥ — زاده العجمى الحنفى الخوزيانى . تعلم ببلاده ورحل إلى بغداد ثم دخل حلب ، وقدم إلى الديار المصرية . وكان بارعا فى المعقولات والمنطق وعلوم العربية وكان قديرا على حل المشكلات . وقد ولى التدريس فى الشيخونية ومشيختها .

وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ٨٠٨ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٣ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٧٠٤ — الضوء ج ٣ رقم ٨٨٢ »

٤٢٦ — صارم الدين بن دقماق الحنفى : هو إبراهيم بن محمد بن إيدمر بن دقماق العلائى ، مؤرخ الديار المصرية ، ودقماق جد أبيه كان من أمراء الناصر بن قلاوون ولد بمصر فى حدود سنة ٧٥٠ هـ وطلب العلم ومال إلى الأدب والتاريخ ، مع ضعفه فى اللغة العربية .

وكان يتزيا بزى الجند ، وولى أمرة دمياط مدة قليلة . وكان عفيف اللسان ، فكه الحديث ، جميل العشرة .

ومن مصنفاته : سيرة الملك برقوق . والانتصار بواسطة عقد الأمصار ، وهو فى تاريخ الخطط المصرية ، والدرة المضية فى فضل مصر والإسكندرية ، وهو مختصر من الانتصار والجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والسلاطين ، وهو فى تاريخ مصر والدولة التركية إلى عهد برقوق ونظم الجمان ، وهو فى طبقات الحنفية . ـ قال ابن حجر « وعمل تاريخ الإسلام ، وتاريخ الأعيان ، وطبقات الحنفية ، وغير ذلك . »

وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ٨٠٩ هـ — ذكر ابن حجر فى معجمه وانبائه والمقريزى فى عقوده .

« الضوء اللامع ج ١ ص ١٤٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٦ ـ شذرات الذهب . ج ٧ ص ٨٠ — جرجى زيدان ج ٢ ص ١٧٤ »

٤٢٧ — شهاب الدين الأوحدى الشافعى : هو أحمد بن عبد الله بن الحسن ابن طوغان بن عبد الله القاهرى المقرىء ، الأديب المؤرخ . ولد فى المحرم سنة ٧٦١ هـ

وبرع في القراءات ودرسها على تقي الدين البغدادي. ولازم فخر الدين البلبيسي نحو اثني عشرة سنة. وسمع الحديث عن كثيرين وتفقه، ولازم ابن حجر مدة. وقد ظهرت مواهبه في الأدب والتاريخ. وكان ينظم الشعر وله فيه ديوان (١) وكان ذا معرفة بالنحو والعروض والفقه.

قال السخاوي: «وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة، تعب فيها وأفاد وأجاد. بيض بعضها فبيضها التقي المقريزي ونسبها لنفسه مع زيادات». وهو بذلك يتهم المقريزي بسرقة خططه من الأوحدي. وقد عرضنا لذلك في ترجمة المقريزي بالمجلد الثالث من هذا الكتاب ص ٣١٧.

وكانت وفاته في ١٩ جمادي الأولى (٢) سنة ٨١١ هـ — ذكره ابن حجر في معجمه وأنبائه والمقريزي في عقوده.

«حسن المحاضرة ج١ ص ٣٦٦ — الضوء ج٢ ص ٣٥٨ — الشذرات ج٧ ص ٨٩»

٤٢٨ — جلال الدين البغدادي الحنبلي: وهو أبو الفتح نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر، نزيل القاهرة. ولد سنة ٧٣٣ هـ ببغداد، وطلب العلم بها فأخذ فقه الحنابلة عن شمس الدين محمد بن السقا. والأصول عن بدر الدين الإربلي، وشمس الدين الكرماني، والعربية عن شمس الدين بن بكتاش. وله شيوخ غير هؤلاء. واشتهر بطالب الحديث. وولي تدريس الحديث بالمستنصرية والجاهدية وغيرها.

ثم رحل إلى دمشق فالقاهرة سنة ٧٩٠ هـ فاشتغل بتدريس الحديث وبالإفتاء. ودرس فقه الحنابلة بالمدرسة البرقوقية. وكان قديرا على النثر والنظم. نظم في الفقه كتابا. وفي الفرائض أرجوزة. وله مدائح نبوية.

ومن مصنفاته: مختصر في الأصول. ونظم غريب القرآن.

وكانت وفاته في ٣٠ صفر سنة ٨١٢ هـ — ذكره المقريزي في عقوده. وابن حجر في أنبائه ومعجمه.

«الضوء اللامع ج١٠ رقم ٨٤٩ شذرات الذهب ج٧ ص ٩٩ حسن المحاضرة ج١ ص ٣٢٩»

٤٢٩ — شمس الدين الزركشي: محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر البغدادي القاهري. المقرىء. الشاعر أصله من شيراز ثم استوطن القاهرة. ورغب في الأدب

(١) سيذكر الأوحدي بين الشعراء في الجزء الثالث ٢ — في الشذرات: جمادي الآخرة

والقراءات والعروض . وكان بينه وبين ابن حجر العسقلانى مودة وصلة ، وشعر متبادل.

ومن مصنفاته ومنظوماته : منظومة فى العروض . والعواطل الخوالى وهى ست عشرة قصيدة نبوية فيها ضروب مخترعة من البديع ، وكلها حروف مهملة . ونظم قصيدة طويلة فى رثاء الظاهر برقوق . ومن شعره فى الغلاء الضارب فى عام ٧٧٧ هـ قوله:

أيا قارى الضيوف بكل خير ويابرا نداه مثل بحر
لقد جار الغلاء على عدوا وهأنا قد شكوت إليك فاقرى.

قال السخاوى مايفهم منه أن ابن حجر ذكره فى معجمه وفى أنبائه . وذكره المقريزى فى عقوده — ومات فى ذى الحجة عام ٨١٣ هـ .

« الضوء اللامع ج ٩ رقم ٥١٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤١ — الشذرات ج ٧ ص ١٠٤ »

٤٢٠ — محي الدين الدمشقى : أحمد بن إبراهيم بن محمد ، الدمياطى الشافعى ، ويعرف بابن النحاس . لجأ إلى الديار المصرية إبان فتنة تيمورلنك بدمشق . فنزل بالمنزلة ثم بدمياط فاستوطنها . وكان قديرا فى الفرائض والحساب والهندسة ، مع معرفة بالفقه وغيره الفنون ماعدا النحو . وأقبل على جهاد الفرنجة بدمياط حتى قتل فى الميدان ، ودفن بدمياط سنة ٨١٤ هـ .

ومن مصنفاته : مشارع الأسواق مصارع العشاق . ومثير الغرام إلى دار السلام . وتنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وهو فى بيان الكبائر والصغائر والمناهى والمنكرات والبدع وبيان المغنم فى الورد الأعظم . واختصار الروضة لم يتمه .

« الضوء ج ١ ص ٢٠٢ — الشذرات ج ٨ ص ١٠٥ »

٤٣١ — محب (١) الدين بن الشحنة الحلبي الحنفى : هو أبو الوليد محمد بن محمد ابن محمد بن محمود بن غازى . وهو من أسرة طيبة مباركة خدمت العلم والأدب والقضاء زمنا طويلا .

وقد ولد محب الدين فى حلب سنة ٧٤٩ هـ ونشأ بها وحفظ القرآن ، وأخذ فى طلب العلم على أئمته فى بلده ثم فى دمشق والقاهرة . حتى علا كعبه وعرف فضله ونبغ فى علوم عدة منها فقه الحنفية والأصول والتفسير والنحو والأدب وكان ينظم الشعر وأذن له بالفتوى والتدريس فزاولهما . وقد ولى قضاء حلب أكثر من مرة . وأوذى.

(١) فى الضوء والشذرات : محب الدين ، وفي جورجى زيدان زين الدين .

فى حوادث الانقلاب أيام الناصر فرج بن برقوق . ثم حسنت صلته بالناصر المذكور وحظى عنده وسمى لقضاء مصر فلم يتم له . وما زال حتى توفى فى ١٢ ربيع الآخر عام ٨١٥ هـ بحلب . وممن حمل نعشه الأمير نوروز الحافظى .

ومن مصنفاته : كتاب فى تفسير القرآن لم يتم . شرح الكشاف لم يكمل . وله مختصر الفقه واختصر منظومة النسفى مع زيادة مذهب أحمد بن حنبل . وله أرجوزة ألفية فى عشرة علوم . وله أرجوزة فى علم البيان .

وقد اختصر كتاب أبى الفداء « المختصر فى تاريخ البشر » مع زيادات عليه (١)

ذكره ابن حجر فى الدرر فى ترجمة والده محب الدين وفى أنبائه . والمقريزى فى عقوده . وابن خطيب الناصرية ..

« الضوء اللامع ج ١٠ ص٣ — شذرات الذهب ج ٧ص ١١٣ — جورجي زيدان ج٣ص١٩٤ » .

٤٣٣ — شهاب الدين بن الهائم : هو أحمد بن محمد بن عماد بن على القرافى المصرى المقدسى الشافعى المعروف بالفرضى ، وبالحاسب ، والمشهور بابن الهائم .

ولد سنة ٧٥٦ هـ وسمع الحديث ودرس غيره من العلوم كالفقه والعربية والنحو . وبرع فى الحساب وبخاصة فى الفرائض وما يتصل بها ، حتى نسب إليها .

واشتغل بالتدريس بالقدس فى المدرسة الصلاحية . وتصدى للإفتاء والتصنيف .

ومن مصنفاته : الفصول فى الفرائض . والكفاية وهى أرجوزة ألفية فى الفرائض أيضاً . والنفحة المقدسية فى اختصار الرحبية ، فى الفرائض أيضا . والفصول المهمة فى علم مواريث الأمة والمعونة فى صناعة الحساب الهوائى . وقد اختصره فى مختصرين هما : الوسيلة ، والمبدع وله أيضا : اللمع المرشدة فى صناعة الغبار . ومرشد الطالب إلى أسنى المطالب وهو فى الحساب . والمقنع فى الجبر وهو منظومة فيه . وشرح قطعة من المنهاج فى الفقه . والضوابط الحسان فيما يتقوم به اللسان . وهو فى العربية . وله مؤلفات أخرى ومنظومات علمية جليلة .

---

(١) قال جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ما ملخصه إن ابن الشحنة هذا له كتاب « روض المناظر فى علم الأوائل والاواخر » وهو مطول فى التاريخ العام . والظاهر انه استعان بتاريخ أبى الفداء .

وفى الضوء مايدل صراحة على أن لابن الشحنة مختصرا عن مختصر أبى الفداء ولم يصرح اسمه فلعله الكتاب السابق ذكره . وقال نقلا عن ابن حجر فى الدرر فى ترجمة والده محب الدين ، إن ابن الشحنة هذا كبير الدعوى وفى تاريخه اوهام عديدة » .

وكانت وفاة ابن الهائم هذا فى أواخر جمادى الآخرة عام ٨١٥ ﻫ .

« الضوء ج ٢ رقم ٤٤٩ — الشذرات ج ٧ ص ١٠٩ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥١ »

٤٣٣ — شهاب الدين بن حجى : هو أبو العباس أحمد بن حجى بن موسى أبن أحمد بن سعيد ، السعدى الدمشقى الشافعى . أخو نجم الدين بن حجى الذى ولى قضاء دمشق مدة . ولد شهاب الدين بظاهر دمشق عام ٧٥١ ﻫ وتفقه متتلمذا لأبيه وللشمس بن أبى حسن الغزى وابن قاضى شهبة ، والشهاب الأذرعى وغيرهم . وسمع الحديث من كثير من حفاظ . ومهر فى الفقه ، وأذن له فى الفتوى والإقراء ، وناب فى الحكم ، وولى خطابة الجامع الأموى . وأريد تعيينه فى قضاء دمشق فأبى فوليه أخوه نجم الدين . وزار القاهرة مراراً وقعد بها وببلده محدثا مدرسا مفتيا . قال السخاوى « وانتهت إليه فى آخر وقته رياسة العلم بدمشق ، مع دين وصون وعبادة .

ومن تصنيفه ، شرح المحرر ، لم يتم ، ونكت على ألغاز الإسنوى ، وعلى مهماته ، وتذييل على تاريخ ابن كثير ، بدأ فيه من سنة ٧٤١ إلى ذى القعدة ٨١٥ ﻫ . ومعجم لشيوخه مرتب على حروف المعجم ، والدارس فى أخبار المدارس . — وتوفى ٦ المحرم عام ٨١٦ ﻫ :

« الضوء ج ١ ص ٢٦٩ — الشذرات ج ٧ ص ١٦٦ »

٤٣٤ — جمال الدين بن ظهيرة : هو أبو حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد القرشى المخزومى المكى الشافعى ، ويعرف بابن الظهيرة . ولد ليلة عيد الفطر سنة ٧٥١ ﻫ بمكة ، ونشأ بها ، وسمع موطأ مالك من بعض شيوخ الحديث . ورحل فى سبيل العلم إلى دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب وبيت المقدس والإسكندريه والقاهرة ، ولقى فى رحيله كثيرين من الأئمة والحفاظ وأخذ عنهم . ومنهم بالقاهرة أبو البقاء السبكى والبلقينى وابن الملقن ـ وقد نبغ ابن ظهيرة فى كثير من فنون العلم ، كالفقه والحديث والأصول وغيرها . قال السخاوى : « وصار كثير الاستحضار للفقه مع التمييز فى الحديث متنا وإسنادا ولغة وفقها ومعرفة حسنة بالعربية ، ومشاركة جيدة فى غيرها من فنون العلم ، ومذاكرة بأشياء مستحسنة من التاريخ والشعر ، بحيث انتهت إليه رياسة الشافعية ببلده ولقب عالم الحجاز » .

وأخذ ينشر العلم ويقصده الطلاب من كل فج ويستفتى زهاء أربعين عاما . وحدث

بالكثير مما حفظ من الحديث بالمسجد الحرام ، وزاول التدريس فى أكثر من مدرسة . كما ولى قضاء مكة وخطابتها ، وغير ذلك .

ومن مصنفاته : شرح قطع من كتاب الحاوى الصغير فى الفقه ، وجملة من الفتاوى فى مسائل مختلفة . وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ١٦ رمضان سنة ٨١٧ هـ بمكة ودفن بالمعلاة [١]

« الضوء ج ٨ رقم ١٩٤ — الشذرات ج ٧ ص ١٢٥ »

٤٣٥ — عز الدين بن جماعة المقدسى الحموى المصرى الشافعى العلامة المؤلف.

محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة . ولد بينبع سنة ٧٤٩ هـ . وهو من أسرة طيبة مباركة اشتهرت بالعلم والفضل ، أصلها من حماة .

وقد مال منذ حداثته إلى طلب العلم وأوتى حافظة قوية عاونته على جهاده العلمى فحفظ القرآن فى شهر واحد - رواه ابن حجر - وسمع الحديث من أعيان حفاظه كالقلانسى. وشغف بالمعقولات وغيرها من العلوم ، فأخذ عن سراج الدين الهندى وضياء الدين الدين القرمى العفيفى . وعلاء الدين السيرامى ، وولى الدين بن خلدون وسراج الدين البلقينى ، والعلاء بن صغير الطبيب ، وغيرهم . كما تفقه وسمع الحديث على كثيرين.

قال السخاوى عنه : « ونظر فى كل فن ، حتى فى الأشياء الصناعية كلعب الرمح ورمى النشاب وضرب السيف والنفط حتى الشعوذة ، حتى فى علم الحرف والرمل والنجوم ، ومهر فى الزيج وفنون الطب . وكان من العلوم بحيث يقضى له فى كل فن بالجميع . وصار المشار إليه فى الديار المصرية فى العقليات . والمفاخر به لعلماء العجم ، تخضع له الرجال وتسلم له المقاليد . بل هو فى ذلك أمة وحده ، وفضلاء البلد كلهم عيال فيه »

وقال عنه السيوطى : « العلامة المفنن المتكلم الجدلى النظار النحوى اللغوى البيانى الخلافى أستاذ الزمان وفخر الأوان » .

وقد اشتهر فضله وذاع صيته فى الأقطار : وتصدى للإفادة والتدريس ، فحج إليه الطلاب من كل فج وتخرج به أفاضل العلماء فى فنون شتى منها : الأصول

---

١ — جمال الدين بن ظهيرة من أسرة طيبة مباركة عاشت بمكة المكرمة ، ونبت فيها رجال أعلام خدموا الدين واللغة والعلم أجل الخدمات . وتراجمهم منشورة فى [illegible] ومنها [illegible] فى [illegible] السخاوى الضوء اللامع ج ٩ رقم ٧١٧ إلى رقم ٢ .

والمنطق والمعانى والبيان والحكمة . وكان ينظم الشعر قلقا .

وأولع بالتأليف حتى قيل إن مؤلفاته جاوزت ألفا ، ضاع منها الكثير وأغلبها شروح وحواشي ونكت . ومنها : قرض سيرة المؤيد لابن ناهض . والمعول فى شرح المطول . وسبك النضير فى حواشى الشرح الصغير . وله كتاب فى اللعب بالرمح . وشرح جمع الجوامع . ونكت على مختصر ابن الحاجب . وحاشية على شرح البيضاوى للإسنوى . وحاشية على المغنى ، وإعانة الإنسان على أحكام اللسان . وغير ذلك .

وقد ذكره ابن حجر فى معجمه وأنبائه . والمقريزى فى عقوده . وابن قاضى شهبة .

وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٨١٩ هـ مطعونا .(١)

« الضوء ج ٧ رقم ٤١٧ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٣ — الشذرات ج ٧ ص ١٣٩ »

٤٣٦ — صلاح الدين الأقفهسى المصرى الشافعى : هو أبو الصفاء خليل بن محمد ابن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحد حفاظ عصره وأساتذة جيله ، ويعرف بالأشقر وبالأقفهسى .

ولد سنة ٧٦٣ هـ ونشأ ميالا إلى العلم ، فحفظ القرآن ، وطلب الفقه والفرائض والحساب والأدب . ثم مال إلى سماع الحديث ، فسمعه على كثيرين من رجاله وحفاظه ، منهم : عزيز الدين المليجى ، وصلاح الدين البلبيسى وتقى الدين بن حاتم والشهاب المنفر ، وغيرهم . وانتفع أيما انتفاع بالزين العراقى وابنه ولى الدين ، وبالنور الهيثمى .

وقد حج وجاور زمنا ، ثم عاد إلى القاهرة عام ٧٩٨ هـ . وعاد مرة أخرى ، فى صحبة الشيخ ابن حجر العسقلانى عام ٨٠٠ هـ . وتكررت زياراته لمكة ورحل للحسا والقطيف ، وزار كنباية بالهند كذلك ، وهراة وسمرقند . وتردد على بلاد العجم . ومازال يسمع الحديث حتى برع واشتهر بالفضل ، وعد فى الحفاظ وحدث وتخرج به علماء أفاضل ومحدثون ثقات . وكان مجودا فى الشعر والنثر .

ومن تصانيفه فى الحديث وتخريجاته : المتباينات وبها نحو مائة حديث ، وأحاديث الفقهاء الشافعية : وأربعون حديثا خرجها لزين الدين أبى الفرج بن الشحنة فى الأدعية والأذكار ، وسماها « شعار الأبرار » . وله غير ذلك . — وكانت وفاته فى نحو سنة ٨٢١ هـ .

« الضوء اللامع ج ٣ رقم ٧٦٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٠ — الشذرات ج ٧ ص ١٥٠ »

(١) عز الدين بن جماعة هذا حفيد عز الدين بن جماعة المتقدم ذكره .

٤٣٧ — جلال الدين[1] البلقيني : هو أبو الفضل عبد الرحمن بن عمر بن رسلان ابن نصير ، القاهري الشافعي. ولد في سنة ٧٦٣ بالقاهرة . وأبوه سراج الدين عمر البلقيني المشهور . وقد نشأ نشأة علمية طيبة ، ومازال جادا فى طلب العلم على أبيه وشيوخ عصره يعاونه فى ذلك ذكاء مفرط وحافظة قوية قويمـــة ، حتى برز وفاق واشتهر صيته فى الآفاق . وأخذ يدرج فى مناصب الدولة فولى توقيع الدست فى ديوان الإنشاء وزاول التدريس بمسجد الشافعى والبرقوقى وجامع ابن طولون وغير ذلك كثير. ومازال حتى ولى قضاء الشافعية بالديار المصرية . وقد تخرج به تلاميذ أفاضل .

وكانت دروسه عامرة بالتفسير والحديث والفقه . وانتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة والده .

ولم ين بين مشاغله المتعددة عن التصنيف فى أنواع العلوم المختلفة ، ومن ذلك : تفسير القرآن الكريم ، لم يتمه ونكت على المنهاج ، لم يتمه أيضاً . ونكت على الحاوى الصغير ، ومعرفة الكبائر والصغائر والخصائص النبوية ، وعلوم القرآن ، وترجمة أبيه وغير ذلك — وكانت وفاته فى ليلة ١١ شوال سنة ٨٢٤ هـ .

«الضوء ج ٤ رقم ٣٠١ — الشذرات ج ٧ ص ١٦٦»

٤٣٨ — شهاب الدين السرميني : أحمد بن ابراهيم بن ملاعب ، الحلبي الفلكي ، ويعرف بابن ملاعب ، عاش فى حلب زمنا ثم تحول منها إلى صفد . وكان أستاذا ماهرا فى علم الهيئة وحل الزيج وعمل التقاويم ، انفرد بذلك فى زمانه بحلب . غير أنه ينسب إلى رقة الدين . وتوفى فى صفد عام ٨٢٤هـ .

« الضوء ج ١ ص ٢٠٤ »

٤٣٩ — شمس الدين الزراتيتي : هو شيخ القراء أبو عبد الله محمد بن على بن محمد ابن أحمد ، القاهرى الحنفى (٢) . ويعرف بابن الزراتيتى نسبة إلى إحدى قرى مصر . ويعرف أيضا بابن الغزولى : ولد سنة ٧٤٨هـ[3] وطلب العلم وعنى بالقراءات فأخذها عن سيف الدين أبى بكر بن الجندى . وشرف الدين موسى الضرير ، والشمس العسقلانى . وله شيوخ غير هؤلاء فى القراءات والحديث وغيرهما وأجيز من كثيرين .

(١) ترجناه فى باب القضاة بالمجلد الثانى من كتابنا هذا

(٢ — ٣) قال فى الشذرات إنه حنبلى ، وإنه ولد سنة ٧٤٧ هـ .

وقد امتاز فى القراءات وتصدى لنشرها وطلبه التلاميذ من كل فج ، واشتهر حتى صار شيخ القراء بديار مصر . وتخرج به فيها جملة من الفضلاء منهم: زين الدين رضوان أحد شيوخ السخاوى ، ومنهم الحافظ ابن موسى . وولى الإمامة بجامع آل ملك ، والبرقوقية ، وولى مشيخة القراء بالبرقوقية . وأجاز كثيرين من الطلاب . وكان دينا صالحا . ذكره ابن حجر فى معجمه وفى إنبائه . والمقريزى فى عقوده . وكانت وفاته بالقاهرة عام ٨٢٥ هـ

« الضوء اللامع ج ٩ رقم ٣٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٢ — الشذرات ج ٧ ص ١٧١ »

٤٤٠ — برهان الدين البيجورى (١) : أبو اسحق ابراهيم بن أحمد بن على بن سليمان، القاهرى الشافعى . ولد فى سنة ٧٥٠ هـ تقريبا ، وقدم إلى القاهرة مقبلا على دراسة فقه الشافعية ، فتتلمذ فيه على جمال الدين الإسنوى ، ثم رحل إلى حلب قاصدا شهاب الدين الأذرعى فتتلمذ له مدة ، كتب عنه فيها كتاب « القوت » مستدركا على بعض مسائله . قيل إنه نبغ فى الفقه واستحضار مسائله حتى صار فى ذلك أمة ، وجادل فيه جلال الدين البلقينى بالقاهرة ، واحتد بينها الجدل . — والبلقينى ، من هو فى ذلك الحين — ثم اعترف له البلقينى أخيراً ، وتتلمذ له كثيرون ، وكان الطلبة يصححون عليه تصانيف العراقى ، والعراقى يوافقهم على تصحيحه .

وقد زاول البيجورى التدريس فى مدارس عدة منها الناصرية والسابقية ، ومدرسة الفخر عبد الغنى بين السورين . وصنف جملة حواش نافعة على كتب عدة منها : حاشية على الروضة .

وكان متواضعاً كيساً دينا معرضا عن الرياسة ، متورعاً عن الفتوى . ومات فى ١٤ رجب سنة ٨٢٥ هـ .

الضوء ج ١ ص ٢٠ — الشذرات ج ٧ ص ١٦٩ »

٤٤١ — ولى الدين أبو زرعة العراقى الشافعى : هو أحمد بن أبى الفضل عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن ، وأبوه زين الدين (٢) أبو الفضل العراقى أحد مجتهدى عصره وحفاظ الحديث فى زمانه . وهما من أصل كردى .

---

(١) نسبة إلى قرية بالمنوفية . قاله فى الضوء (٢) انظر ترجمة أبيه زين الدين العراقى ص ١٦٧ هذا المجلد

وقد ولد ولى الدين فى القاهرة فى ٣ ذى الحجة عام ٧٦٢ هـ ، ونشأ مع أبيه فى بيئة علمية ، ومال إلى تلقى العلم وطلب الحديث فأخذ عن حفاظه وجهابذة عصره فى القاهرة ودمشق وبيت المقدس ، كما طوف فى آفاق أخرى مثل مكة والمدينة .

ومن شيوخه بدمشق: شمس الدين الحسينى، وتقى الدين بن رافع ، وأبو الثناء المنبجى وأبو حفص الشحطبى ، وشرف الدين يعقوب الخريرى وغيرهم . ثم أخذ حين عودته إليها من الحافظ أبى بكر بن المحب ، وأبى الهول الجزرى وناصر الدين بن حمزة وغيرهم . ومن شيوخه بالقاهرة أبو البقاء السبكى وبهاء الدين بن خليل ، وزين الدين ابن القارى وغيرهم . وفى مقدمه شيوخه أبوه .

وظل ولى الدين يطلب الحديث ويسمعه ويحفظه ويستكثر منه حتى أصبح من كبار الحفاظ واشتهر فضله فيه ، أثناء حياة أبيه ، وامتد همه إلى الفقه والأصول والعربية ، وتفقه على الأبناسى وانتفع بعلمه وكذلك على سراج الدين البلقينى . كما أخذ أصول الفقه والمعانى والبيان وغيرها عن ضياء الدين عبد الله العفيفى القزوينى الشافعى . وكذلك أخذ العربية عن أبى العباس بن عبد الرحيم التونسى المالكى .

ومازال حتى برع فى هذه الفنون وعلى رأسها الحديث ، وأذن له بالفتوى والتدريس والإسماع ، وظهرت نجابته وذاع صيته وعلا نجمه .

وقد اتجه إلى شغل الوظائف والتصدى للإفادة . فزاول تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية البيبرسية ، والقانبهية والقراسنقرية وجامع ابن طولون . وزاول تدريس الفقه بالمدرسة الفاضلية ، والجمالية الناصرية، وناب فى الحكم مدة طويلة نحو عشرين عاماً ، ثم ترفع عن النيابة إلى الإفتاء والتدريس والتصنيف وإحياء سنة الإملاء بعد أبيه . فأملى الحديث بمكة والمدينة .

ثم اختاره السلطان الظاهر ططر ليلى قضاء الشافعية بمصر وذلك فى منتصف شوال عام ٨٢٤ هـ . فوليه بنزاهة ، وعفة ومهابة وكفاية . وقد لقى فيه بعض معاكسات ومناهضات لتمسكه بأهداب الحق والعدالة ، ولذلك لم يلبث فيه إلا نحو عام وشهرين ، ثم عزل ، متألما من عزله . وتوفى بعد قليل .

ومصنفاته أكثرها فى الحديث وشرحه ورجاله، وفى الفقه. ومنها: إتمام شرح كتاب والده «تقريب الأسانيد». وهذا الشرح المسمى «طرح التثريب» صنف والده منه بعضا. وفهرست مروياته. والبيان والتوضيح. والمستجاد فى مهمات المتن والإسناد. وتحفة التحصيل. وأخبار المدلسين. وتذييل على الكاشف للذهبي. والإطراف بأوهام الأطراف للمزى. وتذييل على تذييل والده على وفيات أبى الحسن ابن أيبك. وتحفة الوارد فى ترجمة والده. ونظم الاقتراح لوالده. وشرح بعض سنن أبى داود وتنقيح اللباب للمحاملى. والبهجة المرضية فى شرح البهجة الوردية، ومختصر المهمات والتحرير وهو نكت على المنهاج. وتصحيح الحاوى لابن الملقن وشرح جمع الجوامع وغير ذلك. وله نظم ونثر.

وكانت وفاة ولى الدين أبى زرعة فى يوم الخميس ٢٧ شعبان عام ٨٢٦ وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع الأزهر فى مشهد مهيب حافل، شهده غلبة الناس وكبار رجال الدولة. ودفن بتربة طشتمر بالصحراء إلى جانب والده.

« الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣٦ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٠ — الشذرات ج ٧ ص ١٧٣ »

٤٤٢ — بدر الدين بن الدماميني: هو العلامة الأديب النحوى، محمد بن أبى بكر ابن عمر بن أبى بكر، القرشى المخزومى السكندرى المالكى. ويعرف بابن الدماميني وهو من أسرة كريمة نبت بها عدد من العلماء.

ولد فى سنة ٧٦٣ هـ بالإسكندرية. وسمع الحديث بها من بهاء الدين بن الدماميني عم أبيه، ومن غيره. وسمعه بالقاهرة من سراج الدين بن الملقن وغيره وبمكة من القاضى أبى الفضل النويرى وغيره. ودخل دمشق سنة ٨٠٠ هـ.

واشتغل بالتدريس بالأسكندرية. وناب فى الحكم بها، ثم بالقاهرة. وتصدى لتدريس النحو بالأزهر، ثم ولى الخطابة بالأسكندرية، وتكسب بالتجارة بها. وكان يدير بها دولابا للحياكة، ثم احترقت داره وكان عليه دين، ففر من دائنيه إلى الصعيد. ولكن تمكنوا من إحضاره إلى القاهرة فى حالة يرثى لها. فعاونه إذ ذاك الأديب تقى الدين بن حجة، وكاتب السر ناصر الدين بن البارزى.

ثم سافر إلى مكة فحج، ثم يمم بلاد اليمن فدرس هناك بجامع زبيد نحو سنة، ثم

رحل إلى الهند فأقبل عليه أهلها يطلبون علمه . وعاش لديهم مهيباً راضياً . حتى توفى بها عام ٨٢٧ هـ في شعبان .

وقد كان ابن الدميني فقيها عالما محدثا ، ونحويا ، وأديبا كاتبا وشاعرا ، ومؤلفا ، وله منظومات عدة . وكان حسن الخط أيضا .

ومن مؤلفاته : نزول الغيث الذى انسجم ـ وهو نقد على كتاب شرح لامية العجم للصلاح الصفدى . وتحفة الغريب فى حاشية مغنى اللبيب تعقبه فيها التقى الشمنى . وشرح البخارى . وشرح التسهيل . وشرح الخزرجية . وجواهر البحور فى العروض ، وشرحه . والفواكه البدرية من نظمه . ومقاطع الشرب . وعين الحياة وهو مختصر من حياة الحيوان للدميرى . وقد نظم سيرة المؤيد لابن ناهض . ومن نظمه :

رمانى زمانى بما ساءنى ... فجاءت نحوس وغابت سعود
وأصبحت بين الورى بالمشيب ... عليلا فليت الشباب يعود

ذكره ابن حجر فى إنبائه ومعجمه . والمقريزى فى عقوده .

« الضوء ج ٧ رقم ٤٤٠ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٨ — شذرات الذهب ج ٧ ص ١٨١ جورجى زيدان ص ١٤٣ ج ٣ »

٤٤٣ — شمس الدين الديرى الحنفى : هو محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح ، المقدسى نزيل القاهرة . المعروف بابن الديرى . نسبة إلى مكان جهة جبل نابلس . ولد بعد سنة[1] ٧٤٠ هـ ، بسنتين أو بضع سنين .

وكان أبوه تاجرا ولكن حبب إليه العلم ، وأقبل على الفقه وغيره من الفنون ، وتردد على القاهرة حتى اشتهر فيها ببراعته وفضله فى فقه مذهبه . وفاضت شهرته ببلده حتى صار مقدم علمائها ومفتيها . وكان يعقد بها مجالس الوعظ ، وناظر العلماء . وكان كثيرا مايبدى النصيحة للأمراء للكف عن الظلم .

وقد أسند إليه سلطان مصر المؤيد شيخ قضاء الحنفية بمصر عام ٨١٩ هـ ، فسار فيه سيرة محمودة بنزاهة وكفاية وعفة ورعاية للحق . وعزل من القضاء عام ٨٢٢ هـ لكثرة شكاوى الأمراء منه لتمسكه بالحق . . .

---

١ — فى حسن المحاضرة أن مولده سنة ٧٥٤ هـ .

ووكلت إليه مشيخة التصوف بجامع المؤيد مع التدريس .

وكثيرا ما كان يلق دروسه فيه بين يدى المؤيد . ثم يجلس بين صلاتى المغرب والعشاء بمحرابه يعلم الناس ويفقههم بأمر دينهم .

ثم سافر بأخرة إلى بلده لزيارة أهله ، فمرض ومات ، وذلك فى سنة ٨٢٧ ﻫ فى ٩ ذى الحجة . ويفهم من كلام السخاوى أن ابن حجر ذكره فى معجمه وإنبائه وفى رفع الأصر . وذكره المقريزى فى عقوده . وذكره البدر العينى .

« الضوء اللامع ج ٨ رقم ١٨٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٣ — الشذرات ج ٧ ص ١٨٢ »

٤٤٤ — علاء الدين بن مُغْلى الحنبلى : على بن محمود بن أبى بكر ، السلمى الحموى نزيل القاهرة ، ويعرف بابن المغلى نسبة إلى المغل . ولد بحماة سنة ٧٧١ ﻫ - وقيل غيرها - وقد شب ذكيا سريع الحفظ جيد الفهم ، وطفق يطلب العلم وحفظ كتبا عدة فى علوم كثيرة منها : الفقه والحديث والعربية والأصول وعدة قصائد طوال . ودخل دمشق وتتلمذ بها لبعض شيوخها ومنهم زين الدين بن رجب . وما زال حتى برز وفاق واشتهر فضله مع دين وعفة وعدالة وتصد للإفادة والفتوى .

وقد ولى قضاء حماة ثم قضاء حلب ، ثم ولى قضاء الحنابلة بمصر عام ٨١٨ ﻫ وهنا جاء إلى القاهرة .

وكانت وفاته فى المحرم سنة ٨٢٨ ﻫ — وذكره ابن خطيب الناصرية . وترجمه المقريزى فى عقوده .

« الضوء ج ٦ رقم ١٠٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٩ — شذرات الذهب ج ٧ ص ١٨٥ »

٤٤٥ — سراج الدين الكنانى الحنفى ، المعروف بقارىء الهداية : هو أبو حفص عمر بن على بن فارس . ولد بالحسينية فى ظاهر القاهرة ، ونشأ بالقاهرة وتفقه على أئمة العصر ، ولازم علاء الدين السيرامى وقرأ عليه الهداية . وقد عرف بها تمييزا له عن زميل آخر يسمى سراج الدين كان يرافقه فى التلمذة على السيرامى .

ومن شيوخه : البلقينى والزين العراقى وابن سيد الناس والجمال الأسيوطى لقيه بمكة .

قال السخاوى : « ولا زال يترقى فى الفقه وأصوله والعربية والتفسير وغيرها مع المشاركة فى فنون كثيرة حتى انتهت إليه رياسة الحنفية فى وقته بغير مدافع »

وقال : « وتصدى للإفادة والتدريس، فكثرت تلامذته والآخذ عنه، وانتفع به الأئمة. وصار الأعيان فى المذهب كابن الهمام والأقصرائى ممن دونهما من تلامذته ». وكان محباً لاقتناء الكتب، متواضعا مهيباً . قيل : كان الجلال البلقينى يقول : هو أبو حنيفة زمانه.

وولى تدريس الحديث بالمدرسة البرقوقية ، والفقه بالناصرية والأشرفية القديمة والظاهرية القديمة، والآقبغاوية المجاورة للأزهر وغيرها . كما ولى الإعادة بجامع ابن طولون ومشيخة الشيخونية .

ومات فى ربيع الثانى سنة ٨٢٩ هـ ، ودفن باحتفال ، بحوش الأشرف برسباى بجانب البرقوقية .

« الضوء ج ٦ رقم ٣٤٤ـ الشذرات ج ٧ ص ١٩١ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٣٣ »

٤٤٦ — شمس الدين الهروى الرازى الشافعى : هو شمس — أو محمد — ابن عطاء الله بن محمد بن أحمد بن محمود . ولد بهراة سنة ٧٦٧ هـ وطلب العلم ببلاده ، واتصل بتيمورلنك، ثم رحل إلى بنى عثمان . ثم طاف بالقدس وحج إلى مكة، ثم عاد إلى الشام وحسنت صلته بأميرها نوروز الحافظى، فولاه تدريس المدرسة الصلاحية بالقدس . ثم قدم إلى القاهرة فى عهد الملك المؤيد شيخ ، فحظى عنده وأعانه المؤيد بالمال والمنح المختلفة . ويقال إنه كان يدعى حفظ صحيح البخارى متنا ، وصحيح مسلم بأسانيده . فعقد له المؤيد مجلس اختبار — دون علمه — فظهر كذب الادعاء . غير أنه كان ماهرا فى المذهبين الشافعى والحنفى ، والعربية والبلاغة والأدب والتاريخ ، سريع الارتجال للحكايات ، غواصا على المعانى .

وقد ولى قضاء الشافعية بمصر سنة ٨٢١ هـ ، فلبث به زمنا قليلا ثم عزل ، ثم تردد على القدس مدرسا للصلاحية . ثم قدم إلى القاهرة كاتبا للسر عوضا عن الجمال يوسف السكركى فلبث مدة . ثم استقر بالقدس ومات بها فى ١٩ ذى الحجة عام ٨٢٩ هـ.

ومن مصنفاته: شرح مشارق الأنوار . وشرح صحيح مسلم واسمه «فضل المنعم» . وشرح الجامع الكبير .

ذكره المقريزى فى عقوده . وابن حجر فى إنبائه وفى فتح البارى وفى معجمه . وذكره ابن قاضى شهبة والعينى .

« الضوء ج ٨ رقم ٣٥٩ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٣ . شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧٩ »

٤٤٧ — شمس الدين البرماوي القاهري : أبو عبدالله محمد بن عبدالدائم بن موسى، كان شافعي المذهب . ولد في منتصف ذي القعدة سنة ٧٦٣ هـ ، وكان أبوه مؤدب أطفال، فنشأ ابنه في كنفه ميالا إلى طلب العلم ، فحفظ القرآن الكريم وعددا من الكتب . وأخذ في سماع الحديث من جلة شيوخه وحفاظه ومنهم : إبراهيم بن اسحق الآمدي ، وعبد الرحمن بن علي القاري ، والبرهان بن جماعة ، وابن الفصيح والتنوخي وغيرهم ، وتفقه كذلك . وما زال يطلب العلم حتى علا كعبه وعرف فضله ، فاستكفى في بعض الوظائف . فرحل إلى دمشق عام ٨٢١ هـ وناب في الحكم ، واشتغل بالخطابة في جامعها، وولي الإفتاء في دار العدل ، والتدريس بالمدرسة الرواحية والأمينية . ثم مات ولده وهو بدمشق، فكره الإقامة بها . وعاد إلى القاهرة عام ٨٢٦ هـ، وتصدى للإفتاء والتدريس والتصنيف، وأقبل عليه الطلاب من كل فج ، وتخرج به جملة من الأفاضل صاروا من البارزين في حياته . ومنهم المحلي والمناوي والعبادي .

قال السخاوي عنه : « وكان إماما علامة في الفقه وأصوله والعربية وغيرها ، مع حسن الخط والنظم ، والتودد ولطف الأخلاق وكثرة المحفوظ والتلاوة والوفاء والتواضع وقلة الكلام . . . » . ويبدو من كلام السخاوي عن مصنفاته أنه كان كثير الاعتماد فيها على غيره من شيوخه ونحوهم . . . .

ومن مصنفاته : شرح البخاري في أربع مجلدات . وشرح العمدة ، ومنظومة في أسماء رجال هذا الكتاب السابق ذكره ، وألفية في أصول الفقه وشرحها . ومنظومة في الفرائض وشرح لامية الأفعال لابن ملك . وشرح البهجة الوردية . ومختصر في السيرة النبوية . وغير ذلك .

ذكره المقريزي في عقوده . وابن قاضي شهبة .

وكانت وفاته في يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ٨٣١ هـ .

« الضوء اللامع ج ٧ رقم ٧٢٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٧ — شذرات الذهب ج ٧ ص ١٩٧ »

٤٤٨ — شمس الدين الشطنوفي[1] : هو محمد بن ابراهيم بن عبد الله ، النحوي .

(١) — الشطنوفي بفتح الشين المعجمة ، وتشديد الطاء المهملة ، نسبة إلى شطنوف ، بلد بمصر — قاله في شذرات الذهب ج٦ ص١٩٨ — وفي الضوء : شطنوف في المنوفية من الوجه البحري .

ولد بعد سنة ٧٥٠ هـ، وقدم القاهرة شابا واشتغل بالفقه ومهر فى العربية ، وسمع الحديث . ودرس الفرائض .

وقام بتدريس القراءات فى الجامع الطولونى ، والحديث بالشيخونية وأخذ عنه النحو بالأزهر جمع من الفضلاء منهم التقى الشمنى والعلم البلقينى والشرف المناوى. وكانت وفاته سنة ٨٣٢ هـ . ذكره ابن حجر فى إنبائه ، والمقريزى فى عقوده.

«حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٨ — الضوء ج ٦ رقم ٨٨٩ — شذرات الذهب ج ٧ ص ١٩٩»

٤٤٩ — شهاب الدين الكلوتاتى : هو أبو الفتح أحمد بن عثمان بن محمد بن ابراهيم ، الكرمانى القاهرى الحنفى المحدث ويعرف بالكلوتاتى . ولد سنة ٧٦٢ هـ وحبب إليه طلب العلم وسماع الحديث ، وقراءة كتبه ولقاء شيوخه ، وجد فى دراسة القراءات وعلوم اللغة وتتلمذ فى ذلك كله لكثير من أئمة القاهرة وغيرها ، حتى أصبح قديراً على الإفادة ماهرا فى الإسماع . قال فيه ابن حجر العسقلانى : « الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل الأوحد المحدث مفيد الطالبين عمدة المحدثين ». وكان دينا عابدا متقللا . وعاش فى القاهرة سنين يسمع الحديث .

وقد عين لقراءة الحديث بالقصر الأسفل من القلعة ، وبتربة الظاهر برقوق خارج باب النصر . وسمع منه الحديث كثيرون .

وقد اختصر الناسخ والمنسوخ للحازمى ، وصنف مختصرا فى علوم الحديث لم يتمه ، واختصر تهذيب الكمال ، لم يكمله ، وله غير ذلك من المصنفات . وقد توفى فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٨٣٥ هـ ، بالقاهرة ودفن بجوار الزين العراقى .

« الضوء ج ١ ص ٣٧٨ — الشذرات ج ٧ ص ٢١٢ »

٤٥٠ — شهاب الدين الكنانى البوصيرى الشافعى القاهرى : هو أحمد بن أبى بكر ابن اسماعيل بن سَليم بن قايماز . ولد فى المحرم سنة ٧٦٢ هـ بأبوصير من الغربية . فحفظ القرآن وجوده . وانتقل إلى القاهرة فدرس الفقه والنحو والمعقولات وسمع الحديث من التنوخى والبلقينى والعراقى والهيثمى وابن حجر العسقلانى . وعد من الحفاظ .

ومن مصنفاته : زوائد ابن ماجة على باقى كتب الحديث الخمسة ، مع الكلام على أسانيدها . وزوائد السنن الكبرى للبيهقى على الكتب الستة وزوائد مسانيد الطيالسى

وغيره . وتحفة الحبيب للحبيب بالزوائد فى الترغيب والترهيب ، وهو جملة من زوائد كتب فى الحديث ، وجعله تذييلا على كتاب « الترغيب » للمنذرى . وغير ذلك .

وكانت وفاته فى يوم الأحد ٢٧ المحرم عام ٨٤٠ هـ ودفن بتربة طشتمر الدوادار .

قال السخاوى : « وقد ذكره شيخنا — يعنى ابن حجر — فى إنبائه ، والمقريزى فى عقوده ، وابن فهد ، وآخرون . »

« الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥١ — حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٠ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٣٣ »

٤٥١ — علاء الدين البخارى ، هو محمد بن محمد بن محمد ، العجمى الحنفى ، العلامة إمام زمانه فى المعقولات . ولد ببلاد العجم سنة ٧٧٩ هـ ، ونشأ ببخارى ، ودرس فقه الحنفية والأدبيات والعقليات واللغة العربية ، وبرع فى كل أولئك . واستوطن الهند مدة . ثم قدم إلى القاهرة وتصدر للتدريس والإقراء ، مع زهادة وعفة وقوة فى الحق . وكانت وفاته ببلاد الشام فى رمضان عام ٨٤١ هـ .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٣ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤١ »

٤٥٢ — برهان الدين الطرابلسى : أبو الوفاء ابراهيم بن محمد بن خليل الشافعى . وينسب إلى طرابلس الشام . كان علامة عصره ومحدث جيله . ولد بحلب فى ٢٢ رجب عام ٧٥٣ هـ وتنقل منها إلى بلاد كثيرة بغية والعيش التعلم ، منها . دمشق والقاهرة والإسكندرية ودمياط وتنيس وبيت المقدس والخليل وغزة وحماة وغير ذلك ، فسمع بكل منها الحديث ولقى أفاضل الفقهاء والحفاظ ، وأخذ عنهم ، حتى بلغ عدد مشايخه نحو مائتين ، منهم : سراج الدين البلقينى وسراج الدين بن الملقن وأخذ عنهما وعن غيرهما الفقه ، وأبو عبد الله بن جابر الأندلسى وأخذ عنه وعن غيره النحو . ومجد الدين الفيروز آبادى وأخذ عنه اللغة ، وصدر الدين الياسوفى وزين الدين العراقى وأخذ عنهما فنون الحديث ، وغير هؤلاء كثيرون .

وأقام فى حلب بعد طواف ، ثم فر منها وفر أهله مدة ، إبان إغارة تيمور لنك عليها ثم عادوا ، واستقر بها وطفق يحدث بحديث الرسول عليه السلام مفيداً الطلاب ، يؤمونه من كل فج . فلبث كذلك أكثر من ستين عاما ، فتخرج به طبقات من الأفاضل

متوالية . ومن تلاميذه : جمال الدين بن موسى المراكشي ، وعلاء الدين بن خطيب الناصرية .

وسعى إليه أو اتصل به بعض أئمة عصره بغية الاستفادة منه أو الاستزادة على ماعندهم من العلم ، مثل ابن حجر العسقلاني . وأثنى عليه كثير من المؤرخين معاصرين وغير معاصرين . قال السخاوي عنه : « كان إماما علامة حافظا خيرا دينا متواضعاً .. الخ» وقال الجمال بن موسى المراكشي عنه : « الإمام العلامة المحدث الحافظ شيخ مدينة حلب بلا نزاع . »

ومن مصنفاته : تعليق على سنن ابن ماجة ، وشرح مختصر على البخاري ، والمقتفى في ضبط ألفاظ الشفا ، ونور النبراس على سيرة سيد الناس . وحاشية على صحيح مسلم . وحاشية على سنن أبي داود . ونهاية السول في رواة الستة الأصول ، والكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث ، والتبيين لأسماء المدلسين ، وتذكرة الطالب المعلم فيمن يقال إنه مخضرم ، والاغتباط بمن رمى بالاختلاط . وثبت ألم فيه بتراجم شيوخه وغير ذلك .

وكانت وفاته بعد حياة حافلة ، بحلب في الاثنين ٢٦ شوال سنة ٨٤١ هـ ، ودفن بالجبيل بجنازة مشهودة . وابنه موفق الدين سيأتي ذكره .

« الضوء ج ١ ص ١٣٨ — المنهل ج ١ — الشذرات ج ٧ ص ٢٣٧ »

٤٥٣ — شهاب الدين الدميري . هو أحمد بن محمد بن أحمد بن علي المصري القاهري المالكي ويعرف بابن تقي ، وابن أخت بهرام . ولد في فوة سنة ٧٨٥ هـ تقريباً ، وانتقل إلى القاهرة وحفظ كتباً في علوم شتى عربية ودينية . وكان قوي الحافظة ممتازا في حفظه ، ذكيا، فكان له من ذلك عون كبير على استيعاب كتب كثيرة، قيل إن الشاعر سراج الدين عمر الأسواني أنشد مرة قصيدة مطولة من نظمه ، على مسمع منه ، فأحب مداعبته ، فقال له إنها قصيدة قديمة وبادر فسردها من حافظته . . .

وقد جد شهاب الدين في طلب العلم حتى أصبح بارعا في الفقه وأصوله ، وعلوم العربية والبلاغة مع إجادة الخط . وزاول الفتوى والتدريس ، وطار صيته بذلك ، وصار مرجعا للمالكية ،

ودرس في الشيخونية والحجازية وجامع الحاكم والقطبية والقراسنقرية وغيرها .

وناب فى القضاء ، ثم طلب له فامتنع . ولم يشغل نفسه بالتصنيف كأنه اكتفى بالتدريس .

ومات فى ١٢ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ . « الضوء جـ٣ رقم ٢٣٦ — الشذرات جـ٧ ص٢٤٢ »

٤٥٤ — شمس الدين القيسى : هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد الحموى الدمشق الشافعى ، المعروف بابن ناصر الدين . ولد سنة ٧٧٧ هـ بدمشق فحفظ القرآن الكريم وكتبا علمية عدة ، وأخذ يدرس العلم ويرحل فى سبيله ، ويلق الأئمة ويسمع الحديث ببعلبك وحلب ومكة حاجا ، والمدينة زائرا . ومن شيوخه الجمال بن ظهيرة وأبو هريرة بن الذهبى ، والبلقينى وصدر الدين المناوى وكثير غيرهم . وظل حتى أصبح إماما علامة ، بل صار محدث دمشق وحافظها فى وقت من الأوقات ، مع دين وكياسة.

وقد أكثر ابن ناصر الدين من التصنيف ، فمن مصنفاته : طبقات شيوخه . وجامع الآثار فى مولد المختار ، ومورد الصادى فى مولد الهادى ، واللفظ الرائق فى مولد خير الخلائق ، ومنهاج الأصول فى معراج الرسول ، وإطفاء حرقة الحوبة بإلباس خرقة التوبة ، وافتتاح القارى لصحيح البخارى ، وإتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك ، وتوضيح المشتبه فى أسمـــاء الرجال ، وغير ذلك كثير . وله منظومات وشعر متوسط الجودة .

وكانت وفاته بدمشق فى ١٦ ربيع الثانى سنه ٨٤٢ هـ .

« الضوء جـ٨ رقم ٢١٥ — الشذرات جـ٧ ص ٢٤٣ »

٤٥٥ — شمس الدين البساطى : محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم . القاهرى المالكى ، عالم عصره . ولد فى سنة ٧٦٠ [1] هـ ببساط من قرى الغربية . حفظ القرآن وارتحل إلى القاهرة فى سنة ٧٧٨هـ . وطلب العلم بشغف عظيم . ولازم شيخه نور الدين الجلاوى المغربى المالكى نحو عشر سنين وأخذ عنه الفقه والعقليات وغيرها . كما أخذ عن عز الدين بن جماعة وولى الدين بن خلدون ، ولازم الشيخ قنبر العجمى مدة ودرس عليه العقليات . ودرس الفقه وأصوله والعربية على شمس الدين الركراكى . وله مشايخ كثيرون غير هؤلاء . وسمع الحديث ولم يكثر منه . وجاور بمكة مدة . ومازال

---

(١) هذه [illegible] السخاوى [illegible] غيرها وهو أنه ولد [illegible] ٧ [illegible] وى السيوطى [illegible] سنة ٧٥٦ .

عاكفا على طلب العلم حتى علا كعبه فى الفقه والأصلين والعربية وعلوم البلاغة والمنطق والحكمة والهيئة والجبر والهندسة والحساب والطب . قال السخاوى : وصار إمام عصره وفريد دهره » .

واشتغل بتدريس الفقه بالشيخونية ثم بالصاحبية ومدرسة جمال الدين وغيرها . ثم اختير قاضيا لقضاة المالكية بالديار المصرية فى جمادى الأولى سنة ٨٢٣ هـ .

وكان متواضعا رقيق القلب قريب الصفح . عاكفا على الإفادة . محبا للتصنيف فى العلم .

ومن مصنفاته : المغنى فى الفقه ، لم يتم . وشفاء الغليل فى مختصر الشيخ خليل ، لم يتم ، وتوضيح المعقول وتحرير المنقول على كتاب ابن الحاجب الفرعى . لم يتم . وحاشية على المطول للتفتازانى . وحاشية على شرح المطالع للقطب . وحاشية على المواقف للعضد . ونكت على الطوالع للبيضاوى . وله كتب فى أصول الدين . وفى العربية . ورسالة فى المفاخرة بين الشام ومصر . وغير ذلك من المصنفات . كما له النثر والنظم .

وكانت وفاته فى ١٣ رمضان عام ٨٤٢ هـ بالقاهرة ، وصلى عليه بباب النصر ودفن بجانب شيخه عز الدين بن جماعة فى تربة بنى جماعة بالقرب من تربة سعيد السعداء .

« الضوء اللامع ج ٧ رقم ٧ — وروى أن المقريزى ذكره فى عقوده — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨ — الشذرات ج ٧ ص ٢٤٥ » .

٤٥٦ — سراج الدين العفيفى البسلقونى : هو أبو على عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد ، القبايلى اللخمى السكندرى المالكى . ولد فى سنة ٧٦١ هـ بالإسكندرية . وحمله جده إلى قرية البسلقون جنـــوب الإسكندرية بقليل ، فأقام بها مدة ، وحفظ القرآن الكريم . ثم عاد إلى الثغر وتردد إلى القاهرة مرارا . وطفق يطلب العلم ويحفظ النافع من كتبه ، ودرس الفقه على شهاب الدين أحمد بن صلح بن حسن اللخمى وغيره . والنحو على منصور بن عبد الله المغربى وغيره ، وأصول الفقه على شمس الدين محمد ابن يعقوب الغمارى ، ومازال يدرس العلوم المختلفة الأخرى من قراءات وتفسير وفرائض وحديث حتى برع فيها ، وأصبح نابه الشأن وأجيز بالفتوى والتدريس ، فدأب على خدمة العلم ونفع طلابه .

ومن مصنفاته . جواهر الفرائد وهى فى علوم شتى . والجوهرة الثمينة فى مذهب عالم المدينة ، وهى منظومة فى مذهب مالك . وتحفة الرائض وهى أرجوزة فى الفرائض ، وشرحها فى مجلد . وبهجة الفرائض وشرحها . وله أراجيز علمية أخرى . وتفسير سورة الفاتحة واسمه «سراج الأغراب» .

وكانت وفاته فى سنة ٨٤٢ هـ . وقيل إنه كان حيا سنة ٨٤٤ هـ .

« الضوء ج ٦ رقم ٤٣٦ »

٤٥٧ — علاء الدين بن الخطيب الناصرية : هو العلامة أبو الحسن على بن محمد ابن سعد بن محمد ، الحلبي الطائى الجبرينى نسبة لبيت جبرين الفستق ، ظاهر حلب شرقا . كان شافعى المذهب . وقد ولد سنة ٧٧٤ هـ بحلب ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم وكتبا عدة فى الفقه والحديث والنحو ، وأخذ فى دراسة القراءات ، وغيرها ، ورحل إلى بيت المقدس ، ثم القاهرة وتتلمذ فى كل منهما وفى غيرهما لعدة أئمة ، منهم : تاج الدين الأصفهيدى العجمى فى الفقه والنحو ، وشمس الدين محمد بن سليمان فى الأصول ، وجمال الدين يوسف بن خطيب المنصورية فى الفقه وعلوم العربية وغيرهما . وتلقى الحديث عن ولى الدين العراقى وبرهان الدين الحلبي . وغير هؤلاء وهؤلاء جمع غفير . وتكرر وفوده إلى القاهرة ، وترحله بين مدن الشام .

وقد برع ابن خطيب الناصرية فى الفقه ، وكان كثير الاستحضار لمسائله ، وفى الحديث ، وشارك فى الأصول والعربية . وكان حافظاً لوقائع التاريخ وبخاصة السيرة النبوية .

وولى قضاء طرابلس ، وقضاء حلب ، والخطابة بالجامع الكبير ببلده ، مع إمامته . وزاول التدريس بجامع يشبك المؤيدى بحلب . وكانت دروسه حافلة تبدو فيها الجدة والإمتاع .

ومن مصنفاته : كتاب فى تاريخ حلب ذيّل به لكتاب كمال الدين بن العديم فى تاريخها . والطيبة الرائحة فى تفسير الفاتحة ، وهو منتزع من تفسير البغوى مع زيادات . وسيرة المؤيد شيخ . وشرح حديث أم زرع . وشرح على كتاب الأنوار للأردبيلى .

نت وفاته فى ١١ من ذى القعده سنة ٨٤٣ ﻫ بحلب .

« الضوء ج ٥ رقم ١٠١٦ — الشذرات ج ٧ ص ٢٤٧ »

٤٥٨ — محب الدين البغدادى الحنبلى : هو أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد ابن محمد بن عمر : ولد ببغداد فى سنة ٧٦٥ ﻫ ونشأ بها ، وأخذ فى طلب العلم وتحصيل فنونه ، فدرس فقه الحنابلة وأصوله ، والحديث والعربية

ومن شيوخه : شمس الدين الكرمانى وأجازه . ومجد الدين الشيرازى . والمحدث أبو الحسن على بن أحمد بن إسماعيل القوى . ونجم الدين أبو بكر عبد الله السنجارى . وغيرهم ببغداد . وأجيز بالإفتاء والتدريس .

وقد رحل إلى حلب عام ٧٨٦ﻫ ، وقدم القاهرة عام ٧٨٧ ﻫ ، بعد أن زار بيت المقدس ولقى بكل منها شيوخاً جلة ، فمنهم بالقاهرة البلقينى والملقن والشهاب الجوهرى ، ولازم فى الفقه صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى

وقد علا كعبه فى فقه مذهبه ، وفى الفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، ومهر فى علوم عدة .

وقد ولى تدريس الحديث فالفقه بمدرسة الظاهر برقوق . ثم درس الفقه بالمؤيدية وبالشيخونية . وناب فى الحكم ، ثم ولى قضاء الحنابلة مدة .

وقد تخرج به جملة من أفاضل مذهبه منهم عز الدين الكنانى وبدر الدين البغدادى ونور الدين المتبولى وجمال الدين بن هشام .

قال السخاوى : « كان إماما فقيها مفتيا نظاراً غلامة متقدما فى فنون ، خصوصاً مذهبه ، فقد انفرد به وصار عالم أهله بلا مدافعة » .

وقال أيضاً : « إنه اعتنى بضبط مايقع فى مجالس الحديث ونحوها بالقلعة من المباحث وشبهها أيام قضائه — على مابلغنى — وفتاويه مسددة وحواشيه فى العلوم وسائر تعاليقه مفيدة » .

ومن تصانيفه . حاشية على تنقيح الزركشى . وحاشيته على فروع ابن مفلح . وحاشيته على الوجيز وحاشية على المحرر وشرحه ، وغير ذلك .

قال السخاوى مايفهم منه أن التقى بن الشمس الكرمانى، وعلاء الدين بن خطيب الناصرية، وابن قاضى شهبة، والمقريزى فى عقوده وغيرها، وابن حجر العسقلانى، ذكروه أو ترجموا له.

وكانت وفاته فى منتصف جمادى الأولى عام ٨٤٤ هـ

«الضوء ج٣ رقم ٦٥٦ — حسن المحاضرة ج ١ رقم ٢٢٩» الشذرات ج ٧ص ٢٥٠»

٤٥٩ — شهاب الدين الرملى : هو أبو العباس أحمد بن حسين بن حسن بن على، الشافعى. المعروف بابن رسلان، نزيل بيت المقدس. ولد سنة ٧٧٣ هـ — وقيل ٧٧٥ هـ — برملة ونشأ بها، وأقبل يجمع نفسه على طلب العلم، على الرغم من أن أباه كان يرسله إلى حانوت بزاز. فأهمل الحانوت ثم هجرها إلى طلب العلم، وطفق يتلقى علوم الدين واللغة على جهابذتها ويمعن فى قراءة كتبها وحفظها وترديدها، حتى أصبح بارعا فى كثير فيها مفيد الطلابها جانحا إلى التصوف نزاعا إلى الزهادة والعبادة، منقطعا إلى زاوية أو مسجد مع بشاشة للناس وحسن لقاء وسرعة تسامح. ومع عناية بالتأليف والإفادة. والنظم والكتابة. وتنسب إليه كرامات:

وله مصنفات نافعة فى التفسير والحديث والفقه والأصلين والعربية وغيرها ومن ذلك: قطع متفرقة فى تفسير كتاب الله وقيل نظم القراءات الثلاثة الزائدة على السبعة ثم الثلاثة الزائدة على العشرة — وله نظم فى علم القراءات غير هذين: وشرح سنن أبى داود فى أحد عشر مجلدا. وشرح الأربعين النووية. وشرح البخارى وصل فيه إلى آخر الحج. وشرح الشفا. وشرح ألفية العراقى فى السيرة. وتنقيح الأذكار. وشرح على تنقيح الزركشى وشرح جمع الجوامع، وشرح منهاج البيضاوى فى مجلدين وشرح البهجة الوردية وأصله، لم يكملهما. وتصحيح الحاوى. واختصار الروضة، واختصار المنهاج وشرح ملحة الحريرى ومجموعة نفيسة فى القضاء والشهود واختصار حياة الحيوان للدميرى وطبقات فقهاء الشافعية. وغير ذلك.

٤٦٠ — وكانت وفاته ببيت المقدس فى رمضان سنة ٨٤٤ هـ وقيل فى ٢٤ شعبان.

« الضوء ج١ص ٢٨٢ — الشذرات ج٧ص ٢٨٤ »

شمس الدين بن عمار : هو أبو ياسر محمد بن عمار بن محمد بن أحمد، القاهرى المصرى المالكى، ويعرف بابن عمار. ولد بقناطر السباع سنة ٧٦٨ هـ. ودرس على

أفاضل شيوخ عصره كالبلقيني ولازمه في دروس التفسير. ومحب الدين بن هشام ولازمه في دروس العربية والصرف. ومن شيوخه في أصول الفقه ولى الدين بن خلدون، وقرأ عليه جزءا من مقدمته. وفي الحديث صلاح الدين الزفتاوى وغيره. وفي علوم شتى، العز بن جماعة. وقد أذن له معظم شيوخه بالإقراء والإفتاء، فاشتغل بهما. وكان إماماً علامة في كثير من الفنون التي درسها. وعين معيداً بجامع طولون، ومدرساً للفقه بالمدرسة المسلمية بمصر، وبالبرقوقية، وشيخا للصوفية في بعض الزوايا. وناب في القضاء. واهتم بالتأليف، واختصار كثير من المطولات.

ومن تصانيفه: غاية الإلهام في شرح عمدة الأحكام. والإحكام في شرح غريب عمدة الأحكام. وزوال المانع في شرح جمع الجوامع، وجلاب الموائد في شرح تسهيل الفوائد، والكافي في شرح المغنى لابن هشام، وغير ذلك.

وكانت وفاته في ١٤ من ذي الحجة عام ٨٤٤ هـ بمنزله بالناصرية بين القصرين.

« الضوء جـ ٨ رقم ٦٢٩ — الشذرات جـ ٧ ص ٢٥٣ »

٤٦١ — زين الدين الأنصاري: هو عُبادة بن على بن صالح بن عبد المنعم، الأنصاري الخزرجي الزرزاري القاهري المالكي النحوي. ولد في جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ بزرزرا من قرى مصر. وانتقل إلى القاهرة فأقبل على حفظ الكتب العلمية وسماع الحديث ودراسة فقه المالكية وعلوم اللغة والمعاني والأصلين، وغيرها من العلوم. وتتلمذ لعز الدين بن جماعة وشهاب الدين الصنهاجي، والأبياري، والزين العراقي. والسراج البلقيني والبدر الدماميني ولازمه مدة في علوم العربية، ورحل معه إلى اليمن. ثم حج وعاد إلى القاهرة متفوقا في علوم شتى، ومازال نجمه في صعود، وحظه في سعود، حتى غدا رأس المالكية في زمانه. وطلب لولاية القضاء بعد موت شيخه البساطي شمس الدين، فامتنع واعتذر واختفى في دمياط.

وقعد للفتوى والتدريس في الفقه وأصوله وعلوم العربية. وأخذ عنه الطلاب طبقة بعد أخرى، وكان حسن التربية مجيدا في تعليمه قاسيا في إفهام طلابه وتهذيبهم ودرس في المدرسة الأشرفية والشيخونية والظاهرية.. مع زهادة وعبادة وتقشف وتواضع ووقار معا وقد جنح إلى العزلة أخيراً:

توفى فى ٧ شوال سنة ٨٤٦ هـ . — وقيل فى رمضان .

« الضوء جـ ٤ رقم ٦٦ — الشذرات جـ ٧ ص ٢٥٨ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢١٨ »

٤٦٢ - زين الدين باكير الكختاوى : هو أبو بكر اسحق بن خالد ويشتهر بالشيخ باكير النحوى . كان بارعا فى علوم عدة وفى المعانى والبيان . وقد ولى مشيخة الشيخونية وانتفع بعلمه كثيرون .

ولد فى نحو سنة ٧٧٠ هـ ، ومات فى جمادى الأولى سنة ٨٤٧ هـ .

« حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٦٣ — شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٦٠ »

٤٦٣ — شهاب الدين الحناوى : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ، الأنصارى الفيشى القاهرى المالكى ، نزيل الحسينية ، ويعرف بالحناوى - ولد فى سنة ٧٦٣ هـ بفيشا المنارة [1] . ثم قدم إلى القاهرة مع والده صغيراً ، وطلب العلم على عدد من أفاضلها مثل الشمس الزواوى فى الفقه ، والمحب بن هشام فى النحو وعز الدين بن جماعة فى علوم عدة ، وسمع حديث الرسول عليه السلام من زين الدين العراقى ولازمه مدة تعلم عنه فيها فنون الحديث .

ومازال جاداً فى طلب العلم حتى غدا أحد فضلائه وقعد للتعليم وإفادة الطلاب . قال السخاوى عنه : « فانتفع به خلق ، وصار غالب فضلاء الديار المصرية من تلامذته » وكان يجيد تعليم العربية ، حتى إنه صنف فيها مقدمة تسهل على المبتدىء فهم كتب النحو وبخاصة ألفية ابن مالك . وسماها « الدرة المضية فى علم العربية . » اعتمد فى تأليفها على شذور الذهب لابن هشام . ثم شرحها بعض تلاميذه .

وقد ولى تدريس الفقه بالمدرسة المنكوتمرية وولى مشيخة بعض الخوانق وخطب ببعض الاماكن ، وأسمع الحديث ، مع خير فيه ودين ووقار .

وقد توفى ليلة الجمعة ١٨ جمادى الأولى سنة ٨٤٨ هـ بالقاهرة ودفن بإحدى المقابر بالحسينية .

« الضوء جـ ٢ ص ٦٩ — الشذرات جـ ٧ ص ٢٦٢ »

٤٦٤ — شهاب الدين بن المجدى القاهرى الشافعى : هو أحمد بن رجب بن طيبغا ،

---

(١) فيشا المنارة من الغربية بالقرب من طنتدا — قاله فى الضوء .

ويعرف بابن المجدى نسبة إلى جده. ولد فى ذى الحجة سنة ٧٦٧ ﻫ بالقاهرة. ونشأ بها فحفظ القرآن وكتبا فى الفقه والنحو. ودرس الفقه على البلقينى وابن الملقن وكمال الدين الدميرى وغيرهم. ودرس الفرائض والحساب والعربية. وأخذ فى سماع الحديث بجد، وما زال حتى بدا فضله وذاع علمه، وأصبح مقدماً مشارا إليه فى الحساب والهندسة والهيئة والفرائض وعلم الوقت، كما فى القراءات وتصدى للإقراء وأخذ عنه كثير من الفضلاء ومنهم ابن حجر العسقلانى، وتلميذه شمس الدين السخاوى.

وقد ولى مشيخة الجانبكية الدوادارية وأسس فيها صوفية.

وله تصانيف قيمة فى العلوم الحسابية، وفى الفقه والحديث. نذكر منها: كتاب الدين، ولطائف الغوامض، والكافى، وكلاهما فى الفرائض. وشرح الجعبرية. وشرح الرسالة الكبرى للماردانى. وشرح التلخيص لابن البناء فى الحساب، وشرح الرسالة لابن السراج.

ومن كتبه فى العلوم الحسابية أيضاً: إرشاد الحائر فى العمل بربع الدائر. وزاد المسافر. والقول المفيد فى جامع الأصول والمواليد. والدرر فى مباشرة القمر. وكشف الحقائق فى حساب الدرج والدقائق والمنهل العذب الزلال فى معرفة حساب الهلال، وخلاصة الأقوال فى معرفة الوقت ورؤيا الهلال.

وكانت وفاته فى ليلة السبت ١١ من ذى القعدة سنة ٨٥٠ ﻫ ودفن فى صباحه. ذكره العينى فى تاريخه.

« الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٠ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٧
شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٨ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥١ »

٤٦٥ — تقى الدين (١) بن قاضى شهبة: هو المؤرخ العلامة أبو بكر بن أحمد ابن محمد بن عمر الأسدى الشافعى الدمشقى ويعرف بابن قاضى شهبة — هو وبعض أفراد بيته — نسبة لنجم الدين بن قاضى شهبة، والد جده، لأنه لبث قاضياً بشهبة السوداء أربعين عاماً.

ولد تقى الدين فى ربيع الأول عـــام ٧٧٩ ﻫ، بدمشق ومات أبوه وهو فى سن

(١) تقى الدين هو والد بدر الدين الآتى ذكره.

الحادية عشرة . ومال إلى العلم منذ حداثته سنه ، فسمع الحديث بدمشق من كثيرين منهم : الشهاب الزهري والشهاب بن حجي ، والشهاب الغزى وبدر الدين بن مكتوم وغيرهم ، ودرس التاريخ على شهاب الدين بن حجي وتفقه على كثيرين من الأئمة. ومازال حتى برع وبز الأقران وفاق الإخوان وأصبح فقيه الشام على الإطلاق . قال عنه السخاوي : « وفنه الذي طار به هو الفقه ، قد انتهت إليه الرياسة فيه ببلده ، بل صار فقيه الشام وعالمها ورئيسها ومؤرخها . . الخ »

وقد تصدى تقي الدين للفتوى والتعليم والتصنيف فانتفع بعلمه وتعليمه كثير من الأفاضل . وحدّث بحديث رسول الله في دمشق وبيت المقدس . وأجاز كثيرين . ورحلوا إليه من الأمصار النائية .

وقد ولى التدريس في جملة مدارس بالشام ، منها المسرورية والأمجدية والجاهدية والظاهرية وغيرها . وناب في القضاء بدمشق . ثم ولى القضاء بها سنة ٨٤٢ هـ، فظل مدة وعزل . فانقطع للعلم والإفادة والتصنيف . وقد مات وهو يصنف ، موتا فجائيا . ومؤلفاته — على ماروى — كثيرة العدد . ويقال إنه كتب نحو مائتي مجلد . قال السخاوي « كان يعتمد على تصانيف ابن حجر »

فمنها : تذييل على تاريخ شيخه ابن حجي انتهى فيه إلى سنة ٨٤٠ هـ . وطبقات الشافعية وطبقات الحنفية ، وكفاية المحتاج إلى توجيه المنهاج ، وهو في شرح المنهاج . لم تتمه. وكافي النبيه وهو في شرح التنبيه . وله كتاب تاريخ كبير بدأ فيه من سنة ٢٠٠ هـ إلى ٧٩٢ هـ . وكتاب الإعلام بتاريخ الإسلام . وهو تذييل لتاريخ الذهبي . قال السخاوي « ألف ذيلا على تواريخ المتأخرين : الذهبي والبرزالي وابن رافع وابن كثير وغيرهم . ابتدأه من سنة ٧٤١ هـ إلى سنة نيف وعشرين وثمانمائة في ثمان مجلدات ، واختصره في مجلدين ثم أختصره في مجلد ، وكتب حوادث زمنه إلى يوم وفاته . وروى جورجي زيدان أن له : مناقب الإمام الشافعي ، ومختصر درة الأسلاك لابن حبيب الحلبي .

وكانت وفاته بدمشق في الخميس ١١ من ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ ودفن بمقبرة آبائه بالباب الصغير بجنازة حافلة ورثاه بعض الشعراء .

« الضوء ج ١١ رقم ٦١ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٦٩ — جورجي زيدان ج ٣ ص ١٩٥ »

٤٦٦ — عز الدين بن الفرات : هو أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم ابن على المصرى الحنفى وأبوه المؤرخ ناصر الدين بن الفرات . ولد سنة ٧٥٩ هـ بالقاهرة ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم وكتبا علمية عدة ، وأخذ فى دراسة العلوم وتتلمذ لكثير من الشيوخ منهم فى الفقه : شرف الدين بن منصور ، وجمال الدين الملطى ، وفى النحو محب الدين بن الجمال بن هشام ، وفى الحديث زين العراقى ، كما سمع دروس البلقيشى فى التفسير والحديث ولازم عز الدين بن جماعة فى كثير من العلوم ، وغير هؤلاء الشيوخ كثيرون ، وأجازه منهم أكثر من واحد ، بالفتوى والتدريس ورواية الحديث . وناب فى القضاء ، وطفق يحدث بحديث الرسول حتى قيل إنه أصبح فى زمن وهو مسند الديار المصريين .

ومن مصنفاته : تذكرة الأنام فى النهى عن القيام . ونخبة الفوائد ؛ وقد لخص فيه مسائل شرح منظومة ابن وهبان .

وقد توفى فى ٢٦ من ذى الحجة سنة ٨٥١ هـ ودفن بحوش صوفية سعيد السعداء .

«الضوء ج٤ رقم ٤٧٢ — الشذرات ج٧ ص ٢٦٩»

٤٦٧ — برهان الدين القصورى :[١] العلامة أبو اسحاق ابراهيم بن خضر بن احمد بن عثمان ، العثمانى الصعيدى الشافعى . ولد بالقاهرة فى شوال سنة ٧٩٤ هـ ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم وكتبا فى الفقه وطفق يطلب العلم فتلقاه عن جلة أهله وأفاضل أئمته فدرس الفقه على برهان الدين البيجورى وولى الدين العراقى وجلال الدين البلقينى وغيرهم . وأخذ علوم العربية عن جمال الدين القرافى وغيره أيضا . ولازم فى الحديث شيخ الحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلانى ، فدرس عليه كتبا جمة وتصانيف عدة ، منها بعض كتبه وبخاصة كتابه : فتح البارى ، درسه عليه بتمامه ، كما سمع الحديث من كثيرين غيره . وحج ولقى شيوخا آخرين ، وأجيز من بعضهم بالرواية . وكان مقدما عند شيوخه على تلاميذه جيله . واعتمد عليه بعضهم فى استيفاء بعض مسائله العلم .

ومازال القصورى يدأب فى تحصيل العلم وجميع شوارده وحفظ أوابده ، حتى بز

---

[١] [illegible] القصور بضم [illegible]

وعز ، وبدأ فضله جليا ،واتضحت براعته فى كثير من علوم زمانه ، وبخاصة فقه الشافعية وأصوله ، والحديث وفنونه ،والنحو والعربية، والفرائض والحساب ،مع مهارة ممتازة فى الخط وسرعة كتابته ،فنفعته هذه : فى نسخ كثير من التصانيف المفيدة .

وتصدى لإفادة الطلاب فزاول تدريس الفقه بالمدرسة المنكو تمرية وبالخروبية ، ودرس الحديث بالقبة البيبرسية ، وتخرج به جملة من الأفاضل النابهين منهم الشهاب الدين البيجورى ، وشهاب الدين السخاوى صاحب الضوء .

ولم يختلف من التصانيف ـ مايذكر متناسبا مع جلال قدره فى العلم ، وفراهة عقله فى معرفة مسائلة ومشاكله، غير حواش قليلة مثل حاشيته على جامع المختصرات ، وحواشيه على خبايا الزوايا للزركشى .

هذا ، وكان عف النفس أبيا كريم اليد مع قلة ماتحويه . متوادد إلى الناس ، غير عجول إلى التردد على الرؤساء، متواضعا فى غير تكلف أو تأنق . — وقد توفى فى ليلة ١٥ المحرم عام ٨٥٢ هودفن بجنازة حافلة بالقاهرة .

«الضوء ج ١ ص ٤٣»

٤٦٨ — برهان الدين الكركى: هو ابراهيم بن موسى بن بلال بن عمران ، القاهرى الشافعى ، ويعرف بالكركى نسبة إلى كرك الشوبك ، التى ولد بها سنة ٧٧٥ ه أو ٥٧٦ه — وقد أخذ نفسه منذ ـ حداثة سنه يطلب العلم فحفظ القرآن الكريم وكثيرا من كتب الفقه والحديث والعربية والقراءات وشرع يتتلمذ لشيوخ عصره . وطاف بدمشق والخليل والقاهرة ومكة وبيت المقدس ومن شيوخه : أبو عبد الله المغربى التوزرى فى القراءات وفنون العربية والمنطق ، وشمس الدين بن حبيحب البلبيسى فى الفقه ، درسه عليه بالقاهرة ، وكذلك لازم بها برهان الدين البيجورى وولى الدين العراقى وغيرهما . وله فى العربية وغيرها شيوخ غير هؤلاء . وبرع فى كثير مما درس من علوم وفنون ، ولاسيما علوم العربية والقراءات .

واستوطن القاهرة أخيرا واشتغل فيها بالتجارة . وزاول التدريس والفتوى، وجلس فى بعض الحوانيت ليقضى بين الناس فى منازعاتهم . وولى بعض الوظائف منها تدريس القراءات بالمحلة . ثم ولى قضاءها وناب فى القضاء عن الجلال البلقينى ،ثم ولى قضاء

منوف عن ابن حجر العسقلانى . وزاول تدريس القراءات بالمدرسة الظاهرية القديمة وغير ذلك .

وقد مارس الكركى التصنيف فخلف من مؤلفاته جملة صالحة من علوم شتى ، نذكر منها فى القراءات : الإسعاف فى معرفة القطع والإستئناف ، ولحظة الطرف فى معرفة الوقف ، وهو مختصر الكتاب السابق ، والتوسط بين اللحظ والإسعاف ، والآلة فى معرفة الفتح والإمالة ، وحل الرمز فى وقف حمزة وهشام على الهمز . وغير ذلك . — وفى علوم العربية : شرح ألفية ابن مالك ، ومرقاة اللبيب إلى علم الأعاريب ، ونثر الألفية النحوية ، — وفى التفسير : حاشية على تفسير العلاء التركمانى وصل فيها إلى أول الأنعام — وفى الفقه : مختصر الروضة وصل فيه إلى باب الرباه. وشرح تنقيح اللباب للولى العراقى وصل فيه إلى باب الحج ، وله غير ذلك .

وكانت وفاته فى يوم ١١ رمضان سنة ٨٥٣ ﻫ .

« الضوء ج ١ ص ١٧٥ »

٤٦٩ — شهاب الدين بن عربشاه الدمشقى : هو المؤرخ للطبيب الأديب ، أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم الدمشقى الرومى الحنفى المعروف بابن عربشاه أو العجمى .

ولد فى دمشق فى ذى القعدة سنة ٧٩١ ﻫ . وهاجر مع أسرته إلى بلاد الأتراك العثمانيين فرارا من طغيان تيمورلنك على الشام . وتنقلت حتى استوطنت « سمرقند » أما شهاب الدين فبعد لبثه بها مدة ، أخذ يطوف ببلاد العثمانيين وما وراء النهر وغيرها ، طلبا للعلم وسعيا وراء الرزق . وأخذ عن السيد الجرجانى وابن الجزرى وغيرها . وبرع فى علوم عدة وأتقن اللغة الفارسية والتركية والمغولية ، فضلا عن العربية حتى كان ينظم بها الشعر — ماعدا المغولية — مع جودة وإطالة .

وولى للعثمانيين ، الكتابة وتحرير الرسائل فى ديوان إنشائهم فراسل عنهم الملوك بلغته . ثم اعتزل عمله وعكف على الاطلاع والتأليف ، وأقام بحلب مدة . وقد وفد على مصر حوالى سنة ٨٥٢ ﻫ فى عهد جقمق العلائى سلطانها . فاتصل برجال الدولة والعلماء ومنهم ابن حجر العسقلانى ويبدو أنه وفد إليها مرة قبل ذلك سنة ٨٥٠ﻫ .

وظل بها حتى توفى فى الخانقاه الصالحية ودفن بتربتها ،

ومن مصنفاته : عجائب المقدور فى نوائب تيمور ، من أمتع الكتب فى تاريخ تيمورلنك ، والتأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر ، فى جزئين بعضه فى تاريخ جقمق ، والبعض فى التاريخ العام . وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء وهو قصص أدبية على ألسنة الحيوانات وسنعرض له فى الجزء الرابع من هذا الكتاب . ومرز بان نامه — لعله بالفارسية — شبيه بفاكهة الخلفاء . وجلوة الأمداح الجمالية ، وهى منظومة فى العروض ، وكتاب جامع الحكايات ولامع الروايات مترجم من الفارسية إلى التركية . والترجمان المترجم بمنتهى الأدب ، فى لغة الترك والعجم والعرب ، وخطاب الإهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب ، ويبدو أنه مساجلات بينه وبين بعض الأدباء . وله منظومات فى العلوم منها : مرآة الأدب ، والمعانى والبيان والبديع ومنظومة فى النحو وله شعر كثير ما بين غزل وحكمة وألغاز وأحاج وأشعار بديعة . ومن شعره .

فعش ماعشت فى الدنيا وأدرك   بها ما شئت من صيت وصوت

فحبل العش موصول بقطع   وخيط العمر معقود بموت

وممن ذكره : المقريزى فى عقوده وابن تغرى بردى .

وكانت وفاته فى منتصف رجب سنة ٨٥٤ هـ .

« الضوء جـ ٢ رقم ٣٧٩ ـ شذرات الذهب جـ ٧ س ٢٨٠ ـ جورجى زيدان جـ ٣ س ١٥٥ »

٤٧٠ — كمال الدين السيوطى الخضيرى الشافعى : وهو أبو بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان ، وهو والد العالم الكبير جلال الدين السيوطى . ولد فى ذى القعدة سنة ٨٠٤ هـ [1] بسيوط فنشأ بها وحفظ القرآن وكتبا فى الفقه والنحو وطلب العلم لدى كثير من فضلاء العلماء . وقدم إلى القاهرة وتتلمذ للقاياتى والونائى وغيرهما ، ومهر فى الفقه والأصلين والنحو والبيان والمعانى والمنطق والفرائض وغير ذلك . كما سمع الحديث . وبرع فى الخط وفى صناعة التوقيع . وشغل وظائف منها : النيابة فى الحكم والخطابة بجامع ابن طولون ، والتدريس بالجامع الشيخونى .

---

(١) — روى جلال الدين السيوطى أن مولده كان فى نحو عام ٨٠٠ هـ .

ومن مصنفاته : حاشية على شرح الألفية لابن المصنف ، لم تكمل . وله رسائل فى النحو والصرف والتوقيع وكان بارعا فى الخطابة وله نظم ونثر . وكانت وفاته فى صفر عام ٨٥٥ هـ . ودفن بالقرافة .

«الضوء اللامع ج ١١ رقم ٢٠١ ـ حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٩ شذرات ج٧ص٢٨٤ »

٤٧١ — بدر الدين العينى الحنفى : هو أبو الثناء محمود بن أحمد بن موسى الحلبى العينتابى القاهرى . أحد الأئمة الأعلام ، ومصابيح هذا العصر . ولد بعينتاب فى رمضان عام ٧٦٢ هـ وطلب العلم والحديث . وتتلمذ على كثيرين من جلة أئمة العصر . ومنهم شمس الدين محمد الراعى بن الزاهد وأخذ عنه الصرف والعربية والمنطق وغير ذلك . ومن شيوخه : بدر الدين محمود ابن العينتابى الواعظ . وأثير الدين جبريل بن صالح البغدادى . وخير الدين القصير . ولازم علاء الدين السيرامى الحنفى فى الفقه ، كما أخذه عن غيره . وسمع الحديث على كثيرين منهم زين الدين العراقى ، وتقى الدين الدجوى ، وقطب الدين عبد الكريم الحلبى . وأخذ التصوف من ناصر الدين القرطى .

وقد طوف فى آفاق عدة منها : حلب ودمشق والقاهرة وبيت المقدس ومكة . وما زال يطلب العلم ويتزود من فنونه دينية وعربية ، حتى برع وعلا كعبه وألمع نجمه ، وأصبح من علماء العصر الذين يشار إليهم . ونبهت مكانته عند السلاطين والأمراء ، وتقدمت منزلته لدى المؤيد شيخ ، والظاهر ططر والأشرف برسباى . وكان خبيرا باللغة التركية ، لذلك كان يقرأ للأشرف شيئاً من التاريخ بالعربية ثم يترجمه له بالتركية ، كان يعلمه أمور دينه .

وقد تصدى للأعمال العامة من تدريس وإفتاء ووظائف سنية من وظائف الدولة ومن ذلك حسبة القاهرة ، وتدريس الفقه بالمحمودية ، ونظر الأحباس . وتدريس الحديث بجامع المؤيد . وقد ولى قضاء الحنفية بديار مصر سنة ٨٢٩ هـ عوضا عن زين الدين التفهنى . وكان أمره فى بعض هذه الوظائف بين التعيين والعزل ، حتى توفى .

وقد تخرج به جملة أفاضل ، قال السخاوى : « حدث وأفتى ودرس ، وأخذ عنه الأئمة من كل مذهب طبقة بعد أخرى ، بل أخذ عنه أهل الطبقة الثالثة » . ومن محاسنه أنه أنشأ مدرسة مجاورة لسكنه بالقرب من الجامع الأزهر .

وقد شغل بالتصنيف وعنى به عناية كبرى . وكان بين الأحناف كابن حجر العسقلانى بين الشافعية ، وهو مكثار فى مؤلفاته ، غزير المادة رحب الأسلوب سهله واضحه . كما أن ألف فى فنون عدة منها : الفقه الحديث والتاريخ والنحو والبلاغة .

ومن مؤلفاته : عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ، فى واحد وعشرين مجلداً . وهو من أكبر شروح البخارى ، وثانى موسوعات ثلاث من موسوعات شرحه فى العصر المملوكى ، الأولى فتح البارى لابن حجر ، والثالثة إرشاد السارى للقسطلانى المتوفى عام ٩٢٣ هـ .

ومن مؤلفاته أيضا : شرح معانى الآثار للطحاوى فى عشر مجلدات . وشرح قطعة من سنن أبى داود فى مجلدين وكشف اللثام ، وهو شرح قطعة من سيرة ابن هشام . ورمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق . وشرح التحفة ، وشرح الهداية . والدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة . وشرح عروض ابن الحاجب ، وشرح التسهيل لابن مالك ، والوسيط فى مختصر المحيط . وله كتاب تاريخ وصل فيه إلى سنة ٨٥٠ هـ فى نحو تسعة عشر مجلدا ويعرف بعقد الجمان . وله أيضا : طبقات الشعراء . وطبقات الحنفية ، ومعجم شيوخه ، واختصار تاريخ ابن خلكان . وسيرة الملك المؤيد شيخ وهى نظم ونثر ، سيرة الظاهر ططر . وسيرة الأشرف برسباى . وغير ذلك .

وكانت وفاته فى ليلة الثلاثاء ٤ من ذى الحجة سنة ٨٥٥ هـ ودفن فى الغد بمدرسته .

« الضوء اللامع ج ١٠ رقم ٥٤٥ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٤ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٨٦ — الخطط التوفيقية ج ٦ جورجى زيدان ج ٣ ص ١٩٦ »

٤٧٢ — مكين الدين النويرى : هو أبو الحسن طاهر بن محمد بن على بن محمد ، القاهرى الأزهرى المالكى . ولد بعد سنة ٧٩٠ هـ بقرية دنديل بالقرب من النويرة . وانتقل إلى القاهرة . وجد فى طلب العلم ، وتفقه على الجمال الأقفهسى ، والشهاب والصنهاجى وغيرهما ، ودرس القراءات على الشمسى أبى عبدالله الحريرى الشرار يبى وابن الجزرى وغيرهما ، وما زال ، حتى أصبح فى عداد علماء زمانه العارفين بالفقه وأصول وعلوم العربية والقراءات . وأخذ فى مزاولة الدراسة فتكاثر عليه طلابه واشتهر بخاصة فى القراءات

وولى مشيخة الإقراء بجامع ابن طولون ، والمدرسة الجمالية ، ودرس الفقه بالمدرسة الحسينية . وكان خيرا متواضعاً متمنعاً عن الفتيا .

وكانت وفاته فى ربيع الأول سنة ٨٥٦ هـ ودفن فى تربة طشتمر حمص أخضر

« الضوء ج ٤ رقم ١٢ »

٤٧٣ — عز الدين الحسينى القَيْلوى : (١) ويلقب أيضاً مجد الدين : هو أبو محمد عبد السلام أحمد بن عبد المنعم بن أحمد ، البغدادى القاهرى ، الحنبلى ثم الحنفى . ولد سنة ٧٧٥ هـ تقريبا فى الجانب الشرقى من بغداد ونشأ بها وأخذ يدرس فنون العلم المختلفة ، حتى برع فى فقه الشافعية والحنابلة والحنفية معا ؛ بل أخذ يدرس كتب الشافعية والحنابلة ، وأغرم بالرحلة والانتقال فى سبيل العلم ولقاء الشيوخ فارتحل إلى تبريز وأرزنجان ببلاد الروم وحلب والقدس والقاهرة ، وغير ذلك من الأمصار ، وكلما دخل مصراً لقى شيوخه وأخذ عنهم ، مع أنه كان نابغة فى الفقه كما أشرنا وعلوم العربية وأصول الدين وآداب البحث والفرائض عارفا بعلم الجدل والطب والعروض والتفسير والقراءات والتصوف ، مع نظم الشعر .

ولما وفد على القاهرة لازمها ولى الدين العراقى وأخذ عنه علوم الحديث ، ودرس عليه جملة من تصانيف أبيه زين الدين العراقى . وأخذ فى مزاولة التدريس وتنقل فيه من مدرسة إلى أخرى ، ويفيض علما غزيرا وأدبا جما ، فانتفع به الناس ، وتخرج به الطلاب طبقات متتاليات ، ومن جملة من قرأ عليه زين الدين رضوان وتقى الدين الحصنى ، وابن الهمام ، والتقى الشمنى ، وعز الدين الكنانى وغيرهم . وكان جانحا إلى الخير والأمانة زاهدا متقشفاً عفيفاً ، ذا جاه ومنزلة عند أولى الأمر وبين الناس ، ويبدو أن اشتغاله بالتدريس وعكوفه على نفع الناس ، صرفه عن التصنيف وهو له أهل وكفء وبه جدير . على أنه صنف جملة منها مايلى : تعاليق على إيساغوجى ، والشمسية والألفية والتوضيح .

وكانت وفاته فى ليلة الاثنين ٢٥ رمضان سنة ٨٥٩ هـ بالقاهرة ودفن فى غدها خارج باب الوزير .

« الضوء ج ٤ رقم ٥١٢ — الشذرات ج ٨ ص ٢٩٤ »

---

(١) القيلوى : بقاف مفتوحه وياء ساكنه ولام مفتوحه نسبة إلى قريه بأرض بغداد يقال لها قيلويه مثل نفطويه : عن الشذرات .

٤٧٤ — كمال الدين بن الهمام الحنفي : هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، السيواسي الأصل، القاهري. وهو أحد أفذاذ العصر وأعلامه، ورجل من رجال الحنفية الممتازين بالعقل والذكاء مع جميل الأثر، وجليل الإفادة.

ولد بالإسكندرية في عام[1] ٧٩٠ هـ، وكان أبوه بها قاضيا. ثم توفي، وكمال الدين في سن العاشرة أو نحوها، فانتقلت به جدته لأمه، إلى القاهرة، فجود القرآن على الزراتيتي، وحفظ كتبا في الفقه والعربية. وطفق يطلب الفقه على أهله، وتتلمذ لكثيرين من جملة العلماء، فأخذ المنطق عن عز الدين عبد السلام البغدادي، والبساطي، وعنه أخذ أصول الدين وعليه قرأ شرح هداية الحكمة للازاده. ومن شيوخه أيضا الكمال الشمني والشمس البصيري والجلال الهندي والقطب الأبرقوهي، والبدر العيني والسراج قارىء الهداية. وزين الدين التفهني، والكلوتاتي، والزين الزركشي وغيرهم.

ولبث يطلب علوم عصره حتى برع في أكثرها واتضح فضله، واعترف له أئمة عصره بالتفوق والسبق، قال السخاوي : «وكان إماما علامة عارفا بأصول الديانات والتفسير والفقه وأصوله والفرائض والحساب والتصوف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والجدل والأدب والموسيقى، وجل علم النقل والعقل، متفاوت المرتبة في ذلك، مع قلة علمه في الحديث. عالم أهل الأرض، ومحقق أولي العصر، حجة أعجوبة، ذا حجج باهرة واختيارات كثيرة وترجيحات قوية» وقال السيوطي : «كان محققا جدليا نظارا».

وقد ولي من الوظائف : تدريس الفقه بقبة المنصورية، ومشيخة مدرسة الأشرف برسباي. ومشيخة الشيخونية وقد وقع له مآثر معه العزلة والانجماع عن الناس، فلبث لذلك زمنا مقيما في طرة، مترددا على مصر.

وقد كثر تلاميذه واستفاد من علمه خلق كثير، وتخرج به علماء أفاضل من مختلف المذاهب، منهم التقي الشمني وزين الدين قاسم. والمناوي والقرافي والجمال ابن هشام وغيرهم.

---

١ — روى السيوطي مولده في عام ٧٩٠ هـ، وكذلك السخاوي. وروى السخاوي أن المقريزي ذكر مولده عام ٧٨٨ هـ أو ٧٨٩ هـ.

ومن مصنفاته : شرح الحديث « كلمتان خفيفتان » مع إعرابه ، وشرح الهداية ، والتحرير فى أصول الفقه .

وكانت وفاته فى يوم الجمعة ٧ رمضـــان سنة ٨٦١ هـ ودفن بمشهد حافل شهده السلطان ، فى تربة ابن عطاء الله .

« الضوء اللامع ج ٨ رقم ٣٠١ — حسن المحاضرة ج ١ص ٢٢٤ — الشذرات ج٧ص٢٩٨ »

٤٧٥ — شمس الدين البلاطنسى : هو محمد بن عبد الله بن خليل بن أحمد ، الدمشقى الشافعى . ولد سنة ٧٩٨ هـ ببلاطنس ونشأ بها ، وأخذ يترحل فى طلب العلم . فدرس الفقه على بعض شيوخ طرابلس وحماودمشق ، ودرس أصول الفقه والعربية ، ولازم علاء الدين البخارى . وأقبل على كتب الغزالى حتى كاد يحفظ أكثر كتابه « الإحياء » وطفق بطلب الحديث فلقى فى سبيله بعض حفاظه ، ومازال حتى نضج وحصف عقله ، فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويشتد فى ذلك أحياناً ، تعاونه عليه عبادة عكف عليها ، وزهادة جنح إليها ، وإيمان بالله قوى ، جعله لايخشى فى كلمة الحق لومة لائم ، فصدع بأمره كثير من الحكام وأولو الأمر وكسب ذلك جاها عريضاً . وكان كثير التسفيه والنقد لابن عربى ، وتقى الدين بن تيمية وأتباعه وكثير من الحنابلة .

وأقام بدمشق مدة ، ووفد على القاهرة ، ويمم شطر مكة للحج أكثر من مرة . وقد ولى التدريس بالمدرسة الشامية البرانية والناصرية . وولى كتابة بيت المال بدمشق . وعرضت عليه مشيخة الصلاحية ببيت المقدس ، وقضاء دمشق فأبى وقد حمل عنه العلم كثير من الأفاضل منهم : نجم الدين بن قاضى عجلون

ومن مصنفاته : مختصر منهاج العابدين . وشرح هذا المختصر ، والباعث على ماتجدد من الحوادث . وله جملة من الفتاوى النافعة .

وكانت وفاته فى ليلة ٢٦ صفر سنة ٨٦٣ هـ

« الضوء ج ٨ رقم ١٨٣ — الشذرات ج ٧ ص ٣٠٢ »

٤٧٦ — جلال الدين المحلى القاهرى الشافعى : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

محمد بن ابراهيم . وينسب إلى المحلة الكبرى . ولد فى مستهل شوال عام ٧٩١ ﻫ بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن ، وطلب العلم وأخذ الفقه وأصوله والنحو والحديث والتفسير وأصول الدين وعلوم البلاغة والفرائض وغير ذلك . وكثرت شيوخه فمنهم: الشمس البرماوى ، والبيجورى ، والجلال البلقينى ، والولى العراقى ، والعز بن جماعة ، والبدر الأقصرائى والشمس البساطى ، وقعد إلى بعض الأحناف كنظام الدين الصيرامى وشمس الدين بن الديرى وله شيوخ غير هؤلاء وهؤلاء .

قال السخاوى : « وتقدم على غالب أقرانه ، وتفنن فى العلوم العقلية والنقلية » . وكان يتكسب ببيع البز . ثم تفرغ للتصنيف والتدريس والإقراء فأفاد ونفع وهوى إليه الطلاب وتخرج به الفضلاء .

ومن تصانيفه : شرح جمع الجوامع فى الأصول . وشرح المنهاج الفرعى . وشرح البردة . وتفسير القرآن ولم يكمل ، وقد أكمله الجلال السيوطى . ومناسك الحج . وكتاب فى الجهاد . وحاشية على جواهر الأسنوى . وشرح الشمسية فى المنطق ومختصر التنبيه . وكان يدرس الفقه بالبرقوقية وبالمؤيدية . وحج مرارا .

وكانت وفاته فى رمضان عام ٨٦٤ ﻫ ودفن بجنازة حافلة ، فى تربته تجاه جوشن . وقيل توفى فى أول يوم فى السنة .

« الضوء اللامع ج ٧ رقم ٨٢ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٩ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٠٣ »

٤٧٧ — كمال الدين القاهرى . أبو محمد ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، الشافعى ، ويعرف بابن إمام الكاملية . ولد سنة ٨٠٨ ﻫ بالقاهرة ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه على شرف الدين السبكى وغيره وتتلمذ لولى الدين العراقى ، أما النحو والفرائض والحساب فدرسها على شمس الدين الحجازى ، وهكذا تعلم أصول الفقه والمنطق والتفسير والحديث ، وجد فى سماعه بخاصة أخيرا ، حتى صار ذا فضل مشهود به ، وأخذ يلى دروس الفقه ويلقى الحديث ، فى مدارس عدة ، منها المدرسة قطبية والكاملية والإيوان المجاور لقبة الشافعى . وقد عرض عليه قضاء الشافعية بمصر فامتنع .

وعنى بالتصنيف : فما صنفه . شرح على البيضاوى الأصلى ، مطول ، وآخر مختصر . وشرح مختصر ابن الحاجب الأصلى ، لم يتمه ، . وشرح الأربعين النووية ، وشرح الوردية النحوية ، لم يتمه ، واختصار تفسير البيضاوى . واختصار شرح البخارى للبرهان الحلبى ، واختصار شرح العمدة ورجالها للبرماوى مع زيادات ، وغير ذلك .

وكانت وفاته فى ٢٥ شوال سنة ٨٦٤ هـ .

«الضوء ج ٩ رقم ٢٥٩ »

٤٧٨ — شهاب الدين الكنانى : هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن داود الجدلى المقدسى الشافعى الواعظ . ويعرف بأبى العباس القدسى . — ولد فى سنة ٨٠٩ هـ — وقيل ٨١٥ هـ — بالجدل ، فحفظ القرآن الكريم وأخذ يطلب العلم على أماثل العلماء فى عصره ، بعد أن حفظ كتباً شتى فى جملة علوم ، وتنقل بين الشام ومصر ومكة والرملة وبيت المقدس . وكان من شيوخه فى علوم العربية : أبو القاسم النويرى وعلاء الدين القابونى وغيرهما . وفى الفقه وأصوله والنحو واللغة والحديث : رسلان وأجازه بالوعظ . وله شيوخ آخرون فى الفقه منهم : عز الدين القدسى ، وتقى الدين بن قاضى شهبة ، وعلم الدين البلقينى . وتلقى الحديث عن تاج الدين بن القرابيلى وابن حجر العسقلانى وكثيرين غيرهما . قيل إنه تلقى الحديث عن أغلب مشايخ عصره فى مصر والشام ومكة . وهكذا أوغل فى طلب العلم ، والاختلاف إلى أئمته ، حتى أصبح بارعا فى جملة علوم ، منها عدا ما سبق : المنطق والجبر والمقابلة والتفسير .

وقد ولى التدريس والوعظ وبرع فيه براعة ممتازة ، وكانت مجالسه فيه حافلة ، وكانت حافظته جعبة حكايات ونوادر وأشعار . وينسبه السخاوى إلى عدم تحرى الصدق . وقد عالج بعض التصانيف . وتوفى فى ليلة ٢٦ جمادى الثانية سنة ٨٧٠ هـ ودفن فى غدها بالقرافة الصغرى فى تربة يشبك الدوادار .

« الضوء ج ١ ص ٣٦٣ »

٤٧٩ — تقى الدين الشُّمنّى : أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على ، الشيخ تقى الدين أبو العباس الإمام العلامة الذى انتهت إليه رياسة المذهب الحنفى فى زمانه . وقد تحنف بعد أن ظل مالكياً زمناً طويلا .

ومسقط رأسه بالإسكندرية فى رمضان عام ٨٠١ هـ وقدم القاهرة فتلمذ على جلة شيوخها فى فنون عدة ومنهم : الشيخ يحي السيرامى فى الفقه ، وشمس الدين الشنطوفى فى النحو ، وولى الدين العراقى فى الحديث ، والبساطى فى المعقولات، وأجازه كثيرون منهم العراقى والبلقينى والحلاوى والمراغى وغيرهم كثيرون .

وتفوق فى علوم كثيرة منها : فقه المالكية وفقه الحنيفية ، والتفسير والحديث والنحو والكلام والأصول إلى غير ذلك، كما شارك فى علوم أخرى . وقد ولى عدة وظائف إلا القضـــاء فإنه طلب له فأباه ، ومن وظـائفه : مشيخه مدرسة اللالا ، والخطابة بتربة قانباى الجركسى مع مشيخة صوفيتها مع خلوة بالجمالية .

وقد عنى بنشر العلم وتدريسه ، وكان حجة متوقد الذكاء قوى الحافظة عفيفاً محباً الخير ، فعاونته هذه الخلال على ما هو بصدد من نشر العلم ، حتى علا كعبه وذاع صيته وقصده الطلاب من كل فج عميق . ولازمه بعضهم ، وتخرج عليه الأفاضل الجهابذة، ومنهم : الجلال السيوطى والشمس السخاوى . وقد قرأ لطـــلابه كتبا كثيرة فى فنون متعددة .

ومن مصنفاته: حاشية على مغنى ابن هشام ، لخصها من حاشية الدمامينى ، وزاد عليها وسماها « المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام » وله أيضاً « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » وهو تعليق على كتاب الشفا ملخص من شرح البرهان الحلبى ، مع زيادات . وله شرح النقاية فى فقه الحنفية . وشرح نظـــم النخبة . « وهى من نظم والده » . وأرفق المسالك لتأدية المناسك .

وقد توفى الشمنى بمنزله بتربة قايتباى شرقى قلعة الجبل ، ودفن بحوش داخل التربة . وكان ذلك فى ليلة الأحد ٢٧ من ذى الحجة عام ٨٧٢ هـ ، ودفن فى صباح الأحد . وقد رثاه الجلال السيوطى بقصيدة طويلة أولها :

رزء عظيم به تستنزل العبر   وحادث جل فيه الخطب والغير

« الضوء اللامع ج ٢ رقم ٤٩٣ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٤ — ابن إياس ج ٢ ص ٩٩ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١٣ »

٤٨٠ — شهاب الدين الأسيوطى : أحمد بن أسد بن عبد الواحد الأسيوطى .

ثم السكندى الشافعى ولد بالإسكندرية فى عام [1] ٨٠٨ هـ ثم حمل رضيعا إلى القاهرة فنشأ بها وتعلم على جهابذتها كابن حجر العسقلانى وعلم الدين البلقينى والعلاء القلقشندى والجلال البلقينى والبساطى والكافيجى وغيرهم. فحفظ الحديث ودرس الفقه والقراءات وأصول الدين وفنون العربية والمعقولات. ومازال حتى برع وتفوق. وقال فيه شيخه ابن حجر العسقلانى: «الشيخ الإمام العلامة البحر الفهامة، إمام الإقراء وفخر الفقهاء وفارس العربية والقائم بالقواعد الأصولية شرف العلماء أوحد الفضلاء مفتى المسلمين أقضى القضاة.» وقال أيضا مجيزا له: «وأذنت له أن يدرس فى الفقه والعربية وغيرهما مما حصله بجدواجتهاد. وساوى به كثيرا ممن أكثر التطواف فى البلاد....».

ولما عرف فضله وكلت إليه وظائف منها: تدريس القراءات بالمدرسة البرقوقية، وبالمؤيدية. وقراءة الحديث بالقلعة.

اشتغل شهاب الدين الأسيوطى بالتدريس وإفادة الطلاب علوما متعددة. قال السخاوى عنه: «وقد أقرأ الطلبة فى الفقه والأصلين والعربية والصرف وغيرها. وقصد فى القراءات وصار المشار إليه فيها وحملها عنه الأماثل»

واشتغل كذلك بالتأليف، فمما ألفه: غنية الطالب فى العمل بالكواكب وهى أرجوزة نظم بها رسالة ابن المجدى فى الميقات. وكتب بعض الشرح على الشاطبية، وشيئا من التذييل على تاريخ العينى. وله: الذيل المترف من الأشرف إلى الأشرف، وهى أرجوزة فى التاريخ.

وقد كان الأسيوطى كثير التحصيل للعلم، حريصا على جمعه، متواضعا فى ذلك كل التواضع، حتى إنه كان يلتمس العلم ممن هم دون منزلته علما وفقها.

وقد يمم شطر الحجاز حاجا عام ٨٧٢ هـ فمات بعد أدائه أثنـــاء عودته فى ٢٠ من ذى الحجة من العام المذكور ودفن هناك بالحديدة.

« الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٢٧ — ابن إياس جـ ٢ س ٩٩ — الشذرات جـ ٨ ص ٣١٤ »

٤٨١ — شمس الدين الشروانى الشافعى: محمد بن ابراهيم. كان إماما عالما فاضلا نادرة عصره بارعا فى فنون العلم، ذا منزلة مهيبة لدى أهل عصره. ولد عام ٧٨٠ هـ وتوفى فى مستهل صفر عام ٨٧٣ هـ.

« ابن إياس جـ ٢ ص ١٠٠ »

---

١ — روى ابن اياس وفاته سنة عام ٨٠٠ هـ

٤٨٢ — غرس الدين الظاهرى الصفوى : هو خليل بن شاهين ، من أصل جركسى ولد فى شعبان سنة ٨١٣ هـ ببيت المقدس ووفد على القاهرة . وطلب العلم ، ونظم الشعر . وكان أحد مماليك الأشرف برسباى وأعتق ، وولى عدة وظائف منها : نظر الأسكندرية ثم حجوبيتها . وترقى فى سلك الإمارة والوظائف ولا سيما بعد أن صار « عديلا » لبرسباى نفسه . وما زال حتى صار وزيرا ، وولى إمارة المحمل ونيابة الكرك وأتابكية صفد وأتابكية حلب ، ونيابة القدس إلى غير ذلك . وقد توفى فى جمادى الأولى سنة ٨٧٣ هـ بطرابلس .

وقد علا كعبه فى عدة علوم منها . الفقه والتفسير والتاريخ . كما كان بارعا فى نظم الشعر . واشتغل بالتأليف فشارفت مؤلفاته الثلاثين .

ومن مصنفاته : المواهب فى اختلاف المذاهب وهو مرتب على أبواب الفقه . والكوكب المنير فى أصول التعبير . والمنيف فى الإنشاء الشريف . والإشارات فى علم العبارات . والدرة المضية فى السيرة المرضية . وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، وهو فى خطط مصر وعماراتها ومزاراتها ، ومواكب السلطان وملابسه ، ووصف الخليفة والقضاة وغير ذلك من النظم الإدارية والأنباء السياسية والاجتماعية . وله ديوان شعر فى عدة مجلدات وخمس البردة — هذا ، وهو والد زين الدين عبد الباسط الآتى ذكره فى وفيات سنة ٩٢٠ هـ .

« الضوء اللامع ج ٣ رقم ٧٤٨ — جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٩ »

٤٨٣ — كمال [١] الدين العقيلى النويرى الشافعى : هو أبو الفضل محمد بن محمد ابن أحمد ، خطيب مكة من أسرة طيبة مباركة فيها عدد من العلماء والخطباء . عاشوا بمكة . وقد ولد بها كمال الدين هذا ليلة ٥ ربيع الآخر ٨٢٧ هـ ؛ بعد وفاة أبيه بثمانية أيام : فكفله أخوه الأكبر ، وشب فحفظ القرآن والمنهاج ودرس النحو والأصول وسمع الحديث ورحل إلى القاهرة أكثر من مرة ولقى علماءها وتتلمذ لهم أمثال : ابن حجر العسقلانى والقاياتى والونائى . وما زال حتى أذن له بالتدريس والإفتاء ، فاشتهر صيته ، وزاول الخطابة كأخوته بمكة حتى اشتهر بأنه خطيب مكة ورحل بأخرة إلى القاهرة وعظمه أمراء الدولة ، وأنشأ له الأمير أزبك الظاهرى خلوة ممتازة بسطح

---

١ — ذكر ابن اياس أنه جمال الدين .

الجامع الأزهر ، فكانت لا تنفك مليئة بقصادها من العلماء والفضلاء والصوفية، وهو جواد لهم بما لديه من علم ورزق . وكان كثير الوعظ للناس بطلاقة لسان وحسن بيان ، وكان محبا لاقتناء الكتب ، عرض عليه قضاء الشافعية بمصر فأباه . واشتغل بتدريس المذهب فى المدرسة الشافعية ودون شرحا لبعض أحاديث البخارى . ومازال محدثا واعظا مفتيا حتى قبض فى ضحى الخميس ٢٣ رمضان سنة ٨٧٣ هـ . ووصى بأن يدفن داخل قبة الشافعى ، ولكن لم يتم ذلك ، ودفن فى التنكزية بالقرافة بعد جنازة حافلة

« ابن أياس ج ٢ ص ١٠٨ — الضوء اللامع ج ٩ رقم ٩٢ »

٤٨٤ — بدر[١] الدين بن قاضى شهبة : هو محمد بن أبى بكر بن أحمد بن محمد الأسدى الشهبى الدمشقى الشافعى تفقه بدمشق ، وارتحل إلى القاهرة . وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه بصيرا بمذهب الشافعية . وبلغ زمانا كان فيه عالم الشام على الإطلاق . ورشح لقضاء دمشق أكثر من مرة . وناب فى القضاء مدة طويلة .

وقد تصدى للتأليف والإقراء ، وقعد للتعليم فانتفع به كثير من أفاضل الطلاب . وكان يزاول مهنة التعليم بمدارس عدة ببلاد الشام .

ومن مصنفاته : إرشاد المحتاج . وبداية المحتاج، وكلاهما فى شرح المنهاج . وسيرة نور الدين الشهيد — ولد سنة ٨٠٦ [٢] هـ ، وتوفى فى رمضان سنه ٨٧٤ هـ .

« الضوء ج ٧ رقم ٣٨٦ — ابن إياس ج ٢ ص ١١٧ » .

٤٨٥ — حسام الدين بن بريطع الحنفى الدمشقى ، كان من أعيان الحنفية ، وولى قضاءها بدمشق زمنا ، وكذلك ولى قضاء غزة وصفد وطرابلس . وله نظم ونثر جيد وكذلك مهر فى الخط ، وألف كتبا جليلة . وتوفى فى رمضان عام ٨٧٤ هـ .

« ابن إياس ج ٢ ص ١١٦ »

٤٨٦ — جمال الدين بن تغرى بردى الحنفى : هو العلامة المؤرخ أبو المحاسن يوسف ابن الأمير الكبير الأتابكى سيف الدين تغرى بردى نائب دمشق . وكان أصله مملوكا البرقوق

(١) بدر الدين هذا ابن تقى الدين مؤلف طبقات الشافعية .
(٢) روى فى الضوء أنه ولد فى سنة ٧٩٨ هـ .

ولد ابنه جمال الدين بالقاهرة سنة ٨١٣ هـ . فحفظ القرآن ثم قيل إنه حفظ كتبا فى علوم عدة . وتفقه على شمس الدين الرومى، وعلاء الدين الرومى والبدر العينى والشمنى وغيرهم . وتعلم العربية على الشمنى والكافيجى .

ودرس البديع والأدب والهيئة وشيئا فى الطب ، وسمع الحديث من المقريزى والعينى وغيرهما . ومال إلى حفظ التاريخ وجمع رواياته ، فكان ذا معرفة ممتازة بدول الترك وأحوالهم ولغاتهم . ويقال إنه كان ماهرا فى فنون الفروسية كلعب الرمح ورمى النشاب والبرجاس ولعب الكرة وغير ذلك .

وكان يلوذ ببعض أمراء الأتراك ويصيب لديهم منزلة ، وعنهم جاها ومالا . وقد اشتغل بالتصنيف فى التاريخ ، ومن مؤلفاته : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، وهو فى تراجم الأعلام ومورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة وهو فى تاريخ مصر . والبشارة فى تكملة الإشارة للذهبى . وحلية الصفات فى الأسماء والصناعات . ونزهة الرأى فى التاريخ . وحوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور والبحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر .

هذا ، وقد انتقد السخاوى ، طريقة أبى المحاسن فى كتابة التاريخ وأخذه ببعض الأخطاء ، والخلط فى كتابة الأعلام وأوصافهم . وفى بعض الكلمات من الناحية اللغوية وأورد جملة من الشواهد .

وقد كانت وفاة أبى المحاسن بالقاهرة فى ٥ ذى الحجة سنة ٨٧٤ هـ .

« الضوء ج ١٠ رقم ١١٧٨ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١٧ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٨٠ »

٤٨٧ — عز الدين أبو البركات الحنبلى : قاضى القضاة أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل ، الكنانى العسقلانى الأصل المصرى المولد . ولد بالقاهرة فى ذى القعدة عام ٨٠٠ هـ ونشأ بها . فحفظ القرآن وجوده على الزراتيتى وحفظ كتبا كثيرة فى علوم عدة . وأخذ يطلب العلم على أهله . وتمذهب بمذهب ابن حنبل . فدرس الفقه على مجد الدين سالم ، وعلاء الدين بن المغلى ومحب الدين بن نصر الله وغيرهم . ودرس العربية عن الدين البوصيرى والشطنوفى

وغيرهما. يدرس التفسير على شمس الدين بن الديرى، كما درس علوم البلاغة والحديث عن عز الدين بن جماعة، وأخذ علوما عدة عن العز بن عبد السلام البغدادى، ومنها علوم العربية والمنطق والحكمة والتفسير وغيره، وانتفع بدروسه. ودرس التاريخ على المقريزى والعينى. وسمع الحديث من كثيرين منهم الزراتيتى والشامى وابن المصرى وابن البيطار وابن حجر العسقلانى وولى الدين العراقى، والغرس خليل وغيرهم.

ولما اكتمل علمه وبدا فضله استكفى فى بعض الوظائف. فناب فى الحكم، واشتغل بالتدريس فى المدرسة الجمالية والحسينية وجامع الحاكم، ومدرسة أم السلطان. ودرس الحديث بجامع ابن البابا، والفقه بمدرسة الأشرف برسباى، وبجامع المؤيد وجامع ابن طولون والشيخونية والأزهر وغيرها. وقد ولى قضاء الحنابلة بعد البدر البغدادى فى عام ٨٥٧ هـ ولبث به زهاء عشرين عاما.

وقد حج أكثر من مرة. وزار بيت المقدس والخليل وبلاد الشام؛ وطاف، بالمحلة ودمياط وغيرهما، وكلما ذهب إلى مدينة أو محلة لقى من فيها من جلة علمائها وأخذ عنهم أو أخذوا عنه، وطارحهم الشعر، وأنشد لهم منظوماته فى مدح النبى عليه السلام. وكان بيته مجتمعا لأهل العلم والفضل وكان مرجعا للحنابلة بمصر، مع تواضعه وزهده وعلو نفسه. وخرج جملة من الأعلام منهم السيوطى.

واشتغل بالتصنيف، قال السخاوى: «وأكثر من الجمع والتأليف والانتقاء والتصنيف. حتى إنه قل فن إلا وصنف فيه، إما نظما وإما نثرا، ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك.»

وتناول فى مؤلفاته علوما كثيرة منها: الفقه وأصوله والحديث والعربية والتاريخ.

ومن مصنفاته: مختصر المحرر فى الفقه. وتصحيحه، ونظمه أيضاً. وله منظومات فى الفقه والنحو والأصول والتصريف والبيان والبديع والحساب. وله توضيح الألفية وشرحها. وشرح كثير من منظوماته. وله كتب تاريخ ومختصر تصحيح الخلاف المطلق فى المقنع.

وكانت وفاته فى ليلة جمادى الأولى عام ٨٧٦ هـ؛ وصلى عليه فى غدها بحضور

السلطان وغيره من العلية . ودفن فى حوش الحنابلة فى قبر أعده لنفسه . وكان محبا للخير ، أنشأ مسجدا ومدرسة وسبيلا وصهريجا.(١)

« الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠٥ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٢٩ ، ٢٦٧ ، وجـ٢ ص ١٢٤ — ابن إياس جـ ٢ — شذرات الذهب جـ٧ ص ٣٢١ »

٤٨٨ — نجم الدين العجلونى الزرعى الدمشقى الشافعى : هو محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن محمد . ويعرف بابن قاضى عجلون — وعجلون من أعمال دمشق ، كان جد أبيه نائبا فى قضائها .

ولد فى ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ بدمشق ونشأ بها وحفظ القرآن وكتبا فى علوم شتى ، وسمع الحديث وطلب الفقه والقراءات وعلوم العربية والمنطق والتفسير والحساب والعروض وغير ذلك ، فتلقاها من مشايخ أجلاء فبرع فيها : ومن مشايخه علاء الدين القلشقندى والمحلى والعينى والبوتيجى وابن الهمام والشمنى والعلم البلقينى والمناوى وغيرهم .

وتصدى للفتوى والإقراء فتتلمذ له كثيرون : كما اشتغل بالوظائف العامة ، وبالتأليف وولى الإفتاء بدار العدل ، وتدريس الفقه بجامع ابن طولون والحجازية مع خطابتها . ودرس فى بلده بجملة مدارس . ثم تصدر بجامع بنى أمية مع قراءة الحديث فيه . وقدم القاهرة مطلوبا لولايات القضاء فمرض بها ومات . قاله ابن إياس .

ومن مصنفاته : تصـــحيح المنهاج . والتاج فى زوائد الروضة على المنهاج . وله غير ذلك .

قال السخاوى عنه : « كان إماما علامة متقنا حجة ضابطا جيد الفهم ، لكن حافظته أجود . دينا عفيفا وافر العقل الخ » .

وكانت وفاته فى ١٣ شوال سنة ٨٧٦ هـ .

« الضوء اللامع ج ٧ رقم ١٩٧ - ابن إياس ج ٢ ص ١٣٣ - الشذرات جـ ٧ ص ٣٢٢ »

٤٨٩ — فخر الدين المقسى : هو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان الشافعى .

---

(١) كتبنا عنه موجزا فى باب القضاة بالمجلد الثانى من كتابنا هذا .

كان من أعيان علماء الشافعية، وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه دينا خيرا وافر العقل. ذكر لبلى القضاء الأكبر أكثر من مرة. وولى التدريس فى عدة مدارس منها الشيخونية، ولى بها مشيخة الحديث. وقد توفى فى شعبان عام ٨٧٧ هـ متجاوزا سن الستين. وقيل مات فى رجب.

« الضوء اللامع ج ٥ رقم ٤٦٤ — ابن إياس ج ٢ ص ١٤٢ »

٤٩٠ — زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودونى الحنفى: ويعرف بقاسم الحنفى كان أبوه مملوكا للأمير سودون الشيخونى ثم أعتقه. وقد ولد قاسم فى المحرم عام ٨٠٢ (١) هـ بالقاهرة وتعاطى حرفة الخياطة مدة؛ ثم أقبل على العلم فجود القرآن. ودرس التفسير والحديث وعلوم الحديث والفقه والعقائد والفرائض والميقات والحساب والعربية وآدابها وعلوم البلاغة. وكان من فضلاء أساتذته: ابن حجر العسقلانى والسراج قارىء الهداية، والمجد الرومى والنظام السيرامى، والعز بن عبد السلام البغدادى، والشرف السبكى والبساطى وناصر الدين البار نبارى وغيرهم. ولازم ابن همام. وطاف فدخل الشام والأسكندرية وبيت المقدس، طالبا للحديث وغيره. وما زال حتى برع وأذن له فى الإفتاء والتدريس، وأصبح من حفاظ الحديث.

تصدى ابن قطلوبغا للتدريس والإفتاء فأقبل عليه الفضلاء وأخذوا عنه فنونا متعددة. وأقبل على التأليف مبكرا وهو من أكثر الرجال تأليفا. ومؤلفاته شروح وجمع وتخريجات وتعقيبات ومنها: شرح قصيدة ابن فرح فى الاصطلاح، وشرح قصيدة ابن الجزرى فى مجلدين، ولم يكمله. وكتب حاشية على شرح ألفية العراقى، وعلى النخبة وشرحها لابن حجر. وله أيضا: تخريج عوارف المعارف للسهروردى وشرح كتبا للغزالى منها: جواهر القرآن وبداية الهداية والأربعين فى أصول الدين، أوخرجها أو عقب عليها، ومنها تخريج أحاديث الاختيار فى شرح المختار.

وشرح كتبا كثيرة من كتب الحديث وفقه الحنفية كالقدورى وله كتاب تبصرة النافد فى كيد الحاسد فى الدفاع عن أبى حنيفة. وترصيع الجوهر النقى فى الفقه كتب فيه إلى أثناء التيمم. وله كتب فى التاريخ منها: تلخيص دولة الترك. وتاج التراجم فيمن صنف

(١) روى ابن إياس وفاته سنة عام ٨٠١ هـ

من الحنفيه . وكتب تراجم أخرى منها معجم شيوخـــه . وله كتب فى التفسير والفرائض والصرف والنحو . واختصر تلخيص المفتاح فى البلاغة ، وشرح منار النظر فى المنطق لابن سينا . وشرح درر البحار . وخرج أحاديث شرح القدورى للأقطع . وشرح منظومة ابن الجزرى فى علم الحديث المسماة بالهداية . وله غير ذلك .

قال السخاوى عنه : « هو إمام علامة قوى المشاركة فى فنون عدة ذاكر لكثير من الأدب ومعلقاته ، وأسع الباع فى استحضار مذهبه ، وكثير من زواياه وخباياه . متقدم فى هذا الفن طلق اللسان ، قادر على المناظرة وإفحام الخصم . لكن حافظته أحسن من تحقيقه ، مغرم بالانتقاد ولو لمشايخه » .

وكان على غزارة علمه وفيض فضله ، ضيق المرتزق سريع الإنفاق ، لم ينل من المناصب شيئا ذا قيمة يدر عليه الخير ، ومع هذا كان متواضعا صابرا مرض قبل وفاته بالحصاة واحتباس البول . وقد توفى فى ليلة الخميس ٤ ربيع الآخر عام ٨٧٩ هـ . ذكره المقريزى فى عقوده .

« الضوء اللامع ج ٦ رقم ٦٣٥ — ابن إياس ج ٢ ص ١٥١ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٦٨ شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٢٦ »

٤٩١ — محيي الدين الكافيجى : هو العالم العلامة الإمام محمد بن سليمان بن سعد ابن مسعود الرومى الحنفى . نسب إلى الكافية لكثرة قراءته فيها . ولد فى بلاد الروم عام ٧٨٨ هـ [١] . ودرس هناك على بعض الجهابذة . ثم دخل الشام وبيت المقدس فالقاهرة ، فلقى بها فحول العلماء فذاع صيته بينهم وأجلوه وأقبلوا عليه واستفادوا منه كما استفاد منهم . وكان متقللا من الدنيا عفيفا . وجلس للإفادة فنبغ على يديه تلاميذ أجلاء طبقة بعد طبقة .

وكان بارعا فى فنون المعقولات حتى صار إليه المنتهى فيها فى عصره ومن ذلك : المنطق والحكمة والجدل ، وبرع فى فقه الحنفية حتى صار فيه رأس الأحناف فى زمانه [٢] ومهر فى الأصلين والتفسير وفنون العربية وآدابها ، وشارك فى الطب وبرع فى الهندسة والهيئة . قال السخاوى عنه : « قد صار علامة الدهر ، وأوحد العصر ، ... الزمان ، ونخر هذا الوقت والأوان » .

---

١ — هذه رواية ابن اياس وقال السخاوى قبل سنة ٧٩٠ هـ وقال غيرهما سنة ٨٠١ هـ

٢ — هذه رواية ابن اياس ، لكن السخاوى قال انه كان مشاركا فى الفقه .

وتربو مؤلفاته على المائة وهي في عدة فنون . وأكثرها رسائل صغيرة . ومنها : شرح القواعد الكبرى لابن هشام . المختصر في علم الأثر . حاشية على الكشاف . حاشية على شرح الهداية . تلخيص الجامع الكبير . وتعليق على تفسير البيضاوي وشرح الجغميني في الهيئة وله فتاوي كثيرة مفصلة في المعقولات .

لبث الكافيجي محبوبا معظما من الملوك والأمراء ورؤساء الدولة مقصودا للفتوى والتعليم . ومدحه الشعراء ومنهم الشهاب المنصوري ، وبدر الدين حسن بن إبراهيم الخالدي .

وقد توفي الكافيجي بعد حياة مباركة نافعة حافلة ، وأصيب بمرض قبيل وفاته التي كانت في صبيحة [1] الجمعة ٤ جمادى الثانية عام ٨٧٩ هـ . ودفن بحوشه بجوار سبيل التربة الأشرفية . وقد رثاه الشهاب المنصوري بأبيات منها :

بكت على الشيخ محي الدين كافيجي ... عيوننا بدموع من دم المهج
كانت أسارير هذا الدهر من درر ... تزهى فبدل ذاك الدر بالسبج
فكم قفا بسماح من مكارمه ... فقرا وقوم بالإعطاء من عوج
يانور علم أراه اليوم منطفئا ... وكانت الناس تمشي منه في سرج
فلو رأيت الفتاوى وهي باكية ... رأيتها من نجيع الدمع في لجج ... ألخ

« المنهل ج٣ — ابن اياس ج٢ ص ١٥١ ، ١٥٢ — حسن المحاضرة ج١ ص ٢٦٤ — الضوء اللامع ج ٧ رقم ٦٥٥ — شذرات الذهب ج٧ ص ٣٢٦ »

٤٩٢ — أمين الدين الأقصرائي الحنفي : هو شيخ الإسلام يحيى بن محمد ، شيخ الحنفية في زمانه وأحد من حظوا بسعة الجاه ونفوذ الكلمة . وممن امتلأت القلوب بهيبتهم وإجلالهم ، وعرفوا بالعلم والفقه وحسن الرأي وصواب الفكر ، واتجهت إرادة أولي الأمر إلى مشاورتهم في معضلات الأمور ، ومستشكلات المسائل وهو ينسب إلى قصرا إحدى مدن الروم .

---

١ — هذه رواية السخاوي ، وروى السيوطي أن وفاته كانت ليلة الجمعة .

وقد ولد عام ٧٩٧ هـ ، وأخذ طريقه فى الدرس والتحصيل حتى اشتهر أمره وذاع صيته ، وبلغ مكانته بجدارة . وكان أحد مشايخ العلم الفضلاء الذين يشار إليهم بالبنان فى عهد الأشرف قايتباى .

ومن حوادثه أنه لما جاءت الأخبار عام ٨٧٢ هـ إلى قايتباى بأن أشاه سوارا عبث بجنوده وشتت شملهم وأسر أتابكيه «جانى بك قلقسيز» ، وعزم على الزحف إلى حلب ، أمر بعقد مجلس بالقلعة حضره الخليفة والقضاة وشيخ الإسلام أمين الدين الأقصرائى ، للبحث فى تدبير مال ، يعد به السلطان جيشاً جديدا ، ويزوده بعساكره لملاقاة سوار ، وكانت رغبة السلطان متجهة إلى المساس بأرزاق بعض الناس ، وبأموال الأوقاف ، فقد أراد أن يأخذ منها ما يشاء مما يحتاج إليه ، بعد أن يترك للمساجد مايكفل صيانتها للعبادة . عرض الأمر على هذا المجلس ، وهم البعض بالموافقة على مشيئة السلطان فجاء الأقصرائى — وكان قد أبطأ فى الحضور — فلما علم بالأمر أنكره غاية الإنكار ، وقال للسلطان : «لايحل للسلطان أن يأخذ أموال الناس إلا بوجه شرعى . وإذا نفد جميع ما فى بيت المال ، ينظر إلى ما فى أيدى الأمراء والجند وحلى النساء ، فيأخذ منها مايحتاج إليه . وإذا لم يوف بالحاجة فعند ذلك ينظر فى المهم - أى مايحتاج إلى إعداده من جيش وعتاد — إذا كان ضروريا فى المنع عن المسلمين ، حل ذلك بشرائط متعددة . وهذا هو دين الله تعالى . إن سمعت آجرك الله على ذلك ، وإن لم تسمع فافعل ماشئت ، فإنا نخشى من الله تعالى أن يسألنا يوم القيامة ، ويقول لنا : لم لا نهيتموه عن ذلك ، وأوضحتم له الحق . . . . ؟ ولكن السلطان إن أراد أن يفعل شيئا يخالف الشرع ، فلا يجمعنا . ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله مئونة هذا الأمر كله . »

قال ابن إياس : « ثم قام . فانجبه السلطان وانفض المجلس من غير طائل ، وكثر القال والقيل . وشكر الأمراء الشيخ أمين الدين ، على ذلك ، وغالب الناس . وكثر الدعاء فى ذلك اليوم للشيخ أمين الدين — رحمه الله — وعد هذا المجلس من النوادر » .

وفى عام ٨٧٩ هـ خرج الشيخ حاجا ، فأمده قايتباى بهبة مالية معونة له . وكان فى صحبته الأتابكى أزبك بن ططخ ، والأمير أزبك اليوسفى وغيرهما من علية القوم . وكان أيضا معه ابنه أبو السعود محمد فدهمه الموت وهو عائد من مكة ، وكان من أهل العلم

والفضل . فحزن عليه أبوه حزنا شديدا، فما لبث بعد عودته إلى القاهرة إلا تسعة أيام ، ثم توفى فى ٢٧ المحرم عام ٨٨٠ هـ منيفا على الثمانين . (١)

قال ابن ياس عنه : «كان إماما عالما فاضلا مفتيا به نفع المسلمين . من أجل علماء الحنفية باعا فى الفقه ، دينا خيرا قائما فى الحق ، يخاشن الملوك والسلاطين ، ويغلظ عليهم فى القول ، ولا يخشى إلا الله تعالى . وكان فى سعة من المال . وولى عدة وظائف سنية ، منها : مشيخة المدرسة الأشرفية، ومشيخة المدرسة الصرغتمشية والإيتمشية والجانبكية . وكان بيده عدة تداريس ، وطلب ليلى القضاء غيرما مرة ، وهو يتمنع » (٢) .

« حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٧ — ابن إياس ج ١ ص ٣٠٣ — ج ٢ ص ٩٦ ، ١٤١ — — الضوء اللامع ١٠ رقم ١٠٠٨ الشذرات ج ٧ ص ٣٢٨ »

٤٩٣ — توغان المحمدى الأشرفى : توفى سنة ٨٨٠ هـ . وله كتب منها : البرهان فى فضل السلطان . منهج السلوك فى سيرة الملوك : والمقدمة السلطانية فى السياسة الشرعية .

« جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٦٠ »

٤٩٤ — سيف الدين الحنفى : هو العلامة الفاضل محمد بن محمد بن عمر بن قطلو بغا التركى القاهرى. ولد فى نحو عام ٧٩٨هـ(٣) ، وشب ميالا للعلم فحفظ القرآن وعدة متون فى علوم شتى منها: عمدة النسفى فى أصول الدين وكذلك عمدة الأحكام وتقريب الأسانيد وحفظ الشاطبيتين . كما حفظ فى الفقه : القدورى والمجمع والهداية . وفى الفرائض السراجية . وفى أصول الفقه : المنار والمنهاج والمغنى . وفى النحو والصرف : ألفيه ابن مالك والشافية لابن الحاجب ، ولازم ابن الهمام فأخذ عنه فقه الأحناف والأصلين والعربية وغيرها . وتتلمذ لغيره من أفاضل علماء العصر ومنهم: الجلال البلقينى والسراج قارىء الهداية ، التفهنى والكمال بن العديم ، والعز البغدادى الحنبلى ، والشمس المدنى المالكى . وأذن له فى الإقراء . وحج عدة مرات .

١ — فى الشذرات أن وفاته فى ذى الحجة عام ٨٧٩ هـ

٢ — الشيخ أمين الدين يحيى الأقصرائى غير الشيخ محب الدين محمد بن أحمد بن أبى يزيد الأقصرائى الحنفى الذى كان إماما للاشرف برسباي . ولد سنة ٧٩١هـ وتوفى سنة ٨٥٩هـ. ذكره ابن إياس فى ج ٣ ص ٥٣ ، وسبب استدراكنا أن إياس قال عنه مرة (أمين الدين) .

٣ — هذه رواية السخاوى ، وروى ابن إياس أنه ولد فى سنة ٨٠٣ هـ

وشغل وظائف منها : تدريس الفقه بقبة الصالح ، ثم بالناصرية والأشرفية القديمة والأقبغاوية بجوار الأزهر ، وألقى دروس التفسير بقبة المنصورية . وأنابه ابن الهمام فى مشيخة الخانقاه الشيخونية لما وكل إليه مشيخة جامع المؤيد . كما تصدى للإقراء . وتتلمذ له كثيرون من الفضلاء ومنهم السيوطى والشمس والسخاوى .

قال ابن إياس عنه : « كان عالما فاضلا من خيار الحنفية ، ورعا زاهدا دينا ماهرا فى الفقه والحديث » .

قال السخاوى عنه : « فهو إمام علامة فى الفقه وأصوله العربية والتفسير وأصول الدين وغيرها . بديع التحقيق بعيد النظر والمطالعة : متأن فى تقريره مع سلوكه طريق السلف ومداومته على العبادة والتهجد والجماعة ، وشهود مشهد الليث . والانجماع عن الناس ، والانقباض عن بنى الدنيا ، وعدم التردد إليهم جملة ، والسكون ، وترك الخوض فيما لا يعنيه . . »

ومن مصنفاته : شروح للكتب الآتية : التوضيح لابن هشام . شرح البيضاوى للإسنوى . شرح التنقيح للقرافى . شرح المنار . شرح العقائد . شرح الطوالع ، وغير ذلك .

وقد توفى سيف الدين الحنفى بعد حياة حافلة فاضلة ، وذلك فى ليلة الاثنين ٢٤ من ذى القعدة عام ٨٨١ هـ . ودفن بتربة جد أمه لأمها الفخر القاياتى بالقرافة قريبا من الإمام الشافعى . وقد رثاه جلال الدين السيوطى بأبيات منها :

مات سيف الدين منفردا ... وغدا فى اللحد منغمدا
عالم الدنيا وصالحها ... لم تزل أحواله رشدا .. . الخ

« ابن إياس ج ٢ ص ١٦٧ ، ١٦٨ — حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٧ — الضوء اللامع ج ٩ رقم ٤٤٥ — الشذرات ج ٧ ص ٣٣٢ »

٤٩٥ — الناصرى محمد بن قرقماس الحنفى : كان عالما فاضلا من أعيان الحنفية ، وقيل كان يرتزق بالكتابة . وكان يدعى علم الحرف وعلم الكيمياء . وولى مشيخة تربة الظاهر خشقدم وحظى عنده وصنف كتاب زهرة الربيع فى شواهد البديع وبه أبيات من شعره . وشرحه فى كتاب «الغيث المريع» وعارض مقامات الحريرى . وكتب تمهيدا

للقرآن . وكان ناظما نثرا . ويقال إن نظمه كان فيه أخطاء نحوية وصرفية ومن قوله :

إذا منّ من تهوى عليك بنظرة　　أماط الجوى من قلبك البأس والبلوى

فكن شاربا صبرا لمر صدوده　　فما ذاق منّ الوصل من هم بالسلوى

وكان مولده سنة ٨٠٢ هـ ، ووفاته فى ذى الحجة سنة ٨٨٢ هـ — قال السخاوى فى شوال .

« الضوء ج ٨ رقم ٨١٢ ابن اياس ج ٢ ص ١٨١ »

٤٩٦ — شهاب الدين الإبشيطى : هو أحمد بن إسماعيل بن أبى بكر بن عمر القاهرى الأزهرى الشافعى . ولد بإبشيط[1] سنة ٨٠٢ هـ . وأخذ فى طلب العلم ، وانتقل إلى القاهرة فسكن الأزهر ، وتتلمذ لأفاضل الأئمة . فدرس الفقه على برهان الدين البيجورى ، وشمس الدين البرماوى ، وولى الدين العراقى ، وغيرهم ، وأصول الفقه عن القاياتى ولازمه مدة . والنحو عن شمس الدين الشطنوفى ، وناصر الدين البارنبارى وغيرهما . وسمع الحديث من الشهاب بن حجر العسقلانى والولى العراقى أيضاً وغيرهما . وهكذا جد فى طلب علوم العربية والبلاغة والمنطق والفرائض والحساب والجبر والمقابلة . وبرع فى كل أولئك حتى أصبح أهلا للتدريس والإفادة ؛ فانتفع به طلابه فى الفقه والحديث . وحج إلى مكة أكثر من مرة ؛ وزار المدينة وأقام بين أهلها أكثر من عشرين عاما أكرمهم فيها بنشر العلم بينهم ، كما أكرموه بحبهم له واحترامهم . وكان مع بارع معرفته وذائع شهرته عيوفا عن الدنيا وزخارفها خشنا متقشفا مطمئنا إلى فاقته ، جانحا إلى الصوفية والتصوف ، جالسا إلى دروس الحنابلة ، مع شافعيته .

ومن مصنفاته : ناسخ القرآن ومنسوخه . والحاشية الجلية السنية على حل تراكيب ألفاظ الياسمينية ، وهى فى الجبر والمقابلة لخصها من شرحها لابن الهائم . والتحفة فى العربية . وروى الصادى وعجالة الغادى . وقد نظم كتبا وشرح أخرى ، بين منطق وأصول وتصريف .

وكانت وفاته بالمدينة فى ٩ رمضان عام ٨٨٣ هـ . ودفن بالبقيع .

« الضوء ج ١ ص ٢٣٥ — الشذرات ج ٧ ص ٣٣٦ »

---

[1] — إبشيط : بكسر الهمزة وسكون الباء وكسر الشين وبعدها ياء وطاء ، قرية من قرى المحلة من الغربية . قاله فى الضوء .

٤٩٧ — برهان الدين بن مفلح : هو أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح ، الراميني (١) المقدسي الصالحي . ولد سنة ٨١٥ هـ بدمشق ، ونشأ بها فحفظ القرآن الكريم وعدة كتب في فقه الحنابلة وأصول الفقه والقراءات والنحو . وتتلمذ في الفقه على علاء الدين البخاري ، وسمع الحديث من كثيرين . وما زال ، حتى برع في الفقه والحديث والأصول . وتصدى للنفع وأصبح مرجع الفقهاء بدمشق . وولي قضاءها أكثر من مرة ، وطلب ليلي قضاء الحنابلة بمصر فأبى .

ومن تصانيفه : شرح المقنع في أربعة أجزاء وكتاب في الأصول ، والمقصد الأرشد في ترجمة أصحاب الإمام أحمد وهو في طبقات الحنابلة .

وقد توفي ليلة ٤ شعبان عام ٨٨٤ هـ ، ودفن بصالحية دمشق .

« الضوء ج ١ ص ١٥٢ — الشذرات ج ٧ ص ٣٣٨ »

٤٩٨ — موفق (٢) الدين الطرابلسي : هو أبو ذر أحمد بن ابراهيم بن محمود بن خليل الطرابلسي الحلبي الشافعي . ولد بحلب سنة ٨١٨ هـ ونشأ بها ، وطلب العلم فحفظ القرآن الكريم وكتبا في الفقه والحديث والنحو . وتتلمذ لعلاء الدين بن خطيب الناصرية وابن مكتوم الرحبي وغيرهما في الفقه ، ولابن الإعزازي وشمس الدين الملطي وغيرهما في علوم العربية ، وتلقى الحديث عن والده وعن شهاب الدين بن حجر العسقلاني . وكان أديباً ذا رغبة في الأدب وفنونه؛ فنظم ونثر وجمع من منظومه ومنثوره مجاميع ثم أتلفها . ولعله فعل ذلك بدافع من حبه لحديث رسول الله عليه السلام ، إذ أنه صرف إليه همة روحه نحوه عنايته . وقد أذن له بالرواية وإسماع الحديث . وطاف ببلاد الشام ، وعاد إلى حلب . وكان ممتاز الحافظة سريع الجواب ، لبقا في أداء عبارته.

ومن مصنفاته الأدبية : عروس الأفراح فيما يقال في الراح . وعقد الدرر والآل فيما يقال في السلسال ، وستر الحال فيما قيل في الخال ؛ والهلال المستنير في العذار المستدير ، والبدر إذا ستنار فيما قيل في العذار .

ومن مصنفاته في الحديث : مبهمات البخاري ، ومبهمات مسلم ، والتوضيح الأوهام

---

١ — الراميني . نسبة إلى رامين وهي أعمال نابلس . قاله في الضوء .

٢ — والده هو برهان الدين الطرابلسي الذي من ذكره .

نو فعه فى الصحيح ، وقرة العين فى فضل الشيخين والصهرين والسبطين،وغير ذلك .

وكانت وفاته بحلب فى ٢٥ ذى القعدة عام ٨٨٤ﻫ . ودفن عند أبيه بالجبيل .

« الضوء ج ١ ص ١٩٨ — الشذرات ج ٧ ص ٣٣٩ »

٤٩٩ — سراج الدين العبادى الشافعى : هو عمر بن حسين بن (١) حسن بن أحمد. ولد فى منية عباد بالغربية عام ٨٠٤ﻫ . (٢) ثم تحول حدثا إلى طنتدا والقاهرة وحفظ كتبا كثيرة كالمنهاجين الأصلى والفرعى وجمع الجوامع وألفية الحديث ، وألفية ابن مالك والعمدة والتسهيل وغير ذلك . وأقبل على العلم وكان قوى الحافظة فطنا ذكيا ذكورا. تلقى الفقه عن شمس الدين بن البصار المقدسى وغيره : والقراءات عن الشمس الشراربى والحديث عن كثيرين منهم : الولى العراقى والواسطى والكمال بن خير ، والشمس الغرافى . كما درس النحو والمنطق والكلام وغير ذلك . وما زال حتى برع واشتهر أمره .

وولى من الوظائف : إمامة الجمالية ومشيخة الصوفية بالباسطية ، وتدريس الفقه بالبرقوقية وغيرها . ومشيخة خانقاه سعيد السعداء ونظر الأحباس وغير ذلك . وهكذا اشتغل بالتدريس وبالإفتا وغيرهما .

قال السخاوى عنه : « وأخذ عنه الفضلاء طبقة بعد طبقة . واشتهر اسمه وبعد صيته ، وتقدم غير واحد من طلبته . وصار شيخ الشافعية بدون منازع ، وعليه مدار الفتيا وإليه النهاية فى حفظ المذهب وسرده ، خصوصا الكتب المتداولة ، بحيث يكتب على أكثر الفتاوى بديهة بدون مراجعة . » .

وقد توفى فى ربيع الأول عام ٨٨٥ﻫ . ودفن بحوش سعيد السعداء بجنازة شهدها خلق كثير .

« ابن إياس ح ٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦ — الضوء اللامع ح ٦ رقم ٢٧٨ — الشذرات ح ٧ ص ٣٤٢ »

٥٠٠ — برهان الدين البقاعى : هو ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر الخرباوى الشافعى ولد بقرية خربا روحا من عمل البقاع سنة ٨٠٩ﻫ ، ونشأ بها .

---

١ — هكذا رواية السخاوى ، وذكر ابن إياس أنه عمر بن حسن بن حسين .
٢ — هذه رواية السخاوى ، وروي ابن إياس أنه ولد سنة ٨٠١ .

ثم وفد على دمشق ، ودخل القاهرة ، وطلب العلم على كثيرين من مشايخه حتى أصبح بارعا وإماما فى جملة علوم منها الحديث والفقه والتاريخ والقراءات والتفسير والنحو

وولى جملة من الوظائف منها : نظر جامع الفكاهين ،ونظر خان الزيدانى . وتدريس المؤيدية .

ومن مصنفاته : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران ، جمع فيه تراجم شيوخه ومعاصريه وتلاميذه ، مرتبة على حروف المعجم . — وعنوان العنوان ، وهو مختصر كتابه السابق . ومختصر سيرة النبي عليه السلام ، وثلاثة من الخلفاء الراشدين وأسواق الأشواق فى مصارع العشاق . والباحة فى علمى الحساب والمساحة . وأخبار الجلاد فى فتح البلاد . والمناسبات القرآنية . وتنبيه الغبي بتكفير إبن الفارض وابن عربى .

ويبدو لنا أن هذا الرجل كان شعلة متقدة ، وأنه كان كثير الاتصال بالشئون العامة ، سريعا إلى النقد والمبالغة فى النقد . وقد أثار من حوله غبارا كثيرا ، وأحقد عليه قلوبا عدة . ومما اشترك فيه فتنة ابن الفارض التى ثارت فى سنة ٨٧٥ ﻫ بين العلماء فكفره بعضهم ودافع عنه البعض الآخر ، فكان البقاعى فى جملة المكفرين لابن الفارض والموقدين لهيب الحملة عليه ، بسبب كلمات فى شعره تشعر بالحلول أو الاتحاد . وألف هو فى ذلك كتابه « تنبيه الغبي » وقد رد عليه الجلال السيوطى بكتابه « تنبيه الغبي بتبرئه ابن العربى » وألف بعضهم كتابا فى الرد عليه ، سماه « درياق الأفاعى فى الرد على البقاعى » . ونظم فيه بعض الشعراء الأهاجى .

وقد كان شمس الدين السخاوى صاحب الضوء معاصرا للبقاعى وزميلا له أثناء التلمذة . وقد ترجم له فى كتابه الضوء وحمل عليه حملة شعواء وسفهه وقبح أعماله ونسب إليه كل رذيلة فى الخلق ، ونقص فى العلم . على أن السخاوى من عادته أن يبالغ فى نقده وتحامله ولا سيما على معاصريه ، وبخاصة من مسه منهم أذى .

وقد كان البقاعى مفكرا وناقدا وعالما فقيها وأديبا شاعرا . وكانت وفاته فى ليلة السبت ١٨ رجب سنة ٨٨٥ ﻫ . ودفن خارج دمشق .

« الضوء اللامع ج ١ ص ١٠١ — شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٣٩ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٦٨ »

٥٠١ — نجم الدين بن فهد : هو شيخ الجماعة ، عمر بن محمد بن محمد بن أبى الخير محمد ، القرشى الهاشمى المكى الشافعى ، ويعرف بابن فهد . وهو ابن الشيخ تقى الدين ابن فهد . ولد بمكة فى سنة ٨١٢ هـ ، وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ يعالج العلوم ويسمع الحديث ، فكان من شيوخه فيه : جمال الدين بن الظهيرة وولى الدين العراقى . ورحل فى سبيل العلم فدخل القاهرة أكثر من مرة ، ولازم بها شهاب الدين بن حجر العسقلانى ، كما طاف بكثير من مدن الشام ومصر ، ولقى فى كل منها عددا من الشيوخ . وما زال دائبا على التحصيل سالكا مسالك الحفاظ ، حتى غدا إماما كثير المسموع .

وقد كان معنيا بالتاريخ ورجاله وأعلامه ، وبذل فى سبيل ذلك جهودا موفقة ووضع معجمات قيمة .

ومن مصنفاته : معجم شيوخه ، ومعجم شيوخ أبيه ، ومعجمات أخرى لشيوخ غيرها من الرواة . وله مسلسلات . وله كتاب «بذل الجهد فيمن سمى بفهد وابن فهد» وهو فى تاريخ مكة وشيوخها وبعض بيوتها ، جعله تذييلا على تاريخ مكة للتقى الفاسى وعنى فيه بمن تسمى بفهد أو فى نسبه فهد .

ومن كتبه : كتاب التبيين فى تاريخ الطبريين . والمشارق المنيرة فى ذكر بنى ظهيرة وتذكرة الناسى بأولاد أبى عبد الله الفاسى .

وقد نظم فهارس لعدة كتب قيمة منها : طبقات الحنابلة لابن رجب ، وطبقات الحفاظ للذهبى . وله جهود تأليفية غير ما أشرنا إليه .

وكانت وفاته فى ٧ رمضان سنة ٨٨٥ هـ .

« الضوء ج٦ رقم ٤٠٩ — الشذرات ج ٧ ص ٣٤٢ »

٥٠٢ — محب الدين أبو حامد الرملى المقدسى الشافعى : محمد بن خليل بن يوسف ابن على . نزيل القاهرة . اشتهر بكنيته « أبو حامد » . ومولده بالرملة فى رمضان عام ٨١٩ هـ أو نحوه . نزع إلى طلب العلم فحفظ كتبا فى علوم كثيرة منها : الأربعون النووية وألفية العراقى والبهجة وجمع الجوامع وألفية ابن مالك ولاميته والجبر والمقابلة لا...

الهائم. والخارجية فى العروض إلى غير ذلك . ولازم الشهاب بن رسلان فى الرملة ثم بيت المقدس فقرأ عليه وسمع . وكذلك أخذ الفقه عن عز الدين عبد السلام المقدسى. وكذلك تتلمذ للشيخ جمال الدين بن جماعة والشهاب بن المحمرة وقرأ على أبى القسم النويرى فى توضيح ابن هشام ، وعلى السراج الرومى ، فى إيسا غوجى فى المنطق . وهكذا أخذ عن كثير من الفحول . أجازه بعضهم .

ووفد على القاهرة عام ٨٤٤ ﻫ فقطنها وتتلمذ لكثير من جلتها فى علوم كثيرة ومنهم: ابن حجر العسقلانى والقاياتى والونائى والشمنى . وغيرهم

وولى قراءة الحديث بجامع زين الدين الأستادار ببولاق . وناب فى الحكم عن شيخه ابن حجر .

ومن مصنفاته : شرح المنهاج وشرح البهجة . وشرح جمع الجوامع . وغير ذلك .

ويرميه السخاوى بأنه « ليس بالمتقن فى حفظه ونقله ولا بالمتين فى فهمه وعقله ، والغالب عليه سلامة الفطرة . . » وقال عنه ابن إياس كذلك : « كان سبهللا بليد الذهن قليل الفهم. ومما وقع له أن الزينى أبا الفتح الشاعر داعبه بهذين البيتين . وكتبهما إليه فى ورقة ودفعها له فى مجلس القاضى كاتب السر ابن مزهر . فلما قرأها استحسنها ولم يفهم مافيها من الدسيسة عليه . فكتبهما بخطه فى بعض مصنفاته . وأوردهما لابن النحاس وهما :

أبا حامد أنت الذى شاع ذكره بكثرة تأليف وجمع به انفرد
فأنت الذى ماشل حفظك فى الورى وأنت الذى ماشل ذهنك فى البلد...

وكانت وفاته فى يوم الأحد ٢١ صفر عام ٨٨٨ ﻫ ودفن فى غده بحوش خانقاه سعيد السعداء .

« الضوء اللامع ج ٧ رقم ٥٧٥ — ابن إياس ج ٢ ص ٢١٧ »

٥٠٣ — شهاب الدين الجديدى [١] : هو أحمد بن أحمد بن على بن زكريا ، البدرانى الشافعى ، نزيل دمياط . ولد بمنية بدران سنة ٨١٩ ﻫ ونشأ بها وأخذ فى طلب

١ — الجديدى بجيم مضمومة ودال مفتوحة وياء مشددة مكسورة، قرية من قرى منية بدران أصله منها قاله فى الضوء

بها بعض دراساته . فدرس الفقه والعربية وسمع الحديث ، وحج وزار المدينة فأكمل للفتوى وسماع الحديث . وكان قديرا على النظم والنثر . قصده الناس والطلاب

وصنف شرحا على الآجرومية مطولا ، وآخر مختصرا ، ولم يتمهما ، وشرع فى شرح مقدمة الحناوى فى النحو ، وجامع المختصرات . ومن كتبه : النصيحة الرابحة لذوى العقول الراجحة . وقد توفى بدمياط فى ١١ ربيع الآخر عام ٨٨٨ ﻫ

« الضوء ج ١ ص ٢١٧ — الشذرات ج ٧ ص ٣٤٧ »

٥٠٤ — نور الدين السنهورى الأزهرى المالكى الضرير : هو على بن عبد الله بن على ، وكنيته أبو الحسن . ولد سنة ٨١٥ (١) ﻫ بنطوبس ، ومنها انتقل إلى سنهور فالقاهرة وقطن الجامع الأزهر . فأقبل على العلم فحفظ من كتبه جملة ، وعنى باللغة والقراءات حتى برع فيهما كما مهر فى غيرهما كالأصول والتفسير وفقه المالكية ، وظل فى جده وكفاحه حتى علا كعبه وذاع صيته وأصبح شيخ المالكية بلا منازع وتوافد على دروسه فى الفقه ، الطلاب والفضلاء أفواجا . وتخرج به كثيرون من علماء المذهب .

ومن مصنفاته : شرح بعض كتاب المختصر . وشرح الآجرومية . ومات فى ليلة الأربعاء ١٩ رجب عام ٨٨٩ ﻫ ودفن فى صبيحته بحوش الشيخ عبد الله المتوفى وقد مات مكفوفا زاهدا

« الضوء اللامع ج ٥ رقم ٨٤٣ ـ ابن اياس ج ٢ ص ٢٢٣ »

٥٠٥ — شمس الدين الجوهرى (٢) : محمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد . الجوهرى القاهرى . قال السخاوى « ويعرف بين أهل بلده بابن نبيه الدين ، وفى غيرها بالجوجرى . » ولد فى جوجر عام ٨٢١ ﻫ وتحول إلى القاهرة وهو ابن سبع مع جده لأبيه . فحفظ كتباً عدة فى علوم متنوعة وأخذ عن فحول العلماء وأفاضلهم فى عصره حتى برع ومهر فى علوم زمانه ، حتى الخط . وأذن له فى الفتوى والإقراء وتصدى

---

(١) قال السخاوي : ولد سنة ٨١٤ﻫ تقريبا .

(٢) سماه ابن إياس : الجوهري . وسماه السخاوي : الجوجري .

للتدريس فأخذ عنه الفضلاء طبقة بعد طبقة وقصده الناس للفتوى . ... د زهر . قيل: وكان يتعاطى التجارة، ثم ناب فى الحكم من آخرى منها المدرسة الظاهرية القديمة، «واتسع... ».

ومن مؤلفاته: شرح عمدة السالك لابن النقيب، وسماه «تسهيل المسالك فى شرح عمدة السالك». وشرح الإرشاد وهو مختصر الحاوى لابن المقرى. وشرح شذور الذهب لابن هشام. وشرح همزية البوصيرى. وله نظم متوسط.

وقد كانت وفاته فى الأربعاء ١٢ رجب عام ٨٨٩ هـ. وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن بمشهد حافل بزاوية الشاب التائب.

«الضوء اللامع ج ٨ رقم ٢٩٥ – ابن إياس ج ٢ ص ٢٢٣ — الشذرات ج ٧ ص ٣٤٨»

٥٠٦ — شهاب[1] الدين الشهرزورى: أحمد بن إسماعيل بن عثمان، الهمدانى التبريزى الكورانى القاهرى. ولد سنة ٨١٣ هـ — وقيل ٨٠٩ هـ — بقرية من كوران ودرس القراءات وفقه الشافعى والنحو والبلاغة والعروض والمنطق والأصلين، وقدم إلى دمشق فالقاهرة، فسمع الحديث من ابن حجر العسقلانى الزين الزركشى وغيرهما. فبرع فى كثير مما درس. قال المقريزى عنه: «وقرأ عليه صحيح مسلم والشاطبية فبلوت منه براعة وفصاحة ومعرفة تامة لفنون من العلم ما بين فقه وعربية وقراءات وغيرها. واشتهر بطلاقة اللسان وشدة العارضة وجرأة المناظرة. وحسن اتصاله بالسلطان الظاهر جقمق فأفاد من ذلك ثراء وجاها غير أنه ناظر حميد الدين النعمانى الذى يقال إنه من ذرية أبى حنيفة النعمان، فسبه، فأدى ذلك إلى نفيه من البلاد، فأخرج منها، وأدى به المطاف إلى بلاد الروم فعين بها فى قضاء العسكر، واتصل بملكها ومدحه بقصائد، وشيد باسطنبول جامعا ومدرسة سماها «دار الحديث» ومازال جده فى صعود حتى توفى فى أواخر رجب عام ٨٩٣ هـ — قال السخاوى: ولعله دفن بمدرسته».

---

(١) وكان يقال له: شرف الدين

ومن مصنفاته : قيل : تفسير للقرآن ، وشرح للبخارى ، وقصيدة فى علم العروض .

« الضوء ج ١ ص ٢٤١ »

٥٠٧ — قطب الدين الزبيدى الخيضرى : هو أبو الخير محمد بن محمد بن عبدالله بن خيضر ، البلقاوى ، الدمشقى الشافعى ، ولد فى بيت لهيا من دمشق عام ٨٢١ هـ ، ونشأ يتيما فى كفالة أمه . فحفظ القرآن الكريم ، والتنبيه ، وألفية الحديث ، وألفية النحو ، والملحة ، ومختصر ابن الحاجب الأصلى . وجد فى طلب العلم والجلوس إلى شيوخه ، وسماع الحديث من حفاظه . وكان من جملة أساتذته : شمس الدين محمد البصروى وعلاء الدين القابونى ودخـــل القاهرة مرارا ، ولازم بها الشهاب ابن حجر العسقلانى مدة . وطاف بغيرها مثل بعلبك وبيت المقدس ، ودمياط . وحج وزار ، وأجازه كثيرون ، وعرف فضله ، فتصدى للأعمال العامة ، وبخاصة التدريس والتصنيف .

وولى مشيخة دار الحديث بدمشق ، كما ولى ببلدة وكالة بيت المال ، ثم ولى نظر الجوالى ، فكتابة السر ، فقضاء الشافعية ببلده أيضاً . وحسنت صلته بسلطان عصره الأشرف قايتباى فقربه إليه ووثق به وأغدق عليه ، وأكرمه وأكرم ابنا له . واستمر فى خدمة هذا السلطان حتى توفى .

أما تصانيفه فكثيرة متعددة ، تذكر منها : اللمع الألمعية لأعيان الشافعية ، والبرق اللموع لكشف الحديث الموضوع ، والاكتساب فى تلخيص الأنساب ، والرقم المعلم فى ترتيب الشيوخ بالسماع والإجازة على حروف المعجم ، وهو معجم شيوخه ، والمنهل الجارى من فتح البارى ، وهو أسئلة وأجوبة مستخلصة من كتاب ابن حجر العسقلانى « فتح البارى » . وغير ذلك .

ومما يذكر أن السخاوى صاحب الضوء ، أشار إلى أحد كتبه موردآ نماذج مما فيه من أخطاء ، مع تصحيحها ، وقد شكك فى بعض جهوده العلمية . وروى أنه كان فى تصنيفاته كثير الاعتماد على كتب غيره .

وكانت وفاته فى ربيع الثانى سنة ٨٩٤ هـ بالقاهرة .

« الضوء ج ٩ رقم ٣٠٥

٥٠٨ — بدر الدين بن الغرس القاهرى الحنفى : محمد بن محمد بن محمد بن خليل. وهو أبو اليسر ، ويعرف بابن الغرس لقب جده خليل . ولد فى ١٥ المحرم سنة ٨٣٣ هـ بظاهر القاهرة . جنح إلى العلم ، فحفظ المجمع والمنار والتلخيص وألفية النحو . ودرس على جلة الشيوخ كابن الديرى وابن الهمام وأبى العباس السرسى ، فى الفقه . وكأبى الفضل المغربى فى العربية وأصول الدين . ومن شيوخه عضد الدين الصيرامى وأمين الدين الأقصرائى . ومازال حتى مهر فى العلوم . فولى بعض المناصب ، فناب فى الحكم . وولى مشيخة تربة الأشرف برسباى ، ومشيخة الجامع الزينى ببولاق . وزاول تدريس الفقه بالمدرسة الجمالية الجديدة . وذكر للقضاء. ولم يله . وقد كتب النظم والنثر ، وألف وشرح . فمن ذلك : شرح متن العقائد . رسالة فى أدب القضاء . ومن نظمه :

الناس مثل الأراضى فى طبائعها — فما الذى لان منها كالذى صلبا
وقل فى الناس من ترضى سجيته — ما كل تربة أرض تنبت الذهبا

توفى فى ربيع الثانى سنة ٨٩٤ هـ ورثاه الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى بقوله:

لقد أظلمت مصر وأقفرت الدنيا — لموت عديم المثل بل أوحد العصر
سأعجب إن ضاءت ليالى عصرنا — وكيف يكون الضوء مع عدم البدر

« الضوء اللامع ج ٩ رقم ٥٤٠ — ابن اياس ج ٢ ص ٢٥٨ ».

٥٠٩ — زين الدين أبو الفتح القرشى السنهورى الشافعى القاهرى : هو الشيخ جعفر بن ابراهيم بن جعفر ابن سليمان . ولد عام ٨١٦ هـ تقريبا . وطفق يطلب العلم وفنونه على أساتذة عصره ، وكلف بفن القراءات حتى نبغ فيه وعلا نجمه ، وأصبح بعد حين أستاذ زمانه فيه ، وإن شارك فى غيره كالفقه والصرف والفرائض والحساب والعربية . كما أجاد الخط . وقد أخذ عنه القراءات فضلاء بعد فضلاء . قيل ، وكان يقرأ بالأربع عشرة . .

ومن تصانيفه : الجامع الأزهر المفيد لمفردات الأربعة عشر من صناعة الرسم والتجويد : والجامع المفيد فى صناعة التجويد . وقد عاش متقللا ، ثم مرض ومات فى ذى القعدة عام ٨٩٤ هـ ودفن بحوش الصوفية بخانقاه سعيد السعداء .

« ابن اياس ج ٢ ص ٢٦١ — الضوء اللامع ج ٣ رقم ٢٧٨ »

٥١٠ — شمس الدين أبو الفتح المتوفى الشافعى القاهرى الأصل: هو محمد بن أبى بكر بن محمد، ويعرف بابن الحمصانى أو الحمصى نسبة إلى حرفة جده لأمه. ولد سنة ٨١١ هـ تقريبا، وطلب العلم، فحفظ القرآن والعمدة والتنبيه والشاطبيتين وألفية النحو وغير ذلك، وأخذ عن الأئمة كابن حجر العسقلانى والبساطى، وأجيز. وقد عنى بالقراءات وتعاطاها عن شيوخها الفضلاء بالمدرسة بالشيخونية وهم: الشيخ حبيب، وتاج الدين بن تمرية، وأمين الدين بن موسى، كما أخذها عن غيرهم ودرس الفقه وسمع الحديث وكتب الخط وغير ذلك.

وولى الإمامة بجامع ابن طولون، وتدريس القراءات بالشيخونية، وتخرج به فى القراءات أساتذة فضلاء منهم: زين الدين زكريا الدميرى، وشمس الدين النوبى وتوفى فى رجب عام ٨٩٧ هـ

« ابن اياس ج ٢ س ٢٧٦ — الضوء اللامع ج ٧ رقم ٤٠٢ »

٥١١ — صلاح الدين الطرابلسى الحنفى وكنيته أبو عبد الله: هو محمد بن محمد ابن يوسف بن سعيد. ويعرف فى بلده بابن المقرىء وفى غيرها بالطرابلسى، ولد ليلة الجمعة ٧ رجب عام ٨٣٣ هـ بطرابلس. وبعد مدة رحل إلى القاهرة عام ٨٤٦ هـ وأخذ العلم عن أساتذتها وحفظ كتبا عدة، وعاد إلى بلده، وتصدى لتدريس فقه الحنفية — ولما تكمل معرفته به — فاضطر إزاء ذلك إلى العودة إلى القاهرة فاستكمل بها دراسته ولازم العلامة أمين الدين الأقصرائى، وانتفع بعلمه أيما انتفاع، وأخذ عن غيره كذلك، حتى برع وأجيز بالإقراء والإفتاء.

وولى الخطابة وتدريس الفقه وإسماع الحديث فى جهات مختلفة بالقاهرة منها المدرسة القانبيهية، فدرس فيها الحديث والصرغتمشية ودرس فيها الفقه، والمدرسة الأشرفية وغير ذلك.

وقد توفى فى رجب عام ٨٩٩ هـ.

« ابن إياس ج ٢ ص ٢٨٣ — الضوء اللامع ج ١٠ رقم ٨٧ »

٥١٢ — أبو البقاء بن الجيعان : هو أبو البقاء بن يحيى المؤرخ . توفى فى نحو عام ٩٠٠ هـ .

ومن مصنفاته : القول المستطرف فى سفر الملك الأشرف . وفيه وصف لرحلة قايتباى سنة ٨٨٢ هـ . : ومناطوالع البدور فى تحويل السنين والشهور ، وهو فى علم الميقات.

« جورجى زيدان ج ٣ ص ١٨٣ »

٥١٣ — شمس الدين السخاوى : هو العلامة المؤرخ الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان السخاوى الأصل القاهرى المولد الشافعى . وينسب إلى سخا إحدى قرى مصر .

ولد بالقاهرة بحارة بهاء الدين فى ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ وحفظ القرآن الكريم ، وجملة مؤلفات علمية منها: عمدة الأحكام ، والتنبيه ، والمنهاج ، وألفية بن مالك ، وألفية العراقى ، وأغلب الشاطبية والنخبة لابن حجر : وتتلمذ لكثير من الأعلام ؛ وكان شيخه المحبب إلى نفسه شهاب الدين بن حجر العسقلانى ، فلازمه وأخذ عنه الكثير من علمه وتصانيفه ، وكان شديد الاحترام والوفاء له . وقال عنه ابن حجر « هو أمثل جماعتى » .

وكان السخاوى رحلة فى طلب العلم والحديث، فدخل دمشق وحلب وبيت المقدس وجاور بمكة . ومازال جادا فى طلب العلم حتى أصبح فاضلا ممتازا فى الحديث وفقه الشافعى والتاريخ .

ومن أبرز نواحى السخاوى: النقد ؛ فهو ـ بحق ـ نقادة جرىء ماهر فى إبراز محاسن أعلامه ومساوئهم . دقيق فى التعبير متحرج فيه ، يحب أن يضع اللفظ على قدر المعنى الذى يريده فى نقده. غير أنه يشوبه أحيانا التحامل والتجنى: ولاسيما عندما ينقد أنداده ومعاصريه ، وقد كان بينه وبين البرهان البقاعى والجلال السيوطى أشياء . وقد ذكر صاحب الشذرات مانصه : « وكان بينه وبين البرهان البقاعى والجلال السيوطى ما بين الأقران ، حتى قال السيوطى فيه :

قل للسخاوى إن تعروك(١) نائبة ... علمى كبحر من الأمواج ملتطم
والحافظ الديمى غيث السحاب فخذ ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم

١ — هكذا بالواو

والحق أنه نقدهما ونقد غيرهما نقدا مريرا فيه تجو وتهويل . ومع ذلك لم يقتصر نقده ذاك على معاصريه كالسيوطى وزكريا الأنصارى بل نقد سابقيه ومنهم التقى المقريزى. وقد بينا ذلك فى تراجمهم. وكثيرا ما يسوق السخاوى البراهين على ماذهب إليه ، وأحيانا يجد الإنسان ثغرة بين نقده ودلائله . — ومهما يكن من شيء فالسخاوى شخصية خصبة وعقلية رحبة واسعة الأفق كثيرة الاطلاع منتجة تمثل ألوانا من التفكير الناضج فى العصر المملوكى .

ومن مصنفاته : كتابه المشهور « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع »، وسنتحدث عنه بتفصيل فى الباب التالى . والجواهر والدرر فى ترجمة الشيخ ابن حجر . وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث . والمقاصد الحسنة فى الأحاديث الجارية على الألسنة . والقول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع . وعمدة المحتج فى حكم الشطرنج ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ . والتاريخ المحيط على حروف المعجم . وتلخيص تاريخ اليمن . والأصل الأصيل فى تحريم النقل من التوارة والإنجيل . وتحرير الميزان . وعمدة القارى والسامع فى ختم الصحيح الجامع، وغنية المحتاج فى ختم صحيح مسلم بن الحجاج. التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، وهو تذييل على سلوك المقريزى . الكوكب المضيء وهو فى تراجم معاصريه . وجيز الكلام فى ذيل تاريخ دول الإسلام ، تذييل على كتاب الذهبى « دول الإسلام » . وتذييل على رفع الإصر لشيخه ابن حجر . وغير ذلك .

هذا، وقد ترجم السخاوى لنفسه فى كتابه « الضوء اللامع » ترجمة مفصلة استغرقت أكثر من ثلاثين صفحة ، ذكر فيها نشأته وترحلاته والكتب التى درسها والأساتذة الذين أسمعهم هذه الكتب . ومن تلقى عليهم من الشيوخ ، ومؤلفاته ومروياته وأنداده ومعاصريه ومن قرظه شعرا أو نثرا إلى غير ذلك . — وكانت وفاته فى المدينة المنورة يوم الأحد ٢٨ شعبان عام ٩٠٢ هـ ودفن بالبقيع تجاه مقبرة الإمام مالك .

« الضوء اللامع ج ١ ص ٢، ج٨ رقم ١ — الشذرات ج ٨ ص ١٥ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٦٩ — الفوائد البهية فى تراجم الحنفية للكنوى الهندى — البدر الطالع للامام الشوكانى »

٥١٤ — شهاب الدين البيجورى: هو أبو زرعة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد

القاهرى الشافعى . ولد بالقاهرة فى سنة ٨٢٠ هـ ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن الكريم وكتبا فى الفقه والحديث والنحو والبلاغة . ودرس الفقه على شرف الدين السبكى وابن حجر العسقلانى والعلم البلقينى ، وبرهان الدين بن خضر وغيرهم ودرس علوم العربية على أبيه شمس الدين البيجورى ، والعلاء القلقشندى ، كما درس الصرف والفرائض والحساب والميقات وأصول الفقه والبلاغة والمنطق ، بل درس الطب عن زين الدين الجزرى ، ومهر فى صناعة الخبر والنشاب واللعب بالدبوس والرمح ، وبرع فى صناعة سبك النحاس وغير ذلك من الصناعات دون أن يتلقاها عن أستاذ . وقد حج وجاور بالمدينة مدة وطاف ببيت المقدس والخليل والإسكندرية ودمياط وأقام بها زمنا ، وطاف بغيرها من مدن مصر .

وزاول التدريس بالأزهر وبمدرسة الأشرف قايتباى ، وولى مشيخة المدرسة المعينية

وقد اختصر كتاب مصباح الظلام وزاد عليه . واختصر بعض كتاب المنازل لأبى الوفاء البوزجانى ، وزاد عليه شيئا من كتاب التبريزى « فى المساحة » . وشرح جامع المختصرات وسماه « فتح الجامع ومفتاح ما أغلق على المطالع الجامع المختصرات ومختصر الجوامع » — ويبدو أنه توفى بعد سنة ٩٠٢ هـ .

« الضوء ج ٢ ص ٦٥ »

٥١٥ — زين الدين خالد الأزهرى النحوى الشافعى ، المعروف بالوقاد : هو الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن أحمد الجرجى . ولد بجرجا فى نحو سنة ٨٣٨ هـ . وحمل صغيراً إلى القاهرة ، فحفظ القرآن ثم كتباً أخرى ودرس فى الأزهر ، وقد قيل إنه طلب العلم وهو كبير السن ، وكان من قبل يشتغل وقاداً . وأخذ العربية عن يعيش المغربى وداود المالكى والسنهورى . والفقه عن الأمين الأقصرائى : والمعانى والبيان عن تقى الدين الحصنى . والمنطق والأصول والصرف والعربية عن التقى الشمنى ، وسمع الحديث ودرس الفرائض والحساب على أساتذة آخرين . وما زال يدرس ويتقدم حتى أصبح بارعاً فى علوم العربية مشاركا فى غيرها . وتصدى لإقراء الطلاب فنفع وأفاد .

ومن مصنفاته : شرح الآجرومية . التصريح بمضمون التوضيح : وهو تعليقات

وشروح على كتاب « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » لمؤلفه ابن هشام المصرى. تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب، وهو المشهور «بمعرب الألفية» وشرح الأزهرية فى علم العربية ؛ كلاهما للشيخ خالد . شرح العوامل المائة لعبد القاهر الجرجانى .

وكانت وفاته فى المحرم عام ٩٠٥ هـ .

« ابن إياس ج ٢ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ — الضوء اللامع ج ٣ رقم ٦٦١ — فهرس دار الكتب ج ٣ نحو — شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٦ »

٥١٦ — جلال الدين بن الأمانة : هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز. كان عالماً فاضلا ، وهو أحد نواب الشافعية ، فاته منصب القضاء مرارا ؛ وهو آخر من روى صحيح مسلم عن الزينى الزركشى بالسماع . وكانت وفاته فى ربيع الثانى عام ٩٠٦هـ

« ابن إياس ج ٢ ص ٧٣٨ »

٥١٧ — كمال الدين المقدسى : الشهير بابن عوجان . هو العلامة شيخ الإسلام أبو المعالى محمد بن محمد بن أبى بكر بن على بن أبى شريف، الشافعى المرى.

ولد سنة ٨٢٨هـ بمدينة القدس ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن الكريم وكتبا فى النحو والحديث والقراءات ، ودرس علوم العربية والأصول والمنطق والعروض ومصطلح الحديث ، وفقه الشافعى ، ووفد إلى القاهرة فتتلمذ لحافظ عصره ابن حجر العسقلانى وغيره من جهابذة مصر . وسمع الحديث بأماكن عدة. وقد لبث يطلب العلم حتى تمكن منه واقتدر على مسائله ، فزاول الفتوى والتدريس بالقاهرة وبيت المقدس .

ومن مصنفاته : الإسعاد بشرح الإرشاد لابن المقرىء . والدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع فى الأصول. والفرائد فى شرح العقائد. والمسامرة بشرح المسايرة. وتعليقات على تفسير البيضاوى، وعلى المنهاج، وعلى صفوة الزبد لشيخه ابن ارسلان. وله غير ذلك.

وتوفى فى ٢٥ جمادى الآخرة عام ٩٠٦هـ ، تاركا ثروة طائلة .

« الضوء ج ٩ رقم ١٦٩ الشذرات ج ٨ ص ٢٩ » .

٥١٨ — جلال الدين النصيبى الحلبى : هو محمد بن عمر بن محمد بن محمد الشافعى وهو سبط محب الدين أبى الفضل بن الشحنة . ولد فى عام ٨٥١هـ بحلب ؛ وحفظ كتبا علمية عدة ، ودرس فقه الشافعى والأصول والنحو ؛ ووفد على القاهرة ولقى كثيرا من

شيوخها وتتلمذ لهم .. ثم ناب فى القضاء بالقاهرة ودمشق وحلب . ومازال حتى ولى قضاء حماة وقضاء حلب ، وكان ينظم شعراً حسناً . وتوفى فى ١٣ رمضان عام ٩١٦ﻫ

ومن تصنيفه : تعليق على المنهاج اسمه « الابتهاج » فى أربعة مجلدات . واختصار جمع الجوامع ، ومجموعة فى الشعر والنوادر ..

« الضوء ج ٨ رقم ٧٠٢ — الشذرات ج ٨ ص ٧٥ »

٥١٩ — شمس الدين بن القصونى[1] الطبيب : كان يعيش فى عهد السلطان قايتباى وظل حتى شهد عصر الغورى . عينه قايتباى رئيسا للطب عوضا عن العفيف ، وذلك فى جمادى الأول عام ٨٨٢ﻫ ، وكان فى سعة من المال ، وقد توفى يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول عام ٩١٧ ﻫ.

« ابن اياس ج ٢ ص ١٧٥ ج ٤ حوادث سنة ٩١٧ ﻫ »

٥٢٠ — شهاب الدين العسقلانى : هو أبو الفضل أحمد بن صدقة بن حسين ، المكى القاهرى الشافعى ، ويعرف بابن الصيرفى . ولد فى ذى الحجة سنة ٨٢٨ﻫ بحارة زويلة بالقاهرة . وحفظ القرآن وكتبا فى الفقه والنحو والقراءات والعروض وغيرها من العلوم ، وأقبل على دراستها على جهابذتها ، حتى أجادها وأجاد الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والهيئة والحكمة وعلوم العربية والبيان والأدب . وكان من شيوخه فى الحديث : الشهاب بن حجر العسقلانى والبدر محمود العينى وابن الديرى . ومن شيوخه فى الفقه : المحلى ، وفى العقليات : الكافياجى . كما سلك مسالك الصوفية ، وتعلم اللغة التركية . وما زال جادا فى دراساته بذكائه وسرعة فهمه حتى برز واشتهر ، وأجيز بالفتوى والتدريس وإسماع الحديث ، فزاول ذلك جميعه بهمة وكفاية حتى قدره طلابه وبجله شيوخه وزار مكة أكثر من مرة فتعلم وعلم .

وقد ولى الإمامة بالمدرسة الطيبرسية ، وألقى بها دروس الحديث ، ثم ولى مشيختها ،

---

١ — روى ابن إياس وفاة شمس الدين بن القصونى فى عام ٩١٧ﻫ . وذكر طبيبا آخر فى حوادث شعبان عام ٩١٩ﻫ واسمه شمس الدين القيصونى وأنه أحد الكحالين — أطباء العيون — الذين عالجوا السلطان الغورى من رمد عينيه وكافأهم . فعله طبيب غير الأول

وقد ذكر جورجى زيدان ج ٣ ص ٢٠٠ ، طبيبا اسمه محمد القوسونى الطبيب وقال أنه ألف كتاب كمال الفرحة فى دفع السموم وحفظ الصحة . فلعله هو أيضا

وناب فى القضاء . وزاول تدريس الفقه بالشيخونية ، والتفسير بالبرقوقية .

ومن مصنفاته : شرح التبريزى فى الفقه ، وشرح الكافى لشيخه الخواص فى العروض . وكتب شرحا على ديوان ابن الفارض ، وكان ممن يتعصب له . — وله غير ذلك من المصنفات .

لعله هو الذى توفى فى أواخر جمادى الآخره عام ٩١٩ هـ .

« الضوء ج ١ ص ٣١٦ — الشذرات ج ٨ ص ٩١ »

٥٢١ — شمس الدين المصرى : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، المصرى المالكى ويعرف بابن سويد . ولد سنة ٨٥٦ هـ . وحفظ القرآن الكريم وعدة كتب فى النحو وغيره . وبرع فى حفظ الحديث . وقد طاف فى بلاد كثيرة فيمم صعيد مصر . ثم وفد إلى مكة فتتلمذ بها لشمس الدين السخاوى وقرأ عليه الموطأ ومسند الشافعى وسنن الترمذى وغير ذلك . ورحل إلى بلاد اليمن وطاف بغيرها ، ثم ألقى عصا الترحال فى بلاد الهند ، وحظى لدى سلطانها محمود شاه ، ولقبه بملك المحدثين ، وعظمت مكانته .

وقد توفى فى بلاد الهند عام ٩١٩ هـ .

« الضوء اللامع ج ٩ رقم ٢٠٣ — الشذرات ج ٨ ص ٩٤ »

٥٢٢ — الرئيس شمس الدين بن القيصونى : والرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكحال . ورئيس تقى الدين المنوفى الكحال . والرئيس صلاح الدين الشامى . كانوا أطباء عيون فى عهد الغورى وعالجوه من رمده عام ٩١٩ هـ فمنحهم الهدايا الثمينة .

« ابن اياس ج ٤ حوادث ٩١٩ هـ »

٥٢٣ — الشيخ زين الدين عبد الباسط بن الغرس خليل بن شاهين الصفدى . الحنفى كان من أعيان الحنفية ، عالما فاضلا رئيسا من ذوى البيوت . كان أبوه الغرس خليل من أعيان القاهرة ، وولى الوزارة زمنا ، كما ولى عدة نيابات منها حماة وصفد والقدس والإسكندرية . وقد مرت ترجمته .

وقد مال الشيخ زين الدين إلى العلم فقلد مذهب أبى حنيفة ، وما زال يطلبه حتى أصبح بارعا فيه ، وبات فى عداد رجاله . وكذلك مهر فى الطب ، والتاريخ .

ومن مصنفاته : الروض الباسم وهو كتاب تاريخه الكبير . وله أيضا فى التاريخ : «نيل الأمل فى ذيل الدول» ، وكتاب آخر فى الوفيات على حروف المعجم ، ولعله هو

كتابه المجمع المفتن بالمعجم المعنون و وهو مخطوط بدار الكتب المصرية. وله كتاب فى
فى الطب وشروح على كتب الحنفية .

قال ابن إياس عنه ما ملخصه : « أما الشيخ عبد الباسط فكان طويل القامة نحيف الجسد ، وكان يربى ذؤابة شعر فى رأسه على طريقة الصوفية ، وله أنف كبير جدا ، داعبه بعض الشعراء بأبيات لطيفة ، وكان ضنينا بنفسه ، وعنده يبس طباع مع شمم زائد ، معظما عند الأتراك والأمراء ، عارفا بالتركية . وكان بقية السلف وعمـــدة الخلف . وكان أصـــابه علة السل ، فأقام نحـــو سنة و نصف مريضـا ، منقطعا فى داره حتى مات. »

وكانت ولادته فى سنة ٨٤٤ هـ ووفاته فى ربيع الآخر عام ٩٢٠ هـ .فكانت مدة حياته نحو ٧٦ سنة .

(ابن إياس ج ٣ ص ٦٣ ،ج ٤ حوادث ٩٢٠ هـ)

٥٢٤ — عز الدين بن فهد المكى : العلامة المؤرخ ، أبو الخير — وأبو فارس — عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد ، الشريف العلوى الشافعى ، ويعرف بابن فهد . ولد بمكة عام ٨٥٠ هـ وحفظ القرآن الكريم وجملة من الأحاديث النبوية ، وكتبا فى علوم شتى . ورحل إلى بلاد كثيرة ، كالمدنية والقدس وغزة و نابلس ودمشق و بعلبك وغيرها. ووفد على البلاد المصرية أكثر من مرة ، وتتلمذ فيها لكثير من جلة فضلائها ومنهم شيخ الإسلام زين الدين زكريا الأنصارى وشمس الدين السخاوى ، وتتلمذ فى الحجاز لعالمه برهان الدين بن الظهيرة فى الفقه والتفسير ، وما زال حتى علا كعبه فى الفقه الحديث والنحو والمنطق والتاريخ وغير ذلك . وتوفى فى نحو عام ٩٢١ هـ.

ومن مصنفاته : معجم لشيوخه . وفهرست لمروياته. وكتب فى الحديث. والترغيب والاجتهاد فى الباعث لذوى الهمم العلية على الجهاد . وترتيب طبقات القراء للذهبى . وكتاب تاريخ ابتداء من سنة ٨٧٢ هـ . وغير ذلك .

« الضوء ج ٤ رقم ٥٧٤ الشذرات ج٨ ص ١٠٠ »

٥٢٥ — محمد العفيف الطبيب : رئيس الكحالين، عاش فى عصر السلطان الغورى

وتوفى فى موقعة مرج دابق عام ٩٢٢ ﻫ .

« ابن إياس ج ٣ ص ٥٠٢ »

٥٢٦ — شهاب الدين القسطلانى : هو الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبى بكر بن عبد الملك ، المصرى الشافعى .

ولد فى ١٢ من ذى القعدة سنة ٨٥١ ﻫ بمصر ونشأ بها فحفظ القرآن ودرس النحو والقراءات . وحفظ عددا من منظوماتها . وتتلمذ لكثيرين من أعلام زمانه ومنهم: الشيخ خالد الأزهرى النحوى . وفخر الدين المقسى والجلال البكرى والشمس السخاوى وقرأ كتب الحديث . وحج وسمع بمكة .

وقد كان ماهرا فى الوعظ وتصدى له بجامع الغمرى ، وانتفع بوعظه كثيرون . ثم انجمع عن الناس إلى التأليف ، فى الحديث والقراءات .

ومن مصنفاته : كتابه الجليل فى شرح صحيح البخارى واسمه « إرشاد السارى » فى عشر مجلدات . والعقود السنية فى شرح المقدمة الجزرية . والكنز فى وقف حمزة وهشام على الهمز . وشرح الشاطبية . وشرح البردة واسمه « الأنوار المضية » ونفائس الأنفاس فى الصحبة واللباس . والروض الزاهر فى مناقب الشيخ عبد القادر . وتحفة السامع والقارى بختم صحيح البخارى . وكتاب فى مناقب الشيخ أحمد الحرار . والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية .

وقد قيل : إن الجلال السيوطى ادعى عليه لدى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى أنه ينقل عنه مانقله هو عن البيهقى بدون أن يقول إنه نقل عن السيوطى . وكان من القسطلانى أنه مشى حافيا مكشوف الرأس من القاهرة إلى الروضة حيث منزل السيوطى معتذرا عما بدر منه ...

وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ٧ المحرم سنة ٩٢٣ﻫ بالقاهرة ودفن بالمدرسة العينية بجوار منزله .

(الضوء ج ٢ رقم ٣١٣ — شذرات الذهب ج ٨ ص ١٢١ — جورجى زيدان ج ٣ ص ١٥٦)

٥٢٧ — برهان الدين(١) المرى : إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن على ، المقدسى القاهرى الشافعي ، ويعرف بابن أبي شريف . ولد في ١٨ من ذى القعدة عام ٨٣٦ هـ وقيل ٨٣٣ هـ ببيت المقدس . ونشأ بها فجوّد القرآن الكريم . ودرس فنون العربية والأصول والمنطق والبلاغة ، على جلة من شيوخها ، وقدم إلى القاهرة فتتلمذ لكثير من أئمتها كأمين الدين الأقصرائى وجلال الدين المحلى وعلم الدين البلقيني وابن حجر العسقلانى فبرز في الفقه والتفسير والفرائض والحساب ومصطلح الحديث . ويمم شطر مكة فحج وسمع بها وبالمدينة حديث الرسول عليه السلام : وعاد فتوطن القاهرة ، وولى بها كثيراً من الوظائف وقعد للتدريس والتأليف . وقد قال عنه البقاعى : « إنه صار في العشرين من عمره من نوادر الزمان » — وأذن له في الإقراء والفتوى :

ومما ولى التدريس فيه : الجامع الأزهر . وجامع ابن طولون ودرس فيه التفسير . والمدرسة الحجازية . وقد تولى فيها تدريس الفقه مع الميعاد والخطابة بها . والمزهرية والمؤيدية ودرس فيها الفقه .

وقد ولى قضاء الشافعية سنة ٩٠٦ هـ ثم عزل ، وعينه السلطان الغورى شيخا لقبته ثم عزله عام ٩١٩ هـ وآذاه .

ومن مصنفاته : شرح الحاوى . وشرح قواعد الإعراب لابن هشام . وشرح العقائد لابن دقيق العيد . وشرح النفحة القدسية في الفرائض من نظم ابن الهائم . وشرح قطعة من البهجة الوردية . ونظم رواية أبي عمرو في القراءات . ونظم النخبة لابن حجر العسقلانى . ونظم لقطة العجلان للزركشي . ونظم العقائد للنسفي وتفسير سورة الكوثر ، وسورة الإخلاص . وله غير ذلك من الحواشي والشروح والنظم والتفاسير .

وهو إلى جانب ذلك كله كان أديبا ينظم الشعر ، ولا بأس بشعره ، ومنه في التشوق وكتبه إلى أخيه :

---

(١) — كتبنا عنه كلمة موجزة في باب القضاة بالمجلد الثانى من كتابنا هذا ص ١٤٠ .

ماخلت برقا بأرجاء الشآم بدا إلا تنفست من أشواقى الصعدا
ولا شممت عبيرا من نسيمكم إلا قضيت بأن أقضى به كمدا
ولا جرى ذكركم إلا جرت سحب أورت لظى بفؤاد أورثته ردى
يالوعة البين ما أبقيت من جلد أيقنت والله أن الصبر قد نفدا ..الخ

وقد كان ابن أبى شريف معروفا بالإقبال على الله ، وبالعبادة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعفة .

وقد توفى ليومين بقيا من شهر المحرم عام ٩٢٣ هـ .

« الضوء ج ١ رقم ١٣٤ — وابن اياس ج ٤ ، ج ٣ ص ١٠٧ — الشذرات ج ٨ ص ١١٨ »

٥٢٨ — شمس الدين الرملى : هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، الرملى الدمشقى الشافعى . وكان يعرف بابن الحلاوى . ولد بالرملة سنة ٨٥٤ هـ وتحول إلى دمشق ، وطفق يحفظ كتبا فى الفقه والحديث والقراءات . وأخذ عن أفاضل العلماء حتى علا كعبه وبخاصة فى إقراء الحديث ، وقد ولى تدريس الحديث بالأشرفية . وناب فى الحكم بدمشق ، ومشيخة الإقراء بجامع بنى أمية وغير ذلك . وكان ينظم الشعر ويشارك فى غيره . وكانت وفاته فى ٢٠ من ذى الحجة عام ٩٢٣ هـ.

« الشذرات ج ٨ ص ١٢٠ »

٥٢٩ — شهاب الدين الحسامى : هو أحمد ، القاهرى الشافعى النحوى . كان علامة محققا متواضعا . وكان بارعا فى النحو والمعقولات . وكان الناس يعدلونه فى علوم العربية بابن مالك وابن هشام . وتوفى بالقاهرة فى ١٥ ربيع الثانى عام ٩٢٥ هـ.

« الشذرات ج ٨ ص ١٣٢ »

٥٣٠ — محيى الدين النعيمى : هو أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر بن يوسف النعيمى الدمشقى الشافعى . مؤرخ دمشق وأحد محدثيها . كان علامة رحلة ، ولد سنة ٨٤٥ هـ ، وتتلمذ لابراهيم الناجى ، وزين الدين عبد الرحمن بن خليل وبدر الدين بن قاضى شهبة وبرهان الدين البقاعى وغيرهم . ومهر فى الفقه والحديث والتاريخ .

ومن مصنفاته : الدارس فى تواريخ المدارس ، وتذكرة الإخوان فى حوادث

الزمان والتبيين فى تراجم العلماء والصالحين . والعنوان فى ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان . والقول المبين المحكم فى إهداء القرب للنبي صلى الله عليه وسلم . وتحفة البررة فى الأحاديث المعتبرة . وإفادة النقل فى الكلام على العقل . وغير ذلك .

وتوفى فى ٤ جمادى الأولى سنة ٩٢٧ هـ .

« الضوء اللامع ج ٤ رقم ٧٧٨ — الشذرات جـ ٨ ص ١٠٣ »

٥٣١ — مجير الدين العليمى : هو أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد ، الفخرى الحنبلى قاضى بيت المقدس . من مصنفاته : الأنيس الجليل فى تاريخ القدس والخليل . والمنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد « ابن حنبل » . توفى سنة ٩٢٧ هـ .

« جورجى زيدان جـ ٣ ص ١٨٣ »

٥٣٢ — تقى الدين بن قاضى عجلون : هو الإمام العلامة أبو الصدق — أبو بكر بن عبد الله ابن عبد الرحمن الزرعى الدمشقى الشافعى . ويعرف بابن قاضى عجلون . ولد بدمشق عام ٨٤١ هـ ، وتتلمذ لأفاضل علماء عصره ، ومنهم : أبوه ، وأخوه نجم الدين ، وشيخ الإسلام زين الدين خطاب . وسمع الحديث من أبى الحسن بن بردس البعلى ، ومن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين وغيرهما . وأخذ كثيرا من علم ابن حجر العسقلانى وعلم الدين صالح البلقينى وشمس الدين المناوى ، وجلال الدين المحلى . ومازال حتى برع . وكان أفقه أهل زمانه ، وأفضل أقرانه . فزاول التدريس بالجامع الأموى والمدرسة الشامية البرانية وغيرها . كما زاوله بالقاهرة وقيل : انتهت إليه مشيخة الإسلام ورياسة الشافعية ببلاد الشام وغيرها . وتتلمذ له طلاب تخرجوا به فكانوا زهرة جيلهم وفخر قبيلهم ، ومنهم شمس الدين السكفرسوسى ، وتقى الدين البلاطنسى ، وبدر الدين الغزى . وتوفى فى ١١ رمضان عام ٩٢٨ هـ .

ومن مصنفاته : إعلام النبيه بما زاد على المنهاج من الحاوى والبهجة والتنبيه . وله غيره .

« الضوء اللامع جـ ١١ رقم ١٠٣ — الشذرات جـ ٨ صـ ١٥٧ »

٥٣٣ — زين الدين بركات الشافعى : ويعرف بابن الكيال . هو بركات بن أحمد بن محمد بن يوسف ، الواعظ . تعاطى التجارة فى بدء أمره ، فقرا كثرت عليه ديونه ،

فهجرها إلى طلب العلم ودراسة الحديث حتى برع ، وزاول التدريس بالجامع الأموى بدمشق ، والوعظ بمسجد الأقصاب وغيره ، والخطابة بالصابونية . وأقبل على التأليف .

ومن مؤلفاته : حياة القلوب ونيل المطلوب . وهو فى الوعظ . والكواكب الزاهرات فى معرفة من اختلط من الرواة الثقات . وأسنى المقاصد فى معرفة حقوق الولد على الوالد . والجواهر الزواهى فى ذم الملاعب والملاهى . والأنجم الزواهر فى تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر .

وتوفى فى ٨ ربيع الأول عام ٩٢٩ هـ ودفن بمقبرة باب الصغير .

« الشذرات ج ٨ ص ١٦٤ »

٥٣٤ — أمين الدين أبو الجود الدمياطى : هو العلامة الحجة محمد بن أحمد بن عيسى بن النجار الشافعى الدمياطى المصرى ، ولد سنه ٨٤٥هـ . وتتلمذ لكثير من أئمة علماء مصر منهم : صالح البلقينى وتقى الدين الشمنى . وبرع فى الفقه والحديث ، وجمع بين العلم والعمل ، وسعى فى سبيل الخير وعون المحتاج مع تواضع جم وعبادة دائمة . قيل : انتهت إليه الرياسة بمصر فى علوم السنة فى الكتب الستة وغيرها ، ويقرأ الأربع عشرة . وكانت وفاته فى ٢٧ ذى القعدة عام ٩٢٩ هـ .

« الشذرات ج٨ص ١٦٥ »

٥٣٥ — زين الدين بن إياس الحنفى : هو أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى . أصله جركسى . ويبدو أنه كان ذا صلة وثيقة بدواوين الدولة وكتابها وكان كاتبا سهل العبارة ، وشاعراً ركيك الشعر . وقد ألف كتابه المشهور : « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » . وهو فى تاريخ مصر من أقدم عصورها حتى صدر العصر العثمانى ، أجاد فيه إجادة رائعة فى ووصف العصر المملوكى . ومن مؤلفاته أيضاً : نشق الأزهار فى عجائب الأقطار ، ومرج الزهور فى وقائع الدهور ، ونزهة الأمم فى العجائب والحكم . وتوفى فى نحو عام ٩٣٠ هـ .

« جورجى زيدان . ج ٣ ص ٢٩٨ »

الباب السادس

التعريف ببعض المؤلفات

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

لابن خلكان « ٦٨١ هـ » (١)

الحق أن هذا الكتاب الثمين الذى ألفه قاضى القضاة العالم المؤرخ الأديب ، شمس الدين بن خلكان أشهر من أن يعرّف . ثم لن تفى بتعريفه عجالة كهذه . فقد طبع بمصر أكثر من مرة ، وذاع بين الأدباء والباحثين فانتفعوا به أيما انتفاع . ووجدوا فيه ذخيرة تاريخ وكنز أدب ثمين . فحرصوا على استكناه خفيه ، واستدرار آيته واستمناح آذيه . حتى وهب لهم من غالى جوهره ، ومنحهم من نفيس لآلئه ، ماقر به طرف العلم ، وانشرح صدر الأدب .

وإنك لتتصفح كثيرا من كتب الأدب والتاريخ فى العصر الحديث ، لأئمة أعلامه وأرباب السبق من رجاله ، فتراها حافلة حالية بما تنقله عن وفيات ابن خلكان ، مزدانة بالمختار من فرائده ، تبدو لعينك لامعة سافرة ، دون خفاء ولا استحياء ...

والاسم الكامل لهذا الكتاب : « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان » ، وهذا عنوان مسجوع طويل . وهو النمط المرعى مؤلفى العصر المملوكى — بوجه الإجمال — تمشيا مع الأسلوب الأدبى المتبع فى أيامهم . وبالعنوان توضيح للقارىء وبيان عن محتويات الكتاب ، لكى تبدو له لأول وهلة عند قراءته . وقد أشار المؤلف إلى ذلك فى خطبة كتابه .

والواقع أن محتوياته تستنبط من عنوانه . فهو يتحدث عن عدد من الأعلام بلغوا أكثر من ثمانمائة علم ، فضلا عمن يستطرد إليهم فى سياق تراجمه . ولم يقتصر

---

١ — أنظر ترجمته ص ٣١ من هذا المجلد .

على أعلام مصر دون سواه ، ولا عصر دون غيره ، ولا طبقة دون طبقة . معتمدا في إيراد هذه التراجم ، على ثلاثة مصادر : النقل من كتب المتقدمين . والسماع من المعاصرين . والمعلومات الشخصية للمؤلف عن أفاضل معاصريه . وقد أوضح هذا المنهج في خطبة الكتاب فقال :

« إني كنت مولعاً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة ، وتواريخ وفياتهم وموالدهم . ومن جمع منهم كل عصر . فوقع لي منه شيء حملني على الاستزادة وكثرة التتبع ، فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن ، وأخذت من أفواه الأئمة المتقنين مالم أجده في كتاب ... » . ثم قال : « لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم أو كانوا في زمني ولم أرهم . » .

ولم يتعرض لترجمة أحد من أصحاب الرسول عليه السلام ، ولا التابعين ولا الخلفاء . وذلك لاستفاضة الأنباء عنهم وكثرة المصنفات فيهم ، فاكتفى بها . وقد نوه بذلك أيضاً في خطبة كتابه .

غير أنه أغفل أعلام الجاهلية أيضاً ، ولم يذكر أحداً من الأعلام إلى منتصف العصر الأموى تقريبا وربما إلى نحو عام ٩٠ هـ أو ابتداء من تابعي التابعين .

وعلى هذا ترى أن رجال العصر الأموى ظفروا منه بنصيب ما ، أما أعلام العصر العباسي ، في العراق وغيره ممن عاشوا إلى نحو سنة ٦٥٠ هـ ، فقد ظفروا من الكتاب بنصيب الأسد . ونذكر بعضهم على سبيل المثال :

وممن ترجم لهم من رجال العصر الأموى : جرير ، وجميل ، وكثير ، والحجاج ، وقطرى بن الفجاءة .

ومن رجال العصر العباسي : أبو اسحق الإسفرائيني ، وأبو حامد الإسفرائيني والمبرد ، ونفطويه النحوى ، والقاضي بكار بن قتيبة . والإمام أحمد بن حنبل ، والخليل بن أحمد ، وأبو تمام والمتنبي وأبو العلاء المعرى .

ومن الأندلسيين المعاصرين للعباسيين : ابن هانىء ، وابن عبد ربه ، وابن عمار ، وابن زيدون ، وابن خفاجة .. الخ

وترى بين تراجمه رجالا من مختلف الطبقات . فبينهم الملوك والأمراء والقواد مثل أحمد بن طولون . ومعز الدولة بن بويه ، والقائد جوهر ، والمعظم توران شاه . ومنهم العلماء كالمبرد والخليل بن أحمد . والكتاب كالجاحظ وبديع الزمان الهمذانى . والوزراء مثل أحمد بن أبي داود ، والصاحب بن عباد والقاضى الفاضل . والشعراء مثل بشار وأبي فراس ، وسلم الخاسر . وغيرهم أنواع شتى .

ولبث المؤلف سنين كثيرة ، يجمع مصنفه هذا ويلم شمله ، ويدون ماتعيه ذاكرته وما سمعته أذنه ، وما اختبره بنفسه عن معاصريه ، حتى استقامت له مجموعة محمودة . هى فى الحق موسوعة طيبة ، وإن عدها مؤلفها مختصرة وجيزة . ثم رتب أعلامه على حروف المعجم حسب الأسماء — وإن لم يشتهر أصحابها بها — دون ألقابهم وكناهم ونسبهم . وتم له ترتيبه وتنظيم تراجمه فى سنة ٦٥٤ ﻫ ، كما وضح ذلك فى مقدمته .

ويمتاز كتاب الوفيات بجملة مميزات نلخصها فيما يلى :

١ — تعمد المؤلف حسن البحث ودقة التمحيص فى تسجيلاته ، ورعاية الصدق فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ورجع فى ذلك إلى أمهات الكتب وموثوقاتها ، كما أشار إلى ذلك فى خطبة كتابه . ومما عثرنا عليه فى سياق تراجمه من هذه المراجع — على سبيل المثال — جمهرة النسب لابن الكلبي ، ويتيمة الدهر للثعالبي وكتاب الصلة لأبى القاسم بن بشكوال ، وكتاب خطط مصر لأبى عبدالله القضاعى والخريدة للعماد الكاتب — ولكنه — مع الأسف — لم يلتزم هذه الخصوصية — وهى ذكر المراجع — فى كل مناسبة .

٢ — عنايته البالغة بضبط الموالد والوفيات ، وقد نبه على ذلك أيضاً . ويعتبره المؤرخون أوثق من عُنى بضبط وفيات الأعلام . ولهذا الضبط أهمية كبرى يدركها الباحثون فى الأدب والتاريخ والاجتماع والتاريخ الفكرى .

٣ — دقته فى ضبط النسب ، والرجوع فيه إلى أوثق مظانه . ولنسب الأعلام خطر كبير أيضا ، وأثر فى نسبتهم إلى أوطانهم وعصورهم ومعرفة آثارهم الأدبية وتقديرهم .

٤ — وكثيرا مايدعم المؤلف عباراته بذكر الروايات المختلفة فى الموضوع الواحد

وربما نسب كل رواية إلى صاحبها ، ثم يرجح بينهما ويختار أصحها . ولكنه لا يبين لم كانت أصح من غيرها .

٥ — وقد بينا فيما سبق أن ابن خلكان لم يقتصر فى وفياته على عصر معين ، ولا قطر دون غيره ، ولا طبقة دون سواها . وهذا أحد مناهج كتابة التراجم ، ولسنا هنا بصدد الحديث عن أنفع المناهج وأنسبها فى كتابتها . غير أننا نشير إلى أن أهمية الكتاب تبدو - بخاصة - فى تراجم معاصرى المؤلف : فهذا حقا هو الجديد المبتكر ، فإن التراجم المنقولة قد يظفر الباحث بها فى مظانها . أما تراجم معاصريه ، فأغلب الظن أن من أرخها ، ناقل عن ابن خلكان ، مستمد منه .

وبهذه المناسبة نلفت نظر الناشئة إلى أهمية هذا الكتاب بالنسبة للعصرين الفاطمى والأيوبى ، ففيه تراجم لأعلام كثيرة من رجال هذين العصرين ، ومنهم - على سبيل المثال - يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، وشاعره أبو حامد الأنطاكى المشهور بأبى الرقعمق ، وابن منير الطرابلسى ، والرشيد بن الزبير الأسوانى . والأسعد ابن مماتى ، والبهاء زهير ، وطلائع بن رزيك . والقاضى الفاضل ، وعمارة اليمنى ، وعماد الدين الأصبهانى . . . الخ

٦ — وقد ازدان كتاب الوفيات - حقا - بما سجله المؤلف من مختاراته النافعة الطريفة ، من نوادر الأعلام ومصنفاتهم ، وأشعار الشعراء ومقطوعاتهم . وابن خلكان فى تسجيل الطريف من الشعر ، والغريب من الأبيات - وبخاصة عن معاصريه - يعتبر مرجعا أدبيا عظيم الأهمية . يمد مؤرخ الأدب بمدد منه عظيم المدى .

٧ — ولعل فى مقدمة مميزات كتابه ، أنه كثيرا ما اهتضم أقوال المتقدمين ، ثم ساقها بعد أن كساها ثوبا من بيانه ، وأفرغ عليها من سحر بنانه ؛ وبذلك ظهرت فى كتابه شخصيته أبرز مما ظهرت شخصيات كثيرة فى مؤلفاتها التى من هذا النمط ، وإليك قطعة يسيرة من إنشائه فى مطلع ترجمة إياس بن معاوية « ج ١ ص ١٠١ » ، قال :

« هو اللسن البليغ والألمعى المصيب ، والمعدود مثلا فى الذكاء والفطنة ، ورأسا لأهل الفصاحة والرجاحة . وكان صادق الظن لطيفا فى الأمور ، مشهورا بفرط الذكاء

وبه تضرب الأمثال فى الذكاء وإياه عنى الحريرى فى المقامات بقوله فى المقامة السابعة: فإذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس، وفراستى فراسة إياس».

وبهذه المناسبة نذكر أن مثل هذه التعاريف التى اعتاد ابن خلكان أن يستهل بها تراجمه، اتخذها كثير من أئمة الأدب والتاريخ فى عصرنا الحديث منهجا له اقتدى به ونسج على منواله.

وفى الأسلوب، بهذه المناسبة أيضا، حرص على اللغة، وسمو فى العبارة، وبعد عن العامية، وإذا قسناه بأسلوب بمن جاء بعد مؤلفه من المؤرخين، وجدنا البون شاسعا والمدى بينهما واسعا.

٨ — ولعل فى مقدمة خصوصيات الكتاب عنايته البارزة بضبط الأعلام سواء أعلام الرجال فى الأسماء أو الألقاب أو الكنى أو النسب، أو أعلام المدن والأماكن المختلفة. وندر أن ترك ابن خلكان علما تتبدى فيه شبهة تحريف، إلا ضبطه، وقد اتبع الضبط بكتابة الشكل حروفا، وهذا أوثق وأدق.

هذا، ولا يخلو كتاب ضخم مثله من هنات. ولعل من عيوبه أنه أغفل الإشارة إلى بعض المراجع التى نقل عنها، وتلك ظاهرة فى معظم تراجمه، ولو ذكرها لكانت ميزة نافعة جدا للعارفين. وكذلك استطراداته أحيانا إلى تراجم أو موضوعات غير ماهو بصدده، غير أنه سرعان مايعود إلى حديثه الأول. وكذلك ترجيحه رواية على أخرى دون أن يبين سبب هذا الترجيح. وهنا نشعر بأن نزعة النقد لم تبرز فى هذا الكتاب بروزها المرجو، على نسق مابرزت فيما بعد، فى كتب ابن خلدون والمقريزى وابن حجر والسخاوى وابن إياس.

ومهما يكن من شىء فوفيات الأعيان فى مقدمة كتب الأدب والتاريخ التى انتفع بها أدباء العصر الحديث انتفاعا بادى الأثر. وكان من حسن طالع الأدب، التبكير بطبعه.

وقد عقد جرجى زيدان فى كتابه .. «تاريخ آداب اللغة العربية» ترجمة لطيفة لابن

خلكان . تكلم فيها عن كتابه هذا . وبين أن الطبعة التي بين أيدى القراء ينقصها بعض تراجمه . وأن الكتاب ترجم إلى أكثر من لغة أجنبية .وأن بعض المؤرخين ذيلوا له ، ومنهم ابن شاكر الكتبي الذى سنتحدث عن تذييله « فوات الوفيات » بعدقليل .

التحفة العراقية فى الأعمال القلبية

لابن تيمية « ٧٢٨ ﻫ » (١)

كتاب من مؤلفات تقى الدين بن تيمية الحرانى . مطبوع فى حجم متوسط ، فى نحو ٦٥ صفحة . بين مؤلفه فى مقدمته موضوعه فقال :

« أما بعد فهذه كلمات مختصرة فى أعمال القلوب التى تسمى المقامات والأحوال وهى من أصول الإيمان وقواعد الدين . مثل محبة الله ورسوله ، والتوكل على الله . وإخلاص الدين له ، والشكر له ، والصبر على حكمه ، والخوف منه ، والرجاء له وما يتبع ذلك .. » .

فهو كتاب — كما ترى — فى التصوف الإسلامى ، يبين درجات الناس ، وأيها أفضل ، والفروق بين كل درجة وأخرى . ولذلك قسم الخلق إلى ثلاثة أقسام ، تبعاً للآية الشريفة التى تقسمهم إلى :

١ — ظالم لنفسه ٢ — ومقتصد ٣ — وسابق بالخيرات .

وكلامه هنا شبيه بكلامه فى كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » الذى تحدثنا عنه فى المجلد الثالث .

والتحفة المذكورة ، فى التوحيد وشرح العقائد الإسلامية الصحيحة . وردما يشذ به الخوارج وأمثالهم من الرأى . كقولهم بأنه لا شفاعة للرسول ولا لغيره فى أهل الكبائر ، لا قبل دخول النار ولا بعده .

وتكلم عن التوبة والمعصية والبدعة وأثر كل منها . وفرّق بين الصدق والكذب. وبيّن منافع الصدق للمؤمن ، فإنه يقربه إلى الله شيئا فشيئا ، وينفى عنه الزغل والزيف

---

١ — ترجمنا له بالمجلد الثالث من كتابنا هذا .

وسوء العمل ، حتى يدعه جملة . . . وهكذا — وكان يدعم حججه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال السلف الصالح .

وبين حقيقة الإخلاص بقوله : « إنه الإسلام . إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا بغيره .

والإخلاص والاسلام والاستسلام يكون بالقلب ، فهو من الأعمال الباطنة ، لا الأفعال الظاهرة .

وقد بيّن فى أحد فصوله ، كنه الأعمال الباطنة ، وأنها محبة الله ، والإخلاص له ، والتوكل عليه ، والرضا عنه . وشرح هذه الأمور مبينا الطريقة التى بها تكون . موضحا حق الله على عباده ، وهو العبادة ، والإخلاص والإستعانة به فى كل شيء ، لقوله تعالى : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » ، ولقوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ثم شرح حقيقة الاستعانة والتوكل ، وبين أنهما يكونان فى الأمور الدنيوية والدينية معا ، لا فى الدنيوية فحسب . »

وقد عرّف الزهد ، فقال : « الزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع فى الدار الآخرة ، وهو فضول المباح التى لا يستعان بها على طاعة الله »

وعرف الورع فقال : « والورع المشروع هو ترك ما قد يضر فى الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التى لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها . كالواجبات فأما ما ينفع فى الآخرة بنفسه أو يعين على ما ينفع فى الدار الآخرة ، فالزهد فيه ليس من الدين . بل صاحبه داخل فى قوله تعالى :

« ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . والاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع .

وقد بين فى فصل آخر ، أن محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان ، وأكبر أصوله وأجل قواعده .

من هذا وذاك يتبين ثقوب نظر المؤلف ودقة فهمه وعمق تصوره وصدقه فى معرفة الدين الإسلامى الحنيف .

وبعد، فهذا الكتاب طرفة أو تحفة حقا من طرف ابن تيمية وتحفه.

تذكرة الحفاظ

للذهبي ٧٤٨ هـ (١)

ذكر جورجى زيدان فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » فى أعقاب حديثه عن شمس الدين الذهبي ، أن من بين مؤلفاته : « تذكرة الحفاظ » ثم ذكر بعدها « طبقات الحفاظ » باعتبار أنها غير تذكرة الحفاظ . ويبدو لنا أن الكتابين كتاب واحد . يسمى آنا بالتذكرة . وآنا بالطبقات . لأن موضوع « التذكرة » الكلام عن طبقات الحفاظ . وقد جرت فهرس دار الكتب المصرية على هذا الاعتبار . فأطلقت على الكتاب ، مرة « التذكرة » ومرة « الطبقات » و « تذكرة الحفاظ » يقع فى أربعة أجزاء ، وطبع بالهند فى حيدر أباد .

ويعتبر من أهم الكتب الجامعة لتاريخ حفاظ الحديث . وقد قسمهم المؤلف إلى عدة طبقات . ولهذا سمى الكتاب « طبقات لحفاظ » و « الطبقات الكبرى » . وهذا التقسيم مبنى على التعاصر . فكل رجال جيل متعاصرين ، يكوّنون طبقة .

وقد بدأت طبقات التذكرة من لدن النبي صلى الله علية وسلم . وانتهت بالطبقة التى شهدها المؤلف وسمع منها ، أو زامل بعض رجالها .

وقد قسمهم إلى إحدى وعشرين طبقة ، عاشوا فى نحو سبعة قرون ونصف . وعلى رأس الطبقه الأولى: أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — ويليه بقية الخلفاء الراشدين — رضوان الله عليهم — ثم من بعدهم من التابعين ، وتابعو التابعين ، وهكذا إلى عصر المؤلف .

---

١ — انظر ترجمته ص ١١٤ من هذا الكتاب.

وقد رتب رجال كل طبقة على حدة مسلسلين حسب حروف الهجاء ، وكلما ذكر واحدا ترجم له فى وجازة يسيرة . ويندر أن يطيل ويفصل . فيذكر نسب المحدث ذاكراً مجرداً من الإشارة إلى نشأته وموطنه ، ويسمى سنة ميلاده ، ويصف طرفا من تنقلاته ورحلاته ، ويسجل أسماء من سمع منهم الحديث فى كل مكان رحل إليه ، أو طاف به ، وأسماء من زاملهم فى ذلك ، ومن سمعوا منه أيضا ، ورووا عنه ، وفى ثنايا ذلك يشير إلى بعض مصنفاته ، ويضفى عليها بعض الأوصاف المناسبة ، من عنده ، أو من أقوال غيره مسجلا أحيانا نقدات خاطفة عجلى مادحا أو قادحا ، قاسيا فى قدحه ، لطيفا فى مدحه ، على نمط المتعارف فى مصطلح الحديث . وفى النهاية يذكر سنة وفاته . وكثيراً مايتلوها بذكر الأعلام المتوفين فيها . فيقول : وفى تلك السنة توفى فلان . . . وفلان . . . وهكذا . غير مقتصر حينئذ على نوع من الأعلام دون نوع .

وكثيراً مايعقب الترجمة أيضا : بذكر جملة من الأحاديث التى رواها المترجم له مشفوعة بسلسلة رواتها من أول المترجم له حتى النبى صلى الله عليه وسلم ، مبديا رأيه فى هذه الأحاديث فيدعمها أو يكذبها وينعى على رواتها .

وقد تستثيره من صاحب الترجمة قولة كلامية ، أو فتوى فقهية ، معروفة عنه ، فيعرض لها ويرويها ويبدى رأيه ورأى آخرين فيها .

وقد بلغ عدد حفاظه نحو ألف مائة وثمانين حافظا .

وبعد أن ذكر الطبقة الحادية والعشرين — التى هو أحد أفرادها — سجل عددا من أشياخه هو ، الذين تلقى الحديث عنهم ، وعددا من زملائه الذين سمعوه معه .

والكتاب — بعد هذا — يعتبر من أوثق كتب الحديث ورجاله ، لما عرف عن الذهبى من ورع ودقة وأمانة .

حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح

لابن القيم ٧٥١ هـ (١)

هذا سفر قيم ، لشمس الدين بن القيم . وهو نسيج وحده ، وفريد موضوعه . لم يضع العلماء من قبله أو بعده – فيما نعلم – كتابا على غراره . وجزئيات موضوعه – بلا ريب – متناثرة مبعثرة فى كتب التفسير ، وأحاديث الرسول ، وأقوال الصحابة والتابعين . غير أن شملها لم يجتمع ، ومتفرقها لم يلم ، وغريبها لم يؤهل ، إلا فى هذا الكتاب ، وفطنة مؤلفه إلى لمح موضوعه . وقدرته وحنكته وكياسته ، فى معالجته وجمع شتاته ، تدل على عبقرية فذة ، وخاطر نفاذ .

وموضوع هذا الكتاب : الحديث عن الجنة . الجنة التى خلقها الله للمؤمنين به ، يثيبهم بنعيمها ، ويجزيهم بالخلد فيها ، لم يبتدع ابن القيم الحديث عنها ، ولم يبتكره من عنده ، ولم يتخيله خيالا بعيدا عن الحقيقة ، بل تصورها تصورا هو الحق والصدق ، مستمدا من الشرع الحنيف ، مـــؤيدا بالنص القوى . مدعوما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما نوهنا ، فوضع بذلك صورة للجنة جذابة خلابة ، وبسطها أمام أنظار المؤمنين ، وهواة الخلد ، ليروا فيها رأى العين ماينتظرهم فى جنباتها من نعيم مقيم ، وفضل عميم ، وهو يرمى من وراء ذلك إلى أن يكون عونا للناس على الإيمان بالله والسعى الجاد للعمل فى سبيل هذه الجنة الوارفة الظلال الدانية الأكل ، الطيبة الحياة الدائمة الرغد .

وقد صدره ابن القيم بافتتاحية عذبة ، جرى فى أسلوبها على النمط البديعى المسجوع الذى تطول فقاره أحيانا ، غير أنه لم ينأبه عن وادى العذوبة ، ومجرى السلاسة ، وربأ به عن التكلف والتعقيد . وقد بين فيها حكمة خلق الله للناس ، وما أعده لهم من ثواب على الطاعة ، ومن عقاب على الكفر والعصيان . وأشار إلى مافيه بعضهم من غفلة عن ذلك ، وما فطن إليه المؤمنون من النعيم : وقد حمل على الغافلين حملة شعواء منبها لهم

(١) ترجمنا له بالمجلد الثالث من كتابنا هذا بتفصيل .

على وجود الجنة ، وعلى مافيها من خير ونعيم . وأعقب ذلك بقصيدة طويلة من نظمه في وصف الجنة .

وقدعقد فصلا فى المقدمة ،وضح فيه الغرض الذى توخاه من وضع كتابه وطريقته التى سلكها فى وضعه ، وأنه قسمه إلى سبعين فصلا ، كلها فى الجنة وما يتصل بهـا ، واضعاً نصب عينيه ، الاستشهاد فى كل مايتحدث عنه، بالقرآن والحديث، ليقوم ذلك له مقام الحجة والبرهان .ويستعين أحيانا بأقوال الصحابة والتابعين .

وقد قال فى ذلك كله :

« وهذا كتاب اجتهدت فى جمعه وترتيبه . وتفصيله وتبويبه . فهو للمحزون سلوة وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة . محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب . وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس . ممتع لقارئه ، مشوق للناظرين فيه . لا يسأمه الجليس ،ولا يمله الأنيس . مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائدالقلائد . على ما لعل المجتهد فى الطلب لا يظفر به فيما سواه من الكتب . مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات والآثار الموقوفات . والأسرار المودعة فى كثير من الآيات . والنكت البديعات . وإيضاح كثير من المشكلات . والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات . إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا . وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا ، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات . وباعث الهمم العليات . إلى العيش الهنى فى تلك الغرفات » . . .

وقد ذكر أنه بشر به أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين ينصرون سنته، وهى أجل فى صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا . أو بحثا جدليا ، أو خيالا صوفيا أو تناقضا كلاميا أو قياسا فلسفيا أو حكما سياسيا .

وفى فصوله السبعين ،استوعب كل صفات الجنة ،وما يتصل بها ، وما فيها . فتكلم عن وجود الجنة الآن . وعن اختلاف الناس فى الجنة التى سكنها آدم . وهل هى جنة الخلد ، أو جنة فى الأرض . وعن شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد . وطفق يتكلم عن صفاتها . فتحدث عن أبوابها وعددها وسعتها وأوصافها ومفاتيحها . وعن توقيع

الجنة ومنشورها الذى يكتب لأهلها . وعن أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة . وعن شفاعتها لأهلها ، وعن أهلها ، وخزنتها ، وتربتها وطينها وحصبائها ونباتها وأشجارها وبساتينها وأنهارها وطعام سكانها وما يستخدمون من آنية وفرش وحلى ، وتحدث عن الحور والولدان . وعن رؤية المؤمنين لوجه الله سبحانه وتعالى : إلى غير ذلك من الموضوعات الحبيبة الشائقة .

وأسلوبه فى فصول الكتاب يجرى على نسق من العذوبة ، كما جرت افتتاحيته . غير أنه لم يتشبث فيها بالنهج البديعى ، بل كثيراً مايسترسل ويترك عبارته مرسلة على سجيتها وفطرتها . غير غافل عن الاستشهادات بالآيات والأحاديث فى كل مناسبة ، ولهذا كثرت اقتباساته وتضميناته . فامتلأت عبارته ، لهذا ، بالكلمات التى تحتاج إلى إيضاح . فلم ين عن تفسيرها وإزالة غموضها .

لهذا كله ترى أن الكتاب كتاب تفسير وحديث ولغة وأدب وتاريخ وعقائد إلى غير ذلك . هذا إلى أنه عذب الحديث شهى العبارة ، مسل لقارئه .

وقد تصفحت نسخة منه مطبوعة عام ١٣٥٧ هـ بمكتبة الأزهر تقع فى ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، فى حروف صغيرة .

عجائب المقدور فى أخبار تيمور

لابن عربشاه « ٨٥٤ هـ » (١)

هذا الكتاب من أنفس ماألف شهاب الدين أحمد بن عربشاه . وقد قيل إنه نُقل إلى اللاتينية ، وإلى الفرنسية . وطبع أكثر من مرة . فى مصر وغيرها . وقد تصفحت نسخة منه مطبوعة فى عام ١٣٠٥ هـ بالمطبعة العثمانية بجهة باب الشعرية بمصر .

وموضوع هذا الكتاب : تاريخ حياة « تيمورلنك » التترى من دهاة المغول

---

(١) انظر ترجمته ص ٢٠١ من هذا المجلد

وملوكهم . وهو الذى اجتاح البلاد من أواسط آسيا إلى غربها فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى .

وبعضهم يسمى الكتاب « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » ولعل كلمة « نوائب » تشعر بأن الكتاب عُنى بناحية النقص فى تاريخ (تيمور) وإبراز معايبه ، أوما أصيب به . — مع أن الكتاب يشتمل على كثير جدا من أخباره خيرها وشرها . — أو لعل كلمة « نوائب » مضافة إلى الفاعل ، لا إلى المفعول . . . . فيكون معناها نوائب تيمور التى أصاب بها الدول والناس . — ومع هذا كله ، فالتسمية الأولى أوفق وأنسب وأجمع . وهى التى أثبتناها عنوانا لهذا الكلام .

ويكاد الكتاب يكون وصفا لحوادث هذا الطاغية ، يوما بيوم . ويعد المؤرخ « ابن عربشاه » أصدق من كتب فى هذا الموضوع . وذلك لملابسته واتصالاته بالبيئات التى عاش فيها « تيمور » ، وبنى على حطام سكانها مجده العظيم . وقد عاصر المؤلف ، هذا الطاغية مدة . وطاف فى بلاد التركستان وسمرقند ، وهناك سمع أخباره من أصدقائه وتابعيه ، وطاف بالأناضول وبلاد العثمانيين ، وهناك سمع أخباره من أعدائه ومن كارهيه . وبذلك كله أتيح للمؤلف من الظروف المعينة المواتية ، مالم يتح لسواه . فلا مبالغة إذا قلنا إن كتابه من أوثق المراجع فى موضوعه .

وقد نحا المؤلف فى أسلوب كتابه النحو البديعى وسلك مسلك الطريقة البديعية ، وأسرف فى ذلك إلى حد بعيد . فخلع بذلك ، على كتابه ثوبا من الثقل ، لا تستشف من ورائه معانيه إلا بعد نظر ، ولا يحتمل كثافته بصر الناشىء العجول

فقد التزم السجع والفقرات الطويلة ، ونزل إلى محيط العامية أحيانا . وكثيرا مايستطرد إلى الاستشهاد بالشعر والعبارات المأثورة . ولم يعصمه عن توخى الصناعة الإنشائية ، ماهو بصدده من العلم والتاريخ ، وما ينبغى لهما من صفاء الخاطر ، وصرف الهمة ، وعناية المنطق . فالكتاب مظهر أخاذ لطغيان الأسلوب الإنشائى والنهج البديعى ، على مؤلفات العلماء .

وليس ابن عربشاه أول مؤرخ ، اتبع فى تاريخه ، هذا الأسلوب الكتابى . بل سبقه بذلك غيره . مثل شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كثير من فصول كتابه « مسالك

الأبصار ، ولا سيما فى التراجم ولكنه كان أرق وأعذب من ابن عربشاه . ومثل أبى شامة المقدسى فى كتاب الروضتين .

ولقد يظن القارىء أنه كان يكون أضبط تاريخا وأروع تفصيلا ، وأجمل حديثا ، وأصدق وضعا ، وأقرب معنى وأقل إشغالا للقارىء ، عن تتبع حوادث تاريخه ، إذا هو استرسل ولم يضع فى قلمه هذا القيد .

على أنه لم يخرج فى حكمه إلى الجور ، والتزم — غالبا — السير على الجادة ، وعدم الحيد عن الحق . إلا إذا خلاله الجو ، وفرغ الحديث ،من ذكر وقائع تاريخية معينة » ، واستطرد إلى وصف « تيمور » وصفا حرا . أى حرا من ذكر الحوادث الواقعة .

هنا يسبح به الخيال وتمتلكه نزعته الأدبية الخصيبة . فهو آنا يكيل له الذم ، وذلك حينما تغلب عليه العزة الإسلامية ، ويهوله ما اجترح تيمور بالمسلمين وبالناس عامة ، من فتك وسفك دماء . وآنا يكيل له المدح ، وذلك حينما يروعه ما اتصف به هذا الفارس العظيم من حزم وذكاء وشجاعة . . . وهكذا . . انظر إليه يقول فى خطبة الكتاب واصفا تيمور :

« رأس الفساق . الأعرج الدجال الذى أقام الفتنة شرقا وغربا على ساق . أقبلت الدنيا الدنية عليه . فتولى وسعى فى الأرض فأفسد فيها وأهلك الحرث والنسل ، وتيمم حين عمته النجاسة الحكمية ، صعيد الأرض ، فغسل بسيف الطغيان كل أغر محجل . فتحققت نجاسته بهذا الغسل . أردت أن أذكر منها مارأيته . وأقص فى ذلك ماروبته . إذكانت إحدى الكبر وأم العبر . والداهية التى لا يرضى القضاء فى وصفها بذا ، والقدر . والله أسأل إلهام الصدق . وسلوك طريق الحق . إنه ولى الأجابة ، ومسدد سهم المرام إلى غرض الإصابة . وهو حسبى ونعم الوكيل » .

ويعتبر ابن عربشاه بهذا الكتاب ، من كتاب « سيرة الرجال » فى عصره . وقد بدأ ، بذكر نسب تيمور ، وضبط اسمه ، ثم تحدث عن استيلائه تدريجيا على الممالك وسبب ذلك . وأخذ فى وصف الوقائع التى جرت من تيمور ، والتى حدثت له . وذكر من قابله من الناس ، ووصف كره وفره . وزحفه وتوقفه . وحروبه مع العثمانيين ثم دماره فى النهاية .

وفيما يلى نشير فى إيجاز إلى أهم محتويات الكتاب :

١ — تكلم عن اسمه وأنه « تيمور » بكسر التاء وسكون الياء . غير أن العرب نطقته بما يخالف هذا . وبعضهم يسميه تيمورلنك ومعناها بالتركية « الحديد » ، وأبوه « ترغاى ابن أبغاى » وقيل إنه يمت إلى چنكيزخان بصلة نسوية . وولد فى « خواجة إيغار » وهى قرية من قرى ماوراء النهر ، بعيدا عن سمرقند — ثم روى المؤرخ بعض الخرافات والأساطير التى قيلت بمناسبة مولد « تيمور » وما فسرها به المفسرون .

٢ — وتكلم عن نشأته وأن أباه كان إسكافا فقيراً ، وهما من أوشاب الناس ، إلا أن « تيمور » لما شب كان حديداً جلداً محباً للجريمة . فسرق شاة من أحد الرعاة فضربه الراعى بسهم فأبطل فخذه . فازداد بذلك شرا . واجتمع عليهم طائفة من الشذاذ أمثاله ومنهم : عباس ، وجهانشاه ، وقمارى ، وسليمان شاه .

٣ — أما سبب ملكه ، فإنه كان حسن المعرفة بالخيل . فاتصل بسلطان تلك الناحية . وكان هذا يملك بلخ ، وماوراء النهر إلى أطراف تركستان . فوكل إليه أمر جياده . ثم ترقى لديه حتى زوجه شقيقته . ثم وقع بين الزوجين ماأدى بتيمور إلى قتل زوجته . ثم أعلن عصيانه وتمرده على السلطان ، ثم استطاع قتله والاستيلاء على ملكه ؛ وقيل : كان ذلك فى نحو عام ٧٧١ هـ . فلبث فى ملكه يحكم ويطغى ويقود الجيوش ويفتح البلاد ، إلى أن توفى عام ٨٠٧ هـ بعد أن امتد ملكه من أواسط آسيا إلى حدود الشام — وقد وصف المؤرخ خلال هذا كله ، الحوادث التى لابستها ، والحروب التى وقعت بينها .

٤ — واستطرد المؤرخ إلى وصف دولة تيمور بعد وفاته ، وذكر من ملكها ، وما حدث فيها إلى سنة ٨٤٠ هـ ، واستغرق ذلك جزءاً غير يسير من الكتاب .

٥ — وكانت خاتمة الكتاب ، عدة فصول فى صفات تيمور البديعة وما حصل عليه من سجية وطبيعة ؛ فوصف مرآه ، وعدد صفاته وأخلاقه ، وأظهر مايتحلى به من شجاعة وهيبة وحب للعلماء وأهل الصناعات ، وفراسة يفهم بها ماتضمر النفوس ، وقد سجل المؤلف جملة من الحوادث دالة على ذلك .

وذكر عددا من الرجال الذين عاشوا فى دولة « تيمور » واشتهروا فى مملكته ،

من وزراء وأئمة وأطباء وفقهاء وصناع وأولياء . ووصف جنوده وأخلاقهم ومعتقداتهم، وأنه كان من بينهم عبدة الأصنام وعباد النار من المجوس الأعجام، وبينهم كهنة وسحرة وظلمة كفرة ، وكان بينهم الفظ الغليظ القلب .. الخ

وكتب فى النهاية « خاتمة » طريفة ، وصف فيها نيته لوضع هذا الكتاب والعوامل النفسية التى حفزته إلى ذلك ، ووصف أسلوب كتابه الذى قال عنه : إنه نبذة من قضايا تيمور . ثم قال عن هذه النبذة :

« جاءت بحمد الله تعالى ، ظريفة المعانى كاملتها ، لطيفة المبانى فاضلتها . قلت فى مرآة الأدب :

بألفاظ ألحاظ تشير إلى النهى   تعلم فن السحر كيف يكون

حوت رقة الجزل ودقته . ورياقة الغزل ورقته . ولطافة الأدباء وظرافة الشعراء وفصاحة الشعراء ، وبلاغة الفصحاء ، وحقائق الحكماء ، ودقائق العلماء مع الأمثال الفائقة ، والاستشهادات اللائقة ، والاستطرادات الرائقة والتشبيهات الغريبة ، والاستعارات العجيبة ونوافث السحرة من علماء البيان ، ونوادر المهرة من أرباب الديوان .. » الخ

وفى هذه الخاتمة يدعو المؤلف الناس على اختلاف مشاربهم إلى الاطلاع على كتابه وأن كلا منهم سيجد به ما يروقه من الأدب أو العلم أو التاريخ أو الحكمة أو السياسة أو غير ذلك . وهو يفخر بما صنع . ويقول :

« إن بين هذا الكتاب وبين ما صنعه قبله ذوو الآداب لبونا مديدا ، وأمدا بعيدا بوجوه ، منها : أن زمانهم كان بالرفاهية يساعد ، وأنا فى عصر لا ساعد لى فيه ولا مساعد » .

ثم أخذ فى تعداد مساوىء أهل زمانه وما يسودهم من تفاخر وحب ظهور كاذب وافتراء على العلماء وغض من شأنهم ، مع خمود قرائحهم ويقول :

« أما الآن فقد انقلب بأهله الزمان فصار حامل الفضل والأدب من رهطه . والمنتظم من العلم فى سلكه وسمطه ، كأنه سارق عملته تحت إبطه »

أقول : ما أشبه الليلة بالبارحة .

وبالكتاب فضلا عن هذا : استطرادات ممتعة فى وصف أحوال الناس وأخلاقهم ومعاملة بعضهم لبعض .. الخ

وترى من هذا كله مدى ما لكتاب ابن عربشاه من نفع جزيل وفضل كبير.

فوات الوفيات

لابن شاكر الكتبي « ٧٦٤ هـ » [1]

مؤلف هذا الكتاب هو صلاح الدين بن شاكر الكتبي . ألفه فى جزأين صغيرين ، وطبع أكثر من مرة .

وكان سبب تأليفه أن ابن شاكر — وقد كان يتعاطى تجارة الكتب — كان كثير النظر فى كتب التاريخ والأدب . وقد اطلع فيما اطلع عليه — على كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، فوجده « من أحسنها وصفاً لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسبة الكثيرة » . غير أنه وجد به بعض الهنات ، وشيئا من النقص .

ومن ذلك : أنه لم يذكر أحدا من الخلفاء ، وأنه قد أخل بتراجم فضلاء زمانه ، وتراجم بعض المتقدمين .

فوضع ابن شاكر ، كتابه هذا تذييلا وتكملة لوفيات ابن خلكان ليستدرك عليه فيه مافاته .

فالكتاب إذاً كتاب تراجم أعلام . على نمط من كتاب « الوفيات » . وقد اعتمد مؤلفه فى وصفه على كثير من كتب المتقدمين فى الأدب والتاريخ والحديث ونحوها . مما يمت بصلة إلى أعلامه ، ومنهم: الدار قطنى والمرزبانى وياقوت الحموى ، والصلاح الصفدى ، وابن حيان الأندلسى . ومنهم: النسائى والبخارى والذهبى وغيرهم.

---

١ — أنظر ترجمة ص ١٣٤ من هذا المجلد

وأسلوبه — وإن كان عذبا سلسا بعيدا عن التكلف ، بل بعيدا عن الإناقة حتى ليبدو كأنه لغة تخاطب — تبدو عليه ظاهرة النقل . وتلك إحدى الفوارق الواضحة بينه وبين ابن خلكان . فابن خلكان — وإن كان كثير النقل عن غيره ، لم تبد فيه هذه الظاهرة واضحة وضوحها فى كتاب ابن شاكر . فقد استطاع ابن خلكان أن يهتضم أساليب غيره ، ويضفى عليها من صوب بيانه ، حتى أخرج أسلوبه مخرجا جديدا فيه جزالة وفحولة وأدب لباب . فأنت تتعلم من بيانه وسحر بنانه كما تفيد من أخباره وآثاره.

وابن شاكر يشير إلى المنقول عنه أحيانا ، ويغفله أحيانا أخرى . ولعل من المناسب هنا أن نذكر أنه قد ينقل العبارة عن صاحبها ، ولا يشير إليه . بينما يكون المنقول عنه متحدثا عن نفسه فى العبارة المذكورة ويبقيها ابن شاكر كما هى ، فيبدو كأنه هو المتحدث بها . وينشأ من هذا تناقض لطيف . فقد نقل مثلا فى ج ١ ص ٢٣ فى سياق ترجمة السيد الحميرى ما نصه : « وكان مقيما بالبصرة ، وكان أبواه يبغضان عليا ، وسمعتهما يسبانه بعد صلاة الفجر .. » الخ . فانظر قوله « وسمعتها » دون أن يشير إلى المصدر الذى نقل عنه . وهذا يوهم أنه هو الذى سمع . مع أن السيد الحميرى المذكور توفى عام ١٧٣ هـ .

وقد اختار أعلام كتابه من عصور وطبقات مختلفة ، ومن المشاهير لا المناكير. ورتب تراجمهم حسب حروف الهجاء ، وحسب الأسماء لا الألقاب والكنى والنسب. وهذا أدنى إلى الدقة . إلا أنه لم يلتزمه بعناية . وأورد — بعد ذكر الاسم — سلسلة نسبه وكنيته ولقبه . غير أنه لم يلتزم ذلك ، بل كثيراً ما اكتفى بالاسم واللقب ، دون النسب ، فيقول مثلا : إبراهيم الحائك « ويكتفى بهذا . أو يذكر الاسم واسم الأب فقط ، فيقول مثلا : « إسحق بن خلف .. المعروف بابن الطبيب ، ويكتفى بهذا وعليه فقس.

وبهذه المناسبة نلاحظ أن تراجمه يسودها الإيجاز . وحقا قد فصل فى بعضها ، كترجمته لتقى الدين بن تيمية الحرانى الذى يبدو أنه كان شيخا للمؤلف . ولكن هذا التفصيل قليل نادر ، فى تراجمه التى بلغت نحو خمسمائة وسبعين وبلغ الإيجاز فى بعضها حد الإخلال . فليس فيها خطوات حياة . ولا قليل من الحوادث ، ولا وجازة من الأخبار ، حتى لتقع أحداها فى سطر أو نحوه . وفى هذا دلالة على ضيق أفق المؤلف أو — على الأقل على عجلته ولهفه على نجاز كتابه .

ويذكر فى خلال السطور ، سنوات الميلاد والوفاة . غير أنه لم يلتزم ذلك طراد . وليس له عذر فى ذلك ، لأن عن أغفل ذكر وفياتهم ، من لم يكن عاصرا له . ومن أمثلة ذلك : ترجمة تقى الدين بن أبى اليسر إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليسر ، الذى كان أحد كتاب الدولة الأيوبية فإنه لم يذكر سنة وفاته .

ونجمل فيما يلى بعض الفوارق البارزة بين كتاب ابن شاكر وكتاب ابن خلكان فنها :

١ — صغر حجمه وضآلة معلوماته بالنسبة للوفيات . حتى بدا — حقا — كالذيل له .

٢ — ضعف العناية فيه باطراد تسجيل الأنساب والألقاب والكنى ، مما يزيد التعريف بالعلم ويميزه عن سواه .

٣ — إهمال ضبط الأعلام بالحروف ، على نسق الوفيات .

هذا ولعل معترضا يسأل . لم عنينا بذكر هذا الكتاب والتنويه به ، مع تتابع هناته ؟ والواقع أن لهذا الكتاب أيادى بيضا علينا لا نجحدها ، فقد عاوننا معاونة كبرى فى تأليف كتابنا هذا . وأرشدنا إلى كثير من أعلام العصر المملوكى ممن عاشوا من لدن ابن خلكان ، إلى زمان ابن شاكر .

أى من منتصف القرن السابع الهجرى إلى منتصف القرن الثامن تقريبا . وهؤلاء قد خلا منهم كتاب « الوفيات »

وحقا ، يستطيع القارىء أن يظفر ببعض هذه التراجم فى كتاب « الدرر الكامنة » لابن حجر العسقلانى . ولكن ابن حجر لاحق لابن شاكر ، فهو ناقل عنه ، والفضل للمتقدم . هذا فضلا عما يتضمنه كتاب ابن شاكر من نصوص أدبية وبخاصة النصوص الشعرية ، وهى عظيمة القيمة . وقد عنى ابن شاكر بتسجيل طائفة منها جيدة مابين أبيات ومقطوعات وقصائد وموشحات . ولها أهمية كبرى فى تقدير أدب العصر ، كما أنها نادرة الوجود فى غير هذا الكتاب . وكتاب « الدرر » على سعته أقل عناية بذكر النصوص الأدبية بالنسبة « للفوات » .

وسيرى القارىء الكريم فى تضاعيف الجزء الثالث من كتابنا هذا نماذج عدة من هذه النصوص نقلا عن الفوات.

هذا إلى عناية ابن شاكر بتراجم الخلفاء وبعض من فات ابن خلكان ترجمته. ومن هنا وهناك يتبين لك مقدار مزايا هذا الكتاب وأهميته، فضلا عن سهولته وطرافة نوادره وملاحة مختاراته، مما يجعلك تستوعبه كله فى زمن وجيز ولهذا نوهنا به.

طرح التثريب فى شرح التقويب

لزين الدين العراقى وابنه أبى زرعة [1] «٨٠٦هـ، ٨٢٦هـ»

كتاب «طرح التثريب» شرح لكتاب آخر اسمه «تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد»

وكتاب «تقريب الأسانيد» المذكور عبارة عن متن مختصر ذكرت فيه الأحاديث النبوية الخاصة بالأحكام الشرعية مثل الصوم والصلاة والزكاة، إلى غير ذلك.

ومؤلف «التقريب» هو الإمام الحجة الثبت زين الدين العراقى شيخ الحديث بالديار المصرية فى زمانه. وقد ألف متنه هذا: لولده ولى الدين أبى زرعة العراقى وقد صرح بذلك فى خطبته. ليكون عونا لطالب الحديث والعلم على ما هو بصدده من رواية، ليرفع عنه الحرج فى مواقف السؤال:

وقد راعى فى تأليفه، إيراد أحاديث الأحكام، مع قصر أسانيدها، لتكون بذلك سهلة المأخذ. وانتقاها من الأحاديث الصحيحة فى الموطأ ومسند أحمد وصحيح البخارى ومسلم، ثم مما خرجه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم.

ورسم الطريقة التى اتبعها فى ذكر هذه الأحاديث، ورواتها، حتى يكون القارىء على بينة منها، وضرب لذلك الأمثال:

---

(١) انظر ترجمتهما ص ١٧٠٦، ١٨٠٦ من هذا المجلد.

وأورد الأحاديث مرتبة حسب ابواب الفقه المتعارفة فى كتبه مبتدئا بقوله عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » وقد أطال فى ذكر سنده « دون غيره من الأحاديث ثم أحاديث الطهارة فالوضوء فالصلاة ، وهكذا :

ولم يذكر فى هذا المتن سوى أحاديث الأحكام الشرعية ، ثم ختمها بجملة من الأحاديث الواردة فى الأدب والاستئذان والطب والرقى والرؤيا وحق الضيف والقدر والبعث ونحو ذلك.

ولم يتعرض لشرح ما ، ولا لذكر ترجمة من تراجم المحدثين.

أما كتاب « طرح التثريب » فهو شرح للمتن السابق ، وقد اختلف الرواة فى أى الرجلين صاحب هذا الشرح : الوالد أم ولده . وقد قام ناشر الكتاب فضيلة الشيخ محمود ربيع من علماء الأزهر ، بتحقيق لطيف فى مقدمة طبعته التى أخرجتها مطبعة الأزهر ومكتبتها بمصر عام ١٣٥٣ ﻫ ، وقد خلص منه بأن الوالد وهو زين الدين العراقى بدأ الشرح فألف موضوعات فى المجلد الأول من الكتاب ثم أكمله ابنه أبو زرعة ، و أكمل مابعده من مجلدات.

وبهذه المناسبة نذكر أن الكتاب « طرح التثريب » يقع فى ثمانية مجلدات متوسطة الحجم ماعدا الثانى منها فهو أضخم وأكبر ، وقد تصفحت نسخة من الطبعة المذكورة وقد ابتدأ فيه الشارح بشرح خطبة المتن ، ثم ثنى بمقدمة فى تراجم الأعلام الواردة فى المتن أى رجال الإسناد ، ومن ورد ذكره فى الكتاب ، وهذه التراجم تترجح بين الإيجاز والتفصيل ، ثم أخذ فى شرح الأحاديث شرحاً طلياً فيه إفاضة وتفصيل.

ويبدو أن شرح الخطبة وكتابة التراجم من عمل مؤلف المتن ، وأن شروح الأحاديث — أو أكثرها — من عمل ابنه.

وأسلوبه فى التراجم — كما أشرنا — بين موجز ومفصل ، وهو فى جملته مرد وقص واضح سهل ، عنى فيه كاتبه بوضع التراجم مرتبة ترتيباً هجائياً ، مع ذكر سنوات الوفاة ، ومنزلة الراوية بين الرواة ، وذكر عدد من روى عنهم . وتراجمه هذه ثبت نافع لرواة الحديث رجالا ونساء.

وفى الطبعة المذكورة ، وضعت عبارات المتن فى أعلى الصفحة ؛ والشرح فى أسفلها .
وعبارة شرح الأحاديث سهلة سائغة واضحة لا تجهد من ليس له دراية بمصطلحات الفقهاء ورواة الحديث والمؤلف فى شرحه ، يقلب الرأى على وجوهه ، إذا كان ذا وجوه وينقل فى أحيان كثيرة أقوال غيره من فقهاء الشافعية ، على سبيل الاستشهاد مع شىء من الموازنة بين هذه الأقاويل . وكثيراً ما يعرض أقوال فقهاء المذاهب الأخرى . استطراداً ، ورغبة فى زيادة البيان أو دعما للشرح عن طريق الرد على المخالفين للرأى أو نحو ذلك .

وترى أن هذا الكتاب جامع لفنون كثيرة نافعة منها الحديث والفقه والأصول والتفسير والتاريخ والأدب والنحو والبلاغة ، بل واللغة ، إذ كثيراً ما يتعرض من الشارح لضبط الألفاظ وتفسيرها تفسيرا لغويا وجدير بهذا الكتاب أن ييسر للطلاب والناشئين منهم بخاصة لسهولة مأخذه ووسامة أسلوبه وتقريبه الغامض إلى الأفهام .

الإمام بأخبار من بأرض الحبشة
من ملوك الإسلام للمقريزى ٨٤٥ هـ (١)

هذا الكتاب من مؤلفات تقى الدين المقريزى صاحب الخطط . وهو كتاب مطبوع فى مصر . بمطبعة التأليف ، وحجمه متوسط ، وصفحاته سبع وعشرون

وعنوانه المتقدم لا يشعر تماما بموضوعه ، فإن به معلومات طريفة فوق ما يفهم من عنوانه :

أما موضوعه فيفهم من فصوله التى نشرحها الآن فصلا فصلا ، مع الإيجاز :

الفصل الأول :

عنوانه « ذكر بلاد الحبشة » وقد حدد فيه هذه البلاد تحديداً جغرافيا من نواحيها المختلفة . ويفهم من هذا التحديد ، أنها كانت ممتدة الرقعة فى عصر المؤلف وقبله أكثر من امتدادها فى عصرنا الحديث . وأنها كانت مطلة على المحيط الهندى ومضيق

---

(١) ترجمنا له بالمجلد الثالث .

باب المندب. وتمتد غربا إلى بلاد التكرور التي هي جزء من بلاد السودان .

ثم عدد ممالكها وأقاليمها الاثنى عشر ، وذكر أن لكل إقليم ملكا والجميع يخضعون لملك عام يدعى « الحطى » .

ثم ذكر أمطارها ونباتها ومعادنها بإيجاز. وطاف ببعض عاداتهم وأحوالهم الغريبة ، ومظاهر بلادهم العجيبة . ولعل فيما ذكره شيئا من المبالغة فمن ذلك قوله :

« وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية بأعلى الجبل ، فتصير فى الجو شبه قوس قزح فى عظمها لا فى اللون . — أخبرنى ثقة أنه شاهد ذلك — وعندهم سحرة يمنعون الريح أن تهب . فيأمر « الحطى » بهم أن يضربوا . فلا يزالون يضربون : حتى تهب فيذروا عليها غلالهم » .

وتحدث عن أديانهم وصلتهم بالكنيسة المصرية . وعدد ملوكهم ، ووصف بعض حروبهم ، وتعصبهم الدينى الممقوت . وذكر أن السبب فى تحضر دولتهم ، بعد وحشيتها وتأخرها ، أشخاص من المصريين علموهم صنع السلاح ومزاولة السيف ولعب الرمح وتنظيم المال ، وتفخيم المظهر ، وارتداء الثياب والاحتفالات والمواكب وإنشاء الدواوين ، وغير ذلك .

الفصل الثانى :

عنوانه « ذكر بلاد الزيلع » ، وهى بعض بلاد الحبشة . وبين المؤلف أقسام هذه البلاد وحدودها طولا وعرضا بالأيام . وذكر بعض عوائد أهلها وتقاليدهم ومعاملاتهم ومما ذكره أن أغلب الزيالعة من المسلمين . ويتبع بعضهم المذهب الحنفى ، وبعضهم المذهب الشافعى .

الفصل الثالث :

عنوانه « ذكر الدولة القائمة بجهاده النصارى من الحبشة » . وهذا الفصل أطول فصول الكتاب . ويتضمن المقصود من عنوانه . وقد فصل فيه الكلام بعض التفصيل عن

دولة عربية من قريش » ، قيل إنها من بني عبد الدار. وقيل إنها من بني هاشم من بني ولد عقيل بن أبي طالب . نزلوا منذ أمد في أرض « جبرت » وهي قسم من بلاد الزيلع الخاضعة « للحطي » ملك الحبشة .واشتهروا بالتقوى والصلاح ، حتى كان منهم رجل يسمى « عمرولشمع » ولاه « الحطي » على مدينة « أوفات » . ثم ورثه في ملكها أبناؤه . فخرج بعضهم على ملوك الحبشة . ووقعت بين الفريقين حروب طاحنة استمرت زمنا طويلا .

الفصل الرابع :

عنوانه: « في ذكر السودان » تكلم فيه عن جغرافية هذه البلاد، وعن التكرور، وعن أقسام كل منهما ، وعن القبائل المقيمة بكل ناحية . وذكر بعض مدنها ونباتها وعوائد أهلها ، ومبلغ انتشار المسلمين في كل منها .

وبعد ، فهذه فصول الكتاب كلها . وقد ذكر المقريزي في مقدمته : أنه سمع مادونه فيه وتلقاه ، وهو بمكة أيام مجاورته بها عام ٨٣٩ هـ ، من العارفين بأخبار الحبشة والسودان . وأنه سمع أيضا من رأى وشاهد بعض حوادثها . وذلك خلال سرده حديثه .

وترى أن هذا الكتيب — على ضآلته — عظيم القيمة من ناحية مافيه من معلومات طلية عن بلاد الحبشة ، وهو في حاجة إلى دراسة وتعليق .

تجريد التوحيد المفيد

للمقريزي « ٨٤٥ هـ »

هذا الكتاب من مؤلفات المقريزي أيضا . قرأت منه نسخة مطبوعة عام ١٣٤٣ هـ بمطبعة الشرق بمصر .

وموضوعه « الكلام في العقائد » وقد بدأه المؤلف بالكلام عن الفارق بين معنى « الربوبية » و« الألوهية» و« الملكية » .

فالرب : هو الخالق الفاطر . والملك : هو المكلف الآمر الناهي . والإله : هو

المحبوب المألوف الذى لا يتجه العبد المخلوق العابد المكلف إلا إليه .

ولذلك قال الله تعالى فى سورة الناس : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس إله الناس » فكل هذه الصفات مجتمعة ، لله سبحانه وتعالى .

وتعرض فى خلال هذا الحديث لمعنى الشرك ، وبين أن من المشركين من يقر لله بالربوبية ، ولا يقر بالألوهية . ومنهم من يشرك معه غيره فى الربوبية .. وهكذا .

وقد تحدث — فى السياق — عن سحر النبى عليه الصلاة والسلام ، وعن نزول المعوذتين . — وقد علق الناشر فى الهامش على ذلك ، بذكر أقوال من يثبت حديث البخارى الخاص بأن النبى عليه السلام ، قد سحر . وذكر من أنكر وقوع هذا السحر مع إيراد أقوال الإمام الشيخ محمد عبده فى ذلك ، منقولة عن تفسيره لجزء عم يتساءلون .

وقد فصل المؤلف الكلام ، فى معنى « الشرك » وبين أقسام ومظاهره ، وكل ما يتعلق به . وساق لدعم كلامه ، كثيراً من الأحاديث النبوية . متعرضا لتفسير آيات من القرآن الكريم ذات صلة بموضوع حديثه ، للاستشهاد .

ومن الأمثلة قوله تعالى : « إياك نعبد » . فقال إن العبادة فى الآية المذكورة ، هى السجود والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا ، والدعاء . كل ذلك محض حق الله تعالى .

وتكلم عن خصائص « الألوهية » من الكمال المطلق وحق العبودية . وحق التوكل وغير ذلك . وتحدث عن أقسام الناس فى عبادة الله ، ولا استعانة به . وبين أن منهم أهل العبادة والاستعانة بالله عليها .

وهؤلاء أجلهم وأفضلهم . ومنهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به . ومنهم من له نوع عبادة بلا استعانة . ومنهم من له استعانة بلا عبادة . وقد شرح كل قسم من هذه الأقسام ، مدللا عليه بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .

ثم عاد إلى الحديث عن الآية « إياك نعبد » وتكلم عن عقيدة أهل السنة فى أعمال لعبد . وغيرها من أبواب علم التوحيد .

وأسلوب الكتاب سائغ مفهوم واضح العبارة . ويبدو أن المقريزى تأثر فى تأليف هذا الكتاب بنزعة ابن تيمية وابن القيم فى كتبهما فى العقائد والتفسير .

النقود القديمة الإسلامية

للمقريزى ٨٤٥ ﻫ

ذكر جورجى زيدان فى كتابه . . « تاريخ آداب اللغة العربية » أن من بين كتب المقريزى كتابا عن النقود اسمه : « نبذة العقود فى أمور النقود » . ولعله هو هذا الكتاب الذى تصفحناه بعنوان « النقود القديمة الإسلامية » .

قرأنا نسخة منه فى دار الكتب بدمنهور مطبوعة فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية عام ١٢٩٨ ﻫ . فى حجم صغير ، وهى عبارة عن رسالة موجزة فى تسع عشرة صفحة .

ويبدو أن المقريزى قد أمره سلطان مصر ، أو أحد الأمراء الكبار ، بكتابة نبذة فى أمور النقود الإسلامية فطاع هذا الأمر . فقد قال فى مقدمة هذا الكتاب ، دون ان يصرح باسم آمره ، مانصه :

(وبعد ، فقد برز الأمر المطاع ، زاده الله علوا وتمكينا ، بتحرير نبذة لطيفة فى أمور النقود الإسلامية . فبادرت إلى امتثال ماخرج به الأمر العالى ، أعلاه الله . وأسأله التوفيق)

وقد كتب المقريزى فى كتابه « إغاثة الأمة » فصلا عن النقود ، هو أصل كتابه « النقود القديمة والإسلامية »

وكتاب « النقود » يتحدث فى إيجاز عن النقود القديمة ، والنقود الإسلامية ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

تحدث فى إيجاز عن « النقود القديمة » فتكلم عن النقود السوداء الوافية والطبرية

العتق. ووزن الدرهم والدينار فى الجاهلية. وعن الرطل وأنه كان يساوى ١٢ أوقية والأوقية أربعون درهما ونصف الأوقية يقال له « نش » وهو عشرون درهما وهكذا ... وفرق بين الدرهم الطبرى والدرهم البغلى.

الفصل الثانى:

تحدث فيه عن « النقود الإسلامية » فتكلم عما صنعه سيدنا عمر، خاصا بالنقود عام ١٨ ﻫ وأنه ضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها. وأنه زاد فى بعضها كلمة « الحمد لله »، وفى بعضها « محمد رسول الله »، وفى بعضها « لا إله إلا الله وحده » ثم أبان التقلبات التى نالت النقود ونقشها بعد خلافة عمر. وما زاد وما نقص منها.

الفصل الثالث :

تحدث فيه عن « نقود مصر » وهو أطول فصوله الثلاثة. ويفهم منه أن مصر كانت من قديم الزمان ذات نقد ذهبى.

وتكلم فيه عن الضرائب التى فرضها العرب على أهل مصر ومقدارها. وأبان أنه لم يكن بها دراهم بل دنانير. ولم تحدث الدراهم بها إلا منذ استولى الفرنجة على بعضها.

وذكر الدنانير التى ضربها أحمد بن طولون وسماها « الأحمدية » ووصف الدينار المعزى الذى ضربه جوهر القائد، وكتب عليه ثلاثة سطور.

« السطر الأول به : دعى الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد »

وتحته السطر الثانى وبه : « ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة »

وفى الوجه الثانى : « لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. على أفضل الوصيين، وزير خير المرسلين »

وكان وزن هذا الدينار خمسة عشر درهما ونصفا.

ثم وصف التقلبات التى جرت على العملة المصرية، حتى عهد الملك المؤيد شيخ المحمودى. وختم الفصل بذكر ماسنه هذا السلطان فى مرسومه الخاص، بالتعامل

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

لشمس الدين السخاوى ٩٠٢ ﻫ [١]

ألف هذا السفر القيم ، والموسوعة التاريخية النافعة ، الحافظ المؤرخ الناقد ، شمس الدين السخاوى تلميذ الإمام المحدث شهاب الدين بن حجر العسقلانى .

ويقع فى اثنى عشر جزءا ، طبع بين سنتى ١٣٥٣ﻫ : ١٣٥٥ ﻫ بعناية مكتبة القدسى بحارة الجداوى بباب الخلق بالقاهرة ، اعتمادا على بعض النسخ الخطية بدار الكتب المصرية وغيرها .

هذه الطبعة هى التى اعتمدنا عليها فيما نقلناه فى كتابنا هذا ، وأشرنا إليه فى مناسباته.

وموضوع هذا الكتاب واضح من عنوانه ، فهو فى تراجم أعلام القرن التاسع الهجرى . وهو القرن الذى عاش فيه المؤلف ، إذ أنه قد توفى عام ٩٠٢ ﻫ. والكتاب بهذا يكون حلقة هامة فى سلسلة تراجم أعلام العصر المملوكى التى اهتم المورخون من بنيه با كمال حلقاتها . وهو الحلقة التالية لحلقة كتاب شيخه ابن حجر ، وأعنى «الدرر الكامنة » الذى ترجم فيه لأعيان المائة الثامنة . فقفى على أثره تلميذه السخاوى ، واتبع هداه ، واقتدى به فى وضع هذه الموسوعة الكبرى .

ويحتوى كل جزء من هذا الكتاب على نحو ألف ترجمة ، وقد تزيد أو تنقص قليلا فى بعض الأجزاء . وتبلغ جملتها نحو خمسة عشر ألف ترجمة . ومن هذا تتبين ضخامته وبعد مداه بالنسبة للدرر الكامنة . وقد فضله كثيرون عليه . كالشوكانى فى كتابه « البدر اللامع » إذ فضل الضوء على الدرر ، كلا فى بابه . إلا أن الشوكانى اعتذر عن ابن حجر بأنه عاش فى المائة الثامنة — التى أرخ لأعلامها — سبعة وعشرين عاما فقط . بينما

---

(١) انظر ترجمته فى ص ٢٣٤ من هذا المجلد.

بالدنانير المؤيدية . ثم بكلمة عن ذكر « الفلوس » وأهميتها عند الأمم ، وما يعتريها من أسماء وتقلبات ، ونقص وزيادة . .

ولا ريب أن الكتاب ثمين فى موضوعه ، قليل النظير — على الرغم من صغر حجمه . . .

عاش السخاوى فى القرن التاسع — الذى أرخ لأعلامه — تسعة وستين عاما . وبذلك لابس أعلام أهله وعاشرهم ودرسهم وخبر أحوالهم ، وعاينهم عن كثب ، وسمع كثيرا من أنبائهم من المعاصرين غيرهم . فتكشف له بذلك ماخفى من أمورهم ، وما استتر من أخبارهم . وعاونته رحلاته المختلفة على جمع هذه الأخبار .

على أنه نقل كثيرا مما كتبه المؤرخون قبله . صرح بذلك فى خطبة كتابه ، ومنهم شيخه ابن حجر، فى كتبه العدة ، مثل : «رفع الإصر» و «الأنباء» وتقى الدين المقريزى فى كتابه «العقود» وابن فهد فى تذييله على تاريخ مكة وغيره . وابن خطيب الناصرية فى تذييله على تاريخ حلب . والبرهان البقاعى ، وغيرهم .

وهنا ينبغى أن نذكر أنه كان أمينا فى نقله . تشعر بذلك فى خلال عباراته وطريقة تعبيره ، ولو لم تراجع الأصول التى نقل عنها . إذ يقول مثلا بعد عبارة ما : «الشك منه» ويعنى أن الشك فى الخبر الوارد ، إنما هو من المنقول عنه ، لا منه هو ، وهكذا .

وكثيرا مايسوق ماعنده من الأخبار ، ثم يثنى بما ذكره منها غيره . ويعقب على أحد القولين بكلمة «أو قريبا من ذلك» أو «ظنا» أو نحو ذلك . مما يشعرك بدقته فى الرواية أو النقل . ويكثر منه ذلك بخاصة عند تسجيل سنوات الميلاد أو الوفاة .

ولم يتقيد السخاوى بتسجيل وفيات القرن التاسع ، بل ترجم لمن عاش فى القرن المذكور ، سواء أكان مولده فى القرن الثامن ، أم كانت وفاته فى القرن العاشر ، وبهذا انفسح أمامه المجال ، وامتد الأفق . وبهذا أيضا ترجم لكثير من معاصريه وأنداده ، وسكت عن تسجيل سنوات وفاتهم : ذلك لأنهم كانوا — إلى عهده — أحياء لم يتوفهم الله . ويندر فى غير هؤلاء أن فاته ذكر سنة الوفاة . وممن لم يذكر سنة وفاته : «برهان الدين الكركى» — ج ١ ص ٥٩ — ذلك لأن الكركى توفى عام ٩٢٢ هـ ، بعد وفاة السخاوى بعشرين سنة هكذا .

وقد اتبع السخاوى فى إيراد أعلامه الترتيب الهجائى للأسماء . دون الألقاب والكنى والنسب ، وإن اشتهرت بها أعلامه . وهذا — فى نظرنا — أفضل . ولو أضيف إلى هذا الترتيب ، فهرس أبجدى للألقاب والكنى والنسب ، لكان العمل أوفى

وأتم وأيسر للانتفاع . وإن كان السخاوى قد أفرد الجزء الحادى عشر بالكنى ، والثانى عشر بتراجم النساء .

ولم يقتصر على أعلام مصر دون غيرها، ولا رجال طبقة دون أخرى ، ، بل ترجم لأعلام البلاد المصرية والشامية والحجازية وبلاد اليمن والعراق والهند والمغرب والأندلس وغيرها . وترجم للملوك والأمراء والأفذاذ وموظفى الدولة والعلماء والقضاة والأدباء . وامتد استطراده إلى أن ترجم لبعض من لا يؤبه له ، ومن لا غناء فى ترجمته، ولا ندرى السر فى إقبال السخاوى وابن حجر وأمثالهما ، على ترجمة هؤلاء، فلعله حب الاستطراد والاستيعاب لتسجيل كل مايعرفون ، بقضه وقضيضه . أو لعله الدليل المادى على أنهم لم يتركوا من المشاهير أحداً ، أو لعله الرغبة فى وضع صورتامة كاملة — بالقدر المستطاع — للعائشين فى هذا العصر ، فكثيرا ماتتمم التوافه صورة الجد ، ويكمل الصغار منظر المجد . وتضفى ترجمة هؤلاء النكرات نورا على معارف جيلهم ، وتفسر حوادثهم الضئيلة جوانب خفية خابية من جوانب عصرهم .

وينبغى هنا أن نشير إلى أن كتاب « الضوء » تراجم شخصية أكثر منه « تراجم تاريخية » ذلك أنه يعنى عناية بلرزة بشخصيات المترجم لهم ، وحوادثهم الفردية ، ولوكانت تافهة لا غنية فيها ، وذلك نحو : زواجهم أو تقلباتهم فى وظائفهم ، أو رحلاتهم إلى البلاد المختلفة ، أو أنتقالهم فى السكنى من دار إلى دار ، أو استدانتهم ، أو نحو ذلك. وكثيرا مايكون لهذه الحوادث الصغيرة نفع كبير فى فهم الشخصية وتحليلها ودراستها دراسة نفسية . ولكن المؤلف — وإن التزم فى سردها الترتيب التاريخى تقريبا ، وذلك له أهميته — ألح فى ذكر هذه الوقائع التافهة إلحاحا مملا فى كثير من الأحيان . كأن يقول مثلا : إن فلانا رحل إلى مكة فى شهر كذا وبقى هناك شهرين ثم ذهب إلى المدينة فأقام شهرا ، ثم عاد إلى مكة ومنها عاد إلى مصر ، ولم يلبث بعد شهر أن عاد إلى مكة إلخ . وبديهى أن هذه التنقلات الكثيرة السريعة ليست بذات أثر بالغ فى تكوين الشخصية التاريخية حتى يعتنى بها كل هذه العناية . ثم إنه لم يربطها بحوادث التاريخ العام ، حتى تبدو أهميتها وجلالها ، وتستضىء بها جوانب خفية مستورة من جوانب هذا التاريخ لذلك نقول إن الكتاب كتاب .. تراجم شخصية » .

ولا يطعن فى ذلك أنه ترجم للملوك والأمراء والوزراء ونحوهم ممن لهم أثرهم البالغ فى الحياة السياسية العامة للبلاد ولا أنه فى سياق ترجمتهم ، تحدث عن حروبهم وجيوشهم ونحو ذلك . فإن الروح الغالبة السارية فى كتابه تدور حول سرد الحوادث الشخصية حتى فى التراجم المذكورة .

ولعل هذه العناية الملموسة التى بدت من مؤرخى التراجم إذ ذاك ، نتيجة محتومة للظروف الاجتماعية التى كانوا يعيشون فيها . أوكان المؤلف فيها يعيش . لأنها دلالة ومظهر رائع لصرخة نفسية مطوية بين جوانح العلماء تدعوهم إلى تخليد ذكراهم ، ورسم صورة مادية لحياتهم العملية التى يحيونها على هذه الأرض ، تبقى إلى ماشاء الله ..

حب التخليد الذى بدا منهم فى هذا العصر ، رد فعل شديد لما كان يعانيه العلماء والأدباء وأصحاب الشخصيات ، ويشعرون به ، من حرمان ونكران منزلة ، فإنهم — وقد أوتوا نصيباً ضخماً من العلم أو الأدب — ينبغى للعصر أن يسلمهم زمامه ، ويملكهم خطامه ، ليكونوا له قادة ، يصرفون أموره ، ويحكمون شئونه ، فينعمون من وراء ذلك بالجاه والسلطان . — وتلك طبيعة خفية فى النفس البشرية ، التى يؤتى صاحبها ضربا من الامتياز — ولكنهم حرموا ذلك . فاستعاضوا عنه بتخليد تاريخهم وإبقاء ذكرهم ورسم صورهم . . . .

لعل هذا يصلح تفسيرا لهذه النزعة الجارفة التى بدت فى العصر المملوكى لكتابة تراجم الأعلام ، ولعل العصر المذكور أضخم العصور كتب تراجم .

والسخاوى فى مقدمة كتاب تراجم الأعلام ، بكتابه « الضوء » . ولعل مما يؤيد كلامنا السابق أنه — كغيره — ترجم فيه لنفسه وفصل الحديث عن خصوصياته ، وأشار إلى مصنفاته وشيوخه وتلاميذه . ولم يفتأ يذكر شيئاً من ذلك بين الحين والحين ، كلما سنحت له مناسبة فى ترجمة صديق ، أو حياة رفيق ، فإنه سرعان مايدلف إلى ذكر هذه الخصوصيات . بدون أن يربط ذلك بالتاريخ العام ، أو بنزعة من نزعاته . فليس بدعا إذا أن تقول إن كتابه كتاب « تراجم شخصية » كما أشرنا .

وكان من المستطاع أن يغتفر للسخاوى هذا كله ، لو عنى بالتصوير الفنى فى إبراز

شخصياته أو أضفى عليها ثوبا براقا يزينه بألوان إحساسه، وأصباغ عواطفه ... ولكنه لم يفعل ...

ويبدو أننا نتجنى عليه بآمالنا فيه. ذلك أنه لن يوجد إنسان بشرى — كائنا من كان — يستطيع أن يبرز حياة خمسة عشر ألف رجل وامرأة، إبرازا فنيا، ولا أن يربط هذه الحيوات كلها، وحوادثها، بحوادث التاريخ العام ونزعاته. إذاً نحن نكلف السخاوى شططا. وحسبنا منه أن وضع بين أيدينا هذه «الخامات» لننسج منها بيدنا مانشاء.

على أن التصوير الفنى كان له نصيب محمود، فيما ترجمه السخاوى.. يبدو ذلك بوضوح فى نقداته القيمة المتجلية بين كثير من سطوره، مترجحة بين المدح والقدح، وهى نقدات جليلة الشأن رائعة أحيانا، ومن أجلها وحدها، سلك السخاوى فى عداد المؤرخين النابهين الذين نضج فى النقد التاريخى على يديهم.

والسخاوى ناقد عادل فى كثير من تراجمه، جرىء فى إبداء رأيه، صريح لا يورى ولا يلمح. حريص فى تعبيره، دقيق فى اختيار ألفاظه، لتأدية معانيه.

انظر قوله فى ترجمة برهان الدين التنوخى المعروف بابن الغرس [1] «إبراهيم بن أحمد» قال:

«وخطه كعقله، ردىء وعبارته سقيمة. وعنده من الكتب والأجزاء وتصانيف شيخه، مالم ينتفع به، بل وعطل على غيره الانتفاع بها لعدم سماحه بعاريتها، حسبما استفيض عنه أنه كان يقول: «إذا عاينت الموت ألقيتها فى البحر».

فانظر حرصه فى قوله: «حسبما استفيض عنه، حتى نقل عنه الخ»

وقال عن برهان الدين الزهرى «إبراهيم بن[2] على»: «والغالب عليه الخير وربما استدرج من رفقاء السوء فى الشهادات».

أمثال هذه العبارات كثيرة فى تراجمه. وهى نقدات لها قيمتها، كما ذكرنا، فى تخطيط

---

١ — الضوء ج ١ ص ١٢ ٢ — ج ١ ص ٨٣

عناصر الشخصية ، ولكنها لم تسم إلى التصوير الفنى الدقيق ، كما يتطلبه العصر الحديث، فهو خلو من التحليل والعمق فى الدراسة النفسية .

وهناك ظاهرة قوية فى نقد السخاوى ، تلفت نظر قارئه ، لأول وهلة ، ذلك أنه يكيل المدح صرفا لأحبابه ومصادقيه . وعلى رأسهم شيخه ابن حجر ، ويكيل القدح مرا لأعدائه ومنافسيه . وهذه خصوصية تميل بميزان عدالته . وإن تخللها كثير من الحق والصدق .

فشيخه وأحبابه فى مكان القداسة منه ، ومحل الطهر أمام عينه . وهذا أدب جميل ونموذج طيب نرضاه منه ، على شريطة ألا يغمض العين على قذاهم ، ويغض الطرف عن أخطائهم — وكم لكل إنسان من أخطاء —

وقد وضح فى المقدمة أنه إذا أطلق كلمة « شيخنا » فلا تنصرف إلا إلى أستاذه ابن حجر، وقد ترجم له فى « الضوء » وأفرد كتابا خاصا بترجمته . وردد سيرته فى كل مناسبة بين تراجمه . ومما قاله [١] عنه فى « الضوء » : « اشتهر ذكره وبعد صيته وارتحل الأئمة إليه ، وتبجح الأعيان بالوفود عليه »

وقال عن شيخه ، فى سياق ترجمة « برهان الدين القصورى »[٢] مانصه : « كان شيخنا كثيراً مايعرض عليه أجوبته فى المسائل الفقهية والفرضية ونحو ذلك . وربما أرسل إليه بالمسائل الدقيقة ، لالعجزه عنها بل لاشتغاله بما هو أهم مما تعين عليه » .

وقال عن برهان الدين المصرى [٣] مانصه : « وبالجملة هو شيخ حسن ومعنى ، وهو من قدماء أحبابنا والمقبلين بفضله علينا ، وممن حمل عنى أشياء »

أما منافسوه من أبناء عصره ، فقد نال بعضهم من لسانه جملة من الخفقات القاسية، وفى مقدمتهم جلال الدين السيوطى ، وبرهان الدين البقاعى وزكريا الأنصارى . وعبد البر بن الشحنة .

---

١ — الضوء ج ٢ رقم ١٠٤

٢ — الضوء ج ١ ص ٤٣

٣ — الضوء ج ١ ص ٧٨

وقد بينا تجنى السخاوى على السيوطى والأنصارى فى المجلد الثالث من كتابنا هذا عند ترجمتهما وأشرنا إلى المقامة التى أنشأها السيوطى وهى : « الكاوى فى الرد على تاريخ السخاوى » حيث قال فى أولها :

« إن السخاوى ضمن تاريخه المتقدم أكابر وأعيانا ، ونصب لأكل لحومهم خوانا . وجعله مشحونا بذكر المساوىء وثلب الأعراض ؛ وفوق لهم به سهما على قدر أغراضه وهم من أجلة المشايخ وأركان الإسلام » الخ

وقد ذكر السخاوى معاصره البقاعى أكثر من مرة فى كتابه « الضوء » ورماه بكل كبيرة وصغيرة .[١]

ولم يقتصر نقده ـ جرحا أومدحا ـ على معاصريه ، بل امتد إلى سابقيهم ، ومنهم: تقى الدين المقريزى الذى رماه بسرقة مسودات لشهاب الدين الأوحدى ، فاعتمد عليها فى تأليف « الخطط » ، وقد عرضنا لذلك أيضاً فى ترجمة المقريزى بالمجلد الثالث .

ويطول بنا القول إذا ذهبنا نعدد مواضع نقده ونسوق نماذج منها ونبرز اتجاهاته المتعددة فيه ونكتفى بأن نضع أمام القارىء الكريم بعض عبارات هذا الناقد ليرى بنفسه إلى أى أحد كان يذهب فى نقده فمن ذلك :

قوله عن تقى الدين القرشى[٢] : « وعرف بالخوض فيما لا يعنيه ، والتسارع لنقل مالا خير فيه بحيث أوذى بسبب ذلك . وكذا عرف بالتعرض لأعراض الناس حتى صار ممن يتقى لسانه . »

وقوله عن سرى الدين بن الشحنة :[٣] « ولو تصون وسلك طريق السداد أو تستر أو تأدب مع مشايخ الوقت وفضلائها أو ضبط لسانه عن الوقيعة فى الأكابر ، لكان أخلص له وأقرب إلى محبة الناس فيه » . وقال عنه أيضا : « وليس بثقة فيما ينقله ،

---

١ — اقرأ ترجمة شهاب الدين المجدلى (أحمد بن عبد الله بن محمد) فى الضوء ج ١ ص ٣٦٣ ، وبها كلام جارح عنه وعن البقاعى .

٢ — الضوء ج ٤ ص ١٢٨ واسمه (عبد الرحمن بن محمد بن حسن)

٣ — الضوء ج ٤ ص ٣٣ واسمه (عبد البر بن محمد بن محمد)

ولا بعمدة فيما يقوله ، بل هو غاية فى الجرأة والتقول » . مع العلم بأن ابن الشحنة المذكور تولى قضاء الحنفية بالبلاد المصرية طويلا .

وقوله عن محب الدين أبى حامد البلبيسى (١) : « وبالجملة فكان مديما للتحصيل مقيما على الجمع والكتابة فى التفريع والتأصيل . لا أعلم عليه فى دينه إلا الخير . ولا أتكلم بما يتقول به الغير ! ولكنه ليس بالمتقن فى حفظه ونقله ، ولا بالمتين فى فهمه وعقله . والغالب عليه سلامة الفطرة .. » ألخ .

وأمثلة ذلك كثيرة ومنها المواضع الآتية : فى ج ١ ص ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٠٣ .

والآن نلخص محاسن السخاوى ، ومساوئه فى كتابه : — فوق ماسلف — فنقول :

من محاسنه :

١ — الدقة فى ضبط سنوات الميلاد والوفاة ، وما منها كان مجالا للظن والريبة ، أتبعه بكلمة تشعر بذلك .

٢ — ضبط كثير من أسماء الرجال والمدن على نمط ضبط ابن خلكان فى « وفيات الأعيان . ولكنه لم يتبع هذا النهج فى كل تراجمه . ويبدو أنه عوض بعض هذا النقص . فى الجزء الحادى عشر الخاص بالكنى والأنساب ، فإنه عـــنى فيه عناية ملموسة بضبطها بالحروف .

٣ — أنه ترجم لنفسه على سنة بعض رجال الحديث وغيرهم من علماء عصره . وترجمته مبسوطة مفصلة ، فيها أنباء ترحلاته وصلاته المختلفة ، وحوادثه الخاصة ، وتلمذته ومشيخته . وذكر شيوخه وتلاميذه ، ومن أجازوه ، ومن أجازهم ، ومن وادوه ، ووادهم . ومن مدحو ومن مدحهم . ومن عادوه ومن عاداهم . كما سجل عددا من مؤلفاته كالابتهاج والغنية والقول البديع ، والقول النافع ، وتذييل قضاة مصر ؛ ولم ...

---

١ — الضوء ج ٧ ص ٣٣٤ رقم ٥٧٥ واسمه (محمد بن خليل بن يوسف) .

بترجمة حياته مستقلة ، بل ترى أخباره أيضا متناثرة فى ثنايا الكتاب ، خلال كثير من تراجم أعلامه ممن جمعتهم به صلة ما .

٤ — عنايته البارزة بترجمة شيوخه ، والتزام جانب الأدب معهم ، وبخاصة شيخه ابن حجر .

٥ — عنايته فى أعقاب بعض التراجم ، بذكر المراجع التى استقى منها معلوماته أو التنويه بالمؤلفات التى روت أخبار صاحب الترجمة . وهذه خصوصية محمودة ، إذ تمد القارىء الباحث بثبت من المراجع يعينه على أربه .

٦ — ومما تقدم يتبين لنا جليا مدى ثقافة السخاوى ، وسعة علمه وغزارة مادته ورحابة أفقه .

ومن مساوئه :

١ — فخره بنفسه وتيهه بعمله وعلمه وتنويهه بآثره وفضله . فى مناسبات متعددة : اقرأ ج اص ٦٢ ، ٦٣ ، ٨١ ، ١٩٩ . والتواضع إلينا أحب ، وهو بالعلماء أليق .

٢ — قلة ما رواه من نماذج الكتاب والشعراء والمنشئين على اختلاف ألوانهم . وحقا عنى بسوق بعض الأبيات الشعرية والمقطوعات . ولكنها — بوجه عام — قليلة الغناء . وكنا نود لو أنه أطال وأسهب فى تسجيل نصوص شعرية ونثرية مختلفة لأعلامه ، إذاً نظفر منه بكنز ثمين ، ومرجع حافل للأدب ، يعين على دراسة أدب القرن التاسع الهجرى ـ ودراسة الأدب فى هذا القرن فى أشد الحاجة إلى مثل هذه النصوص . والقارىء فى وفيات ابن خلكان أو فوات ابن شاكر ، أو وافى الصفدى ، أو طبقات السبكى ، يراها تفوق « ضوء السخاوى » فى هذه الخصوصية وكان لنصوصها المسجلة بها أثر بالغ فى دراسة الأدب المملوكى بل وفقهه وعلومه ، لما يثبته بعضها — كالطبقات — من نصوص فقهية ومحادثات علمية ، وفتاوى ومساءلات . ولعل السخاوى اقتدى فى ذلك أيضا بابن حجر فى « الدرر » فإن « الدرر » — فى نظرنا — يعانى مثل هذا النضوب .

٣ — أنه يجنح في أسلوبه المسرود ، أحيانا ، نحو السجع والنهج البديعى ، ويغتفر

له هذا من الناحية الأدبية. غير أنه قد ينزل إلى التعبيرات العامية «ج ٨ ص ٨٧».

٤ — أنه يذكر كلاماً — أحيانا — يفهم منه أن كلاما آخر سبقه: بدون أن يوجد هذا الكلام السابق. مثل قوله «ج ١ ص ١٩٨» إنه «تفقه بالعلامين المذكورين» مع أنه لم يذكر قبل ذلك إلا علاء دين واحدا.

على أن هذا قليل في سطوره. وربما كان سبب ذلك خطأ مطبعيا.

٥ — أنه يشير إلى بعض الحوادث — أحيانا — إشارة وجيزة عابرة، معتمدا على أنها معروفة مشهورة فى عصره. وكان ينبغى أن يسجلها بحذافيرها، لأنها وإن تكن مشهورة متعارفة فى عصره — ستصبح مجهولة مطوية من بعده. انظر ج ٤ ص ٣٣ رقم ١٠٢ — وج ٥ ص ١١١ رقم ٤٠٣:

وما أشبهه فى هذا بالمدرس الذى يقتضب معلوماته: استنادا على علم طلبته بها — وهم بها جاهلون.

٦ — أن عبارته — أحيانا — تعانى شيئا من التناقض. ومن ذلك قوله عن سراج الدين الأنصارى الواداشي[1]: «قالوا إنه لم يكن بالماهر فى الفتوى ولا التدريس، وإنما كانت تقرأ عليه مصنفاته غالبا فيقرر مافيها». ولا ندرى كيف يتفق عدم مهارته فى التدريس، وتقرير ما فى مصنفاته ...

وبعد، فحسبنا هذا التعريف تنويها بهذا الكتاب الزاخر الفياض، الذى نحن فى أشد الحاجة إلى وضع موسوعة على غراره لأعلام القرن الذى نعيش فيه.

طبقات المفسرين

للسيوطى «٩١١ هـ»[2]

هذا كتاب من مؤلفات جلال الدين السيوطى. وقد ذكر فى فهرس دار الكتب المصرية برقم ١٠٧٨ — تاريخ. وقيل فى البيان عنه:

---

١ — الضوء ج ٦ ص ١٠٠ رقم ٣٣٠.

٢ — ترجمنا للسيوطى فى المجلد الثالث من كتابنا هذا.

« نسخة فى مجلد طبع ليدن سنة ١٨٣٨ م ، معهـــا مقدمة وملاحظات باللغة اللاتينية . وفهرس بأسماء الرجال . وترجمة حياة المؤلف ومؤلفاته . لناشرها هندرك انجلينس بن ويرس »

ويبدو أن جورجى زيدان . حينما ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات السيوطى ، فى كتابه المشهور « تاريخ آداب اللغة العربية » نقل شيئاً عن فهرس دار الكتب ، وبيانها عن طبقات المفسرين بين اقتضاب وزيادة ، حيث قال عنه :

« هو معجم أبجدى للمفسرين على اختلاف طبقاتهم . طبع فى ليدن سنة ١٨٣٩م ماوجد منه فى ٤٣ صفحة فيها شروح وفهارس وترجمة لاتينيه».

وقد تصفحت نسخة من هذا الكتاب . فإذا هى تنقسم إلى قسمين :

الأول : الكتاب الأصلى الذى ألفه السيوطى . وهو مطبوع فى ٤٣ صفحة بحروف رديئة ؛ ولكنها واضحة .

والثانى : شرح وتعليق لناشر الكتاب . وهو باللغة اللاتينية تتخلله كلمات وعبارات عربية . وفى سياقه رويت ترجمة السيوطى منقولة عن كتابه « حسن المحاضرة » مع ماذكره معها من مؤلفاته الكثيرة . ويقع هذا القسم الثانى فى نحو ١٨٨ صفحة . وفى نهايته فهارس للأعلام ، واستدراكات ، وكلمات تتخللها عبارات عبرية ؛ كما نقلت فيها أيضاً ، ترجمة السيوطى ، مروية عن « الضوء اللامع » للسخاوى .

وقد استعنت ببعض عارف فى اللاتينية ، ففهمت منهم ن هذه النسخة طبعت فى يوم ١٤ يونية سنة ١٨٣٩ م فى ليون بفرنسا — وليس فى ليدن — وكان طبعها بمعونة الأكاديمية الجغرافية ، أو فى مطبعتها ، عن نسخة من الكتاب مخطوطة ومحفوظة فى فى مكتبة ليدن .

أما الناشر الذى علق هذه الطبعة ، فهو « البرت مويرسنجى » . وقد نشر الكتاب بإذن معلمه وأستاذه « هندرك انجلينس بن ويرس » هكذا كتب اسمه بالعربية .

وقد كتب الناشر كلمة بالعربية فى صدر الكتاب ، بأسلوب بديعى مسجوع ،

أهدى بها هذا الكتاب إلى أستاذه — أو معلمه ، على حد تعبيره — هندرك انجلينس المذكور .

ومع الأسف — لم يكتب بالعربية بيانا ماعن هذا الكتاب ، ومهما يكن من شيء ، فالنسخة تحفة أثرية لطيفة لطبعها فى ذلك التاريخ المبكر . ويبلغ عمرها نحو مائة سنة وأربع.

أما الكتاب الأصلى وهو ما كتبه السيوطى فى ٤٣ صفحة ، فقد بدأه مؤلفه بخطبة وجيزة ، بين فيها أنه لم يجد قبله من اعتنى بإفراد المفسرين فى كتاب ؛ ولا من ذكر طبقاتهم ، كما اعتنى بطبقات غيرهم من محدثين وفقهاء ، ونحاة غيرهم .

ثم قال مبينا أنواع المفسرين :

« إن المفسرين أنواع : الأول : من السلف الصالح ، والصحابة والتابعين وأتباعهم . والثانى : المفسرون من المحدثين . وهم الذين صنفوا التفاسير مسندة ، وفيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد . وهذان النوعان تراجمهم مذكورة فى طبقات الفقهاء . والثالث : بقية المفسرين من علماء السنة الذين ضموا إلى التفسير ، التأويل والكلام على معانى القرآن وأحكامه وإعرابه وغير ذلك . وهو الذى الاعتناء به فى هذه الأزمان أكثر . والرابع : من صنف تفسيرا من المبتدعة كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم .

والذى يستحق أن يسمى بالمفسرين من هؤلاء : القسم الأول ثم الثانى ، على أن الأكثر فى هذا القسم نقلة . وأما الثالث فمؤولة ، ولهذا يسمون كتبهم غالبا : بالتأويل. ولم أستوف أهل القسم الرابع ، وإنما ذكرت منهم المشاهير كالزمخشرى والرمانى والجبائى وأشباههم . »

ثم أخذ فى سرد طبقاتهم حسب الحروف الهجائية . وتراجمهم موجزة ، تقع كل منها فى سطور قليلة : يذكر فيها الاسم والنسب ، وما برز فيه صاحب الترجمة من علم أو أدب . مع التنويه أحيانا ببعض صفاته وخصائصه . ثم يذكر سنة الميلاد والوفاة ومكانهما — غالبا —

وبلغت تراجمه نحو ١٣٦ ترجمة . وقد كتب فى آخر هذه التراجم مايفيد أنها كل ما كتبه السيوطى فى هذا المؤلف .

ونقول إن السيوطى لم يستوعب فى كتابه هذا جميع طبقات المفسرين وأفرادهم، لى عصره . وليس هذا دأبه فى تأليفه ، إذ هو يميل — فى أكثر مؤلفاته — إلى لاستيعاب . ويعينه على هذا الاستيعاب ، ماينجنح اليه أيضا من الإيجاز . ولعل إيجازه فى تراجم هذا الكتاب ، كان المقصود به ، المعونة على الاستيعاب ، ولكنه لم يستوعب .. فلعل سبب ذلك أنه ألفه فى أخريات حياته ولم يستطع إكماله . أو لعل للكتاب بقية لم يعثر عليها الناشر .

ومهما يكن من شىء . فالكتاب فريد فى بابه . إذ لم نجد — فيما نعلم — سابقا سبق السيوطى فى العناية بطبقات المفسرين . كما أنه لم يقف على آثاره حتى اليوم مؤرخ غيره — فيما نعلم أيضا سوى — كتاب طبقات آخر ، ألفه محمد بن على الداودى المالكى وهو أحد تلامذة السيوطى .

وطبقات السيوطى يبدو جلال أثره فى أنه وضع جدولا بأسماء المفسرين أمام نظر الباحث ، مع توجيهما ، إلى عصر كل ، وإلى مشربه . وفى هذا نواة صالحة طيبة ، لمن أراد أن يستكمل هذا البحث ويضع كتابا جديدا لطبقات المفسرين يفصح فيه بتفصيل عن مذاهبهم ومناهجهم وطبقاتهم ومبلغ جهودهم ، إلى العصر الحديث .

شرح شواهد المغنى

للسيوطى « ٩١١ هـ »

هذا كتاب نفيس من كتب الجلال السيوطى . عرض فيه لكتاب « مغنى اللبيب » لابن هشام المصرى . فشرح شواهده شرحا قيما . والكتاب فى شرح شواهد المغنى لاغير . والحق أن هذا الكتاب الضخم ، لايعتبر فى النحو فحسب ، بل هو كتاب أدب وتاريخ ولغة وشعر . ويصح اعتباره من المراجع الهامة فى بابه . وحسبنا أن نذكر هنا جزءا من خطبة السيوطى فى مقدمته ، ليعلم القارىء إلى أى حد جمع هذا الكتاب

فأوعى . وليتضح له الطريقة التى سلكها المؤلف فى تأليفه قال : « أورد أولا البيت المستشهد به ، ثم أتبعه بتسمية قائله ، والسبب الذى لأجله قيلت القصيدة : ثم أورد من القصيدة أبياتا أستحسنها ، إما لكونها مستشهدا بها فى مواضع أخر من الكتاب فأوردها ليعلم أن الجميع من قصيدة واحدة . أو لكونها مستشهدا بها فى غيره من كتب العربية والبيان ، أو لكونها مستعذبة النظم مستحسنة المعنى ، لاشتمالها على حكمة أو مثل أو نادرة أو وصف بليغ أو نحو ذلك .

وإن كان البيت من مقطوعة ، وهى مالم يزد على عشرة أبيات ، ذكرتها بكمالها . وقد أذكر قصيدة بكمالها لقلة أبياتها ، وكونها كلها مما يستحسن كقصيدة السموءل التى أولها : « إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه » ، أو لكون المصنف استشهد بكثير من أبياتها كقصيدة الأعشى التى أولها : « ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا » .

ثم أتبع ما أورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغريب والمشكل . وبيان ماتضمنته من الاستشهادات الغريبة ، والنكت الشعرية . ومايتعلق بها من فائدة ونادرة ، وموارده . وأتبع ذلك بالتعريف بقائلها وذكر نسبه وقبيلته وعصره » ... الخ

وقد سلك المؤلف هذا المنهج الذى رسمه لنفسه ، غير أنه تعرض — فيما تعرض له — إلى كثير من المسائل النحوية والصرفية . — وهو مالم يشر إليه فى كلمته المتقدمة — وهذه إحدى مزايا كتابه ، بل من أهم مزاياه ويتعرض لشرح هذه المسائل ، بخاصة ، عندما يشرح الشواهد ويتكلم عن إعرابها .

وقد عنى المؤلف عناية ملموسة بتفسير معانى الأبيات — فضلا عن شرح غريبها — ويقلب فى ذلك ، الرأى على وجوهه الكثيرة المحتملة ،

غير أن كثيرا من تراجمه ، سرد تاريخى منقول ، لاتحليل فيه ولا نقد ولا استيعاب .

وقد اعتمد فى تأليف كتابه على عدد ضخم من دواوين الشعراء وكتب الأدب وتاريخه ، ومعجمات اللغة ، وشروح القصائد وما إلى ذلك . وقد ذكر جملة منها فى خطبة الكتاب .

والكتاب — كما ترى — شاهد بسعة علم مؤلفه ومدى اطلاعه العظيم ، وصبره

رحابة صدره فى سبيل العلم والأدب .

وللسيوطى حاشية أخرى على « المغنى » اسمها: « الفتح القريب » وهى غير شرح شواهده .

تاريخ الخلفاء

للسيوطى « ٩١١ هـ »

هذا كتاب جليل من كتب جلال الدين السيوطى . واسمه الكامل : « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » .

قد ترجم فيه مؤلفه لجميع الخلفاء الذين تولوا أمر الخلافة الإسلامية ، بعد النبى عليه السلام . من لدن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — إلى زمن السيوطى نفسه . ففيه تراجم الخلفاء الراشدين ، وخلفاء بنى أمية بدمشق . وخلفاء بنى العباس ببغداد ومصر .

ولم يترجم فى صلب الكتاب لخلفاء الفاطميين ، اعتقادا منه أن خلافتهم غير صحيحة ، وأنهم ليسوا قرشيين . وأورد لذلك حججا كثيرة فى خطبة الكتاب .

ولم يترجم كذلك لخلفاء بنى أمية بالأندلس ، لأنه يعتبرهم ملوكا .

وقد قلت إنه لم يترجم لهم فى صلب الكتاب ، لأن طبعه التاريخى ، وحبه للاستطراد والاستيعاب أبيا عليه إلا أن يكتب كذلك عن الفاطميين والأندلسيين . فكتب عن كل منهما فصلا فى خاتمة الكتاب . . . وتراجمه وافية إلى حد ما . وبينها المطول المفصل ، كترجمة سيدنا أبى بكر . فقد بلغت نحو سبعين صفحة .

والكتاب صفحة مجيدة من صفحات الإسلام ودوله ، ومرجع هام فى موضوعه ، وبه استطرادات أدبية شائقة وتاريخية نافعة . وتنويه بوفيات أعيان الرجال فى عهد الخلفاء .

وآخر تراجمه : الخليفة المتوكل على الله . الثانى . وهو أبو العز عبد العزيز بن يعقوب ابن المتوكل على الله محمد من خلفاء بنى العباس بالبلاد المصرية . ولم يشهد السيوطى عصر خليفتين منهما هما : المستمسك بالله ، والمتوكل على الله « الثالث » وهو آخر هؤلاء الخلفاء . لهذا لم ترد ترجمتهما بالكتاب .

وقد صدر الكتاب بخطبة حسنة فى بيان غرض المؤلف من تأليفه . ثم تلاها

عدة فصول نافعة فى بيان الخلافة وما يتصل بها من مشاكل .

واعتمد السيوطى فى تأليف كتابه هذا ، كما قال فى أعقابه ، على تاريخ الذهبى ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٠٠ هـ . وعلى تاريخ ابن كثير ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٣٨ هـ . وعلى المسالك للمقريزى وذيله . . والتبر المسبوك لشمس الدين السخاوى ، وانتهى فيهما إلى سنة ٨٧٣ هـ . وعلى أنباء الغمر لابن حجر العسقلانى وانتهى فيه إلى سنة ٨٥٠ هـ

وطالع فى سبيله أيضاً كتبا عدة منها : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى . وتاريخ دمشق لابن عساكر ، والأوراق للصولى . والمجالسة للدينورى ، والكامل للمبرد ، والأمالى لثعلب . وغير ذلك .

وقد أثبت فى آخر الكتاب قصيدة طويلة ، نظمها فى تاريخ الخلفاء أجمعين وتعد من الشعر القصصى التاريخى . والكتاب فى حاجة إلى طبع جديد ، وتصحيح وتعليق .

الاقتراح فى علم أصول النحو

للسيوطى ٩١١ هـ

هذا الكتاب من مؤلفات جلال الدين السيوطى أيضا . وموضوعه — كما يبدو من عنوانه — كلام عن « علم أصول النحو » . وهذا العلم بالنسبة إلى النحو ، كعلم الأصول بالنسبة إلى الفقه . لأن كلا من النحو والفقه ، معقول من منقول . كما قاله ونقله مؤلفه .

ومن أبوابه : تعريف علم أصول النحو . تعريف اللغة وكيفية نشوئها . الرابطة بين اللفظ والمعنى . الفارق بين اللفظ العربى والعجمى . الفرق بين البدل والعوض . الكلام عن السماع وعن المحتج بعربيته ، وما يستشهد به . الفرق بين السماع والقياس . نشوء علم النحو . الفارق بين لغة الحجازيين والتميميين ، وغيرهم ، وقيمة الاحتجاج بكل منها . المتواتر ورواية الآحاد فى اللغة وقيمة كل . الكلام عن الإجماع ، وإجماع نحاة البلدين : البصرة والكوفة ، وإجماع العرب . الكلام فى القياس وأركانه ، وهى : الأصل المقيس عليه ، والفرع وهو المقيس ، والحكم والعلة . — الكلام عن تعارض قياسين ... الخ

وأنت ترى أن هذا الكلام جمع ضروبا من فنون اللغة . فهو إلى أن فيه أدبا ، فيه فقه لغة ، وبحث فى نشوء النحو ، ونشوء مسائله ونظرياته . والكلام عن اتفاقها واختلافها .

وقد نحا المؤلف فى أسلوبه وعرضه ، المنحى العلمى : من إبراز القول والتفريع عليه ، والاحتجاج له ، أوالرد عليه ، أو الموازنة بين رأيين . إلى غيرذلك .وفى أسلوبه هذا شىء من الجفاف لما يعروه من عبارات وأقيسة منطقية ومصطلحات علمية .

وقد صرح المؤلف فى خطبة كتابه باعتماده على «الخصائص» لابن جنى . كما اعترف بأنه وقت تأليفه قرأ كتابين هامين فى علوم الأدب ، من تأليف كمال الدين بن الأنبارى وهما : «نزهة الألباء فى طبقات الأدباء» وكتاب آخر ملحق به . ووجد فى هذا الملحق كثيرا من مسائل علم أصول النحو ، التى تعرض لذكرها فى «كتابه الاقتراح» . . كما اعترف بأن بعض مسائله ، وقعت متفرقة فى كلام بعض المؤلفين . . .

ومع هذا ، فقد قال السيوطى : إن تأليفه هذا لم يسبقه به سابق . ولعله يقصد بذلك ، أنه أجمع المؤلفين لمسائله ، وأفطنهم إلى الصلات الدقيقة بينها .

وقدرأيت نسخة مخطوطة من هذا الكتاب ، ضمن مجموعة خطية تتكون من عشرة كتب فى النحو وما يتصل به ، منها : متن الكافية . ومتن البناء . ومتن الأمثلة . ومتن العزى . وشرح أبنية الأفعال لابن مالك . ومتن الاقتراح المذكور . وخلاصة كتابى التسهيل والارتشاف فى النحو . والمصباح فى النحو . ومتن العوامل .

ويستغرق كتاب الاقتراح منها ، خمسة وستين ورقة . وقد نسخها ناسخها عن خط المؤلف .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

لابن إياس الحنفى ٩٣٠ هـ (١)

كنا ونحن فى فجر الشباب ، نتلهف على قراءة الكتب الأدبية والتاريخية ، ذات

---

١ — انظر ترجمته ص ٢٤٥ من هذا المجلد .

الأسلوب التصويرى الغريب ، والنزعة الخيالية المتوثبة . لنغذى بذلك خيالنا الجامح ونمد فى أحلامنا الشاردة . وكلما أمعن الأسلوب فى الغرابة ، وأغرب فى التصوير ، كان إلى نفوسنا أقرب ، وفى ألسنتنا أحلى وأعذب .

لذلك كان كتاب بدائع الزهور حبيبا إلى قلوبنا ، مفضلا لدينا على كثير غيره . إذ رأيناه مليئا بشتى الصور الأسطورية الخلابة التى تغرق الفكر فى طوفان من شهى الأحلام ولذيذ الأوهام . ومن بين قصصه : قصص الأنبياء وخلق آدم ، والكلام على منابع النيل وغيره ، وقصة الإسكندر ذى القرنين ، وحديث يأجوج ومأجوج ، وغير ذلك . . .

ثم دار الزمان دورته ، وطافت بنا بكرته ، وإذا بنا نكشف أن الكتاب الأسطورى المذكور « بدائع الزهور » كتاب يقال إنه مدسوس على ابن إياس الحنفى ، أو نسب إليه خطأ .

أما ابن إياس ، فكتابه « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » كتاب آخر ، غير هذا . وإن اتفقا فى الاسم ، فهما مختلفان فى الموضوع والاتجاه والجد . . . وبين الكتابين بعد ما بين المشرقين .

وابن إياس المصرى الحنفى المتوفى عام ٩٣٠ هـ تقريبا ، يؤرخ فى كتابه هذا ، تاريخ مصر من أقدم عصورها حتى عام ٩٢٨ هـ . بأسلوب هين لا كلفة فيه ، أسلوب قصاص مصرى يحدث الناس بوقائع حياتهم .

كانت مفاجأة وقد دفعنى فضول الأدب ـ وكم للأدب من فضول ـ إلى تلاوته . فوجدت فى ذلك متعة يسرت على استيعاب صفحات هذه الموسوعة الكبرى ، أكثر من مرة ، وقد راعنى ما فيها من بسط دقيق لبعض الحوادث ، وما فيها من نقدات ذهن ، ولفتات خاطر ، وما فيها من عناية بارزة بعصر المماليك ، ذلك العصر الذى كانت تكتنفه فى ذهنى غموضة وإبهام . فحبب إلى هذا الكتاب حسن النظر فى تاريخ العصر المذكور وآدابه والتأليف فيه . وطفقت أتصفح آياته ، وأجمع بين متفرقاته ، حتى استقامت لى منه عدة موضوعات كانت دعامة كبرى لكتابى هذا .

ومن هنا يدرك القارىء الكريم حق ابن إياس على ، ومقدار ماقدمه من المعونة إلى ، فلا أقل من أن أنوه بذكره وأشيد بأثره .

وقد توفى ابن إياس — حقاً — فى صدر العصر العثمانى . وليس معنى ذلك أنه من رجال العصر المذكور ، وإن كان هذا هو مصطلح المؤرخين . غير أننا نعتبره من رجال العصر المملوكى — وقد سبق لنا التنويه بذلك — لأنه عاش فى العصر المذكور أكثر عمره وأطيب سنى حياته . ولابس أهله ودرس أحوالهم المعيشية ونظمهم الإدارية ، وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية فتأثر بذلك كله وسجل الكثير منه فى كتابه. فهو مملوكى نفسا وعقلا ، وعاطفة وثقافة فليس من الإنصاف له ، ولا لعصر المماليك أن ننتزعه منه ، ونضيفه إلى عصر ، هو عنه غريب ، ولا تجمعه به إلا جامعة الوفاة .

وبعد . فيقع هذا الكتاب فى أربعة أجزاء كبيرة ، طبع منها ثلاثة أجزاء بمطبعة بولاق الأميرية سنة ١٣١١هـ . وهى فى قطع كبير وذات حروف صغيرة . ويبدو أنها الطبعة المصرية الوحيدة حتى الآن . وإليك بيانا بمشتملات كل جزء :

الجزء الأول : تحدث فيه المؤلف عن تاريخ مصر القديم فى فصول طريفة غير أنها سريعة وجيزة ينقصها الدقة والتمحيص . وتناول فيها ذكر أخبار مصر وماورد فيها من الآيات القرآنية العظيمة والأحاديث النبوية ، والأقاويل المأثورة . وذكر حدودها ومسافاتها وفضائلها وماخصت به من المحاسن والعجائب ، وشىء مما قاله الشعراء فيها . ثم أخبار من ملكها من أول الزمان ، حتى فتحها العرب فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه .

ومن أمثلة أخباره فى هذه المرحلة من فصوله ، مانسب إلى سيدنا آدم ، قال المؤلف : « روى أن آدم عليه السلام ، أول من دعالها بالبركة والخصب والرأفة . وذلك أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض مثلت له الدنيا جميعها من شرقها وغربها وسهلها وجبالها وأنهارها ، ومن يسكنها من الأمم . فلما نظر إلى أرض مصر ، رأى أرضا سهلة بين جبلين . وفى وسطها نهر جار تنحدر مادته من تحت سدرة المنتهى ، فأعجبته تلك الأرض ، فدعالها بالبركة فى زرعها ، وبارك فى نيلها سبع مرات !! » .

ثم طفق يعقد فصولا أخرى فى وصف تاريخ البلاد المصرية من لدن الفتح العربى

إلى دولة ابن طولون إلى الدولة الفاطمية . ثم تحدث عن خلفاء الفواطم عاقدا لكل واحد منهم فصلا . ثم عقد فصولا أخرى فى ملوك الدولة الأيوبية ومن ثم تحدث عن سلاطين المماليك ملكا ملكا ، مترددا بين الإيجاز والتفصيل . وقد انتهى الجزء الأول عند حوادث منتصف سنة ٨١٥ هـ ، وعند نهاية سلطنة الخليفة المستعين بالله ، وبدء سلطنة المؤيد شيخ . واستغرق ذلك كله نحو ٣٥٩ صفحة .

الجزء الثانى : يبدأ بوصف سلطنة المؤيد شيخ المحمودى فى مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ ، وينتهى بانتهاء سلطنة العادل طومان باى فى رمضان عام ٩٠٦ هـ . أى أقل من مائة عام . وقد سار المؤلف فى هذا الجزء مسيره فى سابقه . فعقد لكل سلطان فصلا ، فصل فيه حوادثه وحوادث البلاد فى أيامه . غير أن فصوله هنا - فى جملتها — أكثر تفصيلا وإيضاحا وضبطا من فصول الجزء الأول . ولا سيما هذا الفصل الطويل الذى تحدث فيه عن الأشراف قايتباى ويتضمن تاريخ مصر بين سنتى ٨٧٣ هـ ، ٩٠١ هـ تقريبا ، فقد استغرق نحو مائتى صفحة ، وهى وحدها كتاب مفصل .

الجزء الثالث : نعنى بالجزء الثالث ، ثالث الأجزاء التى طبعت ببولاق . وكان ينبغى أن يكون هو الجزء الرابع . وذلك لأنه يبدأ بوصف حوادث عام ٩٢٢ هـ فى أخريات سلطنة الأشرف الغورى ، إلى نهاية حوادث سنة ٩٢٨ هـ تقريبا ، أى حوادث نحو سبع سنوات ، تخللها الفتح العثمانى لمصر ، وحوادثه الشائنة .

ومن ذلك يتبين أن الفترة الواقعة بين سنتى ٩٠٦ هـ ، ٩٢٢ هـ وهى التى تستغرق سلطنة الأشرف الغورى من أول أيامها إلى مطلع سنة ٩٢٢ هـ . لم تسجل حوادثها ، لا فى الجزء الثانى ، ولا الثالث . وذلك لأنها كانت - فى وقت طبع الكتاب - مفقودة . وقد نوه بذلك أيضا جورجى زيدان فى كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» . وبذلك نقصت هذه الطبعة فصلا هاما جدا من تاريخ مصر ، وهو تاريخها إبان حكم الغورى .

وحينما طبعت الطبعة المذكورة — ولم يوجد الجزء المفقود — اعتبر الجزء الأخير ، هو «الثالث» . وحقه أن يكون «الرابع» كما أشرنا . ويكون الجزء المفقود هو «الثالث» .

والجزء الثالث المذكور فيه تفصيل رائع لحوادث مصر فى شتى نواحيها . بما لا مزيد عليه . وفيه وصف دقيق لخروج الأشرف الغورى بحملته المصرية العظيمة إلى البلاد الشامية والحلبية لقتال العثمانيين وماجرى من خفى الحوادث فى أثناء القتال ، وبيان أسباب هزيمة الغورى وموته . ثم زحف العثمانيين إلى البلاد المصرية . واستعداد مماليكها للدفاع عنها ، وما وقع من الفشل فى صفوفهم ، وهمة الأشرف طومان باى الذى ملك البلاد بعد الغورى . وما بدا منه من شجاعة ومغامرة . ثم وصف الفتح العثمانى البغيض لهذه البلاد . وما اجترحه السلطان سليم فيها من الآثام . ثم تتبع الحكم العثمانى للديار المصرية والشـــامية والحلبية وغيرها مع وصف النظم الإدارية والأحوال الاجتماعية ، إلى نهاية سنة ٩٢٨ ﻫ تقريبا .

الجزء الرابع : ليس فى الطبعة البولاقية جزء رابع . كما وضح مما سبق . غير أن أن جمعية المستشرقين الألمان بالقسطنطينية قد عثرت على الجزء المفقود الذى يصف حكم الأشرف الغورى بين سنتى ٩٠٦ ﻫ ، ٩٢٢ ﻫ فطبعته على حدة طبعة أنيقة يتجلى فيها فن الطباعة الحديثة مع التعليقات والتهميشات والتحقيقات القيمة .

ويبدو أن الجمعية المشار إليها طبعت أجزاء الكتاب كله من أوله إلى آخره ، فى مثل هذا الطبع المتقن ، فاستغرق تاريخ مصر قبل عصر الغورى ، ثلاثة أجزاء — هما جزءان فى مطبعة بولاق — فصار الجزء الخـــاص بالغورى ، هو الجزء الرابع فى طبعة القسطنطينية .

هذا ؛ ويحتوى الجزء المذكور — وهو الذى كان مفقودا — على حوادث فترة هامة من تاريخ مصر ، وهى بين سنتى ٩٠٦ ﻫ ، ٩٢٢ ﻫ وهى المرحلة الأخيرة من حكم سلاطين المماليك . وقد أجاد ابن إياس فى عرضها إجادة تامة بالطريقة التى سلكها ، والتى سنصفها بعد قليل .

ونلاحظ أن الناشرين — وهم فى رعاية الدولة التركية — قد تأثروا تأثرا كبيرا بالروح التركية ؛ حينما تصدوا للتعليق على ما كتبه ابن إياس ، خاصا بالفتح العثمانى وحوادث السلطان سليم فى مصر ، فقد كان ابن إياس ، فى كتابته ، مصريا صميما راعه

ما اجترحه العثمانيون وسلطانهم من حوادث دامية فاجرة فى هذه البلاد ، فحمل عليهم حملات شعواء ، وسفه أخلاقهم ، وقبح أفعالهم ، وسخط عليهم السخط كله . وهذا أقل ما ينتظر منه باعتباره مصريا ، قد فتح بلاده قوم غزاة طغاة — وإن كانوا مسلمين —

لم يعجب هذا المنهج ناشرى الكتاب ، فطفقوا فى تعليقاتهم يسبون ابن إياس سبا شاذا ، فوصفوه بالحمق والكذب والافتراء ، وبأنه إنما يتعصب لدولة المماليك لأنه چركسى من چراكستها ، إلى آخر ماقالوا . . .

والحق الذى نشعر به أن ابن إياس كان منصفا فى حكمه على العثمانيين ، بل كان يجاملهم فى بعض الأحيان كلما رأى منهم بارقة إحسان ، كما أنه لم يغفل قط عن مجترحات أمراء الدولة الجركسية وجنودها والخائنين من كبار قوادها مثل خير بك وجان بردى الغزالى اللذين تواطآ على سلطانها الغورى ودولتها المصرية ، مع سلطان العثمانيين ، لقاء ولاية مصر والشام فى ظل الحكم العثمانى . نعم لم يغفل ابن إياس ذلك وسجله فى كتابه بتفصيل ، وحمل عليه الحملات الشعواء . ومن هذا نشعر أن الرجل كانت له صفة بارزة من صفاته النفسية ، فوق مصريته ، وهى أنه مؤرخ ، وأن المؤرخ ينبغى أن يكون عادلا منصفا ، وأن يكون محققا فاحصا ، يسجل الحوادث أولا ، ولا مانع بعد ذلك من أن يحكم عليها برأيه . وهذا هو مافعله ابن إياس ؛ وهو من أجله جدير بالتقدير .

الجزء الخامس : فى طبعة القسطنطينية جزء خامس ؛ هو عبارة عن الجزء الثالث من طبعة بولاق ؛ وفيه حوادث الغزو العثمانى ، وصدر الحكم العثمانى فى مصر .

منهجه : اتبع ابن إياس فى تسجيل حوادث التاريخ منهجا لم يغيره قط . وهو ذكر حوادث السنين سنة بعد سنة . ويستهل عادة حوادث السنة بقوله « ودخلت سنة كذا . . . » ثم يذكر حوادث السنة شهرا بعد شهر . ويستهل ذلك عادة بقوله : « وفى شهر صفر . . . » مثلا . ثم يذكر حوادث الشهر يوما بعد يوم . فيقول فى مستهل صفر حدث كذا . . . « وفى خامسه وهو يوم الثلاثاء حدث كذا . . . » وفى عاشره وهو يوم الأحد حدث كذا . . . » وهكذا .

ومن هذا يتبين أن كتابه كأنه مجموعة من صحيفة يومية سجلت الحوادث يوما بيوم في عدة مئات من السنين .

غير أن المنهج التسجيلي اليومي الذي انتهجه ابن إياس ، لا تبدو فيه الدقة كلها ولا العناية كلها في الفصول الأولى من الكتاب . ولكن كلما اقترب المؤلف من العصر الذي عاش فيه ازدادت دقته وتجلت عنايته ؛ حتى إذا ما بلغ الزمن الذي عاش فيه ، رسخت هذه الدقة ، وثبتت هذه العناية ، بما لا مزيد عليه.

وابن إياس ناقل فيما سجله من التاريخ قبل جيله . أما في جيله فليس بناقل . بل هو مؤلف يسجل ما يراه بعينيه ويسمعه بأذنه ، ويلابسه من الأحوال العامة والخاصة بنفسه . ولا يني يسجل أيضا لفتاته النفسية وهجساته القلبية وتأثراته العاطفية باعتباره مصريا وطنيا صميما بإزاء ما يدون من الحوادث ومن هنا تشعر تمام الشعور - وأنت مصري - أن رجلا مصريا — على غرارك — يحدثك بحوادث . بلادك وأخبار آبائك وأجدادك، في شيء كثير من الحق والصدق ، وشيء كثير من العاطفة الفياضة والجيشات القلبية التي تسبغ على تافه الحوادث روعة ، وتخلع على ضئيلها جزالة وجلالة .

والرجل قوي الملاحظة غريبها ، دقيق الربط بين أجزاء الحوادث ، ولو تباعدت أيامها . واعتقادنا أنه لم يترك شاردة ولا واردة في عصره مما رآه وسمعه ، إلا أحصاها، من أخبار ملوك وترقية أمراء ، وتنقل موظفين ، وأنباء دواوين ، ووقائع حروب ، وحوادث فتن ومؤامرات ، حتى الشائعات والهمسات، بين عالي القصور ؛ وحقير الدور . . . لهذا ترى أن كتابه سجل قيم للتاريخ السياسي والاجتماعي والإداري بل والأدبي لمصر .

ويبدو أنه كان ذا صلات وثيقة بدواوين الدولة وكثير من موظفيها ، ومن هنا استطاع أن يتتبع أنباءها وأنباء موظفيها يوما بيوم بل لحظة بلحظة . وله دقة وصبر غريبان في تتبع تنقلات الموظفين وترقياتهم من وظيفة إلى أخرى ، أو من رتبة إلى سواها . وكثيرا ما يشير إلى اختصاصاتهم في وظائفهم — أمراء أو غير أمراء — مع تطور هذه الاختصاصات على مدى السنين . وقد نشط إلى تسجيل ذلك وتعداده

وتعداد الموظفين فى مطالع بعض الأعوام .

ويبدو أيضا أنه كان ذا صلات وثيقة أخرى بمجالس العلم والأدب ، ومن هنا استطاع أن يتتبع أنباء العلماء والقضاة ونواب الحكم والأدباء شعراء ومنشئين،وتغلغل فى ذكر حوادثهم حتى الخصوصية منها ، وجرى معهم حتى سنة وفاتهم . وليس كتاب ابن أياس كتاب . . تراجم أشخاص . . ولكنه مع ذلك عرض لجزئيات التراجم بين ثنايا سطوره ، حتى لتستطيع أن تجمع من متناثرها هنا وهناك ، تراجم لا بأس بها .

وبهذه المناسبة نذكر خصوصية هامة من خصوصيات ابن إياس فى كتابه « بدائع الزهور » تلك أنه سجل فيه كثيرا جدا من الأبيات والمقطوعات الشعرية والأعمال الزجلية والحوادث الأدبية ، كل فى مناسبته . وهذه ذخيرة أدبية نادرة الوجود فى غيره من كتب التاريخ والأدب ، ولا سيما ما يختص منها بالعصر المملوكى .

وقد عنى ابن إياس عناية ملموسة بتسجيل وفيات كل سنة ، فى نهاية حوادثها ، كما عنى بذكر أخبار الحج والمحمل وخروجه وعودته ، وأنباء النيل وفيضانه ، وتردد المبشرين على المقياس ، ومقدار ارتفاعه ، ووصف السفارات المتعددة بين مصر وغيرها من الدول ، والهدايا المتبادلة بين ملوكها وغيرهم .

ونرى أيضا بين آونة وأخرى ، وصف الحالات والعادات الاجتماعية ، وهو يسجلها أحيانا باعتبارها حوادث ووقائع حياة - لا باعتبارها عادات وتقاليد يؤرخها ويقرر نظمها — ومن ذلك مواكب السلطان وحفلاته وحفلات الزواج والختان ولعب الكرة والخروج إلى الصيد ، ويستطرد فى تسجيلاته حتى يدون حــوادث يومية تافهة ، كدخول جمل هائج فى أحد الشوارع وهو يحمل تبنا أصابته النار ، فنتج من ذلك حرائق وإزعاج للناس إلى غير ذلك ، مما يستطيع به المؤرخ الاجتماعى أن يتصور حياة المجتمع حينذاك فيخرج له تاريخا هو أدنى إلى الواقع والصواب .

والمطلع على كتابنا هذا « عصر سلاطين المماليك » : ، يلمس مدى انتفاعنا بكتاب بدائع الزهور لابن إياس . ويرى كيف استطعنا أن نجمع موضوعاته المتشعبة بين مئات صفحاته ، وأن نؤلف شتات كل موضوع ، نحشد جزئياته ، وأن

نلائم بينها . وأن نتصور حقائقها بمعونته ، وأنه نكتب فى كل موضوع فصلا على حدة. واستطعنا إلى ذلك ، أن ننتفع بما سجل من تاريخ حياة رجال العصر وأفذاذه فجمعنا متفرقها فى خلال السنين وسبكنا منها ترجمة نافعة لكل منهم . كما انتفعنا انتفاعا محمودا بما فى الكتاب من نصوص شعرية نوادر أدبيـــة ، عاونتنا معاونة كبرى على أن نؤرخ الأدب فى العصر المملوكى .

فإذا قلنا ـ بعد ذلك ـ إننا لاحظنا أن الرجل حاضر الوعى ، موفور الذاكرة إلى درجة يحسد عليها ، لم نكن مبالغين . فإنك لتجد الحادثة وقد تباعدت أيامها ، وتنامت مناسباتها ، يعود إلى ذكرها والاستشهاد بها ، بعد زوالها بسنين عدة . وتتبع حوادث فرد من عظماء الرجال ، على مدى سنى حياته الطويلة ، تره يذكر فى كل سنة ـ إذا عرضت مناسبة ـ شيئا من هذه الحوادث ، فإذا عدت إلى المتقدم فيها ، والمتأخر ، وجدت سلسلة منتظمة الحلقات لاتناقض فيها ولا وهن فى حلقاتها ، ويتألف منها حياة حافلة مليئة كاملة .

هذه هى النزعة الغالبة على ابن إياس فى كتابه هذا . على أن الكمال لله وحده ، فكثيرا ما تند عن ذاكرته حادثة ، أو يصيب تسجيله شىء من الاضطراب والتناقض، أو يخطىء فى سنة وفاة ، أو يكرر وفاة فى أكثر من سنة ، ونحو ذلك ، مما لا يخلو منه مؤلف ضخم عظيم المدى واسع الأطراف ككتاب ابن إياس ، وهو ـ بحق ـ مؤرخ مصر ، وإحدى مفاخرها الكبرى .

ومن معايبه ضعف أسلوبه وركاكة عبارته ـ مع العلم أنه أديب كاتب وشاعر ، بل وزجال ، وفى كتابه بدائع الزهور كثير من شعره وزجله. ولكن أدبه لا يوزن بشىء لقاء مركزه التاريخى .

والله أعلم

إلى حضرات القراء

اكتفينا فى الباب السادس بهذا المجلد بما عرضناه من المؤلفات ، وهى بالإضافة إلى ماسبق التعريف به بالمجلد الثالث، كافية -ولو إلى حدما- فى فهم النزعات العلمية والفكرية لعصر المماليك . وقد رأينا فيما يتصل بالباب السابع أن مكانه الأنسب به ، يكون فى الجزء الرابع من كتابنا هذا، الذى نبسط فيه، بعون الله، الحديث عن نثر العصر المذكور . فعذرة إذا لم نثبته فى هذا المجلد ، وإلى الملتقى القريب إن شاء الله ؟

المؤلف

الحمد لله

تم المجلد الرابع

وهو القسم الثانى من الجزء الثانى من كتاب

«عصر سلاطين المماليك»

« ونتاجه العلمى والأدبى »



وقد تم طبعه فى جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ هـ — مارس سنة ١٩٥٢ م

ويليه المجلد الخامس

وهو القسم الأول من الجزء الثالث

فى

الشعر والشعراء

وأوله

منزلة الشعر عند العرب

كشاف

بأعلام المجلد الرابع

وهو القسم الثاني من الجزء الثاني

(ص)

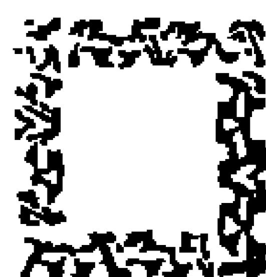
(غ)

(ف)

(ه)

(و)

(ي)



فهرس الموضوعات

تنبيه : وقعت عدة أخطاء مطبعية لا يفوت صوابها على القارىء الكريم. ومنها أن أرقام التراجم قفزت فى بعض الصفحات، دون أن يسقط شىء من التراجم نفسها ، فوجب التنبيه . والله سبحانه وتعالى أعلم